قصص العلماء

ورسالة سبيل النجاة



تأليف
العالم الفاضل نخبة العلماء والمجتهدين
الميرزا محمد بن سليمان التنكابني

مزيدة ومصححة

منشورات ذوي القربى

اسم الكتاب:	قصص العلماء و رسالة النجاة
المؤلف:	التنكابني
الناشر:	ذوي القربى
الطبعة:	الاولى
تاريخ الطبع:	١٣٨٤
الكمية:	١٠٠٠
المطبعة:	فاضل
شابك:	٩٦٤-٥١٨-٠٠٨-٢

مركز التوزيع : قم - پاساژ قدس - الطابق الاول - رقم ٥٩ - تليفون: ٧٧٤٤٦٦٣-٢٥١-٩٨+

العراق - النجف الأشرف - سوق الحويش - النقال: ٠٧٨٠١٠٠٣٥٧٢

قصص العلماء
و
رسالة سبيل النجاة

تأليف

العالم الفاضل نخبة العلماء والمجتهدين

الميرزا محمد بن سليمان التنكابني

ترجمة

الشيخ مالك وهبي

مزيدة ومصححة

مقدمه المؤلف

الحمد للّه الذي أنعم على العباد بالعلوم الكافية في السداد، والمحتاج إليها في الرشاد، ونصب السفراء الأمجاد المرشدين إلى معرفة المبدأ والمعاد، ثم أقام مقامهم القوام الذين بهم تمّ السناد وبهم ائتلفت الفرقة بين الأمة ورفع الشقاق والعناد، وبيّنوا أحكام الشرع بالمتواتر والآحاد، ثم بعد غروب شموس سماء الرسالة واختفاء بدور برج الولاية عيّن العلماء للإرشاد، وجعل مودّتهم والنظر إلى وجوههم ومتابعتهم وسيلة لنجاة يوم التناد؛ والصلاة والسلام على خاتم السفرة الكرام البررة، قاصم الكفرة واللدّاد، الموحى إليه بكتاب هو لكلّ قوم هاد، الهادي إلى سبيل الانقياد؛ وآله الأكملين الأشرفين الأفضلين الأطهرين الأمجاد.

و بعد... فإنّ العبد النادم بين يدي اللّه محمّد بن سليمان التنكابني يكتب على صفحة صحيفة أذهان الأعيان وأجلاء وأخلاء الإخوان: أنّه قد جعل اللّه الحكيم المنان بعد غروب شموس الرسالة واختفاء بدور الولاية العلماءَ الأعلام والفقهاءَ الكرام من الفرقة الحقّة الناجية الاثني عشرية مرجعاً و ملجأً ومعاذاً في أُمور المعاش والمعاد. والكثير منهم يصبح بمرور الزمان مجهول الاسم والقدر والتأليف والتوصيف مع كون الكثير منهم من أهل الكرامات الباهرة، وكان إعلاء ونشر مراتبهم العالية يزيد في الرغبة في تحصيل العلم ومحبّة أهله وفي تنمية الأذهان والأفهام. وفي الحقيقة محبّتهم محبّة للأئمة.

والعجب العجاب من جمع من الأصحاب صرفوا عمرهم في التأليف في تاريخ قضايا النصارى والمجوس والوثنيين، بل ذكر أحوال بعض الشعراء الذين ينطبق

عليهم ﴿الشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[1] وذكر بعض أشعارهم في كتاب مستقلّ، واشتهر ذلك الكتاب بين أبناء الزمان، ولم يتعرّض لأحوال العلماء إلّا قليلاً.

نعم، وجدت بعض الكتب في هذا المجال:

منها: كتاب معالم العلماء لمحمّد بن علي بن شهر آشوب وهو من المشايخ الأجلاء لوالد المحقق الطوسي وكان في سنة ٥٠٠ للهجرة، ولم ير هذا الفقير ذلك الكتاب بل سمعت أنّه كتاب عن علماء زمانه حتى زمان الشيخ الطوسي سنة ٤٠٠ للهجرة.

و منها: كتاب عبيداللّه بن علي وهو من أحفاد أخ الصدوق. كتب أيضاً في هذا الباب كتاباً اسمه الفهرست، كتب فيه عن علماء زمان الشيخ الطوسي حتى زمانه. وهذا الفقير لم ير الكتاب.

ومنها: كتاب أمل الآمل في بيان أحوال علماء جبل عامل من تأليفات صاحب الوسائل محمّد بن الحسن بن حر العاملي. مختصر جداً ولم يره هذا الفقير.

ومنها: رياض العلماء، كتبه الميرزا عبداللّه من تلامذة العلامة المجلسي أعلى اللّه مقامه. وهذا الكتاب أيضاً لم يره هذا الفقير.

ومنها: كتاب لؤلؤة البحرين، وهو أجازة كتبها الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق لابني أخيه الشيخ خلف والشيخ حسين.

و منها: الروضة البهيّة تأليف السيّد شفيع البروجردي في إجازة لوالده السيّد علي أكبر. وكان السيّد المذكور من تلامذة شريعة العلماء. وهذا الكتاب هو كتاب اللؤلؤة ولا يفترق عنه بزيادة مهمّة.

(١) الشعراء ٢٦ / ٢٢٤.

و منها: ما كتبه القاضي نوراللّه الشّشتري عن بعض مشاهير العلماء في كتاب مجالس المؤمنين.

و منها: كتاب تذكرة العلماء الذي ألّفه هذا الحقير منذ عشرين سنة مع فقدان الوسائل وقلّة التتبع.

و منها: رسالة من تأليف الشيخ أسداللّه، ذكر فيها القليل من مشاهير العلماء. وهو من تلامذة الشيخ جعفر النجفي وصهره.

ولذا أردت أن أكتب فيما قُرّر وسمع وحفظ بالتفصيل ذكراً لأسماء العلماء المعروفين، ومدّة عمرهم، وزمان ولادتهم ووفاتهم، وتأليفاتهم، وأساتيذهم ومشايخهم في الإجازة وتلامذتهم، وذكر من لم يكن عنده إجازة، ومحادثة بعضهم مع بعض، ومناظراتهم وأحوالهم مع ملوك عصرهم، وفطرتهم وزهدهم وذكائهم وتقواهم ونقائهم، ونهجهم في السعي وتحصيلهم، وكرامة أصحاب الكرامات. وأسميته كتاب قصص العلماء، والمأمول أن يكون مفيداً للخواصّ والعوام المفيدين والمستفيدين وطلاب العلم والزهد، وأن يُذكر اسمهم السامي في قنوت صلاة الوتر، ويطلب لهم المغفرة حتى تفيض أرواحهم العالية، وتكون معينة في التحصيل وطريق العبادة.

وقد كتب هذا الفقير سابقاً رسالة مستقلّة في كرامات العلماء، وفي الحقيقة أنّ ذكر كرامات العلماء سبب للوثوق واليقين بكرامات ومعجزات الأئمة والأنبياء. وقد ذكرت في كتاب تذكرة العلماء أسماء العلماء الأعلام بترتيب حروف الهجاء مثلما ذكر أهل علم الرجال أسامي الرجال بترتيب حروف الهجاء، لكنّني في هذا الكتاب ذكرت أسماء العلماء حسب ترتيب الإجازات والأعصار، وجعلت

العلامات على حساب أبجد هوز[1]، وابتدأت بعلماء زماني، وابتدأت فيهم بالاسم السامي السيّد أستاد الأمجاد:

(١) وجعلناها نحن على حسب الأرقام تسهيلاً للقرّاء.

(١)

السيّد ابراهيم ابن السيّد محمّد باقر الموسوي

أُستاذ هذه البسيطة، له الشهرة في كلّ الديار، وحيد الأمصار والأعصار، نادر الزمان في الفقه و الأُصول والرجال، سبق المدرّسين العظام، علم التدقيق ومنارة التحقيق وجبل الفقاهة.

درسه مفيد للمتوسّط والمفيد والمستفيد، كلّ يستفيد من درسه حسب ما يناسبه. سكن في العتبة العلية العالية الحسينية، ودرّس في مدرسة «سردار» المتصلة بالصحن المبارك لحائر سيّد الشهداء. كان يجلس في درسه بين السبعمئة والثمانمئة بل حتى الألف من الطلّاب والدارسين والفقهاء والمجتهدين والمستنبطين، منهم:

الشيخ زين العابدن بارفروش، والسيّد حسين الترك، والسيّد أسد اللّه نجل حجّة الإسلام الشيخ مهدي الكجوري الموجود في شيراز، والمرحوم السيّد أبوالحسن التنكابني، والحاج محمّد كريم المجتهد اللاهجي، والمرحوم الشيخ عبدالحسين الطهراني، والمرحوم الملّا علي محمّد ترك، وجناب الحاج الملّا علي كني سلّمه اللّه، والميرزا محمّد حسين ساروي، والميرزا محمّد محسن الأردبيلي، والميرزا صالح العرب، والميرزا رضاي الدامغاني، والشيخ محمّد طاهر الكيلاني، والملّا محمّد صادق ترك، والسيّد جمالاي محلاتي وأمثالهم ممّن هم في كلّ صقع من الأصقاع مراجع وملاذ.

وقد تلمّذت له عدة سنوات، وإليه استنادي في العلوم النقلية من الفقه والأُصول والرجال. وكان يعطي درسين، وكان يزدحم الطلاب ويمتلئ المسجد حتى إنّهم كانوا ينقلون متاع المسجد، وكان يمتدّ الحضور إلى نصف صحن المدرسة من الطلاب والعلماء.

وطريقة درسه في الأُصول أن يقرأ أسطراً من حصيلة أفكاره ثمّ يشرحها، ودرسه في الفقه شرح لشرائع المحقّق يقرأ سطرين من العبارة ثم يقرّر المسألة، وفي أكثر الأحيان كان يدرّس على ترتيب الفقه الذي كان يكتبه وفي آخر الدرس يقرأ عبارة ما كتبه في دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام.

وكان في أغلب الأوقات يدعو من عنده كلام وأشكال وبحث أو دليل آخر أن يقوله، ولم يعجزه أحد في مجلس الدرس في المحاجّة والاحتجاج. وإذا ناظره أحد في مجلس الدرس كان يجيبه، وإذا رأى أن المناظر لا يهدف إلّا للمناظرة لا فهم المسألة المسؤول عنها كان يسكت.

وكان صاحب الفصول معاصراً له، وكان يجلس في بعض المجالس ويناقش الأُستاذ ويسأله والأُستاذ يجيبه، ولكنّ الشيخ يظهر عليه في مقام المحاجّة فيسكت الأُستاذ ويوافقه حتى علم تلميذ الأُستاذ الشيخ محمّد مهدي الكجوري فصار يذهب إلى مثل هذه المجالس، فإذا بدأ الحوار كان يرد الشيخ محمّد مهدي على صاحب الفصول فيغلبه. وفي ليلة جرى الحديث عن اجتماع الأمر والنهي، والشيخ محمّد حسين ينفي والشيخ محمّد مهدي يثبت، وغلبه الشيخ محمّد مهدي والأُستاذ ساكت حتى وصل الأمر إلى أن لا يتحدّث صاحب الفصول إذا كان الشيخ محمّد مهدي موجوداً. وتقرير صاحب الفصول في غاية القلّة، والشيخ مهدي كان ذا تقرير وجامعاً بين المعقول والمنقول.

ثمّ إنّ والد الأُستاذ السيّد محمّد باقر كان من أهل خوئين من القرى الخمس ويسكن قزوين، فأتى بولده إلى كرمانشاهان، وأقام هو عند الميرزا محمّد علي الأمير، واشتغل في تعليم أولاد الملك، و ترك ولده النجيب السيّد الأُستاذ في كربلاء.

وحضر في الأواخر درس العالم الحفي الوفي الصفي التقي النقي الجلي السيّد علي أعلى اللّه مقامه صاحب الشرح الكبير[١] والصغير، ثم تلمذ للعالم العليم البحر الخضم الأدق عين أصحاب التحقيق ومؤسس الأُصول محمّد شريف ابن الملّا حسين علي الآملي المازندراني الملقّب بشريف العلماء الكربلائي مسكناً ومدفناً، وكان يحضر مجلس درس شريف العلماء ألف شخص بل أكثر من الطلاب والعلماء.

ولما كان شريف العلماء في الأوائل لا يدرّس الفقه ارتحل السيّد الأُستاذ بعد تحصيل الأُصول إلى النجف، وحضر مجلس العالم الأفقه الأكرم الأفضل الأعلم، رئيس أهل التحقيق والتدقيق، رضيع ثدي الفقاهة وشجرة ورد روضة الجلالة والفخامة الشيخ علي بن الشيخ جعفر أنار اللّه تربتهما المعروف بالمحقق الثالث، وحضر درسه مدّة سبعة عشر شهراً وأخذ عنه الفقه، ثم عاد إلى كربلاء.

وكان شريف العلماء متضايقاً منه لذلك السبب أن لماذا تركه في آخر الأمر؟ فبرّر ذلك بعض التلامذة: إنك لا تدّرس الفقه، والفقه ضروري للطلاب والأُصول مقدمة له. فشرع شريف العلماء بتدريس الفقه، وبدأ بمسألة البيع الفضولي، وبحث فيها مدّة ثمانية أشهر حتى انتقل إلى رحمة خالقه. وكان من تلامذته الشيخ مرتضى التستري[٢] وقد ذكر في كتابه المتاجر أقوال أُستاذه شريف العلماء إجمالاً.

بدأ السيّد الأُستاذ بالتدريس في زمان حياته، وكان يحضر درسه ما يقرب من

---

(١) الرياض (المترجم).

(٢) الشيخ الأنصاري المعروف (المترجم).

ثلاثمئة شخص. و رأى في المنام جدّته فاطمة الزهراء عليها السلام تعطيه دواة وقلماً وتقول: يا ولدي اكتب الفقه. وكان الأُستاذ ـ غفر اللّه له ـ قد تلمذ قليلاً لابن السيّد علي المحبوب السيّد محمّد ـ رضي اللّه عنه ـ صاحب المناهل ومفاتيح الأُصول، فرغّبه بتأليف الفقه مهيّئاً له المصادر والكتب الفقهية وطلب منه التصنيف في القضاء فكتب في القضاء، كتاباً مستقلاً، وبعد مدّة طلب منه الناس رسالة فارسية حتى يقلّدوه، فاستخار فجاءت هذه الآية ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبراهِيمَ حَنِيفاً﴾[1].

من تأليفاته: ضوابط الأُصول في مجلّدين، والمعروف أنّه كتبه خلال شهرين في مكة، وهذا من كراماته. واتّفق تأليفه في زمان الطاعون، مع أنّه كتب الكتاب بحيث تتّفق أكثر الصفحات في ابتداء سطورها بحرف وانتهائها بحرف واحد، فصفحة مثلاً يبدأ كلّ سطر منها بحرف الألف وينتهي بالنون أو اللام. وخلال شهرين ألّف دورة أُصولية كاملة في متانة، ونسخة الأصل أيضاً مكتوبة بذلك النحو، وهذا ليس إلّا تأييداً إلهيّاً وكرامة غير محدودة من الذات الأحدية. ولي حواشي كثيرة على الضوابط.

و كتاب نتائج الأفكار بحجم المعاجم تقريباً، وفيه دورة أُصولية والأدلّة والأقوال بعبارات فصيحة في غاية الفصاحة والبلاغة، وهو الذي جعله رضي اللّه عنه محور درسه. وفي تلك السنوات كنت أستفيد في مجلس درسه وكتبت حواشي كثيرة على هذا الكتاب. ولم يكتب مثل هذا الكتاب في الأُصول بهذه الفصاحة والبلاغة والجزالة والعذوبة. ولتلامذته شروح كثيرة على ذلك الكتاب منهم: الشيخ مهدي الكجوري، والسيّد أبو الحسن التنكابني الساكن في قزوين، وغيرهما. وكتاب النتائج يقع في مجلّدين أيضاً.

---

(١) الأنعام ٦ / ١٦١.

ورسالة في حجّية الظنّ كتبها في سعة كاملة، وهي حسنة جداً فيها تحقيقات لا تقدّر.

وكتاب دلائل الأحكام في شرح شرائع الإسلام من أول الطهارة حتى الحدود والقصاص، عدة مجلّدات. والموجود منه عندي كتاب الطهارة في مجلّد، وكتاب الصلاة مجلّد كبير، وكتاب الزكاة والخمس والصوم في مجلّد، وجميع المتاجر في ثلاثة مجلّدات، والنكاح مجلّد كبير، والطلاق والظهار واللعان والإيلاء والخلع والمباراة في مجلّد كبير والغصب مجلّد، والذباحة والأطعمة والأشربة مجلّد. وكتب الباقي بعد ارتحالي عنه. وهذا الكتاب يشتمل على فروع كثيرة وأدلّة لا تحصى لا توجد في الكتب المبسوطة الأُخرى. وبعبارات فصيحة بليغة موجزة محرّرة من النكاح حتى الآخر. وأستطيع أن أدعي على سبيل الحقيقة المبنية على المبالغة أنّه لم يكتب مثله في التدقيق والتحقيق، وكنت في خدمته حين تدريس وتصنيف النكاح والطلاق والخلع والمباراة والظهار واللعان والإيلاء والإقرار.

ورسالة فارسية في الطهارة والصلاة والصوم.

ورسالة غريبة مفصّلة في الطهارة والصلاة.

ورسالة في مناسك الحجّ.

ورسالة في حرمة الغيبة وفروعها.

ورسالة في صلاة الجمعة.

وكان يقول: جمعت خمسمئة قاعدة من القواعد الفقهية ألّفت فيها بين القواعد الكليّة. لكن لا يوجد في كتاب الكلّيات قواعد كلّية كثيرة، وأكثرها واردة على وفق الدليل.

وكانت حافظته قويّة كلّ ما يراه مرّة واحدة يحفظه لكنّه كان يقول: وسريعاً ما يزول من خاطري ولا يبقى. وكان يقول: لم أكتب مسوّدة أكثر من ورقتين. وهذا من كراماته، وكان يقول: قرأت كتاب القوانين في ذهني ٦٠ مرّة. وخلّف شريف العلماء في التدريس.

وكان عنده زوجتان إحداهما ضعيفة لم تنجب له أولاداً، والأُخرى أنجبت له بنات خطب إحداهن المرحوم الملّا علي محمّد وأجابه السيّد. وكان من فضلاء تلامذته واشتغل في أيّام حياته بالمرافعات وصلاة الجماعة والوعظ والتدريس وخلفه بعد مماته كما خلف شريف العلماء بعد مماته، وكما تدين تدان، لكنّه لم يطل الزمان حتى دعاه بعض أهل بلد الشيخ الملّا علي محمّد وسمّموه. وخلّف من إحدى زوجاته ولدين.

وبنيت قلعة سامراء باهتمام الأُستاذ، وكانت تأتيه من الهند أموال كثيرة يرسلونها كلّ عام من الموقوفات، وكان يصرفها على الفقراء وإصلاح المشاهد المشرفة.

أمّا في الأخلاق فقد وصل هذا العظيم إلى مرتبة يخرج وصفها عن قدرة الكاتب، بل لم أر بين علماء العرب والعجم أفضل من هذا البحر الخضم في الأخلاق، حتى إنّه إذا دخل عليه ولد مميّز يتواضع ويقف له، سواء كان الصبي عامّياً أو غير عامّي، وسواء كان من أولاد النجباء أو لم يكن، وهذه الأحوال لم تكن في أحد من أبناء العصر.

وإذا قيل له مالا يليق وشُتم والعياذ باللّه كان يسكت على ما شاهدته. فقد جاء في يوم أحد الأعراب المعجبين بالسيّد محمّد كاظم الرشتي وكان شيخياً[١]

(١) الظاهر على ما سيتضح فيما بعد أن الشيخية هم أتباع الشيخ أحمد الأحسائي. (المترجم).

وبين الشيخين والمجتهدين غاية المنافرة والمباعدة والمشاقة، وحضر ذلك الأعرابي مجلس درس الأُستاذ وبدأ يتكلّم جزافاً ويشتم، وكان في حزامه خنجر، ويتقدم نحو الأُستاذ والأُستاذ ساكت مطرق برأسه إلى الأرض، فعرف أحد خدّام المبنى وكان من السادة، فأخذ بأطراف ثوب الإعرابي الملعون، فقال له السيّد: لا تفعل معه شيئاً ولا تضربه، لكن ذلك الخادم جرّه وأخذه إلى صحن حرم سيّد الشهداء عليه السلام ورماه وضربه بخشب كثير.

ولم يتغيّر حال الأُستاذ أبداً مع أنهم كانوا يكثرون من محاورته ومناقشته، وكان يتحدّث حسب قانون المناظرة، وإذا أساؤوا إليه في أوقات كثيرة كان يبتسم ويصرف وجهه عنهم ويقول: هذا كلام أجنبي. لم نشاهد منه أكثر من ذلك في مجلس الدرس وغيره.

وخلال هذه السنوات التي أمضيتها مع هذا العظيم ذكر مرتين أو ثلاثاً موعظة لأمر مهمّ برشاقة لسان وطلاقة وسلاسة بيان إضافة إلى دقائق تفسير القرآن.

ومن الحكايات المضحكة التي سمعناها منه: أن شخصاً دهقاناً أوصى في آخر عمره: أن لا تحرموا فلاناً من مالي، فسأل وصي ذلك الشخص عالماً من أهالي تلك القرية ليس عنده أنس بأُصول الفقه، فقال له ذلك العالم: يجب أن يحرم الموصى له؛ لأنّ النفي في النفي إثبات أي إثبات الحرمان، فيجب أن لا يُعطى شيء، ثم بعد مدة أتى عالم أُصولي إلى القرية فذكروا له المسألة وجواب ذلك الملّا مع دليله، فقال ذلك العالم الأُصولي في الجواب: الصواب أن يُعطى الموصى له شيء ما، وقاعدة النفي في النفي لا تأتي هنا؛ لأنّ ألفاظ الأقارير والأوقاف والوصايا تحمل حسب فهم العرف، وعرفاً فإنّ المفهوم العربي لهذا الكلام هو قطعاً أنّه يجب أن يُعطى الموصى له شيء، وفهم العرف وارد على القاعدة.

حكاية أُخرى في مجلس الدرس وهي: أنّه عندما كان الأُستاذ ـ طيّب اللّه تربته ـ يذكر مسألة جواز وطي الزوجات[١] ويعطي الأدلّة على جوازه حتى استقصى الأدلّة بعد ذلك قال: من كان عنده ما يزيده فليذكره. فتحدّث الملّا علي محمّد ترك وقال: قد ورد إلى ذهني دليل آخر فقال: وما هو؟ قال: سيرة العلماء أيضاً مستقرّة على ذلك. فضحك الأُستاذ والحضور.

حكاية ثالثة: كان الأُستاذ ـ نوّر اللّه مرقده ـ يتحدّث دوماً عمّا إذا أعطى شخص لشخص مالاً وجعله وكيلاً عنه في إنفاقه في طائفة معيّنة، وكان الوكيل من هذه الطائفة، هل يجوز له أن يأخذ أيضاً سهماً من المال أم لا؟ وذكر أنّ الأحوط عدمه، فقال الملّا علي محمّد من باب الظرافة والمفاكهة: هذا الاحتياط فتوائي أم عملي؟ فتبسّم حضرة الأُستاذ وقال: هذه سالبة بانتفاء الموضوع.

وكان كثير التشنيع على مفاتيح الفيض الأخباري، وكان يقول: لو سمّاه بمختصر المسالك لكان أولى. يريد أن المفاتيح ليس فيها إلا مطالب المسالك.

وكان دائماً يقول الاجتهاد على أنحاء ثلاثة: أحدها أن يحصّل الأقوال في المسألة والشهرة والإجماع ثم يبين أدلّة الأقوال ويختار أحدها. ثانيها: أن يستقصي الأدلّة والجرح والتعديل في الدليل ويذكر مقداراً من الفروع أيضاً. ثالثها: أن يحرّر ويقرّر القاعدة الكلّية التي تبتنى عليها المسألة بتحرير أتم، وأن يتعرّض للأدلّة حتى يُصيّر الفتوى علماً أو قريبة من العلم، وأن يذكر ما استطاع من الفروع، وأن يضعّف القول المقابل بحيث يصير بديهي البطلان. والسيّد علي الطباطبائي كتب الشرح الكبير على النهج الأول.

---

(١) الظاهر أنّ المراد الوطي في الدبر، والنسخة الفارسية ذكرت كلمة «درد» ولعلّها سهو من القلم، والمفروض دبر.

يقول مؤلّف هذا الكتاب: ليس مراد الأُستاذ أنّ صاحب الرياض لم يكن عنده أكثر من أوّل درجة من درجات الاجتهاد، بل يريد أنّ الرياض ـ وهو الشرح الكبير ـ قد كُتب بأُسلوب أوّل درجة في الاجتهاد، وإلّا فإنّ السيّد علي ـ أعلى اللّه درجته ـ أُستاذ المجتهدين عالم علمه بحر خضمّ كما سيأتي في ترجمته.

ولا يخفى أنّ من براهين عدم لزوم تقليد الأعلم الذي ذهبنا إليه وكتبناه في رسالة مستقلّة في التقليد أنّ مشارب الفقهاء في مقدّمات الاجتهاد والأُصول وهذه الدرجات المتقدّمة مختلفة، بل كلّ شخص له مهارة في واحد منها، فواحد منهم متقدّم في العربية على غيره، وآخر يكون أكمل في الرجال، وثالث في الأُصول اللفظية، ورابع في الأُصول العقلية، وواحد في الدرجات المتقدّمة، وآخر في المعاملات، وثالث في العبادات، أمّا أن يكون هناك شخص أعلم في جميع الفقه ومقدّماته وفي جميع هذه المشارب فالإنصاف أنّه مفقود.

ثم إنّ جناب السيّد هو أوّل من أقرّ باجتهاد هذا الفقير، لكنّه لم يكتب إجازة رواية ولم أطلب منه ذلك وإن كانت إجازته في الاجتهاد تدلّ بالالتزام على إجازة الرواية. والمستحسن أن أكتب إجازة جنابه بعين عبارته حتّى يطّلع على جودة تقريره وحسن تحريره وفصاحته وبلاغته وجزالته وسلاسته وعذوبة كلام ذلك النحرير والعالم الخبير، وحسن الوثوق وعطفه وإلطافه بحق هذا الفقير، وحتى يستفاد من استماع ومطالعة الدرر المنثورة لهذا العظيم. وهذه صورة إجازة(١) السيّد الأُستاذ:

---

(١) هي في المتن مكتوبة بالعربية فنقلناها بلفظها.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

و به نستعين

الحمد للّه الّذي منّ علينا بالاقتداء بشريعة خاتم الأنبياء، وأرشدنا بـإرشاد الأوصياء واحداً بعد واحد إلى حضرة سيّدنا ومولانا قائم الأُمناء صـلوات اللّـه عليهم إلى يوم الجزاء، ثمّ في زمن الغيبة أمرنا باتّباع العلماء الذين فضّل مدادهم على دماء الشهداء.

أمّا بعد فالذي يهم بيانه ولا ينبغي ستره وكتمانه هو أنّ جناب العـالم العـامل والفاضل الكامل، بحر الحقائق وكنز الدقائق، منبع الإفاضات وينبوع الفيوضات، معدن المنطوق والمفهوم ومخزن المـنثور والمـنظوم، المحـقّق في الفـروع والأُصـول والمدقّق في المعقول والمنقول، وحيد زمانه وفريد أوانه، عـلامة العـلماء الأعـلام ونخبة الفضلاء الكرام، ذا الفضل العظيم والطبع السليم والفـهم المسـتقيم، حـادي المحامد والمآثر وجامع المكارم والمفاخر ولدنا العزيز الروحاني جناب الآغا ميرزا محمّد التنكابني ـ متّع اللّه الأنام بفضله وإرشاده وأرشدهم بهدايته واسعاده ـ قـد استغرب عن الأهل والأوطان، وحضر لديّ جملة من الزمان وبرهة مـن الأوان، وبذل مجهوده في تحصيل العلوم وتكميل الأدب والرسوم، وأتعب فكره في تحصيل المراتب العليّة، وتأليف المسائل الفقهيّة، وتـصنيف الكـتب والرسـائل الأُصـوليّة مشتملة على المنظوم والمنثور في كمال الفصاحة وغاية البلاغة كأنّها الدرر المنثورة واللآلي المنظومة المشهورة حادية لغرر الفوائد ودرر الفرائد، فللّه درّه وقدّس سره، حيث سلك في تأليفها مسالك أُولي الألباب، ولا حظ فيها فوائد الإيجاز والإطناب في جميع الأبواب ما يناسب من ذكر الفوائد المهمّة والقواعـد المحـكمة، وتـوضيح الفروع المبهمة وكثير من التحقيقات الأنيقة والتدقيقات الرشيقة، وأدقّ نـظره في

دفع الإيرادات الفاسدة المخلّة على ما تقتضيه الضوابط والأدلّة، وفاق بذلك أقرانه الأجلّة، فأجاد ما أنتجته نتائج أفكاره.

ونعم ما أفاد من الضوابط بدقائق أنظاره في مسائل الحلال والحرام المستنبطة من دلائل الأحكام، حقيق أن ينتفع بها السالك والداخل والواسطة والواصل، فهنيئاً لذلك الجناب المستطاب حيث بلغ مرتبة الاستنباط ودرجة الاجتهاد، وصار مؤيّداً بالتأييدات الأبديّة والتوفيقات السرمدية، وأعانته القوة القدسيّة التي هي من أعظم الشرائط وأقوى والوسائل والوسائط.

ونسأل اللّه تعالى دوام التأييد كما يليق، وأن لا ينساني في الخلوات ومظانّ الإجابات من صالح الدعوات، إنّه قاضي الحاجات وولي الخيرات... انتهى كلام السيّد الأُستاذ.

واعلم أنّنا عندما كنا في العتبات العالية وكان السيّد الأُستاذ على رأس علماء تلك البلاد ومرجع كلّ العباد، وكان يحضر في ذلك الزمان في درس المرحوم الشيخ محمّد حسن‏ صاحب جواهر الكلام في النجف الأشرف ستون أو سبعون شخصاً، وفي درس الشيخ مرتضى ـ أعلى اللّه مقامه ـ ما لا يزيد على العشرين، وكان المرحوم الأُستاذ أشهر من الآخرين.

و بعد المرحوم حجّة الإسلام طبعت في قزوين رسالة المرحوم الاستاذ، فلم يكفِ ما طُبع للمدينة فطبعوا الرسالة مرّة ثانية، وفي الأثناء توفي الأُستاذ، وبعد وفاته اشتهر المرحوم المعظّم الشيخ محمّد حسن النجفي أعلى اللّه مقامه.

ومن جملة الوقائع: أنّ المرحوم الشيخ محمّد حسن لم يكن في بداية الأمر ينفّذ أحكام المرحوم الأُستاذ إلى أن جاء أحد تلامذته إلى الشيخ محمّد حسن وأقرّ باجتهاد تلامذة الأُستاذ، وأقرّ بالتالي باجتهاد السيّد الأُستاذ، وهذا من غرائب

الزمان، مع أنّ الأُستاذ كان أعلم من الشيخ في الأُصول والرجال والعربية، بل كان أفقه منه وأورع وأتق، ولعلّ الشيخ لم يكن مطلعاً على أحوال الأُستاذ في بداية الأمر، والله العالم.

ومن شدّة زهد الأُستاذ أنّه مع وصول أموال كثيرة من الهند تزيد على العشرين ألف تومان، ومع وصول الوجوه الكثيرة إليه من إيران والحجاز، كان فقيراً لم يكن عنده إلّا ما يكفي لمعيشته اليومية وبالقناعة التامّة ولم يجمع ثروة.

وكان لفتح علي شاه المغفور له بنت اسمها ضياء السلطنة اشتهرت بالكمال والمال والجمال، فطلب فتح علي شاه من المرحوم الشيخ ملّا حسن اليزدي صاحب مهيّج الأحزان أن يزوّج ضياء السلطنة بابنه، فلم يقبل واعتذر عن ذلك بأنّنا رعايا ولسنا أهلاً لأن تدخل بنات السلاطين إلى بيوتنا. والمعروف أنّ المرحوم فتح علي شاه طلب من الفاضل القمي صاحب القوانين أن يزوّج ولده لإحدى بناته، وبعد انقضاء المجلس طلب الميرزا من الله تعالى: أنّه إذا كان لابدّ من زواج ابني ببنت السلطان فأمت ولدي.انتهى الميرزا من الدعاء وكان قد غرق ولده في حوض البيت ومات.

ثم ذهبت ضياء السلطنة إلى العتبات العالية أولاً عند المرحوم السيّد محمّد مهدي ابن السيّد علي الطباطبائي، فأرسلت إليه أن يتزوّجها فرفض ولم تصل إلى ما تريد، وكان السيّد مهدي من أزهد زهّاد العصر. بعد ذلك طلبت بنت السلطان ضياء السلطنة من الشيخ محمّد حسين صاحب الفصول أن يتزوّجها فرفض الشيخ، ثم أرسلت بعد ذلك إلى السيّد الأُستاذ شخصاً يعرض عليه الزواج منها، فأجاب بأنّ مصاريف بنت الملك كثيرة وليس عندنا إلا الفقر والفاقة ولا نتمكّن من تأمين مصارفها، فأرسلت إليه من جديد: إنني لا أطلب شيئاً بل أنا مستعدّة

للصرف عليك وعلى عيالك. فأجاب: أنّ عائلتي وزوجتي وأولادي قد عاشوا معي في العسر والفقر ولازم الوصل لك أن نحيد عنهم وهذا قبيح. فأرسلت إليه من جديد: أن تبقى عند عيالك وكلّ الذي أُريده أن أحمل اسمك. فأبى السيّد الأُستاذ حتى يئست بالكلّية.

ومن فتاوى الأُستاذ الغريبة: أنّه كتب في كتاب الصوم من دلائل الأحكام: وفي إبطال الدخان للصوم وجهان. وفي الحاشية كتب: الأظهر أنّه لا يبطله.

يقول مؤلف هذا الكتاب: كنت أنسخ هذا الكتاب فلمّا وصلت إلى هنا ذهبت إلى جنابه ـ أعلى اللّه مقامه ـ وقلت له: أنت ترى أنّ تدخين النرجيلة ليس مفطراً؟ فقال: أنا لم أفت بمثل ذلك. فقلت له: إنّك وإن توقّفت في كتاب الدلائل لكن في الحاشية «منه» كُتب: الأظهر عدم مفطريته. فقال جنابه: ذكرت مقتضى الدليل لكن لم أفت بذلك ولا أرضى أن ينسب إليّ أحد هذه الفتوى.

ومن كراماته الكثيرة: حكاية رؤيا الصديقة الكبرى وهي تعطيه دواة وقلماً وقالت له: اكتب الفقه. وقد تقدّمت.

ومنها: أنّه استخار في كتابة رسالة فجاءت آية: ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنِيفاً﴾[1] وقد سبق ذكره.

ومنها ما هو مذكور على الألسنة كثيراً ومشهور في الأمصار غاية الاشتهار: أنّ أهل الهند أرسلوا إليه عريضةً كي يرسل لهم رسالة عملية ليقلّدوه، فأرسل الرسالة مع أشخاص وسافروا في السفينة، فجاءت ريح قوية واضطربت السفينة حتى كادت أن تغرق بما فيها من مال وناس، فألقوا ما عندهم من وسائل وأحمال في الماء حتى تهدأ السفينة ولا يلحق بها ضرر، وأُلقي ذلك الخرج الذي كان فيه

(١) الأنعام ٦ / ١٦١.

الرسالة أيضاً في الماء، فوصل ركاب السفينة إلى الهند ورووا لهم ما حصل، فأرسل أهل الهند إلى الأُستاذ من جديد كي يكتب لهم رسالة وأنّ الرسالة أُلقيت في الماء، فأراد الأُستاذ أن ينسخ الناسخ رسالة أُخرى، لكن بعد وقت أرسل إليه أهل الهند: أنّ رسالتكم وصلت إلينا سالمة صحيحة، وتفصيل هذا الأمر أنّنا ذهبنا يوماً إلى البحر للتنزّه فرأينا حيواناً غريباً من حيوانات البحر قد وقع ومات وقد تورّمت بطنه، فبقرناها فرأينا الخرج في بطنه ففتحناه ورأينا الرسالة فيها ولم تصل إليها آية آفة ولم يؤثّر فيها الماء أبداً.

ومن كراماته الظاهرة الباهرة: أنّ أحد تلامذته ـ وهو من الأتراك، وهو في هذا الزمان من مشاهير تلك الديار، وكان كثير الكلام في مجلس الدرس، والأتراك غالباً فظاظ غلاظ القلوب ـ حاور الأُستاذ يوماً وكان يصرّ على الإنكار مهما كان الجواب، فقال له الأُستاذ: لا تقل كلاماً غير مترابط. فقال الميرزا التركي المذكور: أسمع كلاماً غير مترابط. فسكت جناب الأُستاذ، وبعد انتهاء الدرس عاد الميرزا إلى منزله وكان في الطبقة العالية، فأراد الصعود على السلم، فما أن أراد الصعود حتى أحسّ بألم في خاصرته ومهما عولج لم يستفد. نذر بعد وفاة الأُستاذ أن يزور كربلاء فما استفاد، وجعل لولد الأُستاذ معاشاً دائماً ويقدّم كلّ سنة الخدمات الكثيرة لأقارب السيّد الأُستاذ وزار بيت اللّه فما استفاد، وإلى الآن هو مبتلى بهذا المرض.

ومن جمله كراماته: أنّه كان في ذلك الزمان رجل اسمه إبراهيم الزعفراني من كربلاء، وكان من زعماء أشرار تلك الديار، وكان يتأبى دائماً من الذهاب إلى سلطان تلك الأمصار، وقد كان جناب الأُستاذ في مشقّة وضيق من هذا الشرير حتى إنّه ضرب في مجلس الأُستاذ كاسة على الأرض وكسرها يريد مال الفقراء وأموال الهند حتى يصرفها، وكان في ذلك المجلس الشيخ محمّد ابن الشيخ علي بن الشيخ جعفر، وكان بيده شيء فضرب به رأس السيّد ابراهيم لسوء أدبه وانكسر

ذلك الشيء، وبعد زمان تمكّن سلطان بغداد من التغلّب على أهل العناد والشقاوة بذلك من أجل حاجة إلى مجلس الأُستاذ، وحكم من بغداد أن لا يجلس في مجلس الأُستاذ وأن لا يبقى عنده أكثر من ساعتين، فجاء وقبل قدم الأُستاذ فأجلسه الأُستاذ وأجابه إلى طلبه.

وقد شاهدت من أمثال هذه الكرامة غير ما ذكر.

ومن كراماته عندما كان جنابه في النجف الأشرف وكان يحضر مجلس الشيخ علي: أنّه رأى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام يأمره بالذهاب إلى كربلاء، ولكن لمّا لم يكن يرى حجيّة الرؤيا لم يمتثل، ثم رأى مرّة أُخرى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المنام الأول صادق وأمره، لكنّه تساهل أيضاً، وفي الثالثة رأى أيضاً الأمير عليه السلام وأمره بالذهاب إلى كربلاء والإقامة فيها، فامتثل وذهب إلى كربلاء وأقام فيها.

ومن كراماته: أنّ أحد السادة من تلامذته كانت له علاقة مع أشرار كربلاء، فرفعوا رايته وهيّؤوا له مجلس درس وكانوا يأتون بالناس بالقوّة إلى درسه، وطلبوا من جناب الأُستاذ أن يحضر الدرس أيضاً، فلم يقبل واعتذر عن ذلك بأن لدينا في الصباح درس ولا مجال عندي للحضور، ثم ضيّقوا عليه فأراد زيارة الكاظمين عليهما السلام وعمارة سامرة الكاظميين.

بعد ذلك عزم سلطان بغداد على محاصرة واحتلال كربلاء، فتحرّك بعساكر كثيرة وكنت في هذه الأثناء على رأس المرقد المطهّر لسيّد الشهداء عليه السلام استخير على عدم الخروج والبقاء، فجاءت هذه الآية: ﴿إِنَّ المُلوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوهَا﴾[1] ولم يكن عندي ما يعين على الحركة، فتهيّأت ببركة الإمام عليه السلام بلا فصل بعد وصول بعض المال وتحركت نحو الكاظمين، وبعد زمان قليل جداً تغلّب السلطان على

---

(١) النمل ٢٧ / ٣٤.

كربلاء ونهب وأسر وقتل وأخذ الأشرار مقيدين مغلولين إلى بغداد.

وكنت قد ذهبت مع بعض الطلّاب إلى بغداد لحاجةٍ، ومرّ الأسرى في بغداد القديمة وفيهم تلميذ الأُستاذ ـ الذي صار مدرساً والذي طلب من الأُستاذ حضور مجلس درسه ـ وقد قيّد برقبته وركبته بالأغلال، ويمشون في بغداد القديمة حاسري الرؤوس حتى يوصلوهم إلى بغداد الجديدة ليصدر الحكم فيهم، فطلب ذلك السيّد ـ المدرس ـ من أحد الطلاب الذين عرفهم أن يذهب إلى الأُستاذ ليقول له: إنّه أساء إليه فليغفر له، وأن يشفع له من القتل، فكتب الأُستاذ عليه الرحمة مباشرة إلى تجّار بغداد؛ أن اصرفوا أموالكم واشتروا السيّد وسأردّ لكم مالكم. فذهب التجّار إلى السلطان وسلّموه ورقة كتبها الأُستاذ إلى الحاكم: أن يعفي السيّد. فكتب الحاكم إليه في الجواب: قد وهبنا لك السيّد وعفونا عن قتله، لكن لا بدّ من إرساله إلى اسلامبول حتى يراه طرف الدعوى، لكن أتعهّد بأن لا يتأذّى. فأُرسل إلى إسلامبول وتوسّط الحاكم فعفى عنه صاحب الدعوى وأطلق سراحه. والمقصود أن هذا من الألطاف الإلهية والكرامة أن جناب الأُستاذ مع ما ارتكبه السيّد من نهاية هتك الحرمة جعله اللّه مباشرة في معرض القتل وصار محتاجاً للأُستاذ لينقذه.

وجناب الأُستاذ شيّع حاكم كربلاء الذي كان على مذهب السنّة وتفصيل ذلك: عندما احتلّ والي بغداد كربلاء بعد حصار وقتال عيّن رشيد بك حاكم كربلاء، وكان على مذهب السنّة، وكانت سيرة الأُستاذ مع الحاكم في كمال المحبة والملاطفة، وكلّما دخل الحاكم على الأُستاذ كان يأخذ «المروحة» بيده المباركة ويحركّها للحاكم، وكان يشايعه ويستقبله إلى أن صار بين الطرفين حبّ وأُنس بحيث إنّ الحاكم كان في أغلب أوقاته يأتي في خدمة ذلك العظيم، ويأتي في الليالي بعد أن ينام الناس، ويسهر عنده حتى منتصف الليل.

فصار يتناول الحديث أمر المذهب، ولمّا كان الحاكم عامياً كـان يـتحدّث في حقيقة المذهب على قدر عقله، وكلّ ليلة يتناول قسماً من فساد مذهب أهل السنة وحقيقة مذهب الشيعة حتى صار الحاكم يميل إلى مذهب التشيّع، ثم بدأ يستدلّ له على أنّ علياً بمقتضى كلمات جمع كثير من العامّة والآيات الإلهية والأخبار النبوية أفضل من الصحابة. فارجع إلى عقلك وانظر إذا جاء أحد تلامذتي وجعل نفسه في مستواي وأبقاني في بيتي وضيّق عليّ، هل ترى أنّ عمله هذا جيد أم قبيح سيّئ؟ فقال الحاكم: طبعاً يرى العقل هذا الفعل قبيحاً. فقال جناب الأُستاذ: إنّ خلافة أبي بكر عند السنّة ليست بنصّ بل بالبيعة والاختيار والإجماع، وعليه فإنّ أصحاب عليّ الأعلم والأفضل والأزهد والأتقى والأشجع والأسخى والأعبد والأسبق إلى الإسلام والأقرب إلى رسول اللّه، عندما يهجرونه ويجلسونه في بيته ويجعلون أبا بكر محلّ الرسولﷺ وهو بمنزلة تلميذ عليعليه السلام، فهذا الفعل منهم قبيح وسيّئ.

عندما استمع ذلك الحاكم لهذا الدليل وسائر الأدلّة تراجع. وقـال الأُسـتاذ: وعلى كلّ حال فقد اختار مذهب الشيعة لكنّني لم القّنه لعن الخلفاء. ومن شدّة التقية التي كان يراعيها الأُستاذ لم يذكر له هذا الأمر.

وشاعت هذه المسألة حتى سعى الوشاة إلى الباشا بالأمر، فعزل والي بـغداد ذلك الحاكم وعيّن مكانه حاكماً آخر، ولم تحصل علاقة وذهاب وإياب بين الحاكم الثاني والأُستاذ، والحاكم الثاني أيضاً لم يختلط كثيراً مع الأُستاذ لما جرى مع الحاكم الأول حتى إنّ الأُستاذ لم يكن يذهب إليه أبداً.

ومن القضايا التي حدثت: أنّ شيعياً اختلف يوماً مع شخص في السوق فلعن ذلك الشيعي الخليفة الثاني، فسمع ذلك شخص من حاشية الحاكم، فأخذه عـند الحاكم الذي حكم عليه بالسجن حتى يُرسل إلى بغداد لينفّذ والي بغداد ما يراه من

حكم، فعرف أهل ذلك الرجل وأتوا إلى الأُستاذ وذكروا له ما جرى، فقال جنابه لهم: أوصلوا إليه أنّه غداً يطلبك الحاكم وسيسألك: لماذا لعنت؟ فعليه أن يجيب: نحن نرى الخليفة مطاعاً ولا نلعنه أبداً، بل مرادي عمربن سعد قاتل الإمام الحسين‰. فأوصلوا إلى ذلك الشخص ذلك.

وفي الصباح بعد طلوع الشمس لبس عباءته وذهب في إحدى الأزقّة القريبة من محطّة المسافرين ولم يأخذ معه أحد، وعندما اقترب من منزل الحاكم الذي كان جالساً في غرفة مشرفة على الزقاق يراقب العابرين مرّ الأُستاذ وقد أوهم أنّه ذاهب إلى محلّ آخر، فسبقه الحاكم بالسلام وعرض عليه الصعود وشرب القهوة والنرجيلة، فأجابه إلى ذلك وجلس عنده، وبعد الترحيب قال الحاكم: قد أتوني أمس بشخص على مذهبكم أنّه سبّ الخليفة الثاني فحبسناه حتى نرسله إلى الوالي ليؤدّبه. فقال له الأُستاذ: لم يحصل هذا الشيء لأنّ الخليفة الثاني عندنا محترم وصاحب رسول اللّه ووالد زوجته، وسبّه حرام عندنا وعوام الشيعة يقلدوننا في ذلك، فهذه الدعوى افتراء وبهتان. فقال الحاكم: قد شهد البعض بأنّه قال ذلك فقال. الأُستاذ في الجواب: إن صحّ أنّه سمع ذلك من هذا الشخص فبالتأكيد يريد عمر بن سعد قاتل ابن الرسول وقاتل ثمرة فؤاد حيدر وظالم شبل الزهراء الزاهرة، فأحضر ذلك الشخص وافهم منه ذلك مشافهة. فأمر الحاكم بإحضار المسجون المبتلى وعند حضوره سأله الحاكم عن حقيقة ما جرى فقال ذلك الرجل: إني لعنت عمربن سعد قاتل ريحانة خاتم النبيين وسيّد شباب أهل الجنة، ونحن لا نلعن الخليفة الثاني وأفتى علماؤنا بحرمة ذلك ونحن نقلدهم. فقال الحاكم حينئذ: الحمد للّه الذي أخرجنا من هذه الشبهة ولم نهرق دم مسلم عن تقصير. فقال الأُستاذ: قد قلت لك ما جرى حقيقة. فأمر الحاكم بإطلاق سراح ذلك الرجل. وفي هذه الواقعة

ينطبق أحد مضامين الآية الشريفة: ﴿مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[1].

ومن الحكايات الغريبة المسموعة عن الأُستاذ: ما سمعناه في يوم كنّا بخدمته لنستفيد من بيان جواهره المنثورة، فتحدّث عن كبر سمكةٍ، فقال الأُستاذ السند ملأ اللّه تربته نوراً: إنّ اللّه خاطب الكليم ﷺ بالتوراة إذ قال له: خلقت في البحر سمكةً وجعلت غذاءها اليومي ثلاث سمكات طول كلّ منها مسير ثلاثة أشهر.

ثم قال الأُستاذ: عندما وصل النبي سليمان ـ على نبينا وآله وعليه السلام من الملك المنان ـ مع عساكره القوية وجنوده الكثيرة إلى شاطئ بحر محيط على مدّ النظر، فطلب من أحد جنوده أن يطّلع على بداية هذا البحر وآخره ويأتي بالخبر، فجاء طير صغير غذاؤه اليومي حبّة قمح ويطير في اليوم مسير سنة، فأخذ معه ثلاث حبّات قمح طار ذلك الطير من عشّه في اليوم الأول حتى رأى في المساء تلّة في ذلك البحر لا يُرى آخرها فاستقرّ عليها وأكل حبّة قمح، وعندما طلع الفجر الصادق طار وانطلق في سفر مؤنس حتى رأى تلّة أُخرى فاستقر عليها وأكل حبّة قمح، وفي اليوم الثالث طار هذا الطير وطوى مسير سنة أيضاً، فيصير ما طواه سير ثلاث سنوات، حتى رأى تلّة فاستقرّ عليها وأكل حبّة القمح الأخيرة.

وعندما طلعت الشمس تحيّر الطير لأنّه لم يطو مسافة البحر إلى الآن ولا يملك القوت الضروري فلا يستطيع الإكمال ولا الرجوع، وفجأة ظهر رأس سمكة من الماء وتكلّمت بقدرة اللّه، مع الطير وسألته عن سبب حيرته، فذكر لها الطير ما جرى معه من البدو حتى الختم، فقالت له السمكة: هذه السنوات الثلاث التي طويتها هي على طولي، فتلك التلّة الأولى التي نزلت عليها في اليوم الأول كانت على ذيلي، والتلّة الثانية على خاصرتي، وهذه التلّة التي أنت عليها الآن هي عند

(١) المائدة ٥ / ٣٢. والهاء في ﴿أحيّاها﴾ يعود إلى النفس. أي من أحيا نفساً.

رأسي، وأنا لا أجرؤ على الحركة في هذا البحر خوفاً من الأسماك الموجودة في وسطه لأنّها تبتلعني، ولذا تراني على جانب البحر، فكيف إذن ستستطيع طيّ مسافة هذا البحر؟ ارجع واخبر سليمان عليه السلام بما جرى. فقال الطير: لا قدرة على الرجوع. فقالت له السمكة: أنا أُعيدك حالاً إلى الساحل. فتحرّكت ووضعت رأسها على الساحل فطار الطير ووصل إلى سليمان وحدّثه بما جرى.

ومن الوقائع الغريبة التي حدثت بين الأُستاذ والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر: أنّ الأُستاذ أرسل الشيخ مهدي الكجوري وهو من أفاضل وكمّل تلامذته إلى شيراز بناء على طلب أهلها، وفي شيراز درّس هذا الشيخ كتاب إشارات الأُصول تصنيف المرحوم الحاج محمّد إبراهيم الكلباسي، وكان الكلباسي يعتقد أنّ الاجتهاد في غاية الصعوبة، وأنّ أكثر من يدّعي الاجتهاد ليسوا مجتهدين، وإذا ادّعى أحد الاجتهاد واشتغل بالقضاء فإنّ الشيخ الكلباسي يفسّقه، وحيث إنّ شيراز جارة إصفهان مع اشتغال الشيخ مهدي بتدريس الإشارات فما سكت عنه الشيخ الكلباسي، بل حضرت يوماً في مجلس الوعظ في إصفهان وكان الكلباسي يتحدّث عن مصنفاته وقال: ظهر في شيراز ملّا يدرّس الإشارات ويحضر مجلس درسه جمع كثير، وقد كان في شيراز سابقاً ملّا لم يملك الفهم الكثير لكنه كان مشهوراً في تلك الديار والشيخ محمّد حسن النجفي كان يراسله ويدعمه.

فقلّل من أهمّية الشيخ مهدي، فأرسل الشيخ مهدي للأُستاذ يخبره بالأحوال ويطلب منه أن يتوسّط له عند الشيخ محمّد حسن حتى يراسلني وأن يكتب لأهل تلك البلاد عنّي حتى يتّخذ عملي شكلاً لائقاً. فتوسّط له الأُستاذ عند الشيخ محمّد وأظهر له أنّ الشيخ مهدي فاضل مجتهد يجب عليكم دعمه، فقال له الشيخ محمّد: حسن أنت شاهد واحد أُريد شاهداً آخر على اجتهاده. فسكت الأُستاذ.

وكان للشيخ محمّد حسن بيت صغير في كربلاء ينزل فيه كلّما زار، وكـان إلى جانبه بيت لشخص من شيراز فمات صاحبه وتركه ـ عـلى أنّـه الثـلث ـ لوصـية الشيخ مهدي، فكتب الشيخ مهدي للأُستاذ أن يهتمّ بالبيت وأن يتصرّف فيه بما يراه صلاحاً. ثم طلب الشيخ محمّد حسن من الأُستاذ: أن يبيع صـغير فأعـطني ذلك البيت. فأجابه الأُستاذ: إنّ الأمر بيد الشيخ مهدي فاكتب إليه وهو يعطيك البيت. فكتب إليه الشيخ محمّد حسن رسالة لطيفة يقرّ فيها باجتهاده، وأرسل الأُستاذ إلى الشيخ مهدي يحكي له ما جرى وأن يعطي البيت للشيخ محمّد حسن وفعل.

ولا يظنُّ أحد أن الشيخ محمّد حسن لم يقرّ أوّلاً باجتهاد الشيخ مهدي عـن هوى نفس ولكونه من تلامذة السيّد الأُستاذ ثم أقرّ به طمعاً بالبيت، بل إنّ أفعال المسلمين محمولة على الصحّة سيما مثل صاحب جواهر الكلام الذي كان وحيداً بين الأنام، غاية الأمر أنّه اشتبه عنده حال الشيخ مهدي في أوّل الأمر ثم تحقّق له ذلك.

واقعة أُخرى بين الأُستاذ وبـين الشـيخ محـمّد حسـين صـاحب الفـصول، وإجمالها: أنّ شخصاً تزوّج ثم وقع النزاع بين الزوجين، فحكم السيّد ـ الجنة مثواه ـ ببطلان النكاح؛ لأنّ الزوجة لم تكن رشيدة، وحكم الشيخ محمّد حسين بالصحة، وطال بينهما النزاع إلى أن وصل الأمر إلى فقهاء النجف، فوافق الشيخ علي المحقق الثالث خلف الشيخ جعفر النجفي على رأي الأُستاذ، وحكم ببطلان العـقد وتـبعه سائر فقهاء النجف.

ثم وقع الأمر الحتمي وتوفي الأُستاذ سنة ١٢٦٤، ثم طاف أهل كربلاء بجنازته في حرم سيّد الشهداء وحضرة العباس، وضجّت الناس وداروا بالجنازة في الأزقّة ولطموا الصدور وقرؤوا المراثي وشقّوا أطراف الأثواب، ودفن في جنب الصحن في البقعة المخصوصة قرب داره.

ولهذا الفقير منظومة في علم الدراية اسمها منبع الأحكام. حوت قواعد رجالية كلّية، وقلت فيها:

شيخ إجازتي هو الأُستاذ	ولي إلى جنابه استناد
السيّد المشهور في الأمصار	كالشمس في رائعة النهار
الموسوي سيّد الفحول	محقق الفروع والأُصول
سيّدنا استاذنا ابراهيم	عامله بالكرم العميم
مدفنه في أرض كرب وبلا	وهو شهيد إذ توفي بالوبا
وكان في مدرسه سبعمئه	من فضلاء وفحول طلبه
تأليفه ضوابط الأُصول	نتائج دلائل المنقول

والظاهر أنّ عمره الشريف قريب من الستين سنة.

ومن جملة كلماته: رأيت نسخاً كثيرة من كتاب الشرائع القديمة الذي كانوا يدرسونه عند المحقّق، والمحقّق يدرّس الشرائع مع استدلال، وكان التلامذة يحدّدون المقدار الذي كانوا يأخذونه يومياً، وعلى رأس كلّ درس يكتبون «درس»، ويومياً يدرسون نصف صفحة من الشرائع مع استدلال.

يقول المؤلف: المحقق أوّل المتأخرين، ولم يكن في ذلك الوقت الفقه والأُصول والرجال بهذا التفصيل والتحقيق والتدقيق الجارية بالفعل؛ ولذا لم تكن دروسهم مفصّلة كما يظهر ذلك لكل متتبّع.

ومن جملة الاستدلالات الغريبة: أن الأُستاذ تمسّك في كتاب الوصايا من الدلائل في مسألة عدم اعتبار العدالة في الوصي بفعل مسلم بن عقيل إذ أوصى لعمر بن سعد، وفعل مسلم محمول على الصحّة، والقول بأنّ عمر بن سعد كان عادلاً واضح البطلان، والقول بعدم علم مسلم بفسقه أغرب؛ لأنّ عدم انتصار عمر

بن سعد لمسلم مع كونه نائباً خاصّاً عن الإمام موجب للإرتداد مع أنّ عمر كتب ليزيد: إنّ مسلماً قد خدع الكوفة والكوفة خرجت من يدك. والقول بأنّ مسلماً لم يكن يعلم اشتراط العدالة في الوصي من أغرب الغرائب. ولا فرق بين الاضطرار والاختيار.

ومن غرائب الاستدلالات: أنّ الأُستاذ استدلّ على ردّ القول بعموم تنزيل الرضاع منزلة النكاح بقوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾[1] فبنصّ الآية تكون بنت عمّ النبي حلالاً على النبيﷺ وبناء على عموم التنزيل يجب أن تكون بنت العم بمنزلة بنات أخ الرسول؛ إذ إنّ النبي أخو حمزة بالرضاعة فإن بنات إخوة حمزة أولاد أخيه، إذن هنّ حرام عليه مع أنّ الآية قد نصّت على حليتهنّ. انتهى كلام الأُستاذ.

وإذا قيل: هذا الكلام جارٍ في بنت حمزة أيضاً؛ لأنّها في الحقيقة بنت أخ النبي بالرضاعة، فوجب أن تكون عليه حراماً مع أنّها بنصّ الآية حلال.

قيل: بنت حمزة خرجت بعموم «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» فأدلّة الرضاع خصصت حكم بنت حمزة.

وإذا قيل: النسبة بين دليل الرضاع مع الآية العموم من وجه؛ لأنّ الآية أحلّت بنت العم أعم من أن يكون هناك رضاعة أم لا، وأدلّة الرضاع تدلّ على حرمة الأقارب بالرضاعة سواء كانت بنات عم أم لا، وتخصيص أحد العامين من وجه للآخر ترجيح بلامرجّح وخلاف المحاورات العرفية وخلاف طريقة الفقهاء.

كان الجواب: إنّ النسبة وإن كانت هي العموم من وجه لكن أحد العامين إذا كان أقلّ مورداً يصبح بمنزلة الأخصّ مطلقاً ويصير مخصّصاً للعام الآخر. ولا شكّ أنّ موارد الرضاع في غاية القلّة وبنات العم في غاية الكثرة، فأدلّة الرضاع تكون

---

(١) الأحزاب ٣٣ / ٥٠.

مخصّصة لدليل بنات العم.

والتحقيق في المقام أنّه في ما يحرم بالرضاع يجب أن يثبت في الرضاع العنوان الثابت بالنسب، مثلاً قال في النسب: ﴿وأَخَوَاتُكُم﴾[1] فالأخوات محرّمات، فيجب في الرضاعة أن يثبت هذا العنوان ﴿أَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾[2] ولذا لو كان أخو زيد أخاً في الرضاعة لبنت فإنها تحرم على أخي زيد؛ لأنها أُخته من الرضاعة فيصدق عليه ﴿أَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾، لكن تلك البنت لا تحرم على زيد لأنّها ليست أُخته في الرضاعة. نعم هي أُخت أخيه وما يحرم بالنسب الأخوات لا أخوات الأخ، وهذه البنت هي أُخت أخيه من الرضاعة لا أُخته وأخت الأخ لا تحرم إلا إذا كانت أُختاً له، فكذلك في الرضاع.

ومن غرائب الاستدلالات: ما ذكره الشيخ محمّد حسن في جواهر الكلام في مسألة جواز المصارعة، وتمسّك بفعل الحسنين عليهما السلام حيث تصارعا في محضر الرسول صلى الله عليه وآله، والإمام لا يصدر منه الحرام صغيراً وكبيراً لا سيما مع تقرير الرسول صلى الله عليه وآله. إذن المصارعة جائزة، فتأمل والله أعلم.

(١)، (٢) النساء ٤ / ٢٣.

(٢)
الحاج الملّا محمّد تقي بن محمّد البرغاني القزويني

العالم العامل والفقيه العادل، جامع المجامع وجوامع علوم الأكامل والأفاضل والأماثل، النحرير الفاضل الباذل. ولد في برغان وهي من قرى دار الخلافة طهران، ومسكنه ومدفنه في دار السلطنة قزوين.

كانوا ثلاثة إخوة: الحاج الملّا محمّد تقي وكان أكبرهم، والحاج الملّا محمّد صالح أوسطهم وكلاهما فقيهان، والحاج الملّا علي أصغرهم الذي كان من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي، وفي أيام حادثة الميرزا علي محمّد الباب كان يميل إلى الباب، وكان يحضر في مجلس وعظ رجل الباب.

وكان والدهم في غاية التقدّس والتقوى. قال المرحوم الحاج الملّا محمّد صالح: إنّ أبي رأى في المنام رسول اللّه ﷺ جالساً في مكان وجلس العلماء حوله وقد تقدم عليهم ابن فهد ؓ فتعجب والدي من ذلك وأنّ كلّ هؤلاء العلماء المشهورين كيف يجلسون خلف ابن فهد وتأخّروا عن مجلسه مع أنّ ابن فهد غير مشهور عند أعيان العلماء الأعلام. ثمّ سأل الرسول ﷺ عن ذلك فقال له: إنّ بقية العلماء إذا كان عندهم من أموال الفقراء ويأتيهم الفقراء يطلبون المعونة كانوا يعطونهم من تلك الأموال فإن لم تكن لا يعطونهم، أمّا ابن فهد فقد كان شخصاً لا يردّ الفقير أبداً فإن كان عنده من أموال الفقراء يعطيهم وإلّا فإنّه يعطي من ماله؛ ولذا استحقّ هذه المرتبة وهذا المكان وتقدّم على العلماء الأعيان.

وقال لي الحاج محمّد تقي شخصياً: درست في البداية في قزوين، ثم ذهبت إلى البلدة الطيّبة قم وحضرت هناك درس الفاضل القمّي صاحب القوانين، فلم يعجبني درسه فارتحلت إلى إصفهان واشتغلت بتحصيل العلوم من علمائها، وأغلب اشتغالي كان في علم الحكمة، ودرست الشواهد الربوبية من تأليفات الملّا صدراً، ثمّ تشرّفت بالذهاب إلى العتبات العالية وحضرت مجلس درس العالم العيلم والبحر الخضم السيّد علي ابن السيّد محمّد علي صاحب الرياض الشرح الكبير. وفي اليوم الأوّل كان يتناول مسألة نسخ الوجوب وعدم بقاء الجواز، فنقضت عليه بالشجرة المقطوعة إذ ذهب الفصل وبقي الجنس، فبرز شاب غير ملتح كان يجلس عند السيّد، وتكلّم معي كلاماً في غاية التحقيق وفي غاية الفصاحة والبلاغة وطلاقة اللسان، وصار قريباً من إلزامي بكلامه ولم أستطع الرد عليه ومقاومته، فتغيّر حالي وقلت: أيها الولد، لماذا تتكلّم كلاماً مضطرباً؟ فتوجّه إليّ حينئذٍ جناب السيّد علي أعلى اللّه درجته وقال: تكلم معه مع مراعاة قانون المحادثة، فهو وإن كان طفلاً لكنّه شبل أسد. ثم سألت عن الشاب فقالوا: السيّد مهدي الابن المحبوب والولد الشريف للسيّد علي. فسكتّ.

وفي الجملة: كان الشهيد الثالث يقيم صلاة الجمعة ويخطب خطبة في غاية التحبير وجودة التقرير، وقد سبق في الوعظ وعّاظ تلك الأعصار، فكانت موعظته في نهاية الفصاحة والبلاغة والسلاسة والجزالة والعذوبة والملاحة ومؤثرة في القلوب، وكان ينقّل الحكايات الغريبة، وكان في التعرّض لمصيبة سيّد الشهداء﷣ مبدعاً، وكان يطرح بحوثاً علميّة ومسائل اعتقادية ويفسّر آيات كثيرة ويبيّن تأويلها على الوجه الأتم الأكمل، وكان يحضر مجلس وعظه كثير من العلماء والطلّاب ويكتبون ما يعظ به.

وكان كثير العبادة﷫ حتى إنه كان يذهب إلى مسجده عند منتصف الليل،

ويبقى حتى طلوع الفجر الصادق مشتغلاً بالمناجاة والأدعية والتضرع والأنين والتولول والبكاء والتأوه، ويقرأ المناجاة الخامسة عشرة غيباً، واستمرّ على هذه السجية والطريقة السنية حتى تلك الليلة التي شرب فيها شراب الشهادة. وكثيراً ما رأوه في الشتاء على سطح مسجده، مع كثرة الثلوج النازلة في نصف الليل، وقد لبس جبّة من صوف والعمامة على رأسه مشتغلاً بالتضرّع والمناجاة، واقفاً رافعاً يديه إلى السماء حتى كان الثلج محيطاً بقامته من رأسه إلى قدميه كأن رداءه أبيض. وقال المرحوم الحاج الملّا محمّد صالح بأنّ أخاه الصغير الحاج الملّا علي في أيام تحصيله كان يبكي الليالي ويضع على عنقه جنزيراً له مسمار يدقّه في الأرض ويبقى إلى الصباح مشغولاً بالعبادة. لكن ما الفائدة وقد صار في آخر الأمر من مريدي الميرزا علي محمّد الباب؟!

ومن الوقائع التي سمعتها عنه: أنّي كنت في خدمة جنابه في مكتبته وكان المجلس خالياً من الأعيان، فسألته عن أفضل الكتب الفقهية، فقال: تذكرة العلامة أعلى اللّه مقامه. ثم سألني عن حال السيّد الأُستاذ وتأليفاته وأحواله، فقلت له: فهمه وتدقيقه وتحقيقه لا نظير لها، وتأليفه في غاية الوثاقة والرشاقة والمتانة. ثم قال جنابه: رأيته في سفر الجهاد في خدمة السيّد محمّد فسأل السيدُ ـ وهو بعد غير ملتحٍ ـ السيّد محمّد فأجابه، وتكلم السيّد كلاماً في نهاية الدقّة فعرفت أنّه صاحب فهمٍ قوي.

ثم سألني الشهيد الثالث عن تأليفاتي فذكرت له فهرست مؤلفاتي فقال: كان توفيق اللّه معك إذ وفّقت في عمر قليل وزمان قليل إلى هذه التأليفات، وكل مؤلّف يحتاج إلى «هوس»، السلطنة أيضاً تحتاج إلى «هوس» إذ من لم يكن عنده «هوس» بها لن ينال السلطنة، وقد كان للسيّد محمّد خان ستة أو سبعة إخوة، وفي بداية الأمر اتّفق إخوته يوماً في استرآباد واختاروا واحداً منهم للسلطنة، فأرادوا

تنظيم المدينة ولم يريدوا أن يشركوا أخاهم محمّد خان، وعندما جاء الليل واجتمع الإخوة في مكان وبدؤوا يتشاورون في أمر الغد أتاهم فجأة محمّد خان ــ الذي كان أكبرهم لكن من أم أُخرى ــ وأتى معه خادمه وجلس وقال لإخوته: سمعت أنّكم اتّفقتم اليوم وعيّنتم أحدكم للسلطنة، وهذا لا يتم مع وجودي حياً بل السلطنة يجب أن تكون لي، فإن مكنتموني منها فهي وإلّا فعند الصباح سيقع نزاع بيني وبينكم وحرب، وهذا النزاع يقضي على كلا الطرفين، ولن تصل السلطنة حينئذٍ إلى أحد، فإذا لم تريدوا أن تكون السلطنة لي فقد أتيتكم وحيداً حتى تقتلوني في الخلوة ولا يكون في الصباح نزاع وتقاتل وتستقرّ حينئذٍ السلطنة لكم. ففكّر الإخوة في الأمر ورأوا أنّ قتل أخيهم وهو أكبرهم ومن دون حرب ومن أجل سلطنة موهومة لم تستقر الآن أمر لا يقدر عليه أحد، فاتّفقوا حينئذٍ على أن تكون السلطنة لمحمد خان وشدّوا حزام الطاعة له. ثم قال الشهيد الثالث: إنّ محمّد خان كان عنده «هوس» السلطنة ولم يكن عند الآخرين فوصلت إليه دونهم.

ثم قال الشهيد الثالث: إنّ الاجتهاد له مراتب كثيرة مثل رأسمال التجارة، فرأسمال البعض عشرة توامين، وبعضهم رأسماله عشرون، والبعض مئة، والبعض ألف، وهكذا يزيد وينقص، والاجتهاد مثل آلة غزل القطن، فبعض الآلات تغزل «لفّة» وبعضها تغزل «لفّتين» وبعضها ثلاثاً وهكذا بعضها أكثر وبعضها أقل، فالاجتهاد أيضاً له مراتب على هذا المنوال.

وفي يوم جرى بحث بين مؤلّف الكتاب وبين الشهيد الثالث في مكتبته، وصار الحديث في عبادة الصبي: هل هي شرعية أم تمرينية؟ وطال الكلام حتى انجرّ إلى التكليف بما لا يطاق وقال جنابه: التكليف بما لا يطاق في المستحبّات جائز وواقع؛ لأنّه جائز الترك، فالعقل لا يرى القبح في التكليف بما لا يطاق إذا كان جائز الترك. فقلت له: التكليف بما لا يطاق قبيح عقلاً سواء في المستحبّات أو في الواجبات؛ ولذا

لو أمر عبده استحباباً بالطيران نحو السماء فإنّ العقلاء يذمّونه ويسفّهون ذلك المولى، والقوّة العاقلة ترى قبح ذلك الحاكم، وبناء العقلاء استقرّ على قبحه، وفي العرف لم يقع مثل هذا التكليف. فقال الشهيد الثالث: ما تقول؟ إنّ الأوامر الندبية الصادرة من الشارع خارجة عن طاقة المكلّفين؛ لأنه في كلّ زمان تفرضه يستحبّ على كلّ المكلّفين الصلوات على محمّد وآله، وكذلك التسبيح وقراءة القرآن، وكذلك صلاة النافلة، وهكذا إلى ما لا يحصى مع أنّ العمل بجميعها خارج عن قدرة الإنسان، ومع ذلك فهذه التكاليف مشرّعة ولا إشكال؛ لأنّها جائزة الترك. فقلت له في الجواب: الأوامر الاستحبابية محمولة على التخيير وليس الاستحباب فيها تعيينياً، فليست إذن من التكليف بما لا يطاق. فسكت، وقد كتبت رسالة لا تخلو من لطافة في كون عبادة الصبي تمرينية، وذكرت فيها هذه المناظرة.

وقد تلمّذ جنابه في رضوان مقرّ السيّد علي صاحب الشرح الكبير، وبعد الفراغ من التحصيل جاء إلى طهران واشتهر فيها، وكان هذا في أوخر أيام القمّي، فسأله الناس عن حال الملّا محمّد تقي هل هو مجتهد أم لا؟ فقال لهم: لم التقِ به لكن اسألوه عن مسألة وليكتب الفتوى مع دليلها، ثمّ آتوني بها لأرى هل هو أهل لاستنباط الأحكام الشرعية أم لا؟ فسألوا الشهيد الثالث عن زيد نقل ملكه لعمرو وكان بكر ضامناً له هل هذا الضمان صحيح أم لا؟ فكتب الشهيد الثالث رسالة مختصرة في تلك المسألة، واختار فيها عدم صحّة الضمان مع استدلال طويل وتفصيل يحسم الشبهات، فأتوا بهذه الرسالة إلى الميرزا القمّي صاحب القوانين ليراها بنظره المبارك، فعلّق عليها الميرزا في رسالة مفردة فنقض عليه وأبطلها، ثم أتوا بها إلى الشهيد الثالث الذي ألّف رسالة مستقلّة وردّ فيها كلّ إشكالات الميرزا، والرسائل الثلاث موجودة عندي.

ثم ارتحل الشهيد الثالث مرّة ثانية لزيارة العتبات العالية المشرّفة، وأخذ

إجازة من أُستاذه عالي المقام السيّد علي وعاد إلى إيران، وجرت مقارعة بينه وبين فتحعلي شاه، ثم نزل في دارالسلطنة قزوين وكان فيها الملّا عبد الوهاب القزويني، وهو من علماء تلك الديار وله الشهرة في الأمصار ومن رؤساء تلك الأعصار، وكان للشهيد الثالث الرواج والاشتهار من كلّ جهة.

ومن جملة مناظرات الشهيد الثالث: أنّ شخصاً في دار السلطنة قزوين قد مات وترك ثروة كبيرة وليس له وارث إلا بنت كبيرة فطمع شخص في مالها وزوّجها لصبي كان تحت ولايته زواجاً منقطعاً، و بعد مدّة لم تستطع الصبر لصغر الصبي فبذلت مالاً كي يهبها المدّة وتتزوّج بغيره، فقال الشهيد الثالث: بذل الولي للمدّة غير جائز، بل لا بد من الصبر حتى يبلغ الصبي. فأعطت تلك الفتاة أربعمئة تومان لعالم كي يفتي بالجواز، وكان رأي الملّا عبد الوهاب الجواز، وتبعه على ذلك علماء قزوين إلا الملّا صالح الذي تبع أخاه، فانعقدت مجالس البحث ودخلوا مع الشهيد الثالث في حوار ومناظرة ومشاجرة، ولم يكن عند علماء تلك الديار القدرة على مقاومة وغلبة الشهيد الثالث.

وطال الأمر حتى أرسلوا إلى علماء الأمصار يستفتونهم، والجميع وافق على رأي الملا عبد الوهاب، واستفتوا أيضاً حجّة الإسلام الحاج السيّد محمّد باقر ﷺ في إصفهان فأفتى أيضاً بالجواز، وذكر الأدلّة، ومنها أنّه بالاستقراء[1] للولي حقّ التصرّف والولاية في أُمور المولّى عليه والمشكوك ـ وهو جواز بذل المدّة ـ يلحق بالغالب، فالولي إذن له حقّ الولاية في البذل أيضاً، أمّا المضمون الصادق «الطلاق بيد من أخذ بالساق» فهذا مختصّ بالطلاق، والاستقراء في البذل سليم عن المعارض. وألف المرحوم حجة الإسلام في هذه المسألة رسالة مستقلّة.

---

(١) الظاهر أنّ المراد بالاستقراء هنا العموم، أي عموم الولاية إلّا ما خرج بدليل، فلاحظ. (المترجم).

ومع ذلك لم يتمكّنوا من التغلب على الشهيد، وحيث كانت الأُمور في تلك الأعصار بيد المرحوم السيّد محمّد صاحب المناهل والمفاتيح ابن السيّد علي فاستفتوه وطلبوا أن يرسل إليهم عالماً لينفذ الحكم وليبذل مدّة الانقطاع بالوكالة من الولي، فأفتى السيّد محمّد بالجواز وأرسل عالماً وقام بالعمل.

وكتب الشهيد الثالث في هذه المسألة رسالة مستقلّة واستقصى الأدلّة الدالة على المنع، كما تعرّض في كتاب الطلاق من «المنهج» لهذه المسألة، وعدّ من القائلين بالمنع السيّد مهدي بحر العلوم والسيّد محمّد قصير الخراساني والسيّد محمّد فقيه ماهر وكان من تلامذة العالم العليم الذي لا ثاني له السيّد محمّد باقر البهبهاني رضي الله عنه.

وكان لجنابه فتاوى غريبة منها: طهارة العصير العنبي بعد الغليان وقبل ذهاب الثلثين، واختار هذا القول أيضاً الملّا أحمد النراقي مع أنّ الإجماع المنقول على النجاسة ثابت.

ومن فتاواه الغريبة: أنّ للمترافعين أن يتصالحا بالحلف، ويجوز أن يكون هذا الصلح والحلف عند مقلّد[1]، وتبعه في ذلك أخوه الملّا محمّد صالح.

ومنها: أنّ لحاكم الشرع أن يأخذ جُعلاً وأجره في المرافعة أي في كتابة الحكم، وكان يكرّر على المنبر: إنّ الحكم لازم عليّ لكن كتابته أمر غير واجب فيجوز أخذ الأُجرة عليها، ولذا كان الناس يقولون: إنّه يأخذ رشوة والعياذ بالله أن يأخذ رشوة وإنّما كان يأخذ أجره على التدوين.

والفاضل الهندي صاحب كشف اللثام كان يأخذ الأُجرة أيضاً بهذا النحو؛ إذ كان فقيراً صاحب عيال ويستعين على أمره بالكتابة. وإذا جاءه المترافعان يقول:

---

(١) الظاهر أنّ صورة المسألة هي: إذا ما سُعي في الصلح بين المترافعين فلم يرضَ المدّعي إلّا بحلف المنكر فيجوز إيقاع الصلح بينهما بجعل الحلف عوضاً عن حقّ المدعي. (المترجم).

إني فقير أحصّل مصروفي اليومي من الكتابة واشتغل في المرافعة، فلا أستطيع تحصيل قوتي، فإذا أردتما أن أقضي بينكما فعليكما أن تدفعا أُجرة الكتابة.

وللشهيد الثالث إجازة من أُستاذه السيّد علي أعلى اللّه مقامه، والعالم الزاخر الشيخ جعفر النجفي صاحب كشف الغطاء، والسيّد السند الأمجد المـمجّد السيّد محمّد ابن السيّد علي. وعندما دخل السيّد محمّد إلى قزوين في سفر الجهاد سُئل: هل الملّامحمّد صالح البرغاني مجتهد أم لا؟ فصرّح السيّد ونصّ على اجتهاده، والملّا محمّد صالح كان من تلامذة السيّد محمّد وأدرك أواخر أيام السيّد علي وحضر درسه.

ثم سُئل السيّد محمّد: الملّا محمّد تقي مجتهد أم لا؟ فقال: إنه رجل فاضل. ومدحه فذكر السائل وأشاع أن السيّد محمّد صرّح باجتهاد الشهيد الثالث، وعندما وصل الخبر للملّا عبد الوهاب وكان للسيّد السند منزل في بيته أرسل خلف السائل وقرّعه: أن كيف تفتري على السيّد فهو لم يصرّح باجتهاد الشهيد الثالث؟ وكان بين الملّا عبدالوهاب والملّا محمّد تقي مقارعة، وشاع خبر الملّا عبدالوهاب وشاعت معه همهمة في قزوين، فقال جناب الشهيد الثالث: احترامنا للسيّد محمّد لأنّه ابن أُستاذنا لا لشيء آخر. وبشكل عام كان انزعاج الشهيد الثالث واضحاً من رأي السيّد محمّد حتى جاء السيّد محمّد وأمضى النهار في بيت الحاج الملّا محمّد تقي وأظهر اهتمامه به وكتب له إجازة، وفي النهار ذاته ذهب إلى مسجد الشهيد الثالث فصعد المنبر بعد الصلاة ومدحه غاية المدح في العلم وصرّح باجتهاده وعرّف الناس بالقضية.

ولمؤلّف هذا الكتاب تصديق بالاجتهاد وإجازة لاتّصال السند من الشهيد الثالث، وإجازتي منه هي أقصر أسانيدي؛ لأنّ سائر إجازاتي تنتهي إلى السيّد علي

صاحب الرياض بواسطتين، أمّا الشهيد الثالث فهو واسطة واحدة توصلني بالسيّد علي، لأنّ الشهيد الثالث كان من تلامذته وكانت عنده إجازة منه، والباقون عندهم إجازات من السيّد علي بواسطة.

وعندما كنت في العتبات العالية لم أطلب من أحد إجازة وتصديقاً على الاجتهاد إلى أن جاءني الخال المفضال السيّد صادق التنكابني، وكان من أئمة الجماعة في أقضية لنكرود وكيلان، وكان فاضلاً جامعاً ومن علماء تلك الديار المسلمين، فقد جاءني إلى قزوين بعد الرجوع من زيارة حضرة فاطمة في قم ورغّبني قائلاً: بالتأكيد الإجازة أمر لازم، لأن الإجازة للعوام أساس الاطمئنان في التقليد والقضاء، إضافة إلى اتّصال سلسلة إسناد الأخبار، والإنسان يدخل في سلسلة الرواة، ولهذه الوجوه وللتيمّن والتبرك خذ إجازة من أُستاذك وعلماء أهل قزوين ومنهم الملّا محمّد تقي. فامتثلت أمره وأرسلت إلى الأُستاذ في كربلاء المجلّد الأول من كتاب بدائع الأحكام في شرح شرائع الإسلام مع منظومة الفية في الأُصول، فصدّق بالاجتهاد ثم أرسلها، فأرسلت الكتاب نفسه مع تصديق الأُستاذ إلى الشهيد الثالث، وعندما رأى خط الأُستاذ قال: الأُستاذ ليس قاعدة؛ لأنه يمدح تلميذه والسيّد إبراهيم يبالغ في التعريف بتلميذه. ثم كتب الشهيد الثالث إجازة مفصّلة مع تصديق بالاجتهاد لهذا الفقير، وهذه صورة خطّه في إجازة الشهيد الثالث لمؤلف هذا الكتاب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم[١]

الحمد للّه الذي خلق الخلق بقدرته، وجعلهم آية لربوبيته، فهداهم من

---

(١) هي في المتن باللغة العربية فنقلناها كما هي، إلّا ما اقتضاه تصحيح ما وقع من أخطاء في الطباعة، مثل كلمة فهداهم إذ هي في المتن فهذا هم (المترجم).

الضلالة بنصب الأدلّة الواضحة والحجج اللامعة ببعث سفرائه ورسله الذين يرغّبونهم في جزيل ثوابه ويرهبونهم عن شديد عقابه؛ كي لا يكون عليه بعده حجّة؛ ليهلك من هلك عن بينة.

والصلاة والسلام على أشرف العصر الذي دان لمفخره أرباب المفاخر، وطأطأ لفخره كلّ فاخر، المبعوث إلى يوم البعث والمبحوث عنه كلّ البحث، فضّله اللّه بكرامته بما لم يتفضّل على أحد من بريّته، وقرن الاعتراف بنبوته مع الاعتراف بلاهوتيته خاتم أنبيائه ورسله محمّد صاحب الشريعة الناسخة والبيّنات الباهرة.

ثم السلام على خازن علم اللّه، وترجمان وحي اللّه، لسان اللّه، وعين اللّه، جنب اللّه الذي فضّله اللّه على جميع بريته، وجعله نفس نبيّه في آية مباهلة كتابه، وخليفته في باطن فرقانه وظاهره، الإمام الغالب علي بن أبي طالب؛ وعلى أهل بيته الطاهرة، والنجوم الزاهرة، حجج اللّه الباهرة، المأمونين عن السهو في السرّاء والضرّاء، المعصومين عن الزّلّة والخطاء، صلوات اللّه وسلامه وبركاته عليهم أجمعين.

أمّا بعد... فقد استجازني الفاضل الزكي والعالم الألمعي: جناب الملّا الميرزا محمّد التنكابني صاحب الفهم الجليّ والاستعداد القويّ؛ للعروج إلى معارج الأحكام، والخوض في مسائل الحلال والحرام، وتحقّق استقامة فهمه، ومعرفته في علمه، وصلاحه واحتياطه في دينه واهتمامه في تحصيل أحكامه باستفراغ وسعه بجدّه واجتهاده، فسارعت إلى تنجيز طلبه وإجابة دعوته جرياً على عادة علمائنا الأبرار واقتفاءً لآثار أسلافنا الأخيار، فأجزت له أن يروي عنّي مقروّاتي ومسموعاتي من الأخبار المروية عن أئمتنا سلام اللّه عليهم في الأُصول والفروع سيّما في الكتب الأربعة التي عليها المدار: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار

للمحمّدين الثلاث: الكليني والقمي والطوسي تغمّدهم اللّه بغفرانه، وسائر الكتاب الجامعة لنوادر الأخبار كالوسائل والوافي والبحار، وما برز من مصنّفاتي في الأُصول والفروع من مجلّدات عيون الأُصول، ورسائلي المختصرة والمنفردة في قضاء الصلاة الفائتة وصلاة الجمعة، وكتبي المبسوطة الاستدلالية كمجلّدات منهج الاجتهاد وهي أربعة وعشرون مجلّداً في شرح شرايع الإسلام من الطهارة إلى الديّات في كمال البسط والتحقيق ونشر الفروعات ومدارك الأحكام من الآيات والروايات والإجماعات والشهيرات بحيث يغني المستعد الحقيق الدقيق عن الرجوع إلى سائر المتفرّعات من كتب الأخبار ومصنّفات علمائنا الأخيار.

وأجزت له أن يروي عني وعن مشايخ إجازتي:

منهم: جامع شرحي العلوم والسيادة، البحر الزاخر والبدر الزاهر أُستاذنا الأعظم الأمير السيّد علي ابن السيّد محمّد علي الطباطبائي صاحب الشرحين الكبير والصغير على النافع.

ومنهم: شيخنا الأعظم وأُستاذنا الأفخم، المتفرد في إكثار التفريعات والمتوحد في حلّ المعضلات الشيخ جعفر الغروي، وهو عن شيخيه المعروفين: أُستاذ الكل الآغا محمّد باقر البهبهاني، وناموس الدهر وتاج الفخر الذي ليس له في أعصارنا ثاني السيّد مهدي الطباطبائي أسكنهم اللّه في عالي جنانه.

ومنهم: السيّد السند صاحب التتبّع الطويل والنظر العميق السيّد محمّد ابن شيخنا المقدم الأمير السيّد علي، وهو عن شيخيه: والده الأمير وجناب السيّد المهدي الطباطبائي، وهما عن مشايخهما الماضين متصلاً خلفاً عن سلف إلى الأئمة الطاهرين، وهم عن آبائنا الماضين عن جناب خاتم النبيين، وهو عن حامل الوحي جبرئيل الأمين عن اللّه تعالى مبدع الأرواح العالية والأجسام السفليّة في

السماوات والأرضين.

وأوصيته برعاية الورع والتقوى، والاشتغال بإكمال الاستغراغ في أحكام اللّه تعالى، وملازمة جادة الاحتياط، وأن لا ينساني من الدعوات في الأسحار ومظان إجابة الدعوات. وفّقه اللّه تعالى بمحمد وآله خير البريّات.

كتبه بيمينه الراجي لعفو الأحد الصمد محمّد تقي بن محمّد.إلى هنا صورة إجازة الشهيد الثالث التي كتبها لهذا الفقير.

وعندما ذهب السيّد محمّد ـ الرضوان مآبه ـ في سفر الجهاد كان أكثر العلماء الإيرانيين معه، ومنهم الملّا محمّد تقي، وقد سبقهم نائب السلطنة لقيادة العسكر عدّة منازل، وقد ظفر نائب السلطنة في بداية الأمر ثم غُلب، فأرسل بذلك إلى فتح علي شاه، فاجتمع المرحوم فتح علي شاه مع العلماء وسألهم عن الضعف في عمل قائد الجيش مظفّر نائب السلطنة، فلم يجب أحد، فكرّر السؤال مرة ثانية وثالثة فتصدّى الشهيد الثالث في المرّة الثالثة للجواب، وقال: عندي خبر عنه لكن بيانه يتوقّف على تقديم حكاية مختصرة وهي:

كان في بني إسرائيل عابد صرف عمره في عبادة اللّه تعالى في صومعةٍ، وفي جوار تلك الصومعة شجرة كبيرة يستريح في ظلها المسافرون، وكان يأتي عدّة سارقين إلى الشجرة ويختبئون فيها فإذا نام المسافرون ينزل السارقون ويهجمون عليهم ويسلبونهم أموالهم، فأراد العابد أن يقطع تلك الشجرة قربة للّه تعالى حتى لا يختبئ فيها اللصوص وتحفظ دماء الناس وأموالهم من شر المفسدين، فأخذ فأسه، وهذه نيّته، ووصل إلى جذع الشجرة وبدأ بقطعها، فتمثّل له الشيطان في صورة شخص وتشاجر مع العابد وأراد منعه من قطعها، فتصارعا ورمى العابد الشيطان على الأرض وأراد قطع رأسه، لكن لما كان الشيطان من المنظرين تركه ولم

يقتله، وعاد الشيطان إلى مكانه.

وقطع العابد الشجرة إلى نصفها حتى جاء الليل فحدّث العابد نفسه: أذهب الليلة وآتي في الصباح وأُكمل قطعها. فعاد إلى منزله وفكّر في تلك الليلة في نفسه: إنني قطعت اليوم نصف الشجرة وصباح غد أقطع النصف الآخر وأُريح القوافل من شرّ اللصوص، فالصلاح الآن أن أجبي منهم ضريبة حتى يستقيم أمر معاشي. جاء الصباح وذهب وبدأ بقطع تلك الشجرة، فعاد الشيطان من جديد وأراد منعه، فتصارعا فرمى الشيطان العابد على الأرض وحكم عليه بعدم قطع تلك الشجرة.

إذن عندما كانت نية العابد في اليوم الأول القربة إلى اللّه تغلّب على الشيطان، ولكن في الثاني اختلط بنيته قصد جلب منفعة لنفسه فتغلّب عليه الشيطان وانكسر.

وابن الملك نائب السلطنة في قتاله الأول كانت نيّته القربة فتغلّب على جيش الروس، وفي المعركة الثانية اختلطت نيّته فصار مغلوباً. فأعجب المرحوم فتح علي شاه بتقرير الشهيد الثالث وأعطاه خلعة.

وهذا الكلام من حضور الجواب، والشهيد الثالث في المجالس والمحافل كان كثير الاستحضار للجواب وبيانه جيد، فمن ذلك: ما جرى في زمان فتح علي شاه إذ سلّط السلطان الشهيد الثالث على قرية من قرى قزوين ليستفيد منها، وبعد مدّة باع الشهيد الثالث تلك القرية لشخص اسمه الميرزا إبراهيم بمبلغ زهيد، وكان يرى أنّ هذه القرى مجهولة المالك وأمرها بيد حاكم الشرع، ثم في زمان المرحوم محمّد شاه أخذوا تلك القرية من الميرزا إبراهيم، فأخبر السلطان عن شرائها من الشهيد الثالث.

وكان وزير السلطان الميرزا آقاسي، وكان لميله للتصوف في غاية العناد

والعداوة مع قاطبة العلماء الأعلام والفقهاء الكرام، فقرّر الوزير أن تؤخذ قيمة تلك القرية من الشهيد الثالث ويعطوها للميرزا إبراهيم، وعندما جاء عامل السلطان لاسترداد ثمن تلك القرية إلى منزل الشهيد الثالث توجّه مباشرة إلى دار الخلافة، وحضر مجلس السلطان وتحدث عن بيع تلك القرية التي هي من صوافي السلطان، فقال للسلطان:

إنّ هاهنا حكاية لطيفة خطرت في بالي وهي أنّني في زمان كنت في دار السلطنة إصفهان مشتغلاً بتحصيل العلوم، وكنت معدوم اليد حتى إنني في بعض الأوقات كنت أبقى دون طعام، وفي بعض الأوقات أجعل طعامي قشور «الخربوزة»[1] التي كان يأكل الناس ما يؤكل منها ويرمون بتلك القشور، ثم مضى وقت والطعام غير مقدور، ثم تحصّل لي قليل من الفلوس من صلاة الوحشة فأخذتها وذهبت إلى السوق أبحث عن أزهد شيء يسدّ الخلّة لأشتريه، فسمعت شخصاً ينادي على الخربوز بقوله: «خربوزة ناضجة» بقطعتي مال. فرأيت في نفسي أنّ هذا أزهد شيء ثمناً وليس هناك أنسب من هذه الخربوزة، فأخذت مقدار حاجتي وعندما وصلت إلى البيت وفتحتها لم أجد فيها إلا بذراً وماءً، فأخذتها وعدت بها إلى البائع وقلت له ما جرى فادّعيت الغبن، فقال لي ذلك الرجل: ألم أقل «خربوزة ناضجة» وهذه مصداق هذين اللفظين، فعدت.

والآن في قضيّة الميرزا إبراهيم كنت قد قلت له في بداية الأمر: إنّ هذه القرية من صوافي السلطان، وإنّي أبيعها إن شئت فلا تشتري أو فاشتري على هذه الحال، وعليه فلا إشكال عليّ ولا تشتغل ذمتنا بشيء له. فأعجب السلطان بهذا الكلام وتجاوز عمّا جرى وأكرم الشهيد غاية الإكرام والاحترام.

---

(١) فاكهة معروفة في إيران تشبه الشمام (المترجم).

ومن الحكايات الغريبة: أنّ الميرزا آقاسي الصوفي وزير محمّد شاه كانت عنده عداوة شديدة مع جناب الملّا محمّد تقي، فكان الوزير أو من يريد أن يرضي الوزير يضيّق على الشهيد ويستخفّ به، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]، فمن ذلك: أن الميرزا نظر علي من أهالي قزوين الملقب بحكيم باشي والمقرّب عند السلطان والميرزا أقاسي كان من الشطّار وغير معقول ولم يكن ذا أصل ونسب وحسب صحيح، وفي بداية أمره كان فقيراً غاية الفقر لكن بسبب استلام بعض المناصب الدنيوية عمرت دنياه، وفي سوابق أيام حكيم باشي أعطى للشهيد خاتماً من الماس على نحو الهبة، وبتحريك من الوزير أو لارضائه طالب ـ وهو في زمان الثروة والمنصب والعزّ ـ الشهيد الثالث بالخاتم، فأرسل إليه الشهيد الخاتم، ثم أعاده إليه مدّعياً أنّه ليس هو الخاتم، فهذا رخيص وخاتمي يساوي ٧٠٠ تومان.

ولكن الشهيد الثالث عاد وأرسل الخاتم مع رسالة قائلاً: عندما كنت في إصفهان مشغولاً بتحصيل العلوم كنت في غاية الفقر، وكان يمضي الوقت ولا أجد طعاماً وأنا في شدّة الجوع، فجاءني شيء من المال فرأيت أن أصرفه في الطعام الجيد، فاشتريت باذنجاناً ولحماً وسمناً وطبخت وأكلت فوجدت فيه لذةً لا توصف، وعندما أقبلت الدنيا عليّ خطرت على بالي تلك اللذة التي نلتها من أكل الباذنجان، ولكن طبخت عائلتي ذلك الطعام مرّات وكرّات ولم أجد فيه تلك اللّذة، وطلبت من طبّاخي المدينة تكراراً أن يطبخوا لي هذه الطبخة بذلك النحو ومع ذلك لم أجد تلك اللذّة، ثم قلت لنفسي: إنّ لذّة ذلك الطعام في اصفهان كانت لما كنت عليه من الفقر والفاقة وشدّة الجوع، أمّا الآن وقد صرت غريقاً في النعم الإلهية الكثيرة فلن أجدها.

---

(١) التوبة ٩ / ٣٢.

وخاتم الألماس قصته مثلها، فأنت عندما أعطيتني الخاتم كنت فقيراً فكانت قيمته عندك ٧٠٠ تومان، أمّا الآن وعندك الثروة والعزّ والمنصب فإنّ هذا الخاتم لا قيمة له عندك، وإلّا فهذا الخاتم هو ذلك الخاتم.

حادثة أُخرى: أنّ الوزير الميرزا آقاسي كان دائماً يجعل الشهيد وإخوانه وسائر الفقهاء في معرض الاستخفاف، وعندما أتى محمّد شاه إلى قزوين أصدر حكماً بنفي الشهيد الثالث مع أخويه: الملّا محمّد صالح والملّا علي القزويني، فحضر الشهيد الثالث مع أخويه إلى مجلس السلطان، وبعد وقت أشار الحاجب بالوقوف، قال الشهيد للشاه: لدينا حاجة واللازم تقديم حكاية مختصرة لكن الحاجب يشير إلينا بالنهوض. فعتب السلطان على الحاجب وقال: أظهر ما تريد.

فقال الشهيدالثالث: بعد أن اشترى المالك المصري يوسف وأخذوه مغلولاً إلى مصر وكلّوا عليه يقلوس وكان غلاماً أسود قاسياً، وعندما وصلت القافلة إلى مقبرة آل يعقوب ألقى يوسف الصدّيق بنفسه عن الجمل ونزل عند قبر أمّه وأخذ يبكي، فنظر يقلوس فلم يجد يوسف على الجمل فبحث عنه ووجده على قبر أُمّه، فضربه بالسوط على وجهه، فرفع يوسف يديه إلى اللّه في تضرّع وأنين، وفجأة ماج البحر وتلاطمت أمواجه، وأمر ملك الزلزال أن يزلزل الأرض، وملك الرياح بتحريكها، وأمر جبرئيل أن يحرك أجنحته على الأرض وأن يمنع القافلة من الرؤية، فهبّت الرياح وتزلزلت الأرض وملأ الغبار الفضاء، فتحيّر أهل القافلة ثم لجؤوا إلى يوسف، فدعا حتى عاد الأمر إلى طبيعته. ثم سألت الملائكة ربّ العالمين: إنّ يوسف قد ألقوه إخوته في البئر وتركوه بلا معونة، وتُرك في وسط الصحراء، وبيع ولم تأمر بشيء، ثم أمرت بكلّ هذه الأُمور من أجل ضربة؟! فجاء الخطاب من ذي الجلال: إنّ تلك البلايا التي وقع فيها ابن النبي كانت من إخوته وهم أيضاً أولاد أنبياء، لكن ضربة يقلوس كانت من أجنبي عنه ففعلنا كلّ ذلك.

أيها السلطان، إن أردت أن تحكم علينا بأيّ حكم فليس من محذور عندنا، لكن أن يكون هذا من يقلوس الغلام الميرزا آقاسي الوزير فهذا لا نتحمّله وتأباه غيرتنا، حكم الوزير بنفينا من إيران، إن كان هـذا حـكمك فـلا إشكـال. فـتغيّر السـلطان من فعل الوزير وأعزّ الشهيد غاية الإعزاز، وخرجوا من المجـلس وقـد تحقّق مرامهم.

وكان السلطان مخلصاً لهم في الباطن. وفي سفر الجهاد كان الذي يصلّي الجماعة السيّد محمّد، وحكم السلطان أن يفرش كلّ ولد من أولاده سجّادة الصلاة لعالم من العلماء وأن يقوم بخدماته، ومنهم: محمّد شاه الذي كان يسـمّى حـينذاك بـالميرزا محمّد، إذ حكم بأن تكون سجّادة الملّا محمّد صالح معه وأن يطيعه. وفي بداية الأمر كان يصلّي الجمعة في قزوين السيّد محمّد تقي، وكان رأي الشهـيد حينذاك حـرمة صلاة الجمعة، وفي يوم لم يأت السيّد محمّد لخـلافٍ بينه وبين أهـل تـلك الديـار، فذهب الشهيد وصلّى الجمعة، ومن ذلك اليوم صار هوالذي يصلّيها. والسيّد محمّد تقي من أهل قزوين وكان جامعاً فاضلاً وتنسب إليه كرامات كما سيأتي. ثم جمعهما مجلس فسأل السيّد الشهيد عن الشيء الذي كان في أُسبوع حـراماً وفي أُسـبوع آخر واجباً، فقال له الشهيد: لا أدرى. فقال: هو صلاة الجمعة، ففي الأسبوع الذي كنتُ أُصلي فيه كانت حراماً وعندما صلّيت صارت واجبةً.

يقول المؤلف: هذه الحكاية من الموضوعات وفرية وكذب؛ لأنّ جلالة قـدر هذين العظيمين تأبى عن وقوع أمثال هذه الترهات والأباطيل، بل كلاهما في غاية الوثاقة.

وأمّا تأليفات الشهيد الثالث فمنها:

١ ـ كتاب عيون الأُصول، وهو مجلّدان في علم الأُصول بحجم القوانين تقريباً،

وذكر فيه إشكالات على القوانين. وقد سمع من الشهيد الثالث أنّه في ليالي سفر الجهاد كنّا نتباحث مع الملّا أحمد النراقي في إشكالاتنا في عيون الأُصول على الميرزا.

٢ ـ كتاب منهج الاجتهاد، وهو شرح الشرائع من الطهارة حتى الديات في أربعة وعشرين مجلّداً، وهو تقريباً بحجم جواهر الكلام للشيخ محمّد حسن.

وعندما كان الشيخ محمّد حسن مشتغلاً في كتابة جواهر الكلام، وعندما وصل إلى كتاب الجهاد فلم تكن عنده مراجع كثيرة؛ لأنّ الفقهاء لم يكتبوا الكثير في الجهاد، وكان محمّد ابن الشهيد في النجف يدرس، فأخذ الشيخ محمّد حسن مجلّد الجهاد من منهج الاجتهاد عارية، وكان مرجعه حتى فرغ من كتاب الجهاد.

وقد كنت في دار السلطنة قزوين عندما كان الشهيد مشغولاً في تأليف هذا الكتاب، وكان قد قلّل من الزيارات واللقاءات والمشاركة في الأفراح والأتراح وانكبّ على تأليفه. نعم كان يجلس فقط مدّة ساعتين قبل الغروب يشتغل فيها بالمرافعات، وفيما عداها من الأوقات كان يؤلف فيها الكتاب.

٣ ـ رسالة في قضاء الصلوات الفائتة.

٤ ـ رسالة في صلاة الجمعة.

٥ و ٦ ـ رسالة في الطهارة والصلاة والصوم.

٧ ـ كتاب مجالس المتّقين في الوعظ، اشتمل على خمسين مجلساً في كلّ مجلس مسائل كثيرة في الفقه، مع إشارة إجمالية إلى بعض الأدلّة وتفسير آيات كثيرة وحكايات وذكر المصيبة.

وقد دعا في بعض الأيام شخص الشهيد الثالث والشيخ الملّا صفر علي اللاهجي مع عدد من العلماء والطلاب، والملّا صفر علي من سكان قزوين ومن

تلامذة المرحوم السيّد محمّد باقر، وكان مجازاً من صاحب مفاتيح الأُصول وحجّة الإسلام السيّد محمّد باقر، وكتب كتاباً في الفقه وشرحاً على المعالم ورسالة في الدراية، وقد تلمذت له في بداية تحصيلي، وكان فاضلاً جامعاً لكن حافظته قليلة.

وبعد أن انعقد المجلس دخل أولاً الملّا صفر علي فسأله شخص: هل في العنز زكاة؟ فقال: حسب القاعدة لا زكاة فيها. ثم دخل الشهيدالثالث وسألوه نفس السؤال فقال: نعم فيه زكاة. فقال له الملّا صفر علي: مقتضى القاعدة عدمه؛ لأنّ الأصل براءة الذمة، وإنما خرج الغنم عن هذا الأصل للدليل والحديث الذي جعل الزكاة لعنوان الغنم، والأحكام تدور مدار الاسم، والمعز لا يقال له غنم. فقال له الشهيد: ألم تقرأ في الشرائع إذ يقول: والغنم والمعزمن جنس واحد إجماعاً وكذا البقر والجاموس، فالمحقّق في الشرائع ـ وهو كتاب فتوى ـ ادّعى الإجماع. فسكت الشيخ.

وقد كان للشهيد في رؤوس المسائل مهارة كأنّه أوحد أهل زمانه.

ومن جملة المطايبات: ما جرى من خلاف في مسألة بين الشهيد الثالث والملّا محمّد صالح، ففي ليلة استضاف الملّا محمّد صالح الشهيد وأخاه الملّا علي، وبحثوا في ذلك المجلس في نفس تلك المسألة، فانزعج الملّا محمّد صالح من الشهيد وقال له: هذا الكلام غير مترابط. فكان الشهيد في غاية الحلم وسكت. وانزعج الملّا علي من أخيه الملّا صالح: أنّه ما هذا الغلط والكلام غير المناسب الذي تقوله وهو أخوك الأكبر واحترامه واجب عليك؟ حينئذٍ قال الشهيد للملّا علي: أنت أيضاً تتكلّم بكلام غير مناسب، فإنّ الملّامحمّد صالح أخوك وأكبر منك واحترامه أيضاً واجب عليك.

وفي السنة التي توجّه فيها السيّد محمّد إلى سفر الجهاد كان معه أكثر علماء

إيران، فكانوا يجتمعون إليه كلّ ليلة وتجري المباحثات العلمية، فطلبوا من السيّد محمّد التصديق باجتهاد من يراه مجتهداً وهم يقبلون كلّ من يعترف له بذلك، تعبّداً واحتراماً له؛ لأنّه كان أُستاذ الأكثر وابن أُستاذ جمع آخر، فأراد البعض في المجلس أن يتباحث الملّا النراقي مع الشهيد. وفي ليلة ذكر شخصان مسألة فرعية من كتاب الشهيد أحدهما مخالف للشهيد والآخر موفق، فطلبوا رأي النراقي، فصوّب الرأي المخالف للشهيد، وقوّى الشهيد قول الذي وافقه وذكر الأدلّة والقواعد، والنراقي ساكت يستمع ولم يدخل في الحوار. في الليلة الثانية ذكروا أيضاً مسألة كالليلة السابقة فصوّب النراقي الرأي المخالف للشهيد، والشهيد قوّى قوله والنراقي ساكت. وفي الليلة الثالثة حصل مثل ما سبقها قوّى النراقي المخالف للشهيد، والشهيد ذكر أدلّته، وكان النراقي مستنداً إلى متكئ فاستوى جالساً وردّ أدلّة الشهيد، ثم ذكر قواعد كانت محكمة في قبال الشهيد فوافق الشهيد.

وأمّا كرامات الشهيد الثالث ـ أعلى اللّه مقامه ـ فكثيرة نذكر هنا بعضاً منها:

فمنها: أنّه كان في زمان الملّا محمّد علي شخص من أهل مازندران ولم يكن عنده علم كثير، وكان قد درس عنده الملّا محمّد صالح المقدّمات، وكان يقال له الملا... نزل يوماً فتح علي شاه إلى قزوين فذهب العلماء للقائه، فسألهم السلطان عن مسألة فأجاب... جواباً على مقتضى الحال، فقبله السلطان وسأل عن اسمه فقالوا... فقال السلطان: لأنه من أهل ولايتنا مازندران فسمّوه... وبعد سنين جاء الشهيد الثالث مع إخوته لزيارة فتح علي شاه، وكان... حاضراً فسأل السلطان الشهيد الثالث عن مسألة علمية، فأجاب الشهيد فاعترض الملّا... ثم أجاب الشهيد فدخل الملّا... في مقام المجادلة. فسكت الشهيد، وكان مسلكه أنّه إذا أراد أحد المجادلة فهو يسكت ويترك المجادلة المحرّمة، ثم رأى الملّا محمّد صالح أنّ سكوت الشهيد في مجلس السلطان موجب لانكساره، فتصدّى الملّا محمّد صالح

للمجادلة مع الملا... وكان هذا الملّا رجلاً قوّالاً فقال خلال الحوار: إنّ هذه المسألة هي بعينها التي درستها عندي في الأيام السابقة فسكت الملّا محمّد صالح، ولما رأى الملّا علي سكوت أخويه والخصم يتباهى بنفسه أخذته الغيرة ودخل في جدال مع الخصم، وكان المتجادلان بعيدين عن بعضهما فصارا يقتربان ويقتربان حتى تلاقوا وحميت المناظرة فرفع الملا... يده ليضرب الملّا، فسبقه الملّا علي وضربه على وجهه، فوقف كلّ منهما وتماسكا، فتغير السلطان من الملّا علي وأخويه وأمر بالجلوس وأنّ هذه الحركات لا تليق بالمجلس الملكي ولا تفعلوا مثله في مثل هذه المجالس، فانصرفوا وعاد السلطان إلى بيته.

وفي الصباح جمع أعيان الدولة وخاطبهم: إنّني رأيت في المنام فاطمة ﷺ منزعجة مني: أن لماذا لم تحترم أولادي فعليك أن ترضيهم وأن تظهر لهم كمال الاحترام وإلّا فإنّ سلطتك سيصيبها الخلل. فطلب الشهيد وأخويه فأبرز لهم الاحترام وكرّمهم وعظّمهم وخلع على كلّ واحد منهم خلعة فاخرة، وعادوا وقد قضى لهم كلّ حوائجهم. فاتّضح أنّ العلماء هم الأولاد الروحيون لفاطمة ﷺ لا سيّما أنّه قد تكون إحدى أُمّهاتهم من سليلة السادة العلية، وسيكونون حينئذٍ من أولاد الصديقة الكبرى، وكان الملّا محمّد صالح يقول: اسم والدتي فاطمة.

ومن كرامات هذا العظيم: أنّه كان يجري الحدود والتعزيرات في دار السلطنة قزوين، وفي يوم أجرى الحدّ على شخص لارتكابه بعض المعاصي الشرعية، فجاء في الليل شخص من أهل المحدود يحمل سلاحه قاصداً مكتبة الشهيد الثالث يريد قتله، وعندما وصل كان الضوء ظاهراً وذلك العظيم يشتغل بعبادة اللّه تعالى فلم يتعرّض أصلاً لذلك الشخص مع أنّه أحسّ بمجيئه، فأخذ ذلك الشخص الحربة بيده ووضع قدمه داخل البيت، وفجأة مسكته جماعة من خلفه في وسطه ورموا به خارجاً، فنظر الشخص خلفه فلم يجد أحداً، فظنّ أنّ هذا من خيالاته فعاد ثانية،

فحصل معه مثل المرة الأُولى وتكرّر الأمر معه مرّة ثالثة حتى تنبّه الشخص وتاب ورمى الحربة من يده، ثم دخل البيت فلم يمسكه أحد وتقدّم نحو ذلك العظيم وقبّل يده وأظهر ندامته وعاد ولم يلتفت إليه جنابه في المرّات الثلاث أصلاً وبقي منشغلاً بعبادة اللّه.

وأيضاً: فإنّ شخصاً من تجّار قزوين قد صدر عليه حكم من جنابه، فصار في قلبه ضغينة عليه وأراد أن يقتله في إحدى الليالي، وفي الليلة التي عزم فيها اشتعلت النار في مستودع مراوح كان لهذا الرجل واحترق، فتراجع عن عزمه خائباً خاسراً تائباً.

وأيضاً: كان الشهيد الثالث يمنع من تمثيل حادثة كربلاء في مصيبة سيّد الشهداء، وكان يمنع من الغناء في المراثي وإنشاد مصائب الأئمة إلى أن رأى في إحدى ليالي القدر رسول اللّه على منبر مسجد الشهيد وخاطب الشهيد الثالث قائلاً: أيّها الشيخ، لا تمنع من الغناء في مراثي ولدي الحسين، فليقرؤوا كما يشاؤون. وقد ذكر تفصيل هذا المنام في كتاب مجالس المتّقين، وإنّما أذكره مجملاً؛ لأنّه لا يحضرني تفصيله ولا كتاب المجالس. وعلى كلّ حال فالشهيد بعد المنام لم يعد يمنع من الغناء في إنشاد المصيبة وجوّز التمثيل، وكان هو بنفسه يجلس في تلك المجالس.

يقول المؤلف: التمثيل من مخترعات الصفوية، فلمّا ظهر مذهب التشيع في بلاد إيران وحكم الصفويون أمروا الذاكرين بإنشاد مصيبة سيّد الشهداء لكن الناس لم تكن تبكي؛ لأن المذهب لم يترسّخ بعد في نفوسهم، فاخترعوا التمثيل لعلّ الناس تتألّم من مشاهدة مصائب سيّد الشهداء ويرقّ قلبهم، وسمّي هذا العمل بـ «التعبئة» وهي[1] بمعنى الاختراع أيضاً.

---

(١) أي بالفارسية. (المترجم).

وهذه التعبئة لم تكن موجودة في الأزمنة السابقة بالاتفاق، والعلماء مختلفون في جوازها والأكثر على التحريم، ومن جملة القائلين بالحرمة قطب الفقاهة والجلالة والنباهة والفطانة والذكاوة الشيخ جعفر النجفي. وتوقّف فيها جمع كثير مثل حجّة الإسلام في كتاب اسئلة وأجوبة، وبعضهم توقّف عن الإفتاء، والمظنون أنّ المتوقّفين هم بحسب الدليل مانعون، لكن في مقام الفتوى لم يتجرؤوا على التصرّف في أمر مصيبة الإمام الحسين‌ﷺ كما سمعنا بذلك عن بعض المتوقّفين، والنادر من الفقهاء ـ رضوان اللّه عليهم ـ من جوّز ذلك، بل يمكن حمل القول بالجواز على الشذوذ.

وعلى كلّ حال فالأقوى في نظر هذا الحقير حرمة التعبئة والتمثيل؛ لأنّ التعبئة المفروض أنّها من العبادات المسنونة وهو محل الوفاق، والأصل الأصيل في العبادات الحرمة والفساد ما لم يأتِ دليل من الشارع؛ لأنّ العبادة توقيفية توظيفية وعليه الاتّفاق، فعلى مدّعي الجواز الإتيان بالدليل، ولا دليل إلّا السيرة، وهو مردود بأنّها مستحدثة ولم تكن موجودة في زمان الرسول‌ﷺ والأئمة‌ﷺ. وهذا قطعي فلا اعتبار إذن بهذه السيرة.

كما أنّ دليل المجوزين الذين تمسّكوا به عموم «من بكى وأبكى» فهو عليل غير مفيد؛ لأنّهم تمسّكوا بـ«من» بدعوى أنّها للعموم، ونحن نسلم بأنّ «من» للعموم لكن عمومها مرتبط بما بعدها، فالكلام في «بكى وأبكى» ولا شك أنّها من الأفعال، والأفعال بالاتّفاق ليست من العمومات بل تدخل في الإطلاقات، والإطلاقات تنصرف إلى الأفراد الشائعة في زمان صدور الخطاب، والتعبئة لم تكن موجودة إجماعاً، والشيوع إمّا بكثرة الوجود أو كثرة الاستعمال أو كليهما على اختلاف الآراء، والتعبئة في ذلك الزمان لم تكن لا موجودة ولا مستعملة بل لم تكن موجودة أصلاً، وما كان موجوداً في ذلك الزمان النواح، والنائحون طائفة من

النساء تنوح عند النساء، والرجال تنوح عند الرجال، يذكرون الميت ومناقبه ومفاخره ويبكون الحضور ويأخذون الأُجرة كما ذكر الفقهاء المسألة في كتاب المتاجر تحت عنوان أُجرة النائحة.

فالمراد من «أبكى» ذلك النحو الذي كانوا يُبكون الناس في ذلك الزمان كما يفعلون أيضاً في هذا الزمان، مع أنّ هذا الحديث من الأخبار الضعيفة وإنّما انجبر بالشهرة، والشهرة لم تتحقّق بالنسبة للتعبئة لو فرض دلالة الخبر. أمّا التسامح في أدلّة السنن فهو لا يجري لسنّ التعبئة، لأنّه لم يرد فيها حديث ولو ضعيفاً كي يتمسّك بقاعدة التسامح، كما أنّ حديث «من بكى وأبكى» لا يدلّ على التعبئة حتى نتسامح في سنده. وقد كتبت في حرمة التعبئة رسالة أنهيتها في أقلّ من يوم.

ونقول أيضاً في جواب ذلك التسامح: إنّ التسامح إنّما يجري في مورد لا نحتمل فيه الحرمة الذاتية، وهنا نحتمل الحرمة الذاتية.

هذا وقد أجاز الملّا آقا الدربندي التعبئة في كتاب إكسير العبادات وأسرار الشهادات وأقام عليها الأدلّة، وقد ناقشت أدلّة ذلك الفاضل الجليل النبيل بوجه جميل مع خامتي الكليلة وبياني الضئيل في كتاب الإكليل، وهدمت بنيانه وانثلمت أركانه، فمن أراد التفصيل فليراجع ما ذكر هناك.

أمّا حكاية المنام فإن حصل للرائي القطع بحكم اللّه الواقعي فلا كلام لنا معه، وإلّا فالمنام ليس من الأدلّة إجماعاً.

وقد سئل الشهيد الثالث عن اجتهاد الملّا محمّد صالح فقال في الجواب: مجتهد لكنه قليل المعرفة.

ومن بدائع الوقائع: حادثة تكفير الشيخ أحمد الأحسائي، وأوّل من كفّره الشهيد الثالث. وتفصيل هذا المقال أنّ الشيخ أحمد من تلامذة بحر العلوم السيّد

مهدي الطباطبائي وغيره من الفقهاء والفضلاء، وكانت له إجازة من جمع كثير من الفقهاء.

وللحاج محمّد إبراهيم الكلباسي ـ طيّب الله رمسه ـ إجازة من الشيخ ذكرها في كتاب إشارات الأُصول في المجلد الثاني في آخر مباحث أخبار مشايخ إجازاته، وعدّ منهم الشيخ أحمد الإحسائي وقد مدحه كثيراً.

وقد كان الشيخ أحمد إذا أتى إصفهان ينزل في بيت الحاج الكلباسي، وكان يصلّي في مسجد «حكيم» وهو مسجد الحاج المذكور ويصلّي خلفه الكلباسي. أمّا المرحوم حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر فكان كغيره من الأعلام لا يحترمون الشيخ أحمد فلايستقبلونه ولا يشايعونه ونحو ذلك من الاحترامات.

وكانت تحت يد الشيخ أحمد الأحسائي مكتبة ابن أبي جمهور الأحسائي، فكان يطالعها وفي أكثر المقامات كان يوافقه، وابن أبي جمهور صاحب تجلّ، والشيخ أحمد كان مرتاضاً وفي بدو الأمر كان يرتاض وكثيراً ما يأكل الكندر؛ ولذا كانت ذاكرته قوية، وله تأليفات كثيرة مثل: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة في أربعة مجلّدات، وله أجوبة المسائل، وشرح عرشية الملّا صدرا ومشاعر الملّا صدرا، وشرح تبصرة العلامة والفوائد، وشرح الفوائد وهو كتاب معروف، وعندما جيء بكتاب الفوائد للشيخ أحمد إلى إصفهان نظر فيه الآخوند الملّا علي النوري أُستاذ والد مؤلف هذا الكتاب، فأذعن بفهم الشيخ وفطانته، وعندما أتوا بشرح الفوائد تبدلّ رأي الآخوند وقال: قد استفدت من كتاب الفوائد أُموراً لم يتوصّل إليها الشيخ أحمد نفسه، وكان يعطي لعباراته معاني أُخرى.

وعندما ذهب الشيخ إلى إصفهان حضر الملّا إسماعيل واحد العين ـ وكان من تلامذة الشيخ علي ـ في مجلس الشيخ أحمد، وعندما تباحثا في مسألة العلم تغلّب

عليه الملّا إسماعيل. وكان الملّا إسماعيل من أرشد تلامذة الشيخ علي وله حواشي على الشوارق.

وقد سمعت الملّا آقا حكيم القزويني ـ وهو أيضاً من مشاهير تلامذة الشيخ علي وكان صديقاً ورفيقاً لوالد مؤلف هذا الكتاب ـ يقول: عندما جاء الشيخ أحمد الأحسائي إلى قزوين ونزل في دار الملّا عبد الوهاب فتح درساً خاصّاً ولم يؤذن في حضوره لكلّ أحد، فطلبت من الملّا عبد الوهاب أن يتوسط للسماح لي بحضور الدرس، فقال الملّا للشيخ: إن الآخوند حكيم ليس غريباً. وعندما حضرت كان الشيخ يدرّس في مسألة العلم، فأوردت فيها إيراداً على الشيخ، فقال الشيخ جواباً رأيت له عدة محامل، منها: أنّ طريقي المكاشفة والشهود لا البرهان والاستدلال، وطريقكم براهين الحكمة لا المكاشفة. ومنها: أنّ هذا المجلس لا يتحمّل المزيد من التفصيل.

وعندما نزل الشيخ في إصفهان على الحاج الكلباسي كان يجلس قبل الظهر على أول زقاق مسجد «حكيم» ويضع آلة الساعة والقطب ونحو ذلك، حتى إذا صارالظهر ينوي النافلة فوراً ويصلّي وهو متّجه إلى المسجد، فيصل إلى المحراب وقد صلّى في الطريق عدّة ركعات نوافل، وعندما يصل إلى المحراب يصلّي مكان الحاج الكلباسي ويقتدي به الحاج أيضاً.

وبالجملة كان اهتمامه بالنافلة وأول الوقت شديداً كما سيأتي في وصفه، مثل الخال المفضال لمؤلف الكتاب السيّد أبوالقاسم ابن السيّد محمّد حسين المعروف في هذه البلاد بالمقدس على سبيل الاطلاق، وهو من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي وقد روى لي هذه الحكاية: كان في كرمانشاهان بيت مجاور لبيت الشيخ وكان سطح بيتي مشرفاً على بيته، ومرض الشيخ فلم يستطع الصلاة من قيام، فنصب

حبلاً متدلّياً من السقف فيصلّي النوافل والفرائض من قيام، وعند القيام يتمسك بالحبل.

وفي بعض الأزمنة اجتمعت في ذمة الشيخ قروض، فقال له ابن الأمير محمّد علي الميرزا: أُعطيك ألف تومان على أن تبيعني مكاناً في الجنّة فتدفع قروضك من الألف. فباعه الشيخ وكتب له وثيقة بذلك وختمه بختمه وأخذ الألف وقضى دينه.

وهذا حصل مع السيّد رضا ابن السيّد مهدي بحر العلوم إذ صار عليه قرض فجاء من النجف إلى كرمانشاه للسعي في قضائه، فقال له الميرزا محمّد علي: أن تبيعني مكاناً في الجنة مقابل ألف تومان. فقال له السيّد ومن أين لي ذلك؟ فقال له الميرزا: أنت اكتب ذلك وليختمه علماء النجف وكربلاء، وأنا أقبل بذلك وسآخذه من اللّه تعالى. ففعل السيّد ذلك وأخذ الألف، وعندما مات الميرزا أوصى أن توضع في كفنه كلتا الوثيقتين، واللّه سيعطيه بالتأكيد.

وكان الشيخ أحمد يدّعي أنّه عنده معرفة بكلّ علم، فقال له شخص: وهل لك علم في الكيمياء؟ قال الشيخ: نعم. فقال له السائل: إن كان عندك علم بالكيمياء فلماذا بعت مكاناً في الجنة لأداء الدين ولم تشتغل بالكيمياء؟ فقال له الشيخ: عندي علم الكيمياء أما عمل الكيمياء فلا. فقال له السائل: كيف تعلم به ولا تعرف عمله؟ فقال الشيخ: لا بعد في ذلك فأنا عندي علم طيّ الأرض وإنّه بهذا النحو ـ فجمع نفسه ثم نشر نفسه دفعة واحدة ـ ولكن ليس عندي عمله.

وسألوا الشيخ أحمد: إنّك تقول: إنّ علم كلّ الأشياء في القرآن فهل ابتلاء الثاني في دبره موجود في القرآن أيضاً؟ فقال الشيخ: نعم. قال اللّه تعالى: ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[1]، وعدد «المنكر» وعدد «ثاني» واحد، والمنكر

---

(١) المائدة ٥ / ٧٩.

يعني المعصية، أي إنّ تلك الطائفة لا تنتهي عن أيّ قبيح ومعصية وتأتي به، أي تصدر جميع المعاصي منهم، فابتلاء الثاني بذلك مذكور بنحو العموم.

يقول المؤلف: إنّه كان عندي شك في ابتلاء الثاني بذلك ولم أجد في هذا الباب حديثاً عن الأئمة عليهم السلام إلى أن رأيت السيّد نعمة اللّه الجزائري عليه الرحمة يقول في كتاب الأنوار النعمانية في المجلد الأوّل: إنّ الشيخ جلال الدين السيوطي وهو من صناديد ورؤساء المسلمين من علماء العامة قال في كتابه: إنّ أشخاصاً ابتُلوا في زمان الجاهلية ببلاء في دبرهم وكان منهم سيّدنا عمر رضي اللّه عنه. وقد كتب بعض علماء الإمامية رسالة في الاعتقادات، وعندما وصل إلى مبحث الإمامة قال في وصف الثاني: وكان به داء دواؤه ماء الرجال. فشرحه بعض علماء العامّة وعندما وصل إلى هذه النقطة قال في شرح «ماء الرجال»: وهو نبت. فكتب بعض علماء الشيعة حاشية عليه: إنّ المقصود بالنبت نبت يخرج من بين الصلب والترائب. وهذا اقتباس من الآية الشريفة: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾(١).

وعلى كلّ حال ففي كثير من المواضع في تأليفات الشيخ أحمد وخصوصاً شرح الزيارة الجامعة الكبيرة يقول: سمعت عن الصادق عليه السلام. وفي بعض المواضع يقول: سمعت عنه مشافهة. وليس مراده السماع في حال اليقظة بل مراده ما ذكره في رسالة على حدة موجودة عندي بخط والدي الماجد، وقال في تلك الرسالة:

اشتغلت في البداية بالرياضات فرأيت في عالم الرؤيا الأئمة الاثني عشر قد اجتمعوا في مكان فتوسّلت وتشبّثت بحضرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وقلت له: علّمني شيئاً أقرأه كلّما واجهت مشكلاً وأرى واحداً منكم وأسأل عنه حتى أنال

---

(١) الطارق ٨٦/ ٦ـ٧.

الجواب. فقال لي: اقرأ هذه الأشعار:

كنْ من أُمورك معرضا	وكِلْ الأُمور إلى القضا
فلربّما اتّسع المضيق	ولربّما ضاق الفضا
ولربّ أمرٍ متعب لك	في عواقبه رضا
اللّه يفعل ما يشاء	فلاتكن متعرّضا
اللّه عوّدك الجميل	فقس على ما قد مضى

ثم عدل الإمام‌ﷺ عن هذه القافية وهذا البحر إلى بحر آخر وقافية أُخرى وقال:

ربّ أمرٍ ضاقت النفس به	جاءه اللّه بروح وفرج
لاتكن من وجه روح آيساً	ربما قد فرجت تلك الرتج
بينا المرء كئيب دنف	جاءه اللّه بروح وفرج

فاستيقظت وقد نسيت بعض هذه الأشعار، ثم عدت للنوم فرأيت الجمع نفسه في المنام وقالوا لي الأشعار حتى حفظتها وضبطتها ثم استيقظت، وقد داومت على هذه الأبيات وواظبت عليها، حتى علمت من التأييد والإلهام الربّاني أن مراده‌ﷺ ليس محض المداومة على قراءة ألفاظ هذه الأشعار، بل لا بدّ من التحلّي بالمضامين الميمونة لهذه الأبيات، فسعيت سعيي وبذلت جهدي وعقدت الهمّة على التخلّق والاعتقاد بمداليل هذه الأقاويل الخيّرة، ودليل هداية السبيل. ثم صرت كلّما قصدت رؤيا إمام رأيته في عالم الرؤيا وأخذت منه حلّ عويصات المسائل، إلى أن ذهبت إلى ديار العجم وصرت معاشراً لحكّامها وملوكها، واعتدت على ألبستهم وأقمشتهم وأطعمتهم وأشربتهم ومساكنهم، فسلبت مني حالتي الأولى والآن قليلاً ما أرى الأئمة‌ﷺ في المنام.

يقول مؤلف هذا الكتاب: سمعت من الحاج السيّد كاظم أنّ أُستاذه الشيخ أحمد اشتغل بأربعين رياضة حتى وصل إلى المدارج والمناهج العالية، وكان الشيخ من أهل الأحساء من البحرين، وأقام مدّة في يزد ثم جاء إلى كرمانشاه، وكان يعطيه الميرزا محمّد علي كلّ سنة ٧٠٠ تومان، ثم توطّن في كربلاء وحلّ مكانه في كرمانشاه ولده الشيخ علي وكان فاضلاً. كان دائم الذكر متفكّراً وغالباً لا يتكلّم إلاّ في علم الأُصول والفروع والحديث، وكان يدرّس أُصول الكافي والاستبصار، ورسم في كربلاء دائرة هندسية.

يقول مؤلف الكتاب: إنّ خوارق العادات تصدر من المحقّ والمبطل فلايجب إنكار ذلك من جماعة الصوفية خذلهم اللّه، ولا يجوز أن يجعل ذلك دليلاً على حقيقة مذهبهم، بل قد ينال بعض الأشقياء هذه المرتبة من باب الاستدراج كما قال تعالى: ﴿وَسَنَسْتَدرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾[2]. وقد ينال بعض الأولياء هذه الرتبة من الرياضات الشرعية كما قال اللّه: ﴿أَنّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِن ذَكَرٍ أو أُنْثَى﴾[3]، فإنّ المبدأ الفيّاض شأنه الإفاضة على الهويات والهيوليات الإمكانية على قدر استعدادها، ولا يضيّع ولا يبطل أي جهد سواء كان عن كفر أو إيمان، وعليه فالفريقان من أهل الكفر والطغيان وأهل الإيمان واليقين يمكن أن يبلغا هذه الرتبة على حسب الاستعداد والمصالح الكاملة.

كما نلحظ ذلك في بعض أهالي الهند وما يقومون به من الرياضات المختلفة في بيوت الأوثان، مثل: أن يقف بعضهم لحاجة في بيت صنم، ويرفع قدمه، ويضع في

---

(١) الأعراف ٧ / ١٨٢.

(٢) آل عمران ٣ / ١٧٨.

(٣) آل عمران ٣ / ١٩٥.

كفه قمحاً أو حبوباً أُخرى مع تراب وماء، ويبقى كذلك عدّة أشهر حتى تصير الحبة خضراء، ثم يقوم بالأمر الذي أراده؛ وبعضهم يحبس نفسه بحيث إنّه لا يتنفّس في الليل والنهار أكثر من مرتين وهكذا.

فبمجرّد ظهور خارق العاده لا يجوز الحكم بحقانيّة صاحبه، وقال عمّي الماجد الآخوند الملّا عبدالمطلب: تشرّفت بزيارة الإمام الثامن وأقمت مدّة في تلك البلدة المباركة، فرأيت درويشاً[١] معروفاً بطي الأرض ورافقته مدّة حتى طلبت منه أن يعلمني طيّ الأرض، فقال لي: لست أهلاً لذلك. وبعد الإصرار قال: ما دمت تطلبه وترى نفسك أهلاً لذلك فاعمل بشرطين[٢] بعد ذلك أعلمك طيّ الأرض، الشرط الأول: أن لا تعتقد أن الإمام المدفون في هذا المرقد إمام، والثاني: أن تترك الصلوات اليومية مدّة أسبوع. قلت له: أفعل ذلك.

وعندما رحل وجاء وقت الصلاة حدثت نفسي: إن الاعتقاد بالإمامة أمر باطني، وذلك الدرويش لا خبر له عن باطني. فأقول في الظاهر أنّه ليس إماماً لكن في الباطن أكون مؤمناً بإمامة هذا العظيم. أما الصلاة فأصلي في البيت بعد أن أقفل بابه وأقول للدرويش: إنني لم أصلّ. فأقفلت باب الدار وتوضأت ثم وقفت للصلاة وفجأة رأيت الدرويش حاضراً عندي وقال لي: ألم أقل لك أنّك لست أهلاً لذلك ثم رحل ولم أره أبداً.

فظهر أن خارق العادة الذي يصدر من الصوفية ليس دليلاً على حقانيّتهم، لأن المؤمن أيضاً يظهر منه ذلك، فلو كان خرق العادة دليلاً على الحقانية لكان كلّ من الصوفي والمؤمن على حق وهذا محال.

---

(١) الدرويش يعني الصوفي. (المترجم).

(٢) طبعاً لا يتوهم أن كلّ طيّ الأرض يتوقّف على الحرم، لكن طيّ الأرض عند هذا الدرويش يتوقف على الحرم. (المترجم).

ويؤيد هذا الكلام حديث ورد في زينة المجالس أنّه جاء في زمان كاشف الأسرار والدقائق الإمام جعفر بن محمّد الصادق‌ﷺ شخص من بلاد الهند بحيث كان يخبر عن كلّ ما خبئ في اليد من الهند. فذُكر ذلك للإمام فطلبه‌ﷺ وخبّأ شيئاً في يده وسأل ذلك الهندي عما في يده، ففكر ثم أجاب فكان الجواب صحيحاً، فقال له الإمام‌ﷺ صدقت، والآن سأضع في يدي شيئاً آخر. فمدّ الإمام‌ﷺ يده المباركة خارج المنزل، ثم في لمحة أدخل يده وقال له: الآن قل لي ماذا في يدي؟ ففكّر الرجل كثيراً ثم قال: قد جلت في هذه الساعة كلّ الدنيا ورأيت كلّ شيء في مكانه إلّا أنّه في جزيرة من جزر الهند فقدت بيضة من قن الدجاج الفلاني. ففتح الإمام يده وقال له: صدقت. ثم قال له: قل لي كيف وصلت إلى هذه المرتبة؟ فقال له الرجل: كنت أُخالف كلّ ما كنت تطلبه نفسي حتى وصلت إلى هذه المرتبة. فقال له الإمام: وماذا تطلب نفسك؟ هل تطلب الكفر أم الإسلام؟ فقال: نفسي ترغب الكفر. فقال له الإمام‌ﷺ: إذن خالف هواك. فأسلم ذلك الرجل ثم سأله الإمام‌ﷺ: هل ينكشف لك الآن شيء أم لا؟ فتأمّل ذلك الشخص وقال له: إنّي لا أرى شيئاً. فقال له الإمام‌ﷺ صدقت، وذلك لأنّك عندما كنت كافراً كنت تعطى ـ لما كنت تبذله من رياضات ـ الأجر عليه، أمّا الآن وقد صرت مسلماً فقد سدّت عليك أبواب المكاشفات، فاشتغل الآن بالعبادات الشرعية لعل اللّه يعطيك مرتبة أرفع، وستعطى أيضاً في الآخرة.

والرياضة الشرعية هي أن يُمضي أربعين صباحاً يجعل جميع أفعاله للّه وفي اللّه، كلّ عمل من أكل وشرب ونوم ويقظة وحركة وسكون وجميع الأفعال والأقوال للّه. أمّا الرياضة الصوفية فهي مثل: أن لا يأكل أربعين يوماً من لحوم الحيوانات، وأن يقلّل من طعامه، وهذه الرياضة في الشريعة ممنوعة منهي عنها كما

يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[1]، وإلحاق الضرر بالبدن بنحو يضعف البدن وتضعف القوى مرغوب عنه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2]. وفي الأخبار: أنّ كلّ من لم يأكل من لحم الحيوان حتى مضت أربعون يوماً فاقرأ الأذان في أذنه. والظاهر أنّ ذلك حتى لا يتسلّط عليه الشيطان وليهرب من صوت الأذان، أو أنّ ذلك الشخص صار قريباً من الخروج من الإسلام فيقرأ الأذان حتى لا يبتعد عن الإسلام.

وتفصيل هذا الكلام: أنّ المشيئة الإلهية قد انعقدت على أن يخلق خلقاً في عالم الخلق والملك والشهادة، وأوجد الإنسان من عناصر ضعيفة البنيان من تكرير وتركيب من الماء والتراب والهواء والنار، فتحصل الأمزجة الأربعة: الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة. ويوماً بعد يوم يحصل له الإستعداد للإشراق وتعلّق وتصرّف النفس فيه.

ففي البداية يكون النبات، وبعد صيرورة النبات يصير طعام الحيوان ويحصل له في المزاج الحيواني استعداد لإشراق النفس فيه، ثم يصير ذلك الحيوان غذاء للإنسان ويحصل من ذلك الغذاء مزاج فيصير بأنواع التصفيات منياً ونطفة، ثم يجعل في قرار مكين هو الصلب.

فنرى أنّ كلّ حيوان أباح الشارع الأنور الأطهر لحمه فهو حيوان يأكل النبات؛ وذلك حتى يحصل السير في المراتب والاستعداد الكامل لإفاضة النفس. إذن من الجماد إلى النبات ومن النبات إلى الحيوان ومنه إلى الإنسان.

وحرّم كلّ حيوان مفترس آكل للحوم؛ لأنّه يمرّ في مرحلة النباتية أو أن

---

(١) الأعراف ٧ / ٣١.

(٢) البقرة ٢ / ١٩٥.

تعاطيه مع النبات قليل جداً؛ ولذا اعتبر الشارع المقدس[1] أكل اللحم مستحبّاً وقال: أحبّ من دنياكم ثلاثة: اللحم والنساء والطيب. كما جاء في بعض الأخبار أو الصلاة بدل الطيب كما في أخبار أُخر.

وبالجملة: ترك أكل اللحم غير مرضٍ وخصوصاً مدّة أربعين يوماً؛ لأنّ تأثير كلّ شيء في مزاج الإنسان يبقى إلى أربعين يوماً وبعد الأربعين يزول بالكلية، وفي المدّة التي لا أثر فيها للحم يزول ذلك من مزاج الإنسان، والمزاج الحيواني مقدّمة ومقوم للنفس والمزاج الإنساني ولا ينفكّ عن الإنسانية. والذين يجتنبون أكل اللحم في الأربعين مدّعين أنهم يبتعدون عن الحيوانية، ولعلّهم يعثرون على طريق إلى عالم الملكوت، فهؤلاء لم يفهموا أنّهم بذلك يبتعدون عن عالم الإنسانية الجامع للملك الحيواني والملكوت الملكي، وتزول منهم خاصيّة الإنسانية وإن كانوا قد يكتسبون خاصيّة ويعثرون على طريق ما إلى عالم الملكوت، لكن وهمهم أنّهم في عالم الإنسانية يعثرون على طريق إلى الملكوت ليقربوا من محضر الله تعالى.

ومن هنا منع في شريعة خاتم الأنبياء ﷺ عن الرهبانية بل يجب مع هذه العوائق والعلائق العثور على طريق إلى الله وهذا أفضل؛ ولذا منع علماء الشرع النبوي من هذا النحو من الرياضة مع أنّه لم يرد عن الشرع أمثال هذه الكيفيات، وهو أعلم بالواقع منهم مع أن هدف النبي والأئمة عليهم السلام هو قطعاً التكميل ولا يضنون ولا يبخلون في ذلك؛ ولذا فإنه ورد عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في الذم والقدح والطعن واللعن والتبرّي من الصوفيين المفسدين ١٦٠٠ حديث جمعها الشيخ الحرّ العاملي في كتاب، بل إنّ بطلان مذهبهم ومشربهم إجماعي، بل من ضروريات مذهب الإمامية.

---

(١) المقصود الرسول ﷺ. (المترجم).

ومن البراهين على أنّ الرياضات الصوفية ليست على طبق الواقع: أنّ أهل الكشف والشهود يختلفون في الاعتقادات والأحكام العقلية والشرعية وبينهم خلاف وشقاق في ذلك، فبعضهم يرى الأصالة للوجود، وبعضهم يرى أصالة الماهيّة، وبعضهم ذهب إلى وحدة الوجود، وبعض خالف ذلك، بعضهم سنّي وبعضهم شيعي، مثل: محيي الدين بن عربي وهو من أهل المكاشفة وسنّي، والملّا صدرا الذي هو أيضاً من أهل الكشف والشهود وشيعي.

والغالب أيضاً أن ترد إلى أذهانهم خيالات واهية بسبب رياضة البدن فتضعف القوى، مثل ما يقول محيي الدين بن عربي: إنني عرجت إلى السماء الثانية وعلي في السماء الأُولى، فقلت لعلي: إنك كنت ترى نفسك في الدنيا أفضل من جميع الخلفاء وأنت الآن في مقام أدنى منهم؟ فلم يكن عند علي جواب.

وقال الشيخ أحمد الأحسائي في هذا المقام: إنّ محيي الدين لم يكذب؛ لأنّه رأى علياً عليه السلام بمرآة خياله وهي مرآة معوجّة، ولو نظرت في مرآة حمراء فسترى الصورة فيها حمراء، ولو نظرت في مرآة صفراء أو معوّجة أو عريضة فسترى الصور فيها كذلك، مثل الشمس التي تشرق على زجاج النوافذ فتظهر بألوان مختلفة، فمن الزجاج الأحمر يكون الشعاع أحمر، ومن الأصفر أصفر، والأخضر أخضر، والأبيض أبيض وهكذا، ولم يكن في خيال محيي الدين إلا مفضولية علي فرآه في خياله.

ونعم ما قيل: رأيت علياً في الظلام ففضّلت عليه غيره.

وعندي في هذا المقام حكاية لا تخلو من لطافة وهي: أنني عندما كنت مشتغلاً في دارالسلطنة إصفهان بتحصيل العلوم ـ ومع استعجال ـ وذلك بعد الرجوع من العتبات العالية صرت أطلب الإطلاع على كلّ علم وأبحث عن الأساتذة في كلّ

علم إلى أن طلبت علم الجفر، فكان في المنطقة شيخ عزيز على اطلاع بالرمل وعلم الأعداد والجفر لكن إجمالاً دون أن يتمّ أياً منها، فعلّمني بعض اصطلاحات العلوم التي يعرفها، ثم أرشدني في علم الجفر إلى الملا أبي طالب اللواساني الذي أمضى شبابه حتى مشيبه في مدرسة «نيم آورد»، وكان في الجفر من مشاهير ومعروفي تلك الديار وفي غاية الاشتهار، وله معرفة مع والدي الماجد، فطلبت منه أن يعلّمني قواعد الجفر، فقال لي: هل قمت برياضة[1] ما؟ فقلت: لا. فقال: تعلّم هذا العلم دون رياضة لا يتمّ، وقد علّمت في سابق الأيام شخصاً لم يمارس رياضة فعوتبت على ذلك وندمت. فقلت له: الرياضة لا تلائم المزاج وتوجب الأمراض. فقال: ائتني في وقت آخر لأسأل الجفر عن ذلك، فإن جاء الجواب بالايجاب علّمتك، وإلاّ فلا.

وفي الوقت المحدد ذهبت إليه، وكان قد كتب رقعة: هل أُعلّم ذلك الشخص التنكابني أم لا. فخرجت أن لا تقل شيئاً لمن ليس من أهل الرياضة. فقال لي: اشتغل بالرياضة حتى أُعلّمك. فقلت: إن كان المراد من الرياضة ما يوافق الشرع فلاضير عندي في ذلك، وإني وإن لم أقم بذلك حتى الآن لكني سأقوم بذلك، وإن كان المراد الرياضة الصوفية التي لا أراها جائزة فاثبت لي أولاً أنّها جائزة مشروعة، ولن يكون هناك مضايقة منها.

والأعجب أنّه في تلك الأوقات كان يأتيه الميرزا ابراهيم المستوفي في إصفهان، وكان يتعلّم منه علم الجفر مع أنّه كان من أهل العصيان، ولباسه وطعامه وشرابه ومكانه غالباً من الحرام. ومع أنني في بداية التكليف إلى زمان دخول المدرسة والتحصيل عند العلماء الأعيان، ومع أنني لم أكن من أهل الرياضة وكان الميرزا ابراهيم المستوفي من أهلها، لكن القادر المتعالي قد علّمني ما عند الملاّ أبو طالب

---

(١) من الواضح أن المراد بالرياضة الرياضة النفسية. (المترجم).

اللواساني بعدّة وسائط، وكتبت رسالة في علم الجفر.

وقد اشتغل الشيخ أحمد بالجمع بين قواعد الشرع والحكمة، وحاول تطبيق المعقولات مع المنقولات؛ ولذا صار محلّ طعن وتكفير؛ لأن أكثر قواعد المعقول لا يمكن تطبيقها مع الظواهر الشرعية.

والحاصل: أنّ الشيخ أحمد تميّز عن أهل الزمان وصار المسلّم عند الكل، لكن لم يكن له وقع عند الحكماء، ولم يروا له فضيلة ومعرفة بالمعقولات. وقد سئل الآخوند الملّا علي عن فضيلة الشيخ فقال: عامي صافي الضمير.

وكان الشيخ أحمد في كلّ بلد مطاعاً وممجّداً، وقد خصّصه سلطان العصر المرحوم فتح علي شاه غاية التخصّص، بل كان السلطان يسأله عن أُمور وكتب رسالة في أجوبة تلك المسائل، وكان إذا دخل بلداً يتلقّاه علماء ذلك البلد في غاية الاحترام ويصلّون الجماعة معه، إلى أن جاء إلى قزوين ونزل عند الملّا عبد الوهاب، وكان يصلي في النهار في مسجد الجمعة ويحضر علماء قزوين كلهم ويقتدون به، والملّا عبد الوهاب من مريدي الشيخ، واعتقد أنّه لم يكن متعمّقاً في حقيقة اعتقادات الشيخ.

ثم بدأ الشيخ بزيارة علماء قزوين ويرافقه العلماء فذهب يوماً لزيارة الشهيد الثالث الملّا محمّد تقي وبعد المجاملات المعروفة قال الشهيد للشيخ: إنّ رأيك في المعاد موافق لرأي الملّا صدرا. فقال الشيخ ليس كذلك بل رأيي غيره. فقال الشهيد لأخيه الأصغر الملّا علي: اذهب إلى المكتبة وائتني بكتاب الشواهد الربوبية. ولما كان الملّا علي من تلامذة الشيخ أحمد تساهل وتباطأ عن إحضار الشواهد الربوبية. وقال الشهيد الثالث للشيخ: لن نتناقش الآن في وحدة رأيك ورأي الملّا صدرا في المعاد لكن قل لنا رأيك في المعاد ما هو؟ فقال الشيخ: اعتقد بالمعاد للجسم

المثالي[١] وهذا الجسم في هذا البدن العنصري مثل الزجاج في الحجر. فقال الشهيد: إنّ البدن المثالي ليس عنصراً، وضرورة دين الإسلام أن الذي يعود يوم القيامة هو هذا البدن العنصري لا البدن المثالي. فقال الشيخ: مرادي هو هذا البدن.

وعندما حميت المناظرة بينهما دخل بعض تلامذة الشيخ وهو من أهل تركستان مع الشهيد في الجدال يريد المحاجة والمجادلة لا الاستكشاف والحقيقة، فسكت الشهيد ثم تبدّل الاجتماع إلى افتراق والوفاق إلى شقاق، وخرجوا وذهب الشيخ في ذلك اليوم إلى المسجد للصلاة، فلم يذهب معه أحد من العلماء ولم يأتوا إلى المسجد إلا الملّا عبد الوهاب فطلب الملّا عبد الوهاب، من الشيخ أحمد أن يكتب رسالة في المعاد وإعادة البدن العنصري حتى ترتفع الشبهة، فكتب الشيخ رسالة لكنها لم تنفع.

وبدأت همهمة في تكفير الشيخ تنتشر في قزوين. وجمعت تلك الرسالة في أجوبة المسائل للشيخ وطبعت في دار الطباعة وعندما اشتدّ أمر تكفير الشيخ ـ وكان الشيخ رجلاً معروفاً مسلماً ـ أراد حاكم المدينة ابن السلطان ركن الدولة الميرزا علي تقي أن يدفع عن نفسه السوء، إذ حصل ذلك في قزوين، وهذا لن يسعد السلطان أبداً، فسعى في تبديل الشقاق إلى وفاق ودعا العلماء في ليلة إلى الضيافة، ومن بينهم الشهيد والشيخ. وفي المجلس جلس الشيخ في الصدر ثم الشهيد، لكن كانت بينهما فاصلة، وعندما وضعوا المائدة وضعوا للشهيد والشيخ سفرة واحدة، لكن الشهيد لم يشارك في هذه السفرة، وكان يتناول الغذاء من سفرة أُخرى، وعند

---

(١) التعبير بالفارسية «هورقليا» أي العالم الآخر كما سيأتي شرحه في المتن وترجمته هنا بالمثالي، وقد يكون. المقصود الجسم الذي تلبسه الروح يوم القيامة بعد البرزخ. والجسم المثالي قد يقصد منه الجسم الذي تلبس به الروح في البرزخ. وليعلم أنّ الجسم في هذه المصطلحات ليس بالمعنى المادي للكلمة. (المترجم).

الجلوس وضع يده على جهة من وجهه المحاذية للشيخ.

وبعد انتهاء الطعام قال الأمير المضيّف مفتتحاً الكلام: إنّ الشيخ من رؤوس علماء العرب والعجم واحترامه لازم، والشهيد أيضاً لا يجوز التقصير في احترامه، فيجب قلع كلام المفسدين بين هذين العالمين وقطع شجرة العناد وقمعها. فقال الشهيد: إنّه لا إصلاح ومصالحة بين الكفر والإيمان، وللشيخ مذهب في المعاد يخالف ضرورة من ضروريات دين الإسلام، ومنكر الضروري كافر، ومهما أصرّ الأمير في إنجاح أمر الصلاح فلم يكن ينتج من الإصلاح إلا السلاح.

وانقضى المجلس والشهيد أكثر تأكيداً وتشديداً في تكفير الشيخ إلى حدّ أنني كنت يوماً حاضراً في مكتبته، فادّعى شخص الوصاية من شخص وأنكر وارثه ذلك وقالوا: إنّ هذا الشخص شيخي. فحكم الشهيد بفساد الوصية والوصاية، ونظر إلي وقال: إنّ هذه الطائفة توافق الفلاسفة، ويعتقدون أنّ الفاعل الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، وصاحب هذه العقيدة كافر. فسكتّ.

والحاصل: أنّ تكفير الشهيد بلغ غاية الاشتهار واشتهر في كلّ الديار، فلم يبق الشيخ في قزوين وخرج إلى العراق عازماً على الذهاب إلى مكة، لكن عندما وصل إلى البصرة توفي فيها.

وكان خالي المفضال السيّد أبو الحسن ابن السيّد محمّد حسين التنكابني من أرشد تلامذة الشيخ، وكان قد كتب رسالة في العلم عرضها على الشيخ، فكتب الشيخ شرحاً عليها؛ وكان من أرشد تلامذة الشيخ بعد السيّد أبو الحسن السيّد كاظم الرشتي أصلاً الكربلائي مسكناً.

وعندما شاع خبر تكفير الشيخ، وقد توفّي في زمان المرحوم السيّد مهدي ابن السيّد علي صاحب الرياض، فلم يكن يفتي السيّد مهدي لسنين من شدة التقوى،

فطلب منه الناس أن يعيّن لهم تكليفهم تجاه الشيخ بعد أن حكم الشهيد الثالث بكفره، فعقد السيّد مهدي مجلساً حضره شريف العلماء والملّا محمّد جعفر الاسترآبادي والسيّد كاظم، وجرت مناظرة مع السيّد كاظم وأخذت عبارات من كتاب الشيخ التي هي في ظاهرها كفر، وأقرّ السيّد كاظم بأنّ ظاهرها هو ذلك لكن الشيخ لم يرد من هذه العبارات ظواهرها، بل لهذه الكلمات تأويل هو مراد الشيخ، فقالوا له: لسنا مأمورين بالتأويل إلا في آيات القرآن وأخبار النبي وآله الأطهار، وإلّا فإن كلّ كافر إذا تكلّم بكلمة الكفر فإنّه لا محالة يوجد تأويل. فقالوا للسيّد كاظم: اكتب إنّ ظاهر هذه العبارات كفر، فكتب السيّد كاظم ذلك وختمه بختمه.

ثم إنّ السيّد مهدي وإن لم يفتِ لكن بشهادة هذين العدلين: شريف العلماء والملّا محمّد جعفر الأسترآبادي، حكم بتكفير الشيخ، ثم ذهب إلى المسجد ليعظ الناس وقال: ظهرت في هذا العصر ذئاب تلبس لباس الغنم تفسد دين الناس، وهو الشيخ أحمد الأحسائي ومن تبعه، وهم كفّار. ثم شاع تكفيره.

والعلماء الذين كفّروا الشيخ وتابعيه أولهم الملّا محمّد تقي القزويني، ثمّ السيّد مهدي والملّا محمّد جعفر الاسترآبادي والملّا الدربندي وشريف العلماء وأُستاذنا السيّد إبراهيم والشيخ محمّد حسين صاحب الفصول والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، بل كفّره أكثر فقهاء عصره.

وما خالف فيه الشيخ من المسائل التي أوجبت تكفيره عبارة عن عدة مسائل:

المسألة الأُولى: اعتقاده بالمعاد للجسم المثالي

وتحقيق الكلام: أنّ حكماء الإشراق يعتقدون بعالم المثال وأثبتوه بمكاشفاتهم،

ويعبّرون عنه بتعابير مختلفة: عالم المثال، عالم الأشباح، عالم الأظلّة، جبل قاف، الإقليم الثامن، مدينة جابلقا وجابلسا أو جابرسا ولفظ «هورقليا» بضم الهاء وفتح الواو وسكون الراء وكسر القاف وسكون اللام، والبعض يقرؤها بضم الهاء وسكون الواو وهذا غلط مشهور.

وفي السنة التي سافرت فيها إلى خراسان ووصلت إلى سبزوار جمعت عدّة مسائل في الحكمة والتفسير في رسالة حوت الإشكالات العويصة، وذهبت إلى الملّا هادي السبزواري، وكان من معروفي حكماء الزمان ومن تلامذة الآخوند الملّا علي النوري وقد جاوز عمره التسعة والخمسين، وكان صاحب كرامات، وينسبون إليه الإكسير، وكان أزهد أهل الزمان، ولم يكن يقبل شيئاً من أحد، ولم يذهب للتنزّه، وكان يملك مقدار قوته وقوت عياله بنحو متوسّط، وكان مع هذه الحال ينفق المال الجزيل على الفقراء؛ ولذا نسبوا إليه الإكسير وينقل أهل ذلك البلد عنه كرامات كثيرة.

وعندما قدّمت له رسالة الأسئلة نظر فيها وقال: أولاً: فلان جامع وقادر على ردّ هذه الشبهات. وثانياً: إن عمري لا يسمح لي بالتفكير وتحرير جواب هذه المسائل. ثالثاً: إني مشتغل بالتدريس، وكتابة أجوبة هذه المسائل يوجب تعطيل الدرس. رابعاً: هذه المسائل في غاية الإشكال، والشخص الفلاني على عجلة من أمره وسيسافر ولن يستطيع أن يعطي الأجوبة بالتفصيل.

وعندما رجعت من هذا السفر تحدّثت مع الميرزا محمّد حسين مجتهد الساروي والملّا محمّد أشرفي عمّا دار بيني وبين الملّا هادي، فاعتقدوا أنّه خشي إن كتب جواب هذه المسائل أن يكفّر؛ لأنّه هو أيضاً موافق الملّا صدرا ويشاركه في فساد العقيدة، فقلت: إن برز اليوم بعض أهل الأديان الباطلة لإلقاء الشبهات في

الإسلام، هل لديكم غير الملّا هادي والملّا الدربندي من يشمّر عن ساعده ليردّ الشبهات ويبقى دين الإسلام مستحكماً حتى تتمسّكوا بأصل البراءة والاستصحاب. فأُعجبوا بالكلام ووافقوا.

وبالجملة: ذهبت فيما بعد لزيارة الملّا هادي، فسألني عدّة أسئلة واستفسر عن أحوال العلماء والحكماء؛ ولما كان الملّا السيّد حكيم القزويني من تلامذة الآخوند الملّا علي النوري لكنه من تلامذة الدورة الأُولى، وكان الملّا هادي من تلامذة الدورة الثانية، ولم يكن قد التقى به، سألني عن الملّا السيّد وعن فضيلته إلى أي حدّ؟ فقلت له: عالم كبير وفي المعقول كأنّه سبق الجميع. فقال الملّا هادي: أنا لم أره واعتقادي أنّه فاضل، لكن سمعت أنّه يدرّس شرح الزيارة للشيخ أحمد، فصار في اعتقادي فتور من جهته؛ إذ ليس الشيخ أحمد بهذا المستوى بحيث يدرّس كتابه شيخ فاضل. فقلت له: ألم تدرّسوا شرح تصريف الآخوند الملّا سعد؟ فقال: نعم. فقلت: وهذا لا يدلّ على أنّ الملّا سعد يجب أن يكون أفضل منكم. والحال أنّ الأمر ليس كذلك وإنّما طلبوا من الملّا السيّد أن يدرّس شرح الزيارة للشيخ فأجابهم إلى ذلك.

ثم سألني عن سبب تكفير الشيخ أحمد، فقلت: كان كلام المكفّرين أنّه يوافق الملّا صدرا في مذهبه في المعاد. فقال: كفّروا أيضاً الملّا صدرا؟ قلت: تكفيره جارٍ على ألسنة العلماء الأعلام من قديم الأيام. فقال: الملّا صدرا يقول بالمعاد الجسماني. فقلت: نعم ذكر في الشواهد الربوبية ألحق أنّ المُعاد في المعاد هو الجسم العنصري لكنّه في مقام التفصيل لم يبق العنصري، إضافة إلى أنّه في كتاب شرح أُصول الكافي وفي تفسير سورة البقرة وفي الأسفار يقول بانقطاع العذاب ولا يقول بالخلود، ويقول: إنّ فرعون مات مؤمناً موحّداً، ويقول بوحدة الوجود وغير ذلك من الهفوات والترهات. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جالس في سبزوار كمن لم

يسمع صياح الديك ولا يدري أنهم كفّروا الملّا صدرا.

والحاصل: أنّه سألني: لماذا كفروا الشيخ أحمد؟ فقلت له: لأنّه يقول بالجسم الهورقليائي. فقال: «هور» بسكون الواو؟ قلت: سمعت من بعض تلامذة الآخوند الملّا علي النوري أنّه قال: هور بسكون الواو غلط مشهور والصحيح فتحها. فقال الملّا هادي: لا بد من برهان قاطع. فقلت: البرهان القاطع في لغة الفرس، وقال الآخوند الملّا علي النوري: إنّ «هورقليا» لفظ يوناني بمعنى العالم الآخر.

ثم سألني الملّا هادي عن تأليفاتي فبيّنت له قسماً منها، ثم قال لي: عندي ولد صغير يدرس علم الأُصول فأرسل له منظومتك في الأُصول.

وبالجملة: عالم المثال تحت فلك القمر، وهو أجسام خالية من المادة، وهذه العبارة عن النسخة وفيها غلط. وكلّ جسم ليس حاجباً عمّا وراء الذات ونعتقد أنّ الروح بعد الافتراق عن البدن تكون في قالب مثالي، وهناك صبح وعشاء بدليل ﴿لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾(١). والإمام الصادق عليه السلام استدلّ بهذه الآية على عالم البرزخ.

واعتقادنا أنّ الروح بعد افتراق البدن تصير في عالم المثال، في بدن مثالي فإن كانت من أهل النجاة تتنعّم، وإن كانت من أهل العذاب تتألم، ثم تذهب إلى عالم الآخرة وهناك تحشر بالأبدان العنصرية. ومعلوم أنّ البدن العنصري يجب أن يكون عنده استعداد للبقاء الأبدي، والروح يجب أيضاً أن تكون مستعدّة للبقاء الأبدي. إذن يجب أن يكون هناك برزخ ومحلّ ليس مثل هذه النشأة الفاسدة الكاسدة الفانية، كما لا يكون مثل النشأة الأُخروية باقية، بل بين بين حتى لا يلزم الطفرة، وذلك هو البرزخ وعالم المثال، ومن هنا يقولون: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يأتي

---

(١) مريم ١٩/ ٦٢.

وقت احتضار كلّ محتضر يقف على رأسه مؤمناً كان أم منافقاً. ويدلّ عليه شعره وهو في غاية البلاغة والفصاحة:

يا حـار همـدان مـن يمت يـرني	مـن مـؤمن أو مـنافق قـبلا
يـعرفني طـرفه وأعـرفه	بـنعته واسمـه ومـا فـعلا
وأنت عـند الصراط مـعترضي	فـلا تخـف عـثرة ولا زللا
أقول للنار حين توقف للـعرض	ذريـه لا تـقربي الرجـلا
ذريـه لا تـقربيه إن له	حـبلاً بحـبل النـبي مـتّصلا
أسـقيه مـن بـارد عـلى ظـمأ	تخـاله في الحـلاوة العسـلا
قول عـلي الحـارث عـجب كـم	ثم أعـجوبة له حمـلا

وقال علم الهدى السيّد المرتضى لقاعدة أنّ الجسم لا يمكن أن يوجد في أمكنة متعددة: إنّ المراد من حضور عـليّ ﷺ لرؤيـة المحـتضر ثمـر الولايـة ومحـبّة الولي لا حضور شخص الإمام ﷺ.

ونحن نقول: كلّ محتضر يرى الإمام مثل ما يرى الشمس كلّ شخص عندما تشرق على مكان، فإنّ الجميع في كلّ بلد يراها بأشعّتها وأنوارهـا، فـنقول: كـلّ شخص يرى الإمام ﷺ بالبدن المثالي؛ لأنّ النـفوس القـدسية القـاهرة ذات قـوّة وقدرة وإحاطة بحيث تستطيع نفس واحدة التصرّف في أبدان متعدّدة، مثل نفوس الأنبياء والأولياء ونحوهم. وعلى هذا الوجه حُمل وجود أمير المؤمنين ﷺ في ليلة في سبعين مكاناً للضيافة، وحضوره عند كلّ محتضر، ورؤية موسى ـ بعد صعقه عند تجلّي النور الإلهي الذي كان في الحقيقة نـور كـروبين، وهـو مـن خـلصاء شـيعة أمير المؤمنين ﷺ من الملائكة ـ لسبعين ألف موسى فوق سبعين ألف جبل عـقيق، والجميع لبس لباس الصوف وبـيدهم العـصا، والجـميع يـقول: رب أرني. فسأل موسى جبرئيل: هل من موسى غيري، ومن هم هـؤلاء؟ فـقال جـبرئيل: هـذه

أبدانك المثالية.

وعلى هذا يحمل ما رواه ابن جمهور في كتاب «المجلى» من أن طلحة سقط في معركة الجمل وبقي فيه رمق فسئل: من قتلك؟ فقال: علي. فقيل له: علي واقف في المكان الفلاني وهو لم يقتلك. فقال طلحة: قتلني علي، وجميع المقتولين قتلهم علي، ألا ترون علياً هنا وهناك في الأمام والخلف عن اليمين وعن الشمال؟ نعم قد انكشف لطلحة، وانطبقت عليه ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]، ورأى الأبدان المثالية لأمير المؤمنين عليه السلام.

وقد دلّت على عالم المثال الأخبار الواردة مثل دعاء: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»، فقد دلّ على أنّ كلّ ما يصدر من الإنسان في عالم الشهادة فإنّ هذا العمل يحدث من بدنه المثالي، فإن كان خيراً فتراه جميع الإبدان المثالية، وإن كان شرّاً فاللّه تعالى من كرمه يلقي ستراً، فلاترى سائر الأبدان المثالية ذلك الفعل القبيح فيخجل ذلك الشخص. والشيخ البهائي ـ زيد بهاؤه ـ ذكر هذا الحديث في كتاب الأربعين ووضح عالم المثال. وفي أُصول الكافي ـ وهو من الكتب الشيعية الأربعة المعتبرة ـ ذكر تقريباً عشرين حديثاً في باب عالم المثال.

وبالجملة: عقيدة الشيخ أحمد أنّ جسم الإنسان مركّب من أجزاء، أُخذ جزء من كلّ فلك من الأفلاك التسعة ومن كلّ عنصر من العناصر الأربعة وتركّب منها، وعندما تفارق الروح البدن يعود كلّ جزء من الأجزاء العنصرية إلى مركزه ولا يبقى منها شيء، والذي يعود الأجزاء الفلكية وهي التي تحشر في المحشر، وبهذا الوجه تفصّى عن شبهة الآكل والمأكول بأنّ المأكول من الأجزاء العنصرية وهي لا تعود، وما يعود الأجزاء الفلكية ولن تصير من أجزاء بدن الآكل.

---

(١) ق ٥٠/ ٢٢.

وذهب المتكلّمون في حلّ شبهة الآكل والمأكول ـ مثل العلّامة الحلّي أعلى الله مقامه وأُستاذه المحقّق الطوسي في التجريد ـ إلى الأجزاء الأصلية، وأن المادة المنوية ـ النطفة ـ تزيد وتنقص ولا تصير جزءاً من بدن الآكل، وتلك الأجزاء الأصلية تعود، وما يصير من أجزاء بدن الآكل الأجزاء الزائدة لا الأصلية. ولا شك أنّ ظاهر هذا التحقيق الذي ذكره الشيخ مخالف لضرورة دين الإسلام، بل إنّ عود الأجزاء العنصرية ضروري.

المسألة الثانية: اعتقادة بالمعراج للأجزاء الفلكية من الجسم

وبالنحو السابق كان مذهب الشيخ أحمد في المعراج، ويقول: إنّه عندما عرج خاتم الأنبياء ترك الجزء الترابي والمائي على الأرض، وألقى بالجزء الهوائي في الفضاء، والجزء الناري في كرة النار، وذهب بالأجزاء المأخوذة من الأفلاك التسعة؛ ولذا لم يلزم خرق والتيام. وهذه هي العبارة: «فلمّا وصل إلى كرة الهواء فألقى فيها ما هو منها وهكذا»، وجميع كرات العناصر قال عنها الكلام نفسه، وهذا خلاف ضرورة دين الإسلام؛ لأنّ اعتقادنا أنّ خاتم الأنبياء قد عرج إلى السماء بهذا البدن العنصري وهذا اللباس الذي كان عنده في الأرض، وكان قد اصطدم بإبريق فأخذ الماء يخرج منه، فعرج وعاد ولم يفرغ الإبريق من الماء بعد، بل عرج بنعلي قدمه المباركة وأراد رعايةً للأدب أن يترك نعليه، فأمره اللّه تعالى أن يأتي بنعليه والعرش يتزين بنعليك. فالمعراج إنّما كان مع هذه الأجزاء العنصرية واللباس والنعلين.

وأمّا الخرق والالتئام فإنّ براهين الحكماء في هذا الباب مختصّة بالفلك التاسع لا باقي الأفلاك، وإضافة إلى ذلك نقول: إنّ جسم رسول اللّه كان أنظف من الجسم الفلكي ولهذا لم يلزم خرق؛ لأنّ جرم الفلك محاط، وبدن النبي ﷺ الطاهر محيط،

والمحيط أشرف وألطف من المحاط، مثل الجن يتمكّنون من الدخول إلى بيت مقفل دون أن يلزم خرق والتئام في الحائط.

أضف إلى ذلك عدم خلو براهين امتناع الخرق والالتئام من الخلل. وهذه المسألة هي المسألة الثانية من المسائل الخلافية بين الشيخ أحمد والفقهاء.

المسألة الثالثة: اعتقاده بأنّ الأئمة عليهم السلام هم العلل الأربعة

يعتقد الشيخ أحمد أنّ الأئمة عليهم السلام هم العلل الأربعة: الصورية والغائية والمادية والفاعلية، وهذا خلاف ضرورة مذهب الإمامية وإن كان الشيخ يقول: الأئمة عليهم السلام فاعلون بإذن اللّه تعالى مثل الوكيل والموكل. فمقام الأئمة مقام المشيئة عنده، وهو الأقوى؛ لأنّه بالنظر إلى الأخبار مقام الإمام مقام المشيئة والفعل.

ويقول: خلْق اللّه للعالم وخلْق الأئمة للعالم مثل هذه الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم﴾[١] والأئمة عليهم السلام يد اللّه. ويقول: لماذا يستبعدون خالقية الأئمة والحال أنّ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللّهُ أَحسَنُ الخَالِقِينَ﴾[٢] يدل على أنّ غير اللّه هناك خالق آخر، وقول اللّه تعالى في عيسى روح اللّه: ﴿وَإِذ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[٣] شاهد على هذا المعنى، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا خالق السماوات والأرض» دليل على هذا المطلب، وإذا خلق اللّه شخصاً يخلق بإذنه السماء والأرض، شخصاً قادراً على ذلك، فهذا أدخل في اللطف وأدلّ على كمال قدرة اللّه، والناس تذعن أكثر لهذا الأمر.

---

(١) البقرة ٢ / ٧٩.
(٢) المؤمنون ٢٣ / ١٤.
(٣) المائدة ٥ / ١١٠.

وقد سمعت هذا التقرير شفهياً من السيّد كاظم لأنّني حضرت مجلس درسه مدّة من الزمن، وهذه الكلمات والاستدلالات أوهن من بيوت العنكبوت، لكن إجمالاً فإنّ الأخبار الكثيرة وردت عن الأئمّة الأطهار ـ عليهم صلوات اللّه الملك الجبار ـ بأنّ نسبة الخلق والرزق إلى الأئمّة توجب الكفر والضلالة والأئمّة منعوا من ذلك. وهذه الفئة التي تعتقد بذلك يسمّونها مفوّضة الخلق، وهم يقولون: إنّ اللّه فوّض أمر الخلق والرزق إلى الإمام. وقد صدر توقيع عن صاحب الأمر، وهو ـ روحي فداه وعجل اللّه فرجه ـ أنّ كلّ من ينسب إليّ وإلى آبائي مثل هذه النسبة فإننا براء منه، وهذه عبارته عليه السلام: «فأنا وآبائي منه براء». والعلّامة المجلسي كسائر العلماء كفّر هذه الطائفة.

والحقيقة أنّ هذه الطائفة كافرة، والشيخ أحمد يقول: أنا لا أقول بالتفويض بل أقول: إن اللّه خلق والأئمّة بمنزلة اليد. والظاهر أنّ هذا الكلام مجرّد تغيير في العبارة، والأخبار تشمل هذا المعنى والمعنى الأول، وإذا فرض ورود أخبار على خلافه فلابدّ من طرحها، بل لو فرض أنّ تلك الأخبار والأحاديث متواترة فإنّها معارضة مع ضروري من ضروريات المذهب.

أمّا التفصيل:

فأوّلاً: قال: إنّ مقام الإمام عليه السلام مقام المشيئة.

فنقول: صحيح أنّ مقام الإمام مقام المشيئة، لكن معنى ذلك أنّ الإمام مظهر المشيئة، وأنّ المشيئة الإلهية تظهر بالإمام بمعنى أنّ كلّ ما يريده الإمام فاللّه يريده، وكلّ ما لا يريده الإمام فاللّه لا يريده، وكلّ ما لا يريده اللّه فالإمام لن يريده، لا بمعنى أنّ الإمام هو حقيقة إرادة اللّه وأنّ المشيئة مثل اليد، فالإمام يد اللّه بمعنى مظهر قدرة اللّه لا أنّه نفس القدرة، فالمراد المظهر والمحل كما ورد في بعض الزيارات:

«السلام على محالّ معرفة اللّه مشيئة اللّه» فمشيئة اللّه مثل يد اللّه وحبيب اللّه وعين اللّه وأُذن اللّه ونفس اللّه ونحوها، فهنا لا يلزم أن يكون الإمام خالق السماء والأرض.

وثانياً: في باب يكتبون الكتاب بأيديهم.

نقول: إنّ كتابة الكتاب باليد هذا صحيح، لكن ذكرنا في السابق أنّ اليد مظهر لا أنّ حقيقة الإمام أنّه يد اللّه حتى تكون خلقة العالم باليد وتوجب صحّة انتساب الفعل إلى اليد، إضافة إلى أنّنا لو فرضنا أنّ الإمام حقيقة اليد لكن بالنظر إلى قانون اللغة والمحاورات العرفية لا يصحّ نسبة الفعل إلى اليد، ولا يمكن القول: اليد كاتبة، بل الكاتب هو الإنسان ذو اليد لا اليد، بل اليد بمنزلة الآلة إلّا أن يكون الإسناد مجازياً ومجازاً عقلياً من باب الإسناد إلى الآلة الذي هو إسناد إلى غير ما هو له وظاهر ما هو المعنى، حينئذٍ وبالتأكيد هذا المعنى ليس هو مراد الشيخ.

وثالثاً: في باب ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1] الذي تمسك به الشيخ.

فهذا مجاز كما عبّر عن الملكين بالخالقين لتوليد النطفة في الرحم، وهذا مجاز لغوي ولا شك أنّ الخالقين جمع، وعلى فرض تحقّقه فلا يلزم أن يكون الملائكة خالقين؛ إذ لا يدلّ عليه لا بالدلالة المطابقية ولا التضمّنية ولا الالتزامية، وهذا من أوضح الواضحات.

ورابعاً: ﴿وإِذ تَخْلُقُ مِنَ الطِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ﴾[2].

نقول: هذا أيضاً مثل ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ لا يدل على المدّعى؛ لأنّه أولاً عيسى خالق مجازاً، وثانياً إذا خلق عيسى طيراً فهذا لا يدل على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) المؤمنون ٢٣ / ١٤.

(٢) المائدة ٥ / ١١٠.

أيضاً يجب أن يكون خالقاً للسماء والأرض، أضف إلى ذلك أنّ اللّه قال: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيرِ﴾. وهذا يعني أنّه لم يخلق الطير حقيقة.

وخامساً: «أنا خالق السماوات والأرض».

نقول: إنّ هذا الخبر موضوع وكذب محض وافتراء، ونقل هذا الخبر محمود علي دهدار في خطبة البيان وهي من الموضوعات، والشيخ رجب البرسي الصوفي نقله أيضاً في كتبه، ولم ينقله العلماء العظام ومشهورو الأعصار ومسلمو الأمصار عن العلماء الأخيار والفضلاء الأبرار ومحاسن الأئمة الأطهار، مثل: غوّاص بحار الأخبار العلّامة المجلسي أجلسه اللّه بمجالس الرضا والرضوان صاحب كتاب بحار الأنوار، والسيّد الرضي جامع خطب حيدر الكرّار صاحب نهج البلاغة، وثقة الإسلام الشيخ الكليني المشهور في الأقطار وأمثالهم. ولم نره في أي كتاب معتبر ولم نسمع به، بل صرّح بعض الأفاضل الكمّل بالوضع والكذب.

إضافة إلى أنّ رواية مع دراية خير من ألف رواية بلا دراية كما جاء عن أهل الهداية، والعقل المؤيد يتساءل: كيف يمكن لأمير المؤمنين؈ والناس لم تعترف به كخليفة رابع أيضاً إلا البعض أن يصعد المنبر ويقول: أنا خالق السماوات والأرض؟ بل لم تكن عنده الجرأة على أن يقول: أنا الخليفة بلا فصل.

والمناسب في هذا المقام أن ننقل المحاجّة بين الحاج محمّد كريم خان القاجاري مع الشيخ عبدالرحيم البروجردي. ومحمّد كريم خان من تلامذة السيّد كاظم ومؤسس الركن الرابع، والشيخ عبدالرحيم فقيه ومن تلامذة الشيخ موسى والمحقق الثالث الشيخ علي.

فقد جاء في بعض الأيام الحاج المذكور إلى دار الخلافة فرأى العلماء الترك وزاروه، فذهب يوماً الشيخ إلى منزل معتمد الدولة عباس قلي خان شبل الأسد

أمير الديوان لزيارته، وكان عباس قلي خان صاحب فهم، ولمؤلف الكتاب مناظرة معه أيضاً.

وعلى كلّ حال كان الحاج المذكور موجوداً في هذا المجلس قد جاء لزيارة عباس قلي خان، وبعد محاورات ومكالمات قال الحاج للشيخ: دخلنا دار الخلافة وعرف كلّ العلماء بذلك ولم يأتوا لزيارتنا، فلعله لأنّهم يعتبرونني ضالاً مضلاً. فقال الشيخ كلاماً حاصله لا أدري إن كنت ضالاً لكن لا خلاف في كونك مضلاً، لأنّك كتبت في كتابك «مرشد العوام» وذكرت على المنبر عدة مرّات أن علماء هذا العصر لا يفهمون كلامك ومطالبك؛ ولهذا السبب هم يكفروننا. ولا شك أنّ الكلمات والأخبار التي لا يفهمها علماء العصر لحاجتها إلى مهارة، فإن كتابتها في كتاب فارسي والعوام يأخذونها كالأنعام، وإلقاءها على المنابر في محضر الأكابر والأصاغر العوام والخواص وإظهار تلك الأُمور، بالتأكيد هذا يوجب الإضلال وضياع الخلائق وعباداللّه. ألم يرد عن الأئمة ﷺ: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم»؟! والعقل أيضاً دليل صدق وشاهد عدل على مضمون الخبر، وأيضاً قال الأئمة ﷺ: «ما كلّ ما يعلم يقال ولا كلّ ما يقال حان وقته».

فقال الحاج المذكور: إنّ أميرالمؤمنين ﷺ نفسه قال على المنبر: «أنا خالق السماوات والأرض» مع أنّ العوام والخواصّ كانوا حاضرين، فهم إذن سيضلّون. فقال الشيخ: كيف تعتقد بهذا الخبر في ذلك العهد الذي كان يعتقد البعض بكفر علي ﷺ مثل أهل الشام، والبعض لم يعترف به خليفة رابعاً، والقليل النادر يعتقد أنّه الخليفة بلا فصل بعد النبي؟ ففي مثل هذا العصر كيف يمكن أن يصعد علي ﷺ على المنبر ويقول: «أنا خالق السماوات والأرض»؟ الناس الذين لا يعتقدون بخلافته كيف يعتقدون بخالقيته؟ ولو أنّه قال هذا الكلام لقتلوه. فسكت الحاج المذكور.

وأمّا مناظرتي مع معتمد الدولة عباس قلي خان شبل الأسد فلا تخلو من لطافة ولذا نذكرها:

حضرت يوماً في مجلس اعتماد الدولة الصدر الأعظم الميرزا آغا خان مع النواب معتمد الدولة نائب الولاية والأمير فرهاد والأمير إيلخاني أبي الملوك كيومرث وجماعة من الأعيان، فدار حديث بين عباس قلي خان والأميرين ـ وكانا صاحبي فطانة وعلم ـ عن النجوم، فتحدّثت بمقتضى الظواهر الشرعية الحقّة الحقيقة وصرت في مقام تكذيب علم النجوم وذكرت الآيات والأخبار الدالة على ذلك، فقال عباس قلي خان: إنّ تأثير النجوم ظاهر ولا يمكن إنكار المشاهدات. قلت: الأمر ليس كذلك بحيث تكون الكواكب مؤثّرة في عالم الكون والفساد، بل جرت عادة اللّه على أنّه حين النظر الكذائي بين كوكبين مثلاً يخلق اللّـه تأثيراً فلانياً في عالم الكون والفساد؛ ولذا يقول الشهيد الأول في كتاب القواعد: كلّ من يعتقد أنّ الكواكب مدبرة هذا العالم فذلك الشخص عندنا كافر، والتعبير بـ«عندنا» يدلّ على أنّ كفر هذا الشخص أجمعت عليه فرقة الشيعة.

ثم شرعتُ في الأخبار حتى انجرّ الكلام إلى شعر ديوان الإمام علي ﷺ وقرأت هذا الشعر:

خوّفني منجم أخو خبل ... تراجع المريخ في بيت حمل
فقلت: دعني من أكاذيب الحيل ... المشتري عندي سواء وزحل
عوني بخالقي ورازقي عزّوجل

فقال عباس قلي خان: ليس «حمل» بل يجب أن يكون «الحمل». فأنكرت ذلك، وكان في المجلس ثلاثة أشخاص ملائيين بلا علم فوافقوا على كلام الخصم، فقلت: الموجود في ديوان البلاغة من النسخة الصحيحة على هذا النهج الذي قرأته.

فأنكروا غاية الإنكار، فانزعجت وقلت: في الأشعار عند الاختلاف ميزان وهـو علم العروض، وعندما نرجع إلى علم العروض نرى أنّه من بحر المتقارب، وهـذا البحر له ستة مستفعل، وكلّ مصرع منه فيه ثلاثة، فيكون كلّ مصرع مؤلّفاً مـن ثمانية عشر حرفاً، وكل بيت ستاً وثلاثين مثل ألفية ابن مالك، وإذا لا حظنا هـذا البيت في علم العروض وقطّعناه بدون الألف واللام فالمصرع ١٨ حرفاً، ومجموع البيت ٣٦ حرفاً، ومع الألف واللام أكثر، إذن يجب أن يكون بدون الألف واللام، فسكت الخصم.

وبالجملة: الاعتقاد بأنّ الأئمة عليهم السلام هم العلل الأربعة خلاف الأخبار المأثورة عن الأئمة الأطهار، نعم اعتقادنا أن النبي والأئمة عليهم السلام علة غائية لخلق الموجودات الإمكانية والأخبار الكثيرة تدل عـليه والحـديث القـدسي: «لولاك مـا خـلقت الأفلاك» دليل عليه.

وسادساً: قوله: إنّ خالقية الأئمة عليهم السلام لعالم الأمكان أدل على اللطف وعموم قدرة الله.

فجوابه أنّ هذا الكلام كلّه واهٍ وعارٍ من شائبة الصواب؛ لأنّ هذا دليل ظنّي وإثبات هذا الأصل العظيم بمثل هذه الدلائـل خـلاف ضرورة مـذهب الشـيعة، فلا يمكن الاستدلال به، كما أنّ هذا الكلام منقوض بأنّه إذا خلق اللّه تعالى في هذه الساعة وفي هذا المكان بحضور الأعـيان إنسـاناً بألف رأس، وفي كـلّ رأس ألف لسان، وكلّ لسان يسبح اللّه ويمجّده باللغات المختلفة لكان أدخل في اللطف بالأمّة، والناس أكثر إذعاناً واعترافاً بوجود الملك المنان عندما ترى مثل هذا الإنسـان، فإذن يجب أن يخلق اللّه مثل هذا الإنسان في هذا المكان وهذا الزمان مع أنّه غـير موجود. إذن هذه الأدلّة لا تفيد لإثبات المطلب.

ومن المناسب في هذا المقام أن نذكر حكاية رؤيا الملّا محمّد صالح للـنبيﷺ، وتفصيل هذا الإجمال: أنّ الملّا محمّد صالح البرغاني أخا الشهـيد الثـالث رأى في المنام رسول اللّه وسأله عن عدة أُمور، منها: مدرسة بناها يريد أن يزخرف محـل الدرس بالنقوش والذهب، فقال له الرسولﷺ: لا تفعل واتـركه عـلى بسـاطته أفضل. ثم سأله عن السبب في كون علماء الأزمنة السـابقة مـن أهـل كـرامـات ومكاشفات لكن في هذا الزمان سدّ هذا الباب، فأجابﷺ: إنّ العلماء المـتقدّمين قسّموا الأحكام إلى قسمين: واجب وحرام فيتركون الحـرام ويأتـون بـالواجب، والمكروهات والمباحات كانوا يـتعاملون مـعها مـعاملة المحـرّمات، أي يـتركون المباحات والمكروهات، والمستحبات يأتون بها كالواجـبات، وأنـتم المـتأخّرون جعلتم الأحكام على خمسـة أقسـام فـتركتم المسـتحبات وفـعلتم المكـروهات والمباحات، فانسدّت عليكم أبواب الكرامات والمكاشفات. ثم سأله عـن حـال الشيخ أحمد قائلاً: لست أدري فإن أحوال الشيخ أحمد هي تلك وقد صدرت منه بعض كلمات كفر. فتبسّمﷺ وقال: الشيخ أحمد يخطئ إذ يقول هذا الكلام. وسأله عن أمور أُخرى لم يذكرها الملّا محمّد صالح.

وكان غذاء الشيخ المعتاد الكندر، فكان في الحفظ الأول بـين أهـل الزمـان، وأتباعه أيضاً يأكلون الكندر، وقد أكل السيّد كاظم تلميذه منه إلى حد أن أسنانه سقطت؛ لأنّ الكندر حامي جداً. وقد ورد أيـضاً في مـدح الكـندر الكـثير مـن الأحاديث، بل في حديث أنّه ما بُعث نبي إلّا وقال بالبداء وكان في ميراثه الكندر. ومن هنا يظهر أنّ الأنبياء كانوا يديمون أكل الكندر.

وأيام كنت أحضر درس السيّد كاظم نقل لنا يوماً وصـايا أُستاذه الشيخ أحمد فقال: كتب إلي بهذه العبارات: فأمّا الأعاصير التي تراها من بعدي فـهيّجها أنا. ثمّ فسّر هذه العبارة بهذه النحو: الإعصار هو الغبار الذي يرتفع من الجذور. أي تلك

الزوايا التي ستروبها بعدي بين السماء والأرض والتي تُظلم العالم فإن محرّكها هو أنا.

يقول المؤلف: وهذا الكلام صحيح تماماً؛ لأن بعده كان رئيس هذه الفرقة السيّد كاظم، وقد وقع نزاع كبير وتشاجر عظيم بين تابعيه وبين تابعي الفقهاء، وبرز من بين تلامذة السيّد كاظم، والذي خلفه محمّد كريم خان القاجاري، وقد كثر بسببه القتل والنهب والسلب في ولاية كرمان، وسمّى أحد تلامذته وهو مير علي محمّد الشيرازي بالباب، وقد وقع منه قتل ونهب وسلب وتخريب في البلدان إلىٰ حد لا يوصف، بل ما زالت إلى الآن تلك الشعلة باقية، أعاذنا اللّه من شرورهم.

وكان الشيخ أحمد يرى كفر الملّا صدرا، وكان يقول: إنّ قول الملّا صدرا «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء» باطل لفظاً ومعنى. وقال في هذا المقام كلاماً كثيراً؛ ولهذا السبب كفّره. والتفصيل في مقالة الطرفين في هذاالمقام خارج عن موضوعنا. ولهذه المسألة عرض عريض وعمق طويل. كذلك كلام الملّا صدرا في التفسير وغيره من تأليفاته إذ قال: «قال محي الدين العربي إن فرعون مات مؤمناً موحّداً» ثم قال الملّا صدرا: «وهذا كلام يشتم منه رائحة التحقيق». والإنصاف: إنّ هذا الكلام كفر؛ لأنّ فرعون مات كافراً بضرورة الدين ونص القرآن يدل عليه.

وكفّر الشيخ أحمد الملّا محسن[1] أيضاً بسبب مسألة العلم وشرح كتاب قرّة العين تأليف الملّا محسن وردّ عليه. وكتب الملّا هادي السبزواري كتاباً أجاب فيها عن إيرادات الشيخ وانتصر للملا محسن الفيض. والإنصاف: أنّ الملّا محسن كان من تلامذة الملّا صدرا وصهره، والظاهر أنّه كان معتقداً بعقائد الملّا صدرا. والشيخ في بعض كلماته يقول: قال المسيء القاساني تبعاً لإمامه مميت الدين بن عربي. ومراده من المسيء الملّا محسن، ومن مميت الدين محيي الدين.

---

(١) هو الفيض الكاشاني. (المترجم).

وفي الحقيقة إذا لم يكن محيي الدين كافراً فلا يمكن إذن الحكم بكفر أي صوفي وأي كافر؛ لأنّه يرى نفسه خاتم الولاية المطلقة حيث يقول: رأيت في المنام قصراً بني من الذهب والفضة ولم يكن تاماً بل بقي منه حجرة، فحاولت وضع تلك الحجرة فأكملته فتمّ القصر، وعند الاستيقاظ عبّرته بأنّ الولاية المطلقة قد اختتمت بي وانتهت.

ويقول محيي الدين أيضاً: رأيت في المعراج علياً أدنى مرتبة من الخلفاء الثلاث.

وقال في أول كتاب الفتوحات المكية: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها. وعندما وصل الكتاب إلى علاء الدولة السمناني وكان من مشاهير العرفاء كتب في حاشيته: شيخنا، إن نسبك أحد إلى فضلتك ويقول الشيخ هو تلك الفضلة فبالتأكيد لن ترضى، فكيف ترضى أن تنسب واجب الوجود إلى فضلته؟

والعجب أنّ القاضي نور اللّه الششتري نقل في كتاب المجالس هذه العبارة عن كتاب الفتوحات ثم أخذ يوجّهها وقال: لعل المراد «عيّنها» بتشديد الياء، ولعلّ المراد غيّبها لكن النسّاخ أخطؤوا في كتابتها. انتهى كلام القاضي. وهذا التوجيه مما لا يرضى به صاحبه.

والعجب أن الشيخ البهائي زيد بهاؤه قد ذكر في كتاب الكشكول والأربعين وغيرهما محيي الدين بالتعظيم إذ قال: قال العارف الرباني والفاضل الذي ليس له ثاني محيي الدين بن عربي. مع أنّ الشيخ البهائي في كتاب الكشكول نظم عدة أبيات مشعرة بأنني أتيت إلى كلّ طائفة حتى لا تنكرني.

وأيضاً عندي عدة رسائل لمحيي الدين هي نصّ على كفر مصنّفها، فمنها ما ذكره في إحدى الرسائل بقوله: بعد أن أخذوني إلى المعراج جرت عدّة مخاطبات

بيني وبين الله، فقلت: يا من أنا أنت وأنت أنا فإن قلت: فلم نـاجيتني وأنـا أنت وأنت أنا قلت: جهة المخاطبية، والمخاطبية مختلفة. وكـفر هـذا الكـلام أظهر مـن الشمس وأبين من الأمس.

وأمّا في خصوص القول بانقطاع العذاب ـ وهو صريح كلام المـلّا صـدرا في الأسفار وشرح أُصول الكافي ـ فقد سمعت عن بعض الفضلاء الثقات من تلامذة الآخوند الملّا علي النوري أن الملّا صدرا تراجع عن القول بانقطاع عذاب الآخرة وكتب رسالة في إثبات الخلود.

وأيضاً يرى الملّا صدرا أن العالم حادث ذاتاً وقديم زمـاناً، وقـد أبـطلتُ في المنظومة الألفية في التوحيد وشرحها هذا الكلام بنحو وافٍ.

وتحقيق الكلام: أنّ نسبة المـلّا صدرا إلى الشـيخ أحمـد كـنسبة الأُسـتاذ إلى التلميذ وإن كان الشيخ جامعاً أكثر؛ لأنّ الشيخ له مهارة في عـلم الفـقه وتأليـف الكتب الفقهية الكثيرة والرسائل أيضاً، ولم يخـرج عن قانون الفقهاء. ومن فتاوى الشيخ حرمة تمثيل المصيبة. ولكنّ الملّا صدرا في المـعقول هو أُستاذ الشـيخ أحمـد قطعاً، والتفكير في غاية الصعوبة وهو أمر اجتهادي.

والكتب ليست حجّة في الشريعة، وعموم لا عمل بالقرطاس ـ وهو من كلام العلماء الأعلام ـ محلّ وفاق، إلّا إذا قُطع بأنّ قائل تلك الكـتب مـعتقد بمـضامينها وتكلم بها. والشيخ أحمد والملّا صدرا والملّا محسن، وإن كانت ظواهر بعض كلماتهم هي قطعاً على خلاف ضرورة دين الإسلام أو مذهب الشيعة، ولكن هذه كتب وأنا لم أصل إلى حقيقة مرادهم، وعليه فإنّ التوقف في تكفيرهم أولى، ولا يجوز تـرك الاحتياط، وإن لم يكن هناك كلام في كفر الكثير مـن الشـيخية ـ أتـباع الشـيخ ـ ومريدي الملّا صدرا، وهم لم يفهموا مرادهما ومطالبهما.

والسيّد كاظم كتب رسالة في حرمة العمل بالظن، وهكذا كانت طريقة الشيخ أحمد، وكان يقول: عندي قطع بالأحاديث، ويحصل لي القطع من نفس الحديث، إنّه كلام الإمام ولا حاجة لي لعلم الرجال. وهذا الكلام من الأعاجيب، وتحصيل القطع بالأخبار في هذه الأزمان مكابرة، كما ذكرت إثبات ظنّية هذه الأخبار بنحو وافٍ في تعليقتي على القوانين وفي تقرير الأُصول وألفية الأُصول.

وعلى كلّ حال فقد ذهب الشيخ أحمد في بعض الأوقات إلى النجف. والشيخ محمّد حسن صاحب جواهر الكلام وإن كان فنّه منحصراً بالفقه لكن له باع طويل في المحاجة بحيث يصعب جداً أن يُغلب، فأراد الشيخ محمّد حسن أن يكشف هذا الكلام، وأنّه هل يمكن أن يقطع الشيخ أحمد من نفس العبارة بأنّه كلام الإمام أم لا؟ فجعل الشيخ محمّد حسن حديثاً، وكتب ذلك الحديث المجعول على ورقة، فصارت الورقة مثل العتيقة من المسح عليها، وجعلها في أماكن الغبار والدخان، ثم أخذها إلى الشيخ أحمد وقال له: وجدت حديثاً فانظر: هل هو حديث أم لا، وما هو معناه؟ فأخذه الشيخ أحمد وطالعه وقال للشيخ محمّد حسن: هذا حديث، وهو كلام الإمام. ثم ذكر له توجيهات كثيرة. فأخذ الشيخ محمّد حسن الورقة وخرج ثم مزّقها.

حكاية: المرحوم الميرزا محمّدحسن ابن العالم الآخوند الملّا علي النوري العالم والحكيم، درس عند والده ولم يرزق بولد، فعزم على زيارة العتبات المشرّفة مع عياله، وأقام هناك سنة، وكان بينه وبين أُستاذنا السيّد إبراهيم نهاية الألفة. فرزقه اللّه في تلك السنة ولداً ذكراً فقال الأُستاذ للميرزا: من المناسب بعد أن ولد هذا الولد بكرامة سيّد الشهداء عليه السلام أن تسميه عبدالحسين. فسمّاه بهذا الاسم. ومن القضاء أنّ السيّد كاظم دعا الميرزا محمّد حسن للضيافة في ليلة، فسأل بعض تلامذة السيّد كاظم السيّد عن قول الملّا صدرا: «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء»، فقال

السيّد ـ على طريقة الشيخ أحمد ـ: هذه العبارة فاسدة لفظاً ومعنىً. فقال الميرزا: إنّ هذا المعنى الذي أعطيته لبسيط الحقيقة ليس مراد الملّا صدرا. وأنا أقول: مراده، فإن كان عندك إشكال حينئذٍ فاذكره. فبيّن الميرزا مراد الملّا صدرا ثم قال: هل عندك إشكال؟ فقال السيّد: بناء على هذا المعنى لا إشكال.

واعلم أنّ الشيخ أحمد كتب رسالة في أن المصلّي عليه أن يقصد في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] أمير المؤمنين؛ لأنّه مجهول الكنه، وكلّ ما يأتي إلى الذهن فهو مخلوق الذهن كما قال الإمام الصادق: «كلّ ما ميزتموه بأوهامكم بأدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم»، إذن يجب أن يقصد وجه اللّه وهو أمير المؤمنين.

والجواب عن هذه الشبهة: أنّه من المعلوم أنّ كنه اللّه لا يأتي إلى الذهن، بل ننتقل إلى ذات اللّه بالأوصاف ونقصد في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ذلك الإله الجامع للأوصاف، ولا شك أنّ هذا النحو من القصد كافٍ. إضافة إلى أنّه كما أن اللّه مجهول الكنه كذلك امير المؤمنين مجهول الكنه في الأذهان، فإذا تصورنا أمير المؤمنين في الذهن فهذه الصورة هي مخلوقة للذهن ونفس الكلام يأتي هنا. وأيضاً كما أنّ اللّه مجهول الكنه لنا كذلك هو مجهول الكنه لأمير المؤمنين فمن كان يقصد أمير المؤمنين عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وبالجملة: هذا الكلام خارج عن مذهب الشيعة، وطوره خارج عن طور العقل، وبطلانه من أبده البديهيات، وهذا مذهب جماعة من الصوفية يقولون: إنّ السالك يلاحظ مرشده وقت العبادات.

ومن جملة الوقائع التي حدثت في أواخر سكني في كربلاء: أن جمعاً من أهل الهند كتبوا استفتاءً للسيّد الأستاذ السيّد إبراهيم: هل جماعة الشيخية والشيخ أحمد

(١) الفاتحة ١ / ٥.

كفار أم لا؟ وما هو سبب تكفيرهم؟ وما هي اعتقاداتهم؟ وما هو التكليف معهم؟ هل نعاشرهم ونجري معهم أحكام الإسلام أم لا؟

وكتبوا استفتاء آخر للسيّد كاظم: ما هو مذهبكم؟ ولماذا كفّروكم؟ وما هو كلامهم؟ وما هو جوابكم عن إشكالاتهم؟ وما هو تكليفنا نحن؟

فأعطوا أولاً الاستفتاء للأُستاذ، وقد كان كثير التقية لا يذمّ أو يكفر أحداً في مجلس أو أمام الملأ، وعندما نظر في الاستفتاء كتب على رأس المكتوب: «قال اللّه تعالى: ﴿وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: أخوك دينك فاحتط لدينك. وقال الصادق عليه السلام لزرارة: خذ ما اشتهر بين أصحابك. حرره إبراهيم الموسوي».

فأخذوا السؤال والجواب مع استفتاء السيّد وسلّموها للسيّد كاظم، فكتب رسالة في هذا الباب أسماها دليل المتحيرين، وسمّى الشيخ محمّد حسين صاحب الفصول ثاني القوم، والسيّد الأُستاذ ثالث القوم على النحو الذي ورد في الخطبة الشقشقية، ثم نسب إلى الطائفة المحقّة فقرات تماثل دعاء صنمي قريش مثل هذه العبارة «فربّ عقول أفسدوها، وربّ فروج ضيّعوها، وربّ أحكام أبطلوها و...»، وذكر عدّة إشكالات على جواب السيّد الأُستاذ مثل: إنّك تعتبر نفسك نائب الإمام وأنكم السبل، فتحويل الناس إلى آية على إجمالها خارج عن طريقة السؤال والجواب.

وجواب هذا الكلام: أنّ الكفر والإيمان من الأُمور الاجتهادية ويجب على كلّ إنسان أن يجتهد فيها ولا يكفي التقليد، إضافة إلى أنّ السبل في الظاهر مفسّرة بطرق الهداية، ولا شك أنّ سبيل الهداية فطري والمراد حقيقة الإسلام، وهو مدلول

---

[1] العنكبوت ٢٩ / ٦٩.

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]، وأيضاً السبل في الباطن مؤول بالمعرفة.

وبالجملة: فقد بيّن السيّد كاظم في هذه الرسالة مذهبه ومذهب الشيخ أحمد، وقال كلاماً كثيراً ووصف الشيخ وصفاً لا حدّ له، وذكر جميع تأليفات الشيخ حتى إنّه اعتبر كلّ قصيدة مؤلفاً وكلّ خطبة كتاباً مستقلاً، وذمّ الفقهاء رضوان اللّه عليهم ذمّاً لا حدّ له.

وعندما رأى السيّد الأُستاذ ذلك الكتاب سأل عن اسمه فقالوا: دليل المتحيرين. فتبسّم هذا الرجل العظيم وقال: كان المناسب أن يسميه الشتمية؛ لأن مطالبه عداوة وشتم للعلماء الأعلام. فأخذ الشيخ مهدي الكجوري الكتاب، وكان من أفاضل تلامذة الأُستاذ، وهو الآن في دار العلم شيراز مرجعاً وملجأً للأنام، وبدأ بتأليف شرح للكتاب ورد مطالبه، فأرسل إليه السيّد الاستاذ ليمنع الشيخ مهدي من ذلك و«أنني غير راض عن كتابة الشرح». فقال الشيخ مهدي: في الجواب لا يشترط رضاكم في هذا الباب؛ لأنني رأيت مبدعاً في الدين كتب ترّهات وهفوات وكلمات فاسدة ستضلّ العوام، وأريد رفع بدعته وإفساد مبتدعاته وإبطال متاعه وأجنّب العوامّ من مكره.

وفي الأثناء حاصر سلطان بغداد كربلاء وفتحها وأعمل قتلاً عاماً في تلك الأرض المقدّسة، وصار العجم أذلاء في نظر الأغيار، وارتفعت هذه المشاجرة.

وحاصل الكلام في أحوال خير المآل الشهيدالثالث الملّا محمّد تقي البرغاني القزويني: أن من جملة كراماته شهادته، فتأسّى بأمير المؤمنين فسفكوا دمه في المسجد في المحراب بين السجدتين. ففي السنة الأخيرة شاع مذهب الباب، فكان جنابه في الغالب يصعد المنبر لوعظ الناس ويحذّرهم من سوء حال الباب، وكان

---

(١) الروم: ٣٠ / ٣٠.

يكفر تلك الطائفة.

يقول الميرزا جواد العربي الأصل والقزويني مسكناً: ذهبت لزيارة هذا العظيم قبل عدة أيام من شهادته، فقال جنابه: عندي التماس للدعاء. فقلت: قد أكرمك اللّه بنعم الدنيا والآخرة من العزّة والثروة والأولاد والعلم ونشر الشريعة والتأليف في العلوم، فماذا بقي عندك ما تطمح إليه؟ فقال: أرجو الشهادة. فقلت: أنت دائماً في الشهادة، بل أكثر من ذلك فعندك ما يجعلك مشمولاً لنصّ الخبر «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء». فقال: نعم هذا صحيح، لكن أرجو الشهادة بمعنى الغمس في الدم.

وفي تلك الليلة التي شرب فيها كأس الشهادة، وعندما مضى نصف الليل أراد الذهاب إلى المسجد حسب عادته المستمرّة القديمة ليشتغل بالعبادة، فقال له عياله: اترك الذهاب إلى المسجد في هذه الليلة أو هذه الليالي. فقال جنابه: وهل تخافون أن يقتلوني؟! إني كثير الرجاء للشهادة، لكن هذه السعادة بعيدة عن أن تيسّر لي وأرزقها.

وفي سنة ١٢٦٤ في نصف الليلة خرج من المنزل وذهب إلى المسجد ووقف في محراب العبادة مشتغلاً بالتضرّع والبكاء في محضر الباري، وعندما قرب الصبح وقبل طلوع الفجر الكاذب جاءت عجوز على عادتها لتضيء المسجد، فكانت مشغولة بإضاءة المسجد والشهيد الثالث وضع رأسه للسجود وقرأ المناجاة الخامسة عشرة في نهاية الخضوع والخشوع والبكاء، وفجأة جاء عدّة أشخاص من الفرقة الغاوية الضالّة المضلّة البابية ودخلوا المسجد، وضربوه بالسنان على عنقه المبارك فلم يتأثّر فجرحوه مرة ثانية فرفع رأسه من السجود وقال: لماذا تقتلوني؟ فضربوه بالسنان على فمه فانفلق فمه، وبالجملة جرحه الجمع ثمانية

جروح، فصرخت العجوز فهرب الظلمة القتلة، فأراد جنابه أن ينهض من المحراب ليخرج من المسجد حتى لا يسقط الدم في المسجد، وكان المحراب قريباً من باب المسجد، فلما اقترب من باب المسجد حتى استولى عليه الضعف من شدّة الجروح والكبر والعبادة في الليل، فوقع على الأرض وأُغمي عليه وانغمس في دمه، فعرف عياله بذلك وجاؤوا وأخذوا الجسد الطاهر إلى البيت.

وبقي حيّاً مدّة يومين، ولم يكن قادراً تماماً على التكلّم لشق لسانه، وكان يعطش كثيراً ولم يكن يقدر على الشرب؛ لأنّ الجرح يؤلمه فلا يبقى عنده طاقة على الشرب، فذكّر مراراً في تلك الحالة بعطش سيّد الشهداء‌ﷺ فتسقط العبرات ممن ينظرون إليه ويقول: يا أبا عبداللّٰه، تفديك نفسي، ماذا جرى عليك من العطش؟ والحاصل أنّه بعد يومين انتقلت روحه المباركة إلى الجنان ليلتحق بسيّد شباب أهل الجنة.

وأرادوا أن ينقلوا جسمه المبارك إلى الأرض المقدّسة فلم يرضَ أهل قزوين وهجموا بعمومهم، فدفن في قزوين في جوار ابن الإمام الحسين في مقبرة منفردة بناها لنفسه أبوالقاسم الشيرازي، وبعد عدّة أشهر أو عدّة سنين فُتح القبر لبنائه فرأوا بدنه الطاهر كما كان عليه أيام الحياة، وذلك المرقد هو الآن مزار معروف، فليهنأ هذا العظيم بالسعادة. نسأل اللّٰه أن يوفقنا ويوفق جميع الأحباب والأصحاب للشهادة.

وحيث انجرّ الكلام إلى هذا المقام فمن المناسب ذكر الباب وزمان ظهور مذهبه وبلاياه ومعرفته، فنقول وباللّٰه التوفيق:

افترق أتباع الشيخ إلى عدّة فرق:

ففرقة منهم: عرفوا الشيخ جيداً وعرفوا الفقهاء جيداً وجمعوا بين المسلكين

وهؤلاء قلّة قليلة.

الفرقة الثانية: قد تبعوه في معتقداته ولم يعرفوا الفقهاء جيداً ويرونهم مستضعفين، كما كان يحصل أثناء حضوري درس السيّد كاظم مريداً للاطلاع على مذهبهم، فقد كانوا يذمّون الفقهاء كثيراً ويتكلّمون عنهم كلاماً ثقيلاً بل ـ والعياذ باللّه ـ كانوا يشتمون الفقهاء.

ففي بداية ظهور أقاويل الغلاة والشيخية كتبوا على المرقد المطهر لأميرالمؤمنينﷺ زيارة صفوان الجمال وعلّقوها، ومن فقراتها: السلام عليك يا منزل المن والسلوى. فكانت ظاهرة في مذهب الشيخية في كونه العلل الأربعة، فحكم الشيخ محمّد حسن النجفي ـ صاحب جواهر الكلام ـ بأن تُمحى تلك الفقرة حتى لا ترد الشبهة عند العوام ويميلوا إلى مذهب الشيخ؛ لأنّهم لا يمكنهم أن يفهموا كون الإمام علة غائية وأن يحملوا هذه الفقرة على العلة الغائية فيوجب إضلالهم، وعندما شاع مذهب الشيخية وقد بان من ضلّ ومن لم يضلّ أمر الشيخ محمّد حسن أن تكتب من جديد فقرة «منزل المن والسلوى»، فقال السيّد كاظم في مجلس الدرس بحضوري: إنّ هذا أحمق مستضعف؛ لأنّه أمحى فضيلة سيّده في تلك الفقرة الواردة في حديث صحيح، فهو مستضعف وليس شيعياً.

ومن وقائع ذلك الزمان أنّ الميرزا محمّد حسين الساروي﷫ ـ وكان من أفاضل وتلامذة الأُستاذ وقد درس أيضاً لدى الشيخ محمّد حسن ـ سافر في بعض الأزمان بحراً يريد زيارة النجف، وعندما اقترب من مسجد الكوفة نزل من السفينة ورأى السيّد كاظم جالساً مع أصحابه فاقترب منه الميرزا وجلس عنده، وبعد المجاملات سأله الميرزا عمّا يشتغل في هذه الأيام، فأجاب السيّد: تأتيني استفتاءات وأكتب أجوبتها. فسأله الميرزا عن الأسئلة، فقال السيّد: عن التفسير

وغيره ـ فقال الميرزا: في تفسير أيّة آية وما هو الجواب الذي ذكرته؟ فقال السيّد: في تفسير آية ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1] فكتبت في الجواب: إنّ الآية الشريفة مأوّلة بالخلفاء الثلاثة؛ لأنّ أوّلهم كان يقول إذا حكم بحكم: سمعت عن رسول اللّه ﷺ يقول كذا، فعبّر عنه بالسمع؛ والثاني كان يقول إذا حكم بحكم: رأيت رسول اللّه ﷺ يفعل كذا، فعبّر عنه بالبصر؛ والثالث كان يقول إذا حكم بحكم: هو عندي كذا أو أقول كذا، فعبّر عنه بالفؤاد. فقال الميرزا: هذا التفسير لنفسك؛ لأنّ كلّ آية يمكن فيها مثل هذه التأويلات حسب العقل الظنّي، بل لابدّ من النصّ الصحيح في التأويل. فقال السيّد: لو سئل مشايخك عن هذه الآية بماذا كانوا يجيبون؟ فقال الميرزا: أنا أتكلّم معكم فما دخل مشايخنا؟ ومشايخنا في تلك الأرض التي يسيرون فيها والإبل تنوخ على الأرض.

يقول مؤلف الكتاب: إنّه ورد حديث على طبق التأويل.

والفرقة الثالثة: من أتباع الشيخ أحمد: البابية ورئيسهم الميرعلي محمّد الشيرازي وقد ادّعى البابية وكان يقول: أنا نائب خاص لصاحب الزمان. وقد تلمذ على يد السيّد كاظم.

وفي ذلك الزمان الذي كنت فيه متشرّفاً في العتبات، وذهبت فيه إلى درس السيّد كاظم، كان المير علي محمّد أيضاً يأتي إلى الدرس ومعه قلم ودواة ويكتب كلّ ما يقوله السيّد كاظم في الدرس من رطب ويابس، وكان يحلق ذقنه أو يجزها من أصلها بالمقراض.

وسبب تعرّفي إليه أنني كنت يوماً جالساً عند الرأس المطهر للإمام عليه السلام مع شخص صالح مقدّس، فرأيت هذا السيّد يدخل ووقف على الباب للزيارة ثم رجع،

(١) الاسراء ١٧ / ٣٦.

فسألت المقدس عن هذا الشخص من هو فقال: هذا الرجل هو المير علي محمّد الشيرازي وهو من تلامذة السيّد كاظم. فقلت: لماذا يزور هذا الرجل بهذا النحو؟ فقال: لأنّه يرى أنّ هذا القسم أقرب إلى الاحترام. فقلت: هذا غلط؛ لأنّ الزيارة من العبادات والنحو الذي أُمرنا به والذي علّمنا إياه الأئمة في زيارتهم أن نقترب إلى القبر المطهّر ونجعله بقربنا، وأمّا البعد من أجل الاحترام فهو كمن لا يصلّي النافلة بدعوى أنّه ليس أهلاً للوقوف في محضر اللّه.

وعلى كلّ حال فالمير علي محمّد كان هناك ودرس عند السيّد كاظم.

وقال شخص: جلست في مرقد الكاظمين عليهما السلام مع شخص مرتاض فوصل المير علي محمّد إلى باب المرقد، فقال ذلك الشخص: اللهم اقتل هذا السيّد وأوصله إلى أجله. فقلت له: لماذا تدعو على هذا الشخص؟ فقال: ستبرز عن قريب من هذا الرجل اعتقادات باطلة وسيهتك أعراض المسلمين ويسفك دماءهم.

والحاصل: أنّ المير علي محمّد بعد أن جاء إلى شيراز بنى على تسخير الشمس، ووقف مكشوف الرأس وسط الشمس يقرأ العزيمة حتى خففت حرارة الشمس رطوبة دماغه وظهر فيه تخبط، وبعد ذلك ادّعى البابية. وحكى شخص: أنني كنت برفقته، وكنت واثقاً منه، وبين طهران وإصفهان وعندما دخلنا مكان القافلة الذي كان بعيداً عن الحمام قال لي: لنذهب إلى الحمام. فقلت: قد تمطر السماء فالأفضل أن يأخذ كلّ منا عباءة. فنظر إلى السماء وقال: لن تمطر اليوم ولا حاجة للعباءة: فأخذتها احتياطاً وبعد أن جزنا بعض الطريق جاءت الريح وأمطرت مطراً شديداً فأعطيته عباءتي.

وبالإجمال: وضع المير علي محمّد قرآناً واقتبس الآيات، وفي كلّ مورد أضاف إليه عبارات من عنده فهي خارجة عن الفصاحة والسلاسة، بل هو كلام مهمل

مثل قوله: ألف لام كاف نون. إنا جعلنا الباب للباب على الباب دليلاً. فجمع أمثال هذه المزخرفات وسمّاه قرآن صاحب الأمر وقال في الأول ما حاصله: إن هذا القرآن جاء من عند المهدي صاحب الأمر وهذا من آيات قرآنه، مع أن جبرئيل قطعاً لم يأت بمثل هذه الآية وفساده ظاهر، وهذا الفقير في زمان غلوة البابيين في قزوين وضعت قرآناً واقتبست، فمن ذلك قلت: يا أيها الشيخيون إنّ اللّه قد أرسل رسولاً ونصب لرسوله وصياً فجعلتم وصيّه إلهاً قديراً.

وهذه الطائفة حلّلت المحرمات، واعتقدت أنّ النبي والولي كلي، وقالوا مثل النصارى بالاتحاد والحلول، ويقول أعيانهم: نحن الحسن والحسين والأئمة الآخرون، ونحن نبق بعد القتل سبعة أيام أو أكثر أحياء ثم نعود إلى الدنيا.

وهذا المذهب ليس جديداً فقد حكى السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية أن شخصاً في شيراز ادعى البابية والنيابة الخاصة، وكانوا عدّة أشخاص أحدهم سمّى نفسه محمّد ويقول: أنا ذلك النبي، والآخر اسمه علي وهكذا، وعندما اعتقلوهم وأرادوا قتلهم وقف أخو ذلك الشخص من الرضاعة في الخلف يضحك، فسئل عن ذلك فقال: تقتل هذه الطائفة أخي وهو سيعود بعد أربعين يوماً شاباً حياً!

وقال محمّد كريم خان في كتابه: كتب الباب إلي: إنّ اللوتي ماهو؟ يريد اللوطي لكنه كتبه بالتاء، وكتب إلي: أن احكم في كرمان بأن يذكروا اسمي في الآذان وليقولوا: أشهد أن المير علي محمّد باب اللّه.

وبالجملة: فإنّ من ضروريات الإمامية أنّه لن يأتي نائب خاصّ من صاحب الأمر في الغيبة الكبرى حتى يظهر ﷺ قال الصدوق في رسالة الاعتقادات: «إن هذا من ضروريات الإمامية». والاتحاد والحلول باطل. وكان هذا الباب مبعث فساد

وإضلال: قتل الآلاف في زنجان ومازندران وسائر المدن، ووضع آية لمحمد كريم خان «إن الكريم في الكرمان كان كريماً» وكان في العلم عاجزاً ضعيفاً بالكلية.

وعلى كلّ فقد حبسه سنّي الجوانب محمّد شاه في قلعة جهريق، وكانت وصلت كتب ورسائل منه إلى الناس فقال بعضهم: اعتبروه تالي القرآن المجيد. والبعض اعتبره ناسخ القرآن الحميد، والبعض اعتقد أنّه نائب الإمام، وفرقة اعتبرته الإمام الغائب، والبعض اعتبره الرسول الخاتم، فأمر السلطان بإحضاره إلى المجلس الخاص لولي العهد «أبدمهد»، وحضر العلماء الأعلام وفقهاء الإسلام لملاقاته وبدؤوا معه بالكلام، وهم: الملّا محمّد الذي كان على مذهب الشيخ أحمد الإحسائي، والحاج مرتضى قلي المرندي الملقب بعلم الهدى، والميرزا علي اصغر شيخ الإسلام، والملّا محمود نظام العلماء، وأبرزوا للسيّد الباب كمال الاحترام، وعند الجلوس قدّمه الأمير الأعظم وكذا اعتنى به ولي العهد، وبعد زمان سأل الملّا محمود الباب: أن السلطان حكم بأن تذكر دعواك في حضور علماء الإسلام حتى يتحقّق كذب الدعوى وصدقها، وإنّي وإن لم أكن من أهل العلم وخالي من الغرض لكن تصديقي لن يكون بلا فائدة، ونسألك ثلاثة أسئلة: الأول: تلك الكتب التي انتشرت وهي على سياق القرآن والصحيفة والمناجاة، في الأطراف والنواحي، هل هي منك وأنت كتبتها أم أنها تنسب إليك؟

فقال الباب: هي من اللّه. فقال الملّا محمود: لست على قدر من العلم، فإن كانت منك فقل والا فلا. فقال الباب: هي مني. فقال نظام العلماء: معنى كلامكم الذي قلتم أنّه من اللّه هو أنّه يجري على لسانكم مثل شجرة الطور:

وكيف لم يكن «أنا الحق» من شجرة
فمن أين تأتي كلّ ذي النغمات
وإن كانت من خلق عبداللّه

فقال الباب: رحمة بكم.

فقال نظام العلماء: يسمّونك الباب، هذا الاسم من سمّاكم به ومتى وضع وما معنى الباب، وهل أنت راضٍ بهذا الاسم أم لا؟ فقال الباب: هذا الاسم أعطانيه اللّه. فقال نظام العلماء: أين في الكعبة أم بيت المقدس أم البيت المعمور؟ فقال: في أي مكان كان فهو اسم من اللّه. فقال نظام العلماء: وبالتأكيد حينئذٍ أنت راض باسم اللّه، فما معنى الباب؟ فقال الباب: أنا مدينة العلم وعلي بابها.

فقال نظام العلماء: أنت باب مدينة العلم؟! فقال: نعم. فقال نظام العلماء. الحمد للّه فإنني سعيت أربعين سنة حتى أصل إلى أحد الأبواب ولم أستطع، أمّا الآن فالحمد للّه فقد جاء إلى بلدي فإن كان كذلك وعرّفتني ذلك فهل تجعل لي منصب حافظ الحذاء؟ فقال له الباب: أولست الملّا محمود؟ فقال نظام العلماء: بلى. فقال الباب: شأنك أجل يجب أن يكون لك منصب أعظم. فقال نظام العلماء: أريد هذا المنصب وهذا يكفيني.

فقال ولي العهد: أنا أضع هذا العرش لك إذا كنت باباً وأُسلّم لك. فقال نظام العلماء: بناء على قول النبي أو قول قاله حكيم من الحكماء: العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان. وقد قدّم علم الأبدان على علم الأديان؛ لذا أسأل سؤالاً: أنّه كيف يكون حال المعدة حتى يصاب شخص بالتخمة، وبعضهم ترتفع تخمته بالعلاج والبعض يؤدّي به ذلك إلى سوء الهضم والغثيان؟ فقال الباب: لم أقرأ علم الطب. فقال ولي العهد: لكنّك باب العلوم وتقول لم أقرأ علم الطب! هذان كلامان متنافيان. فقال نظام العلماء: لا خير في ذلك؛ لأنّ هذا العلم بيطرة وليس داخلاً في العلوم فلا ينافي البابية.

ثم التفت إلى الباب وقال له: علم الأديان هو علم الأُصول والفروع،

وللأُصول مبدأ ومعاد، فقل لي: هل السمع والبصر والعلم والقدرة عين الذات أم غير الذات؟ فقال الباب: عين الذات. فقال نظام العلماء: إذن اللّه أكثر من واحد ومركّب، والذات والعلم شيئان مثل الخلّ وشراب العنب يصير أحدهما متّحداً مع الآخر، فاللّه مركّب من الذات والعلم أو الذات والقدرة وهكذا، إضافة إلى أنّه لا ضدّ له، والعلم إذا كان عين الذات فهو له ضد وهو الجهل. وإضافة إلى هذين الأمرين الفاسدين فاللّه عالم والنبي عالم، وأنا عالم فنحن مشتركون في العلم ولدينا ما به الامتياز وهو أنّ علم اللّه ذاتي وعلمنا به، فاللّه مركّب ممّا به الامتياز وما به الاشتراك، والحال أنّ اللّه ليس مركّباً. فقال السيّد الباب: لم أدرس الحكمة. فتبسّم الأمير.

ثم قال نظام العلماء للباب: علم الفروع مستنبط من الكتاب والسنّة وفهم السنّة، والكتاب يتوقّف على علوم كثيرة مثل: الصرف والنحو والمعاني والبيان والمنطق، وأنت باب فصرّف لنا الفعل قال. فقال الباب: أي قال؟ فقال نظام العلماء: قال يقول قولاً. ثم صرّف الباب الفعل مثل تعليم الأطفال فقال: قالوا قالت قالتا قلن. ثم نظر إلى الباب وقال له: أكمل. فقال الباب: درست في صغري الصرف والآن نسيته.

ثم قال له: حقق الإعلال. فذكر له نظام العلماء أعلال البعض وطلب منه أعلال الباقي فقال: قلت لك لقد نسيت.

ثم قال نظام العلماء: ﴿هُوَ الَّذي يُريكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[١] فمن أي تركيب هو ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾؟ فقال الباب: ليس عندي شيء. فقال نظام العلماء: ما معنى هذا الحديث: «لعن اللّه العيون فإنّها ظلمت العين الواحدة»؟ فقال السيّد: لا أعلم. ثم

---

(١) الرعد ١٣ / ١٢.

قال له: إن المأمون الخليفة سأل الرضاﷺ عن «الدليل على خلافة جدّك علي بن أبي طالبﷺ قال الرضاﷺ: آية أنفسنا. قال: لولا نساءنا. قال: لولا أبناءنا»، فما هو وجه الاستدلال، وما هو وجه ردّ المأمون وكيفية ردّ الرضاﷺ؟ فتحيّر السيّد فسأل: هل هذا حديث؟ فقال نظام العلماء: نعم. وأقام البيّنة على ذلك، وقال لو كانت الدعوى على ميت لذكرت قسماً استظهارياً أيضاً.

وقال نظام العلماء: من المعروف شأن نزول ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾(١) وهو: أنّه مرّ رسول اللّهﷺ فقال العاص: سيموت هذاالرجل وليس له ولد. فغمّ النبيﷺ فأنزل اللّه لتسليته هذه السورة، فقل لنا ما هي هذه التسلية؟ فقال السيّد: هل شأن نزول هذه السورة هو واقعاً ما ذكرت؟ فقال نظام العلماء: نعم. وأقام الشهود على ذلك.

فطلب السيّد مهلة، فتجاوز نظام العلماء عن ذلك ودخل من باب آخر وقال: كنّا في ايّام الشباب نذكر عبارة العلّامة من باب المطايبة وهي: «إذا دخل الرجل بالخنثى، والخنثى بالأُنثى، وجب الغسل على الخنثى دون الرجل والأُنثى» فما معنى هذه العبارة، ولماذا يجب أن يكون الأمر كذلك؟ فتأمّل السيّد وسأل: هذه عبارة العلامة؟ فأجاب الحضور: نعم. فقال نظام العلماء: حتى لو فرضنا أنّها ليست من العلامة بل منّي، فما هو معنى العبارة؟ فإنك باب العلم. فأجاب السيّد: أن ما من شيء يخطر على البال.

ثم قال نظام العلماء: إنّ من معجزات نبيّنا القرآن وإعجازه بالفصاحة والبلاغة، فما هو تعريف الفصاحة والبلاغة، وماهي النسبة بينهما، هل التباين أم التساوي أم العموم والخصوص المطلق أم من وجه؟ ففكّر السيّد كثيراً وقال: ليس

(١) الكوثر ١٠٨ / ١.

في نظري شيء. فانزعج الحضور.

وقال نظام العلماء: إذا شككت بين الاثنتين والثلاث ماذا تفعل؟ قال أبني على الاثنين وأمضي. فقال الملّا محمّد المامقاني: يا عديم الدين، لا تعرف شكوك الصلاة وتدّعى البابية؟! فقال الباب: أبني على الثلاث وأمضي. فقال الملّا محمّد: واضح إن لم يكن اثنتين فثلاثة. قال نظام العلماء: حتى الثلاثة غلط بل يجب أن يُسأل: هل الشكّ في صلاتي الصبح أو المغرب، وهل هو بعد الركوع أو قبل الركوع، وهل بعد إكمال السجدتين أو قبله؟ فقال الملّا محمّد المامقاني: اشكر اللّه؛ لأنك ماذا كنت تفعل إن قال لك: أبني على الاثنتين وأمضي؛ لأن الشغل اليقيني يقتضي البراءة اليقينية؟

ثم قال الملّا محمّد للباب: أنت كتبت: أول من آمن بي نور محمّد وعلي أم لا. فقال: نعم هذه العبارة منّي. فقال له الملّا محمّد: إذن أنت متبوع وهما تابعان فأنت أفضل منهما إذن؟!

ثم سأل الحاج مرتضى قلي الباب: إن اللّه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[1] وأنت في القرآن ـ أي قرآنه ـ قلت ثلاثة، لماذا؟ ومن أين؟ فقال الباب: الثلاثة نصف الخمس ما الفرق؟ فضحك علماء المجلس، ثم سأل الملّا مرتضى قلي: كم هي كسور التسعة فتحيّر.

ثم إنّ نظام العلماء أجاز قاعدة نظام الطفرة وقرأ بيتاً من «مثنوي» وأظهر مسلك الذوق وقال:

عدّة من هذه الألفاظ من مجاز وإضمار
تألم فسوف أتألم مع صبر واصطبار

---

(١) الأنفال ٨ / ٤١.

ثم قال له: لست مقيّداً باللفظ أظهر لنا كرامة توافق مدّعاك حتى أكون من مريديك، وإذا صرتُ مريداً لك فإنّ جمعاً سيصيرون مريدين لك؛ لأنني معروف بالعلم والعالم لا يتّبع الجاهل أبداً. فقال السيّد: أي كرامة تريد؟ فقال نظام العلماء: إن حضرة العالي سلطان الإسلام محمّد شاه مريض فاعطه الصحة. فقال الأمير: قد ذهبت بعيداً الآن أنت حاضر فليتصرّف في وجودك تصرّفاً وليجعلك شاباً حتى تبق دائماً معنا، ونحن أيضاً إذا ظهرت هذه الكرامة سنعطيه سدة الإمارة له. فقال السيّد الباب: لا قوة عندي.

فقال الملّا محمّد المامقاني: لكن لا يمكن أن تكون لك عزّة بلاوجه، أنت في عالم اللفظ ضعيف وفي عالم المعنى ضعيف، فماذا عندك من فنّ فقال الباب: أقول كلاماً فصيحاً. وقال: الحمد للّه الذي خلق السماوات ـ بالفتح ـ، فتبسّم الأمير وقال:

ومـــا بـــتا وألف قـــد جـــمعا يُكسر في الجرّ وفي النصب معاً

فقال السيّد: اسمي علي محمّد موافق للرب. فقال نظام العلماء: كلّ من اسمه علي محمّد ومحمّد علي موافق للرب؟! وحينئذٍ يجب أن تدّعي الربوبية لا دعوى البابيّة.

فقال الباب: أنا ذلك الذي تنتظرون ظهوره منذ ألف ألف سنة. فقال الملّا محمّد يعني أنت المهدي صاحب الأمر؟! فقال: نعم. فقال نظام العلماء: لكن اسمه المبارك محمّدبن الحسن واسم أُمّه نرجس أو صقيل أو سوسن، واسمك علي محمّد واسم أبيك وأمك شيء آخر، وهو ولد في سامراء وأنت ولدت في شيراز، وعمره أكثر من ألف سنة وعمرك قريب من الأربعين، ففي البين تمام المخالفة، ثم إنني لم أرسلك. فقال له الباب: أنت تدعي الربوبية. فقال نظام العلماء: مثل هذا الإمام يجب أن يكون له مثل هذا الرّب.

وقال الباب: أكتب في اليوم ألفي بيت من يستطيع ذلك؟ فقال نظام العلماء: أيام

كنتُ في العتبات العالية كان عندي كاتب يكتب في اليوم ألفي بيت وفي النهاية صار أعمى، وأنت أيضاً اترك هذا العمل وإلّا تصير أعمى.

وبعد أن اتّضح أنّ السيّد يدّعى دعوى باطلة انتهى المجلس ووضعوا السيّد في مكان، ثم أتوا به إلى منزل الأمير وأرادوا ضربه، لكن المأمورين بهذا العمل أنكروا ذلك بسبب حسن العقيدة، ثم ضربوه كثيراً بحكم شيخ الإسلام والملّا محمود، وهو يقول: غلطت، أخطأت، لقد تبت. حتى خُلّص وبعد عدّة أيام قُتل.

ومن طوائف الشيخية طائفة الملّا محمّد كريم خان وهو من تلامذة السيّد كاظم ومن الطبقة القاجارية؛ ولذا تحققت له شهرة وقوّة وقدرة.

ومذهبهم القول بالركن الرابع أي: اللّه والنبي والإمام والركن الرابع محمّد كريم خان، ويقولون: إنّ الركن الرابع لابدّ من وجوده في كلّ زمان والإقرار به لازم. وأقاموا على ذلك دليلاً عقلياً لا يدل عليه أي عقل، وتمسّكوا بأخبار آحاد لا ينتهي الكلام في سندها، كما أنّ دلالتها محلّ خدشات، وعلى فرض دلالة الأخبار فهي ظنّية ولا حجّية لها لإثبات أُصول العقائد، وعلى فرض التسليم فغايته أنّه لازم في حال غيبة الإمام تقليد العلماء الأعلام، وهذا أمر لا ينكره أحد.

إضافة إلى أنّه على أي أساس يعتبر نفسه الركن الرابع وقد طبعت في طهران أغلاطه وقصور فهمه في المجالس من الأسئلة والأجوبة، ولو لم يكن في كرمان لفسدت أُموره بالكلّية في مدّة سنة من سطوة العلماء الأعلام، لكنّه كان في زاوية من الزوايا.

ومن جملة ما عورض به محمّد كريم خان ما جرى في منزل نواب حشمة الدولة: سأله شخص عن المسافر متى يفطر ويقصّر؟ فقال له: عندما يخرج من منزله يفطر ويقصّر صلاته. فقال له شخص آخر: إنّ هذا الحكم الذي ذكرته

خلاف ما أنزل اللّه ومخالف لسيرة القوم والإجماع؛ لأنّ العلماء ذكروا حدّاً للترخصّ. فقال: هذا اجتهادي، إنّما الأعمال بالنيات فمن نوى السفر مسافر.

وأيضاً عندما سئل محمّد كريم خان من أحد أبناء الأُمراء العظام: إنّك قلت: كلّ الأغسال الواجبة والمسنونة تغني عن الوضوء. قال: نعم، إلّا غسل الاستحاضة لورود نصّ في أنّ معه الوضوء، وقد قال رسول اللّه ﷺ إنّ شريعته سمحة سهلة فلماذا نصعّبها نحن؟

أقول: هذه الفتاوى ناشئة من قلّة الإطلاع على الأخبار؛ إذ ورد حديث عن شيخ الطائفة في كتاب التهذيب: أنّ الصادق عليه السلام قال: كلّ غسل معه الوضوء عدا الجنابة.

وأيضاً سئل أنّه: أين يجب أن نجد مادة تلميذ في القاموس؟ فقال: التفاريج يجب البحث عنها في مادة «فرج» والتلاميذ في «لمذ». فبحثوا فلم يجدوا، فقال: قد أهمل القاموس الكثير من المواد.

وفي مجلس آخر جرى نفس الحديث فقيل له: إن «تلام» في الأصل هي «تلامذة» فحذفت الذال. فأورد عليهم أنّ حذف الذال لا دليل عليه، فقال شخص: أنّه تقرر في الصرف أنّ الخماسي إذا جمع على منتهى الجموع تحذف لامه، كما قالوا في حذف اللام في جمع الخماسي استثقالاً للكلمة مثل: السفرجل يقولون: سفارج. فقال لهم: إذا حذفت اللام فما دخل الذال؟ فاشتبه عليه لام الفعل بالحرف الخاصّ.

وأيضاً في مجلس أورد على صاحب القاموس: أن القاموس ترك الكثير من الموادّ. فقال بعض أبناء الأُمراء: كثيراً ما يترك المعاني، أمّا المواد فلا خبر عندي. فقال محمّد كريم خان: إن «عزلج» ليست موجودة في القاموس، والحال أنّ المعصوم

يقول في دعاء ليلة الجمعة: «عزلج الموج». فقال بعض أبناء الأُمراء العظام: إنّ عزلج بالزاي أم بالذال؟ فقال: بالزاي. فرجعوا إلى كتاب القاموس والنهاية والصحاح ومجمع البحرين فلم يجدوها، ثم فكّروا في الأمر وقالوا: لعله اشتبه عليك اللفظ، فقد يكون بالذال. فرجعوا إلى القاموس فرأوا فيه «عذلج السّقاء: ملأه»، فقال ابن الأمير: بالذال والمعنى صحيح، وكلّ من قال: إنّه بالزاي وأشكل على صاحب القاموس وزعم أنّه أهمل ذلك فهذا من جهله. فقال كريم خان: كلام الإمام كيف يمكن تغييره؟ فقال ابن الأمير: هذا الكلام من شخص فاضل قبيح، فلسنا نحن في زمان المعصوم وسمعنا منه الكلمة بالزاي حتى نتّبعه في ذلك ونبطل كلام اللغويين، ولا خط صريحاً من المعصوم في ذلك بين يدينا حتى لا يكون هناك مجال للإنكار، والإمام يتكلم باللغة العربية، وبالتأكيد يستعمل لفظاً ليس شاذاً ولا نادراً، إذن قد غلط الناسخ، وإن ذكرت اسم الكتاب الذي يوجد فيه هذا الدعاء تثبت أنّه بالذال. فلم يكن عنده جواب، وقال قد انقضى أكثر الليل. ووقف ورحل، فراجع ابن الأمير كتب الأدعية المعروفة مثل: مصباح الكفعمي ووسيلة النجاة وسفينة النجاة والإقبال ولم يجد الدعاء، ووجده السيّد محمّد تقي ابن السيّد عبد الحسين ابن السيّد باقر البهبهاني في منتخب ذريعة الضراعة وقد كتب بالذال موافقاً للقاموس.

وأيضاً سأله شخص في بعض المجالس عن دعاء رجب «اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمّد بن علي الثاني وابنه علي بن محمّد»: الثاني صفة لمحمد أم لعلي المضاف إليه؟ فقال: لم يستعمل في كلام العرب صفة للمضاف إليه بل الثاني صفة للمضاف. وكان في المجلس عالم فقال: الأمر ليس كذلك، بل في كلام العرب ورد الكثير من توصيف المضاف إليه مثل: يا ابنة محمّد المصطفى، وزوجة علي المرتضى، وأُم الحسن المجتبى. وفي فقرات زيارة فاطمة: يا أُمّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وفي موضع آخر: السلام عليك يا فاطمة بنت محمّد

رسول اللّهﷺ»، وفي دعاء العديلة: بعد الرسول المختار علي قامع الكفار، وأمثال ذلك كثير. كما أنّ ورود الصفة للمضاف كثير مثل: ذو العرش المجيد، وجاء في غلام زيد الشريف بالرفع، وكذلك صفة لموصوف مضاف مثل: هذه الفقرة من الدعاء مورد السؤال، فإن الثاني صفة بعد صفة لمحمد، وكذلك صفة لموصوف مضاف بقيد الموصوف بالوصف الأول المضاف مثل: هذه الفقرة من الدعاء بمعنى محمّد بن علي الثاني، فهو لا يعني محمّد الثاني ولا علي الثاني، بل إنّه مضى محمّد بن علي وهذا محمّدبن علي الثاني، وظاهر هذه الفقرة من الدعاء هو هذا المعنى. فانزعج محمّد كريم خان من سماع ذلك من العالم وقال له: دائماً تريد تضييع الناس والدخول في النزاع. فسكت ذلك العالم.

وقد كتبت حواشي كثيرة على كتاب إرشاد العوام في الرد عليه، ولو كان المقام مقام رد لكان هذا الكتاب أكبر من ذلك الكتاب.

(٣)

السيّد محمّد باقر ابن السيّد علي الحسيني القزويني

وهو من تلامذة شريف العلماء والشيخ علي ابن الشيخ جعفر في ذكاء وإدراك، وتلمذ عند الملّا محمّد إسماعيل اليزدي الذي كان من أفضل تلامذة شريف العلماء. وفي بداية الحال كان في الفقه والأُصول في غاية القدرة، لكن في أواخر عمره ترك مقداراً، وذلك لسبب كثرة مرجعيته حيث كان مرجعاً، وكان حسن الخط جدّاً في الكسر والنسخ، وكان يكتب في غاية الجودة بهذين الخطين وفاق فيهما الخطّاطين في عصره، بل لم يُرَ أحد من العلماء ولم يسمع بمن يكتب مثله. نعم، كان الملّا علي النوري في خط الكسر أول أهل زمانه وتعلّم الخط عند درويش.

والسيّد محمّد باقر كان تقريره حسن وتحريره لطيف، وكانت له يد طولى في الجدل والمحاجّة حتى إنّ الملّاعبدالكريم الإيرواني الذي لم يكن له ثانٍ في عراق العرب والعجم شوهد في مجلس المحاجّة كراراً وقد عجز عن السيّد محمّد باقر، مع أنّ الملّا عبدالكريم كان في الحقيقة أُستاذ السيّد محمّد باقر وفي آخر الأمر صارت له الرئاسة العامة والتامة في دار السلطنة قزوين. وكان عنده أخ اسمه الميرزا رفيع وكان رجلاً فاضلاً. ورأينا عنده مؤلف كتاب القمرين تفسير القاضي.

وفي بداية أمري كان السيّد محمّد باقر يعطي درس أُصول فحضرت عنده في حجية الكتاب، وكتبت رسالة في حجّية الكتاب، وجعلت مجموع تحقيقاته في مورد الرد، وعندما كنت في إصفهان طلبت إجازة من المرحوم حجّة الإسلام، فطلب

منّي كتاب الطهارة في الفقه فقرأه، وفي اليوم الذي وعدني فيه لإعطائي الإجازة توفي، فسعيت في تحصيل الإجازة من بعض تلامذته حتى لا أُحرم من سنده تيمّناً وتبرّكاً، فصارت عندي إجازة عنه بالواسطة؛ ولهذا طلبت إجازة من السيّد محمّد باقر، وكان عنده إجازة من حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر ودرس عنده أيضاً.

وهذه هي صورة إجازة السيّد محمّد باقر التي كتبها لي، وهو المجيز والمجير وبه نستمد ونستعين:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي هدانا إلى معالم الدين، وكرمنا بتحصيل طريق العلم واليقين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد المبعوث إلى كافة الإنس والجن أجمعين، الذي اصطفاه من جميع الأنبياء والأوصياء المقربين، وجعله خاتم النبيين؛ وعلى أوصيائه المنتجبين سيما ابن عمه الذي جعله سيّد الوصيين.

وبعد... فيقول العبد الخاطئ الجاني القاصر الراجي إلى اللّه الغافر الساتر السيّد محمّدباقر بن علي الحسيني القزويني ـ ألبسهما اللّه تعالى لباس العفو والغفران، وحشرهما مع أجدادهما في دارالجنان، الذين هم شفعاءالإنس والجان ـ:

إنّ من أعظم نعماء اللّه تعالى على العباد وجود المعتمدين من العلماء في البلاد وأكمل الآية عليهم بتمكينهم في أخذ معالم الدين من الفقهاء الذين عليهم الوثوق والاعتماد، فإنّه فوق كلّ نعم اللّه سبحانه على قاطبة العباد، منهم: الجامع لصفات الكمال والعلم والحائز لأنواع المحاسن والحلم، العالم العامل والفاضل الكامل، الصاعد في مدارج التحقيق والتدقيق ذو الفهم الرشيق والذهن الوثيق، وضّاح الحقائق، فتّاح الدقائق المؤيد من اللّه: الميرزا محمّد بن سليمان التنكابني آمنه اللّه تعالى من سوء الظاهر والباطن، فإنّه بعد أن سافر من وطنه إلى دار السلطنة قزوين

وتوقّف فيهــا مدّة طويلة واشتغل بتحصيل العلوم الدينية لديّ وحصل ما يـنبغي تحصيله مدّة مديدة.

ثم سافر إلى دار السلطنة إصفهان وصرف عمره في تحصيل العلوم الشرعية وكسب الكمالات العالية، ثم سافر إلى الأماكن المتبركة والمقاعد المتعالية الشريفة والعتبات العالية الرفيعة على مشرفها آلاف الثناء والتحية وتوقّف فيها مدة مـن الزمان ابتغاء لتكميل ما ينبغي تكميله وينبغي تسديده.

ثم رجع إلى وطنه، فـاختبرته في أحـواله فـوجدته مـتمكّناً مـن اسـتنباط الأحكام الإلهية من مداركها المعلومة وبالغاً حد الاجتهاد، وله الفتوى عند رجوع العباد إليه في أخذ معالم دينهم والحكم بين الناس عند الترافع وعـليكم الاتكـال والاعتماد فيما أفتى وحكم فأرضوا به حكماً، وله الإنذار امتثالاً لأمـر اللّـه المـنذر القهّار المطلوب من طائفة من كلّ فرقة بعد الرجوع إليهم في كلّ حـالة ليرتكـبوا فرائض اللّه ومحبوباته ومرضياته ويحترزوا عن محرماته ومـبغوضاته ومـنهياته، فإنّه الداعي لإرسال الرسل وإنزال الكتب من اللّه العزيز الكريم: ﴿كِتَابٌ أَنـزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[١].

فأبرز ما في ضميره مما ينبغي إبرازه من أهل الفضل والكمال، وأعلن مـا في باله ممّا ينبغي إعلانه من العلماء الأعلام من الاستجازة المتداولة مـن السـلف إلى الخلف، وقد حكى سمّي الأُستاذ الأعظم ـ طاب مضجعه ـ عن الشيخ النجاشي عن أحمد بن محمّد بن عيسى قال:

خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بهـا الحسن بـن عـلي الوشـا، فسألته أن يخرج كتاب العلا بن رزين وأبان بن عثمان فأخرجهما، فقلت له: أحب

---

(١) إبراهيم ١٤ / ١.

أن تجيزهما لي. فقال: رحمك اللّه وما عجلتك؟! اذهب فاكتبهما واسمع من بعد. فقلت: لا آمن الحدثان. فقال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإنّي أدركت في هذا المسجد تسعمئة شيخ كلّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد عليه السلام.

فاستجازني ـ زيد توفيقه وعلمه وتقواه، وجعل اللّه كلّ يوم منه خيراً ممّا مضى ـ ابتغاء لاتصال أسانيد الأخبار إلى مهابط الوحي ومخازن الأسرار من النبي والأئمة الأطهار عليه وعليهم آلاف التحية والثناء من الكريم العزيز الغفّار؛ واحترازاً عن منقصة الانقطاع والانفصال، فأجزته ـ زاد اللّه فيما زانه وصانه عمّا شانه ـ أن يروي ما سمعه مني، وما وفّقني اللّه تبارك وتعالى من دقائق الأفكار ممّا خلت عنه الكتب والأخبار، وما وفّقني اللّه تعالى لإظهاره في قالب التأليف والتركيب، وكلّ ما جاز لي روايته من الأخبار المروية عن مخازن العلوم الإلهية خاتم الرسالة الجامعة وأوصيائه الحجج الإلهية، والأدعية والمناجاة المأثورة سيما الصحيفة السجادية، والمصنّفات في الأخبار والفقه من أصحابنا الإمامية وغيرها من المصنفات في العلوم الدينية، ككتب التفسير والدعوات والزيارات والرجال وغيرها سيما الأُصول الأربعة المشتهرة في الآفاق والأعصار اشتهار الشمس في رابعة النهار التي عليها المدار في هذه الأعصار: الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار ـ أسكن اللّه تعالى مصنّفيها جنّات تجري تحت قصورها الأنهار في جوار الأئمة الأطهار عليهم صلوات اللّه الملك الجبار ـ وما تولّد منها ومن غيرها كالوسائل والوافي والبحار أسكن اللّه تعالى مؤلفيها مساكن الأبرار، فله مد اللّه توفيقاته وكتب أضداده وأعداءه أن يرويها عني عن جماعة من مشايخنا العظام مكن اللّه تعالى أرواحهم في دار السلام، منهم:

شمس فلك العلم والتحقيق، بدر سماء المجد والتدقيق، سيّد المجتهدين

والمعتمدين، ملاذ العلماء العاملين، محيي شريعة سيّد المرسلين، ملجأ الفقهاء المعتمدين، غياث الإسلام ومغيث المسلمين، أُستاذنا الأعظم الأفخم، سمّي العلامة في زمانه آية اللّه في العالمين، حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الجيلاني مولداً والإصفهاني مسكناً ومدفناً طاب مضجعه الذي أجاز به جماعة من فحول الأساتيذ الذين لم نسمع مثلهم في المتأخّرين من الفقهاء العظام طاب ثراهم، كالسيّد السند المؤيد المسدّد، علامة دهره ووحيد عصره، أُستاذ الأساتيذ، النحرير الأعظم والفقيه الأفخم، المحقق المدقّق، البدر الطالع والنور الساطع، مولانا العلي المير السيّد علي الطباطبائي الحائري مسكناً ومدفناً حشره اللّه تعالى مع مشرفه في الفردوس العلي؛ وقدوة المحقّقين وأُسوة الفضلاء المدقّقين، زبدة أهالي التمجيد والتدقيق، مبيّن قوانين الأُصول واليقين، مشيّد مناهج الفروع بالبرهان المتين، مولانا الأعظم الأكرم الأفخم أبوالقاسم الجيلاني القمّي قدس اللّه نفسه الزكيّة وأفاض عليه المراحم الربانية؛ والشيخ العالم العامل الكامل الزاهد المتورع الباذل، الشيخ المعظم المكرم، الشيخ سليمان بن الشيخ معتوق العاملي طاب مضجعهما؛ والسيّد السند الزاهد العابد الزكي، والفاضل الكامل العلي، مولانا وعمادنا السيّد الجليل، السيّد محسن الشهير بالبغدادي طاب ثراه؛ والبحر الزاخر والبدر الباهر الجامع للمحاسن والمفاخر، العالم العامل والفاضل الكامل، شيخنا المعظم ملاذ العرب والعجم، معدن الفضائل الجليلة بالغ المقاصد العلية، ناشر المناهج الجعفرية، شيخنا وعمادنا الشيخ جعفر النجفي طاب مضجعه.

بقي التنبيه على طرف مشايخ السمّي الأُستاذ حجّة الإسلام المتقدم أوصافه طاب ثراه إلى العلامة المجلسي فنقول:

أمّا سيّدنا العلي الأُستاذ المتقدّم ألقابه طاب ثراه فقد روى عن السيّد الجليل ذي الشرف الجميل المرتحل من العالم الفاني إلى العالم الباقي الأمير عبد الباقي

الإصفهاني، عن والده المغفور المير محمّد حسين، عن جدّه من قبل أمه فتاح العلوم والأسرار كشاف الأستار، عن وجوه الأخبار مولانا محمّد باقر المجلسي أفاض اللّه من لطفه الخفي والجلي. وأما عمدة المحقّقين وزبدة المدققين الميرزا أبوالقاسم نوّر اللّه مرقده فيروي عن المولى الساطع والبرهان القاطع، مزيل الريب والشك عن وجه الحق بأوضح البيان، آية اللّه تعالى بين الأمثال والأقران، قدوة العلماء الأعيان، نور اللّه تعالى في ظلم الجهل في الأيام والأزمان، محيي قواعد العلوم الدينية بعد ما كادت تنطمس، مبرز مباني الأحكام الشرعية غب ما كانت تندرس، علامة زمانه، أعجوبة أوانه الذي فضيلة كلّ من تأخّر مأخوذة منه، أنعم اللّه تعالى علينا بالاستفادة عنه في الأُصول، السمّي البهبهاني طاب مضجعه الشريف الحائري مسكناً ومدفناً.

أُوصيك يا حبيبي ولبيبي بعد صرف العمر في الزهد والتقوى والاهتمام في التأليف والتصنيف كما يزال موفقاً من اللّه الموفق بالاهتمام في الدعوات في الخلوات في مظان الإجابات، وأن لا تنساني في حياتي ومماتي وقد قرب أجلي ومضى عمري، كما أنّي لا أنساك ما دام الحياة في وقت من الأوقات في الخلوات، ورجائي من اللّه العزيز المتعال ازدياد عمرك وإبقاؤك صحيحاً وسالماً مصوناً من الآفات إلى أن تبلغ إلى أطول الآجال بمرور الأوقات الموعودة والسلام.

إلى هنا صورة إجازة المرحوم السيّد محمّد باقر.

وللسيّد محمّد باقر تأليفات منها: رسالة في نقل ملك نقالة الموتى، ورسالة في مقدمة الواجب وغيرها.

والسيّد بعد رجوعه من العتبات العالية كان مختفياً منزوياً في بيته مدّة من الزمن، اشتغل بعد ذلك مدّة سنتين في إصفهان في خدمة حجّة الإسلام سميه وأخذ

منه الإجازة ثم عاد، ثم انحصرت به الرئاسة العامّة في قزوين إلى أن كثرت تعدّيات مجد الدولة والي قزوين على الرعايا والبرايا، فاجتمعت الخلائق وأخرجوه من المدينة، واشتهر هذا العمل باسم السيّد محمّد باقر؛ ولذا حكم سلطان العصر بنفيه فذهب إلى النجف، وعندما كان يدرس الشيخ مرتضى عند شريف العلماء، والسيّد حضر الدرس أيضاً، صارت بينهما معرفة وصداقة، وعندما صار الشيخ مرتضى الزعيم الوحيد بين علماء العرب والعجم كتب رقعة إلى السلطان يتوسّط للسيّد، فرجع إلى قزوين.

وحينما منعته من التصرف في أمر الديوان أجاب: عندما أردت الرجوع من عند السيّد محمّد باقر كتب إليه وصية: لا تترك السعي في حوائج المسلمين والمؤمنين، واسع غاية السعي في قضاء وإنجاح أُمور المسلمين، فقد عقد الشيخ الكليني باباً في كتاب أُصول الكافي في الاهتمام بأُمور المسلمين، وذكر في هذا الباب أخباراً كثيرة عن الأئمة الأطهار، ولذا لا تعف نفسك لحظة من حماية الضعفاء والفقراء.

وكان عمر السيّد محمّد باقر قريب الثمانين، وهو تقريباً عمر الشهيد الثالث بل كان أكثر.

يقول مؤلف هذا الكتاب: إنّ عمر العلماء الأعلام غالباً أكثر من سائر الأنام مع أنّهم غالباً في ضيق وفي إعمال الفكر وحالة تصنيف وتأليف، ولم يلتذّوا أبداً بالأطعمة اللذيذة والألبسة والامتعة إضافة إلى الآلام الروحية التي ترد عليهم دائماً من أبناء زمانهم. وسبب طول عمرهم عدّة أُمور:

منها: المصالح الكاملة الكامنة المتكاملة الواقعية التي لا يقف عليها إلا اللّه تعالى، وبعض تلك المصالح يمكننا أن ندركها بعقولنا الناقصة مثل: ترويج الدين

المبين، وقلع وقمع عروق شبهات المبطلين، واهتداء واقتداء المسلمين، ونزول البركات من السماء إلى الأرض، وقال اللّه تعالى في القرآن المجيد: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1] وهذه الآية بعمومها تشمل أعمار العلماء أيضاً؛ لأنّ الناس تنتفع بهم سيّما أن العلماء قلّما يصلون في سن الشباب والكهولة إلى الكمال، ويقلّ منهم خلوص النية حتى إذا وردوا سنّ الشيخوخة تخلص النية لا محالة، فيقومون حينذاك بأمر الدين.

ومنها: إنّ العلماء دائمو الحضور ودائمو القرب من اللّه؛ فلذا كانت أشعة أنوار الإفاضات الشعشانية للّه تعالى مشعة على رؤوسهم الشامخة قبل غيرهم وهم أكثر استعداداً لكسب الاستفاضة؛ ولذا كانت الإفاضات عليهم أكثر من غيرهم من كلّ الجهات، ومن جملة إفاضاتهم طول العمر.

---

(١) الرعد ١٣ / ١٧.

(٤)

في أحوال كثير الافضال مؤلف الكتاب

وهو محمّد بن سليمان بن محمّد بن رفيع بن عبد المطلب بن علي التنكابني. وإني وإن لم أكن أعتبر نفسي داخلاً في سلك العلماء الأطياب الذي هو موضوع الكتاب، لكن مرّت عليّ أحوال غريبة يوجب ذكرها ازدياد التوكّل، ولمّا كان ذكر التأليفات يشوّق الطلاب، وحتى يذكر اسمي الأجلّاء من الأخلّاء في الأسحار، ذكرت اسمي وتفاصيل أحوالي.

كان جدّي الأعلى الملّا علي من العلماء ولا نعرف الكثير عن أحواله، وكان الآخوند الملّا عبد المطلب وهو جدّي أيضاً من مشاهير علماء هذه البلدة، وفي المراسيم العتيقة يذكر اسمه في نهاية التكريم والتعظيم، وقد حرّك ابنه الملّا محمّد رفيع وهو جدّي الأدنى لتحصيل العلوم الدينية، فذهب جدّي الملّا محمّد رفيع إلى دارالسلطنة قزوين وقرأ شرح اللمعة، ومات أبوه وله عيال كثيرة فعاد إلى الوطن وصار معروفاً في هذه الديار بكتابة الدعاء، وكان في غاية التقوى، وكان له مقرّر من حاكم البلد المرحوم مهدي خان وبعض أهالي الديوان، لكنّه لم يكن يصرفه على نفسه وعياله، بل كلّما أُعطي راتبه يصرفه بين الصغار وفقراء قبيلته وقريته.

وأرسل ولديه الآخوند عبدالمطلب عمّي الماجد والميرزا سليمان والدي إلى العراق، ودرس عمي الماجد حتى المطوّل وكان في غاية التقوى، وكان والدي متمكّناً جداً من العربية ودرس عند الملّا علي النوري مدّة اثنتين وعشرين سنة،

ودرس كتب الملّاصدرا عنده وفاق في علم الحكمة أقرانه، ودرس شرح اللمعة عند الآخوند الملّامحمّد علي النوري، وقد رأيته يدرس شرح التجريد والشوارق وشرح اللمعة وتفسير القاضي لأفاضل الطلاب، ثم شرع في علم الطب وكان أُستاذه الميرزا إسماعيل الأعرج الإصفهاني الذي كان عنده ٧٠ تلميذاً في الطب، والميرزا إسماعيل يدرس عند الولد شرح التجريد، والوالد يدرس عنده الطب، وعمل في الطب مدة سنتين بنحو فاق أقرانه وصار المدرس الوحيد للقانون في دار السلطنة إصفهان.

وكان في ذلك الزمان في إصفهان الملّا محراب وهو من أعاظم ومشاهير العرفاء ويكشف عن المغيّبات، فتشرّف هذا الملّا بزيارة سيّد الشهداء ﷺ فجلس عند الرأس، وكان الملّا كاظم الهزار جريبي أمام الصلاة عند الرأس، ولم يكن له في العلم ذلك المستوى، فجلسا قرب بعضهما.

وكان الملّا كاظم بعد صلاة الصبح يذكر أحد الحكماء الصوفيين ويلعنه مئة مرّة، فلعن الملّا صدرا ولعن الملّا محسن الفيض ولعن بعد ذلك الملّا المحراب، فسأله الملّا المذكور: من هو هذا الشخص الذي تلعنه؟ فقال: الملّا محراب الإصفهاني. فقال له الملّا محراب: لماذا تلعنه؟ فقال: لأنّه يقول بوحدة واجب الوجود. فقال له الملّا محراب: هو يعتقد بوحدة واجب الوجود فالعنه حتى لا يعتقد بذلك. والملّا محمّد كاظم كان قد سمع أنّ الصوفية تقول بوحدة الوجود فاشتبه الأمر ولم يفرّق بين وحدة الوجود ووحدة واجب الوجود.

وعلى كلّ حال كان للمرحوم الوالد معه كمال العلاقة والمحادثة، وكان معروفاً بالكشف عن المغيّبات وله كرامات أُخرى، ففي ليلة رأى المرحوم الوالد في المنام أنه دخل الجنّة وأخذ غرفة من نهر فيها، فذكر المنام للملّا محراب، فتأمّل ثم قال:

تتزوج امرأة من السادة وسترزق منها ولداً سيُصبح من مشاهير علماء ذلك العصر ومن الأولياء. ولهذا السبب كان الوالد المرحوم كثير المحبة لي مذعناً بكـلام المـلّا المحراب.

ووالدتي من السادات في نسب تامّ الصحّة، ومن طبقة سـادات إمـام جمـعة إصفهان، وشعبة منهم تسكن في يزد، والميرزا سليمان اليزدي وكان عالماً معروفاً هو من هذه الطبقة، وشعبة منهم تسكن الهند وهم سادات حسينيون.

وقد أرسل أحد سلاطين الدولة الصفوية جدي لأُمي إلى هذا البلد لترويج الشريعة، وكان والدي يسكن في إصفهان حتى طلب منه الأمير محمّد قلي مـيرزا الّذي كان والي مازندران أن يأتي إليه لما كانت عنده من شهرة واسعة في الطبّ، فلم يجب والدي، ثم جدّد الطلب وكتب له: إن لم تأتِ سأعرض الأمر على السـلطان حتى يرسل من يأتي بك. وكتب أيضاً رقعة إلى الملّا علي النـوري ليرسـله، فأتى المرحوم الوالد بعد إلحاح وإصرار الملّا النوري، وكان يجتنب طعامهم ويحتاط كثيراً في الأكل والشرب والألبسة والأمكنة من توابع أمر الديوان، وبقي عدة سنين في مازندران ومنها جاء إلى تنكابن ولم يرجع.

وكان الوالد مواظباً على الصلاة في أوّل أوقاتها وعلى أداء نوافـل الرواتب، وكان يتلو كلّ يوم جزءاً من القرآن، ويقرأ كلّ صبح سورة يس ومئة مرة «لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين» وكان مداوماً على سائر الأوراد، وكان يقرأ سورة الواقعة في قنوت صلاة الوتر، ولم يترك صلاة الليل أبداً، وكان دائم الاشتغال بكتابة الأخبار وأحاديث الأئمة الأطهار، وكان يقول: اسأل اللّه أن يطيل عمري حتى تـصل إلى البلوغ. وهكذا كان، فعندما وصلت حد البلوغ توفي الوالد، وهذه من كراماته.

وقد كتب الوالد حـواشي عـلى المـطول والمـفاتيح وشرح الجـامي وشرح

الأسباب في الطب والشواهد الربوبية وزاد المعاد ورسالة في الوباء وعلاجه.

وكتب بخط يده الكثير مثل: التصريح وحاشية السيّد نعمة اللّه وعصام وحاشية جلبي وحاشية الملّا ميرزاجان على المطول ومجلدي المفاتيح للملا محسن وشرح آغا هادي على المفاتيح والشواهد الربوبية وشرح الزيارة الجامعة للشيخ أحمد وأجوبة مسائله وشرح فوائده ونصف الشوارق ونصف المحرق ونصف التحفة ونصف زاد المعاد وحاشية على حكمة العين والمجلد الثالث من حياة القلوب وتذكرة الأئمة.

وقد استيقظت في ليلة وقت السحر من النوم فرأيت الوالد جالساً يبكي بشدّة وقد جلست إلى جانبه إحدى زوجاته، وبعد مدّة هدأ فسألته عن سبب البكاء فقال: قرأت في قنوت الوتر المناجاة الخامسة عشرة وبكيت، وفجأة سمعت صوتاً لطيفاً يأتي من سقف البيت يقول: أيها العالم العامل. وكان للمرحوم الوالد الكثير من أمثال هذه الحكاية، ثم قال: وعندما سمعت هذا الصوت استولى علي البكاء إلى حدّ أنني لم أستطع إكمال الصلاة وجلست بغير اختيار وبكيت، ولا تبدي هذا الأمر ما دمت حياً فإنّي لا أرضى بذلك.

وفي الجملة: فقد كان الوالد دائماً يقرأ في قنوت صلاة الوتر المناجاة الخامسة عشرة، وكان ذا خضوع وخشوع في الصلاة إلى حد لم أعرف أحداً من أبناء العصر مثله، وعندما وصلت إلى حد البلوغ توفي الوالد، وقد درست عنده أيام حياته الصمدية وشرح التصريف، ودرست السيوطي والكبرى وحاشية الملّا عبداللّه عند الخال المفضال السيّد أبي جعفر والسيّد حسين أعلى اللّه مقامهما.

وكان السيّد أبو جعفر من تلامذة السيّد علي صاحب الرياض وابنه السيّد محمّد، وقد أجازه السيّد محمّد وأمره بكتابة الفقه، لكنّه من شدّة الورع والتقوى

كان يحتاط ولم يترك التقليد، وكان يشك في اجتهاد نفسه ثم ترك الأُصول والفقه. وكانت له اليدالطولى فيالعربية وله حواشي كثيرة على السيوطي اشتملت على دقائق الأفكار.

ومن جملة كرامات الخال المفضال السيّد أبي جعفر: أن أحد المأمورين أخذ سيّداً فقيراً وضيّق عليه فقال له: اتركه. فلم يرد ذلك الشقي، فقال جنابه حينئذٍ: اللّه يجنّنك. فجنّ من ساعته، وبعد ثلاثة أيام مات.

ومنها: أنّه كان يذهب كلّ ليلة إلى المسجد ويبقى حتى الصبح مشغولاً بالعبادة والتضرّع، وفي ليلة كان في المسجد درويش وجنابه لا يعلم فأتى بعبادته، وعند الإضاءة جاء إليه الدرويش وقبّل يده وقال: قد أعجبتني عبادتك ويوجد قرب بيتك كنز فتعال معي لأدلّك عليه. فلم يقبل وقال: لا أُريد كنزاً.

ثم بعد ذلك درست عند والدي كتاب الجامي وشرح الشمسية ثم توفي الوالد. وكان والدي وخالي المفضال قد أمراني بأن أكتب تعليقة على الجامي والسيوطي فكبت شيئاً قدرت عليه.

وبعد ذلك ذهبت إلى العراق ودرست الأُصول عند الملّاصفر علي اللاهيجي الذي كان ساكناً بقزوين. والأشخاص الذين حضرت مجلس درسهم هم: الملّا صفر علي والملّا محمّد صالح البرغاني والملّا عبدالكريم الايرواني والملّا محمّد جعفر الاسترآبادي وحجة الإسلام السيّد محمّد باقر والشيخ محمّد ابراهيم الكلباسي والشيخ محمّد حسن صاحب كتاب جواهر الكلام والشيخ حسن ابن الشيخ جعفر النجفي والشيخ محسن خنفر والشيخ مرتضى والملّا السيّد الدربندي. لكن الأُستاذ الاصل في علم المنقول هو الأُستاذ السيّد ابراهيم صاحب الضوابط الذي كان محور دائرة الفضل والكمال في الفقه والأُصول والرجال.

وكل ما كان ادّخره والدي صُرف في جمع الكتب العلمية، وبعد ذلك لم اشتغل بجمع المال في دار الولاية دار المَرز «دار الحدود» بل تركت النزهات والأعراس والأتراح وأقفلت باب الدخول والخروج، ولم أشتغل إلا بالتدريس والتأليف والأعمال الفكرية.

وكانت ولادتي سنة ١٢٣٤ أو ١٢٣٥، ولم يكن الزمان على وفاق معي مع أنّي قد سحبت يدي من الدنيا لكن أهل الدنيا لم يتركوني، فالمأمول من اللّه أن يخلصني من هذا البلاء عن قريب. فسكنت في بلاد العراق وتبدل ضيق العيش وضنكه إلى سعة.

ومن جملة الغرائب: أنّي رأيت في ليلة ـ أيام الطفولة ـ صاحب الأمر عجل اللّه فرجه في المنام في جانب مدرسة بنيتها وقد قطع عنقي بعد أن بلغت المراتب العالية. ففسّر القتل بالعمر الطويل أو بالإفاضة من إمام العصر، وهكذا كان.

وأيضاً من الغرائب: أنّني أردت الزواج بعد ورودي إلى العتبات العالية، فأردت الاستخارة على امرأة فاستخرت عند رأس سيّد الشهداء عليه السلام فجاءت هذه الآية: ﴿يَا زَكَرِيا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾[1] ففهمت أنّه سيكون لي ولد من هذه المرأة وسيتوفى في أيام حياتي، وهكذا كان، إذ رزقت بولد في غاية الجمال والفطانة وتوفي وله سبعة عشر عاماً، غفر اللّه لي وله.

ومن الكرامات التي رأيتها رأي العين لذرّية خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: أنّي تشرّفت يوماً بزيارة الصدّيقة الصغرى فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام الملقّبة بالمعصومة، وكان معي دائماً مقدار من الذهب المسكوك، وفي ليلة جمعة أردت أن أُعطي الخدّام

---

(١) مريم ١٩/ ٧.

مالاً فأعطيتهم سهواً أشرفيتين[1] وكان الأمر في الظلام، وعندما رجعت تبيّن أنّني أعطيت عملة روبية فنظرت في الكيس الذي فيه عملة الذهب فوجدته خالياً. وفي الصباح أتيت بهذا الكيس الخالي من العملات فرأيت فيه قطعتين أشرفيتين مع أنّه كان في الليل خالياً ولم يتصرّف أحد به أبداً.

وهذه القضيّة حدثت مرّتين، والمرة الثانية حدثت في ذلك السفر أيضاً في جوار السيّد عبد العظيم بن عبد اللّه الحسني الذي يصل نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام بأربعة آباء، فهناك أيضاً وجدت الكيس خالياً فلم يبقَ ما أصرفه، ثمّ عدت ورأيت فيه مالاً.

كرامة أُخرى شاهدناها من السيّدة المعصومة حيث مرض ولدي وزوجتي وقد أشرفا على الموت، فقلت للصديقة الصغرى: قد أتينا من بعيد إلى بيتك ولا نتوقّع الرجوع خائبين ويائسين منك. وعلى الفور برئ المريضان.

ومن جملة الإفاضات التي نلتها: أنّني في ليلة من الليالي أيام الإقامة في كربلاء رأيت الإمام موسى الكاظم عليه السلام في عالم الرؤيا، فسألته عن عدّة أُمور فأجابني ثم سألته: ما هو الحق في المسألة المعروفة الظنّ الخاصّ والظنّ المطلق؟ فلم يجب عليه السلام فعلمت أنّ المقصود أنّه في هذه الاعصار حيث إنّ إمام الزمان غائب وباب العلم منسدّ يجب العمل بالأحكام الظاهرة بين أيدينا.

ومن جملة الحوادث: أنّني ذهبت مرّة لرؤية الوالي ـ وفّقه اللّه ـ وجلست في المحلّ الذي حدّدوه، وكانت هناك بندقية فحرّكتها من موضعها حتى يتّسع المكان، فقال صاحب المجلس الوالي: لا تحرّكها. واللّه قد رحم؛ لأنّه كان الاحتمال قريباً أن تقع البندقية وتفرّغ ذخيرتها ويقع بين أهل المجلس القتل ويورث الندامة. فسكتّ

(١) الأشرفي: عملة ذهبية كانت رائجة في إيران زمن الملك أشرف القاجاري، وزنها ١٨ حمّصة.

ثم كرّر هذا الكلام فانزعجت وقلت: اتعتقد أنّ المالك معزول عن مملكته، ذلك الإله الذي أخرجنا من طيّ العدم إلى الوجود، وأوصلنا إلى سنّ الشيخوخة وحفظنا من جميع المهلكات، وفي البدن أخلاط إذا زادت أو نقصت تجعل البدن في معرض الذبول والاضمحلال والزوال، ومن الأعداء والحيوانات الوحشية والأهلية، وحفظنا من هدم البيت والغرق والحرق والصاعقة والرياح والأمطار والسيول والزلازل والحيوانات السامة أو التي تدخل في مسامّ البدن، ومن أعدائنا من أبناء جنسنا، وجعل الإنسان محظوظاً بسعادة المراتب العلمية، ومع ذلك كلّه بأدنى شيء يضيّع مقامه ويفسده ويكسده، وإن أخذ الأعداء صاحب منصب وكان السلطان قادراً على إنقاذه هل تقبل غيرته أن يغض النظر عنه وأن يهمله؟ وبالتأكيد فإن صاحب الأمر لا تقبل غيرته أن يرى الملازم والمخلّص لدينه مبتذلاً بهذا النحو إلا إذا كانت هناك مصلحة كامنة تقتضي خلاف ذلك.

ومن جملة الدقائق: أنّه في بعض المجالس حكى بعض الأعيان عن سفراء الفرنج أنّ السفير يقول: نحن الفرنج ننكر انشقاق القمر؛ لأنه لم يذكر ذلك في صحفنا ولم ير ذلك أحد في أراضي بلاد الفرنج، فإن صدر مثل هذا الأمر الغريب لعرف به الجميع. وقال ذلك الحاكي: إنّه لم يتمكن أحد من العلماء أن يبرهن على هذا الأمر بالأدلّة والبراهين لسفراء الدول الخارجية، وأن يجيبهم على ما ذكروه.

أقول: قلت في الجواب: إنّ السبب في عجز العلماء الأطياب عن الجواب هو في الحقيقة عدم حضور العلماء الكاملين في مثل هذه المحافل، وبعض الناقصين ممّن يحضرون هذه المجالس قاصرون عن حلّ هذه الشبهة ولا علم لهم بالمبدأ والمعاد خصوصاً أن الغالب في هذا الزمان الاشتغال بالمنقول ولا اطلاع لهم على علم المعقول، وأمثال هذه المسائل جوابها من علم المعقول؛ ولذا يرون أنفسهم غير قادرين على الجواب.

وأمّا حلّ الشبهة فهو أنّ انشقاق القمر كان في الليل، وقد حدث في لحظة فلم يطّلع عليه في تلك الليلة كلّ الناس، بل عرف بذلك أُولئك النفر الذين كانوا بمحضر النبي ﷺ، والناس الآخرون إمّا كانوا نائمين أو في البيوت مشغولين؛ فلذا شاهده القليل من الناس، على أنّه في تلك الأيام لم تكن هناك صحف بين الإفرنج، بل الصحف من محدثات العصور المتأخّرة كما لا يخفى على المتتبع في طريقة الإفرنج إذا كان منصفاً.

إضافة إلى أنّ الأرض كروية، والشمس كان شروقها أسرع وكذا غروبها بدقيقة عند كلّ خمسة فراسخ لجهة المشرق، وعند كلّ عشرين فرسخاً تشرق وتغرب قبل أربع دقائق كما بيّن ذلك في علم الهيئة، وإذا اتّجهنا إلى جهة المغرب فإنّ شروق الشمس وغروبها يتأخّر أربع دقائق عند كلّ عشرين فرسخاً؛ ولذا فرّعوا على كروية الأرض أنّه يمكن أن يكون يوم واحد هو خميساً وجمعة وسبتاً بالنسبة إلى ثلاثة أشخاص: واحد في مكان وآخر في جهة المشرق وثالث في جهة المغرب، ويتلاقون بعد ثلاثين سنة كما ذكره الشيخ البهائي في تشريح الأفلاك. فبلاد الإفرنج لم تكن قطعاً متّفقة مع أُفق مكّة، فلعله عندما انشقّ القمر كان الزمان عند الإفرنج ظهراً أو عصراً فلم يُر في تلك الأراضي.

وبناء على مذهب بعض الحكماء أنّ الإعجاز هو أن يتصرّف النبي أو الولي في القوّة الخيالية أو البصرية فيظن ذلك الشخص أنّ الأمر الفلاني قد وقع، فبناء عليه كان هذا التصرّف في تخيل المشاهدين لا غيرهم. لكنّه مذهب فاسد؛ لأنّ لازمه أن يكون الإعجاز خرافة لا واقعية له، وهذا الكلام فاسد، بل إنّ جميع معجزات الأنبياء واقعية.

ومن الحوادث الغيبيّة: أنّه في زمان ريعان الشباب كنت أشتغل في عشرة

عاشوراء بقراءة كتب المقاتل، فطرأ على بالي في ليلة أن كيف يمكن أن ينزل كلّ واحد من أصحاب الإمام الشهيد؟ إلى الميدان ويقتل من الأعداء مقتلة عظيمة مع أنّ الجيش المخالف كان شجاعاً مقداماً أيضاً، فلماذا لم تظهر منهم شجاعة؟

فرأيت ليلة في المنام واقعة كربلاء وكنت في جيش سيّد الشهداء؟، فجاءني شخص وقال لي: حان دورك للجهاد. فقلت: ليس عندي آلة حرب. فأعطاني سكّيناً مكسوراً فيه بقية من سنان وقال: هذه حربتك. فقلت: وأين الجيش المخالف؟ فأخذ بيدي حتى وصلنا إلى حائط فرأيت نملاً كثيراً عليه، فقال لي ذلك الشخص: هذا النمل هم الجيش. فخطّطت عدّة خطوط في كلّ خطّ يسقط نمل كثير، ثم استيقظت وفهمت أنّ هذا هو معنى الشجاعة، وأنّ هذا المنام كان لدفع الشبهة التي اختلجت في قلبي، وبحمد الله قد ارتفعت بعين اليقين.

ومن جملة الحوادث الغيبيّة: أنّه في وقت من الأوقات تسلط على رعايا الخليل وأحفاد النبي الجليل في بعض القرى عتل زنيم عنود فأصابهم بظلم وضيق وإجهاد، وقد التجأ المظلومون عدّة مرات إلى هذا الفقير قليل البضاعة، وكنت أشتكي كرّة بعد أُولى ومرّة غبّ أُخرى لوكلاء الوالي، وأُبرز سوء سلوك حاكم ذلك المكان وفظائع وشناعات عديم السيرة رديء الفطرة خبيث السريرة دنيء المرتبة، فلم تفد الشكوى ولم تثمر ولم يرتفع الشر؛ ولذا في يوم من الأيام صعدت المنبر بمحضر الأنام وبعد التذكير بمحضر الملك العدل الجبار القهار قلت: إلهي خلّص ذرية النبي المسدّد من ظلم هذا الظالم الغشوم المشؤوم وعذّبه يوم الحساب. وبعد مدّة قليلة مات ذلك الغدّار المفسد.

ومن الألطاف الإلهية الغيبيّة: أنّ العيال احتاجت لأمر ضروري للمنزل، وقد طلبت مني ذلك عدّة مرّات فكنت أتباطأ في الاستجابة، وفي الواقع لم يكن ذلك

ميسّراً لي رغم الفحص والبحث إلى أنّ أصرّ الأولاد علي كثيراً، ففكّرت في الأمر فأُلهمت النظر للأخبار في قضاء الحوائج فتوضّأت وتحنّكت بـالعمامة وخـرجت بطلب ذلك الأمر، وبعد أنّ خطوت مئة خطوة قُضيت الحاجة وتمّت.

ومن الحكايات البديعة التي وقعت لمؤلف الكتاب: أنّـني تـشرّفت في سـنة لزيارة الصدّيقة الصغرى السيّدة فاطمة بنت موسى بن جـعفر عليهما السلام وأقمت هـناك، فاجتمع هناك بعض العلماء، وتحدّثوا في النبوة الخـاصّة وأنّ إثـباتها غـير ممكـن، وذكروا أنه جاء بعض الحكماء عن تلامذة الملّا هادي السبزواري إلى قم وطلبوا منه إثبات النبوّة الخاصّة فكان قاصراً عن إتمـام ذلك، فـقلت: أُثـبت لكـم هـذه المرحلة من دون التمسّك بقاعدة إمكان الأشرف، وبدون التمسّك بالقرآن، وبـدون التمسّك بالمعجزة حتى يكون لازمه التمسّك بالنقل، بل أُثبت حقّانية خاتم الأنبياء بدون هذه الأُمور لكن تمامه يتوقّف على عدّة مقدّمات:

المقدمة الأولى: أنّني أُثبت النبوّة الخاصّة بالعقلّ أمّا أنّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بخصوصه ظهر في السنّة الفلانية وادّعى النبوة فهذا أمر لا يمكن إثباته بالعقل بـل لا بدّ من النقل، لكن نثبت ذلك بالنقل القطعي، وإثبات ذلك بصرف العـقل مـن المحالات. فالمراد إذن من إثبات النبوة الخاصّة إثبات ما عدا مجيء نـبي في السـنة الفلانية وإدعائه النبوّة.

المقدمة الثانية: اعلم أنّ الدليل على أقسـام:

١ ـ العقل القطعي.

٢ ـ العقل الظني.

٣ ـ النقل الظني مثل خبر الواحد.

٤ ـ النقل القطعي.

وهذا الأخير على أقسام:

أ ـ خبر واحد محفوف بالقرينة القطعية، مثل أن تريد الدخول إلى بيت شخص فتطرق الباب فيأتي من البيت من يقول: قد أذن لك صاحب البيت بالدخول. فهذا خبرٌ واحد محفوف بقرائن تفيد العلم.

ب ـ الخبر المتواتر تواتراً لفظياً والمراد منه أنّ تكون كلّ طبقة من المخبرين بعدد تفيد كثرتهم العلم بصدور هذا اللفظ عن الشخص المروي عنه، مثل: حديث غدير خم حيث كان المخبرون بكثرة يحصل للشخص العلم بأنّ النبيﷺ قد قال هذا الحديث بلفظه. فاللفظ يمكن أن يكون نصّاً وقطعياً، ويمكن أنّ يكون ظاهراً وظنياً.

ج ـ الخبر المتواتر تواتراً معنوياً، والمراد منه أنّ ترد أحاديث متعدّدة تشترك في مضمون واحد وتختلف في الألفاظ، فيحصل القطع بأنّ أحد هذه الأحاديث قد صدر من المعصومﷺ، إذن قد يحصل القطع من الأحاديث بأنّ هذا المضمون حقّ وواقع وصواب.

د ـ التظافر والتسامع، وهو أنّ يحصل العلم من مجرّد أخبار المخبرين بحقيقة مضمونه لكن طبقاته غير معلومة، بل ربّما يوجد في سلسلة السند خبر واحد يمكن أنّ يثبت به الخبر، مثل العلم الذي عندنا بأنّ الهند موجودة أو رستم شجاع أو حاتم كريم، فالعلم بهذه الأُمور موجود لكن لا سند في البين ولا تستطيع أنّ تقول: سمعت هذا من زيد وهو من عمر عن فلان... فلا سند في متناول اليد حتى سند آحاد ومع ذلك يحصل العلم بمضامين هذه الأُمور.

المقدمة الثالثة: أنّ محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطلب جاء قبل ١٣٠٠ سنة وكان له منزل في مكة والمدينة، وادعى النبوة وقام بغزوات. وهذه المقدمة محل قطع

ثبتت بالتظافر والتسامع مثل كرم حاتم وشجاعة رستم، وهذه المقدمة وإن كانت قطعية لكنّها ثبتت بالنقل ومن المحال أنّ يثبت مثل هذا الأمر بالعقل.

المقدمة الرابعة: اعلم أنّ اللازم على اللّه من باب اللطف أن يوصل إلى العباد التكاليف الناشئة عن المصالح والمفاسد الواقعية وأن يعلّمهم بهـا، وهـذا الإعـلام يكون بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فلا بد إذن أن يكون على الأرض دائماً أناس يكون مذهب الحق فيهم حتى لا يضلّ الناس ولا يلزم مـا هـو خـلاف اللـطف، وإرسال الرسل وإنزال الكتب إنما هو من باب اللطف. وهذه المقدمة مبرهن عليها في الكتب الكلامية، وقد استوفينا نحن ذلك في منظومة النبوة وشرحـها والعـقل بذلك حاكم.

المقدمة الخامسة: اعلم أنّ الإنسان على أقسام ثلاثه: إمّا ناقص مستكمل أو كامل غير مكمل أو كامل مكمل. والأول هم عامّة الناس يحـتاجون إلى رسـول لتكميلهم. والثاني هم الأولياء، أي بعض الأولياء الذين كانوا في زمان بني إسرائيل، فهم كاملون لكنهم لا يستطيعون تكميل الغير، مثل لقمان بناء على قول أو احتمال. والثالث هم الأنبياء، فهم كاملون ويمكنهم تكميل غيرهم، والمراد من التكميل ليس التكميل في الأفعال والاعتقادات والآداب ونحو ذلك.

المقدمة السادسة: اعلم أنّه قبل بعثة رسول اللّهﷺ لم يكن بين الناس لديـن الحق وجود؛ لأنّ الذين كانوا من قريش فـقد كـانوا مشـغولين بـعبادة الأصـنام والأوثان، ومن البديهي أن الوثنية باطلة ببديهة العقل؛ لأن العقل حاكم بأن اللّه تعالى ليس جسماً ولا مكان له ولا أجزاء وليس عاجزاً ولا ينفعل عن الغير، فهو تعالى الوجود الأتمّ التام فوق التمام، وهذا الوجود يكون منزّهاً عن كـلّ شـوائب الامتزاج بالأعدام، فلا يتصوّر فيه التركيب والعجز والنقص والاحتياج والانفعال

من الغير. والأصنام جميعها أجسام لها أعدام ومركّبة من أجزاء غير تامّة ومحتاجة إلى المكان وعاجزة عن الفعل والكلام، وجسم مكتنف بالأعراض من والوضع والجهة والأين والمتى والكم والكيف ونحو ذلك، وهي غير منفكّة عن هذه الأمور، وهي علامات التغير والحدوث والزوال والدثور والاضمحلال، تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً.

فبطلان الوثنية من أبده البديهيات، وعبّاد الأصنام يدعون على القيام بالأُمور البديهية البطلان عقلاً والبديهية الحرمة، مثل: شرب الخمر الذي يحكم العقل بحرمته في كلّ مذهب وشريعة، لأنّه يخمر العقل ويزيل ذكر اللّه الذي هو لبّ العبودية؛ وهم دائماً كانوا في قتال دموي وأسرٍ ونهب، ومعلوم أنّ حفظ النفوس والدماء والأموال والأعراض لازم عند العقل وهو أساس بقاء نظام المعاش.

وأمّا أهل الدنيا فالمجوس معتادون على نكاح البنت والأُخت ومشتغلون بشرب الخمر، ويعتقدون بربوبية النار، وهذه كلّها باطلة بضرورة العقل وقد تبين وجهه سابقاً.

وأمّا النصارى فقالوا بالتثليث والأقانيم الثلاثة: الأب، الأُم، الابن، عيسى ومريم واللّه، وقالوا بالاتحاد والحلول، وهذه الأُمور كلّها كفر ببديهة العقل، على أنّ الأناجيل الأربعة متناقضة وقد حلّلوا شرب الخمر، بل النصارى في الحقيقة مجسّمة، وقد جاء في الإنجيل أنّه دعا عيسى في مجلس ضيافة كانت فيه عدّة أواني فامتلأت خمراً فقدّم الخمر للضيوف وأسكرهم وهو غير معقول، وفي مكان في الإنجيل جعل الفصل بين آدم ويوسف بأكثر من أربعين جيلاً، وفي مكان آخر جعل أقل من ذلك العدد. وعلى كلّ حال فبطلان مذهبهم كالشمس في رائعة النهار.

وأمّا اليهود فمذهبهم باطل أيضاً، وتوراتهم أيضاً محرّفة وقد حلّلوا شرب

الخمر، وفي التوراة أن اللّه تعالى نزل إلى السماء الأُولى ونظر إلى الأرض فرأى أهلها يسفكون الدماء ويعصون ويفسدون في الأرض فندم اللّه تعالى من خـلقهم، وفي التوراة أيضاً أنّ يعقوباً سجد لأُخته عليا، وفي مكان في التوراة أنّ لوطاً بعد هلاك قومه نزل بعيداً عن تلك المعمورة مع بنتيه، فغلبت الشهـوة عـلى ابـنته الكـبرى فسقت والدها لوطاً شراباً فأسكرته ثم قـاربته وحمـلت مـنه، فسألت الصـغرى أختها عن سبب الحمل فأخبرتها، فأتت الصغرى وسقت أباها أيضاً وقاربته وهو سكران فحملت منه أيضاً، فولدت إحداهن صبيّاً والأُخرى بنتاً ثم كبرا وتزوجا وكان النسل منهما. وبالإجمال تدلّ هذه المذكورات في التوراة من الأعمال الشـنيعة على بطلانها مع ما ينسبونه للأنبياء. وبالجملة بطلان مذهب اليهود والكثير مـن فقرات التوراة غني عن البيان، وقد استوفينا ذلك في منظومة النبوّة وشرحها.

المقدمة السابعة: اعلم أنّ الدين الذي أتى به محمّد بن عبداللّـه ﷺ مـوافـق للصواب ومدلول العقل الجازم وعقائده تـطابق العـقل تمـاماً، فـاللّه مـنزّه عـن الجسميّة وليس محلّ الأعراض ولا شريك له، ومنزّه عن الاتّحاد والحلول وعـن التغير والتبدل، وهو عادل قادر عالم غنيّ، وهذه كلّها من عقائد ذلك الدين وأمثالها من العقائد الحقّة التي يدلّ عليها العقل. وسنّ في الفروع أوراداً وأذكاراً في اللـيل والنهار يتذكّر الناس بسببها مولاهم، فلايغفلون عن اللّه تعالى ولا يفقدون الدين بمرور الدهور.

والعقل يحكم أنّ كلّ نبيّ عليه أن يأتي بأوراد وأذكـار تـذكر بـاللّه تـعالى، وأن تكون جميع تكاليف الشريـعة مـبرّأة مـن النـقص حـتى يـدخل الإنســان في سلوك درب تكميل نفسه، وأن يترك الهوى والتكبر، وأن تـندكّ الأنـية، وأن يخرج من قلبه حب المال والعيال والبيت والوطن والأكـل، فـإذا خـرجت هـذه المحبّات من القلب فإنّ بيت القلب لن يكون معموراً إلا بمحبّة واحد هواللّه تعالى

وتظهر حينئذٍ حقيقة العبودية.

وقد جعل خاتم النبيين صلاة في الليل والنهار من أجل أن توضع الجبهة على التراب خلال هذه الأوراد والأفعال فيزول حب الكبر والتكبّر، ثم أمر بالزكاة والخمس حتى تخرج محبّة المال من القلب من هذا الإنفاق، ثم أمر بالصوم حتى يخرج من القلب حبّ الأكل والشرب وتقديس البطن الذي هو عمل الحيوانات، وأمر بالحج على المستطيعين حتى يخرج من القلب حب العيال والوطن والبيت والأموال من خلال السفر والانقطاع عن هذه الأُمور، فيصبح القلب بيت الرب لقوله تعالى في الحديث القدسي أنا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم، ويكون القلب خالياً من الأغيار، وصافياً من الألوان والغبار، وفارغاً من تذكر الأشرار، فينحصر محبّة القلب بالله الواحد. فانظر إذن لحكمة العبادات مع أن لكل واحدة منها حكماً كثيرة.

وكذلك الأمر في أُمور المعاش[1] وأبواب السياسات، فقد شرّعت أحكام من جانب الله الفعّال لدفع الظلم وقلع وقمع عروق وأُصول الشجرة الخبيثة الزقومية وإن كان نظم المعاش قد يتمّ بالظلم كما هو الحال في الأديان الباطلة؛ حيث إنّهم نظّموا المعاش بالظلم وعالجوا الفساد بالأفسد مع أنّ الأديان الباطلة ورثت نظم المعاش عن الأنبياء ومنهم تعلّموا ذلك لكنهم غيّروه وحرّفوه وبدلوه، ومعلوم أنّ الظلم قبيح وإن كان في مقام نظم أمر المعاش. وقد نظّم لنا دين خاتم الأنبياء المعاش من العقود والإيقاعات والمعاملات والأحكام والسياسات على أساس العدل وبنحو موافق للعقل، وإذا أردنا أن نتحدّث عن هذه المرحلة بالتفصيل سنخرج عن عنوان الكتاب.

---

(١) المراد من المعاش: الأُمور المعيشية أي الحياة الاجتماعية. (المترجم).

وإذا ارتسمت هذه المقدّمات عند الضمائر الصافية وأهل الأذهان المستقيمة نقول:

إنّه في زمان كانت الأديان فيه باطلة وقد علمنا بطلانهـا بالتظافر والتسامع، إضافة إلى أن نماذج الأديان في هذا الزمان باطلة لكلّ من يراها، وعلمنا أنّ محمّد بن عبد الله ﷺ ـ بالتظافر والتسامع ـ قام بالدعوة إلى الله، وأنّه كان شخصاً كاملاً ومكمّلاً للغير، وأنّ دينه موافق للحكمة والعقل والصواب، وغيره من الأديان ليست على حق، فوجب أن يكون دينه الحقّ سواء أقام معجزة أم لم يقم. ومن جملة المعلومات أنّ دين كلّ نبي إذا كان أكمل فالنبي أفضل، ودين نبي العرب هو بالبرهان أكمل من سائر الأديان، فهو إذن أفضل وخاتم الأنبياء.

وعندما سمع العلماء هذا البرهان اذعنوا وصدّقوا بتماميته.

وحيث إنّ لمؤلف هذا الكتاب تأليفات كثيرة فلا ضير في ذكر فهرستها هنا:

أمّا في علم التفسير فلنا عدّة تأليفات:

١ ـ توشيح التفسير، وقد فاق جميع كتب المفسّرين ولم يسبقني إلى مثله أحد من العامّة والخاصّة وغرضي منه محض إثبات أنّ كلّ شخص يحصل له العلم بأنّه كلام سبحاني وفرقان رباني ومعجزة خاتم الأنبياء. وقد كتبت منه إلى الآن مجلّدين، المجلد الأول في قواعد التفسير، والثاني في تفسير الحمد واثنتين وثلاثين آية من سورة البقرة. وقد اشتمل المجلّد الأول على قواعد علم التفسير التي أسّسها الفقهاء وفرّعت عليها مسائل، وقد استنبطت أيضاً عدّة قواعد مع مرور الزمن من الأخبار المأثورة، وفرّعت على تلك القواعد آيات كثيرة، وبيّنت وجه التكرار في الآيات القرآنية، والتأويلات والنكات، وجامعية القرآن للعلوم، بينت ذلك بنحو لا يوجد في كتب التفسير. والمجلد الأول هو في الحقيقة تفسير تام. وكلا مجلّدي هذا

التفسير من البداية حتى النهاية مقنٍ ومسجّع.

٢ ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] وبيان كيفية الاستدلال والبرهنة على الخصم.

٣ ـ في تفسير آية: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...﴾[2] وتأويلها بكربلاء، والاستدلال عليه بما هو في الحقيقة من أبكار الأفكار ومما أُفيض من المعاني والدقائق في الآية من باطن إمام العصر ـ روحي فداه ـ إلى هذا الذهن القاصر حسب استعداد هذا الفقير. وهذا الكتاب يصل إلى ألفي بيت.

٤ ـ تفسير آية الأمانة، وهو في نهاية التدقيق.

٥ ـ تفسير آيه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[3] على طريقة الحكماء.

٦ ـ تفسير سورة والضحى، اشتمل على أفكار أبكار، ويقع في ألف بيت تقريباً.

٧ ـ تفسير سورة الفيل، وهو ذو قواعد كثيرة، ويصل تقريباً إلى ألف بيت.

٨ ـ تفسير سورة النصر، وهو على نسق ما سبق.

٩ ـ تفسير سورة القدر، باللغة الفارسية، وهو ألف بيت تقريباً.

١٠ ـ تفسير سورة القدر، باللغة العربية في ألفي بيت تقريباً.

١١ ـ تفسير سورة القدر، في ثلاثة آلاف بيت تقريباً. وهذا التفسير مسجّع مقنّ من أوله إلى آخره، كتبته لذي الاسم السامي معتمد الدولة نائب الولاية

---

(١) آل عمران ٣/ ١٨.
(٢) آل عمران ٣/ ٩٦.
(٣) النجم ٥٣/ ٩.

النواب الأشرف السامي الميرزا فرهاد.

وأمّا علم الصرف فقد كتبت فيه عدّة كتب:

١٢ ـ شرح تصريف الزنجاني.

١٣ ـ شرح لشرح التفتازاني لتصريف الزنجاني. وقد أوردت حتى بحث تعريف التعدي واللزوم خمسمئة إيراد.

١٤ ـ حاشية على شرح تصريف الملّا سعد.

١٥ ـ منظومة في علم الصرف.

١٦ ـ شرح المنظومة المذكورة.

١٧ ـ شواهد شرح المنظومة.

١٨ ـ شرح أمثله السيّد الشريف، وذكرت في هذه الرسالة سبعين إيراداً عليه.

وأمّا كتب النحو فهي:

١٩ ـ شرح العوامل الجرجانية.

٢٠ ـ شرح فارسي على عوامل الملّا محسن، كتبته في تسعة أيام.

٢١ ـ شرح «ثماناً بعد ما جاوزت الاثنين» معنى وتركيباً.

٢٢ ـ شواهد عوامل الملّا محسن.

٢٣ ـ شرح الصمدية، اشتمل على الأقوال والأدلّة الإجمالية، وكتبته في أحد عشر يوماً، وفي زمن كنت أتناول فيه الدواء وكنت في نقاهة.

٢٤ ـ تعليقة على السيوطي إلى أواسط المبتدأ والخبر في ثلاثة مجلّدات،

وذكرت كلّ مسأله مع أقوالها وأدلّتها وما هو التحقيق فيها، وهو باللغة الفارسية.

٢٥ ـ حاشية على شرح الجامي، وهو كتاب لم يصنّف أفضل منه في النحو، وفي بعض المواضع التي بنيت فيها على الأشكال ذكرت ثلاثين وأربعين وأكثر من الإشكالات، وحللت العبارات بنحو غريب عجيب.

٢٦ ـ الشواهد على شرح الجامي، وهو فارسي.

٢٧ ـ شرح حديث أبي الأسود الدؤلي في اختراع النحو، وحلّلت ما ذكر من أنّ بعض الأسماء لا ظاهرة ولا مضمرة، وهذه الفقرة هي من المشاكل المشهورة.

٢٨ ـ شرح لغز الشيخ البهائي في أنّ اسم «الزبدة» اندرجت تحته جميع العناوين النحوية.

٢٩ ـ منظومة في علم النحو.

٣٠ ـ رسالة في المؤنّثات السماعية ممّا كان واجب التأنيث وجائز الوجهين وأحكام المؤنّثات.

وأمّا في علم المنطق فكتبت خمسة كتب:

٣١ ـ حاشية على الرسالة الكبرى، ذكرت فيها خمسة وستين إيراداً على السيّد شريف.

٣٢ ـ منظومة في المنطق.

٣٣ ـ حاشية على حاشية الملّا عبدالله اليزدي على تهذيب المنطق، اشتملت على أفكار أبكار، ولم يكتب إلى الآن على حاشية الملّا عبدالله حاشية مثلها.

٣٤ ـ شرح ديباجة شرح الشمسية.

وأمّا علم الجدل، أي علم آداب المناظرة فكتبت فيه كتابين:

٣٥ ـ منظومة مختصرة في آداب المناظرة.

٣٦ ـ منظومة مطوّلة في آداب المناظرة.

وأمّا في علم المعاني والبيان والبديع فعدّة كتب:

٣٧ ـ منظومة في علم المعاني والبيان والبديع.

٣٨ ـ شرح ديباجة المطول، وهو فارسي.

٣٩ ـ شواهد أشعار المطوّل، وهو فارسي.

٤٠ ـ رسالة فارسية في علم البديع، اشتملت على المحسّنات اللفظية والمعنوية، وفيها تمسّك بأشعار الفردوسي وأشعار المؤلف وبعض الأشعار العربية.

٤١ ـ حاشية على المطول، اشتملت على تحقيقات كثيرة وتدقيقات وفيرة وإيرادات على الشارح، ولا تخلو من غرائب وجديد، وهي تقريباً بمقدار حاشية السيّد شريف على المطول.

وأمّا علم الأعداد والأوفاق فقد كتبت فيه كتابين:

٤٢ ـ منظومة في علم الأعداد.

٤٣ ـ رسالة فارسية في علم الأعداد والأوفاق.

وأمّا في علم الرمل ف:

٤٤ ـ كتاب في علم الرمل.

وأمّا في علم الجفر ف:

٤٥ ـ رسالة في علم الجفر.

وأمّا في علم الحساب فعدّة رسائل:

٤٦ ـ منظومة في علم الحساب، ولم تتم إلى الآن.

٤٧ ـ شرح فارسي على الخلاصة، ولم يتمّ.

وأمّا في علم الهيئة ف:

٤٨ ـ حواشٍ على تشريح الأفلاك، ولم تتمّ.

وأمّا في علم اللغة ف.:

٤٩ ـ كتاب لغة الأضداد، جمعت فيه الألفاظ التي لها معنيان متضادّان مثل الجون الموضوع للأبيض والأسود والأحمر، والقرء الموضوع للطهر والحيض.

أمّا في المصيبة فعدّة كتب:

٥٠ ـ بحر البكاء على وزن بحر المتقارب، وهو فارسي وشعر، وقد بيّن فيه خروج سيّدالشهداء عليه آلاف التحية والثناء من المدينة إلى كربلاء ورجوع أهل الحرم من الشام وهي المحنة. وهذا الكتاب ٥٥٥٠ بيتاً.

٥١ ـ كتاب المراثي بالفارسي والعربي، وفيه ما يقرب من مئة مرثية.

٥٢ ـ كتاب مجمع المصائب وهو نظم على بحور مختلفة.

٥٣ ـ المرحلة الحسينية نظم على البحر المتقارب، وقد اشتملت أبياته على محسّنات لفظية ومعنوية وهو على طراز الا«شاهنامه» للفردوسي، والإنصاف أن بعض أبياته فاقت الـ«شاهنامه».

٥٤ ـ مواعظ المتّقين، اشتمل على ثلاثين مجلساً، وفي كلّ مجلس بحث عن المسائل الاعتقادية من التوحيد والمعاد ومن تفسير الآيات والأخبار وحكايات المصيبة على طبق الأخبار المعتبرة، وهو قريب من عشرين ألف بيت.

٥٥ ـ فهرس كتاب مواعظ المتّقين.

٥٦ ـ كتاب أسرار المصائب في حكم وعلل أخبار المصيبة وحلّ وتوجيه الأخبار المشكلة وتأويل الفقرات المتشابهة من المصيبة، في طرز غريب وأسلوب عجيب.

٥٧ ـ فهرس كتاب أسرار المصائب.

٥٨ ـ كتاب إكليل المصائب في مصائب فخر الأطايب سيّد الشهداء ﷺ، اشتمل على الأخبار المعتبرة وفضائل الأئمة ﷺ وتأويلات أخبار المصيبة، وبعض المطالب العلمية والخطب الجليلة وذكر الأخبار المختلفة بين أرباب المقاتل وتحقيق الحق، والكتاب هو في الحقيقة مثل القواعد الفقهية التي أسّسها الفقهاء والتي رتّبوا عليها الفروع، وقد اشتمل على ثلاثة عشر إكليلاً، كلّ إكليل على فصول متعدّدة، وهو حقيقة نهج غريب وجديد، وهو قريب من خمسة عشر ألف بيت.

٥٩ ـ فهرس كتاب إكليل المصائب.

٦٠ ـ كتاب أنيس الذاكرين، وهو نظم ونثر مثل كتاب «بيدل وجوهري» وباقي كتب المصيبة.

أمّا كتب علم الكلام والمعقول وشرح الأدعية فهي:

٦١ ـ منظومة في علم الكلام.

٦٢ ـ شرح تلك المنظومة.

٦٣ ـ شرح فارسي لتجريد المحقّق الطوسي، وهو ١٥ ألف بيت تقريباً.

٦٤ ـ شرح على شرح الفاضل القمي لحديث: سئل ﷺ: هل رأيت رجلاً قال: نعم وإلى الآن أسأل عنه. فقلت: من أنت... وشرح حواشي الآخوند الملّا علي النوري على ذلك الشرح، ورد الإيرادات التي ذكرها الملّا في تلك الحواشي على

الميرزا القمي.

٦٥ـ شرح فارسي للحديث السابق.

٦٦ـ شرح فارسي لحديث كميل: ما الحقيقة فقال: ما لك والحقيقة.

٦٧ـ شرح بعض فقرات دعاء كميل المعروف.

٦٨ـ شرح دعاء السحر المعروف المصدّر بقوله ﷺ: «اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهي» وتأويل فقراته بالأئمة المعصومين ﷺ.

٦٩ـ شرح دعاء مختصر ورد في ليلة الجمعة ويبدأ بقوله ﷺ: «الحمد للّه من أوّل الدنيا إلى فنائها...»، وكتبته في سفر خراسان.

٧٠ـ شرح الزيارة الرضوية، وكتبتها في سفر خراسان.

٧١ـ شرح دعاء رجب المعروف: «يا من أرجوه لكل خير...».

٧٢ـ ألفية منظومة في التوحيد والعدل.

٧٣ـ في فهرس منظومة التوحيد.

٧٤ـ شرح منظومة التوحيد، ويقرب من ٧ آلاف بيت.

٧٥ـ شرح وصايا الإمام الرضا ﷺ وبيان أسرارها.

٧٦ـ منظومة ألفية في إثبات نبوة خاتم الأنبياء والردّ على الأديان الباطلة لليهود والنصارى.

٧٧ـ فهرس منظومة النبوّة.

٧٨ـ حاشية على منظومة النبوّة تقرب من ثلاثة أو أربعة آلاف بيت.

٧٩ـ رسالة الثلاثة والسبعين ملة التي ألّفها والدي المرحوم في بيان حديثه

«ستفترق أُمتي ثلاثاً وسبعين فرقة» لكنّه لم يتمّها فأتممتها.

٨٠ـ منظومة ألفية في إثبات الخلافة بلا فصل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مسمّاه بلآلي الولاية.

٨١ـ فهرس منظومة الإمامة.

٨٢ـ شرح عربي لمنظومة الإمامة قريب من ٨ آلاف بيت.

٨٣ـ شرح فارسي لمنظومة الإمامة قريب من عشرين ألف بيت وفيه ردّ أجوبة وشبهات العامّة، واشتمل على احتجاج الإمامية مع المخالفين في إثبات الإمامة.

وأمّا التأليفات في علم الدراية فهي عدّة كتب:

٨٤ـ منظومة الدراية.

٨٥ـ هداية الدراية في حلّ عبارة: «من أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه».

٨٦ـ شرح وجيزة البهائي في علم الدراية، قريب من خمسة آلاف بيت.

٨٧ـ حواشٍ على شرح دراية الشهيد الثاني وهي وإن لم تكن مدونة وقد ثبّتت في متفرّقات حواشي ذلك الكتاب لكن لو دوّنت لكانت مجلّدين.

وأمّا علم الرجال فعدّة كتب:

٨٨ـ كتاب تذكرة العلماء، فيه ذكر لأحوال العلماء ومشايخ الإجازة من زماننا حتى زمان المحمدين الثلاث أصحاب الكتب الأربعة.

٨٩ـ كتاب قصص العلماء، وهو هذا الكتاب.

٩٠ ـ كتاب كرامات العلماء، في بيان الكرامات التي صدرت من علماء الإمامية.

وأمّا في علم الأُصول فعدّة كتب:

٩١ ـ شرح فارسي لمبحث عدم صحّة السلب من القوانين، اشتمل على جلّ مطالبه وعلى إيرادات كثيرة ومعنى الدور وأقسامه.

٩٢ ـ تقريرات الأُصول التي درستها في قزوين عند الأساتذة مع تصرّف، وهي تقرب من ثمانية آلاف بيت.

٩٣ ـ تقريرات الأُصول لدرس السيّد ابراهيم، بتصرّف مع ذكر الإيرادات والأسئلة والأجوبة، وتقرب من سبعين ألف بيت.

٩٤ ـ منظومة الأُصول في مئتي بيت.

٩٥ ـ رسالة الأُصول من دون نقط وألفاظها مركبة من الحروف النورانية غير المنقطة.

٩٦ ـ ألفية في الأُصول.

٩٧ ـ شرح أُلفية الأُصول، وتقرب من ستة آلاف بيت.

٩٨ ـ كتاب لسان الصدق في الأُصول، ويشتمل على نقل الأخبار والأدلّة وتحقيق الحق، وهو من أوّل الأُصول حتى مبحث الإجماع، ويقرب من عشرة آلاف بيت.

٩٩ ـ تعليقة على القوانين، اشتملت على مجلّدات متعدّدة في أصل البراءة والاستصحاب بالتفصيل، وحاكمت بين الفضلاء الذين ردّوا على الميرزا، مثل ضوابط الأُستاذ وإشارات الكلباسي وحاشية الشيخ محمّدتقي على المعالم والفصول

ورسائل الشيخ مرتضى ومناهج النراقي.

١٠٠ ـ حجّية القراءات السبعة.

١٠١ ـ حجّية الكتاب.

١٠٢ ـ رسالة في عدم لزوم تقليد الأعلم.

١٠٣ ـ رسالة في الترجيحات.

١٠٤ ـ تعليقة على المعالم بقدر حاشية السلطان، وهي مقصورة على ذكر إيرادات على صاحب المعالم.

١٠٥ ـ حاشية أُخرى على المعالم من البداية حتى بحث الفور والتراخي.

١٠٦ ـ تعليقة على تعليقة السلطان على المعالم، وهي أيضاً بقدر حاشية السلطان، وقد اقتصرت على ردّ وأجوبة إيرادات السلطان على المعالم والمسمّى بردود.

١٠٧ ـ رسالة في تحقيق وضع اللفظ للأعم من الصحيح والفاسد والموضوع له لفظ الصلاة.

أمّا في الفقه فعدّة كتب:

١٠٨ ـ كتاب بدائع الأحكام في شرح شرائع الإسلام، اشتمل على ذكر الأقوال وبيان الاستدلال والحق في المقال، وقد كتب منه إلى الآن ١٧ مجلّداً وفقني اللّه لاتمامه. وتفصيله: أنّي كتبت من أوّل الطهارة حتى مبحث الحيض مجلّداً، ثم كتبت المسائل المهمّة من الطهارة في عدّة أجزاء، والمسائل المهمّة من الصلاة في عدّة أجزاء، وبحث أفعال الصلاة في مجلّد، وبحث الخلل في الصلاة في مجلّد، والقصر والتمام وصلاة الجماعة في مجلّد، والزكاة في مجلّدين، والخمس في مجلّد، والصوم في

مجلّد، والمتاجر في خمسة مجلّدات لكن لم يتمّ بحث المتاجر والقضاء في مجلّدين، والغصب في مجلّد، وبعضاً من كتاب الصيد والذباحة في أجزاء متعددة. وفّقني الله لإتمام هذا الكتاب المستطاب. وكل مجلّد هو تقريباً سبعة آلاف بيت.

١٠٩ ـ حواشٍ على كتاب الرياض المعروف بالشرح الكبير، في عدّة مجلّدات بهذا التفصيل: كتاب الإجازة مجلّد، كتاب الصلح والهبات مجلّد، كتاب الوصايا مجلّد، كتاب القضاء مجلّد، كتاب النكاح مجلّدان.

١١٠ ـ تعليقة على الروضة البهية المعروف بشرح اللمعة، في عدّة مجلّدات.

١١١ ـ منظومة ألفية في قواعد الفقه الكلّية.

١١٢ ـ نظم رسالة ألفية الشهيد.

١١٣ ـ حاشية فارسية على ألفية الشهيد الأول.

١١٤ ـ رسالة في حرمة تمثيل المصيبة في مصائب الأئمة عليهم السلام.

١١٥ ـ رسالة في الوضوء بماء بين اناء أحدهما غصبي والآخر مباح.

١١٦ ـ رسالة في تمرينية عبادات الصبي، أدرجت فيها مناظرة مع الشهيد الثالث، وفي هذه الرسالة اخترت القول بتمرينية عبادته نظراً للقواعد، لكن في كتاب الصوم من بدائع الأحكام اخترت شرعية عباداته؛ نظراً للإجماع المنقول عن العلامة في كتاب التذكرة.

١١٧ ـ رسالة في بيان وقوع سمكة في حضن جالس في سفينة الغير، فهل السمكة ملك صاحب السفينة أم ملك الجالس؟

١١٨ ـ رسالة في بيان حكم وصيّ شخص يعلم باشتغال ذمّة ذلك الشخص بصلاة لميت ولا يدري مقدار ما اشتغلت ذمّته به من الصلوات.

١١٩ ـ رسالة المسائل الأشكورية.

١٢٠ ـ رسالة مسائل كلارستاقية.

١٢١ ـ رسالة لو كان ما يُطعّم به الشجر مغصوباً والشجرة مملوكة أو بالعكس، فصار الطعم شجرة فهي لمن، والثمرة لمن؟

١٢٢ ـ رسالة في الطلاق قد سألني إياها الملّا محمّد حسين عشق آبادي في سفر خراسان في نيشابور.

١٢٣ ـ رسالة في المحاكمة بين بعض أعيان علماء العراق في مسألة اختلفوا فيها.

١٢٤ ـ تعليقة على كتاب قواعد الشهيد الأول، وقد أثبت فيها القواعد الفقهية الكلّية.

١٢٥ ـ رسالة في غسل الجنب في حياض بين المساجد.

١٢٦ ـ فهرس منظومة الفية القواعد الفقهية المسمّاة بالموائد، وقد ذكرت سابقاً.

١٢٧ ـ رسالة في جواز لعن القذر يزيد المعروف بابن معاوية، والردّ على بعض العامة مثل الغزالي ممن حرّموا ذلك، بل قالوا بجواز طلب المغفرة ليزيد في قنوت الوتر كما حكاه ابن خلكان في تاريخه عن الغزالي. وقد رددّت ذلك بالاستناد إلى القواعد والطرق العامة المسلّمة بين الفريقين.

١٢٨ ـ رسالة فارسية موسومة بالمحمدية في أُصول الدين والطهارة والصوم والصلاة والزكاة.

١٢٩ ـ رسالة في خروج البلل والحدث أثناء غسل الجنابة.

١٣٠ ـ رسالة في الدماء الثلاثة: الحيض والنفاس والاستحاضة.

١٣١ ـ رسالة في الخلل الواقع في الصلاة من الشكّ والسهو والظنّ والعلم والجهل.

١٣٢ ـ رسالة جُنة النار في الصوم.

١٣٣ ـ رسالة في الوقف وأحكامه.

١٣٤ ـ رسالة في صيغ العقود.

١٣٥ ـ رسالة في الذباحة وشرائطها وأحكامها.

١٣٦ ـ رسالة في المواريث.

١٣٧ ـ رسالة في الديات.

١٣٨ ـ رسالة الاثني عشرية في الصلاة.

١٣٩ ـ رسالة في أحكام الربا وأقسامه.

١٤٠ ـ رسالة في الأدعية المندوبة في حال الوضوء والصلاة والنكاح.

١٤١ ـ رسالة في ترجمة الأذكار والأدعية المسنونة مع إشارة إجمالية إلى بعض الفقرات المشكلة وحلّها.

١٤٢ ـ كتاب الأدعية المعتبرة في رفع الحوائج ودفع الآلام والكرب.

١٤٣ ـ ترجمة المناجاة الواردة عن الأئمة عليهم السلام وهي منظومة.

١٤٤ ـ رسالة في المتاجر لم تتم إلى الآن.

١٤٥ ـ رسالة في فضيلة صلاة الليل وأحكامها استناداً إلى الروايات المعتبرة، ولا تخلو من لطائف.

وأمّا التأليفات المتفرّقة فهي متعدّدة:

١٤٦ ـ رسالة في سؤالات هذا الفقير للملا هادي السبزواري في التفسير والكلام والحكمة وبعض مذاهب الملّا صدرا.

١٤٧ ـ كنز الألغاز في الصيغ المشكلة والأخبار المشكلة.

١٤٨ ـ زاد المسافرين في الأخبار المتفرّقة.

١٤٩ ـ رسالة في حلّ مشكلات من صيغ القرآن وحلّ الألغاز النحوية وحلّ المغالطات المنطقية.

١٥٠ ـ شرح قصيدة الشاعر الفرزدق في مدح سيّد الساجدين عليه السلام في محضر الضلال هشام بن عبد الملك، ومطلعها «هذا الذي تعرف البطحاء وطأته...» وبيان فصاحة وبلاغة ولغات ومعاني هذه القصيدة.

١٥١ ـ رسالة في حل أبيات مشكلة من مثنوي الملّا الرومي وبيان تصوّفه وتسنّنه بالاستفادة من أشعاره الغاوية.

١٥٢ ـ شرح أشعار العارف الكجوري المسمّى بالأمير وأشعاره باللغة الكجورية.

١٥٣ ـ رسالة في الألطاف الإلهية بالنسبة لهذا العبد الضعيف، والغرض من تحريرها أن يتفكّر كلّ إنسان بالألطاف الإلهية بالنسبة إليه ويتأمل فيها.

١٥٤ ـ رسالة في المطايبات والمضاحكات في الحكايات المضحكة.

١٥٥ ـ رسالة في الإنشاءات والمراسلات.

١٥٦ ـ رسالة في تعداد أسامي بعض الأجلة من العلماء لقراءتها في قنوت صلاة الوتر.

١٥٧ ـ رسالة في آداب التعليم والتعلّم والمطالعة والمذاكرة وجمع الكتب المفيدة واختيار الأساتذة.

١٥٨ ـ رسالة في شرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر.

١٥٩ ـ شرح رسالة ألف باء تاء وبيان بعض النكات والدقائق ومؤلف هذه الرسالة وسبب ترتيبها على هذا الوجه.

١٦٠ ـ شرح أبجد هوز حطّي.

١٦١ ـ رسالة في بيان أن لفظ الكبرى وأسامي سائر الكتب هي حقيقة في ماذا، في علم الشخص أم في علم الجنس؟

١٦٢ ـ رسالة الفرائد في علم القراءة، وهي في غاية اللطافة.

١٦٣ ـ رسالة في محاكمة محمّد كريم خان والملّا محمّد حسين عشق آبادي في الجمع بين خبرين متعارضين، وقد انتصرت فيها للملا محمّد حسين، وكتبت هذه الرسالة في سفر خراسان.

١٦٤ ـ حواشٍ على شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة في الانتصار للقطب الراوندي في بعض المقامات، ورفع شبهات العنيد ابن أبي الحديد في باب الإمامة، ولم تدون ولو دوّنت لكانت مجلّداً.

١٦٥ ـ حواشٍ على إكسير العبادات للملا السيّد الدربندي في أسرار وقائع المصيبة، وهي لو جمعت لكانت مجلّداً.

١٦٦ ـ كتاب مشكلات العلوم في انحلال إعضال آيات كلام القادر المتعال، وحلّ الأخبار العويصة عن الأئمة الأطهار، وذكر إشكالات في النحو والمنطق والصرف والمعاني والبيان والأُصول والمعقول، ومعنى وتوجيه كثير من أشعار أهل

العرفان، وحلّ الكثير من الألغاز الشعرية والأغلاط المشهورة والتخبّطات الكثيرة من العلماء الأعلام. كتب منه إلى الآن أربعة مجلّدات. والحقيقة أنّ هذا الكتاب يمتاز عن كتب الأتراب في هذا الباب.

١٦٧ ـ رسالة في علم الحروف.

١٦٨ ـ كتاب مذكر الإخوان في أحوال مؤلف الكتاب، وبدو التحصيل والأساتيذ وتعداد بعض المؤلّفات وذكر الأحضار والأسفار.

١٦٩ ـ شرح رسالة التعبية وهي من تأليفي ولم تتم.

١٧٠ ـ تعليقة على فصول الشيخ محمّد حسين، ولم تتم.

١٧١ ـ حاشية على إلهيات شرح التجريد، ولم تتم.

١٧٢ ـ وغيرها مثل تفسير ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾(١) في ثلاثة آلاف بيت.

١٧٣ ـ تفسير ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(٢) في خمسة آلاف بيت.

١٧٤ ـ كتاب معين البكاء في الحكايات المبكية في خمسة آلاف بيت.

١٧٥ ـ الحديقة الجعفرية في مسألة الجبر والتفويض في أربعة آلاف بيت.

١٧٦ ـ كتاب موارد الأُصول، وهو فارسي في ثلاثة آلاف بيت.

١٧٧ ـ كتاب التأسيسات في القواعد الفقهية، وهو ستة آلاف بيت.

١٧٨ ـ رسالة في تنازع مالك وراكب الدابة في الإعارة والإجارة، وهو مئة بيت.

---

(١) البقرة ٢ / ٣٠.
(٢) الأعلى ٨٧ / ١.

١٧٩ ـ شرح نتائج الأُستاذ، كتبت منه إلى الآن ثلاثة مجلّدات، ولم يتم.

١٨٠ ـ رسالة في أحكام العقود، وهي استدلالية في ثلاثة آلاف بيت.

١٨١ ـ كتاب الكشكول المحمدي، وهو أربعة مجلّدات ولم يتم.

١٨٢ ـ رسالة في أحكام الصيد بلسان العرفان، وهو مئتا بيت.

١٨٣ ـ حواشٍ على بيع الرياض، وهي خمسة آلاف بيت.

وحواشي كثيرة غير مدوّنة مثل:

١٨٤ ـ حواشي شرح الشمسية.

١٨٥ ـ حواشي نتائج الأُستاذ.

١٨٦ ـ حواشي الضوابط.

١٨٧ ـ رسالة في صيغة العاجز من العربية.

١٨٨ ـ رسالة في شرح أقول في شرح اللمعة لو اختلاف[1] في القدر.

١٨٩ ـ كتاب الصراط المستقيم في أُصول الدين من التوحيد حتى المعاد مع استدلال، وهو باللغة الفارسية، اشتمل على ستة آلاف بيت.

١٩٠ ـ رسالة في سبب تسمية الأئمة عليهم السلام أولادهم بأسماء خلفاء الجور.

١٩١ ـ كتاب سلالم اللغة في قولهم: الفقه لغته كذا.

١٩٢ ـ رسالة ظهور ثبوت الزوجة.

١٩٣ ـ رسالة مسّ الطفل لسواد القرآن.

---

(١) هكذا في النسخة الفارسية (المترجم).

١٩٤ ـ رسالة زوال الإذن في أثناء الصلاة.

١٩٥ ـ رسالة في التوحيد.

١٩٦ ـ حواشي الدلائل.

١٩٧ ـ حواشي المسالك.

١٩٨ ـ حواشي المفاتيح.

١٩٩ ـ حواشي جواهر الكلام.

٢٠٠ ـ حواشي الأُمور العامة من الأسفار.

٢٠١ ـ حواشٍ على الشوارق.

٢٠٢ ـ وحواشٍ على كشف الغطاء.

٢٠٣ ـ حواشٍ على شرح العرشية للشيخ أحمد.

٢٠٤ ـ حواشٍ على إرشاد الشهيد الأول.

٢٠٥ ـ حواشٍ على إشارات الأُصول.

٢٠٦ ـ حواشٍ على عوائد الملّا أحمد النراقي.

٢٠٧ ـ حواشٍ على الشرائع.

٢٠٨ ـ حواشٍ على العناوين في قواعد الفقه الكلية.

٢٠٩ ـ حواشٍ على القرآن.

٢١٠ ـ حواشٍ على زاد المعاد.

٢١١ ـ حواشٍ على حاشية الشيخ محمّد تقي على المعالم.

٢١٢ ـ حواشٍ على رجال ابن داود.

٢١٣ ـ حواشٍ على لؤلؤة البحرين.

٢١٤ ـ حواشٍ على تمهيد القواعد... وغيرها.

وقد تلمذت في العقليات لتلامذة الآخوند الملّا علي النوري مثل: الملّاالسيّد القزويني، والحاج محمّد جعفر اللنكروري الساكن إصفهان، والسيّد رضي المازندراني الساكن إصفهان، والسيّد علي ابن السيّد محمّد حسين التنكابني الساكن دار الخلافة طهران، وهو خالي المفضال وكان مسلّماً به في علم الحكمة بل كان أوحد أهل زمانه في الحكمة بإيران في ذلك العهد، وكان مدّرساً في مدرسة المروي وقد درست عنده مدّة كتاب الشوارق.

وذهبت مدّة شهر إلى مجلس السيّد كاظم وذلك في بداية مجيئه إلى كربلاء. ومن جملة كلماته: إنهم سألوا أُستاذنا الشيخ أحمد عن الدليل على وجود صاحب الأمر ﷺ فقال الشيخ في الجواب: الآن ليل أم نهار؟ فقال السائل: نهار. فقال الشيخ: إذن يجب أن يكون صاحب الأمر ﷺ موجوداً. ثم قال الشيخ: القبعة تضعها على الرأس أو القدم؟ فقال السائل: على الرأس. فقال الشيخ: إذن يجب أن يكون صاحب الأمر موجوداً. ثم قال الشيخ: الحذاء يلبس على الرأس أم في القدم؟ فقال السائل: في القدم. فقال الشيخ: إذن يجب أن يكون صاحب الأمر موجوداً.

يقول المؤلف: إنّ هذا الاستدلال على طريقة الشيخ تامّ؛ لأنّ الشيخ يعتقد أنّ الأئمة هم العلل، ومن بديهة العقل أنّه كلما وجدت العلّة وجد المعلول وإذا انتفت العلة انتفى المعلول، فكما كان المعلول موجوداً فعلّته إذن موجودة وانتفاء المعلول يكشف عن انتفاء العلة، والآن نحن نرى أنّ لديك قوة إدراك وتمييز الليل من النهار وعلة هذا الإدراك وجود الإمام ﷺ، فإذن يجب أن يكون إمام العصر موجوداً.

أمّا بناء على طريقتنا أهل الشرع حيث نعتبر الإمام العلة الغائية من خلق الأشياء فنقرّر الأمر على هذا النهج: وهو أنّنا لما رأينا المغيّا موجوداً وهو القوّة المدركة للناس وجب أن تكون العلة الغائية موجودة أيضاً، وهذا الاستدلال ـ في مقام الإنصاف ـ محكم تام، لكن المشهور بين العلماء في إثبات وجود إمام العصر ـ روحي فداه وعجّل اللّه فرجه ـ هو دليل المتكلّمين، وهو عبارة عن التمسّك بقاعدة اللطف؛ لأنّه ببديهة العقل اللطف واجب على اللّه تعالى، أي التقريب إلى الطاعة والتبعيد عن المعصية بحيث لا يلزم الجبر، فلو أردت مثلاً أن تدعو شخصاً للضيافة وتعلم أنك إذا أرسلت له خبراً لن يأتي لكنّك إن كتبت له رسالة يأتي، وحينئذٍ إن لم تكتب يلزم نقض الغرض وهذا سفه وعبث، ولا شكّ أنّ اللّه كلّف عباده، ووجود الإمام المعصوم لطف مقرّب للطاعة مبعد عن المعصية، واللطف على اللّه لازم، واللازم على الإمام أيضاً القيام بالإمامة، ويجب على المكلف الإطاعة، والشرطان الأوّلان متحقّقان أمّا الثالث فمنتفٍ؛ ولذا يقول المحقق الطوسي في التجريد: وجوده لطف وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا. ولكن اختفاء الإمام في الانقطاع عن محض الوجود، وهذه الولاية مثل الشمس عندما تسترها الغيوم ولم يزل الناس ينتفعون بوجودها، كما ورد هذا التشبيه في توقيع خرج من صاحب الأمر ، فقاعدة اللطف إذن تحكم بوجود صاحب الأمر مع قطع النظر عن تواتر الأخبار عن النبي المختار والأئمة الأطهار سلام اللّه عليهم ما دام الليل والنهار، وتحقيق هذه المطالب بيّناها في منظومة الإمامة وفي شرحها.

ولهذا الفقير تلامذة عدّة من أهل الكمال، وبعضهم له إجازة من هذا الفقير، منهم:

١ ـ السيّد علي القزويني، وكان من معروفي تلك البلد، وهو من أقارب الأُستاذ السيّد إبراهيم.

٢ ـ الشيخ الحاج محمّد، كان ساكناً طهران ويصلّي الجماعة في مسجد الجمعة فيها.

٣ ـ السيّد أحمد الكيسمي ساكن لاهيجان ومن علماء تلك المنطقة المعروفين.

٤ ـ الميرزا محمّد حسن من أبناء عمي، وكان من مهرة أهل الزمان في الأُصول.

٥ ـ السيّد محمّد رحيم بن قاسم بيك ساكن تنكابن.

٦ ـ الملّا عبد العلي المرجاني الطالقاني صاحب تأليفات.

٧ ـ الملّا علي المرجاني الطالقاني.

وغيرهم كثّرالله أمثالهم.

ومن جملة محاضرات مؤلف الكتاب: أنّ زبدة أهل البسالة والسماحة والي البلد دعا هذا الفقير، وكانت المسافة أربعين فرسخاً، وفي أول فصل الصيف، فسافرت كعادتي دون تهيئة وسائل السفر، فقطعت بعض الطريق، وفجأة أمطرت السماء مطراً شديداً وإلى أن وصلت إلى المنزل تبلّلت من رأسي إلى قدمي، وكنت كلي ماء، وبعد الوصول إلى المقصد أشعل الوالي ـ وفّقه الله للطاعات ـ ناراً كثيرة وأمر بتغيير الملابس وطبخ بيده وجاء بالنرجيلة.

وبعد ساعة قال: إن عدت إلى حالتك الطبيعية عندي سؤال. فقلت: حاضر. فقال: في أنّه مع كونكم أهل الله وعباده المقرّبين وكوننا عباداً عاصين بعيدين عن رحمة الله إلّا أنّ نعمته علينا أتم. فنتناول أطعمة وأشربة متعدّدة مختلفة الألوان وأنتم أبداً لا تأكلون طعاماً كاملاً؟ وألبستنا دائماً من الحرير والألوان المرغوبة وقيمة لباس واحد من الرأس إلى القدم خمسون توماناً ومئة تومان، ولباسكم لا

يساوي أكثر من تومانين، وأنتم محرومون من هذه اللذة؟ وإذا سافرنا اليوم لأخذنا معنا وسائل وألبسة تقينا من المطر، وأنتم لا تملكون هذه الوسائل؟ ونحن دائماً نركب الخيل الجيّدة المتعدّدة وقيمة كلّ واحد منها مئة تومان أو أكثر، وأنتم محرومون منها، وإن كان عندكم حصان هجين فقيمته لا تزيد عن ثمانية توامين؟ وأيضاً نحن نسكن المساكن العالية المزخرفة ولدينا الفرش الفاخرة، ومنازلكم بلا زينة وضيّقة، فأنتم محرومون من هذه اللذة أيضاً، وهذا هو حظّ العالم؟ ونحن لدينا نساء جميلات متعدّدات ونتمتع بالصيد والمراكب والتنزه وأنتم محرومون؟ ولدينا المنصب والحكم والسلطة بحيث كلّ ما يعرض عليكم لا بدّ من رفع الشكوى إلينا لنقضيها، وأنتم تفقدون هذه السلطة مع أنكم من المقرّبين للّه؟ ونحن المحرومون وأنتم محرمون من هذه اللذائذ، ونحن محظوظون؟ فبيّنوا لنا السبب.

فقلت: حيث سألت فاسمع الجواب جيداً: إنّ اللذائذ على قسمين باطنية وظاهرية. أمّا الظاهرية فمثل ملذّات العين لرؤيتها الحسان والألبسة النفيسة والمساكن والدور والقصور العالية، ولا شك أنّ لذّة البصر هي في لحظة كون العين مفتوحة وأنت تنظر، فإذا أغمضت العين فإن اللذة تزول، وكذلك لذة السمع فهي موجودة في زمان سماع الأنغام وبعدها تزول، والعقلاء لا يعتبرون مثل ذلك لذّة.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: سألت أُستاذي: إنّ ما يقوله الشيعة من أنّ عمر طالب دنيا هو كذب محض، وإلّا لماذا لم يكن يلبس الملابس الجيّدة ويأكل الطعام الجيد؟ فقال: الشيعة كاذبون، لكن الطعام واللباس عمل النساء، والرجال تكفيهم السلطنة والسطوة.

وعلى كلّ حال فلذة الأكل هي ما دام الطعام يمر من الحلقوم وبعد ذلك تزول، وقد تنضج المرارة فتحتاج إلى أدوية وطبيب وتورث الأمراض الصعبة.

وأمّا الجماع فلذّته في حال ما قبل الإنزال، وبعد ذلك يتراجع الإنسان عنه، وذكره عند العقلاء مستهجن وقبيح. قال الملّا محمّد صالح البرغاني: من أقبح القبائح وضع المبولة في المبولة.

وأمّا الحكم والمنصب فهو ما دام له من السلطان منصب وبعد عزله فإن جميع لذائذه تزول.

وأمّا العلماء فهم دائمو الحضور عند اللّه وملذّاتهم عقلانية دائمة، وفي نهاية الكمال ولا تزول؛ فلذا لو جلست في محضر مع جمع من الأقران وسُئلت عن شعر لحافظ فأجبت وبيّنته بنحو لم يعرفوه لكانت لذّتك بذلك أكثر ممّا لو أُعطيت ألف تومان مع أنّ الشعر ليس علماً وهو من الهزليات والهفوات. وعندما ذهبنا إلى السلطان كان يقف رجلان قالوا: إنّهما دائما الحضور. ولا شكّ أنّ دائم الحضور ليس عنده لذة الأكل والشرب والنوم، ومع ذلك فإنّ لذّة دوام الحضور أسمى من جميع المناصب واللذائذ، ألا ترى أنّ الاحتلام في النوم حيث كان متعلّقاً بالحواس الباطنية ألذّ من الجماع الظاهري؟

وأمّا السطوة فيكفينا أنّ سطوتكم على الملازمين والأسباب والتجمّل والتلطّف السلطاني، ونحن مع ما نحن عليه من الفقر بمجرّد أن يرانا واحد منكم تحترموننا وتوقّروننا وتكرّموننا في غاية الخضوع والخشوع لنا، وكل ما نقوله تسمعونه، وهذه سطوة إلهية هي أسمى من كلّ اللذائذ.

(٥)

الحاج الملّا محمّد صالح ﷺ

الملّا محمّد صالح البرغاني أخو الشهيد الثالث، وكان في غاية الزهد والعبادة ومتتبّعاً في الأخبار، بل كان سلمان عصره، وكان في الأُصول بـطيئاً وفي الفـقه في الدرجة الأُولى من الاجتهاد، وكان دائماً مشغولاً يطالع ويـؤلّف ويـدرس. ومـن بناءاته المدرسة العالية والمسجد المتعالي.

وكان متصلّباً راسخاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت قزوين في العهد القديم مركزاً لشرب الخمر، وصار أهل المـدينة أكثر تديّناً من أهـل المـدن الأُخرى ببركة أمره هو وأخوه الشهيد الثالث بالمعروف.

وكان مهتمّاً تمام الاهتمام بالإبكاء على سيّد الشهداء ﷺ وكان مبكياً كثيراً، ولم يكن يدع شخصاً يذكر المصيبة من الأخبار غير المعتبرة.

وكان من تلامذة المرحوم السيّد محمّد، وتلمذ أيضاً في الجملة عند والد السيّد محمّد، المعظّم السيّد علي، وله إجازة من السيّد محمّد والسيّد عبد اللّه.

وكان يقول: عندما وصلنا إلى مدينة حلب ونحن نريد السفر إلى مكة طلب والي حلب من أمير الحجاج الأفندي استضافته لليلة، فطلب مني الأمير الحـاج الذهاب، فقلت: لا أعرف آداب مجالسهم ولن أذهب. فقال: الإجابة لا بدّ مـنها. فذهبت ومعي عدد من الحجاج ممن عندهم اطّلاع على آداب مجالسهم، وعندما وصلنا إلى الوالي احترمنا كثيراً ثم سألني: ما دليلكم على خلافة علي ﷺ؟ فقلت:

أنا على مذهب السنة والجماعة وعلى مذهب الشافعي. فقال الوالي: أنا أعلم أنكم شيعة ولهذا طلبتكم حتى أعرف أدلّتكم فبدأت بذكر الأدلّة وكلّما أتيت بدليل كان الوالي يردّه وكان واسع الإدراك، فقلت في نفسي: إنّني إن أذعنت في ظاهر الأمر فهذا يوجب تضعيف اعتقاد الشيعة الضعفاء والعوام، فتوسّلت في الباطن بروح الأئمة الأطهار عليهم السلام وحينئذ الهمت وأُفيض علي إفاضة ربّانية، فاستدللت بدليل لم يستطع الوالي الجواب عنه وسكت. وفي صباح تلك الليلة قدّم لي حماراً وشالاً صوفياً وقماشاً سميكاً وحلويات، وأعطى كلّ من كان معي من ذلك القماش والحلوى، ثم بعث الحمار بأربعين توماناً في حلب.

وكانت له تأليفات كثيرة منها: كتاب غنيمة المعاد في شرح الإرشاد وقد تمّ في ١٤ مجلداً، كتاب المسلك في شرح الإرشاد مجلّدان، كتاب تفسير المقال في سبعة مجلّدات، كتاب معدن البكاء في المصيبة وهو فارسي مختصر، كتاب مخزن البكاء في المصيبة وهو فارسي مطوّل، وكتاب منبع البكاء في المصيبة عربي وكان هذا الكتاب في غاية الدقّة في تنقيح أخبار المصيبة، وقد ذُكرت فيه روايات معتبرة، وفي آخره كثير من الحكايات المبكية والقصائد العربية في المراثي، والكتاب مع كتاب غنيمة المعاد موجودان عندي. كما أنّ أكثر كتب الأُستاذ هي عندي، وبعض من مجلّدات منهج الاجتهاد هو عندي أيضاً.

وكتاب المخزن في اعتبار الأخبار أضعف من كتاب معدن البكاء، بل معدن البكاء في أخبار المصيبة أفضل من سائر الكتب.

كما أنّ مهيج الأحزان للملا حسن يزدي أفضل كتب المصيبة وفي غاية الاعتبار، كما أنّ البحار هو أرق من الجميع، وكذلك منتخب الشيخ الطريحي ولهوف السيّد ابن طاووس ومثير الأحزان لابن نما هي كتب في غاية الاعتبار،

وكذلك إرشاد الشيخ المفيد وأمالي الصدوق ﷺ.

ويندر وجود أخبار صحيحة بين أخبار المصيبة حسب ما هو اصطلاح الصحيح عند المتأخرين؛ ولذا يجب التدقيق في الأخبار غير الصحيحة، فكتاب محرّق القلوب للملا مهدي النراقي ليس جيّداً، وممّا يثير العجب الشديد أنّ يذكر عالم فاضل مثله أمثال هذه الأخبار، وكتاب الملّا السيّد الدربندي فيه الغثّ والسمين وذكر فيه أخباراً كثيرة مظنونة الكذب أو مقطوعة الكذب. نعم لم يسبق أحد هذا الكتاب في التدقيق وتحقيق أخبار المصيبة.

وكان المرحوم الملّا محمّد صالح في غاية المزاح، وقد حضرت بعض دروسه فلم أسمع منه أي تحقيق. ومن جملة مطايباته أنّه قال يوماً: كان هناك ناظر على قرية من قراي، وفي النهاية أجرينا حساباً وعند الحساب كان يقول: العشرة واحد. فقلت: العشرة عشرة والواحد واحد فكيف صارت العشرة واحداً؟ فقال: هذه هي قاعدة الحساب. وفي النهاية حتى الواحد لم يعطنا إياه.

وكان معروفاً أنّ ختم الأدعية محتاج للإجازة فطلبت منه إجازة في ختم أدعية الاثني عشر إماماً للخواجة نصير، فأجازني بشرط أن أقرأها في المطالب المشروعة.

وحكى الملّا محمّد صالح حكاية: أنّني عندما ذهبت إلى إصفهان درست المطول فقالوا: إنّ السيّد محمّد باقر الدشتي جاء حديثاً وهو يدرّس المطول، فحضرت درسه لكن لم تعجبني كيفيته.

ومن مطايباته: أنّه في سنة تشرفنا بزيارة المشهد الرضوي وكان برفقتنا الشاعر الفلاني، وفي الطريق قالوا: إنه زنى. فطلبناه وقلنا له: تذهب إلى الزيارة وتزني؟! فقال: وما الإشكال في ذلك؟ الزيارة تكتب في صحيفة الأعمال في اليمين

والزنا في الشمال، فما هي المنافاة بين هذين الأمرين؟!

وكان للملاّ بيت في كربلاء العلية فسكن فيه في آخر عمره وتوفّي بكربلاء، حيث زار يوماً سيّد الشهداء ﷺ وبعد الزيارة والصلاة عند رأس المرقد المطهر وقف للدعاء، وفجأة سقط المبنى عليه، فأخذوه إلى البيت وقد مات مباشرة، رحمة اللّه عليه وحشره اللّه مع مواليه المعصومين ﷺ.

والملاّ عبدالوهاب القزويني أيضاً مات بطريقة عجيبة، فقد ذهب لزيارة النجف ومرض، وعند الاحتضار قال: اجعلوني في تابوت وضعوني في حرم أمير المؤمنين ﷺ ففعلوا ذلك وهناك توفي.

وقد سعى كثيراً في الترويج للعلماء والأمر بالمعروف، وكان عابداً في غاية العبادة، وله إجازة من أربعين مجتهداً، لكن بنظري القاصر فإن اجتهاده محلّ تأمل، بل كان واضح العدم. نعم كان جيد الضبط لرؤوس المسائل الفقهية.

وعندما ذهبت لزيارته يوم العيد كان المجلس مليئاً بالعلماء فسألته عن حكمة حياة عيسى ﷺ ونزوله واقتدائه بإمام العصر فلم يجب أحد، فقلت: لعلّ الحكمة هي اللطف؛ لأنّ الحق تعالى يعلم أنّ أكثر أهل الأرض من أُمة عيسى ﷺ مثل، النمسا وفرنسا وانكلترا وروسيا أيضاً وإن كانوا غيّروا دين عيسى ﷺ، فبعد ظهور صاحب الأمر ﷺ ونزول عيسى ﷺ: ﴿وإنّ مِنْ أهْلِ الكِتابِ إلاّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾(١) فيعرفونه وبواسطته يؤمنون بصاحب الأمر ﷺ وإلا هلكوا بسيف الإمام ﷺ. فوافق على ذلك الملاّ المذكور وقال: الشيخ أحمد أيضاً قال ذلك.

---

(١) النساء ٤ / ١٥٩.

(٦)
الآخوند الملّا صفر علي اللاهيجاني

ساكن قزوين، عالم فاضل كان من تلامذة السيّد محمّد، وله إجازة من حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر، وله شرح على المعالم ورسالة في الدراية وكتب قسماً من الفقه، لكن مستوى فهمه أول درجات الاجتهاد. وقد حضرت في بداية دراستي عنده ودرسه مفيد للمبتدئ.

وبعد الرجوع من العتبات المقدّسة طلب كتابي لسان الصدق فبقي عنده مدّة وكتب حاشية عليه في ثلاثة مواضع، أحدها أوائل الفور والتراخي وعلّمها بكلمة «لراقمه» وفي آخر إحدى الحواشي كتب: إن أردت الإجازة فلا مضايقة عندي. لكني لم أطلبها منه.

وذهبت لزيارته في عيد الغدير وسألته: أنّه ورد في حديث أنّ نصب عليﷺ للخلافة كان يوم عيد الغدير أو «نوروز» والخلافة أيضاً كانت يوم عيد الغدير أو نوروز[1] مع أنّ عيد الغدير الأول كان قبل ستة أشهر من وفاة النبيﷺ وعيد الغدير الثاني كان بعد خمس وعشرين سنة من وفاته، فلو كان كذلك لوجب أن

---

(١) النيروز أو النوروز: هو أول يوم من فصل الربيع أي ٢٢ آذار، وكان يوم الغدير الأول في ٢٢ آذار حسب الرواية. فحتى يتكرر ذلك ويأتي يوم ٢٢ آذار يوم الغدير لا بدّ أن تمرّ ثلاثون سنة كما هو المعروف. فالرواية إذن تفترض أن يكون الفاصل الزماني بين يوم نصب الإمامﷺ للخلافة وبين استلامه لها ثلاثين سنة، والحال أنّه حسب التواريخ كان الفاصل أقل من ست وعشرين سنة. وهذه هي الشبهة التي ذكرها الكاتب. (المترجم).

يكون بين العيدين أكثر من ثلاثين سنة حتى تتم الدورة. فلم يقل شيئاً، وكنت قد سألت هذا السؤال للشهيد الثالث أيضاً فلم أسمع منه جواباً، وقد رفعت هذه الشبهة في كتاب مشكلات العلوم.

وقد اشتغل الآخوند المذكور في بداية أمره بعلم الحكمة، وكان يدرّس الشواهد الربوبية للملا صدرا، وكان في إصفهان ثم رأى الشيخ مناماً صباح ذات يوم أنّ فمه صار منتناً وتخرج منه رائحة نتنة بحيث يتأذّى أهل المجلس، فتاب عن تدريس ودراسة علم الحكمة وصار يشتغل بالفقه والأُصول، فزالت تلك الرائحة من فمه.

(٧)
الآخوند الملّا عبد الكريم

الآخوند الملّا عبد الكريم الإيرواني ساكن قزوين، وهو من معروفي العلماء عظيمي الشأن ومن مشاهير فضلاء العصر، محور مدار الفهم والكمال وشمس فلك الفضل والاشتهار، وحيد الأعصار وفريد الأمصار، الحجة الحقّة للسيّد المختار.

وكان من تلامذة السيّد علي صاحب الشرح الكبير، لكنّه قلّما ظهر منه تأليف إلا رسالة في أصل البراءة وهي ناقصة أيضاً.

ولم أجد أفضل منه في علم الأُصول في عراق العرب والعجم، وتدريسه كان قليلاً ولم تكن عنده همّة في التدريس. وكان يقول: أبرز تلامذة السيّد علي ثلاثة: أنا وشريف العلماء والميرزا أحمد الترك، وكنت أفضل منهما.

يقول المؤلف: لا يُظن أنّ هذا العظيم يبالغ أو ـ العياذ بالله ـ يقول خلاف الحقيقة بل هو علم طور العلم ومؤسس في علم الأُصول، وقد درست عنده وكان في الحقيقة نحريراً وعالماً خبيراً. وقد ظن جمع بل الأكثر أنّه لجوج، لكنه نفسه كان يقول: ليس عندي لجاجة ولكن من أجل تشحيذ أذهان الطلاب كنت آتي بهذا الجرح والتعديل في الدليل.

وعلى كلّ حال قال: عندما دنت الوفاة من سيّد الأساتيذ السيّد علي طلبني وطلب شريف العلماء وأوصانا بأن لا نكسر درس ولده السيّد محمّد وأن نحضر مجلسه. وبعد وفاته ذهبت وأخذت معي شريف العلماء وحضرنا درس السيّد

محمّد، واجتمعت عنده تلامذة السيّد علي إلى أن جاء يوم لم يأت فيه شريف العلماء إلى مجلس الدرس، فذهبت إليه وعاتبته على ذلك فقال: إلى متى نبقى زينة لمجلس الآخرين؟ أنا يجب أن أشرع في التدريس. فذهبت إلى درس السيّد محمّد لكن أعلن شريف العلماء عن فتح درس، فذهب كلّ الطلاب إلى درسه وانكسر درس السيّد محمّد.

فلمّا رأيت الأمر على هذا المنوال شرعت في التدريس أيضاً، فهجم الطلاب على الدرس عدّة أيام ثم بدؤوا ينقصون حتى بقي نفران أو ثلاثة، وكان الضوء يبقى عند شريف العلماء من الليل حتى الصبح، فذهبت في ليلة إلى غرفته فرأيته قد وضع السراج في أعلى الغرفة وينظر في بعض أسطرالقوانين ثم يدور في الغرفة يفكر، وهكذا حتى الصباح، فبنيت على تدريس القوانين فكثرت التلامذة أيضاً، لكن بعد ثلاثة أيام تبدّل الاجتماع إلى افتراق والازدياد إلى نقصان، وكان درس شريف العلماء ممتلئاً تماماً، فرأيت أنّه مع وجود شريف العلماء وميل الطلاب إلى درسه لا يمكن التدريس إذن في هذا البلد، فأتيت إلى قزوين.

يقول مؤلف الكتاب: لم يكن الملّا عبد الكريم أضعف من شريف العلماء، لكن شريف العلماء كان محققاً والملّا عبد الكريم مدققاً؛ والملّا عبد الكريم كان من الترك وكان ماهراً في التقرير؛ لكن شريف العلماء لم يكن له عديل ونظير في التقرير؛ وأيضاً فإن تدريس شريف العلماء كان بحيث إذا رأى منه أحد عشرين أو ثلاثين مسألة من الأُصول فإنه يصير على إطلاع بها كلّها، وهذا الأمر لم يكن موجوداً عند الملّا عبد الكريم؛ وقد نقّح شريف العلماء قانون التدريس، وكان الملّا عبد الكريم في ذلك بطيئاً بحيث إن تلامذة شريف العلماء وفي زمان قليل يرتقون بسرعة، أمّا الملّا عبدالكريم فلم يترّق عنده أحد؛ وأيضاً كان شريف العلماء لا يوجد مثله في الجدال ولم يلزمه أحد، أمّا الملّا عبدالكريم فكان عاجزاً في ذلك ولذا

لم يترقّ تدريسه، وإلّا فإن الملّا عبد الكريم كان في التدقيق وحيد ديار العرب والعجم ولم يوجد مثله في التدقيق بعلم الأُصول في تلك الأزمان بل في الأزمان السابقة.

والشاهد على ذلك أنّني عندما كنت في دار السلطنة قزوين مشتغلاً بتحصيل العلوم كان الملّا عبد الكريم لا يدرس الأُصول وكان يدرس فقه رياض أُستاذه وذلك بنحو مختصر أيضاً فتحدّثنا ـ نحن جماعة من طلابه ـ في أن الملّا عبد الكريم مع كونه وحيد الأعصار في هذه المدينة فإذا لم نستفد منه ولم ندرِ عن درس أُصوله شيئاً فهذا خلاف المروّة تماماً، فعزمنا على الذهاب إليه وعرضنا عليه هذا المعنى، فقال: لدرسي عدّة شروط:

١ ـ أن يكون عدد التلامذة مئة فإن كانوا أقل لا أدرس.

٢ ـ أن لا يعترض أحد خلال الدرس ومن كان عنده شبهة يذكرها بعد تمام الدرس لأُجيبه عنها.

٣ ـ أن يكون الدرس باللغة العربية.

٤ ـ أن لا يقول أحد هذا يكفي بل حيث يكفي أنا أسكت.

٥ ـ إن هذا الجمع يبقى إلى ستة أشهر وإن لم يفهموا، بعد ذلك إن لم يفهموا فليتركوا.

فنفذنا هذه الشروط وذهبنا إلى درسه مدّة، فكان يدرّس كلّ يوم ساعة قبل ساعتين من الظهر وباللغة العربية وبدون تكرار، بحيث لو حرّر كلّه لبلغ مقدار ألف بيت لكن الطلّاب كانوا عاجزين عن تحريره، وكل يوم يعرض مطلباً بالأدلّة وفي اليوم الثاني يردّ الأدلّة وفي الثالث يثبتها من جديد وهكذا إلى عدّة أيام، وكان يقول: هذا ليس من باب الاضطراب بل أنا في الحكم مستقيم، وتكثير الإيرادات

والرد في الأجوبة من أجل شحذ أذهان الطلاب.

ومن الحكايات العجيبة: أنّ الملّا عبد الكريم قال: اشتغلت مدّة في تحصيل العلوم في بلدة أردبيل، وكان فيها تاجر معروف بالدناءة والبخل بحيث لم يصل إلى فقير شيء من إحسانه، وغالباً ما يكون في أوقات الطعام ضيفاً عند مديونيه ولا يأكل من ماله بحيث إنهم طبخوا له يوماً من ماله دون أن يعرف ودعوه للطعام، وعندما أراد الأكل لم يستطع البلع فقال: إن مالي في هذا ولذلك لا يتعدّى بلعومي.

وفي ليلة كنا نتحدّث مع الطلاب على باب ذلك الرجل والجميع قالوا: إنّه لا يمكن أن يؤخذ منه شيء للفقير. فقلت لهم: غداً أذهب إليه وآتي بشيء للطلاب. فأنكروا أن يحدث ذلك، فنذرنا أنّه إن حصل هذا الأمر أن يدفع كلّ واحد منهم مقداراً لي. وكان ذلك الرجل في الغنى والثروة مضرب المثل، ودائماً كان يضع مقدار عشرة آلاف تومان تحت السجاد في حجرته أينما كان؛ بحيث إن حصل له ما يشتريه يأتي بالثمن من البيت ويشتري، وكان جميع التجار مديونين له.

وبعد انعقاد النذر ذهبت إلى ذلك الرجل وسلّمت عليه فرد السلام وجلست في زاوية مع قليل من التواضع، ثم قلت له: عندي معك كلام يتوقّف على أن تستمع إلي بحواس مجتمعه. فقال: قل. فبدأت الحديث عن عدم اعتبار الدنيا والدهر الغدّار، وفناء الأعمار، وهلاك واضمحلال الآثار، وعذاب الأيام وقهر وغضب حضرة الجبار القهّار من الآيات وأخبار الأئمة الأطهارعليهم السلام، وذكرت حكايات كثيرة بحيث نزلت دمعته، وعندما رأيت منه رقّة القلب حدّثت نفسي: إنّه الآن وقت تنفيذ المطلوب والتأثير محتمل، فقلت له: ماذا يحصل لو دفعت هذه الصدمات واللطمات والعقبات بأن تعطيني شيئاً من مالك أوزعه بين طلاب المدرسة الفلانية؟ فلعلّ الحقّ تعالى يرحمك يوم لا خلّة ولا شفاعة ولا مال

وتتخلّص من هذه الشدائد.

فقام ذلك الرجل مباشرة دون أي تباطؤ وأتى بأربعين توماناً أشرفياً وسلّمني إياها حتى أقسمها بين الطلّاب في تلك المدرسة، فقلت في نفسي: إنّه يجب النهوض بسرعة حتى لا يتراجع عن هذا العمل بإغواء الغاوين والعفاريت وتسويلات الأبالسة، فنهضت فوراً وتوجّهت إلى المدرسة.

وما أن وصلت إلى الباب حتى هتف بي عالياً: أن ابق في مكانك أيها الشيخ. فعلمت أنّه تراجع فخرجت بسرعة وهو في اثري إلى أن أدركني في وسط السوق، فتمسّك بي وتمسّكت به أيضاً وصار الجو جو معركة. فتدخّل المصلحون واستفسروا منه عن سبب نزاعه مع الشيخ المسكين فقال: جاء هذا الشيخ اليوم إلى منزلي وخدعني وأخذ منّي مبلغ مال. وعندما علم الناس بما جرى منعوه وقالوا له: إنّك بعد هذا العمر تعطي هذا الشخص الفقير والعالم مالاً ثم تتراجع عن ذلك؟! هذا لا يليق. فسكوه فذهبت ووصلت إلى المدرسة وقسّمت المال بين الطلّاب وأخذت من أولئك الطلّاب المال الذي نذروا أن يدفعوه لي.

يقول المؤلّف: بناء على هذا التقرير فإنّ ذلك الشخص لم يكن راضياً بذلك فلماذا أخذ الشيخ المال مع عدم رضاه بذلك التصرف؟ فهو وإن وكّله في بداية الأمر لكن في الآن الثاني عزله.

نقول في الجواب: إن أفعال المسلمين محمولة على الصحّة، فلعل ذلك الرجل رضي بعد نصح المصلحين، أو إنّ الشيخ كان في ذلك الوقت أهلاً لأن يكون حاكماً شرعياً، أو أخذ الإذن من الحاكم الشرعي؛ لأن الحاكم الجامع للشرائط إن علم أنّ شخصاً اشتغلت ذمّته بردّ المظالم وحقوق الناس أو الأخماس والزكوات فإنّه يستطيع إجباره وأن يأخذ حقوق الناس بالنحو الممكن، فلعلّ هذه الواقعة

كانت من هذا القبيل[1].

وعلى كلّ حال فإنّ الآخوند الملّا عبد الكريم اشتهر في بدو الأمر إلى أن جاء زمان ترافع فيه شخصان من أهل قزوين مرافعة عظيمة، وقد ترافعا في إصفهان عند السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام فحكم السيّد لأحدهما، وعندما جاء إلى قزوين علم الآخوند بخطأ المرافعة فنقض حكم السيّد، لكن لم يكن له أثر وقد وقف علماء قزوين كلهم إلى جانب حجة الإسلام؛ ولذا تأثرت شهرة الملّا عبدالكريم سلباً، وإلّا فإنّ الآخوند كان في الاشتهار وحيد الأعصار.

نعم الشهرة في كلّ عصر من العصور وكلّ مصر من الأمصار وكلّ قطر من الأقطار مبنية على مصالح وحكم واقعية كاملة متكاملة خفية لا يعلم أكثرها إلّا اللّه تعالى، ويمكن إدراك بعضها بالعقل. والنسبة بين الفهم والعلم وبين الاشتهار العموم من وجه.

ولم يكن الملّا عبد الكريم يصلّي الجماعة، وكان يقول في بداية الأمر: أتوا بي إلى مسجد لأُصلّي الجماعة، فصليت ثم رأيت المأمومين إلى نقصان، فرأيت أن نفسي تأثّرت بذلك وانزعجت، فعلمت أنّ صلاتي هذه ليست قربة للّه ولا فائدة فيها، فتركت صلاة الجماعة.

وليعلم أنّ نقض الملّا عبد الكريم لحكم السيّد لم يكن عن هوى نفس، بل إمّا إنّه كان غير معتقد باجتهاد السيّد أو علم في تلك الواقعة المفروضة خطأ حكم السيّد واشتباهه.

---

(١) الأولى أن يقال: إن الملّا عبد الكريم أخذ المال بالوكالة عن طلاب المدرسة. لا إنه كان وكيلاً عن صاحب المال ثم عزله، وإذ كان وكيلاً عن طلاب المدرسة فصار المال ملكاً لهم فليس له رده إلى الرجل بعد أن خرج عن ملكه إذ المفروض أنها صدقة قربة للّه تعالى. (المترجم).

وعندما جاؤوا برسالة حجّة الإسلام إلى الملّا قال: كنت سابقاً في شكّ من اجتهاد السيّد وعندما راسلته زاد شكي.

وعندما اشتهر الشيخ محمّد حسن النجفي قال الملّا: إني أتعجّب من وصول الشيخ إلى مرتبة الاجتهاد.

وعندما قيل له: إنّ الملّا محمّد صالح كتب دورتين في الفقه. قال من باب الظرافة: وإن كتب عشرة دورات؛ لأنّها عشرة نسخ من الشرح الكبير.

وكان يقول: إذا أردت أن أقابل كتاب الملّا محمّد صالح مع كتب الفقهاء آخذ مقابل كلّ ألف بيت ألفين؛ لأنّه إنّما يكتب كلامهم وليس فيه أي تصرّف منه، وإذا قابلت كتاب الملّا محمّد تقي الشهيد الثالث مع كتب الفقهاء آخذ أُجرة على كلّ ألف بيت توماناً، لأنّه كثيراً ما تصرّف.

وكان يقول: ذهبت إلى طهران لحاجة فزارني ابن الكلباسي محمّد مهدي والسيّد حسين مير محمّد صادقي وكان من مشاهير إصفهان ومن تلامذة الملّا الكلباسي ودرس مدّة سنة عند شريف العلماء، وكانا قد أتيا إلى طهران، وعند رؤيتهما تحدثنا وقلت: هل عندكما شيء من تأليفات الكلباسي؟ فأبرزا ورقاً، فقلت للمير السيّد حسن: اقرأ. فقرأ سطراً، فأوردت عليه إشكالاً فجرى حوار حتى أقرّ في نهاية الأمر بورود الإشكال، ثم قرأ السطر الثاني فذكرت إيرادين وبعد حوار أقرّا بورودهما، ثمّ قرأ السطر الثالث فأوردت ثلاثة إيرادات وبعد حوار صدّقا بورودها، وهكذا إلى آخر الصفحة.

واستفتاه شخص عن الأعلم هذا اليوم، ومن هو الذي يمكن تقليده في قزوين؟ فكتب في الجواب: أنا الأعلم، ومن بعدي الملّا علي قريوزآبادي هو الأعلم، وبعده يجوز تقليد الملّا محمّد تقي أيضاً، وباقي علماء قزوين إما مشكوك

في اجتهادهم أو بيّن العدم.

وكان الملّا علي فاضلاً تلمذ عند الآخوند وأخذ منه إجازة وسكن في زنجان، وفي هذه السنة ١٢٠٩ توفي هو والملّا هادي السبزواري، وأُقيم لهما في طهران عزاء ليوم واحد.

وعمل الملّا عبد الكريم كثيراً في صناعة الكيمياء، وعمله كان منحصراً به وسحب يده من الأُمور العلمية، وكان يقول: كلّ من لم يشتغل بالكيمياء فلا ذوق عنده. وكان ينال من عمله ـ عشرة اثنين ـ أي يضع توماناً كرأسمال ويأخذ اثني عشر ألفاً، وكان يقول: علّمني هذه الصنعة درويش في كربلاء. لكنه في آخر الأمر كان يقول: وصل العمل إلى حد ـ واحد واحد ـ أي إذا وضعت توماناً كرأسمال آخذ تومانين.

وله حكاية أيضاً وهي: أنّني دخلت يوماً إلى مجلس السيّد محمّد حجّة الإسلام فأعطاني جنابه جزأين وقال: اقرأهما. فقلت: لمن؟ فقال: هذه مرافعة النزاع بين السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام والملّا أحمد النراقي، وكتب كلّ منهما رأيه في المسألة المتنازع فيها وطلبا مني الفصل. فنظرت في الكتابة وكان كلام الملّا أحمد هو المرجح في نظري، فقلت له ذلك فوافقني ووافق الملّا أحمد النراقي.

وحكى حكاية عجيبة فقال: وقّع المرحوم السيّد تقي القزويني عقداً فجاؤوا إلي للترافع، فأبطلت عقد السيّد، فحصل بيني وبين السيّد لهذا السبب شيء إلى أن رأيت في المنام ليلة أن شخصاً جاء إليّ وقال: هيا فأنت مطلوب. وقد أخذتني هيبته ووقعت في قلبي فلم أتمكّن من الكلام، فذهبت والشخص المذكور أمامي وأنا خلفه، فوصلنا إلى باب دار وقال: هنا طلبوك. فرأيت في ذلك البيت سادة محترمين معظّمين قد جلسوا بالترتيب وبينهم السيّد تقي فسلّمت وردّوا السلام،

وأخذ ذلك السيّد الجالس في مقام أعلى من الجميع يعاتبني ويخاطبني: أن كيف كسرت خاطر ولدنا السيّد تقي؟! فلا تفعل ذلك بعد الآن، وعليك أن ترضي السيّد تقي.

فاستيقظت ثم ذهبت إلى بيت السيّد واعتذرت منه ولم أحك له المنام، فسرّ السيّد بذلك، وبعد مدّة جرت أيضاً مرافعة كان فيها السيّد محمّد تقي فحكمت من جديد بما يوجب إبطال عمل السيّد، ومن جديد عاد الأمر إلى ما كان من الجفاء، ثم رأيت في عالم الرؤيا ذلك الشخص الذي رأيته سابقاً يطلبني، فذهبت إلى نفس المكان ورأيت نفس الأشخاص، وعاتبني أيضاً ذلك السيّد الجالس في صدر المجلس وحكم بأن أرضيه.

فذهبت صباح ذلك اليوم رغم الثلج الذي كان يتساقط إلى بيت السيّد، ففتح السيّد الباب وجلسنا قرب المدفأة، وبعد أحاديث مختلفة اعتذرت منه وحكيت له المنام فقال السيّد: قد رضيت عنك. وقال لي: في الليلة الماضية كنت جالساً في ذلك المجلس الذي أخذوك إليه. فتعجبت كثيراً: أن كيف عرف السيّد بمضمون المنام مع أنني لم أظهر ذلك المنام لأحد؟

(٨)
الملّا محمّد جعفر الاسترآبادي

سكن طهران، وكان من أفاضل الزمان، وجامعاً للعلوم، ومن تلامذة السيّد علي صاحب الرياض.

وله تأليفات كثيرة مثل: شرح التجريد في علم الكلام، وكتاب مدائن العلوم في علم العربية، وله في الفقه والأُصول تأليفات كثيرة، وله محاجّة مع شريف العلماء في مواجهة السيّد كاظم الرشتي تلميذ الشيخ أحمد في محضر السيّد مهدي وقد ألزمه، وكتب كتاباً في الردّ على الشيخ أحمد.

وكان محتاطاً جداً، ويدرّس درسين: درساً في الأُصول وآخر في الفقه الذي كان من تأليفاته، وقبل الدرس يقرأ كلّ يوم خطبة، وبعد الدرس يدعو. وقد حضرت أيضاً في مجلس درسه وكان في أكثر العلوم خبيراً وله ذوق شعري، وهذا تفضّل من اللّه لبعض عباده حسب استعدادهم. وكان الملّا محمّد صالح البرغاني يقول: كتبت ثلاثة دورات في المصيبة، وكلّما حاولت إنشاء مصراع من الشعر لأُثبته في تلك الكتب حتى أُحسب من شعراء أهل البيت لم أتمكّن.

وكانت عادة الملّا محمّد جعفر أنّه كلما قصّ أظفاره جمعها وأرسلها إلى كربلاء لتدفن هناك.

وقد ذكر في بعض كتبه الكلامية عدّة أدلّة في الإمامة، ثم بعد ذلك يقول: فإذن هو خليفة اللّه الرابع. وحلّ هذا الكلام الغاية في الفضيلة: أنّ اللّه تعالى اعتبر ثلاثة

نفر من الأولياء خلفاء: أحدهما آدم‏ إذ قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]، والثاني النبي داود‏ إذ قال: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾[٢]، والثالث هارون إذ قال له موسى‏: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[٣]، فالرابع من الخلفاء هو أمير المؤمنين‏.

وقال في كتاب مدائن العلوم: إنّه يخرج من المصدر خمسة عشر وجهاً. وكتبت في شرح الأمثلة نهاية أضعاف المضاعف. وأيضاً في باب القضايا من كتاب مدائن العلوم عدّ أكثر من ثلاث عشرة قضية مركّبة.

أقول: والظاهر أنّه تبع في هذا الباب المير غياث الدين؛ لأنّـه أضـاف عـدّة قضايا من المركّبات على الثلاث عشرة قضية المشهورة.

ونقل عن هذا الرجل العظيم حكاية مضحكة وهي أنّه قال: إن المـريد عـلى أقسام:

١ ـ «آشي»[٤]: وهو الذي تكون له إرادة لشخص من أجل زخرفة الدنيا.

٢ ـ «شاشي»[٥]: فسئل عن معناه فقال: في السابق كان هناك شخص مريد لي غاية الإرادة، ولم يكن يترك الصلوات الخمس خلفي في الجماعة عـلى الإطـلاق، ودائماً يسبقني إلى المسجد، ينتظرني إلى أن ذهبت معه ومع شخص آخر ـ صدفة ـ إلى مكان، وفي الطريق كان لا بد أن أقضي حاجتي ولم أستطع الانتظار للوصول إلى المنزل ولم يكن عندي ماء أيضاً لأطهّر، فانعزلت في مكـان وقـضيت حـاجتي ثم ذهبت إلى البيت وتطهّرت، ومضت مدّة فلم أر ذلك الشخص في المسجد فتعجّبت

---

(١) البقرة ٢ / ٣٠.

(٢) ص ٣٨ / ٢٦.

(٣) الأعراف ٧ / ١٤٢.

(٤) نسبة إلى «آش» الفارسية بمعنى: حساء.

(٥) نسبة إلى «شاش» الفارسيه بمعنى: بول.

كثيراً من السبب في ذلك مع أنّه لم يكن يترك صلاة الجماعة أبداً، فذهبت إلى بيته لزيارته فلم يكن مريضاً، فسألته عن سبب الترك وبعد الإصرار قال: كنت معتقداً بك غاية الاعتقاد لكن في ذلك اليوم الذي رأيتك فيه تذهب لقضاء حاجتك زال اعتقادي بك. فقال الملّا فسمّيت هذا المريد بالشاشي.

(٩)
الملّا حسن اليزدي ﷺ

وهو من معروفي مشاهير فضلاء إيران، وكان في غاية الزهد والورع والتقوى والعبادة، ومداوماً على الإبكاء على سيّد الشهداء وإقامة مجالس العزاء لأئمة الهدى ﷺ وكان مسكنه في بداية الأمر في دار الخلافة وفي الأواخر سكن كربلاء ودفن في هذه الأرض المقدسة.

ومن تأليفاته كتاب مهيّج الأحزان الذي جمع فيه الأخبار المعتبرة الواردة في المصيبة، وكان عنده اهتمام تام بالأخبار.

وهو من تلامذة المرحوم السيّد محمّد ولا يبعد أنّه رأى السيّد علي أيضاً.

وقد ابتلي في خراسان بمرض الرعشة، وكان أطباؤه يداوونه يومياً بمثقال من سم الفار.

وطلب السلطان الأعظم فتح علي شاه أن تتزوّج ابنته ضياء السلطنة من ابنه فأبى.

ومن جملة كراماته: أنّه كان في بداية أمره في ولاية يزد وفيها حاكم من قبل السلطان الأعظم فتح علي شاه، وقد كان يتعدّى كثيراً على الرعايا حتى تعب أهل المدينة من ظلمه، فحكم الملّا بأن يجتمع الناس فأخرجوه بشكل فظيع.

وفي بداية الأمر عرضوا ذلك على السلطان والناس تنقل بشكل معكوس كما

هو الحال الآن في إيران، إذ نرى الظلم عظيماً بحيث لا يوجد مثله في أيّ بلد من بلاد الربع المسكون من الأرض، وإذا عرضت الرعايا والبرايا أمراً فإن الأعيان والوسائط يعكسون الأمر على السلطان، وإلاّ فإنّ سلطان هذا الزمان العالي، ظل اللّه، ناصر الدين شاه هو في العدالة بحيث لم يظهر سلطان بمثل هذه العدالة ومكث هذه المدة، لكن ما الفائدة والوسائط الذين لهم طريق إلى الحق مبدأ المبادئ يقضى عليهم من الضربات التي يوجهها لهم الآخرون، وأولئك الذين شارطوا اللّه لا يضرهم المضرّون بالآخرين يتكلفوا الحماية من الظلاّم.

وقد ذهبت في سنة إلى المحضر الملوكي حضرة ظل اللّه، وأردت أن أسكن في دار الخلافة فقال السلطان: وجودكم في تلك البلاد التي هي من ثغور المسلمين ضروري، وإذا لحق بالرعايا ظلم من أجل مئة دينار فإني أبقر بطن الظالم، وقد رفعت عن نفسي مسؤولية أحملكم إياها. وقدكان هذا الكلام عن صدق لا مبالغة.

وعلى كلّ حال فقد طلب السلطان فتح علي شاه الملاّ حسن إلى دار الخلافة، وبعد الورود والملاقاة دار حديث خشن، فالسلطان استفسر عن الواقعة من الملاّ وكان يريد أن ينكر الملاّ ذلك، فقال: هذا الحاكم ظالم وقد ضاق الفقراء من ظلمه فأخرجته. فانزعج السلطان وحكم بأن يضرب الفلقة حتى يعاقب ـ والعياذ باللّه ـ الملا. فشدّوا قدمي الملاّ في مجلس السلطان، فتوجّه السلطان إلى أمين الدولة الإصفهاني وقال: يقيناً لا تقصير للملاّ وهذا العمل قام به الرعايا أنفسهم. يريد أن يلقّن الملا أن يتبرّأ من هذا العمل، وأمين الدولة كان مخلصاً للطبقة العلية طبقة العلماء فصدّق السلطان، لكن الملاّ مع أنّ قدميه كانت مقيّدتين انزعج وقال: لماذا يجب أن يكذب السلطان؟ أنا الذي أخرجت الحاكم بسبب ظلمه وتعدّيه على الفقراء، والرعايا لا ذنب لهم. حينئذٍ أشار السلطان لأمين الدولة كي يتوسّط، فتوسّط وفك القيد عن قدمي الملاّ وخرج.

وفي الليل رأى السلطان في عالم الرؤيا رسول اللّه ﷺ وقد شُدّت قدماه، فجاء السلطان نحو النبي ﷺ وسلّم عليه فلم يعتن به فقال السلطان: إن قدميك المباركتين مقيّدتين من فعل ذلك حتى أؤدّبه؟ فقال النبي ﷺ: أنت فعلت ذلك. فقال السلطان: أنا لا أرتكب مثل هذا العمل القبيح. فقال ﷺ: أولم تحكم أمس بأنّ تقيد قدمي الملّا حسن. فاستيقظ السلطان خائفاً، وصباح ذلك اليوم أبرز للملّا احتراماً كثيراً وخلع عليه خلعة فاخرة وطلب منه الرجوع إلى الوطن، فلم يقبل الآخوند وبقي في دار الخلافة، وفي آخر عمره سكن في كربلاء.

وكان في بيته دائماً مجلس عزاء لسيّد الشهداء ﷺ ويذكر الذاكرون المصيبة، وهو أيضاً في الآخر يذكر المصيبة، وكان يعظ في المسجد ويذكر المصائب، وكنت أحضر غالباً في مجلس عزائه. وعندما كان في كربلاء كنت أذهب أيام العزاء إلى بيته، ومع أنّه كان مريضاً بداء الرعشة ولم يكن كلامه يفهم بوضوح فقد كان يبكي كثيراً.

وممّا سمعته منه وهو على المنبر قوله: إنّني رأيت رسول اللّه في المنام فقلت له ﷺ: رأيت في أخبار المقاتل أنّ سيّد الشهداء عليه آلاف التحيّة والثناء قد غشي عليه مرتين عندما استشهد، فهل هذا صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: نعم، أيها الآخوند غُشي على ولدي الحسين عندما استُشهد أربع مرات. وقد كتبت هذه الحكاية بالتفصيل في كتاب أسرار المصائب وكتاب اكليل المصائب.

وفي بعض أيام المحرّم أُقيم مجلس عزاء في بيت الأُستاذ السيّد إبراهيم عليه الرحمة وكنت حاضراً في ذلك المجلس، ثم حضر الملّا حسن وجلس قرب الأُستاذ وأبدى الأُستاذ له احتراماً كبيراً، فذكر الذاكر قصة الأسد ومروره على رؤوس أجساد الشهداء، وأنّ هذا الأسد هو أمير المؤمنين ﷺ جاء إلى المقتل بتلك الهيئة،

وعندما نزل الذاكر عن المنبر طلب منه الملّا حسن الحضور إليه، فجاء وقبّل يد الملّا، وقال له الملّا حسن: أيّها الشيخ، إنّ ما ذكرته على المنبر من أنّ ذلك الأسد هو أمير المؤمنين ﷺ كذب فإنّ أمير المؤمنين ﷺ لا يأتي على هيئة الأسد، وبعد هذا لا تقل أمثال هذه الأُمور ممّا قلته اليوم على المنبر. فتاب الذاكر والسيّد يستمع فلم يتكلّم.

أقول: إنّ حكاية الأسد معروفة عند الكثير من أهل المقاتل. إمّا أن ذلك الأسد هو أمير المؤمنين ﷺ فلا يستند إلى حديث، بل من ذكر هذه القصة فقد نقلها عن زراع العلقمي وهو حكاها عن الجن، وأنه سمع ذلك في السرداب ولا اعتبار بقوله، وقد ذكرت هذه القضية بالتفصيل في كتاب إكليل المصائب، وكتبت الاختلافات فيها مع تحقيق الحقّ وبدقّة كاملة.

(١٠)
الشيـخ محمّد حسن النجفي

الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ باقر النجفي مسكناً ومدفناً: فقيه نبيه، عالم جليل القدر، وسمّو شأنه ورفعة مكانه غنيّة عن البيان. كـان عـلى رأس العـلماء في ذلك الزمان، وهو في المسائل دقيق، وفي أكثر المقامات على نهاية التحقيق. انتقلت إليه رئاسة الإمامية بعد حجّة الإسلام والسيّد الأُستاذ، فبعد السـيّد الأُسـتاذ حـضر الطلاب مجلس درسه، وقد حضرت أيضاً درسه مدّة من الزمان. وكان في صوته بحّة لا يمكن أن يسمع من بعيد. وكان مبتلياً بالسلس.

وألف كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام من أوّل الطـهارة حـتى الديات في ٢٥ مجلّداً، وطبع بدار الطباعة في سـتة مجـلّدات، ثـلاثة في العـبادات وثلاثة في المعاملات. وهو كتاب مفصّل تمام التفصيل ذكر فيه أقول الفقهاء بتفصيل تام.

وهو من تلامذة أفقه الفقهاء من المتقدّمين والمـتأخّرين الشيخ جعفر النجفي، وتلمذ أيضاً في أوائل حياته عند السيّد جواد العاملي والسيّد جواد صاحب مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة وفي أول مجلّداته يكتفي بـنقل الأقـوال ولا يـذكر تحقيقه. ويقال: إنّه لم يكن عنده في ذلك الزمان ملكة الاستنباط.

وقد أعطى الشيخ محمّد حسن إجازات كثيرة للطلاب ويصدّق إجازاتهم إلى أن دلّس عليه أحد الطلاب، فقد كتب أحد طلاب الشيخ جعفر النجفي ـولم يكن

مشهوراً ـ كتاباً جيداً في شرح اللمعة وجعل المقدمة باسمه، وشهد له شخصان عند الشيخ أنّ هذا الكتاب من تأليفاته وأنّ لديه ملكة الاستنباط وشبّهوا الأمر على الشيخ فأجازه، وبهذه الإجازة أجازه أيضاً ثلاثة فقهاء آخرون من كربلاء والنجف، وبعد مضي عدّة أيام اشتهر هذا الأمر، فذكر الطلاب للشيخ أنّ ذلك الشخص كان عادياً جداً ولم تكن عنده القدرة على فهم المطالب، فأرسل الشيخ خلفه شخصاً ليأخذ منه الإجازة إن كان في كربلاء فلم يجده فيها، فغمّ الشيخ كثيراً وصعد المنبر يوماً ووعظ الطلاب ورهّبهم وقال لهم: لا تبيعوا الدين من أجل حطام الدنيا ولا تشبّهوا الأمر عليّ. وبكى ثم نزل عن المنبر، ومن ذلك اليوم لم يعد يعط إجازة لأحد، وبعد مضي ستة أو سبعة أشهر توفّي الشيخ. وقد وقعت هذه الحكاية بعد رجوعي من العتبات، وحكاها السيّد حسين إمام جمعة لاهيجان.

وكان يقول: كنت قبل أن أصل إلى سنّ الخمسين طالباً للشهرة ولم تتيسر لي الثروة، وبعد أن وصلت إلى سنّ الخمسين زالت هذه الآمال والأماني وبعدها اشتهرت وصرت غنياً، لكن لم أكن أُريد ذلك في ذلك الزمان.

ورأى الشيخ في عالم الرؤيا أنّه يريد الذهاب إلى رسول اللّه ﷺ وعندما وصل إلى باب البيت طلب الإذن فلم يؤذن له وأُمر بالصبر، وفي هذه الأثناء دخل أحد سكان كرمانشاه ـ وكان الشيخ يعرفه من دون استئذان إلى بيت الرسول ﷺ، فتعجّب الشيخ من ذلك وقال: مضت مدّة ولم يأذنوا لي وهذا الرجل وهو من الأكراد يدخل بلا إذن؟! فقال له الشخص الذي كان هناك: إنّ السيّدة فاطمة ؊ موجودة في الداخل؛ ولذا لم يؤذن لك بعد، وهذا الرجل محرم لفاطمة ؊ فدخل بلا إذن. فذهب الشيخ في صباح ذلك اليوم وتزوّج بنت السيّد الرضا من أحفاد بحر العلوم حتى يكون من محارم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء ؊.

وكان للشيخ مكتبة زيّنها بالساعات والأقمشة النفيسة وأمثال ذلك.

ومن جملة الحكايات المضحكة: أن الشيخ نسب يوماً في مجلس درسه قولاً لصاحب الحدائق، فوقف بعض تلامذته وهو عباس القمي صهر محمّد جعفر الاسترآبادي وقال: المذكور في الحدائق خلاف ذلك. فقال له الشيخ: ائت غداً بكتاب الحدائق. وعقدوا في هذا الباب عقداً. فذهب الملّا عباس إلى البيت وأخذ كل نسخ الحدائق الموجودة عند الطلاب وكتب عبارة في الحاشية، وفي المصباح أتى بكتابه فنظر الشيخ فيه فطلب كتاباً آخر ونظر في عدّة كتب وكان الأمر على هذا المنوال، فالتفت الشيخ وسأل: لماذا كُتب ذلك في كلّ الكتب في الحاشية؟ فطلب الكتب القديمة فعلم أنّ الملّا عباس كتب ذلك.

وكان يقول: عندما كنت أكتب الفقه عاهدت عهداً أن أكتب كلّ يوم كرّاساً. والكرّاس عبارة عن ملزمة، وبقي مدّة في بغداد للتفرغ ولتقليل المشاغل ورفع الموانع، وأقفل الباب واشتغل بتأليف الفقه.

وكان يذم الحكماء كثيراً حتى إنّه نقل عنه أن «والله ما بُعث محمّد بن عبد الله إلّا لإبطال الحكمة». وكان في الأُصول بالنحو المعروف بين المتأخّرين في غاية الإهمال. وكان يقول: ما هو المقام الحادي عشر والثاني عشر اللذان فصّلوا فيهما بهذا التطويل في المسائل الأُصولية، بل إنّ قراءته حرام. وقد نقلوا أنّ الشيخ مرتضي الشوشتري كان يقول: لم يكن الشيخ محمّد حسن يقول لنا: الأُصول. بل يقول: أُصول الآخرين. وقد تقدم ذكر مناظرته مع الشيخ أحمد الإحسائي.

وعندما كنت في بداية تشرّفي في النجف الأشرف حضرت للصلاة في الليل بمسجد الشيخ الطوسي حيث كان يصلّي الشيخ محمّد حسن، ووقفت إلى جانب الشيخ واقتديت به لصلاة المغرب، وكانت قد عرضت مسألة وهي: أنّ الحائض بعد

الطهارة من الحيض وقبل الغسل هل تستطيع أن تدخل مسجد الكوفة والمكث فيه أم لا؟ فأردت أن أسأله عن ذلك لكن عندما رأيت صلاة الشيخ وسوس الشيطان لي: لماذا تصدر صلاة من الشيخ بهذه السرعة، سيما إنّه بعد السجدة الأخيرة وعندما رفع رأسه من السجود أخذ المسبحة بلا تريّث وراح يلهو بها إلى أن قرأ التشهّد والتسليم؟ وقد نازعتني نفسي كثيراً حتى تغلّبت عليها واقتديت خلفه لصلاة العشاء.

يقول مؤلّف الكتاب: رأيت بين علماء ذلك الزمان ثلاثة أنحاء من الصلاة:

١ ـ صلاة الشيخ محمّد حسن التي كانت في ظاهرها أضعف الصلوات.

٢ ـ صلاة وسطى مثل صلاة أُستاذي السيّد إبراهيم أعلى اللّه مقامه.

٣ ـ صلاة السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام التي كانت أسماها.

وقد كنت أقطع المسافة من بيتي حتى المسجد لأُصلي خلفه صلاة الصبح وأستمع لقراءته وصوته، وعندما كان يذكر تكبيرة الإحرام كان يمدّها كثيراً، فسألت أحد تلامذته عن ذلك وأن ليس في كلمة «اللّه» مدّ فلماذا يمدّ السيّد؟ فقال: قد سألته هذا السؤال فقال: عندما أنطق بالكلمة المباركة لا أملك أمري فيكون مني هذا من غير اختيار. وكانت صلاته كلّها بحزن وخضوع تام، بل كان يقرأ ببكاء، وقد كان واضحاً لكلّ مستمع أنّ صلاته كانت بقلب حاضر تمام الحضور. وكان في النوافل أيضاً يقرأ الذكر ثلاث مرّات في الركوع والسجود، وكان يضع تحت كفّيه أيضاً التربة الخاصّة بالصلاة.

وعلى كلّ حال فإن صلاته كانت بلا نظير من حيث حضور القلب والخضوع، بل غالباً ما يبكي المستمع أيضاً.

وقد سمعت أنّ صلاة الملّا علي النوري كانت في الخوف والهيبة وحضور القلب

أكمل من صلاة حجّة الإسلام. وكان العلماء في ذلك العهد يصلّون بنحو أفضل من علماء هذا العهد. فصلاة والدي كانت بقلب حاضر تماماً، وكذلك كانت صلاة الملّا محمّد ابراهيم الكلباسي كاملة وطويلة جداً، لكنّني أقطع بأنّ صلاة الشيخ محمّد حسن هي بالضبط كصلاة أُستاذه الشيخ محمّد جعفر، فقد كانت على هذا النحو كما سمعت، وإنّني على يقين بأنّها كانت صلاة مبرئة للذمّة.

وكانت صلاة الشيخ محمّد حسن على نهج صلاة رسول اللّه ﷺ، لكن صلاة حجّة الإسلام كانت على نهج صلاة أمير المؤمنين عليه السلام حيث إنّهم كانوا يسحبون السهم من قدمه وهو غير ملتفت؛ وصلاة سيّد الساجدين عليه السلام الذي إذا مال رداؤه عن كتفه لم يلتفت إليه ولم يرتّبه حتى آخر صلاته؛ وصلاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام.

وإذا كان لازم هذا التقرير أن تكون صلاة أمير المؤمنين عليه السلام أكمل من صلاة النبي، والحال أنّ ليس كذلك. نقول في الجواب:

إنّ السالك كما ذكر العرفاء والشيخ البهائي ـ زيد بهاؤه ـ في آخر كشكوله على مراتب ثلاث:

١ ـ مقام التفرقة، فيلتفت إلى نفسه وإلى اللّه.

٢ ـ مقام الجمع الذي يقال له: مقام المحو، وهو أن يصل إلى مقام الوصل ولا يرى شيئاً غير اللّه وقد نسي نفسه، كما قال الشاعر:

حيثما نظرت إلى جبل أو صحراء
أرى دليلاً على غناك

٣ ـ مقام جمع الجمع، ويسمّى مقام الصحو، وهو أن تحصل له بعد مقام الجمع إحاطة بحيث يرى الحق بعين، والخلق بالعين الأُخرى؛ ولذا يقول الشيخ محمّد الشبستري:

الأنبياء في هذا السبيل هم الرعـاة
والأدلّة والمـرشدون والعـارفون
مـنهم سـيّدنا سـيّد الشهـداء
هو الأول وهو الآخر في ذا العمل
مـقام سروره جمـع الجـمع
وجمـال نـور فـؤاده شمـع الجـمع

فقام رسول اللهﷺ مقام جمع الجمع، وإحاطته هي بنحو أنّه بعد رؤية الحق يتنزل لرؤية الغير فيرى الاثنين، ولا تكون رؤية الحق مانعة عن رؤية الخـلق، بخـلاف الأئمة حيث إنّ مقامهم مقام الجمع لا جمع الجمع؛ ولذا لا يرون في الصلاة إلّا الحقّ. والحاصل أنّ صلاة الرسول أفضل من صلاة الأئمة.

ومن جملة الأعاجيب المضحكة: أن نجيب باشا والي بغداد ذهب إلى النجف بعد فتح كربلاء، وأخذ معه الشيخ محمّد حسن لزيارة أمير المؤمنين، وعـندما دخل الحرم رفع يده إلى السماء وقال: اللهم بحرمة لحيتي البيضاء تجاوز عن ذنوب الإمام علي إذ أهرق الكثير من دماء المسلمين.

(١١)
أعلم العلماء الشيخ مرتضى الشوشتري الأنصاري

سكن الشيخ مرتضى الشوشتري النجف ودفن فيها. وفي بداية أمره تلمذ للملّا أحمد النراقي وبعده لشريف العلماء.

وكان في غاية الزهد والورع والعبادة والتدقيق. وقد حضرت مجلسه مدّة ولم يكن يترك النوافل الراتبة، بل لم يكن يترك زيارة عاشوراء وصلاة جعفر الطيار ونحوهما.

وانتهت إليه رئاسة الإمامية بعد المرحوم الشيخ محمّد حسن، ولم يتصدّ للمرافعات أبداً، ولم يعطِ لأحد إجازة اجتهاد.

وتأليفاته هي: رسالة حجية المظنّة[١]، ورسالة في الاستصحاب، ورسالة في التراجيح، ورسالة في القرعة، ورسالة من ملك شيئاً ملك الإقرار به، ورسالة التقيّة، ورسالة في نفي الضرر، وشرح طهارة كتاب إرشاد العلامة، والمتاجر في مجلّد. لكنّه لم يكتب جميع مسائل البيع. وله حواشٍ كثيرة على كتاب العوائد للملا أحمد النراقي.

وكان في الحقيقة مؤسساً في علم الأُصول، أي حجيّة الظنّ وأصل البراءة والاستصحاب.

وعمّر ما يقرب من ثمانين سنة مثل الشيخ محمّد حسن، رحمه الله تعالى ونوّر الله مرقده.

---

(١) وهي الرسالة الأُولى من الكتاب المعروف بالرسائل. (المترجم).

(١٢)
الملّا السيّد الدربندي

وهو الملّا آغا ابن عابد بن رمضان الدربندي صدف الفقاهة والاجتهاد، عالم عامل مسدّد، فذلك حكماء الإسلام، قدوة أرباب الكلام، وفي الحقيقة علامة هذه الأزمنة ووحيد الأمكنة، من تلامذة شريف العلماء.

وكان في تغيّر مستمر، ففي بعض الأوقات يكون بناؤه على التكلّم ويقول: عندي على المطلب الفلاني أربعون أو خمسون إيراداً. ويقول له شريف العلماء: يكفي أن تأتي بإيراد واحد جيد. ويأتي بمثال: أنّ الآغا محمّد خان أخبر أنّ السلطان فتح علي شاه جاءه في ليلة واحدة عدّة أولاد، فقال الآغا محمّد خان في الجواب: كان يريد ولداً مثل لطف علي خان ابن جعفر خان وكان قوياً شجاعاً. فأنت بإيراد واحد يكون مثل لطف علي خان. فتقع محاجّة بين الملّا وشريف العلماء حتى ينزعج شريف العلماء فيتغير أيضاً ـ دون اختيار حال ـ الملا؛ فيقول شريف العلماء: اخرجوه من المجلس. فيأخذونه ويخرجونه، وعندما يصل إلى الباب يقول: أيّها الناس أنا ذهبت لكن لا تقبلوا هذا الكلام منه؛ لأنّ كلامه فاسد. فيقول شريف العلماء: اضربوه على رأسه. فغاب يومين أو ثلاثة ولم يحضر الدرس فجاء أصدقاؤه إلى شريف العلماء وقالوا له: إن الملّا آغا رجل فاضل فأذن له أن يحضر مجلس الدرس. فقال شريف العلماء: ليأت شرط أن لا يتكلّم. ثم أتى وبقي عدّة أيام دون أن يتكلّم إلى أن قرّر في أحد الأيام المناقشة، فتحرّك على النحو السابق، وهكذا.

وفي بعض الأوقات اختلف تلامذة شريف العلماء في أي بحث يشرعون حتى اتّفقوا على بحث، فقال الملّا آغا: يجب البحث في حجّيّة الظن وإلّا فإنّ أذيّة تصل مني إليكم. فانزعج شريف العلماء.

ومن القضايا التي حدثت أيضاً. أن شريف العلماء ذهب يوماً مع تلامذته لزيارة سامراء فتوقّفوا في ليلة في مكان، فتنازع الملّا آغا مع أحد التلامذة في مسألة حتى انزعج الملّا آغا، وكانت عنده حربة فأخذها ولحق ذلك الرجل، فعندما رأى هذا الرجل أنّ الحال وصل إلى هنا رمى بنفسه في خيمة شريف العلماء، فوصل الملّا آغا إلى هناك فانزعج شريف العلماء من الملّا وأخرجه من هناك.

والحاصل: أنّ الملّا آغا حوى المعقول وكان مؤسساً في علم المنقول. وقد تكرّر القول من الأُستاذ السند السيّد ابراهيم: إنّ الملّا آغا من أهل علم الأُصول فارجعوا إليه. وقد طابق مطالب المعقول في علم الكلام والحكمة مع القوانين الشرعية، وكان في علم الرجال أوحد الرجال، ومحطّ رحال أهل الكمال، وكان معروفاً في الفصاحة والبلاغة في بلاد العرب والعجم، بل لم أر في هذه الأعصار له ثانياً أو تالياً في الفصاحة والبلاغة، وكذلك في العربية.

ومن تأليفاته كتاب الخزائن، اشتمل على ثلاثة مجلّدات، المجلد الأول: شرح منظومة بحر العلوم في فقه الطهارة ومقدار من الصلاة وفروع كثيرة مع استدلال في غاية الإحكام والاتقان ومشي خير الخلق وأبواب يفتح منها أكثر الأبواب. وقال الملّا آغا في شرح هذا الحديث: استنبطت من هذا الحديث ٧٠٠ قاعدة؛ المجلد الثاني: في الأدلّة العقلية، وكتب بعد الاستصحاب تعارض الاستصحاب مع القواعد الفقهية، ونقّح القواعد الفقهية وتكلّم فيها في غاية التحقيق مثل: عموم على اليد، ولا ضرر، وأمارية اليد على الملكية، وما يضمن بصحيحه يضمن بفاسده،

ونفي الغرر وأصالة اللزوم في العقود، وقاعدة الأمين لا يخون، وقاعدة الإحسان، وقاعدة التسبيب وغيرها من القواعد الكلّية. وكانت طريقته أن يدخل في كلّ مسألة من مسائل الفروع أو الأُصول ويذكر شقوقاً وتفريعات إلى حد يتجاوز الخمسمئة ألف؛ والمجلد الثالث: في الاعتقادات وأصول العقائد والدراية والقواعد الرجالية وغيرها والاجتهاد والتقليد.

وقد ذهب الشيخ محمّد حسن يوماً للزيارة المخصوصة إلى كربلاء فالتقى بالملّا آغا فقال له الشيخ: كتاب جواهر الكلام كتبته بشكل جيد فهل رأيته وأعجبك؟ فقال الملّا آغا: يوجد من هذه الجواهر الكثير في خزائننا.

وبقي الملّا مدّة مديدة في كربلاء وأحياناً كان يدرّس، وقد حضرت درسه لكنّه من عصبيّته يخرّب الدرس.

والكتاب الآخر: اكسير العبادات في أسرار الشهادات، وهو في نهاية التحبير وحسن التحرير والفصاحة والبلاغة والسلاسة والجزالة ظهرت للوجود من يراعة ذلك النحرير. وجمع أخبار المصيبة، وذكر في ما بين هذه الأخبار أفكاراً أبكاراً وتحقيقات كثيرة وتدقيقات جمّة، وجمع بين متنافيات الأخبار بحيث لم يكتب إلى الآن شخص بأُسلوب هذا الكتاب، ولكن فيه الكثير من الأخبار غير المعتبرة والضعيفة، بل أخبار مظنونة الكذب، بل بعضها مقطوع الكذب وهذا أوجب انكسار قيمته.

ولي على هذا الكتاب حواشٍ كثيرة وتدقيقات. وكتبت كتاب أسرار المصائب في الدقائق العلمية والدقائق الحكمية والعرفانية، وفي كتاب إكليل المصائب ذكرت أيضاً بعض تلك التحقيقات التي هي في الحقيقة أفكار أبكار.

ومن تأليفاته: كتاب السعادات الناصرية، كتبه بناء على طلب السلطان، وهو

كتاب مختصر فارسي لا يخلو من الدقائق العلمية.

وكان راسخاً متصلّباً مواظباً على إقامة مصيبة سيّد الشهداء بحيث إنّه يغشى عليه وهو على المنبر من شدّة البكاء. وفي يوم عاشوراء يمزّق ملابسه ويضع التراب على رأسه، ويمسح الطين على بدنه، ويصعد المنبر على هذه الهيئة. وبالجملة كان إخلاصه للأئمة الأطهار فوق إخلاص أهل الزمان.

وكان عنده علم الإكسير وكتب فيه رسالة، وكتب مقداراً عن أحوال ذلك العلم وأصحابه في كتاب الخزائن. وطبعاً كان صادقاً.

وقد سأله يوماً أحد أعيان دولة السلطان عن صاحب المثنوي هل هو كافر أم لا؟ فقال: لا أعرف مذهبه لكن له بيت جيد وهو:

أهل الدنيا من صغير أو كبير

لعنة اللّه عليهم أجمعين

وعندما زاره سلطان الزمان ناصر الدين شاه قال للسلطان: أنت سلطان إسلامي وعدم إصلاح الشارب خلاف قانون الإسلام. فأصلح السلطان شاربه في ذلك المجلس امتثالاً لأمر الملّا.

وكان الملّا يحترم الكتب العلمية كثيراً بحيث إنّه إذا أخذ تهذيب الشيخ الطوسي ونحوه يقبّله كالقرآن ويضعه على رأسه، وكان يقول: إن كتب الأخبار مثل القرآن محترمة.

وكان جنابه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوحد أهل الزمان. وعمّر ما بين الثمانين والتسعين سنة، وتوفّي في دار الخلافة طهران.

وكانت له مناظرات مع المخالفين دون تخوف نذكر بعضها في هذا المقام:

فمنها: ما ذكره في كتاب السعادات الناصرية، وحاصل ما حكاه فيه أنّه وقعت تعدّيات كثيرة في حدود محلّ ولاية والي بغداد عمر باشا، وكان حاكم الهندية يعقوب أفندي في الباطن من الإمامية الاثني عشرية، فطلب من الملّا آغا أن يذهب إلى عمر باشا وينصحه بأن يعدل عمّا يريده من وضع سدّ قرب الهندية، وحتى يمتنع من الحاق الظلم بالزوّار والمسلمين.

فقال الملّا آغا: فعرضت لي موانع ذهبت إلى الهندية متأخّراً، وكان عمر باشا قد ذهب إلى بغداد ووضع مكانه رئيس الديوان الأفندي نائباً عنه، فذهبت إليه وقلت: أردت أن آتيكم بتحف وهدايا هي أشرف من كلّ شيء. فقال: وما هي؟ فقلت: فضائل آل محمّد وخصوصاً سيّد الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام. ثم قلت له: ماهو أشرف كتاب عندكم من كتب الأخبار؟ فقال: صحيح الإمام البخاري. فأخذت في بيان أحواله وكيفية إنهائه لبعض العلوم وهو في سن العاشرة، وسفره إلى مكة والمدينة والحجاز واليمن وبلدان المغرب والشام من أجل أخذ الحديث، وضبطه لسبعمئة ألف حديث، وكيفية تدريسه في بغداد، وبيّنت بعض الأحاديث من كتاب صحيحه في مناقب علي عليه السلام، فجلس رئيس الديوان متأدّباً وتواضع وغرق في بحر الفكر.

فقلت له: فاسمع بعضاً من فضائل الإمام الحسين عليه السلام. قال: قل. فقلت: هذا يتوقف على عدّة مقدمات:

١ ـ إنّه في حرب الخندق عندما قتل أمير المؤمنين عليه السلام عمرو بن ود قال النبي صلى الله عليه وآله: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين. فهل من أهل السنّة من ينكر هذا الخبر؟ فقال: لا. قلت: هل لهذا الخبر مخصّص؟ قال: لا. قلت: إذن عبادة جميع الأنبياء والمرسلين داخلة في عبادة الثقلين، فضربة علي أفضل من الجميع إلا

عبادة النبي الخاتم؛ لأن هذه الضربة كانت بهذه العظمة من أجل خدمة النبي والشريعة الغراء، لكن غيّر البعض هذا الخبر وذكروا أنّه «أفضل من عبادة أُمّتي إلى يوم القيامة» حتى لا يقروا بأن الضربة أفضل من عبادة جميع الخلائق من الأنبياء وغيرهم حتى يوم القيامة. فقال رئيس الديوان: هذا غلط والصحيح هو الأول. ثم قلت: هل ينطق النبي بكذب ويفرط في مدح أحد ويبالغ في المديح أو الذم أكثر من الواقع؟ فقال: لا؛ لأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إن هُوَ إلّا وَحيٌ يُوحَى﴾[1].

٢ ـ قلت: المقدمة الثانية: هل حجّ النبي أفضل أم ضربة علي في الخندق؟ فسكت رئيس الديوان، فقلت: هذا ليس محلّ سكوت بل حج النبي ﷺ أفضل نظراً لما ذكر سابقاً.

ثم قلت: فإذا عرفت هاتين المقدّمتين فإنه روى في صحيح البخاري أنّه جاء الحسين ؑ يوماً إلى النبي ﷺ وكان في بيت عائشة، وكان يسير بهدوء فاحتضنه النبي وأكثر من تقبيله وشمّه، فقالت عائشة: بأبي أنت وأمّي كم أنت تحبّ ولدك! فقال ﷺ: أو لا تعلمين أنّه قطعة من كبدي وقلبي وريحانتي؟ ثم بكى النبي ﷺ كثيراً فسألته عائشة عن السبب، فقال: أقبّل محلّ السيوف والرماح وسهام بني أُمية. فقالت عائشة: أيقتلونه؟ قال: نعم عطشاناً جائعاً لا أنالهم اللّه شفاعتي وهنيئاً لأُولئك الذين يزورونه بعد شهادته. فقالت عائشة: وما أجر من يزوره؟ فقال ﷺ: أجر حجّتي، وحجة النبي أفضل من جميع عبادات الجنّ والأنس من آدم حتى انقراض الدنيا. فتعجّبت عائشة وقالت: ثواب حجّة من حججك لمن زار قبر الحسين ؑ؟! فقال ﷺ: بل حجّتان. فتعجبت، فقال: ثلاثة. وهكذا حتى وصل الأمر إلى ٤٥ حجة، فتعجبت عائشة أيضاً فزاد العدد وقال ﷺ: بل له ثواب تسعين

(١) النجم ٥٣ / ٣ ـ ٤.

حجة وتسعين عمرة من حجيجي وعمرتي. فسكتت عائشة.

فقال رئيس الديوان: مولاي، سيّدي، هنا عندي إشكال وهو أنّ النبي لا يبالغ بغير حقّ ولا يكذب، فما هذا الاضطراب بسبب إنكار عائشة؟ فقلت لا إشكال هنا وجوابه: أنّ مراتب الزائرين تختلف من حيث مقدار معرفة حقّهم، وبعد المسافة التي يطويها الزائر، وشدّة وضعف المشقة التي تصيب الزائرين، فيختلف الثواب. فسرّ رئيس الديوان وقال: جزاك اللّه خيراً.

فقلت: وبناء على هذا الحديث أقلّ ثواب لزيارة الحسين‰ مقدار حجّة من حجّ رسول اللّه وأكثر من مئة ضربة من ضربات الخندق. فقال رئيس الديوان: نعم، هو كذلك بناء على هذه المقدمات. فقلت: وحيث إنّ الضرورة والإجماع على أنّ زيارة الزائرين داخلة في عبادة الثقلين، إذن يجب أن تكون زيارة الزائرين في الرتبة التالية لضربة أمير المؤمنين‰ في الخندق. فأخذ رئيس الديوان يبكي بكاء شديداً ورمى بنفسه على يدي وقدمي ويقبلها ويمسح على عينيه. ثم قلت: واللّه ستؤخذ. فتغير لونه وقال: لماذا؟ قلت: لأنّهم يؤذون الزوّار ويأخذون مالهم ولا يصلون إلى ديوانهم. فقال رئيس الديوان: من الآن سأحكم أن لا يؤذوهم.

يقول المؤلف: إنّ دعوى الإجماع والضرورة على أفضلية ضربة أمير المؤمنين‰ من زيارة الزائرين محلّ تأمل، والنسبة بين حديث الزائر وحديث الضربة العموم والخصوص المطلق، والخاصّ مقدّم على العام إن كان الحديث صحيح السند، واضطراب النبي ليس إضراباً لعدم المنافاة بين الفقرات، لأنّ إثبات ثواب حجّة لا ينافي إثبات الأكثر؛ لأن إثبات شيء لشيء لا ينفي ما عداه، بل أعتقد أنّ هذه الكثرة هي كالكثرة في ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[1]، أي من باب

---

(١) التوبة ٩ / ٨٠.

المثال، والمراد ليس خصوص التسعين، ولو تعجّبت عائشة أيضاً لزاد الرقم وقد يصل إلى الألف.

ومنها: ما كتبه الملّا آغا في كتاب إكسير العبادات: أنّه عندما دخلت في بغداد إلى بيت علامة علماء العامّة شهاب الدين السيّد محمّد أروسي - أو علوسي لاختلاف النسخ - أضافني واحترمني، وكان مفتي بغداد، وكان في بغداد عبدالرحمن الكردي وهو عندهم من أهل الورع والرياضة، ويعتبرون المفتي من أهل الدنيا.

وفي يوم لم يكن المفتي العلوسي في البيت فذهبت إلى بيت الملّا عبد الرحمن، ثم قلت له: قل ما يوجد من مشاكل في كلّ علم حتى أحلّها لك. فقال المفتي: لكنّك لست في هذه المرتبة حتى أسألك، بل أنت اسأل عن أي إشكال في أي فن حتى أحلّه لك. ثم صبر مدّة وقال: لماذا أنتم الشيعة تلعنون يزيداً؟ فانزعجت وقلت: المسلم لا يسأل مسلماً عن مثل ذلك، فاللعنة على يزيد ومعاوية أبيه.

فلمّا سمع المفتي هذا الكلام غضب جداً، وكان منزله غرفة في زقاق بغداد ففتح الباب وصرخ فاجتمع الناس وقال: هل تلعن خال المؤمنين في دار السلام بغداد مجمع أهل السنة؟ فإذا جوّزت لعنه فما أحسن من أن أجري عليك الحد. فقلت: لماذا تجري الحد وهو عليك لازم، والضروري لا يحتاج إلى دليل؟ هل نسيت قول العلامة التفتازاني في شرح المقاصد في ذيل مسألة الإمامة؟ فقال المفتي[1] الناصبي: ماذا قال التفتازاني؟ قلت: قال لا شك أن أصحاب رسول اللّهﷺ آذوا عترته، فليس كلّ صحابي معصوماً، وليس كلّ من لاقى الرسولﷺ معصوماً، إلا أنّنا

---

(١) هذا المفتي غير المفتي الأول الذي ذهب صاحب الترجمة لزيارته فلم يجده كما سيظهر لك من القصة. (المترجم).

احترزنا عن الطعن فيهم حتى لا تشق عصا المسلمين، أمّا الذين ظلموا من بعده وشهد على ظلمهم السماء والأرض والحيوانات والجمادات فعليهم لعنة اللّه ولعنة اللاعنين. هذا هو مضمون كلام التفتازاني صحيح أم لا؟ فقال: نعم لكن لا اعتبار به ولا حجّية لكلامه وأنا أعلم منه، فأت بدليل من الآيات والأخبار النبوية.

فقلت: إن أتيت بآية صريحة في هذا الباب وبيّنت أخباراً هل تلتزم بلعن يزيد ومعاوية؟ قال: نعم. فبعد أن أخذت منه العهد قلت: قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[1]. فقال: وما هو وجه الاستدلال؟ فقلت: ألم يرد في الأخبار من طرقكم قول رسول اللّه ﷺ: يا علي حربك حربي وسلمك سلمي ولحمك لحمي ودمك دمي، ومن حاربك فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب اللّه؟! فقال: بلى ورد. فقلت: ألم يرد في أخباركم قول الرسول ﷺ: حسين مني وأنا من حسين، لحمه لحمي ودمه دمي؟! فقال: نعم ورد. فقلت: ألم يتواتر عندكم قول النبي ﷺ: فاطمة بضعة مني، من أبغضها فقد أبغضني، ومن آذاها فقد آذاني؟! فقال: نعم ورد. فقلت: أليس الاستدلال تاماً؟ فانحنى برأسه وسكت.

فأردت الذهاب فأقسم علي أن أبقى نصف ساعة، فجلست وجدّد النرجيلة والقهوة ثم قلت: في أي بحث من الأصول تدرّس اليوم؟ قال: بحث الحكم والحاكم من شرح العضدي. فأوردت عليه شبهة اتّحاد الدليل والمدلول وقد أحكمتها، فغدا مثل حمار قد غرق في الطين.

ثم أتيت إلى بيت المفتي ولم يمضِ وقت على مجيئه وكان ينتظر قدومي، ثم وضع يده على رقبتي وقال: الكلب للحية معاوية ويزيد، من الذي يمنع من لعن هؤلاء؟

---

(١) الأحزاب ٣٣ / ٥٧.

فقلت: بلغك الخبر؛ قال: أخبرني بذلك بعض من كان حاضراً، فلماذا لم تراع التقية؟ فإنّ هذا اللعين حكم بإباحة دمي لأنّني لعنت يزيد الطاغي. فقلت: أيها السيّد مثلي لا يتّقي، وولاية أمير المؤمنين ﷺ حصني.

وقد درّس الملّا آغا في عمر العشرين شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ورأى في عالم الرؤيا الشيخين وابن أبي الحديد وحاجّهم وألزمهم، كما ذكر في كتاب أسرار الشهادة.

(١٣)

قدوة الفقهاء شريف العلماء ﷺ

هو محمّد شريف ابن الملّا حسن علي المازندراني الآملي، الملقب بشريف العلماء وقدوة الفقهاء وأُسوة الفضلاء. مؤسّس علم الأُصول، أُستاذ الفحول، نادر الدهر، أعجوبة الزمان وحيد الأيام، درّة سماء علم المنقول، بدر سماء الأُصول. ولد في كربلاء ودفن فيها. ولم تبصر عين الدهر وحديقة العلماء الأبرار شجرة مليئة بالثمر مثل هذا العظيم، ولم ير أهل الاعتبار مثل هذا العظيم في تأسيس قواعد الأُصول.

وكان يحضر مجلس درسه ما يزيد على الألف شخص، منهم: السيّد الأُستاذ السند والركن العماد السيّد ابراهيم، والملّا إسماعيل اليزدي، والملّا آغا الدربندي، وسعيد العلماء بارفروشي، والسيّد محمّد شفيع البروجردي، والشيخ مرتضى الششتري، وغيرهم من الأفاضل العظام والعلماء الكرام.

ورأيت سيّداً من أهالي مازندران كان معمّراً ومجاوراً للعتبات وكان يقول: درس الشريف العلماء كتاب العوامل الجرجانية عندي، وعندما وصلنا إلى قوله: والعوامل مئة نوع. سألني شريف العلماء أن أعدّ العوامل لنر هل تصير مئة أم لا؟ قلت: نعم، هي كذلك ولا حاجة لعدّها. فقال شريف العلماء: لا أقبل هذا الكلام فلعل المصنّف غير مصيب، ولعلّ العوامل أكثر أو أقل.

وبعد الانتهاء من المقدمات درس عند السيّد محمّد، ثم عند سيّد الاساتيذ

السيّد علي، وفي آخر الحال كان يقول: درست عند السيّد علي تسع سنين حتى صرت مستغنياً وأهلاً للإفتاء. وكان يقول في آخر الحال: لم أنتفع من أُستاذي وكان عاجزاً عن جواب إيراداتي، وكثيراً ما ينزعج لهذا السبب.

ثم سافر مع والده نحو ديار العجم، وكان يقيم في كلّ مدينة مدّة شهر أو شهرين يريد تحصيل الكتب والوسائل، فلم يتيسر له ولم يعنه أحد، فذهب لزيارة ثامن الأئمةعليه السلام ثم عاد إلى كربلاء. ويقال: إنه في بداية أمره درس مدّة سنة عند الميرزا القمي، وبعد الرجوع إلى كربلاء حضر في مجلس أُستاذه السيّد علي كي يستفيد، لكن لم يستفد؛ لأن أُستاذه وصل إلى سنّ الشيخوخة وصار معمّراً.

فشُغل بالمطالعة والمباحثة، وسعى كمال سعيه حتى صار في زمان قليل أُستاذاً وفاق حذقة أهل المنقول، وغيّر الأُصول إلى نهج حسن ورتّبه ترتيباً حسناً مع تحقيق وتدقيق تامّين لم يسبقه إلى ذلك ولم يلحقه إلى مثله أحد في علم المنقول. ورتّب لكلّ مسألة مقدّمات بحيث تنحلّ خلال هذه المقدمات جميع الشبهات وتبطل أدلّة الخصم بحيث لا تبقى حاجة لذكر جميع الأدلّة والأقوال والشبهات، بل يكون المستمع قادراً بنفسه على رد الشبهات. وكان أيضاً يطرح المسألة بنحو يحيط بها بحيث لو استمع السامع لعشرين مسألة يكون غالباً قادراً على فهم جميع مسائل الأُصول أو أكثرها.

وبالجملة: كان يحضر مجلس درسه ما يزيد عن الألف شخص من العلماء الأبرار والطلاب الأخيار والفضلاء عظيمي الشأن، وفي أدنى زمان يصلون من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد.

وعندما ذهب أُستاذي السيّد إبراهيم إلى النجف سبعة عشر شهراً يدرس عند المحقق الثالث الشيخ علي ابن الشيخ جعفر درس الفقه لم يرتح شريف العلماء

لذلك، وصرّح بأن كلّ ما عند السيّد إبراهيم هو مني، فأنا الذي رتّبته ويجعل النهاية في مكان آخر؛ ولذا انزعج منه. فقال له التلامذة: أنتم تدرّسون الأُصول، والأُصول مقدّمة للفقه، فكيف نحصّل ذا المقدمة؟ فلماذا تعترض على السيّد إبراهيم؟ فقال شريف العلماء: غداً نشرع في الفقه في مسألة بيع الفضولي. وخلال ثمانية أشهر درّس بيع الفضولي بنحوٍ لم يتعرّض له فقيه، والشيخ مرتضى الششتري الذي كان من تلامذته ينقل بعض تحقيقات أُستاذه شريف العلماء في كتاب المتاجر.

والحاصل: أنّ السيّد إبراهيم بعد رجوعه من النجف إلى كربلاء بدأ بالتدريس، ومع أنّ أُستاذه كان حياً فقد كان يحضر مجلس درسه مئة شخص.

وكان لذلك المعظم مجلس درس أحد هما للمبتدئين والأخر للمنتهين، وفي أيام التعطيل كان يدرّس جماعة أُخرى من الطلاب. وكان في شهر رمضان المبارك مشتغلاً بالزيارة والعبادة حتى نصف الليل؛ ولهذا كان قليل التصنيف، ومصنفاته على قلّتها لم تخرج عن كونها مسوّدات.

و قد حكى لي بعض المقدّسين: رأيت المحقّق الأول والعلامة في النوم، وقد رأيت المحقق بصورة كان يشبه من جميع الوجوه مؤلف الكتاب. وإن كان المنام لا اعتبار به.

و قال بعض تلامذة شريف العلماء له: لماذا لا تؤلّف وهذه التحقيقات غير موروثة من السلف ويعجز الأتون بعدك عن الوصول إليها فاللازم أن تؤلف لحفظها؟ فقال: عملي تربية الطلاب و تعليم المعلّمين، وكلّ ما تؤلّفونه أنتم التلامذة فهو مني. ومعروف أن الشيخ علي في مجلس درسه إذا أراد نقل قول شريف العلماء يقول: قال شريف العلماء في الضوابط[1].

---

(١) الضوابط من تأليف السيّد إبراهيم تلميذ شريف العلماء.. وما عند الطلاب هو للأُستاذ، كما أشار إليه شريف العلماء. (المترجم).

وكان جنابه أعجوبة الزمان وأوحد العلماء الأعلام في الحفظ والضبط ودقّة النظر وسرعة البديهية في المناظرة مع أهل الكمال، وطلاقة اللسان وحسن المقال بحيث يعجز اللسان عن بيانه والتحرير عن وصفه. ولم يناظر أحداً إلّا وغلبه، وكانت له يد طولى في علم الجدل.

توفي في كربلاء، ودفن في سرداب بيته، وشرب الشهادة من داء الطاعون، وكانت وفاته سنة ١٢٤٥ أو ١٢٤٦.

وكان عنده ولد توفي في ذلك العام بمرض الطاعون فانقطع نسل شريف العلماء، لكن أولاده الروحيون كثيرون، وأحد الأعيان وأهل الثروة من مازندران بنى في بارفروش مدرسة لشريف العلماء سمّاها الشريفيّة، وخطب لشريف العلماء ابنته وطلب منه المجيء، فلم يرض فأرسل ذلك الشخص ابنته إلى العتبات عند شريف العلماء وتزوّجها. وكان عمره المبارك بين الثلاثين والأربعين أي توفّي ما بين الثلاثين والأربعين، وكان عمري في ذلك الزمان تسع أو عشر سنين. وكانت الشهرة له مادام حياً. وبعد وفاته رفع حجّة الإسلام علم الاشتهار والاقتدار.

ويقال: إنّ سبب قصر عمر ذلك العظيم هو أنّه ماكان يحترم العلماء بالنحو المطلوب، بل عندما يأتي لزيارته بعض شيوخ النجف كالشيخ علي وغيره لم يكن يتواضع بشكل صحيح ويترافع في حضورهم، وكان يقول مراراً: لا أعلم على وجه الأرض مثلي إلا والد هذا الشاب. وهو ابن السيّد مهدي ابن السيّد علي، وكان يحضر مجلس درس شريف العلماء، ودائماً كان يذكره ويراه أفضل منه.

وطريقة تلامذة شريف العلماء أنّه بعد أن يأخذوا الدرس يجلس أفضل تلامذته يقرره مرة أُخرى، ثم كانوا يجلسون مجموعات مجموعات: مئة شخص، خمسين شخصاً، ويقرّرون الدرس. وبالجملة درس واحد كان يتكرّر عدّة مرّات في

اليوم والليلة، ثم يكتبونه؛ ولذا كانوا يتقدّمون بسرعة. طبعاً وهذه هي الطريقة التي ينبغي أن يكون عليها الدرس.

ولم يكن يصلي جماعة؛ لأنه صلّى مدّة بعد إصرار الناس فذهب ذهنه للتحقيق في مسألة؛ ولذا ترك صلاة الجمعة. وكان إذا سُئل عن مسألة فرعية يُبدي شقوقاً واحتمالات بحيث يذهل السائل عن أصل المطلب. وكان يجري الحدود على العرب ولم يكن يذهب لزيارة أحد. وعندما جاء الشيخ محمّد حسين صاحب الفصول إلى كربلاء أقام صلاة الجماعة على سطح مكان الأحذية في المرقد المطهر. ومهما طلب أنّ يأتي شريف العلماء لزيارته لم يحصل؛ لأنه لا يزور أحداً فجاء صاحب الفصول لزيارته.

ثم سألت زوجه شريف العلماء زوجها: إنّك لا تصلي الجماعة ونحن نريد أن نصليها، وقد جاء في هذه الأيام الشيخ محمّد حسين الإصفهاني، وأقام الجماعة، فهل نقتدي به أم لا؟ قال شريف العلماء: اذهبي إلى منزله واسألي زوجته أن تسأله هل هو مجتهد أم لا؟ إذا قال: لست مجتهداً، فاقتدوا به، وإذا قال: أنا مجتهد فلا تقتدوا به. فذهبت زوجة شريف العلماء إلى منزل الشيخ وطلبت ذلك من زوجته، فأجابها الشيخ: أنا مجتهد بل الأعلم. فرجعت زوجة شريف العلماء إلى بيتها وأخبرت زوجها بالجواب فقال: لا تقتدوا به.

والظاهر أنّه لم يكن معتقداً باجتهاد الشيخ محمّد حسين، لكن الشيخ محمّد حسين من أهل فن الأُصول وكان جامعاً ويدرّس كتابه الفصول، وله إيرادات كثيرة على الفاضل القمي في القوانين. وقد رفعت الكثير من هذه الإيرادات.

و سمعت من بعض تلامذة شريف العلماء أنّ الملّا آغا أسد اللّه البروجردي ـ الذي كان من تلامذة السيّد محمّد ـ كان ضيفاً في ليلة في العتبات العالية، وكان

شريف العلماء حاضراً هناك أيضاً، كان ذلك في زمان حياة السيّد علي، وكان أستاذي السيّد إبراهيم يدرس في ذلك الزمان عند شريف العلماء، فذهب مع أستاذه إلى ذلك المجلس فسأل الملّا أسد اللّه شريف العلماء عن إشكال في مسألة أصولية. فالتفت شريف العلماء إلى السيّد إبراهيم وقال: بيّنت لك جواب هذا الإشكال فقرّره لهم. فأراد أن يقوم بذلك لكن الملّا أسداللّه انزعج وقال: أنت عاجز عن الجواب فتحوّل الأمر إلى تلميذك. فجرى نقاش بينهما فسحب الملّا أسد اللّه العصا على شريف العلماء الذي سكت.

وبعد مدّة انحصرت الرئاسة العامّة والتدريس في العتبات المقدّسة بشريف العلماء، وفي ذلك الزمان جاء الملّا أسداللّه لزيارة الأرض المقدّسة، وكان من تلامذة شريف العلماء الملّا إسماعيل اليزدي وقد ترجّح في آخر الحال على أستاذه إلّا أنّ أستاذه اشتغل أكثر وكان أستاذاً. والملّا إسماعيل ابتلي عدّة مرّات بداء الصرع فأتى شريف العلماء بطبيب من بغداد ليعالجه وصرف عليه أموالاً كثيرة، وخلف شريف العلماء إسماعيل ودرّس مدّة ثمانية أو تسعة أشهر ثم مات وخلفه السيّدالأُستاذ.

وكان في ذلك العهد قد اشتهر اسماعيلان، أحدهما: الملّا اسماعيل واحد العين الإصفهاني الذي كان من تلامذة الملّا علي النوري في الحكمة وكان الأمر له في ذلك العصر وله حواشٍ على الشوارق. والآخر: الملّا إسماعيل اليزدي الذي كان مبتلى بالفقر والفاقة جداً ولم يكن في غرفته إلا قلم وورق، وكان فاقداً للكتب والأثاث، فأرسل شريف العلماء إلى أهالي إيران حتى يحترموه ويعينوه ويراعوه، فذهب الملّا اسماعيل إلى يزد وعاد، وعندما وصل إلى كرمانشاه نزلت القافلة وأخذ حجرة في منزل، واتّفق أنّ الملّا أسد اللّه يريد المجيء إلى العتبات فنزل مع أصحابه في ذلك المكان، فرأى شيخاً يجلس وحيداً فذهب إليه وجلس عنده وسأله عن أحواله

فقال له: إني من طلاب العلم. فسأله الملّا أسد اللّه عن مسألة فقال له: أُجيبك على مذهب أُستاذي أو مذهبي؟ قال: ومن أُستاذك؟ قال: شريف العلماء. فقال: بيّن لي على كلا المذهبين. فبيّن الملّا إسماعيل أولاً رأي أُستاذه مع دليل وبيان واضح، ثم ذكر رأيه مع دليل محكم غاية الإحكام وبيان في غاية الاتقان، فأُعجب به الملّاأسد اللّه وتعجّب وتحيّر من تبحّره وأتى به إلى منزله، ودخلا معاً إلى كربلاء فتوقّع الملّا أسد اللّه أن يزوره شريف العلماء لكن لم يحصل ذلك لعدم عادة شريف العلماء على الزيارة فزاره الملّا أسد اللّه.

وحاكي هذه الحكاية أحد تلامذة شريف العلماء نقلها لي بلا واسطة وكان حاضراً في ذلك المجلس يقول: فدخل الملّا أسد اللّه وعلى عادة شريف العلماء بالنسبة إلى كلّ العلماء لم يتواضع كثيراً ـ ليس للتبختر وتكبر على الملّا أسد اللّه وما جرى في السابق من سحب العصا عليه ـ بل لأن هذه طريقته مع جميع العلماء والمشايخ، وفي الأثناء جاء عربيان للترافع عند شريف العلماء فحكم بالحلف، وكان النزاع على عشرة شاهيات فاقسم ذلك العربي، ثم بعد ذلك سأل أحد أصحاب الملّا أسداللّه ـ وبإشارة منه ـ شريف العلماء عن مسألة فأجاب فلم يتكلم أحد، وبعد ساعة خرج الملّا أسد اللّه.

يقول الحاكي: لحقته وعندما وصلنا إلى باب البيت قال لأصحابه: ذلك الشخص الذي رأيناه في الطريق هو الأُستاذ وشريف العلماء التلميذ.

يقول الحاكي: رجعت وقلت هذا الكلام لشريف العلماء فقال: الملّا إسماعيل من تلامذتي وكلّ ما عنده هو مني، لكنّهم سألوني سؤالاً فأجبت حسب ما يقتضيه المقام، فإن كان عندهم كلام كان عليهم البيان لأذكر لهم التحقيق والتدقيق، والسلام.

(١٤)
الشيخ محمّد تقي الإصفهاني ﷺ.

هو الشيخ محمّد تقي بن محمّد رحيم الإصفهاني من أصحاب علم الأُصول ومن تلامذة الشيخ جعفر بحر العلوم.

وله حاشية على المعالم هي في الحقيقة شملت التحقيقات والتدقيقات وتكفلت باستقصاء الأدلّة والأقوال. وسبق أمثاله في مباحث الألفاظ ولكنه لم يكتب تمام الأُصول، ولي حواشٍ على هذا الكتاب ودفعت الكثير من الإيرادات التي أوردها على صاحب القوانين.

وكان محتاطاً جدّاً، وتزوّج ابنة الشيخ جعفر. وكان الشيخ محمّد تقي يحضر درس الشيخ أحمد في إصفهان، ولم يكن حجة الإسلام يميل إليه ولم يكن يمضي أحكامه.

وأخوه هو الشيخ محمّد حسين صاحب الفصول، وكان الشيخ محمّد تقي يقول: ألقيت ببعض التقريرات على سقف الغرفة فجمع الشيخ محمّد حسين فصولها ورتّبها وسمّاها بالفصول.

وعندما زاره فتح علي شاه قال له: أيها الشيخ، لا شك في أنّ بنت جناب الشيخ تؤذيك ومسلطة عليك، لكن لا تحزن فالسلطان مبتلى بهذه الأذية من قبل النساء.

(١٥)
الملّا محمّد إبراهيم الكلباسي ﷺ

وهو محمّد إبراهيم بن محمّد حسن الكلباسي، من جهابذة حذقة ومهرة الفقهاء، وصنديد من صناديد العلماء، ورئيس جماعة الفضلاء، وقد سلّم له الجميع.

وعمّر خمساً وتسعين سنة وانتقل إلى عالم البقاء سنة ١٢٦٢.

حضرت مجلس درسه. وهو من تلامذة المؤسس البهبهاني وبحر العلوم والسيّد علي والشيخ جعفر والميرزا أبو القاسم القمي، وسمعت منه شفاها: أنـني أدركت درس الآغا محمّد باقر البهبهاني. وكتب في المجلّد الثاني في إشارات الأصول: إني تلمذّت مدّة طويلة للآغا محمّد باقر البهبهاني والسيّد مهدي بحر العلوم لكنني لم أطلب إجازة من هذين العظيمين ولو طلبت لأعطياني. وإجازته من السيّد علي والشيخ جعفر والميرزا القمي والشيخ أحمد الأحسائي.

وتأليفاته: إشارات الأُصول في مجلّدين بعبارات فصيحة بليغة سلسة جزلة، لكن حيث كان هناك قصور في فهم أبناء الزمان للعبارات العلمائية المشكلة لم يقع الكتاب مورد رغبة عند أفهام الطلاب مع أنّه لا يخلو من الكثير من دقائق الأفكار البكرة. وبعد طباعة المجلد الأول كانوا يأتون بعدّة مجلّدات منه إلى محضر درس الأُستاذ لتباع للطلاب بعد الانتهاء من الدرس، فصعد السيّد إبراهيم المنبر ونظر في أطرافه وقال: ما هو هذا الكتاب المعروض؟ فقالوا: الإشارات. فقال: لم أره حتى الآن أعطوني مجلّداً لأنظر فيه. فقرأ نصف صفحة منه ثم سأل عن قيمته فقالوا:

قيمة المجلد خمسة آلاف دينار. فقال الأُستاذ: هذا الكتاب لا قيمة له. وهذا الكلام له معنيان: إنه لا يقبل القيمة ولا يستحق شيئاً، والآخر أنّه لعلو شأنه لا قيمة بمقدار ما يستحق بل يجب أن يُعطى هدية. ومراد الأُستاذ هذا المعنى الثاني لا الأول، لكن لما كان هذا الكلام مبهماً ضحك بعض الطلاب، لكن للأخلاق التي كان عليها الأُستاذ من الورع والتقوى يُعلم أنّه كان يقصد تعظيم الحاج الكلباسي.

وكان جناب الملّا أزهد زهاد العصر، لكن كان على شيء من صعوبة الخلق وأدرك ليلة القدر بعبادة لأنه أحيا سنة من الليل حتى الصباح بعبادة الملك العلام. ومعلوم أن ليلة القدر ليست خارجة عن إحدى ليالي السنة قطعاً.

ولم يكن يقضي بين الناس. وسمعت منه وهو على المنبر يقول: لم أرد أن أكتب رسالة لكن أمرني الميرزا القمي بأن أكتب رسالة فيها الفتاوى، فكتبت إليه: أن عظامي لا طاقة لها على نار جهنم، فأصرّ عليّ حتى كتبت الرسالة. وإذا سُئل في درس الخارج عن فتوىً كان يقول: لا أعلم ارجعوا إلى الرسالة.

وكان في العبادة في غاية الخضوع والخشوع وحضور القلب. وإذا طلب منه فقير شيئاً كان يطلب منه شاهداً، فيقسم الفقير والشاهد حتى لا يسرف في ما يعطيه من مال فيصرف باعتدال فكان يعطيه مصروف شهر. ويقال: إنّه ذهب شخص إليه ليشهد عنده، فسأله عن عمله فقال: مغسّل. فسأله عن شرائط الغسل فقال الرجل: نحن عندما ندفن الميت نقول شيئاً في أذنه قال: وماذا تقولون؟ قال: هنيئاً لك إذ توفيت ولم تذهب للشهادة عند الكلباسي.

ومن الأُمور التي اتّفقت: أنّ السيّد رضي المازندراني ـ وهو من الحكماء، ومن تلامذة الملّا علي النوري، وهو أحد أساتذتي في المعقول ـ نُقل عن لسانه للحاج الكلباسي أنّه قال: الملائيّون لا دين لهم. فطلبه وقال له: سمعت من عدول أنك قلت:

إنّ الملائيين لا دين لهم. وأنا مأمور أن أقتل كلّ من عنده دين غير ديني. فقال له السيّد على البداهة: إنني مصاب بالجنون الأدواري، وهذا الكلام قلته حال الجنون، والطبيب الفلاني ـ وكان من خلّص طريقة السيّد ـ عارف بجنوني وهو من أهل الخبرة، وقد تقرر في هذه الأيام أن يعالجني. وذلك الطبيب من مشاهير أطباء إصفهان فطلبه الملّا الكلباسي فشهد بذلك فتجاوز عن قتله لكن نفاه من البلد، فأقام السيّد مدّة سنة أو أكثر في نجف آباد وهي من قرى إصفهان إلى أن توسّط له السيّد محمّد باقر عند الملّا الكلباسي، فأذن له بالمجيء إلى إصفهان.

وفي بعض الأوقات لم يخلص حاكم إصفهان جيداً للكلباسي فدعا عليه، وبعد مضي وقت قليل عُزل ذلك الحاكم وصار منكوباً مخذولاً، فكتب إليه الكلباسي رقعة كتب فيها هذا البيت:

أرأيت أنّ دم الفراشة المسفوك ظلماً
لم يهل الشمع زمناً طويلاً ليبقىٰ إلى السحر

ومن جملة تأليفات جنابه: كتاب المنهاج في الفقه في ثلاثة مجلّدات، واشتمل على فروع لا تُحصى وجمع فيه بين مستوى السطح والاستدلال.

وقد سمعته يقول على المنبر: ألّفت كتاب الإشارات في مدّة ثلاثين سنة. وكان يحضر مجلس درسه ثمانون شخصاً ويجلس على الكرسي ويدرّس.

وفي بعض الأوقات كان أحد جيرانه مشغولاً باللهو واللعب والطرب والدفّ فأرسل إليه الكلباسي من يطلب منه ترك ذلك العمل، فقال الشقي في الجواب: قل لسيّدك أن يضع غلاً لخصيتي فنقل الشخص له ذلك، وعند الظهر ذهب الكلباسي للصلاة وبعدها وعظ ودعا وقال: إلهي، لست نجّاراً حتى أضع لخصيته غلاً فتورّمت فوراً خصية ذلك الشخص وكبرت كثيراً حتى مات في تلك الليلة.

وجاء يوماً فتح علي شاه لزيارته فوضع صحن فاكهة بين المائدة والمجلس، وفجأة جاء طير السنونو وألق بفضلاته على الصحن، فقال الملك: صارت فاكهتنا فضلة الطير! فقال الكلباسي: لأنّ الفضاء ملك الديوان.

وسمعته يقول على المنبر أنّه لو كان رسول اللّه ﷺ في المدينة وطلب منه أهل إصفهان قاضياً لعيّن السيّد محمّد باقر للقضاء.

وقد ذكر في إشاراته إجازاته في آخر حجّية الأخبار فقال:

تكملة: قد أجازني جماعة من الفضلاء المتبحّرين والمشايخ المتورّعين الذين بخل الزمان بأمثالهم مكاتبة، فمنهم: الفاضل العالم العامل الكامل، الإمام المحقّق المدقّق القمقام المنزّه عن الشين المبرّى من العين، ذو المفاخر والمعالي الميرزا أبو القاسم القمي، فأجازني أن أروي عنه كلّ ما يصح له إجازته ويحقّ عليه روايته من الزبر الدينية والكتب الإسلامية: من الأحاديث والأدعية والكتب الفقهية والكلامية والعربية والأُصولية سيا الصحيفة السجادية والكتب المشهورة من الكافي والفقيه والتهذيب والاستبصار، وكذا ما تضمّنه الوسائل والبحار والوافي بطرقه:

فنها: عن شيخه وأُستاذه بل أُستاذ الكلّ خاتم المجتهدين وعلّامة المتأخّرين محيي شريعة سيّد المرسلين ذي الفضل الباهر والبحر الزاخر مجدّد المذهب الاثني عشر آغا محمّد باقر البهبهاني، عن والده مولانا محمّد أكمل، عن مولانا الميرزا محمّد الشيرواني والشيخ جعفر القاضي والمولى محمّد شفيع الاسترآبادي بل العلامة المجلسي وجمال الملة والدين الخوانساري، عن مشايخهم المشهورين.

ومنها: ما عن شيخه السيّد حسين بن السيّد أبي القاسم، عن شيخه محمّد صادق ابن العالم الرباني مولانا محمّد بن عبد الفتاح التنكابني الشهير بسراب، عن

شيخه البارع أُستاذ العلماء المحقّقين محمّد باقر ابن المولى محمّد مؤمن السبزواري، عن شيخه الغني عن التوصيف شيخ الإسلام والمسلمين بهاء الملّة والدين عن مشايخه العظام، وكذا عن المولى محمّد صادق، عن الفاضل المجلسي، عن والده، عن شيخنا البهائي.

ومنها: ما عن شيخه الأعلم الأفضل المحدث الفقيه المتبحّر الشيخ محمّد مهدي الفتوني النجفي، عن شيخه أبي الحسن الشريف العاملي النجفي، عن شيخه الأعظم العلامة المجلسي.

ومنها: ما عن شيخه الأجل الأكرم الحائز لفنون الفضائل آغا محمّد باقر بن محمّد باقر الهزار جريبي، وقد رأيته ولا ينتفع منه عن عدّة مشايخه، منهم: الشيخ المدقق الحاج الشيخ محمّد زمان الإصفهاني والشيخ الجليل الميرزا إبراهيم القاضي.

ومنها: عن السيّد السند الأمير محمّد حسين بن الأمير محمّد صالح الحسيني والشيخ الفقيه الحاج محمّد طاهر بن مقصود علي الإصفهاني والشيخ الفاضل مولانا محمّد قاسم بن محمّد رضا الهزار جريبي، عن العلامة المجلسي.

ومنهم: شيخنا الأعظم وأُستاذنا الأكرم، الإمام الهمام البحر الأزخر الشيخ جعفر النجفي مسكناً ومدفناً، فقد أجازني أن أروي عنه، عن شيخه وأُستاذه الآغا محمّد باقر المتقدّم ذكره، عن مشايخه، وعن شيخه أيضاً وأُستاذه وحيد العصر وفريد الدهر تاج الفخر ناموس الدهر البحر الماهر والفهم الباهر السيّد محمّد مهدي الطباطبائي ـ وقد أدركتهما وتلمذت لهما ولا سيما ثانيهما برهة من الزمان، والظاهر أنّهما ما كانا لا يجيزاني إن استجزتهما ولكني ما استجزتهما ـ عن مشايخه الآغا المتقدّم ذكره والشيخ الفتوني والشيخ يوسف البحراني، عمن سبقهم من المشايخ الأعلام حتى تتصل السلسلة بالصادقين من الأخبار المستورة في الكتب الأربعة،

وكذا ما تضمنه الوسائل والبحار.

ومنهم: أُستاذنا الأقدم وشيخنا الأفخم الأزخر، ذو النفس القدسية والسجية الملكية، الأمير السيّد علي روّح اللّه روحه وكثر من عنده فتوحه، فقد أجازني أن أروي ما سمعته منه وحقّقته من تأليفاته وتصنيفاته ورسائله، وما أخذت منه شفاهاً بشرط مراعاة الاحتياط في النقل والقول والعمل. وشيخه الآغا المتقدّم ذكره.

ومنهم: الفاضل الوحيد الجامع بين المعقول والمنقول، الزاهد الورع، موضّح الحقيقة والطريقة، بل محييها في الحقيقة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، فقد أجازني أنْ أروي عنه جميع مقروءاته ومسموعاته، وما صحّ له روايته لجميع أنحاء التحمّل عن مشايخه الأفاضل وأساتيذه الأماثل من سائر ما صنّف في العلوم الإلهية والأُصولية والفرعية والشرعية والعربية والحكمية والعلوم الإلهية لسائر العلوم وغيرها: من التفسير والسير والتواريخ؛ بل كلّ ما هو منسوخ أو معقول من المعقول والمنقول في الفروع والأُصول، وجميع ما هو مسطور من منظوم ومنثور بالأسانيد المتّصلة إلى مصنّفيها ومؤلّفيها من الخاصّة والعامّة، سيما الكتب الأربعة القديمة والثلاثة الجديدة، وما جرى به قلمه وحرّره كلمه: من مقدّمات ورسائل وحواشٍ وأجوبة مسائل وخطب ودلائل وسائر ما وصل إليه من العلوم من بارّ ومكتوم بطرق متّصلة بأصحاب ما ألّف في سائر العلوم، منها: ما رواه عن الفضلاء المتقدّم ذكرهم: وهم السيّد محمّد مهدي والشيخ جعفر والأمير السيّد علي.

ومنهم: الشيخ أحمد بن عصفور البحراني، والآغا ميرزا محمّد مهدي الشهرستاني، والشيخ أحمد ابن الشيخ حسن بن علي بن خلف بن ابراهيم بن منيف الدمستاني البحراني، والشيخ محمّد ابن الشيخ حسين بن أحمد بن عبد الجبار

القطيفي، عن مشايخهم.

فذكر الأول من تقدّم وزاد له آخر فقال: وعن شيخه بالإجازة السيّد العالم العامل الأمير السيّد حسين، عن أبيه السيّد إبراهيم القزويني، وللثاني منه الآغا المتقدم ذكره، وعن شيخه السيّد محمّد مهدي الطباطبائي، عن مشايخه الماضين، وللثالث منه خاله الآغا السابق الذكر، عن والده، عن مشايخه المتقدم ذكرهم، عن الشيخ محمّد تقي المجلسي، عن البهائي، عن والده، عن الشهيد الثاني.

وأمّا الشيخ أحمد فعن شيخه وعمه الشيخ يوسف بن أحمد البحراني والشيخ عبدالعلي بن أحمد البحراني، وعن أبيه الشيخ أحمد البحراني بحق رواياتهم وطرقهم إلى شيخهم الشيخ حسين ابن الشيخ محمّد بن جعفر البحراني، وعن شيخهم الشيخ أحمد بن عبدالله بن حسن بجميع كتبهم ومقروّاتهم.

وأمّا الأميرزا محمّد مهدي فقال له: طرق منها ما رواه عن الشيخ يوسف.

وأمّا الشيخ فعن الشيخ يوسف المذكور، وعن أبيه عن الشيخ عبدالله علي البلادي، وعن شيخه الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي، وعن الشيخ عبد العلي ابن الشيخ أحمد قراءة وإجازة، عن الشيخ حسين الماحوزي، وعنه إجازة بواسطة وبغير واسطة بجميع كتبهم وحق رواياتهم عن الشيخ سليمان.

وأمّا الشيخ محمّد فعن أبيه، عن الشيخ عبد العلي السابق ذكره والشيخ حسين المتقدم ذكره، عن الشيخ سليمان السابق ذكرهما.

ومنهم: الشيخ عبد العلي بن محمّد بن عبد الله حسين البحراني، فقد أجاز أن أروي له كلّ ما جاز له روايته وكلّ ما أجاز مشايخه وأساتيذه وهم حجة، إلا أنّي أقتصر من ذلك على أعلاهم طريقاً وأشهرهم في مرتبة العلم والفضل تحقيقاً وتدقيقاً، وجعل منهم: الشيخ يحيى ابن الشيخ محمّد العواني، عن شيخه الشيخ

حسين به محمّد الماحوزي، عن الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي البحراني والشيخ عبدالعلي ابن الشيخ أحمد بن إبراهيم، عن الشيخ عبدالله بن علي، عن الشيخ سليمان المتقدّم ذكره، وعن أبيه الشيخ أحمد بن ابراهيم بلا واسطة.

ومنهم: الشيخ محمّد بن الشيخ أحمد بن إبراهيم الشهير بابن عصفور، وعن الشيخ علي، عن أبيه الشيخ عبدالله أخ الشيخ سليمان المذكور لأبيه.

ومنهم: الشيخ حسين بن الشيخ محمّد ابن الشيخ أحمد المذكور سابقاً، عن عمه الشيخ عبد العلي والشيخ يوسف وقد سبق طرقهما.

ومنهم: السيّد محمّد مهدي المذكور سابقاً بطرقه المتقدّمة إلّا أنّه اقتصر من طريق الشيخ يوسف البحراني بأعلاه وهو ما رواه عن المولى محمّد رفيع المجاور بالمشهد الرضوي حياً وميتاً، عن شيخه العلامة المجلسي، عن الشيخ البهائي عن الشهيد الثاني.

وقد اقتصرنا من الطرق إلى ما انتهت إلى اللؤلؤة وغيرها، وإن وفقني اللّه تعالى أكتب إجازة مفصّلة، إن شاء اللّه تعالى سبحانه.

انتهى كلام الإشارات وتمّت إجازات الحاج محمّد ابراهيم الكلباسي طاب ثراه.

(١٦)
المّلا علي الكني
ويُذكر مفصلاً في خاتمة الكتاب

المّلا علي الكني عالم نحرير، فقيه بلا نظير سلّم له فقهاء طهران، وهو من معمّري هذا الزمان، وهو وحيد العصر في الأمر بالمعروف، وهو في الغنى أغنى من أهل الثروات والأعيان.

ألّف رسالة في الدراية، وله تأليفات في الفقه أيضاً. وله مع مؤلف الكتاب محبّة وألطاف كثيرة.

وهو من تلامذة السيّد إبراهيم والشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر.

سكن دار الخلافة طهران سلّمه اللّه تعالى من الآفات والبليات بمحمد وآله.

(١٧)
آغا السيّد صادق

السيّد محمّد صادق الطباطبائي من سادات الطباطبا ومن قبيلة المرحوم بحر العلوم. ومحيي الآداب والرسوم، وإفاضته بالنسبة إلى فنون الناس هي على سبيل العموم، سلطان العصر وفريد الدهر.

وهو من تلامذة صاحب الفصول، ومن أهل علم الفقه والأُصول، فاق الفحول، ومتصلّب في الأمر بالمعروف. ومرافعاته في غاية أحكام الدقة.

سكن في طهران وله مع مؤلف الكتاب محبّة لا تحدّ، بل قاطبة العلماء استفادوا من إفاضاته. وهو من أصحاب النفوس القدسية سلّمه اللّه تعالى.

(١٨)
آغا السيّد أسد اللّه

السيّد أسد اللّه ابن السيّد محمّد باقر حجّة الإسلام. افتخار الأماثل والأشباه، عالم أوّاه في الأخلاق والتقوى والنقاء والزهد والعبادة والفقه، أوحد أهل العصر.

وهو من تلامذة السيّد إبراهيم والشيخ محمّد حسن والشيخ مرتضى، وبيني وبينه صداقة ومودّة، وأرسل لي منذ مدّة خاتماً عقيقاً وكتب بخطه المبارك: ضع هذا الخاتم في يدك واذكرني إذا رفعت يدك للدعاء.

وهو على العادة الموروثة من الأسلاف والأشراف وآبائه وأجداده يشتغل من نصف الليل حتى الصباح في الأمكنة الخالية بالدعاء والمناجاة والبكاء والعبادة، ولا يوجد مثله في البكاء خوفاً من القهار.

وهو ساكن إصفهان سلّمه اللّه تعالى.

(١٩)
الحاج الملّا محمّد أشرفي

الحاج الملّا محمّد بن محمّد مهدي أشرفي ساكن بار فروش، عالم بلا نظير وفقيه بلا بديل، من مشاهير العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار، وله معي مودّة ومحبّة كبرى.

وهو صاحب كرامات وطريقته أن يشتغل من نصف الليل حتى الصباح بالعبادة والتضرّع والمناجاة مع الباري والبكاء خوفاً من القهار، ويلطم رأسه وصدره حتى الصباح، ويصير بحيث يظنّ كلّ من يراه أنّه كالخارج من المرض.

ومن كراماته: أنني ذهبت في سنة لزيارة الإمام الرضا فذهبت إلى بيته لزيارته، فحكى الحاج أشرفي أنّه في زمان كان حاكم في بار فروش يكثر من الظلم والتعدّي، وفي يوم رفعت يدي للدعاء بعد صلاة الظهر وقلت: إلهي إن كنت قمت بخدمة لشريعتك ولي عندك احترام فقد عزلت هذا الحاكم. وبعد مضي أيام جاء خبر عزل الحاكم.

كرامة أُخرى: أنني في سفر خراسان جاء في بار فروش الحاج أشرفي لزيارتي، وبعد المجاملات المعروفة سألني: هل أتيت قبل الآن إلى خراسان أو بار فروش؟ قلت: لا، وهذه هي المرة الأُولى. فقال: عندي هدف من هذا السؤال وهو أنني تشرّفت بزيارة العتبات العالية، وكان في النجف الأشرف شخص مرتاض ومعروف بأنّه من أهل الباطن. فصارت بيني وبينه موادة ولقاءات إلى أن تشرّفنا

سوياً في سفر سامراء وكنا في عربة واحدة، وصرنا نتحدّث في الطريق فسألته: هل يوجد رجال غيب يكونون المعبر إلى الأوتاد والأقطاب أم لا؟ قال: بلى. قلت: فهل يمكن رؤيتهم؟ قال: نعم، أحياناً يُرون. قلت: هل تعرف إن كُنت خلال هذه المدّة رأيت أحدهم أم لا؟ قال: نعم، رأيته مرة. قلت: في أي زمان ومكان كان ذلك؟ قال: عندما كنت جالساً في بيتك في بار فروش فطرق الباب شخص، فأتيت أنت إلى الخارج ورأيت شخصاً له هذا الشكل وكان راكباً فرساً، فنزل عنه وكانت له هذه القامة والصورة والمحاسن، وبعد التسليم والمجاملات الرسمية سألك ذلك الشخص: ما هي طريقتك في العمل بالأخبار الصادرة عن الأئمة الأطهار؟ فذكرت له في الجواب طريقتك الخاصّة بشكل إجمالي، فقال ذلك الشخص: لا بأس بهذه الطريقة. وركب فرسه وذهب وهذا من الأبدال.

فقال الحاج أشرفي: بعد جواب هذا المرتاض خطرت بذهني هذه الحكاية وشكل وشمائل ذلك الشخص والزمان والمكان والسؤال والجواب. ثم قال لمؤلف الكتاب: إني لم أرك سابقاً ولمّا رأيت أن أوصافك ووجهك وطولك ومحاسنك شبيهة بذلك الشخص سألتك: هل أتيت سابقاً إلى هذه البلد؟ حتى أرفع الشبهة.

والحاصل: الحاج أشرفي من تلامذة سعيد العلماء، ولم يدرس كثيراً، لكنّه وصل إلى هذه المرتبة من كثرة الزهد والعبادة والتضرّع.

(٢٠)

الشيخ زين العابدين ﷺ

الشيخ زين العابدين سكن بار فروش وهو حالياً يسكن كربلاء، وهو من مسلّمي العلماء، ومن تلامذة الأُستاذ السيّد إبراهيم، وهو في غاية الزهد والتقوى، وبيني وبينه صداقة ومحبة تامتان.

(٢١)

السيّد حسين الترك

من تلامذة السيّد إبراهيم والشيخ المرتضى، ومن أهل علم الأُصول شهير بلاد الإسلام ومقتدى الأنام. وله مع مؤلّف الكتاب صداقة وأُنس تامتان.

(٢٢)

السيّد محمّد مهدي

وهو ابن السيّد علي، فاق الفحول في علم الأُصول، وكان في الجدل من مهرة الزمان، وفي الزهد سلمان العصر، ولم يكن يقبل الهدايا من أحد. وفي الحـذاقـة في الأُصول من أوائل الفحول، ويكفيه أنّ المؤسس الثاني الفـاضل مسـتند المـفاخر والمباني شريف العلماء قد أقرّ له وسلم، وعلى الدوام يمدح ويصف هذا المعظّم.

وقد تقدم أنّ الأميرة ضياء السلطنة طلبت أن يتزوّجها فلم يقبل.

وتلمذ لوالده السيّد علي صاحب الرياض، واشتغل بـالتدريس أيّـام والده، وكان يحضر درسه أيضاً تلامذة والده ويحضر تقريباً مئتا شخص مـن الطـلّاب. وكان متمكّناً من الاستدلال والنقض والإبرام، وأقرّ له الكلّ والجل وكان مجتهداً صرفاً بصيراً كاملاً ويُظن أنّه جريء.

ولم يشتغل بالمحاكمة والإفتاء مع أنّه كان مورد قبول العامة، وكانت تـرسل الأموال من الهند لأهل كربلاء كي تكون الأموال تحت إشرافه، فلم يقبل مع سعيهم الشديد.

وكان شديد التـعصّب في الأمـر بـالمعروف، وحكـم بـتكفير الشـيخ أحمـد الأحسائي بشهادة شريف العلماء والملّا جعفر الأسترآبادي حـيث نـاظرا السـيّد كاظم في محضره. وفي آخر الحال لمّا لم يعمل اليهود بـشرائـط الذمّـة تـوجّه مـن العتبات إلى إصفهان، فتلقّاه حجّة الإسلام بإعزاز واحترام كـاملين، فـطلب مـن

حجّة الإسلام أن يذهبا سوياً إلى طهران لينفّذا ذلك، فلم يقبل السيّد محمّد باقر بل منعه من ذلك، فانزعج جنابه وتحرّك نحو طهران في الليل دون أن يخبر الناس، وبعد وصوله حكم بمنع الماء عن اليهود فحكم محمّد شاه بخلاف ذلك، ثم جاء السلطان لزيارة السيّد فلم يخرج السيّد من البيت واعتذر بأنّه مريض، ثم نزل من طهران متضايقاً إلى الأمير عبد العظيم[1]، ومرض هناك فجاء السلطان لعيادته فلم يخرج واعتذر، وتوفي هناك فجهّزه وغسّله الملّا جعفر الشيرازي، وكان من تلامذة شريف العلماء ومن زهّاد العصر، وقد حضرت مدّة في درس الملّا جعفر في دار الخلافة طهران، وهو زاهد جداً وفقير جداً وكان منزوياً.

وعندما كان السيّد مهدي في طهران كان يحضر علماء البلد كلّ ليلة وقت الطعام في مجلسه، فكانوا يأتون من كلّ بيت بسفرة طعام مع قطع النظر عن الأعيان والتجار وأهل البلد، وكان الملّا جعفر أيضاً يأتي بطعام يظهر منه الفقر، فكان السيّد مهدي يأكل من سفرة الملّا جعفر ولم يأكل من طعام غيره.

ومن كرامة الملّا جعفر أنّه في حال الاحتضار ـ وكان بعض العلماء حاضراً ـ نهض من دون اختيار من فراش المرض وسلّم على جانبه وأبدى تعظيماً ثم وقع، فسألوه عن ذلك فقال: حضر إمام الزمان روحي فداه وعجّل اللّه فرجه وسهّل اللّه مخرجه. ثم توفي مباشرة وانتقل إلى جوار رحمة الحقّ تعالى.

---

(١) المعروف بالشاه عبد العظيم، وهو السيّد عبد العظيم الحسني في الري في إيران. (المترجم).

(٢٣)
السيّد محمّد ابن السيّد علي

السيّد محمّد ابن السيّد علي: السيّد السند والمقتدى والمستند والعالم المـمجّد والفقيه الأمجد الأعلم والأورع في ذلك الزمان. انتهت إليه الرئاسة العامّة للفرقة الناجية الإمامية بعد والده العظيم، وكان مورد قبول الناس إلى حد أنّه توضّأ في حوض مسجد شاه قزوين فأخذ أهالي تلك المدينة جميع ماء الحوض بطرفة عين للتيمّن والتبرّك والاستشفاء بحيث لم يبقَ في الحوض ماء. وكان أكبر من أخيه السيّد مهدي، وأُمّها بنت السيّد محمّد باقر أُستاذ وخال السيّد علي.

تلمذ لوالده السيّد علي، كما تلمذ مدّة للسيّد بحر العلوم وتزوج بابنته.

ويقول الميرزا علي نقي وهو في هذه السنوات معظّم عند الناس وهو ابن وحفيد السيّد محمّد: وصل السيّد محمّد إلى قم، وكان الفاضل القمي صاحب القوانين معمّراً جداً، فدعا في ليلة السيّد محمّد وبعض العلماء الآخرين وتحدّث معهم حديثاً علمياً وقال لهم: طلبتكم هذه الليلة وتحدّثت معكم؛ لأنّ الشيخوخة قد ضعّفت قواي فلا أدري إن كانت ملكة الاجتهاد وجواز الافتاء باقية عندي أم لا؟ فقال السيّد محمّد: إن كانت ملكة الاستنباط هي التي عندك بالفعل فأنا وأمثالي فاقدون للملكة. ودار حديث عن ترقّي حجّة الإسلام بين الميرزا القمي والسيّد محمّد، وسأل السيّد محمّد: هل السيّد محمّد باقر مجتهد أم لا؟ فقال جنابه: شأنه أجلّ من أن أعرفه أنا بذلك بل اسألوه هو هل السيّد محمّد مجتهد أم لا؟

وبين السيّد محمّد ووالدي عشرة وصداقة، وكان الوالد يقول: كنت أذهب في بعض الأحيان لزيارة السيّد محمّد، وكان يأتي بعض الفقراء يطلبون منه وجوهاً شرعية، وكنت أقوى منه فأمسك يديه بيدي وأُخرج من جيبه مالاً فأُعطيه الفقراء. ومن ذلك: أنّه وصل إلى يدي في إصفهان كتاب كانوا يبيعونه وقد كتب عليه أنّه وقف، فسألت السيّد محمّد فأجاب: يجوز شراؤه ولا عبرة بالكتابة. وكان المجلد الخامس من تفسير منهج الصادقين وهو المجلّد الأخير منه، وفي آخر الكتاب كتب الوالد في جانب كلمة الوقف هذه الحكاية.

وللمعظّم تأليفات كثيرة جامعة للعبارات بحيث إنه في كلّ بحث ينقل العبارات بعينها عن أكثر الكتب الفقهية، حتى إذا كان المرء في سفر فإن الكتاب يسهّل الأمر ويغني عن الكتب الأُخرى، ومجلد منه في بحث غسل الجنابة وهو عندي، وفي هذا البحث نقل عن أكثر من سبعين كتاباً.

وكتاب مفاتيح الأُصول في علم الأُصول يقرب من ٤٠ ألف بيت أو أكثر.

وكتاب المناهل في الفقه، وهو كتاب مرغوب مستحسن يقرب من مئتي ألف بيت أو أكثر، وهو جامع للأدلّة والأقوال.

وكتاب المصابيح في الفقه.

وكتاب إصلاح العمل في الفقه والمقصود ذكر الفتاوى والخلاف.

وكتاب الأغلاط المشهورة التي اشتهرت على الألسن. ومن جملة ما كتبه ما اشتهر من ضفائر الحسنين عليهما السلام وأنّ النبي صلى الله عليه وآله غسل ضفائرهما عليهما السلام، وهذا غلط؛ إذ لم يكن للحسنين عليهما السلام ضفائر وهي مكروهة والإمام منزه عن فعل المكروه والمداومة عليه سواء في حال الصغر أم الكبر مع أن القنازغ متفق على كراهتها والقنزع إبقاء موضع في الرأس دون حلق، كما ورد في الحديث أنّ طفلاً جيء به إلى الرسول صلى الله عليه وآله

ليدعو له وكان للطفل قنزع فلم يدعُ له الرسول ﷺ وقال: لن أدعو ما لم تحلقوا رأسه. فالأدلّة على الكراهة كثيرة.

ومن الأغلاط المشهورة ما هو المعروف أنّ فخر المحققين ابن العلامة الحلّي رأى والده بعد وفاته في المنام وسأله، كيف يتعاملون معه بعد وفاته فقال العلامة: لولا الألفين وزيارة الحسين عليه السلام لأهلكتني الفتاوى. والألفين أحد تأليفات العلامة في إثبات خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل أتى في هذا الكتاب بألفي دليل على ذلك[1]، وكان العلّامة يذهب كلّ ليلة جمعة إلى كربلاء ويزور الإمام الحسين عليه السلام. فكتب السيّد محمّد: أنّ هذه الحكاية مجعولة؛ لأنّه بحكم العقل القاطع في هذه الأزمنة التي هي زمان الانسداد يجب استنباط الأحكام غالباً بطرق ظنّية وليس لنا طريق آخر، ومعلوم أنّ الظنّ قد يخطئ وقد يصيب، فلماذا تكون فتاوى العلامة مهلكة له؟ إذن، هذه الحكاية لم تقع.

ومن ذلك قولهم: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان بكربلاء في عاشوراء مشغولاً بالجهاد وإذا بهاتف يقول: يا حسين، إذا أردت أن تقاتل بهذه القوة والشوكة فلن ينهي الأمر أحد ولن تفوز بلقائنا. فوضع الإمام عليه السلام السيف في غمده ونزل من ظهر الفرس إلى الأرض. وهذه الحكاية خطأ، لأن الإمام عليه السلام كان يقاتل بقدرة بشرية، وكان مأموراً بالقتال حسب قدرته وما يتيسر له كما نصّت عليه الآية ﴿جَاهِدِ الكُفَّارَ...﴾[2].

يقول المؤلف: ذكرت في المجلد الرابع من كتاب مشكلات العلوم بحثاً في الأغلاط المشهورة، وقطعاً كان قتال الإمام عليه السلام في عاشوراء بالقوة البشرية

---

(١) المعروف أن الألفين حوى ألف دليل على إمامة الإمام عليه السلام وألف دليل رد للشبهات وإبطال خلافة غيره. لكنه لم يحتفظ لنا التاريخ بالكتاب كاملاً والموجود هو قسم منه (المترجم).

(٢) التوبة ٩ / ٧٣.

لا قوّة الإمامة؛ وإلّا فإنّ مجرّد تعلّق إرادته بموت الكفّار يكفي لهلاك أرواح الأشرار مباشرة.

فإن قيل: كيف يتصوّر ذلك وأن كلّ هذا القتل الشديد الذي صدر منه ﷺ بالقوّة البشرية مع أنّهم ذكروا أنّه قتل ما يزيد على عشرة آلاف نفر في تلك المعركة، مع ما كان عليه من شدّة العطش والمصائب الجليلة لفراق الأحباب والأصحاب، ومثل هذه الحرب في زمن قليل فوق قدرة البشر.

نقول في الجواب: إنّ شجاعة كلّ شخص بحسب حاله، والأنبياء والأوصياء وبنيتهم وصفاتهم متميّزة عن سائر الناس من كلّ الجهات، وهذا الاستبعاد يصحّ بالنسبة لسائر الناس لا الإمام؛ لأن قوّة الإمام البشرية فوق قوّة باقي الناس في كلّ صفة وكمال، فلا يصحّ استبعاد هذه الأُمور عن شجاعة ذلك الجسم والتركيب العنصري له.

إن قلت: ما ذكرته تهوّر لا شجاعة.

قلنا: هو كذلك بالنسبة لكثير من الناس لا الإمام، وتفصيل المطلب على الوجه الأتمّ ذكرناه في كتاب إكليل المصائب وغيره من المؤلفات.

وحيث كان جنابه متتبّعاً تتبّعاً شديداً كانت تأليفاته مشحونة بأقوال وعبارات الفقهاء، كما أنّ له تحقيقات كثيرة. وكتب السيّد محمّد شفيع البروجردي أنّه سمع من جنابه أنّه قال: إنّ مؤلّفاتي تقرب من ثلاثمئة ألف بيت أو أكثر.

يقول مؤلف الكتاب: إنّ مؤلّفاتي تزيد على هذا المقدار بل تزيد على المليون.

ويقول الملّا محمّد صالح البرغاني وهو من تلامذة السيّد محمّد: إنّه لا يوجد بين المتأخرين من ألّف أكثر من أُستاذي السيّد محمّد، وكان له في كلّ يوم وليلة ستة تأليفات.

ويقولون: إنّ والدة السيّد محمّد ـ وهي بنت الآغا البهبهاني ـ كانت عالمة بل فقيهة. ويقولون: إن السيّد علي عندما اشتغل في مباحث الحيض في الرياض وجد صعوبة وعجزاً، فأعانته والدة السيّد محمّد على تأليف ذلك البحث من الرياض. ولا استبعاد في ذلك، فقد كانت ابنتا الشهيد الأول عالمتين قادرتين على الاستنباط، وقد أمر الشهيد النساء بالاقتداء بهما، وكانتا مجازتين، كما أنّ والدة ابن إدريس ووالدة السيّد رضي الدين بن طاووس ابنتي الشيخ مسعود بن ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري كانتا عالمتين مجازتين، وكانتا من أحفاد الشيخ الطوسي، كما سيذكر أحوال هؤلاء كلهم، وبين العامّة نساء كثيرات مجازات ذكر الشهيد الثاني أسماءهن في شرح الدراية.

وعندما هجمت جماعة الفسقة الفجرة الغاوية الباغية الهالكة الضالة المضلّة الطائفة الوهابية ـ خذلهم اللّه تعالى ـ على كربلاء وقتلوا وسلبوا بلاحدود، وكسروا الصندوق المطهر، وشربوا القهوة على رأس القبر المطهر، وفتحوا القبر فرأوا جسم الإمام هبت رياح شديدة، ففر الوهابيون وجاء خدّام الحرم وأخذوا قطع الصندوق وجعلوها كالمسبحة وجاؤوا بها إلى أهل إيران، فوصل عدد من ذلك إلى والدي، وعندي عدّة حبات منها على أمل أن توضع بين كفني، فلعلني أنجو من جهنم بذلك؛ لأنّه صندوق مسح الأنبياء أيديهم عليه، وقبّله الأئمة عليهم السلام، وكانت أجنحة الملائكة ترف عليه دائماً.

وعلى كلّ حال بعد أن فعلت الوهابية ذلك جاء السيّد محمّد إلى إصفهان وبقي في هذا البلد ثلاث عشرة سنة يدرّس. وكان بيانه جميلاً جداً، ويقرّر مطالب المعتبر بنحو يفهمه المبتدئ والمنتهي، وكان يحضر مجلس درسه علماء ذلك البلد منهم الملّا محمّد علي النوري الذي كان خبيراً في فلسنة المشّائين ويدرّس الكتب الخاصّة بها، وكان يحضر درس السيّد محمّد، وكتب بأمره كتاباً في الأُصول مسمّى بالنخبة، والمجلد الأول عندي وهو بخط والدي الماجد، لكنه لم يتصرّف فيه أصلاً. وكتب

الملّا محمّد علي على كتاب الشوارق في هامشه حواشي نافعة، وله على شرح اللمعة والمطول أيضاً حواشي مفيدة، وكان ينهي كلّ عشر سنين دورة في شرح اللـمعة، وحواشيه علمية لا دخل لها بالفقاهة. ودرس والدي الماجد شرح اللمعة عـنده. ويقال: إن ذاكرته ضعيفة جداً وكان إذا مسك كتاباً قرأه وبيّنه بتحقيق تامّ.

وذهب السيّد محمّد بعد وفاة والده إلى كربلاء، وانتهت إليه الرئـاسة العـامّة للمسلمين وبلاد الإسلام، وقد كان سلطان العصر المرحوم فتح عـلي شـاه كـثير الإخلاص له ومطيعاً له في جميع الأُمور، وبأمره جمع السلطان العساكر وأعـدّهم للجهاد ضد سلطان الروس، فعندما استولت دولة الروس على بلاد المسلمين مثل دربند وقبة وكنجة وشيروان وغيرها من الولايات عرض المسـلمون أحـوالهـم للسيّد محمّد وأنّ الكفار تغلّبوا على بلادنا وأمرونا بأن نرسل الأطفال إلى معلميهم ليعلموهم دينهم، وهتكوا القرآن والمساجد وسائر شعائر الإسلام، فأمر بـالجهاد وذهب بنفسه يرافقه جمع كثير من العلماء والمتدينين والطـلاب، لكـن المسـلمين قصّروا وغلبهم الروس فعاد جنابه إلى قزوين، وفي هذه المرحلة انـطلقت ألسـنة المنافقين ورجع ضَعفة المسلمين عن الاعتقاد بجنابه ولم يحترمه السلطان، فـمرض جنابه من الحزن والغم كما هي سجية آبائه وأجداده وتوفي في ذلك السفر، وأُخـذ جثمانه المطهر إلى كربلاء ودفن في القبة المعروفة رضي اللّه عنه وحشره مع آبـائه المعصومين عليهم السلام.

وكانت عنده إجازة من والده وبحر العلوم والشيخ جعفر.

ومن جملة فتاواه: أنّ من يجـد شيئاً في الصحراء فهو مـلك واجـده وإن كـان صاحبه معلوماً. وكان مع السيّد محمّد في سفر الجهاد نرجيلة فضة فنسيها في بعض المنازل، ثم رآها شخص وعرف أنّهـا للسـيّد، فأخـذها وأوصـلها إليـه في أثـناء الطريق، فلم يقبل جنابه وقال: حيث إنك وجدتها فهي لك وليست لي.

(٢٤)
العلّا أحمد النراقي

الحاج الملّا أحمد بن محمّد مهدي النراقي الكاشاني من مشاهير علماء إيران، ومعروف في علماء بلاد المسلمين، سبق في التحقيق أقرانه وفاق في التدقيق العلماء الأعيان، كان مضرب المثل في الذكاء ومعترف له بحدة الفطانة بين أبناء الزمان، وكان في الشعر ذا طبع رفيع.

وعندما توفي والده أجلسه تلامذة والده محلّه ولم يكن بعد في ذلك الزمان ذا علم كثير، وكان يدرّس المطول والمعالم، ثم ذهب إلى العتبات وتلمذ لبحر العلوم والسيّد علي وباقي تلامذة السيّد باقر. وحكى عنه السيّد محمّد شفيع البروجردي: إنني حضرت مع والدي الملّا مهدي في مجلس درس السيّد باقر.

وأصله من نراق ومسكنه كاشان.

وكتبه كثيرة: كتاب مناهج الأُصول في مجلّدين، وهو كتاب في علم الأُصول في غاية التنقيح، وكتاب شرح تجريد الأُصول ـ والتجريد لوالده ـ في ستة مجلّدات وكتاب عين الأُصول، وكتاب مفتاح الأُصول، وكتاب معراج السعادة في علم الأخلاق وأصل الكتاب لوالده وكتبه بالفارسية بعد طلب سلطان العصر، وهو في الحقيقة كتاب جامع كامل في علم الأخلاق.

وكتاب سيف الأُمة في رد شبهات البادري النصراني التي أوردها على دين الإسلام، وقد جاء إلى إيران وبدّل لباسه ودرس عدّة سنين عند الملّا علي النوري،

وبعد ذلك ذكر تلك الشبهات وأجاب عنها العلماء، ومن بين الأجوبة جاؤوا بثلاثة أجوبة مصيبة دقيقة: أحدها: كتاب الملّا رضا الهمداني المسمّى بمفتاح النبوة وفي إيمان العقل وجمع كتب الأنبياء السلف.

والآخر: كتاب الملّا علي النوري المسمّى بحجة الإسلام، رفع فيه الشبهات وأثبت حقّانية خاتم الأنبياء بالقواعد العقلية، وعطّل الدرس ستة أشهر وبحث في شبهات البادري، وكتب ذلك الكتاب بفصاحة وبلاغة وسجع وقافية، وهو ـبلا تشبيه ـ في بلاغة اللغة الفارسية كالقرآن في لغة العرب والعياذ بالله من التشبيه.

والثالث: كتاب الملّا النراقي المسمّى بسيف الأُمّة، وجمع الملّا عنده عشرة أشخاص من علماء اليهود، وجمع من مكتبة اليهودي موشي كتباً كثيرة في لغة التوراة وغيرها، وتحدّث مع اليهود مدّة، ثم كتب هذا الكتاب، وكتب بالتفصيل فقرات كتب أنبياء السلف. والكتب الثلاثة لا نظير لها في قمع الأديان الباطلة.

وكتاب عوائد الأيام في القواعد الكلّية الفقهية، ولي عليه حواشٍ كثيرة ودقائق لا تحصى.

وكتاب المثنوي المسمّى طاقديس على طريقة مثنوي الملّا الرومي من حيث الحكايات والتمثيلات، وفي الحقيقة أبدع فيه.

وكتاب مستند الشيعة، كتب فيه عدّة كتب فقهية باستدلال وقد أجاد، وذكر تحقيقات كثيرة وكان أُصولياً صرفاً، لكن كان غالباً يقوي ما هو خلاف المشهور مثل: أنّه يرى طهارة العصير العنبي قبل ذهاب الثلثين وبعد الغليان، ويرى أنّ وقت الغروب بين استتار القرص وذهاب الحمرة الشرقية كما هو مذهب أبي حنيفة.

ويقال: إنّه أخرج حاكماً ظالماً من كاشان وتكرر منه ذلك، فطلب السلطان

حضوره من كاشان، وكان يتحدّث في المجلس بانزعاج: إنّك تخلّ بأوضاع السلطنة وتخرج الحاكم. فانزعج السلطان جدّاً عندما رفع الملّا أحمد يديه نحو السماء وعينه تذرف الدمع ودعا: إلهي هذا السلطان الظالم جعل على الناس حاكماً ظالماً، فرفعت الظلم فانزعج هذا الظالم منّي وأراد أن يؤنّبني. ومن دون اختيار قام فتح علي شاه من مكانه وأخذ يدي الملّا وأنزلهما وصار يعتذر منه ويسترضيه وعيّن حاكماً جديداً وفق طلبه.

ويقال: إنّ الملّا أحمد كان عنده ولد متعلّق به جداً، فمرض بحيث يئس الملّا، فخرج من المنزل دون اختيار وسار في وسط طريق كاشان، وفجأة رأى درويشاً فسلّم على الملّا وقال له: لماذا أنت تائه؟ فقال له الملّا أحمد: ولدي مريض وقد يئست منه. فقال له الدرويش: هذا أمر سهل. فضرب بعصاه على الأرض وقرأ الحمد بشكل غير صحيح ونفخ نفساً وقال: أيها الحاج اذهب فقد شفي ولدك. فتعجّب الملّا واحتمل الصدق وعاد إلى البيت، فرأى ولده قد عرق وعادت إليه الصحة، فتعجب الملّا جداً وأرسل شخصاً ليرى الدرويش، ففتشوا جميع طرق وشوارع كاشان ولم يعثروا عليه.

وبعد مضي سبعة أشهر رأى الملّا الدرويش في إحدى الأزقة فقال له: أيها الدرويش، أنت الرجل الذي كنت في الطريق، وأنت صاحب نفس، لكن لم تكن قراءتك للحمد جيدة في ذلك اليوم ولم تكن صحيحة، فاسع في تعلّم الأحكام الشرعية. فقال له: الآن لم تعد تعجبك قراءتي للحمد فسأقرأها من جديد. ونصب عصاه على الأرض وقرأ الحمد وتنفس نفساً ثم قال له: اذهب. فجاء الملّا إلى البيت فرأى ابنه مريضاً وتوفي في ذلك المرض.

وللملا أحمد ولد اسمه الملّا محمّد، وكان من الفقهاء أيضاً، وكان في زمان محمّد

شاه الذي عرض عليه المرض، فأرسل الملّا محمّد من كاشان إلى محضر السلطان يستفسر عن أحواله ومزاجه، فكتب في الجواب: يظهر زوال المرض. فكتب إليه الملّامحمّد ثانية: ما دام السلطان قرين الصحة، والصحة من أعظم النعم فليكن نظركم إلى مدلول آية الهداية الوافية ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] فحدث واعلم وافش هذه النعمة بين البلاد الإسلامية. فكتب السلطان: إنّ هذه الآية معارضة بحديث مشتهر على الألسنة والأفواه «استر ذهبك وذهابك ومذهبك» فكيف يرفع هذا التناقض والتعارض؟ فكتب الملّا محمّد ثالثة: إنّ الآية تفيد العموم؛ لأن النعمة مفرد مضاف، وخبر «استر ذهبك...» خاصّ، وإذا تعارض العامّ مع الخاصّ يُحمل العامّ على الخاص، فالمراد من النعمة غير الذهاب والمذهب. فلمّا اطّلع محمّد شاه على هذا الجواب سعد به وقبله، وأرسل للملا محمّد جائزة هي عبارة عن عباءة وعصا كخلعة خلعها عليه.

وسُمع أنّه في زمان جاء حاكم إلى كاشان من قِبل السلطان، ولم يرَ الحاكم الملّا المذكور ولم يعرفه، وقبل أن يذهب لرؤيته أُثيرت شائعات عن سوء تفاهم بين الملّا والحاكم واتّهم فيها الملّا وانقضت أيام على هذا المنوال، ثم ذهب الملّا في يوم بمفرده إلى محكمة الحاكم الذي كان مشغلاً بلعب الشطرنج مع غريمه، ولم يكن أحد من أهالي كاشان حاضراً في ذلك المجلس للضلالة، فدخل الملا وسلّم عليهم، فاشمئز الحاكم من رؤية أصحاب العمائم في هذا المجلس، فردّ الحاكم السلام وجلس الملّا عند الباب، وعاد الحاكم إلى ماكان مشغولاً به، ثم علا نزاع بينه وبين غريمه وادّعى كلّ منهم أنّه غلب صاحبه، فحكم بينهم اعلا وفقاً لقواعد الشطرنج، فسرّ الحاكم وقال: معلوم أيها الملّا أنّك لست جافّاً ولك علاقة بهذا العلم. وبدأ بالحديث معه،

---

(١) الضحى ٩٣ / ١١.

وفجأة دخل أحد أهالي كاشان ورأى الملّا جالساً إلى جانب الأحذية فعلم أنّ الحاكم لم يعرفه فأشار إليه وأعلمه أن الملّا هو الملّا أحمد فأحسّ الحاكم بمنتهى الخجل من تصرّفاته ونهض من محلّه فوراً وقبّل يد الملّا وأجلسه في صدر المجلس واعتذر منه، ممّا أدّى إلى القيام الود ورفع سوء التفاهم بينهما.

ولا يخفى أنّ الملّا أحمد لم يرَ الكثير من الأساتذة ولم يدرس كثيراً، وهذه التحقيقات والتدقيقات هي من فطانته وذكائه واللّه العالم، وذوقه الفقهي بعيد عن ذوق المشاهير الحذقة المهرة، وكان غالباً يقوّي الأقوال الضعاف، وهذا خلاف مسلك الاحتياط، بل المستحسن متابعة المشهور وإفهام الفقهاء في مدرك الأحكام، بل في أخبار الأئمة عليهم السلام أيضاً أمر بمتابعة المشهور.

(٢٥)
الملّا محمّد مهدي النراقي

الملّا محمّد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني الوالد الماجد للملا أحمد السابق، كان فائقاً لعلماء عصره في الفضيلة والجامعية، ورائقاً لصعاب الأحكام ومغالق المسائل، وصاحب تحقيقات لطيفة في العلوم العديدة من عقلية ونقلية ورياضية.

درس ثلاثين سنة عند الملّا إسماعيل الخاجوئي، وخاجو محلّة من محلات إصفهان، وتلمذ لسائر العلماء في المعقول والمنقول وتلمذ للمؤسس البهبهاني آغا محمّد باقر رضي اللّه عنهما، وكان يده وكان في الرياض من الحساب والهندسة والهيئة والعلوم الأدبية والمعاني والبيان والتفسير.

وكان في بداية دراسته في غاية الفقر والفاقة بحيث لم يكن قادراً على إشعال فانوس، فكان يستفيد من فانوس بيت الخلاء للمطالعة، وإذا جاء أحد إلى بيت الخلاء كان يتنحنح إشارة إلى أنّه مشتغل بقضاء الحاجة فلا يعرف أحد بالأمر ويخجل.

وكان كلّ ما يرسل إليه من رسائل يبقيها مقفلة لا ينظر إليها حتى لا توجب شرود ذهنه ويضعها تحت الفراش، وكان والده موظّفاً عند الحاكم، وكان منصبه أضعف مناصب الديوان، وكان جابي الضرائب في نراق، ثم قتل والده فكتب إليه الناس يخبرونه عن مقتل والده وأن مجيئه ضروري، لكنّه على عادته لم يقرأ الرسالة فلما يئس منه الناس كتبوا إلى أُستاذه الملّا إسماعيل: إنّ والد الملّا مهدي

توفي ومجيئه ضروري فأرسله نحو البلد. فعندما ذهب الملّا مهدي لحضور درس أُستاذه الملّا إسماعيل الخاجوئي رأى أُستاذه جالساً مهموماً محزوناً متفكّراً، ثم طالب الملّا مهدي أُستاذه بالدرس فقال الأُستاذ: يجب أن تذهب إلى نراق، لأنّ والدك مريض أو مجروح. فقال الملّا مهدي: اللّه يحفظه فتفضل أنت بالدرس. ثم صرّح له الأُستاذ بأنّ والده توفي ومع ذلك طلب الملّا مهدي الدرس حتّى أمره في النهاية بالسفر، فذهب إلى النراق وبقي هناك ثلاثة أيام وعاد وهو شديد الشوق لدراسة العلوم العقلية والنقلية.

وبعد أن انتهى من الدراسة سكن كاشان وكانت خالية من العلماء، وببركته مُلئت بالعلماء والفضلاء، وصار مرجع ومحطّ رحال الرجال الكمّل الأفاضل، وظهر الكثير من العلماء من تلامذته.

ولجنابه تأليفات جيدة في العلوم العقلية والنقلية مثل: رسالة فارسية في أُصول الدين كتبها باستدلال تامّ، وكتاب القوامع في الفقه، وكتاب الأنيس في الفقه، وكتاب المعتمد في الفقه، وكتاب التجريد في الأُصول ومشكلات العلوم في ثلاثة مجلّدات، وكتاب محرّق القلوب في مصائب أهل البيت سلام اللّه عليهم أجمعين، وفي الخطب البليغة والقصائد العربية الفصيحة الواردة في المراثي، لكن الكثير من أخبار ذلك الكتاب ليست محل اعتماد وهي من الأخبار الضعاف، بل مظنونة أو مقطوعة الكذب، ولي حواشٍ على هامش ذلك الكتاب، مثل قوله: إنّ الإمام الحسن﷣ قد سمّ بأن وضعوا له السم في الماء وشربه واستشهد. وهذا غلط مشهور؛ لأنّ الأخبار خالية من ذلك، والمشهور في الأخبار أنّهم وضعوا السم في الحليب وقد شربه الإمام﷣، وفي خبر أنّهم وضعوا السم في الطعام وقد أكله﷣.

والإنصاف أنّه من المؤسف أن يكتب مثل هذا الفاضل في كتابه مثل هذه

الأخبار. ويتلو هذا الكتاب في بعض المقامات كتاب الملّا آغا الدربندي، ولا يُظن أنّ هذا من التسامح في أدلّة السنن؛ لأنّ التسامح في دليل المستحب مثل أن يأتي خبر فيه مثلاً: أنّ من بكى على الحسين‌ؑ فله هذا الثواب ويكون الخبر ضعيفاً، فالتسامح هنا جائز، لا في الأخبار والحكايات والوقائع التي اتّفقت في كربلاء.

وإذا قيل: إنّ السيرة منعقدة على نقل الأخبار الضعاف حيث يذكرونها على المنابر.

قلنا: نمنع من دعوى انعقاد سيرة سابقة مستمرّة وكاشفة عن رضا المعصوم بحيث إنّها كانت في زمن المعصوم، والسيرة القائمة فعلاً لا تفيد. إضافة إلى أنّ المعصوم منع من هذه الجهة وبيّن بأيّ قسم من الروايات نعمل، كما هو المعروف من منعهم العمل بالضعاف والمراسيل من الأخبار، وكانوا يخرجون من قم من يروي المرسل أو الضعيف؛ ولذا كان اعتماد القميين من علامات التوثيق، وأيضاً من علاماته ترضي الصدوق عليه الرحمة؛ ولذا عدّ المتقدمون رواية ابراهيم بن هاشم من الحسن، ونحن نعتبرها من الصحيح لاعتماد القميين عليه، واعتماد ابنه علي عليه وعلي شيخ وأُستاذ الكليني ولكونه من مشايخ الإجازة.

(٢٦)

آغا محمّد علي المازندراني

الآغا محمّد علي بن محمّد باقر الهزار جريبي، وسكن أبوه النجف وهو من مشاهير الفقهاء، وعدّه صاحب الإشارات في المجلد الثاني من مشايخ الإجازة وقال: إنني التقيته (محمّد باقر) في زمان قد وصل فيه إلى سن الشيخوخة ولم يكن مجال للانتفاع منه.

وابنه محمّد علي كان ساكن إصفهان ومن أعيان وفقهاء تلك البلد، ومن تلامذة العالم الفاضل الشيخ جعفر النجفي. وكانت عنده بنت الشيخ. وكان فقهه دقيقاً متيناً وله يد طولى في تفريع الفروع، وكتب تعليقة على شرح اللمعة ثلاثة مجلّداتها موجودة عندي، وهي تعليقة على المجلد الأول من شرح اللمعة كله، وكتب شيئاً على المجلد الثاني أيضاً. ولم يكن محل ريب في الفقه وقدرته الفقهية.

ولم تكن الدنيا مقبلة عليه. وعندما أتى الشيخ جعفر النجفي يوماً إلى إصفهان كان عنده في بعض الأيام الآغا محمّد علي والحاج محمّد إبراهيم الكلباسي الذي ذهب لزيارة السيّد محمّد باقر، فعاتب الشيخ السيّد بأنّ آغا محمّد علي فاضل وفقيه فلماذا لا ترعاه أنت والحاج إبراهيم ولا تشهرونه؟ فالتقصير منكما. فصار الحاج يعتذر لكن السيّد محمّد باقر لم يكن قلبه متعلقاً به بل كان معتقداً بأنه ليس مجتهداً.

ثم توفيت زوجته التي هي ابنة الشيخ، ثم تزوج ابنة الميرزا محمّد باقر النواب وهو من أهل لاهيجان، وكان متعمقاً في الحكمة وماهراً في النجوم أيضاً وأوحد

زمانه في التفسير، ونظر في مستقبل وطالع جعفر خان زند فرأى أنّه في الوقت الفلاني يموت كريم خان ويصير جعفر خان سلطاناً، وأخبره بذلك وقد حدث الأمر كما أخبر، وجعل جعفر خان الميرزا وزيره وبعد ذلك توطن الميرزا في إصفهان. وكان سبب اشتهار الملّا علي النوري وجعل راتباً مستمرّاً للملا علي النوري من السلطان بواسطته.

وعلى كلّ فالميرزا محمّد باقر درّس في إصفهان علم المعقول، وكان معظماً محترماً، وفي مجالس الملّا علي النوري كان يقدمه على نفسه ويحترمه كثيراً، وكتب تفسيراً بناء لطلب فتح علي شاه، وكان مبتلى بالسلس.

وفي الجملة: كان عند الآغا محمّد علي شيء من صعوبة الخلق، فبعد أن تزوّج ابنة الميرزا المذكور ذهب مع عياله إلى قمشه بناء على طلب حاكمها، لكنه لم ينسجم معه فعاد إلى إصفهان، وقد انزعج منه الميرزا محمّد باقر وأورد عليه: أولم تقرأ في الحديث «دارهم ما دمت في دارهم»؟

وفقاهة الآغا محمّد واضحة من تعليقته على شرح اللمعة.

وكان عابداً جداً وزاهداً متورّعاً وفقيراً، ولمصالح كاملة كامنة كانت الشهرة في تلك الأعصار للسيّد محمّد باقر، وإلّا فإنّ الفضلاء في ذلك العصر كانوا كثيرين في إصفهان وسائر البلدان، مثل: الشيخ محمّد رفيع الجيلاني، وهو فاضل من تلامذة بحر العلوم وله شرح على المعالم، لكن لم يشتهر ولم يكن يميل إليه السيّد، وكان الشيخ محمّد رفيع دائماً في مقام التشنيع على حجة الإسلام، مثل قوله: إننا ذهبنا يوماً في خدمة بحر العلوم، وكان قد أخذ السيّد محمّد باقر عنقود عنب من السوق، وبعد أُسبوع أو أكثر ذهبنا إلى منزله فوجدنا العنقود على حاله لم يؤكل منه شيء، فقلت: لماذا لا تأكل منه؟ فقال: أردت أن أخالف نفسي. والآن وقد أصبح صاحب

آلاف الأموال الدنيوية وهي في ازدياد يوماً بعد يوم ولا يخالف نفسه.

ومنهم: الملّا محمّد جعفر آباده، وكان عالماً جامعاً متورّعاً ومن تلامذة السيّد محمّد والحاج محمّد إبراهيم الكلباسي وحجة الإسلام، وكان كثير المزاح ويحفظ من كل علم كتاباً، مثل: الألفية في النحو، والزبدة في الأُصول، والقانون الصغير في الطب، ومختصر التلخيص في الفصاحة، والتهذيب في المنطق، والتجريد في الكلام، والمختصر النافع في الفقه.

ومنهم: السيّد صدر الدين الإصفهاني، وهو من بلاد جبل عامل ومن تلامذة الشيخ جعفر، وكانت ابنته زوجة السيّد، وله مهارة في الفقه والأُصول ومتميّز عن أبناء الزمان في علم الرجال. كتب رسالة في أحوال محمّد بن أبي عمير وهي عندي.

ومنهم: الملّا علي أكبر الخوانساري ساكن إصفهان، عالم فقيه تباحثت معه في حجّية القراءات السبعة، وطلب مني أن أكتب رسالة باسمه في هذه المسألة، ولي عنده محبة شديدة.

ومنهم: السيّد محمّد شفيع البروجردي، من تلامذة شريف العلماء، وكان عنده إجازات من كثير من العلماء، وألّف كتاباً في الأُصول هو القواعد الشريفية، وكتب في الروضة البهية إجازة لولده ذكر فيها إجمالاً مشايخ الإجازة.

(٢٧)

حجة الإسلام السيّد محمّد باقر رحمه الله

السيّد محمّد باقر ابن السيّد محمّد تقي الموسوي الشفتي الدشتي، ساكن إصفهان، وملقّب بحجّة الإسلام، وحيد الأيام ومقتدى الأنام، وهو من مهرة الأعلام وحذقة العلماء في علم العربية والهيئة والفقه والرجال والدراية، عالم بارع فاضل باذل أُستاذ الكمل الأفاضل، وليس له ثان في الزهد والورع والتقوى.

وعلمه خارج عن دائرة كاتب هذا الكتاب، ترقّى في جميع مراقي ومراتب العلم، وأوحد الزمان في التفريع، وفي الاستدلال هو في غاية التحقيق وكمال التدقيق. وذاكرته مضرب المثل. وتأليفاته كثيرة:

كتاب مطالع الأنوار، وهو شرح للصلاة من كتاب الشرائع في سبعة مجلدات ولم يتم بحث الصلاة. وكلّ مجلّد تقريباً هو عشرون ألف بيت. وذكر فيه كلّ علم بواسطة من الوسائط يتّفق ذكره في المسألة، يذكره مع استدلال سواء في الأُصول أو النحو أو اللغة أو الرجال.

ورسالة الزهرة البارقة في عدّة مسائل من مباحث الألفاظ في علم الأُصول.

و رسالة تحفة الأبرار في الصلاة، جمع فيها بين الأقوال إجمالاً مع شيء من الاستدلال.

ورسالة في تحقيق عبارة «من أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم»، وهي في غاية التنقيح والتدقيق. وكلّما تكلم في الرجال فكأنّه مستحضر لحالهم من

حال ولادتهم حتى وقت وفاتهم.

ورسالة في بيان حال إسحاق بن عمار.

ورسالة في أحوال إبراهيم بن هاشم القمي.

ورسالة في بيان حال أبان بن عثمان.

ورسالة في تحقيق حال محمّد بن عيسى اليقطيني.

ورسالة في حكم العقد على أُخت المطلّقة.

ورسالة في قبول قول النساء بالخلو من موانع النكاح وإبراء ولي مدّة المتعة عن المولى عليه، كما تقدمت في ترجمة الشهيد الثالث الحاج الملّا محمّدتقي البرغاني. وغير ذلك من الكتب والرسائل.

والفتاوى التي كتبها وما ثبت وضبط بالإضافة إلى الأسئلة تبلغ ثمانين ألف بيت، ومنها: حاشية على السيوطي من أوّل الكتاب حتى بحث التمييز أو الحال، كتبها مع الأدلّة وجميع الأقوال وتحقيق الحق، وعندي مقدار من هذا الكتاب ومواضع منه هي بخط الوالد الماجد، ومواضع أُخرى هي بخط حجّة الإسلام حيث كتباها معاً لما كانت من صداقة ومحبة شديدتين بينهما. وقد سُمع أنّ ابنه السيّد أسداللّه أتمّ الحاشية بأمر منه وأعطاه والده مقابلها مئة تومان، وسُمع أنّ حجّة الإسلام كان أيام تأليف هذه الحاشية في بغداد إذ ذهب للعلاج من حرقة البول وأسبابه منحصرة بـ«التركيب الخالد»، وإذا صحّ هذا لكان من كراماته.

وأمّا تدريس حجّة الإسلام ففي نهاية الدقّة والمتانة وغاية التفصيل في أقوال الفقهاء، وكان يذكر وجوهاً واحتمالات كثيرة في فهم عباراتهم، وكان يجتمع خلق كثير لحضور درسه، لكن درسه كان قليلاً إذ يدرّس في الأُسبوع يومين أو ثلاثة أو

أقل، بل في بعض الأسابيع لا يدرّس.

وفي بعض الأحيان تأتيه المرافعات أثناء الدرس فيضطرب الدرس. يقول الملّا جعفر نظر آبادي ـ الساكن في قزوين والمجاز من الشهيد الثالث والملّا صالح، وكان فاضلاً جامعاً، وقد درست عنده بعضاً من شرح اللمعة، وله شرح على المختصر النافع ـ: إنني كتبت الطهارة والصلاة من الشرح الكبير في مجلس درس حجة الإسلام، أي عندما كان يستقبل المترافعين أثناء الدرس فنجلس بلا درس، فكان معي الطهارة والصلاة من الشرح الكبير فكنت أكتبه.

وقد حضرت ما يقرب من سنة في مجلس درسه، وكان يحبّني، وكان أيضاً صديقاً لوالدي، وعندما أراد أن يجيزني أخذ مني كتاب الطهارة من البدائع الذي كتبته وبقي عنده أُسبوعاً، وفي يوم الخميس أراد أن يكتب الإجازة لكنه لبّى داعي الحق وارتحل عن الدنيا، فأخذت إجازة من تلامذته حتى يكون لي سنده.

وأمّا عبادة السيّد محمّد باقر فخارجة عن قدرة المحرّر لهذه الكلمات القاصر، وقد تقدّم بيان وصف صلاة جنابه بالتفصيل مع تحقيق عرفاني في ترجمة الشيخ محمّد حسن صاحب جواهر الكلام. وكان حافظاً للمناجاة الخامسة عشرة ويداوم عليها ببكاء وإن كان ابنه السيّد أسد اللّه يمنع من قراءتها لشبهة مشهورة؛ إذ ذكروا أنّ هذه المناجاة لا سند لها، إضافة إلى خلوّها من الصلوات على محمّد وآل محمّد ﷺ مع أن الأدعية المنقولة عن آل محمّد ﷺ لا تخلو من الصلوات مهما كان الدعاء صغيراً وخصوصاً الأدعية المنقولة عن سيّد الساجدين ﷺ في الصحيفة الكاملة وغيرها، ولكنّي عثرت على سند لهذه المناجاة في ما مضى، وكان سنداً متّصلاً، لكن في ما بعد فتشت عنه في مظانّه فلم أجده، وكتبت تفصيل الحال في أوائل المجلد الأول من كتاب مشكلات العلوم.

والآن أقول: إن مثل هذا القدح غير قادح؛ لأن هذه المناجاة إن قُرئت بقصد الدعاء والذكر المطلق ومن باب مطلق الاستغفار لا بقصد الورود عن الإمام عليه السلام فلا إشكال فيها قطعاً؛ لأنّها ستكون داخلة تحت عمومات الأذكار والأدعية، بل إن قرئت بقصد الورود عنه عليه السلام فلا إشكال أيضاً؛ لأنّه غاية ما في الأمر أنّها من الأدعية المرسلة، وقراءة الأدعية المرسلة جائزة أيضاً وليست محل إشكال، ولا يضرّ عدم وجود صلوات فيها وليس هذا بلا نظير. وقد بنى العلماء على قراءة مثل هذه الأدعية، بل يمكن دعوى جريان السيرة أيضاً على ذلك. وكان والدي الماجد يقرأها في قنوت الوتر عن ظهر القلب.

وقنوت السيّد حجّة الإسلام كان في جميع الصلوات في غالب الأوقات أو كلّها هذا الدعاء: «اللهم اهدنا في من هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن تولّيت وقنا شرّ ما قضيت، وبارك لنا فيما أعطيت». وقد ذكرت هذا الدعاء بالتفصيل في رسالة ترجمة الصلاة، وقد كنت في خدمته مدّة سنة ولم أسمع منه غير هذا الدعاء في القنوت، كما أنّ الشيخ البهائي غالباً ما كان يقرأ في القنوت: «اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعف عنّا في الدنيا والآخرة، إنك على كلّ شيء قدير».

وبالجملة: فإنّ عبادة هذا الرجل العظيم كانت بنحو أن يشتغل بالتضرّع من نصف الليل حتى الصباح، ويدور في ساحة مكتبته كالمجنون ويدعو ويناجي ويلطم رأسه وصدره، وكان يعلو منه حنين وأنين بدون اختيار بحيث لو كان الجيران مستيقظين لسمعوه، وكان في أواخر حياته يبكي ويولول إلى حدّ أنّه عرض له الفتق ومهما عالجه الأطباء لم ينتفع حتى منعوه في آخر الأمر من البكاء وقالوا له: البكاء عليك حرام؛ لأنّه يوجب زيادة المرض. فكان كلما ذهب إلى المسجد لا يصعد قرّاء العزاء المنبر ما دام حاضراً إلّا إذا خرج، وإذا صعد أحدهم المنبر في حضوره لم يكن يذهب بل يبقى ويبكي.

ولم يعرف ذلك عن أحد إلّا ابنه السيّد أسداللّه والملّا محمّد أشرفي والشهيد الثالث الذي حفظ المناجاة الخامسة عشرة أيضاً وكان يديم عليها في السجود ونحوه، ويقرأ في السجود المناجاة السادسة مع أنين، وكان ذلك قبل طلوع الصبح حتى ضُرب واستشهد مثل أمير المؤمنين‌ﷺ فذاق عسل الشهادة في محراب العبادة. لكن بكاء وعبادة هؤلاء الثلاثة لا تقاس بعبادة وتضرّع حجّة الإسلام وفقنا اللّه لعبادته.

وقد تشرّفت في سنة لزيارة الإمام الثامن‌ﷺ، وفي أثناء الطريق صاحبنا الحاج سليمان خان القاجاري حاكم سبزوار وقد صار حاكماً حديثاً ويريد الذهاب إلى سبزوار، وفي الليل كنا نتحدّث إلى أن ذكر حكاية عن السيّد محمّد باقر وقال: حكى لي أحد الأُمراء المقيمين في إصفهان أنّه كانت عندي جارية هربت وذهبت إلى منزل حجّة الإسلام، وبعد مدّة أرسل لي ذلك العظيم تلك الجارية وكتب معها رسالة: إن كانت الجارية مقصرّة فهبني ذلك وليكن تعاملك مع خدّامك ومصاحبيك بالحسنى. ثم سألنا الجارية عن بيت وأحوال ذلك العظيم فقالت: كان إذا دخل الليل يصير مجنوناً، مجنون في الليل عاقل في النهار. قلنا: كيف ذلك؟ قالت: إذا مضى شيء من الليل يبدأ بضرب رأسه من مكتبته مثل رجل مجنون ويبكي ويدعو ويناجي إلى أن يأتي الصباح، فيضع عمامته ويلبس عباءته ويجلس كالعقلاء، وهكذا كانّ كلّ ليلة.

وبالجملة: كان يبقى وحيداً في مكتبته وجارية له تنام قرب الباب، ولسراجه فتيلتان إحداهما سميكة والأُخرى رقيقة، يشعل الأُولى إذا كان مستيقظاً والثانية عند النوم، ويشعل السراج عند استتار قرص الشمس قبل المغرب وإذا طلعت الشمس يطفئه، ويقولون: إن هذا يوجب انفتاح الأُمور وإقبال الرزق. والشاهد

على ذلك حديث: لا إسراف في السراج. وكان يذهب إلى الحمام[1] كلّ أربعاء وقد ورد حديث بهذا المضمون، ومعروف أنّ حلق الشعر يوم الأربعاء يزيد في الرزق.

ويقال: إنّ حجّة الإسلام كان يصلي الجماعة ولم يسه أبداً إلّا يوم توفّي ولده السيّد هاشم فقد سها يومها في صلاة الظهر، كما أنّني كنت مدّة في خدمة الأُستاذ العظيم السيّد إبراهيم ولم أر منه سهواً في الصلاة إلا مرّة أو مرّتين.

وأما قضاء حجة الإسلام فكانت أحكامه في غاية الإتقان والإحكام، وكانت تطول عنده المرافعة وتمتدّ أحياناً إلى سنة أو أقل أو أكثر، وعنده فراسة عجيبة في أمر القضاء، كما ذكر الفقهاء أنّ القاضي يجب أن يكون ذا فراسة في أمر المرافعات، ومثّلوا لذلك بأقضية أمير المؤمنين ﷺ.

ومن جملة مرافعات حجّة الإسلام غير الخالية من الغرائب: أن امرأة أتت إليه وقالت: إنّ مختار القرية الفلانية غصبني ملكي. فأحضر المختار وأنكر وقدّم أربعة عشر حكماً من أربعة عشر قاضياً في إصفهان، فلاحظ السيّد تلك الأحكام والكتابات ثم قال للمرأة: إنّ المختار رجل محقّ وينطق على القاعدة. فألحّت المرأة وولولت، فاشتغل السيّد بمرافعات أُخرى وفي الأثناء سأل المختار: هل وصلك هذا الملك بالشراء؟ فقال: لا؟ وهل يشترط في المالكية الشراء؟ قال: لا ليس ضرورياً. ثم عاد إلى المرافعات الأُخرى، وفي الأثناء سأله: هل وصلك بالإرث؟ فقال: لا، وهل يشترط في المالكية الانتقال بالإرث؟ فقال: لا، فأنا عندي أموال لم تصل بالإرث؟ ثم عاد يشتغل بالمرافعات، وفي الأثناء سأله: وصلك الملك بصلح أو وصية؟ قال: لا، وهل يشترط ذلك في المالكية؟ فقال السيّد: لا. وهكذا كان يشتغل

---

(١) الحمام يراد به عادة حمام الاغتسال، وتسامحاً يُطلق في بعض البلاد العربية كلبنان على المرحاض (المترجم).

بالمرافعات ثم يذكر له سبباً من أسباب الملكية وذلك الرجل ينفي إلى أن قال له السيّد: فكيف إذن وصلك هذا المال؟ فقال: لا يحتاج إلى سبب انشقّت السماء فنزل الملك لي. فقال له السيّد: فلماذا لا يأتيني ملك من السماء؟ اذهب وردّ الملك لهذه المرأة فأنت غاصب. ومزّق الأحكام الأربعة عشر وكتب ـ بعد طلب المرأة ـ حكماً على مختار قريتها أن يسلّم المرأة ذلك الملك.

مرافعة أُخرى: أنّ شخصاً زوّر سند قرية من إصفهان وختمها بختم القدماء من علماء إصفهان مثل: آغا جمال الخوانساري وآغا حسين والمجلسي وهكذا، وقد أخذ هذه الخواتيم بلطائف الحيل من ورثتهم وتمّم سجّلاً فيها، ثم جاء وأقام دعوى على أصحاب تلك القرية وهم عدّة بطون وذووا يد عليها، وترافعوا فمضت أشهر في تلك المرافعة والجرح والتعديل إلى أن دعا قسيسي قرية «جلفا» وأهل الخط والربط لأنّ المدعي أقسم بأنّ السند قديم، فقال السيّد للقسيسين: انظروا في هذه الورقة وختم المصنع الّذي عليها وتاريخ ختمها في أي زمن؟ لأنّ الأوراق مختومة بختم أبيض من ذلك القالب وتاريخ أخذ هذه الأوراق من القالب مسجّل، فوجّه القسيسون الورقة نحو الشمس وقرأوا ما ختم عليها وحسبوا تاريخها فكان مثلاً عشرين سنة قد مرّت على طباعتها مع أنّ تاريخ ما كتب في الورقة قبل أكثر من خمسين سنة، فعلم جنابه أنّ المكتوب فيها مزوّر فمزّقها على الفور وحكم خلاف قول المدعي.

مرافعة ثالثة في غاية الغرابة: جاء شخص وقال له: لي عند هذا الرجل واسمه آغا حسن مبلغ أربعمئة تومان. فطلب السيّد الجواب من المدعى عليه فقال: هو له عند الآغا حسن وأنا لست الآغا حسن. فتركه السيّد وشُغل بمرافعات أُخرى بين القيل والقال بين المدعين والشهود، وعندما حميت المسألة توجّه نحو ذلك الشخص وقال فجأة: آغا حسن. فقال ذلك الشخص: نعم. فقال له السيّد: قم

واعط هذا المدعي أربعمئة تومان. وخرجا من المجلس، فالسيّد نادى ذلك الشخص غفلة ولو تنبه لأنكر مرّة أُخرى.

وعجائب مرافعاته أكثر من أن تُجمع في هذا الكتاب.

وكان فقر وفاقة حجّة الإسلام في بداية أمره بنحو لا يتصوّر، وعندما كان في النجف الأشرف يتلمذ لبحر العلوم كانت بينه وبين الحاج محمّد إبراهيم الكلباسي علاقة وصداقة وزيارات كثيرة، فذهب الكلباسي يوماً لزيارته فرأى السيّد مرمياً، فكان واضحاً أنّ ذلك من شدّة الجوع، فذهب الكلباسي فوراً إلى السوق واشترى الغذاء المناسب وأطعمه فعاد إلى حاله.

وكان في بداية أمره كثير الاحتياط في الطهارة والنجاسة، وكان في ساحة دار بحر العلوم حوض، فكان السيّد يذهب في أغلب أوقاته إلى بيت أُستاذه بحر العلوم ويطهّر من ذلك الحوض، فاطّلع بحر العلوم على فقره وفاقته فقال له: عليك أن تأتي إلى هنا في أوقات الطعام. وأصرّ عليه كثيراً فقال له السيّد آخر الأمر: إن طلبت مني ذلك مرة أُخرى فسأخرج من النجف، فإذا أردتني أن أبقى في النجف أدرس عندك فأرجو أن لا تأمروا بذلك. فسكت بحر العلوم وغض النظر عن طلبه.

وعندما كان يدرس عند السيّد علي صاحب الرياض في كربلاء كان فقر حجّة الإسلام بحيث كان نعله بلا كعب لقدمه وكثرة استعماله، وكان غير قادر على تأمين مصروفه اليومي، فجعل السيّد علي شخصاً يذهب إليه كلّ يوم برغيفين واحد عند الغداء وآخر عند العشاء.

وعندما كان في إصفهان لم يكن عنده إلّا منديل لسفرة الطعام وكتاب مدارك الأحكام لا شيء آخر، وكانت بينه وبين المرحوم الوالد الماجد صداقة ومؤاخاة، وكان والدي أيضاً في ذلك الزمان في غاية الفقر. يقول الوالد: دعاني ليلة حجّة

الإسلام للذهاب إلى منزله، وبعد مضي مدّة من الليل مدّ السفرة وأحضر خبزاً مكسّراً من خبز يابس مضت عليه عدّة أيام وتعشّينا من هذا الخبز، وفي آخر أيام فقره وصله شيء من المال، فذهب إلى السوق ليشتري له ولعياله قوتاً يسد الجوع عنهم، وأراد أن يشتري الشيء الأزهد ثمناً فاشترى «المعلاق»[1]، وعند رجوعه إلى البيت لفتت نظره خربة، فنظر فيها فرأى كلبة مع صغارها ضعيفة نحيفة وصغارها تولول وليس في ثدي الكلبة لبن، فرمى حجّة الإسلام المعلاق إلى الكلبة وصغارها وقدّمها على نفسه وعياله، فهجمت الحيوانات وأكلت والسيّد واقف ينظر، وبعد الانتهاء نظرت الكلبة نظرة إلى السماء كأنّها تدعو.

نعم، فإنّ جنابه من سلالة ذلك الذي قدّم الأسير والفقير والصغير على نفسه وعياله فيمضي الليل جائعاً إلى أن نزلت ﴿هَلْ أَتَى﴾[2] من الخلّاق المنان إلى نبي آخر الأزمان في مدحهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3].

وبالجملة: نقلوا عن جنابه أنّه قال: بعد تلك المعاملة للكلبة أقبلت الدنيا عليّ. فقد جاوزت ثروته من بعد الفقر حدّ الإحصاء، وشاء اللّه القادر أن يجعل في هذا العظيم عبرة لجميع الأنظار وأساساً لاعتبار أهل الاعتبار، فقد أرسل أحد متنفّذي «شفت» مقداراً كبيراً من المال إلى جنابه على أن يتجار بمقدار معيّن منه مادام مالكه على قيد الحياة، وكلّ أرباحه للسيّد، وأصل ذلك المال يصرف بعد وفاة مالكه في موارد معيّنة، فاشتغل السيّد بذلك المال في التجارة فحصل له في زمن قصير ربح كثير، وإذا أعطى مالاً بالبيع الشرطي فبمجرد وصول المال يتصرّف بالمبيع مباشرة ويحتفظ به أو يبيعه، فصار عنده اصطبل جمال واصطبل بغال، وكان

---

(١) هو كبد وقلب ورئتان. (المترجم).

(٢) الإنسان ٧٦ / ١.

(٣) الحشر ٥٩ / ٩.

فناء داره بيت المرحوم الآغا محمّد بيد آبادي، وكان من العرفاء وأهل الباطن ومعروفاً بالكيمياء، واشتمل بيته على دور وبيوت كثيرة، وكان عنده سبعة أولاد ذكور لكلّ واحد منهم دار داخلية وخارجية مستقلّة به ومصروف خاصّ به، وكان في اصطبل ابنه الأكبر المير زين العابدين سبعة عشر حصاناً من النوع الجيد، وكان يعيل ـ بغض النظر عن أبنائه وزوجته ـ مئة شخص من الخدم والجاريات والنساء، وكان عنده من القرى والضياع والعقارات ما لا يحصى، ففي مدينة إصفهان قيل: إنّ له ٤٠٠ قافلة من ماله وأكثر من ألفي دكان، وإحدى قراه في إصفهان هي «كروند» حاصلها ٩٠٠ حمل حمار[1] من الأرز، هذا من غير القمح والشعير والحبوب الأُخرى. وكان له في «نجف آباد» طاحونة أُجرتها اليومية تومان وهكذا. وأملاكه في بروجرد يصل دخلها كلّ سنة ستة آلاف تومان[2] تقريباً. وكانت أملاكه في يزد تعطي سنوياً ألفي تومان، وقراه في شيراز تعطي عدّة آلاف تومان سنوياً.

وبالجملة: كانت ضرائبه سنوياً من قراه في إصفهان التي تصل إلى ديوان السلطان سبعة عشر ألف تومان.

وقال فتح علي شاه للسيّد: عفونا عن ضرائبك من قراك. فقال له جنابه: هل تقلّلون ذلك المقدار من مجموع ضرائب إصفهان أم إنّها تبقى على حالها؟ فقال السلطان: هي على حالها ويجب على المناطق الأُخرى أن تدفع ما قللناه من الضريبة. فقال السيّد: فأنا إذن لا أرضى أن تغضّ النظر عن ضرائبي والناس يدفعون، وهذا ظلم ولن أرضى به، بل أنا أدفع ما علي.

---

(١) هو ٣٠٠كيلوغرام تقريباً، وبالفارسي اسمه خروار.

(٢) إن نظرتهم إلى التومان في تلك الأيام كنظرتنا إلى الليرة قبل زمن طويل. (المترجم).

وكانت تأتيه الحقوق الشرعية من البلاد وجميع الأمصار مـن إيـران وغـير إيران ويوزّعها فوراً على الفقراء. وفي زمان كان لفتح علي شاه منزل في إصفهان في عمارة الأيادي السبعة خارج المدينة، فأخذ منظاراً ليشاهد الصحراء، فرأى فـيلاً وظن أنّه له وأخبر من معه بأنهم أتوا له بفيل، لكنّه رأى أنّ الفيل أُخذ إلى مكان آخر، فسأل عن الفيل وحمله فقيل: هذا الفيل لحجة الإسلام أرسله تجار مسلمي الهند وأغنياؤهم محملاً بالأموال من الحـقوق الشرعـية ومـال الإمـام. فـانزعج السلطان وأُخبر السيّد بذلك فقبض الأموال وأرسل بالفيل إلى السلطان.

وبالجملة: فإن ثروة السيّد لم تكن عند أحد بين علماء الإمامية من المتقدّمين والمتأخّرين، إلا علم الهدى السيّد المرتضى، فقد كان غنياً وثروته كـبيرة، لكـنني اعتقد أنّها لم تكن تضاهي ثروة حجّة الإسلام، وسنذكر إن شاء اللّه تعالى أحوال السيّد المرتضى وأخيه السيّد الرضي.

وفي السنة التي ذهب فيها حجّة الإسلام إلى مكة قيّموا مكتبته فبلغت قيمتها خمسين ألف تومان، فكان عنده مثلاً كتاب شرح اللمعة بأشكال متعددة مذهّب وغيره، وكان يشتري الكتب إلى آخر عمره حتى جاءت السنة التي تـوفي فـيها، فذهبت إلى مسجده في شهر رمضان المبارك فكان الباعة يفرشون بساطاً من كلّ شيء في مسجده أيام الصيام، وكان هناك أيضاً بائع كتب، فأخـذت عـدّة كـتب أحدها حاشية للشيخ محمّد ابن صاحب المعالم على تهذيب الشيخ الطوسي وبعض الكتب الرياضية، لكنني وجدت قيمتها غالية فقلت في نفسي: إنّ الناس لا تعرف هذه الكتب ومؤلّفيها، فلأصبر حتى آخر شهر رمضان فلن تـباع تـلك الكـتب، وحينئذٍ يبيعها صاحبها بسعر أقل. فكنت أُواظب على الذهاب إلى المسجد حـتى جاء اليوم الأخير من شهر رمضان، وبعد انقضاء صـلاة الظهر والعـصر جمـاعة جلست وقلت: أتوا بتلك الكتب. وأثناء الحديث جاء المرحـوم حـجّة الإسـلام

وجلس ونظر في فهرس الكتب فوقع نظره على تلك الكتب التي كنت أنوي شراءها فاشتراها من ذلك الرجل بخمسة توامين وأعطى المبلغ للبائع وسلّم الكتب لمن ينقلها إلى البيت، فتعجّبت من حرص جنابه على حيازة الكتاب.

وكانوا يقولون إن السيّد قال: كلّ الكتب عندي. وأعتقد أنّ الحاكي سها أو أخطأ؛ أو أنّ المراد الكتب في فن خاصّ أو نوع خاصّ، وإلّا فإنّ حيازة جميع الكتب الإسلامية في هذا الزمان كأنّه من المحالات العادية. وعندما توفي السيّد أرادوا تقسيم تركته بعد قضاء الديون فرضي ابنه السيّد أسد اللّه بالمكتبة سهماً له، وأخذ باقي الورثة سائر الأملاك.

وأمّا سبب اشتهار السيّد فعدة أُمور:

منها: وصف السيّد محمّد له حيث سُئل في إصفهان: هل السيّد محمّد باقر مجتهد؟ فقال: لست من يُسأل عن اجتهاده بل سلوه: هل السيّد محمّد مجتهد أم لا؟

ومنها: أنّ السلطان فتح علي شاه طلب من الميرزا القمي: أن عيّن عالماً خالياً من الريب ليصلي في مسجد الشاه في طهران ونحن نقتدي به. فكتب الميرزا في الجواب: إنّ السيّد محمّد باقر الشفتي الرشتي يسكن في إصفهان وهو أهل لذلك وليس عندي من هو أفضل منه. فكتب السلطان إلى حاكم إصفهان أن يرسل السيّد المذكور إلى طهران، فاستفسر الحاكم من هو السيّد محمّد باقر؟ وعندما عرفه أرسل إليه: إنّ السلطان يطلبك وأرى أن تكون على استعداد للسفر. فامتنع السيّد فتعجّب الحاكم من زهده وذهب بنفسه وتشرّف بلقائه وطلب منه السفر، فامتنع السيّد فقال له الحاكم: إنّ امتثال أمر السلطان لازم ونحن لا نستطيع مخالفة أمره. فقال السيّد: لا أذهب باختياري. فيئس الحاكم وأرسل إلى السلطان يخبره بالأمر، فكان ذلك موجباً لوثوق السلطان بالسيّد إلى أن جاء السلطان إلى إصفهان

فأخذوا السيّد للقائه، فقال له السلطان: اطلب مني شيئاً. فأبى السيّد فأصرّ السلطان فقال له السيّد أخيراً: ما دمت مصرّاً فإني أطلب منك أن توقف قرع الطبول[1]. فسكت السلطان، وعند خروج السيّد قال السلطان لأمين الدولة: عجيب هذا السيّد إذ يطلب مني أن أوقف قرع الطبول السلطانية وهي علامة الملكية: فطلب أمين الدولة المعذرة، وبعد سنة جاء السلطان إلى إصفهان فذهب السيّد لرؤيته، وبعد انقضاء المجلس قال السلطان لأمين الدولة: هذا السيّد غير السيّد الذي رأيناه في السنة السابقة فهو الآن أكثر ذكاء.

وأمّا أخلاقه فقد كان في الحقيقة أوحد زمانه، فعندما أتى إلى إصفهان سكن في مدرسة «جهارباغ» ودرّس فيها، فأدرك المدرّس فيها أنّ السيّد رجل عالم فلم يرض أن يسكنها حتى لا يأتي وقت يدّعي فيه أُمور المدرّس، فأمره بالخروج بلا سبب فخرج من المدرسة.

وكان الحاج الكلباسي يقدّمه على نفسه في المجالس والمحافل وهو أكبر منه بعشر سنين، وكان الملّا علي النوري أيضاً له الدور الكبير في اشتهار هذا المعظّم، فكان يقدّمه في المجالس على نفسه وعلى الحاج الكلباسي.

وعندما رجع السيّد من سفر مكة المشرفة، وفي كربلاء كان هناك شخص من معاصري السيّد ورفاقه في أيام الدراسة، وكان لا يزال مقيماً في المدرسة، وكان السيّد يصلي الجماعة في صحن سيّد الشهداء ﷺ، فجاء ذلك الصديق بعد صلاة العشاء وقبّل يده وقال له: أرجو ان تشرّفنا في المدرسة ولديّ خبز وماء لحم حاضران. فقبل السيّد وقال: لو دعوتني قبل الآن لما أتيت إلى منزلك ولكن

---

(١) كانت تقرع الطبول من الأماكن المرتفعة عند بعض المراسم، وهذه عادة ملكية، ويراها الذاهب إلى مشهد في هذه الأيام إذ صارت عادة عند الغروب أن تقرع الطبول. (المترجم).

دعوتك الآن كاشفة عن بساطة وعدم تكلّف. فذهب معه السيّد إلى منزله وتعشى معه ورجع.

وكان الشيخ محسن جعفر من مشاهير مشايخ وفقهاء النجف وفاضلاً وماهراً في الفقه، ومن تلامذة الشيخ علي ابن الشيخ جعفر، وقد حضرت درسه مدّة من الزمان، وكان يقول: «الشيخ محمّد حسن لا يفهم شيئاً». وذهب إلى إصفهان فقال: إنّ فضيلة السيّد محمّد باقر أكثر من شهرته، وشهرته أقل من فضيلته.

وأمّا سطوته وصولته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأكبر من أنّ تحدّ وصفها الأقلام والأوراق، كما نزلت في أوصاف أسلافه هذه الآية ﴿لَو كَانَ البَحرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبّي...﴾[1] ففي بداية أمره حيث لم يكن معروفاً في إصفهان بعدُ كان ماراً في إحدى الأزقة، فرأى جماعة أشرار مشتغلين باللهو والموسيقى، فتقدّم قاصداً ضربهم، فأخذوه وحبسوه حتى علم الطلاب بالخبر، فأخبروا إمام الجمعة الذي أرسل من يخرج السيّد من الحبس، مع أنّه كان ضعيف الجثة قصير القامة نحيفاً لم يكن يأكل طعام الغداء حتى عند عدم صيامه.

وكان يصلّي الصبح في المسجد ثم يجلس للمرافعات حتى يحين وقت الظهر فيصلي الظهر، بوضوء الصبح بل أحياناً يصلّي العشاء بهذا الوضوء. ولا يتناول الطعام إلّا أحياناً يشرب شراب «السكنجبين» في وسط النهار وأحياناً كان يتناول الغداء، وهو ممّا يثير التعجّب.

وعندما ورد محمّدشاه إصفهان جاء السيّد على جمل لرؤيته، وكان معه السيّد علي نقي العرب يقرأ القرآن ـ على عادته أمام جنابه ـ بصوت حسن مرتفع، وكان محمّد شاه ينظر من عمارة الأيادي السبعة من بعيد وعندما اقترب من معسكره تلا

---

(١) الكهف ١٨ / ١٠٩.

السيّد علي نقي ﴿قُلِ اللّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤتِي المُلكَ...﴾[١] وعندما وصل إلى آية ﴿تُعِزُّ مَن تَشاءُ﴾[٢] قال محمّدشاه: قطعاً العزّة بيد الله حتى صار هذا الرجل عزيزاً هذه العزّة.

والسيّد علي نقي العرب من أهل الكاظمين‌ﷺ، يقرأ القرآن بطريقة الحجاز بشكل حسن جداً، وكان يتولّى التكبير خلف حجة الإسلام لصلاة الصبح في مسجد «بيد آباد»، وكان يسمع صوته إلى مسافة نصف فرسخ خارج المدينة فتسمعه القوافل.

والحاصل: أنّه عندما اقترب ليدخل إلى المعسكر تلا السيّد علي نقي هذا الآية: ﴿يَا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾[٣]، فاجتمع مباشرة أفراد المعسكر من جنود وأعيان الدولة ولم يتمكّن الأغلبية من تقبيل يد السيّد فقبّلوا دابته، فتحيّر محمّد شاه. وعندما وصل إلى باب منزل الشاه تلا هذه الآية: ﴿إنّا أرْسَلْنَا... إلى فِرْعَونَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾[٤].

ومن الأمر بالمعروف لجنابه: أنّه قتل سبعين شخصاً بالحدّ الشرعي، أمّا إجراء الحد غير القتل فكثير جداً. وفي المرة الأولى التي حكم فيها بالقتل بسبب اللواط كان كلّ من يطلب منه تنفيذ ذلك يرفض، حتى قام بنفسه وضربه ضربة فلم تؤثّر، فقام شخص وقطع رقبته، وصلى عليه ثمّ غشي عليه وقت الصلاة فقيل في مدحه قصائد كثيرة من العرب والعجم وقد جمعت وصارت ديواناً كبيراً. وممّا قيل في مدحه من أشعار العرب هذا الشطر:

---

(١) آل عمران ٣ / ٦٢.

(٢) آل عمران ٣ / ٢٦.

(٣) النمل ٢٧ / ١٨.

(٤) المزمل ٧٣ / ١٥ـ١٦.

أنا الذي أحتاج ما يحتاجه

أي أكون أنا مثل لفظ «الذي» فكما أنّه محتاج إلى الصلة فكذلك أنا محتاج إلى الصلة والإنعام.

ولم يكن جنابه يذهب لزيارة أحد، ولم يكن يذهب ضيفاً عند أحد، ولم يذهب للقاء الحكام في البلد أبداً. نعم كان يذهب للقاء السلطان أيام وروده إلى إصفهان، وكان إذا ذهب حاكم إصفهان ليتشرّف بلقائه يسلّم عليه عند الباب ويقف معه على الباب، فتمضي ساعة دون أن يلتفت جنابه ثم ينظر بعد ساعة ويدعوه للجلوس ولم يكن يتواضع له. وكانت هناك ثلاثة تشكيلات حتى مكتبته عند كلّ منها يجلس حاجب، وكان مرافقوه كثر وكان عنده رئيس خدم. وذهب في بعض الأزمنة إلى مكة وكان ذلك أيام محمّد علي باشا المصري وكانت له زيارة له فأخذ منه فدك وكفّل بها سادات المدينة.

وقد فسّق جنابه ثلاثة من علماء العصر:

أحدهم: الملّا أسداللّه البروجردي، وكان من تلامذة السيّد محمّد المرحوم، وكان مجازاً، وكانت زوجته ابنة الميرزا القمي، فأقنع السيّد جماعةً من علماء بروجرد ـ مثل الملّا علي وغيره ـ بفسقه ففسّقه.

والثاني: الميراز محمّد تقي النوري من تلامذة الحاج الكلباسي، وكان على حدّة من الإدراك، وتلمذ مدّة للسيّد علي، وكان في الأُصول ضعيفاً، وكان يقوّي الأقوال الضعيفة، مثل: قوله في المضاف بأن النجاسة تسري من السافل إلى العالي، والحال أنّه قول خلاف فتوى المشهور، بل فيه نقلان للإجماع على خلافه؛ ويرى أنّ التسبيحات الأربعة في آخر ركعتي الظهر والعصر والعشاء وآخر ركعة من المغرب يجب قراءتها ثلاث مرات وجوباً عينياً؛ وكان يشرب النرجيلة في شهر رمضان

على المنبر ولا يرى الدخان مفطراً. والشيخ حسن ابن الشيخ جعفر النجفي وصاحب المدارك وجمع آخر وإن أفتوا بعدم مفطرية الدخان ـ كما أنّ القاعدة تقتضي عدم مفطريته والتمسّك بالأولوية لا يخلو من صعوبة ـ لكن الافتاء والتدخين علانية خلاف طريقة الفقهاء.

وعلى كلّ فالميرزا المذكور له فتاوى غريبة خارجة عن قانون الفقاهة، لكنّه كان في الأمر بالمعروف أوحد زمانه ونادر عصره، وشهد جماعة من أهالي نور عند حجّة الإسلام بفسقه فحكم السيّد بفسقه. وأحضره فتح علي شاه إلى طهران حيث أفتى بالنرجيلة لكي يؤدّبه، فدخل معه في الاحتجاج وقال للميرزا كلاماً غير لائق، فقال الميرزا: ارسل إلى أعلم علمائكم السيّد محمّدباقر ليأتي إلى طهران ويحاورني في أمر النرجيلة. فقال له السلطان: أمصروع أنت لكي يأتي السيّد محمّد باقر الكذائي من إصفهان من أجلي وأجلك؟! فتوسّط بعض الأعيان فتجاوز عنه السلطان.

الثالث: هو الملّا صادق الرشتي، وكان في الجملة محيطاً متكلّماً بارعاً في الوعظ، وكان ممتازاً عن علماء تلك المنطقة بكل علم، وكان من تلامذة السيّد علي، وعمّر مدّة ١١٧ سنة وكانت حواسه سليمة، وقد حضرت وعظه فكان يطرح المسألة وإن كان عاجزاً عن إتمامها، وجرت بيني وبينه مكالمات والمسألة المتنازع فيها بيننا هي في قول المحقق الطوسي في التجريد: «وتحديدهما بالثابت العين والمنفي العين...» إذ سألني الملّا: لماذا قال: «تحديد» ولم يقل: «تعريف»؟

وكانت له مع والدي الماجد والخال المفضال السيّد علي صداقة ومحبة شديدة. وكانت زوجته من بعض القرى واسم أبيها كريم، وولد له منها أولاد، وفي يوم جاء الملّا إلى البيت فرأى أولاده يجلسون على سرير كان في البيت وإلى جانبهم جلس

إخوانها بألبسة فاخرة إلى جانب أولاد أُختهم فأنشد بالبداهة هذا الرباعي:

بنو كريم جلسوا بالتخت   وهكذا يفعل أهل اليخت
قد بدلوا الفاكون بالسرير   واستبدلوا الكرباس بالحرير

و«الفاكون» كلمة رشتية تعني بيتاً حقيراً كان يبنيها القرويون قرب البيوت. ومقصود الملّا من هذه الأبيات أن أخوال أولاده لا نجابة لهم وقد وصلوا إلى النعمة والعزة من خلال علاقتهم بأولاده.

والحاصل: أن بعض أهالي رشت اجتمعوا وشهدوا عند حجّة الإسلام بفسقه، فكتب السيّد إلى أهالي رشت بفسقه، فعرف الملّا صادق بالأمر وكيفيته فصعد المنبر وقال كلاماً قاسياً وأن الأمر قد اشتبه على السيّد. وفي الواقع فإن الطرفين ناجيان وعلى حق. والله العالم.

والمناسب في هذا المقام أن أذكر هذه الحكاية الجميلة وهي: أن الميرزا مسيح من تلامذة الفاضل القمي وساكن طهران، وهو مَن أخرج سفير الروس من طهران بسبب تجاهره بالكفر والفسق وبعض الأُمور. والآغا محمود ابن الآغا محمّد علي ابن الآغا محمّد باقر البهبهاني رجل فاضل جامع، وكان مسلكه مسلك الأخباريين، وكنت قد جلست معه لوعظه، ثم كفّره الميرزا مسيح، وبعد مدّة ذهب الميرزا مسيح إلى قم للزيارة فكان يصلّي في مسجد الإمام الحسن العسكري ﷺ، فحضر يوماً الآغا محمود إلى مسجد الإمام الحسن ﷺ فرأى صلاة الجماعة منعقدة فسأل عن الإمام فقيل له: الميرزا مسيح: فاقتدى به الآغا محمود ثم عاد إلى منزله، فسأله أصحابه: إنّ الميرزا قد كفّرك وأنت تقتدي به؟! فقال لهم: وما هي المنافاة بين أنّ يعتقد هو بكفري وقد اشتبه عليه الأمر، وأن اعتقد أنا بعدالته، وكلانا مثابان ومأجوران؟ وعندما وصل هذا الخبر إلى الميرزا مسيح تعجّب من أخلاق الآغا

محمود، وأتى لزيارته وتبدّل البعد بالصداقة.

وبالجملة: فقد كان يجتمع في بعض أيام الصيام للصلاة في مسجد حجّة الإسلام ما يصل إلى ٢٢ ألفاً، وكان جنابه معروفاً في أقاليم الشيعة والدول الأُخرى، وكان حكمه نافذاً في كلّ مكان وله مقلدون في كلّ الأصقاع، ولم ير بين علماء الإمامية من هو مثله في الثروة لا عند السلف ولا عند الخلف. نعم السيّد المرتضى علم الهدى كان صاحب ثروة لكن ثروة حجة الإسلام أضخم، وكانت سطوة وقدرة السيّد المرتضى أيضاً عظيمة.

وأمّا سخاء حجّة الإسلام فهو أكثر من أن يصفه الواصفون؛ لأن جوده المبارك طغى على اسم البرامكة وحاتم. قال الملّا علي أكبر الخوانساري: دخلتُ يوماً إلى مكتبة حجّة الإسلام وقد وضعوا أمامه من الذهب الأحمر والأبيض من مال الإمام‪‬ مقداراً كبيراً بحيث أخفى جنابه الذي يجلس في الجهة الأُخرى، وصار ذلك المال حائلاً بيني وبينه، فطلب لي نرجيلة وشرعت في تدخينها، وكان الفقراء والسادات قد عرفوا فحضروا فكان يعطي كلّ واحد منهم قبضة من ذلك المال، فانتهى المال ووزّعه ولم أنته من شرب النرجيلة فقلت له على سبيل السرور والتعجّب: إنك ذو جرأة على أموال الإمام؟! فقال: بل الابن يتصرف هكذا في مال أبيه.

وفي يوم كنت ذاهباً من المنزل إلى مدرسة الميرزا حسين، وفي أثناء الطريق أردت المرور بزقاق قرب بيت السيّد لكن كان الطريق مسدوداً من كثرة ما اجتمع من الفقراء والسادات، فسألت عن الأمر فقيل: إن هؤلاء اجتمعوا لأنّه جاء إلى حجّة الإسلام ما يعادل ٨٠٠ تومان من مال الإمام من بروجرد فدعا السيّد فقراء والسادة ليعطوا مال الإمام. وبعد حضورهم كان يعطي لكل شخص ربطة أو أكثر و

تمّ توزيع الجميع في تلك الساعة.

وكان من جملة شعراء أهل البيت عليهم السلام في تلك الأزمنة الملّا قربان علي المتخلّص بـ«بيدل» وهو من أهل رودبار ويسكن في قزوين وبيني وبينه صداقة، فجاء يوماً إلى حجرتي وقال: اليوم جئت فقط لتدخين نرجيلة. فقلت لأحد التلامذة وهو من الأتراك أن يهيّئ هذه النرجيلة ولم يكن على خبرة بها فلم تكن صحيحة ومهما دخّن بيدل فلم يحصل على فائدة، فأنشد هذا البيت:

عندما أريد التدخين فإمّا
أُدخن النرجيلة أو الخجل

فقمت وأصلحته. وكان بيدل في بداية أمره لا يحترز عن أي عمل ولا يتّقي، لكنه تاب بعد ذلك وصار زاهداً عابداً بل أزهد وأعبد أقرانه، وكتب في المصيبة كتاباً في آثار الحزن ففاق كتب المصيبة، ولم يكن ينشد مدحاً في غير أهل البيت عليهم السلام ولا يهجو، بل أشعاره منحصرة بالمراثي والنواح والمصيبة، اللهم إلّا هذا الرباعي الذي قاله للميرزا آقاسي وزير السلطان محمّد شاه، وهو:

لم يدع الميرزا للشاه فائدة
صرف قنوات ومدافع قليلة أو كثيرة
فلا الماء ينفع مزرعة الصديق
ولا المدفع للخصم يؤذي

وعندما سمع الميرزا آقاسي ذلك أنهى وقضى إليه أمواله.

وأيضاً شخص كامل طويل اللحية أخذ إلى شخص واسطة عمل الأب وكان ذلك الشخص إما مقصراً أو قاصراً وقال بيدل شعراً في وصف لحيته:

معنعن طويل اللحية
طولها من سيجقان إلى تنكوزئيل

وكان بيدل يقول: إنّ محتشم قال بنوده الاثني عشر في مدّة سبعة عشر عاماً أي قال هذه الأشعار وأصلحها خلال سبعة عشر عاماً وبعدها قدّمها للناس لينسخوها.

ولبيدل كرامات كثيرة، منها ما قاله: إنني كتبت مقداراً من كتاب المصيبة ثم صرت مديوناً ولم يكن عندي شيء فتركت الكتابة، وفي وقت المغرب طُرق الباب ففتحته ورأيت شخصاً بيده كيس فيه مال أعطاني إياه وقال: أدِّ دينك من هذا المال وأتمّ كتاب المصيبة.

وقال: ذهبت إلى كربلاء سيراً على الأقدام، وبعد مدّة لم أجد طعاماً وكنت وحيداً وقد كنت جائعاً إلى حد أنني لم أستطع السير، وكانت هناك خربة قد تحطّمت حيطانها فجلست من وهن الجوع واتكأت على حائط فلم أكن أقوى على الحركة، وفجأة لفت نظري ثقب في ذلك الحائط المهدوم، فنظرت فيه ورأيت خبزاً يابساً كثيراً فأخذت منه وأكلت ما يسدّ الرمق، ثم سددت ذلك الثقب فلم ينفع.

وقال: أيام السفر والسياحة كنت في بعض الأوقات في صحراء بعيدة عن العمران، وجاء الليل ولم آكل شيئاً منذ وقت، وعندما جاء وقت المغرب وقفت في الصحراء للصلاة فصليت المغرب وجلست مشتغلاً بذكر اللّه وقد سيطر عليّ الضعف، وفجأة ظهر شخص وقد مدّ سفرته وعليها خبز طازج ودعاني لتناول الطعام فأكلت حاجتي ورفع الباقي وذهب.

وبالجملة: صار بيدل في بعض الأوقات مديوناً فذهب إلى إصفهان عند حجّة الإسلام وعرض عليه دينه، فأعطاه مئة تومان نقداً وحوالة بمئة تومان إلى تاجر في بروجرد، فذهب إلى التاجر ليقبضها وأبرز له الحوالة فلم يقبل ذلك التاجر فذكر

الأمر لحجّة الإسلام الذي كتب له حوالة أُخرى بمئة تومان إلى تاجر آخر فقبل بها وأعطاه المئة. وبعد ذلك طلب التاجر الأول من بيدل أن يأتيه بالحوالة ليعطيه مئة تومان فقال له بيدل: لقد دفعها التاجر الثاني. فرجاه التاجر الأول حتى يعطيه هو، فعرض الأمر على ذلك العظيم فكتب له: ما قبضته أيضاً منه قـد أعـطيتك إيـاه. فاجتمع عنده ثلاثمئة تومان.

وفي يوم عيد الغدير كان كلّ واحد من تجّار إصفهان يدفع للسيّد ما يناسبه من المئة أو المئتين أو أكثر أو أقل ليوزّعها على الفقراء، فصعد المنبر في أحد أيام عيد الغدير ووضع إلى جانبه أكياس الأموال من الذهب الأحمر والأبيض ومن المـال الأسود والدهشاهي[1] والألف دينار، وطلب من الفقراء أن يصطفّوا ويعطي كـلّ واحد فيخرج من باب آخر، فكان يعطي كلّ واحد قبضة مهما بلغ مقدارها حـتى انقضت ساعة وقد بذل المال للفقراء، وحسبوا المال فكان سبعة عشر ألف تومان.

وكان من ماله محلان: مخبز ومحل للقصابة، فالخبز من ماله وأُجرة العمال من ماله والمحل من ماله وكذا المحل الآخر. وكان مصرف هذين الدكانين للفقراء يُعطي الفقراء قسائم الخبز واللحم، ولعلّ ألف شخص بل ألفا عائلة كانوا يقتاتون عـلى خبز ولحم هذا المعظم.

وحكىٰ شخص: إنني ابتليت بالفقر مدّة ولم أكن أستطيع العثور على طـعام، وفي ليلة كنت أمر في بعض الأزقة فرأيت حجّة الإسلام يعبر هذا الزقاق وعندما وصل إلي أعطاني قبضة من الذهب الأحمر ومشى.

وفي سنة الطاعون اجتمعت أموال كثيرة في مـدينة رشت ممّـا لا وارث ولا مالك له، فجاء فتح علي شاه للقاء السيّد وقال له: إنّ السلطان صار صاحب عيال

(١) عملة يقال لها عشرة شاهيات (المترجم).

وكثير الفقر فاعطنا حوالة من هذه الأموال التي جمعتها في رشت. فأعطاه السيّد حوالة بمبلغ عشرين ألف تومان. وكان يعطي كلّ سنة فقراء المدينة أموالاً. وقد أعان الطلاب كثيراً بل كان يرعى الرؤساء والأعيان والتّجار والأُمراء فيمدهم بالقروض.

وبنى في «بيد آباد» مسجداً يقال: إنّه لم يبن مسجد مثله، وصرف على بناء المسجد مع الأرض ستين ألف تومان، وعندما توفي وجدوا أنّه بقي لمصاريف المسجد سبعون ألف تومان. وفي زمان المرحوم فتح علي شاه الذي كان محسناً ومتلطفاً مع العلماء ذهب مع السيّد لمشاهدة المسجد، فطلب السلطان المشاركة في هذا المسجد فلم يقبل السيّد، فقال له السلطان: لكنك لست قادراً على إتمام هذا البناء. فقال له السيّد: أنا باب خزينة اللّه.

وفي السنة التي توفّي فيها كنت في بإصفهان وادّعى عليه أمين الدولة مبلغ عشرين ألف تومان، فقال له جنابه: أنت أعطيتني تلك الأموال حتى أُعطيها للفقراء من باب ردّ المظالم فأعطيتها. فقال له أمين الدولة: أنا وضعتها عندك كوديعة. فقال السيّد: إن ذمّتي بريئة من أموالك، لكن ما دمت لم تقبل فقد قبلت أن تكون تلك الأموال التي أعطيت للفقراء من مالي. فأوصى أن تدفع هذه العشرون ألفاً في قضاء الدين.

كما ادّعى في ذلك الزمان رجل من طائفة الحاج غفور على السيّد فقال له السيّد: أنت أعطيتني المال لأُعطيه للفقراء وقد فعلت وذمتي غير مشتغلة بشيء لك. فقال له ذلك الشخص: أنا جعلت ذلك المال وديعة عندك. فقال له السيّد: ما دمت تراجعت فإنّي أحسب ذلك المال الذي أعطي للفقراء من مالي. فأدخل مال ذلك الرجل في القروض التي عليه وأوصى أن تعطى له.

وأساتذة جنابه هم: الملّا مهدي النراقي وبحر العلوم والسيّد علي والميرزا القمي وأمثالهم، كما تقدم ذكرهم في إجازة السيّد محمّد باقر القزويني.

ولا يخفى أنّنا لم نذكر مسجد حجّة الإسلام ببيان كافٍ لأنّه محتاج للرؤية، وقد اشتمل على خمسين باباً للمدرسة. وبعد إتمام المسجد قال الملّا علي النوري عدّة أبيات في وصفه وأرسلها إلى حجّة الإسلام، فقال السيّد: ليس عندي ما يليق لهذه الأشعار من جوائز ولو أنّني نثرت كلّ ما أملك لهذه الأشعار فهو قليل.

والملّا علي النوري صار عجوزاً وقد عمّر، وكان السيّد والحاج الكلباسي يدرسان عنده في سوابق الأيام، فجاء يوماً إلى المسجد ليقتدي فغشي عليه في وسط الطريق من ضعف الشيخوخة ثم عاد إلى وعيه وذهب إلى المسجد، فرأى أنّ السيّد لم يأت ذلك اليوم، فانزعج جداً وقال: إنني بهذا العمر أتيت إلى المسجد لأدرك صلاة الجماعة وأنت لا تأتي؟!

وكان الملّا علي أقرب إلى الشريعة من بين جميع الحكماء، وكان في بداية أمره مقلّداً للميرزا القمي وبعد ذلك صار يقلّد حجّة الإسلام، وقد درّس الملّا علي نصف شرح حكمة العين في مدّة تسع سنين. وفي سنة ذهب هو والميرزا القمي في قافلة واحدة إلى العتبات، وأثناء الطريق سأل الميرزا الملّا عن أشعار الملّا الرومي وكان يحفظها صفحة صفحة وورقة ورقة، فقال الملا: لست كثير التعمق بهذه الأشعار، وليس عندي حفظ للأشعار كحفظك.

وجاء الملّا يوماً لرؤية السيّد علي صاحب الرياض ولم يكن السيّد معتاداً على النرجيلة، والملّا معتاد عليها فأتوا بها للملا علي وكانت ذات منافذ كثيرة ولم تكن محكمة فهما دخّن فلم يكن فيها فائدة، فقال السيّد: هذه النرجيلة التي يقول عنها الأخباري: إنها حرام لا النرجيلات الأُخرى. فضحك السيّد وأمر

بأن يأتوا له بنرجيلة غيرها.

وليعلم أنّ النرجيلة قد أُحدثت في أواسط زمان الملّا محمّد باقر المجلسي، ومنع منها السلطان فلم يمتنع الناس فكانوا يدخّنونها في السرّ والسراديب وتحت الأرض، فاطلع السلطان على ذلك فضيّق كثيراً على إخراج التنباك لعل الناس تتركها، فلم ينفع فجعل جمركاً كثيراً على تنباك شيراز، لكن السيّد الجزائري كتب في الأنوار النعمانية: إنّهم وجدوا كنزاً أكثره من الوسائل القديمة وكان فيه أيضاً آلات النرجيلة، وهذا يدل على أنّها قديمة العهد.

وبالجملة: كان الملّا علي مهتمّاً في إشهار السيّد، وقد كان هو نفسه مسلّم القول يؤخذ بما يقوله فقبل الناس منه. وكان أكثر اهتماماً من الفقهاء في إضلال وتكفير الصوفية، وكان يقول: أنا من أهل الخبرة وأمثال هؤلاء الأشخاص كفّار. وكان بالاتّفاق مرجعاً في العلم الإلهي على الملّا صدرا. وعندما ذهب إلى شيراز كان للميرزا أبوالقاسم الصوفي المشهور بالسكوتي منزل فيها، فجاء الناس لرؤية الملّا وكان في المجلس شخص يعرّف الملّا علي على الحضور إلى أن جاء الميرزا أبوالقاسم السكوتي لملاقاة الملّا علي، فقال المعرّف: هذا الميرزا أبوالقاسم السكوتي. فردّ الملّا يده وقال: هذا الرجل نجس وكافر فليخرج من مجلسي. فخجل الميرزا أبوالقاسم ورجع من المجلس، وعندما أراد لبس حذائه قال لأصحاب الملا: الحكم حمار وصغير.

وفي بعض الأوقات كفّر الناس صوفياً معروفاً فاستفتوا الملّا الذي كتب جواباً مفصلاً في تكفيره وقال: إن فتوى قتله بيد المجتهدين، فذهبوا إلى السيّد ليحكم بالقتل، فكان السيّد في هذه الأُمور يتباطأ رعاية للتكليف الشرعي، ثم جاؤوا مرة أُخرى إلى الملّا فانزعج كثيراً من السيّد وقال: أنا من أهل الخبرة بهم، وهم كفّار

والحكم بالقتل تكليف حاكم الشرع، فلماذا هذا التساهل والتسويف؟

ويقال: إنهم سألوا الملّا علي النوري: إذا سقطت سمكة في البئر فكم دلواً ينزخ منها؟ فتأمّل ثم قال: لا أعرف حكم هذه المسألة.

والفضلاء من تلامذة الملّا علي كثيرون منهم: والدي الماجد والملّا عبداللّه ونوزي الذي كان مدرّساً في مدرسة خان مروي وقد أدركت درسه أيضاً، والملّا القزويني وقد تلمذت له، والملّا هادي السبزواري ولي معه حكاية تقدّم ذكرها، والحاج محمّد جعفر اللنكرودي وقد درست لديه الشواهد الربوبية مع الآغا محمّد مهدي ابن الحاج الكلباسي، والسيّد رضي المازندراني وقد تلمذت له أيضاً في العلوم العقلية.

ومن تأليفات الملّا علي كتاب حجة الإسلام في ردّ شبهات البادري، وشرح حديث أمير المؤمنين، وحواشٍ على شرح أُصول الملّا صدرا.

وكان من أرشد تلامذة الملا: الملّا إسماعيل واحد العين الإصفهاني الذي كان له حوار مع الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة وألزمه.

وعندما توفّي الملّا بكى الحاج كلباسي عليه كثيراً وكان يقول: من يرفع بعدك شبهات معاندي الأسلام. ووقف الشيخ علي ابن الشيخ جعفر في النجف لاستقبال جنازته وحملها على كتفه، ودفن حسب وصيته في محلّ حذاء أمير المؤمنين.

ومن المناسب أن نذكر رسالة الملّا علي النوري للميرزا القمي؛ لأنّها في غاية اللطافة ومشتملة على مسائل لا تحصى وتحقيقات كافية، وهي كما يلي:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

يبلّغ المخلص المهجور المشتاق البعيد عن فيض خدمتك لموقف عرض

الواقفين محضر خزانة السعادة أن كثّر اللّه تعالى في سبيله أعوانه وأنصاره، وعظّم اللّه سبحانه في أرضه قدره واعتباره.

وبعد الدعاء المعرّى من الرياء أنّه وإن كانت الكأس السحرية تجعل ضمير المحب المنير يظهر حاجته لكن هناك ماهي الحاجة؟ لكن حقاً وعزة اللّه تعالى المشاهد والمطلع على الحال التي يكتنفها الإخلاص وعلى صدق هذا المقال من أن هذه العقيدة في نظرتها إلى ذلك الصاحب عديم المثال، هي كسلامان بالنسبة لآبسال.(١)

لا تغفل عن حالي الضعيفة فأنا معك كسلامان مع آبسال.

مشتاق وبعيد فالروح مغمومة مشتاق وهذا البعد من ذلك.

والطور وكتاب مسطور فإن ابن عمران خلاصة العصر دستور الأعمار، فمثل موسى طلب خدمة من شعيب البريء من العيب، وهو وإن كان مستعجلاً للوصول إلى طور في عين الاحتجاب فلم يأت الجواب من الحجاب إلا عتاب بـ﴿لَنْ تَرَانِي﴾فسعي الهيولى حينئذٍ بلا ثمرة.

إلّا إذا تقدّم لطفكم عدّة خطوات

فـلم يكن جذب من المعشوق

فسعي العاشق المسكين لن يوصله لأي مكان

طبعاً مثل السنة الماضية سعيت هذه السنة وخلال شهرين للسفر كي أصل لخدمتك، لكن الموانع لعديم السعادة من حب الولد وحب الوالدة وأبو البصير أبوالسعادة الذي ساعد شهريار مصر لم يكن إلا من سوء الطالع. والظاهر أنّ الابن

(١) وهما شخصيتان تاريخيتان بينهما حب يضرب به المثل، مثل قيس وليلى. (المترجم).

﴿ الأعراف ٧ / ١٤٣.

بلا أب يتيم وماذا يقول:

مشـــتاق ومـــهجور وهـــذا فـــعل البـــعد بي
وســـيكون حـــتى لمس اليـــد غـــاية الصـــبر
فـــيا صـــاحبي كـــلّ النـــاس لا تـــصبر عـــلي
إلا أنــــــــــني أطــــــــــلب الوفــــــــاء
فـــاطلب لي الصـــبر مـــن اللّـــه أيهـــا العـــفيف
وإن لم يكـــن للـــصبر مـــعارضة مـــع البـــعد
لكن الصبر لا يكفي لتـحمل مـقاومة المشـتاق

وفي المثال:

تحـــــفظ شـــــعلة الشـــــمع
والحرير يؤخذ من قرب النار

وقالو: الصبر حلّ الفراق. وما هذا الكلام ومـن دون الحـرير تـبق الشـعلة محفوظة. لكن ما السبيل وقد خاضوا في فن عجيب. فاصبر أيّهـا القلب إنّ الصبر سيرة أهل الصفاء، وسبيل العشق تحمّل شرط المحبّة والوفـاء والمأمـور مـعذور، ولنجلس ولنعدّ الصبر، ولنقم بأعمالنا فالأُمور مرهونة بأوقاتها.

اكتب ـ في عجالة ـ عدّة مسائل في صفحة مستقلّة مع عريضة خالصة مرسلة إلى عالي الجناب، قدسي الألقاب، زبدة الأطياب، قدوة الأحباب، قرّة عين أولي الألباب، عمدة العلماء العظام، أُسوة الفضلاء الكرام، العلام الفـهّام، مـولانا مـلاذ الأصدقاء الآخوند الملّا محمّد علي النوري سلمه اللّه تعالى، مـن جـانب مـفيض الجوانب المرشد الكامل المرخّص في كيفية العمل بها، وإن كان يمكن تحـصيل رأي مطاع الأنام من ملاحظة غنائم الأيام ومطالعة مرشد العوام وتحلّ بها عقد كثيرة،

لكن الإفاضة الجديدة لها فوائد كثيرة. والغرض من ازعاج الأُستاذ الوصول للقمر العالي وسماء الرحمة، وكلنا سمع لما تأمر. ومن اللائق أن يأخذ المحسنون حسناته ويتمسّكوا بها، ومحلّي محلّ عبد سيء الطبع فلا دين ولا دنيا ولا أمل بالجنة، وكالكفار المفلسين السيئين.

بعد نصرة حضرة الباري بمساندة أحباب اللّه وبالخصوص من خلال دعاء الاستجابة «أنتم» فيأمل أحباب ذلك الصاحب حصول سعد إلا إذا وهب الكبار حتى لا نزرع البذر.

نعم نتمنّى من ألطاف ملاذ الأشراف أن يجيب بسرعة في ذيل كلّ سؤال، ويرسلها مع شخص معتبر فتكون له منّة زائدة على منّة الصداقة المخلصة. وهي مورد حاجة شديدة في هذه الأوقات من بعض الجهات، ونأمل أن ترسلوا لنا نسخة مصحّحة من مرشد العوام لتكون عين المخلص في دلال.

وورد هذا البستان لا يبقى دائماً نضراً

ســـاعد الضـــعفاء عـــند القـــدرة

وقد سمع عن الروضة الذهنية للصاحب، فللأصدقاء أمل أن يتنسّموا عبير هذه الحديقة المخزونة؛ لتتعطّر أرواحهم من هذه الحديقة الغيبية التي لا ريب فيها، ولتتلقّ من الفيوضات الروحانية والسعادات الأخروية من الذات القدسية صاحبة الصفات والملكات، لذلك المطاع، فقد رفعت الحيرة الظاهرة في المادة من طهارتك، وواضح أنّه دليل جمع الخاطر.

والمترقّب ظهور التحنّن والتوجّهات بإرسال التعليقة فلها ولرد الخدمات جهة دلالات توجب المباهاة من جانب ذلك الصاحب شريف المناقب أبقاه اللّه في الأيام عالياً.

ويذكر هذا الحقير أنني منذ عشرين سنة خلت كنت أدرس لدى العالم العامل الأُستاذ السيّد حسن في قزوين، وهو أخو العالم العامل السيّد حسين طاب ثراهما، درست الفقه وأصول الفقه، وذكر السيّد المرحوم لي ولرفاق البحث يوماً أثناء بحث صلاة الاحتياط أنّ التسبيح في ركعات الاحتياط أولى وأحوط؛ لأنّه بدل عن الركعتين الأخيرتين، وذكر أنّ طريقة جده ووالده وأخيه وهو أيضاً في صلاة الاحتياط ذلك النحو، وأوصانا بذلك وأن لا نفعل غير ذلك، ولحسن ظنّي به سلكت هذا السبيل وحتى أثناء الدرس في إصفهان عند قدوة العلماء وعمدة الحكماء الأُستاذ الميرزا أبوالقاسم ودرست الكتب الفقهية لم أترك الطريقة العلمية التي استفدتها من جنابه.

وكنت في خدمة فيض الموهبة فخر المحقّقين، ملاذ طلاب اليقين، قدوة الحكماء الإلهيين، محيي مراسم العرفاء المتشرّعين الموحّدين، السيّد السند وسيّد الجميع محمّد بن محمّد رفيع رفعه اللّه تعالى مع الأئمة الأطهرين عليهم السلام وكان يوصيني مراراً بأن لا طريقة للنجاة في زمان غيبة المعصوم إلّا بسلوك سبيل الاحتياط، وعليك العمل بمقتضى حديقة ملاذ الفقهاء المولى الجليل المؤيد المنصور مولانا الملّا محمّد تقي المجلسي طاب ثراه وجعل الجنة مثواه. وحسب الأمر الأعلى سلكت، وخلال هذه المدة كنت أرجع إلى الحديقة وأعمل بها قدر الوسع وقليلاً ما كنت أتخلّف عنها. ومع ذلك فبخصوص صلاة الاحتياط كنت إلى مدّة وقبل الآن أقرأ التسبيحات الأربعة إلى أن خطر على بالي ـ من حسن الحظ ـ التفحّص والتتبّع فرأيت أنّ الاحتياط على خلاف ذلك خصوصاً عندما راجعت مرشد العوام ورأيت التصريح بعدم الجواز، وفي هذه الحالة ليس لي بالضرورة إلّا البحث عن كيفية تدارك ذلك.

وعندي في هذا المورد عدّة أسئلة سأعرضها بالتفصيل مع ذكر الجواب في

ذيل كلّ واحد منها وإن كنت على وجه السرعة وحسب استنباطي ورعاية جانب الاحتياط مشتغلاً بإعادة صلوات الاحتياط والحمد للّه حتى أعرف مـاذا يـقرّر جناب عزيز الجانب المطاع، فالمطلوب كتابة الأجوبة الحكيمة مع رعاية الأهـم ـأيّها الصاحب المطاع وقبلة الأنظار ـ حسب التفصيل الوارد في ذيل كلّ سـؤال وإن حصلت الكفاية بالجواب السابق.

والحقيقة أنّ مثلي مثل عبد خجول أسود الوجه مجرم يجب عـليه أن يـلبس السواد وتركت الوادي العامر نحـو المـتاع واشـتغلت بـتعمير الخـراب. وليس في التدارك شائبة مسامحة ومثل «لا بأس» لا خير فيه ولا ضرر، ولو كانت لا بأس هي كذلك يلزم الحرج العظيم ويهلك البشر كلاً وطراً ولا تحصل من البشر فائدة.

فما العمل وقد ابتليت بالعيال واضطرب الحال وفي هذه الصورة يراعي الأهم فالأهم فآهٍ، آهٍ و العمل فاسد:

أخاف أن لا تصل إلى الكعبة أيّهـا الأعـرابي
فـالطريق الذي تسـلكه يـوصل إلى تـركيا

لكن ما الخلاص:

فـــيد المسكـــين لم تـــصل إلى الروح
ولا ســــبيل إلا شـــقّ القـــميص

وأُقسم عليك أن لا تنسى الدعـاء لهـذا المسـوّد الوجـه. فـيااللّـه أدركـني ولا تهلكني بمحمد وآله الكرام عليه وعليهم السلام.

والكلام كثير والباقي هو المشتاق والتتمة إذا قدّر عند التلاقي.

جواب الميرزا أبو القاسم القمي رحمة اللّه عليه وغفرانه:

قوادم العصفور الصغير المأنوس منكسر بمخلب بلاء اليأس وجناح والطائر محبوس والمحنة قرينة ابتلاء صغير تقرير بيان الأخرس وتحرير قلم لسان المقصر الواضح.

وتحن والتفات قدوة الحياة محلّ شكر واهب العطيات ويسجل على لوح الضمير المنير أن الورقاء المتعزّزة الهابطة من أوج عالم القدس إلى المحلّ العميق تدور بلا حاصل، وهدير التنبيهات الأنيقة يوقظ الغافلين من الغفلة، والهدهد المتمتّع بنسيم الشرق أتى برسالة سليمان مصر إلى سبأ، ومن مجامع الأنس سجّل التياماً بين أكثر المستوحشين وحشة، وأطلّ بالنور من نافذة الإقبال، نور الفخر على رأس حفظ أنوم النائمين، عنيت به الهاتف الغيبي والمؤلّف المكتوب بأُسلوب بليغ مقرون بالحقّ، فكلّ سطر منه نهر من نبع ماء الحياة، وكلّ شطر منه بحر من معدن الحكمة ومخزن السعادة، فتصير الأرض القاسية كفصل الربيع في الانشراح ويشع النور على أهل الظلام المغمومين كما الشمس في وسط النهار فدوحة بصيرته لا تحصيها فرائد الفوائد، وروضة إفادته من الأزهار والأوراد دائمة الفوائد من مختلف الألوان، والجواهر المنثورة من المطالعة تضيء بأنوار صفحات الالتفات تلك الظلمة المكدرة الحزينة، ومن نسائم شمائم دقائقه وإشاراته تزهر القلوب المغمومة. وقد وجدت إشاراته الدقيقة فاتحة لمتعلّقات البشارات، وعرفت بشاراته الأنيقة شارحة لمشكلات الإشارات حتى إنّه في عالم اللطف يظهر وهو زبدة أهل الكمال والشفيق بلا مثال لهذا القاصر الخاسر لطفه بصورة «سلامان وأبسال».

والحال وإن كان يقتضي إيهام القصة الأُولى وهي ذات حسن في الحقيقة، لكن مقتضى الحال أن نذكر القصة الثانية التي هي في معنى استحقاق أنواع الملامة؛ وحيث إنني اللاشيء لا أعتبر نفسي من أهل الاعتبار فالأفضل أن أعتبر نفسي في

مرتبة الاستكمال حتى أصل إلى أعلى مرتبة من الكمال، كما أعلم أنّه بـتربية نـار المارج يهيّئ لنضج الطبيعة أو إبريق الصلصال، والوصول إلى الترقي من حضيض الطبيعة إلى أوج مقتضى الفطرة، كما أعـرف أن مـنبع الكـبريت يهـيّئ في مـنبعنا الصلصال؛ لأن العدو القديم اتّخذ صديقاً وترك الصـديق القـديم، وزرع بـذرة في الأرض المالحة جداً ورسم على نسقها رسماً على سطح الماء وأمل في الوصول إلى الألفة والعيش مع هذا الزاد ورفيق علم في السفر الطويل، بـل شرب كأس السمّ بتصور أنّه حلاوة العسل، وبالخديعة أغمض العين عن المصيدة وسعى في كلّ لحظة ليخرب بنيانه:

باع والدي روضة الرضـوان بحـبتي قمـح
لست ابـــــنه إن لم أبـــــع بشـــــعير

بل أحياناً وفي حضن أُم الخبائث وهو التعلّق بهذه العجوز الغـدّارة يـلتصق الطفل الرضيع بثديي الحرص وهو مسرور، وأحياناً يكون مكرهاً تمام الإكراه في جوار أبي الخيرات ـ وهو التوكل ـ مشغول باللهو بنتف اللحية والتـجافي وصـفع الوجه بقلب مليء بالملل، وبعد نموّه وخروجه من حضيض الرضاعة يهرب أحياناً من المكتب، وأحياناً يجادل أُمه الرحيمة وهي التـقوى والزهـد في طـلب الجـوز واللوز.

والخلاصة أنّ شرح حال هذا المنكسر البال، وبيان حسرة هذا الهـائم في تيه الضلال، والعائم في غمرات الحرمان والمـلال، البعيد عن قـافلة السـفر والكـمال، وأسير قطاع الطريق مع الخسران والوبال لا مثله، بعيد عن حدود الشرح والبيان كي يتمكّن قلم اللسانين أن يـبيّن ذلك فـهو كـاللسان الأبكـم إلّا غـير الدارس لأحوال المراد القليل، وإلا فليكن في قراءة ما يأتي ليهيّئ لحـال أُخرى وخصوصاً

في هذا الأوان حيث إن العمر العزيز دائماً في نقصان، وأن يتشاجر مع ذوي النفوس الشريرة من أهل الدهور ويدور حول المصدوقة الصريحة «الشهرة خيرها وشرها في النار». فلم تتيسر لحظة فراغ وبقي عاجزاً عن إتمام العمل.

ولا مجال في هذه الفرصة لإظهار جسارة الحال وبيان الاضطراب، فالمأمول أن يكفي هذا المقدار في مقام التحنن لتقوية الداعي، وأن لا ينسانا من الدعاء في مظان الإجابة.

والآن وبمقتضى أنّ المأمور معذور وأن الميسور لا يترك بالمعسور، فسأجيب وأقضي الحاجة حسب المقدور... ومقصودكم أنّه إذا ظهر أمر عندي في باب تدارك ما فات مما يمكن إظهاره فلأبينه، وإن كان في الإظهار شيء من سوء الأدب لكن التكليف يقوي الداعي بين الطرفين، وإن كان الموضوع طويلاً ولا مجال لإتمامه هنا لكن بشكل عام أذكر بعض المراحل:

أولاً: جعلتم أغلب الإشكالات في حكم تدارك صلاة الاحتياط وباقي التكاليف تأتون بها مع سلوك طريق الاحتياط؛ نظراً لما قاله المرحوم المغفور له الآغا محمّد رحمه اللّه تعالى أن لا مجال في أمثال هذا الزمان إلا للاحتياط، فرجعتم لكتاب حديقة المتّقين وبنيتم على العمل به، ثم لمتم نفسكم الشريفة، والحقيقة أنّه لا بدّ من شيء من المسامحة في جبران ما فات والغض عن لا بأس ولا ضير، وإن كان الأمر كذلك لزمت الحرية كلاً وطرّاً والانشغال بتصحيح أخطاء أنفسهم، وفهمت من كلامكم أنّكم تريدون أن تتمّوا طريقكم كله بالاحتياط، وقد كنت في هذه المدة وهذا الظرف في محنة إذ لم أستطع إلى الآن أن أفهم إمكانية أن يأتي الإنسان بجميع أو أغلب التكاليف بالاحتياط من دون خوف وحيث ما توصلنا إليه معرفتنا. وأنتم إلى أين تذهبون وأين يمكن أن لا تعتمدوا على نفي العسر

والضرر والحرج، والحال أنّ جملة من اليقينيات مختلف في تنفيذها بكثير من المواضع، وعلى كلّ حال لا مناص من الاجتهاد والتقليد، وسأذكر لك ثلاث فقرات في باب عدم إمكان الاعتماد على الاحتياط، وقد فصّلت هذه المطالب في كتاب القوانين.

أولاً: الاحتياط في بعض الموارد مستحيل ويتعين إمّا الاجتهاد أو التقليد، مثلاً في الجهر والإخفات في بسم اللّه الرحمن الرحيم في الصلاة الإخفاتية، فالبعض قال بوجوب الجهر وبعض قال بحرمته وبعض قال باستحبابه، ولست أدري هل الاحتياط في الجهر أم في الإخفات في الفعل أو الترك في كلّ منها خوف العذاب؟ غاية الأمر أنّه يمكن أن يقال بصلاتين في إحداهما إخفات وفي الأُخرى جهر.

وأنت إذا لم ترد الاتّكاء على نفي العسر والحرج وتريد أن تقضي صلاة عمرك، وفي كلّ يوم تصلّي أيضاً الصلوات الإخفاتية أداء، فكيف يمكنك ذلك؟ وعلى فرض أنك تمكّنت فإن ها هنا مسألة وهي: هل الوجه معتبر في العبادة أم لا؟ وهذه مسألة اجتهادية؛ لأنّ الاحتياط في تعيين الوجه لا عدمه، وبعد اختيار اعتباره فالاحتياط بأي احتمال متعين؟ وتكرار هذه الصلوات هل هو بنيّة الوجوب أم الاستحباب أم بنية مرددة أم من دون أن ينوي أياً منهما؟ وهذه كلها مسائل اجتهادية لا أعرف الاحتياط في أيّ منها، هل الاحتياط في أن نوجب ما أوجبه اللّه أم نقصد أحدهما بقصد الوجوب والآخر نعتبره مستحباً، وأيها المستحب؟ ومع الترديد كيف تتحقق النية والحال أن النية إذعان وتصديق وليست مجرد تصور؟

ولو قيل: يأتي بجميع المحتملات من باب مقدّمة الواجب، فجميعها واجب من باب المقدمة فيأتي بذي المقدمة في ضمن إتيانه للمقدمات. فهنا تبرز إشكالات

كثيرة بل وجوب المقدمة تبعي، والمطلوب في التكليف الواجب الأصلي، وامتثال الوجوب الأصلي في ضمن الوجوب التبعي مستلزم لاجتماع المتضادّين، واعتبار الحينية في أمور الوجوب المتضادّة والاكتفاء بما يقوله الأشاعرة هو من المسائل الاجتهادية ومعركة عظمى. والاحتياط هل هو في مذهب الأشاعرة أم مذهب الشيعة أم المعتزلة؟

وعلى كلّ حال فليس أي منها هي بخصوصه واجباً أصلياً، والتكليف بأحدهما لا بعينه إنما هو عندنا كذلك، وهو معين عند الله، وعلى فرض تسليم جوازه والإغماض عن لزوم تأخير البيان عن وقت الحاجة يتوقّف على العلم باشتغال الذمة بتحصيلها حتى نقول مع صدق التمكن منها في ضمن المجموع نتمكن منه؛ لأنّ الأفعال التوليدية مقدورة للمكلف للقدرة على المباشرة، والمقدور بالواسطة مقدور واقعاً، وهذا ممنوع؛ لأنّ أصل براءة ذمّة المكلف حتى يعلم بالتكليف ثابت، وحصول العلم باشتغال الذمة ممنوع إلا بمقدار ما يحصل من الظن الاجتهادي بوجوبه، فلا يمكن القول إذن: إنّ اشتغال الذمة اليقيني يستدعي براءة الذمّة، لأنّ اشتغال الذمّة بالزائد عن القدر المظنون ممنوع.

ومع جميع هذه الأُمور كيف يمكن قصد الوجوب في جميع المحتملات مع وجود خوف الابتلاء بالبدعة واختيار الترك واليقين رجوع من الاحتياط إلى الظن الاجتهادي، وإذا لم تستندوا إليه فسيكون رجماً بالغيب مع أنّ أصل الاحتياط مسألة اجتهادية، فهل هو واجب أو مستحب كما بينا؟ إنّ الترجيح في هذه المسألة إمّا بالظن الاجتهادي أو بالاحتياط، وهو خلاف المفروض أو يستلزم الدور.

ثم ما المراد من الاحتياط؟ فإن كان المراد منه تحصيل اليقين فهذا غير ممكن ولو أمكن في مورد فليس ممّا يشفي العليل؛ لأنّ غالب العبادات مركّبات مثل

الوضوء والغسل والصلاة والصوم والحج والجهاد، بل هي كذلك قاطبة. فإذا كان أحد الأجزاء ظنّياً فالمركب يكون ظنّياً لا يقينياً؛ لأنّ الكلّ ينتفي بانتفاء أحد الأجزاء. فكلّما كان أحد الأجزاء ظنياً يحتمل أن يكون في الواقع غيره، فالمركب ينعدم بالكلية بناء على هذا الاحتمال.

كما أنّه إذا كانت إحدى المقدّمتين ظنّية فلن تكون النتيجة قطعية، وهنا ما لم يكن هناك يقين في تمام أجزاء العبادات فلا يقين بصحتها، وعلى الأقل يبقى الإشكال في المكرّرات كما ذكرنا، فإذن ليس من حالة يمكن فيها تحصيل اليقين. وعلى فرض المحال وأنّه يمكن تحصيل اليقين بالصلاة فلا شك في أنّها مشروطة بالطهارة من الحدث والخبث وبالستر والمكان والوقت وغير ذلك، وتحصيل اليقين في جميع هذه المسائل من المحالات، وإذا كان الشرط ظنّياً فهو كما لو كان الجزء ظنياً وهكذا.

ثم إذا فرضنا تمامية دليل الاحتياط، وأن الاحتياط لازم وأمكن تحصيله إلا أنّ تحديد محل الاحتياط أمر اجتهادي أيضاً، مثلاً في التخيير بين القصر والتمام في المواطن الأربعة أوجب البعض القصر، والبعض أوجب التمام والمشهور التخيير، واختلفوا في الاحتياط أيضاً نظراً لقوّة وضعف الدليل في أيّهما الأحوط في صورة التخيير.

ثم إذا قال الملّا محمّد تقي ﷺ: الأحوط كذا. وقال شخص آخر من الفقهاء كولده الأمجد أو الملّا أحمد الأردبيلي رحمهما اللّه: إنّ الأحوط خلافه؛ فهل يرجع الإنسان إلى ظنه في ترجيح أحد الاحتياطين أم يحتاط بينهما فيعود الإشكال السابق؟ وإذا استند إلى كلام المرحوم الآغا في ترجيح كتاب حديقة المتقين فـي هـذه الصـورة تكون مقام التكثرات والمرّات أكثر فساداً كما لا يخفى على البصير.

ثم إنّه بناء على الآية الشريفة: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1] فبماذا تأمرون عيالكم الذين يتبعونكم؟ فإنّهم سيتّبعونك إمّا بأن يقلّدوك أو يحتاطون كما تحتاط ويعود المحذور. وإذا أمرتهم بالاحتياط بالنحو الذي تقوم به ـ والذي منه تكرار الصلاة عدّة مرّات مع ما فيه من المحذورات السابقة، ولكن الاحتياط هو في أن المرأة ضعيفة النفس مع ملاحظة أن عليها مواكبة أمر البيت والأطفال والحفاظ على حقوق الزوجية ولوازمها، أو البنت الصغيرة في أول التكليف تحمّلونها هذه المشاق، والحال أنّ الحق تعالى قال في القرآن المجيد: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] و ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[3]، والنبي ﷺ قال: الشريعة سمحة سهلة. فإذ قال اللّه: لماذا تحمّلون عبادي المشاق ولم أرد منهم إلّا اليسر؟ وإذا قال النبي ﷺ: إنّ ديني سهل فلماذا تعقّدون الأمر على أُمتي وخصوصاً الضعفاء منهم؟ فماذا تجيب؟ وإذا أتيت بأدلّة حسن الاحتياط ففيها ألف كلام وغاية ما يسلّم به الاستحباب لا غير، إلى غير ذلك من مساوي الالتزام بالاحتياط.

وهذا الذي ذكر هو إشارة إجمالية إلى الاحتياط من العبادات، أمّا المعاملات والمرافعات فإنّ الألم أشدّ والمصيبة أعظم؛ إذ قد نحتاج إلى قطع النزاع بين شخصين لا مجال للصلح بينهما، وفي ترك الحكم مفاسد عظيمة من قتل النفوس وسفك الدماء وهتك الأعراض وأمثال ذلك؛ أو مال بين صغيرين، والاحتياط غير ممكن بأي وجه، هل الاحتياط في إبقاء المال حتى يتلف؟ أو في الترجيح بلا مرجح؟ إنّ كلّ من يبتلى بالمسائل اليومية الطارئة بين الناس يعلم أنّ الاحتياط لا ينفع.

---

(١) التحريم ٦٦/ ٦.
(٢) الحج ٢٢/ ٧٨.
(٣) البقرة ٢/ ١٨٥.

ثم إنّ الخدام هم على استعداد للاشتغال بتدارك ما فات لا بتلائهم، ولا شكّ أنّ بذل الجهد واستفراغ الوسع في تحصيل الأحكام الشرعية واجب على أمثالك للأدلّة الصحيحة الدالة على وجوب التفقّه وتحصيل المسائل الدينية، وكذلك للأدلّة القاطعة التي قامت على وجوب إقامة المعروف وإزاحة المنكر، وهذه المرحلة العظمى تحتاج على الأقلّ إلى صرف أغلب العمر فيها، وأن يكون التفكير ليلاً ونهاراً في ذلك حتى يرفع حاجته ويقضي حوائج القاصرين ممّا يطرأ عليهم يومياً من مسائل العبادات والمعاملات، وهذا على الأقلّ واجب كفائي وإلّا فهو على مثلك لعلّه واجب عيني، وتريد مع ذلك أن تتدارك مافات على أساس الاحتياط لا على أساس أنّه الواجب، وهذا الأمر سيأخذ منك جميع وقتك، فهل الاحتياط في ترك تحصيل هذه المرتبة وإبقاء الناس دون قضاء حاجتهم؟ بل تبقى نفسك عاطلاً عن التحصيل لما ذكرناه من الأمر لا يتم بالاحتياط، ومع ذلك تريد الاشتغال بقضاء الصلاة والعبادات على الأقلّ عشر مرّات، وتأتي بالصلوات الحاضرة والفائتة طول العمر على هذا النحو، فكيف يتم الأمر؟ بل لو لم نقل: إنّ عليك واجباً عينياً هو الاكتفاء بأقل الواجب وبذل الجهد في تحصيل المسائل، فإنني على الأقل أستطيع أنْ أقول وأنا على يقين: إنّ هذا أحوط من ذلك. فالاحتياط إذن في الترك.

فإن قلت: إنّ تكميل النفس مقدّم على تكميل الآخرين، كما أنّ أكثر علماء هذا العصر يجعلون تحصيل الأحكام الشرعية في عهدة الغير ويشتغلون هم بالعلوم العقلية ويصرفون أوقاتهم فيها؛ لأنّ الأُصول مقدّمة على الفروع.

فأقول وأشهد باللّه أنّه من غير المعلوم أنّ الشارع المقدّس طلب منا مثل هذه الأُصول لنقنع بها عن الفروع، أو طلب منّا لبّ الجوز واللوز قبل كسر قشورها مع قطع النظر عن أنّ هذه الأُصول لها أصل أم لا، أو أنّ الإتيان بمسائل الفروع مطلوب منّا للضرورة من جانب الشارع المقدّس، وتحصيل ما يزيد عن القدر

المعهود ـ من طريقة الشرع المقدّس وناموس الأنبياء من مسائل الأُصـول ـ إن لم نقل: إنّه حرام ومنهي عنه فلا أقل أنّه غير واجب، وترك الشيء المـطلوب يـقيناً واختيار ما هو غير واجب إن لم يكن حراماً خلاف البرهان وبداهة العقل، مع أنّ تكميل النفس يتوقّف على الإتيان بالعبادات على وجهها وليس ذلك لمجرد تكميل الغير.

وممّا سبق يُعلم أنّ تحصيل التفقّه بالاحتياط غير ممكن، فيجب تمزيق الستار والقول أن لا شريعة، ويجب الالتزام بوجوب الإتيان بالتكاليف اليقينية كـما هـي حقة بقدر الوسع والطاقة، فكيف يمكن إذن لأحد أن يعمل بالاحتياط ويترك هذا بأجمعه ويشتغل بذلك؟ وكيف يمكن القول: إنّ الاحتياط في ترك تحصيل المسـائل الفقهية كما ينبغي والتوجه نحو تحـصيل الأُصـول، مـع عـدم الدليـل الدال عـلى لزومه، أو مع قيام الدليل على حرمته؟

إضافة إلى أنّ تكميل النفوس يكون بطرق مختلفة، فالمقرّبون للملك بـعضهم من ندمائه وجلسـائه يتجرّعون كلّ لمحة شهداً من فيض حديثه والتفاته ويسعون بذلك لنيل أعلى درجة القرب، وبعضهم من الحرّاس وأهل الشرطة الذين يلاقون الشدائد ومحن الحراسة من كلّ ناحية وصوب، ويتحمّلون ألم التيقّظ والسهر وهم دائماً على استعداد لدفع الأعداء المخـتلفين، ويـتحملون ثـقل الأسـلحة والحـذر وقلوبهم على أكفهم فقد يكونون هدف سهام العـدو، وقـد تـضعف أبـدانهـم في ساحات المجاهدات والصعاب.

وملك الملوك وإن لم يكن محتاجاً لحارس لكن جنود الشقاء من الهـواجس النفسانية والوساوس الشيطانية وشبهات أبالسة الإنس تحوم حول حمى السلطان لتخريب النواميس السبحانية الثابتة، فكان وقوف العالم الربّاني مع جنود السعادة

من التوفيقات الربّانية ضرورياً لهدم أساس المعاندين بأسلحة الأفكار الثاقبة مع حذر الصبر ودرع الإنصاف والاعتبار، فأين هي نسبة العباد إلينا نحن الفقهاء والواهين بجمال المحبوب إلى المجاهدين والفقهاء فهم جعلوا أوج كمالهم اللذة المختصّة بالحديث والمناجاة، والعلماء يبذلون الجسم والروح في طريق عبادة العابدين وغير العابدين وحفظ حمى ملك الملوك، فانظر الفرق بين الطريقين من أين وإلى أين؟ بل يمكن القول: إنّ هؤلاء الحرّاس سبقوا الآخرين في مرحلة العرفان وتجاوزوا في سبيل رضا المحبوب اللذة الخاصة التي هي أشبه باللذات النفسانية.

ويمكن القول هنا أيضاً: إنّ تكميل النفس غير جائز لمن أحياها كأنما أحيا الناس جميعاً. وفي الستر شاهد المطلوب واحتجاب نور المحبوب عن الأعراض، وأحياناً من عدم البصر أو الإغماض كأنهم على هيئة الغنج والدلال وفي معنى تكميل الأغراض بتأجيل الأعواض.

كل فكر البلبل أن يصير الورد حبيبه
والورد في تصوّر أن يتغنج في عمله

وحيث إن من لوازم الأسئلة الخاصّة لجنابكم الاستعلام عن المطالب العامّة في مرحلة التكليف من القواعد الفقهية الكلية، إذ تنبعث جداول هذه الرياض من منبع واحد، وصور أحكام التكاليف الحاضرة وتدارك الفوائت التي تنبعث من فرات واحد؛ لذا أقول: إذا كان هناك فرصة فليمروا على كتاب القوانين المحكمة وخصوصاً مباحث الأدلّة الشرعية ومباحث الاجتهاد والتقليد. وفي ذلك الكتاب ذكرت قاعدة في تدارك ما فات. ومجملها:

إنّ من الواضحات أن الإطاعة من دون قصد الإطاعة لا تحصل، وحصول الفعل موافقاً لغرض المولى غير مجزى إذا وقع مصادفة، ولا خلاف في ذلك. فما لم

يعلم ما هو أمر المولى، كيف تحصل الإطاعة وحجة اللّه بعد أئمة طريق الهدى هو من استطاع استنباط الأحكام على الوجه الصحيح من مصادرها وهو الذي يقال له مجتهد؟ وعليه فإذا علم أن تكليفه الرجوع إليه ورجع إليه وعمل على وفقه فلا شيء عليه لكن إذا علم أن تكليفه الرجوع إليه لكان تسامح ورجع إلى الغير فهذا الشخص غير معذور مهما كان عمله صحيحاً وموافقاً للواقع وليس فعله أيضاً مسقطاً للقضاء. وإذا علم أن عليه تكليفاً إجمالاً ولم يدر أنّه يجب الأخذ من مجتهد، بل اعتقد أنّ حكم اللّه هو ما يتعلّمه من أبيه أو معلّمه ولم يتفطّن إلى الفحص، فإذا كان عمله موافقاً للواقع فلا شيء عليه لا إثم ولا قضاء، وإذا لم يوافق الواقع فلا إثم عليه لكن في سقوط القضاء عنه إشكال وإن كان وجوبه غير واضح عندي؛ لإنّني أعتقد أن القضاء بفرض جديد والأمر يقتضي الإجزاء، والمفروض ـ نظراً لقواعد الإمامية من استحالة تكليف الغافل والتكليف بما لا يطاق ـ أنّ المأمور به هو ذلك الذي عرفه مع بقاء التكليف.

والحاصل: أنّ تعيين المرجع بعد غيبة الإمام هو في الحقيقة من المسائل الاعتقادية كاليقين بالإمام لا من المسائل الفقهية ولا من أُصول الفقه، والنقل والعقل يدلّان على أنّ المرجع عالم قادر على استنباط الأحكام من مصادرها، فإذا فهم أحد هذا الأمر وتفطّن إليه ولم يعمل به واكتفى بقول أبيه وأُمه ومعلمه غير المجتهد فهو مقصّر بلا شبهة ومأثوم وإن كان ما أتى به صحيحاً على الأظهر، وإذا لم يتفطّن لذلك أصلاً ولكن علم أنّ العبادة المكلّف بها هي تلك لا غير، واتّفق أنّه أتى بها على نحو صحيح، فهذا هو تكليفه كما بينا ولا قضاء عليه؛ لأن لا عمومات «من فاتته صلاة فليقضها» تشمله بناء على أن القضاء بأمر جديد كما هو الأقوى الأظهر، ولا ترك الصلاة حتى يكون عليه القضاء بمقتضى الأمر بالأداء بناء على تبعية القضاء للأداء. وهذا الكلام جارٍ في ما إذا خالف الواقع كما ذكرنا.

فالأسئلة التي ذكرها المخدوم في باب صلاة الاحتياط كان منشأ الإشكال فيها جميعها أنّه حين تلمذهم للمرحوم المير السيّد حسين القزويني عملتم بفتواه نـظراً لحسن ظنّكم به في مسألة تبديل قراءة الحمد بالتسبيح، وهـذا مـتّحد مـع أصـل الصلاة في المسلك؛ لأنّ الظاهر أنه قبل إخبار التلمذ، فلعلّهم لم يقلّدوا الأفضل منه، بل الإشكال في السابق يجب أن يكون أقـوى خـصوصاً وأن صـلاة الاحـتياط بالتسبيح قول من أقوال الإمامية وليس على خلاف الإجماع. فـقد جـاء بأصـل الصلوات وفي سائر الأحكام صلاة الاحتياط بما هو مكلف به، وإشكالكم في قراءة التسبيح في صلاة الاحتياط، وإذا كنت في تلك الحال مطمئناً ـ لحسن ظنّك بالسيّد أُستاذك ـ بأن حكم اللّه في مسألتك هو ذلك الذي ذكره ولم تلتفت إلى احتمال آخر، بل حتى لو كان السيّد مخطئاً أو لم يكن من أهل الفتوى ولم تقصّر في ذلك فالأظهر عندي في هذه الحـال أنّك معذور ولا قضاء عليك، وإن كان السيّد في الواقع ليس مجتهداً وقال ما هو خلاف الأقوى بل خلاف الواقع على الأظهر. وإذا كان هـناك تساهل في تعيين المرجع فإشكال.

والتشويش عندكم ليس مختصّاً بصلاة الاحتياط بل عليك أن تفكّر في جميع الأُمور. نعم يختصّ التشويش بها إذا كنت قد أتيت بباقي الأفعال المكلّف بها عـن تقليد لمجتهد واقعي، أو بفعل مع غفلة كلّية وعدم التفات إلى لزوم الأخذ من المجتهد، أو من الأعلم منه وإن التكليف في ذلك الوقت ليس إلّا ذلك، وكـان التـقصير في خصوص صلاة الاحتياط. ونحن أيضاً نفرض السؤال في هذه الصورة ونجيب عن كل واحد من الأسئلة حسب ما تقتضيه القريحة الجامدة.

السؤال الأول: هل يكفي إعادة صلوات الاحتياط فقط على الأظهر والأقوى إذا كانا في مرتبة يفيدان (الظهور والقوة) الاطمئنان، أم لا بل لابد من إعادة أصل الصلوات، وما هو الأهم؟

الجواب: حيث إنّ الأظهر عدم وجوب فورية صلاة الاحتياط وعدم بطلان الصلاة بتخلّل المنافي بين أصل الصلاة وبين صلاة الاحتياط، بل الأظهر عدم بطلان الصلاة حتى لو ترك صلاة الاحتياط عمداً وإن كان معصية، ففيما نحن فيه تصح الصلاة فالأولى عدم الحاجة لإعادتها بالنسبة للأظهرية والأقوائية. وأما عدم وجوب قضاء صلاة الاحتياط خارج الوقت مع ترك صلاة الاحتياط ففيه إشكال، والأحوط بل الأظهر لزوم القضاء.

وأمّا السؤال عن الأهم فهو لا يخلو من إشكال. وما فهمته من عبارتكم هو: هل بناء على الأظهر الذي هو عدم بطلان الصلاة، والأظهر الذي هو لزوم قضاء صلاة الاحتياط في صورة عدم الإتيان بها في وقتها أو على وجهها، هل يوجب الاطمئنان أم لا؟ بل يجب الاحتياط وإعادة أصل الصلاة قضاء للخروج عن خلاف المشهور القائلين ببطلان أصل الصلاة ويوجبون إعادتها، ولكن مراعاة هذا الاحتياط ـ وهو أن يقضي كليهما ـ أهمّ للخروج عن خلاف المشهور، أم هذا الاحتياط ـ وهو صرف الوقت في صلاة الاحتياط فقط ـ هو الأهمّ حسب الدليل الأظهر، والإتيان بأصل الصلاة يساوي ذلك المقدار وصلاة الاحتياط؟

فالجواب: أنّ هذه المسألة ترتبط بمسألة جواز التطوّع في وقت الفريضة؛ لأنّه بناء على بطلان الصلاة من رأس للإخلال بصلاة الاحتياط يجب قضاء أصل الصلاة ولا يجب عليه صلاة الاحتياط، ولكنه مستحب احتياطاً للخلاف. وبناء على المختار من صحّة أصل الصلاة فبالعكس، والمشهور أنّ التطوّع وقت الفريضة باطل مطلقاً، والأقوى عندي البطلان إذا كانت مانعة من صلاة الفريضة لا مطلقاً، ومفروض السؤال الفعلي أنّ الاحتياط يعني قضاء أصل الصلاة مانع من الفريضة المكلف بها، فالواجب قضاء الاحتياط فقط، وذلك الاحتياط لن يكون جائزاً على كلا القولين. فتسمية هذا الاحتياط أحوط أو أهم بلا وجه بل يجب السؤال

عن جوازه وعدمه.

السؤال الثاني: بناء على أنّ إعادة الصلاة من أصلها ضرورية فهل هذا كافٍ أم لا بدّ من إعادة صلاة الاحتياط؟

الجواب: ضرورة إعادة أصل الصلاة مبنية على القول ببطلان الصلاة، وفي هذه الصورة إعادة صلاة الاحتياط ليست ضرورية؛ لأنّ الحال حال تدارك النقص والمفروض نقص الصلاة لا نقضها. نعم ذلك حسن من باب الاحتياط إذا لم تزاحم الفريضة كما تقدم ويأتي.

السؤال الثالث: هل هناك كلام في ترتيب الصلوات الأصلية على ذلك النحو، وهل هذا جارٍ في الصلوات الاحتياطية؟

الجواب: ظاهر الأخبار وفتاوى الأصحاب في قضاء صلاة الفريضة لا يشمل صلاة الاحتياط، فاستفادة وجوب قضاء صلاة الاحتياط من الأخبار محل إشكال؛ ولذا اختلفوا في كيفية وجوبها وهل يستفاد منها وجوب الترتيب؟ وغاية ما يستفاد من الأخبار أنّ الترتيب بين الصلوات الأصلية التي بينها تعاقب بالذات والأصالة مطلوب للشارع، مثل: الظهر والعصر من يوم واحد، والمغرب والعشاء من ليلة واحدة، لا مطلق الصلاة ومطلق الظهرين والعشاءين، وتقديم الظهرين على العشاءين على الفجر ليس بجعل من الشارع بل من لوازم الوقت، أي المستفاد من الشارع وجوب الظهرين في الوقت الخاصّ والفجر في الوقت الخاص، وتقدّم وتأخّر هذه الصلاة بالنسبة إلى الأوقات من باب الاتفاق، فعموم الحديث الشريف «من فاته فريضة فليقضها كما فاتته» وإن دلّ على اعتبار جميع كيفيات الفائتة فليس من المسلم ـ على الأقل ـ في الكيفيات التبعية غير المقصود بالذات، مع أنّ المذكور في الحديث «الفريضة» بلفظ المفرد لا «الفرائض» بلفظ الجمع.

وعلى أيّ حال فإذا كان وجوب الترتيب مسلّماً حتى في الترتيب التبعي فهذا مختصّ بالصلاة الأصلية لا صلاة الا حتياط للتبادر على فرض تسليم العموم، وهذا في صورة العلم بالترتيب لا في صورة الجهل؛ إذ في هذه الصورة الأقوى عدم وجوب الترتيب في الصلوات الأصلية فضلاً عن صلاة الاحتياط خصوصاً إذا كثرت الصلوات بحيث يكون تحصيل الترتيب إمّا موجباً للتعذر أو للحرج المنفي.

سؤال: عقدت عقداً منقطعاً لولدي الصغير البالغ من العمر تسع سنين مع فتاة من أجل القيام بأُمور المنزل، وقد مضت مدّة فصارت تريد أن توهب المدّة الباقية، بل تتزوج وهناك من هو مقبول لها، فهل أستطيع كولي للصغير أن أهبها المدة أم أُلاحظ مصلحة الصغير مثل الصلح على المال أم لا أستطيع؟ وكان قد ذكر علامة العلماء مجتهد الزمان الشيخ محمّد جعفر النجفي سلمه اللّه تعالى في حضوري أنك تستطيع أن تهب المدة ولا محذور، وقد قاس جمهور علمائنا هذه المسألة على الطلاق، وهذا القياس لا وجه له؛ لكن حيث إن هذا في باب الفروج فلا بد من الاحتياط. وقد تحدثت مع عالي الجناب قدسي الألقاب العلامة المطاع الميرزا محمّد مهدي المشهدي سلّمه اللّه تعالى في هذه المسألة فقال: إنّ هذا لا ربط له بالطلاق والقياس عليه فارغ ولم يقس أحد من الفقهاء هذا القياس، لكن اطمئن تستطيع أن تهبها المدة.

والخلاصة أنّ قلبي يسعى لأن يحلّ هذه المسكينة وينفّذ رغبتها إن لم يكن من عيب أو إشكال؛ ولذا أطلب الرأي منكم ليوجب ذلك زيادة الاطمئنان وأخبركم أنّ عالي الجناب قدسي الألقاب زبدة الفقهاء خير الحجاج الكرام الأخ الأعز العالم الحاج محمّد إبراهيم الكلباسي قال: هذا ممكن وكلّ فقيه يظنّ خلاف ذلك فلا يتكلّم؛ وحيث إنه واجب أعرض احتراماتي وكلنا سمع ننتظر الأمر.

الجواب: المستفاد من الأدلّة الشرعية وقواعد الفقهاء أنّ الصغير حيث كـان ناقص العقل قاصر التدبير بل هو في مدّة من الزمان فاقد لهما، فقد نصب اللّه ولياً عليه ليباشر أُموره حتى يرتفع النقص عنه بحصول الكمال، وجعل لذلك معياراً وهو البلوغ والرشد من باب الحماية، وإلّا فإنّ حصول كمال العقل مثلاً في ساعة قبل البلوغ أو ساعتين غالباً لا يفترق بل إدراك فرق ذلك قريب من المحالات العادية.

والأُمور التي يحتاج إليها الطفل من الأُمور المعيشية كثيرة، مثل: التصرفات المالية من بيع وشراء وإنفاق وإكساء وسكن وزرع وغيرها، ومثل: الإجارة والمزارعة والمضاربة والأخذ بالشفعة والرهن وغير ذلك، وكذلك التصرّفات البدنية من تعلّم الصناعات وتحصيل العلم والآداب والنكاح والطلاق، وكذلك استيفاء الحقوق مثل: القصاص والديات والعفو عن القصاص والمطالبة بالحدود وطيّ الدعاوي إلى غير ذلك؛ وبناء على هذا فإنّ اختيار الولي في أُمور المولّى عليه هو أصل وقاعدة والخروج عنها يحتاج إلى دليل حتى إنّ من عباراتهم «الأولياء تعمل كلّ المصالح إلا الطلاق»، كما ذكر فخر المحقّقين في الإيضاح ما يقرب من هذه العبارة في العموم في كلامه كثير جدّاً مثل ما ورد في باب استيفاء القصاص في الجوارح للقيط واستيفاء حدّ كلّ من يقذفه.

وما أخرجه الدليل على قسمين، أحدهما: التصرّف في نفس المولّى عليه فإنّ هذا لا يقبل النيابة مثل النذر واليمين والقسم بين الزوجات وغير ذلك، والآخر: الطلاق الذي خرج بدليل مستقل وإن كان العلامة ﷺ قال في التذكرة في علته: أن «ليس للولي أن يطلق زوجة الصبي لا مجاناً ولا بعوض؛ لأنّ المصلحة بقاء الزوجية لأنّه لا نفقة لها عليه قبل الدخول»، لكن الأظهر الاعتماد على الأخبار الكثيرة؛ لأنّه قد تكون المصلحة في الطلاق فينتفي حينئذٍ كلام العلامة. ولم يفرّق أحد بين أفراد

الطلاق. إذن ما يقبل بحسب الذات النيابة ولا دليل على عدم جواز تصرّف الولي في هذا المورد فهو داخل تحت عموم الجواز.

فإذا علم ذلك فليعلم أنّ مقتضى الأدلّة أنّ كلّ تصرّف يتصرّف الولي في أمر المولّى عليه يجب أن لا يكون فيه فساد؛ لأنّ الولي نصب لدفع إفساد المفسدين فكيف ينفذ تصرفه المفسد؟! وأمّا اشتراط المصلحة زائداً عن حفظ المال من التلف والفساد فلم يقم عندي دليل عليه حتى الآن، وإنّما ثبت أنّ على الولي أن يحافظ على مال المولى عليه وينفق عليه بمقدار حاجته بحيث لا يلحقه ضرر، وأمّا وجوب ملاحظة مصلحة زائدة ـ مثل أن يدفع مال اليتيم ويشتري قمحاً ويطبخ في البيت؛ لأنّه أنفع من أن يشتري الخبز من السوق ـ فهذا غير معلوم عندي. وعلى كلّ حال فلا يجب على الولي تنمية مال المولّى عليه، والآية الشريفة ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] لا تدلّ عليه أصلاً على ما حققته في بعض فوائدي. نعم مال إليه العلامة ﷺ في القواعد إذ قال: «ويجب حفظ مال اليتيم واستنمائه قدراً لا تأكله النفقة على أشكال» كما أشكل الآخرون أيضاً.

ومن مجموع ما ذكر يُستفاد مطلبان، أحدهما: أصالة الجواز في تصرّفات الولي فيما يقبل النيابة بالذات في أي وقت فإذا احتاج المولّى عليه لصرفه للنفقة أو الكسوة، وأمثالها لا يكون فيه هناك مصلحة زائدة؛ والثاني: أصالة الجواز فيما إذا كان التصرّف على سبيل المصلحة وإن لم يكن المولى عليه محتاجاً إليه. وفيما عدا هاتين الصورتين التصرّف غير جائز إلّا في بعض الصور التي خرجت، مثل: أن يقترض الولي المال خصوصاً الأب حيث إن دائرة الرخصة فيه أوسع، والخلاف في كلام الفقهاء الوارد في موارد خاصّة مثل النكاح بدون مهر المثل، وأمثال ذلك مبني

---

(١) الأنعام ٦ / ١٥٢.

على لزوم الفساد باشتراط مصلحة زائدة وعدم حصول المصلحة بذلك العقد حتى مع عدم الفساد فيه أيضاً.

وأمّا السؤال عن هبة المدّة للولي فلم أُلاحظ ذكر هذه المسألة في الكتب الفقهية نفياً أو إثباتاً بنحو صريح. وأمّا ما ذكره عالي الجناب العلامة شيخ المشايخ العظام وقدوة الفضلاء الكرام الشيخ محمّد جعفر النجفي سلّمه اللّه تعالى من أنّ جمهور فقهائنا قاسوها على الطلاق ولم يجوزوه لكن كان رأيه الجواز، فإني لم أرَ حتى الآن هذا القياس ولكنني لا أنفي كلامه، وأنا أعرف نفسي قليل البضاعة في كلّ شيء وسيّئ الحظ وبطيء الانتقال وقليل الأسباب والكتب، لكن الأظهر في نظري الجواز بشرط اللمصلحة ولا أرى دليلاً على الجواز بدونها، فإذا كانت في هبة المتمتعة للمدّة فيها مصلحة للصغير كأن تعطي المسكينة مالاً لتصالح به على المدة وكان صلاح الصغير في ذلك أيضاً فإنها جائزة، وأنت بولايتك تستطيع الصلح عنه خصوصاً بملاحظة ما ذكرت من أنّه من غير المعلوم وجود مصلحة في العقد أكثر من المصلحة التي يمكن للهبة أن تحققه، ولا وجه للقياس على الطلاق، ولو لم ترد فيه نصوص وأحاديث لقلنا في الطلاق أيضاً: إنّه جائز مع المصلحة. ويؤيد ذلك جواز طلاق ولي المجنون وكذلك جواز الخلع إن لم نقل: إنّه طلاق أو لم نقل باحتياجه إلى ذكر صيغة الطلاق بعده كما صرّح به في القواعد وغيره.

ويستفاد من هذا الكلام أيضاً حصر عدم الجواز بالطلاق، ويؤيد المطلب أيضاً الأحاديث الكثيرة التي خوطب بها الولد بـ «أنت ومالك لأبيك» خصوصاً وأن بعضها ورد في النكاح بحيث يستفاد من العموم والعلّة المنصوصة ثبوت الحكم فيما نحن فيه، ومن ذلك: الحديث الذي رواه الكليني بسند قوي عن الإمام الصادق‌ؑ حيث قال: «إني كنت ذات يوم عند زياد بن عبد اللّه الحارثي إذ جاء رجل يستدعي على أبيه فقال: أصلح اللّه الأمير، إنّ أبي زوّج ابنتي بغير إذني. فقال

زياد لجلسائه الذين عنده: ما تقولون فيما يقول هذا الرجل؟ قالوا: نكاحه باطل. ثم أقبل عليّ فقال: ما تقول يا أبا عبدالله فلمّا سألني أقبلت على الذين أجابوه فقلت لهم: أليس فيما تروون عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً جاء يستعدي على أبيه في مثل هذا فقال له رسول الله ﷺ: أنت ومالك لأبيك؟! فقالوا: بلى. فقلت لهم: فكيف يكون هذا وهو وماله لأبيه ولا يجوز نكاحه عليه؟ فقال ﷺ: أخذ بقولهم وترك قولي.

ويؤيد الجواز أيضاً فيما نحن فيه القول بجواز فسخ الولي لعقد النكاح بسبب عيب أو مصلحة. قال العلامة في القواعد: «وهل يثبت للأولياء الخيار؟ الوجه ذلك لمصلحة المولّى عليه بعد كماله في الفسخ»، وقال ولده في الشرح: «الكلام هنا في مسألتين الأُولى: هل للأولياء الخيار في العيب المتقدّم على العقد أم لا؟ الأقرب ذلك مع مصلحة المولى عليه؛ لأنّ الأولياء تعمل كلّ المصالح غير الطلاق؛ لأنّ النص أخرجه. ويحتمل عدمه لأن النكاح متعلق بالشهوة وهي مختصة بالزوجين والأصح الأول. الثانية: في العيب إذا كان بعد العقد الوجه ذلك أيضاً لما تقدم ويحتمل عدمه» إلى آخر ما ذكره.

وفي الجملة: فإن أسئلة الملّا علي كانت كثيرة وقد حذفنا منها الأسئلة من الثالث حتى الثالث عشر خوفاً من الإطالة والخروج عن وضع الكتاب، وكان هناك سؤال آخر تركنا، وتفصيل هذه الأسئلة والأجوبة طبعها الميرزا القمي في كتاب مجموعة أسئلة وأجوبة فليراجعها من أراد. وكتب الميرزا في آخر الأجوبة: في يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الثانية سنة ١٢٢٧ من الهجرة النبوية.

ولا يخفى أنّ الميرزا قد ذمّ في أثناء الأجوبة دراسة المعقول.

يقول مؤلّف الكتاب: إنّ علم المعقول حسن جداً ومحبوب ولا يحصل الفهم

والإدراك بدون الاطلاع عليه، بل لا يمكن فهم كتاب التوحيد وحدوث العالم من أُصول الكافي وإدراك معاني تلك الأخبار من دون التسلط في المعقول، وإن كان طالب العلم في بداية أمره حين تحصيل علم الحكمة يأنس ذهنه جداً بمسلك الحكماء ويجفو الشرع، فيذعن بمقاصد الحكماء مع أنّ بعض مقاصدهم فاسدة وكثير من براهينهم كاسدة وكشف أهل الكشف منهم متناقض، ألا ترى أنّ السنّي يصير من أهل الكشف والشيعي أيضاً وكذا الصوفي فأي اعتبار به؟ نعم عليه أولاً أن يتعمّق في العلوم النقلية، ثم بعد ذلك يشتغل بعلم الحكمة حتى لا يخرج من جادة الشرع. والفاضل القمي صرّح في آخر القوانين بهذا القسم.

ولما كان حجة الاسلام كثير الاهتمام بالأمر بالمعروف وإحكام الأحكام وإجراء الحدود على الأنام فقد سعى أهل الدنيا سعياً شديداً كي يطفئوا نوره، فأتى يوماً السلطان للقاء زبدة العلماء الأعيان؛ أتى مع قرع طبل إلى باب القصر وكان السيّد يريد أن يستقبل السلطان عند باب القصر لكنّه سمع صوت الطبل فرفع يديه إلى السماء وقال: إلهي، لا ترضَ بذلّة أولاد الزهراء أكثر من ذلك. ثم عاد إلى بيته. ومن كرامته في تلك الأيام أنّه ترك الدنيا وذهب إلى المعبود.

وجاء محمّد شاه إلى إصفهان وألحق ضرراً بجناب السيّد بأكثر من ثلاثين ألف تومان، وكان سيّئ السلوك جداً مع أقارب السيّد، وكان قد التجأ الملّا محمّد تقي الأردكاني إلى بيت السيّد لاتّهامه فحكم بأن يأخذوه إلى طهران، ولم تنقضِ أيام حتى مات السلطان وذلّ وزيره الميرزا الآقاسي.

وفي بعض الأوقات وضع بعض المردة الشياطين ومخربي شريعة سيّد المرسلين سمّاً في طعام جنابه، لكنّ الطباخ أكل منه لقمة فهلك، فأقفلوا على ظروف الطبخ ورموا بالمفتاح.

وفي يوم اتّفق حاكم تلك الديار مع أربعة من الأشرار ووعد كلّ واحد منهم بمئة تومان إذا أتوا بيت السيّد وقتلوه، فأتى الأشرار في نصف الليل وقفزوا من الحائط ودخلوا صحن المكتبة واختبؤوا تحت شجرة، فرأوا السيّد جالساً في وسط الدار يلبس قميصاً والقنديل مضاء وأمامه كتاب دعاء وجنابه يقرأ الدعاء ويبكي بكاء شديداً، فسحب أحدهم البندقية يريد أن يصيب صدر جنابه، وفجأة هابه الموقف وارتعش وارتجفت يده وسقطت البندقية من يده، فأشار إلى رفيقه فأخذ هذا البندقية وعرضت له نفس الحالة، وتابوا هناك ورجعوا دون أن يلتفت إليهم أبداً.

وفي آخر عمره ابتلى بمرض «سوء القنية» واشتغل الأطباء بعلاجه فلم ينتفع، ثم ابتلي في يوم الخميس بمرض حصر البول، وقريب الزوال جاءه الحاج الكلباسي لعيادته فجلس معه مدّة، وعند الزوال ودّعه فقام السيّد وتوضأ وصلّى نوافل الظهر والعصر، فضعفت قوّته وتناول في مكان الصلاة حبة من تربة الإمام الحسين عليه السلام وفوراً حلّقت روحه في محضر القدس.

ولم يكن الحاج الكلباسي قد وصل إلى بيته بعد، وفي الطريق أخبروه بأنّ السيّد رحل إلى عند أجداده الأشراف الأطهار، فاستوحش الحاج من الخبر وأُغمي عليه، وبعد أن استعاد وعيه أتى إلى منزل السيّد وبكى عليه، وغسّله الملا علي أكبر الخوانساري ثم قبّل يديه المباركتين، ثم كفّنوه وحفروا له قرب مسجده ـ حسب وصيّته ـ ودفنوه رضي اللّه عنه وألحقه بآبائه المعصومين المكرمين.

(٢٨)

السيّد محمّد مهدي بحر العلوم ﷺ

السيّد محمّد مهدي ابن السيّد مرتضى ابن السيّد محمّد الحسيني الطباطبائي البروجردي الغروي مسكناً بحر العلوم، محيي الآداب والرسوم، عين علماء العصر، نادرة الدهر، أُعجوبة الزمان، فاتح أغلاق المعاضل، محقّق المسائل، مبيّن المشاكل، ذو الفنون الكثيرة، شمس فلك السيادة والسعادة والزهد والنقاء والكرامة والتقى. وهو في العلوم العقلية كالشيخ الرئيس وفي العلوم النقلية كالمحقق الأول بل أفضل بلا شائبة ريب ولا تلبيس، وإن تحدّث في التفسير فكأنّه الأسلاف الأشراف الذين لهم نزل القرآن.

ولد السعيد في كربلاء ليلة الجمعة من شهر شوال سنة ١١٥٥، وفي تلك الليلة رأى والده في الرؤيا الإمام الرضا ـ عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف التحيّة والثناء ـ وقد أعطى محمّد بن إسماعيل شمعاً أضاءها فوق بيت الوالد الماجد لبحر العلوم فأضاءت ضوءاً غريباً، فولد في تلك الليلة وفي ذلك البيت لبحر العلوم.

تلمذ لوالده، ووالده عالم ورع تقي صالح؛ ثم تلمذ للشيخ يوسف صاحب الحدائق، ثم تشرف إلى النجف الأشرف ودرس عند جماعة من فضلائها كالشيخ محمّد مهدي الفتوني والشيخ محمّد تقي الدورقي وغيرهما، ثم عاد إلى كربلاء وشُغل بالدراسة عند أُستاذ المجتهدين المؤسس البهبهاني آغا محمّد باقر، ثم عاد إلى النجف وصار محطّ رحال الرجال الأفاضل واشتهر بالعلم بعد المؤسس البهبهاني

في عراق العرب والعجم.

وحكى عالم أنّ والده قال: حضرت درس جنابه في النجف الأشرف، وفي يوم رأينا شخصاً أفندياً من العامّة يسكن في النجف أتى إلى رؤية السيّد أثناء الدرس، فقال السيّد: افتحوا كتاب تفسير القاضي حيث عندنا درس. فبدأ بتفسير القاضي وذلك العالم السنّي جالس وقد انتفع وقد أبطل السيّد كلمات القاضي وجعلها هباء منثوراً دون سبق مطالعة وتحضير فتعجّب الحضور.

وكانت كتبه المؤلّفة قليلة؛ لأنه غالباً ما كان يشتغل بالمطالعة وحلّ المسائل الغامضة، فمن تأليفاته: شرح على وافية الأُصول ظهر منه مقدار في قسم الألفاظ، والمصابيح في شرح المفاتيح وهو كتاب حسن لكنه غير تام. والكتب التي شرحها أيضاً هي غير تامّة فقد شرح كتاب الصلاة والطهارة، وله كتاب الرجال على غير طريقة كتب الرجال وقد اشتمل على فوائد كثيرة، وله كتاب الإجازات نقل إجازاته عن العلماء وإجازاته للناس، وله الفوائد الأُصولية وهي متفرّقة جمعها ولده السيّد رضا، وله منظومة في الطهارة والصلاة لم تتمّ، ومنظومة في الأُصول في سبعين بيتاً تقريباً وبين الأصحاب خلاف في كون الكتاب له، وله عدّة أبيات في من أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وتعدادهم، وعدّة أبيات في عدّة الكافي وأسمائهم، وله قصائد كثيرة في مصيبة الإمام المظلوم سيّد الشهداء ﷺ.

ويقال: إنه جلس بحر العلوم وأُستاذه الآغا محمّد باقر البهبهاني في بعض الأيام في مجلس عزاء، وفجأة بدأ الذاكر بالتغنّي فانزعج بحر العلوم ومنع الذاكر من ذلك، فغضب المؤسس البهبهاني وقال له: اسكت يا سيّد مهدي. وقد نقل هذه الحكاية الملاآغا الدربندي في كتاب إكسير العبادات، وابنته زوجة المرحوم.

وفي زمن أتى السيّد محمّد من النجف إلى كربلاء فأقام في بيته، فطلب تلامذة

السيّد علي منه أن يطلب من السيّد بحر العلوم أن يدرّس مادام في كربلاء، فطلب منه السيّد علي ذلك ووافق، فدرّس عدّة أيام وهي أيام بقائه في كربلاء، وكان يحضر الدرس السيّد علي أيضاً وفي يوم أشكل السيّد علي بإشكال فغضب بحر العلوم وقال له: اسكت يا سيّد علي. فسكت ولم يعترض.

وكان جنابه كثير الاعتكاف وله احتجاجات كثيرة مع أهل الكتاب وعلماء العامّة، وكان يُلزمهم وينقلهم إلى مذهب الامامية. وجاور في مكة المعظّمة مدّة سنتين وكان يستفيد من التقية هناك وكان يقيم الإقامة لهم. وكان يضع المدرسون فانوساً في وسط المسجد الحرام ليلاً مدّة أربع ساعات ويدرّسون، وما دام ذلك المعظم هناك كان يدرسهم كتب العامّة مدّة سبع ساعات.

ولما كان مذهب العامّة في جواب السلام هو اشتراط التخالف في صيغة السلام والجواب ـ أي لو قال شخص: السلام عليكم. لزم في الجواب أن يقال: عليكم السلام. ولا يصحّ عندهم أن يقال: السلام عليكم. لكن كلا الوجهين صحيحان عند الإمامية ـ ففي أحد الأيام جاء أحد العامّة وقال: السلام عليك. فغفل السيّد عن مذهبهم وقال: السلام عليك. ولكنّه التفت مباشرة وقال بلا فصل: تسالمنا. أي كلّ منا سلّم على الآخر، فقال ذلك الشخص: عليك السلام. وقال السيّد: عليك السلام.

وكان ذكر اسم علي‌ؑ في بعض الموارد موجباً للتهمة، فدخل أحد العامّة في أحد الأيام فأراد جنابه أن ينهض تواضعاً للرجل فقال في غفلة: يا علي. فالتفت إلى خطئه وقال مباشرة: يا عظيم؛ ليوحي أنّ مقصوده من «علي» هنا ليس اسم أمير المؤمنين‌ؑ بل اسم اللّه.

ومن الحكايات الغريبة أيضاً: أن إمام الجمعة هناك كان من هدناس ويأتي

يوم الجمعة ليقيم الصلاة ثم يذهب دون أن يتحدّث مع أحد في أثناء الطريق ولا يذهب إلى أي مكان آخر، وكان من المسلّم لهم ومشهوري العلماء في ذلك البلد. فجاء السيّد بحر العلوم يوماً إلى المسجد وصلّى الجماعة خلفه ثم رافقه إلى بيته، فرأى عنده مكتبة مليئة بالكتب العلمية، فسأله بحر العلوم: ما هي الكتب الموجودة في هذه المكتبة؟ فقال له ذلك الشخص: فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين. أي فيها كل الكتب. فسأله بحر العلوم عن بعض كتب العامة لينقض عليه كلامه، فقال له ذلك الشخص: هذه الكتب لا توجد عندي. فقال له بحر العلوم: قد ألّف أبو حنيفة كتاباً في الرجال هل هو عندك؟ فقال: لا، لكنني رأيت ذلك الكتاب. فقال له بحر العلوم: قال أبو حنيفة في ذلك الكتاب عن جعفر بن محمّد ـ الصادق ﷺ ـ: قد تلمّذت له وكل يوم أستفيد منه سبعين مسألة. فأبرز السيّد بحر العلوم بعد ذلك تعجّبه وقال: فما هو حدّ وقدر علم جعفر بن محمّد حتى يقول عنه ذلك أبو حنيفة وهو العالم المتبحّر وحيد الأعصار؟! وقد كان لجعفر بن محمّد تلامذة كثر أكثرهم من الفضلاء والعلماء يتلمّذون له، فما هو مقدار ما يستفيده كلّ واحد منهم يومياً؟ وكيف هو جعفر بن محمّد حتى يعظّمه مثل أبي حنيفة هذا التعظيم؟

وكان إمام الجمعة يستمع ويسكت، ثم نهض السيّد بحر العلوم وعاد إلى بيته وشيعه ذلك الرجل حتى باب البيت ودعاه السيّد بحر العلوم إلى داخل البيت ليستريح، فقال له إمام الجمعة: إنّي لا أجلس وأقصد أنّي عرفت بيتك.

وبعد مضي سنة على ذلك التاريخ دعاه إمام الجمعة وكان يحتضر فاختلى به وقال له: من ذلك اليوم الذي تحدّثت فيه عن جعفر بن محمّد صرت شيعياً، لكنني سلكت التقية ولم يطّلع أحد على أمري، واليوم وصلت إلى آخر عمري وقد جعلتك وصيي فغسّلني وكفّني وصل عليّ وادفنّي على مذهب الشيعة. قال هذا الكلام وفاضت روحه وحلقت نحو رحاب القدس، فغسّله السيّد بحر العلوم وكفّنه

وصلّى عليه ودفنه وفق مذهب الشيعة.

وسُمِع عنه أنّه قال: في ليلة لا أشتهي العشاء. ثم قال: اجمعوا الطعام في ظرف. وأخذه ودار في أزقّة النجف حتى وصل إلى باب دار قد تزوّج صاحبه حديثاً وكان جائعاً مع عروسه ولم يكن عندهما شيء، فدقّ الباب فخرج العريس فقال السيّد: إنني جعت الآن أيضاً. فقسّم الطعام ثلاثة أقسام: قسماً للعروس وقسمين أكلهما العريس وبحر العلوم.

وكرامات السيّد بحر العلوم لا تنتهي وهي لشهرتها غنية عن البيان وظاهرة وباهرة في الألسنة والأفواه بحيث لاريب فيها. وأكثر الأُمور والأحوال السابقة تعدّ من كراماته، ومن جملتها:

ما حدّث به الملّا زين العابدين، وهو في سن الشيخوخة من تلامذة السيّد بحر العلوم وفي غاية الزهد والصلاح، كان يسكن النجف، وخلال السنة التي تشرّف فيها هذا الفقير مؤلف الكتاب بزيارة العتبات المقدّسة رافق مؤلف الكتاب الملّا زين العابدين في سفرة من الكاظمين عليهما السلام إلى سامراء، وهناك نزلنا في بيت واحد وتحدّث عن أحوال السيّد بحر العلوم وقال: كنت أدرس عند السيّد بحر العلوم، وكنت معه أينا ارتحل، فذهبنا مرّة إلى سر من رأى وأقمنا فيها عدّة أيام، وقد اتّفق مجيء الميرزا القمي ـ أقامه اللّه محل كرامته ـ إلى سامراء للزيارة فجاء يوماً لرؤية بحر العلوم، وكان الميرزا أسنّ من بحر العلوم فجلسوا وقال الميرزا له: إذا خلا المجلس فلي معك حكاية في الخلوة. ولما خلا المجلس أردت أن أنهض لكن لما كان بحر العلوم يحبّني قال: هذا من خاصّتنا ومحرم الأسرار. فقال الميرزا لبحر العلوم: أُريد منك أن تذكر أحد خفايا الأسرار حتى أهنأ بها. فصار بحر العلوم يخفي وينكر وأنّني لا أسرار عندي لكن الميرزا أصرّ كثيراً، حينئذٍ قال بحر العلوم:

رأيت في المنام في سوابق الأيام أنني تشرّفت بالحضور عند الصديقة الكبرى فاطمة الزهراءعليها السلام فقدّمت لي جدّتي الكبرى كاسة من ال«آش»[١] لآكلها فأكلتها فكانت في المنام بطعم عجيب لذيذ لم أذق مثلها أبداً إلى أن مضت مدّة وتشرّفت بزيارة خراسان فجاء في نيشابور المضيّف بـ«آش» فكان يشـبه ذلك الآش الذي أكلته في المنام، فسألت المضيف عن اسم هذه الآش فقال: نسميها في هـذا البـلد بـ«آش فاطمة».

وعلى كلّ حال بعد أن أكلت ذلك الآش في المنام قالت لي جدتي فاطمة: هل تريد التشرف بزيارة جدك؟ فقلت: نعم وهذا غاية آمـالي. فأخـذتني الصـديقة الكبرى وأدخلتني المنزل فوقفت عـلى بـابه ورأيت النـبيﷺ جـالساً في صـدر المجلس وأمير المؤمنينعليه السلام جالساً قرب البـاب فسـلّمت وقـال لي الرسـولﷺ: اجلس. فرأيت أنّني حيثما جلست فإن المكـان سـيكون أعـلى مـن مكـان أمـير المؤمنينعليه السلام لأنّه كان جالساً قرب الباب، فخطر على بـالي أن أجـلس في زاويـة الدار؛ لأنّه إن مدّ خط مستقيم إلى قرب الباب وخط آخر إلى الزاوية فإنّ هذا الخط أطول، إذن سيكون مكان أمير المؤمنين أعلى وأقرب إلى النبي وسـتكون زاويـة البيت أحقر وأبعد عن النبيﷺ، فجلست فتبسّم رسول اللّهﷺ عندما رأى مني ذلك وقال: ما جاء في فكرك صحيح يا ولدي. ثم سألت رسول اللّهﷺ عدّة أسئلة وأجابني عنها. فقال له الميرزا: وماذا كانت الأسئلة والأجوبة؟ فقال له بحر العلوم: أمّا هذه فلن أبرزها. ولم يبرزها مهما أصر الميرزا القمي.

وقال الملّا زين العابدين: إنّ طريقة بحر العلوم كانت إذا دخل عليه أحد وهو

---

(١) طعام إيراني «شوربا» مكوّنة من معكرونة وبعض الحبوب وبعض الخضار، وأهمّ مادة فـيها الحـبوب. (المترجم).

يتناول الطعام ولا يشاركه في تناوله ينزعج جداً، ففي ليلة وقف لصلاة الجماعة وقت المغرب خلف رأس المرقد المطهر للعسكريين، وكنا جماعة من الأصحاب نصلّي خلفه، وعندما وصل إلى التشهّد الأخير وقال: السلام علينا. فسكت وجمد وهو لم يقل بعد: السلام عليكم: ولم يتكلّم بشيء فظننّا أنّه عرض له سهو أو نسي، وبعد مرور زمن قال: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. فتعجّبنا جميعنا وكان ذا هيبة عظيمة بحيث لم يقوَ أحد على سؤاله عن ذلك.

قال الملّا زين العابدين: تحدّثت مع أحد أصحابي في أن نذهب وقت العشاء ولا نأكل ونطلب منه أن يخبرنا بسرّ سكوته وإلّا لن نتناول الطعام؛ ولأنّه لا يرضى بأن يجلس أحد معه دون أن يشاركه في الطعام فسيبيّن لنا الأمر. فذهبنا نحن النفرين وجلسنا أمامه، فقال لنا بحر العلوم: يجب أن تأكلا معي. فقلنا: إذا قلت لنا لماذا سكتّ أثناء الصلاة نأكل معك وإلّا فلا. فقال لنا: الآن كلا وبعد الطعام أقول لكما ما الأمر. فأكلنا وبعدها سألناه فقال: عندما قلت صيغة السلام الأُولى رأيت فجأة إمام العصر ـ عجل اللّه تعالى فرجه ـ قد أتى لزيارة أبيه وجدّه فتوقّف لساني من الدهشة وهيبة الإمام فلم أستطع أن أتكلّم، وكنت في أثناء الصلاة ولم يكن بإمكاني النهوض وقطعها وقد أخذتني هيبة الإمام واحترامه وتعظيمه بحيث عجز لساني حتى انتهى الإمام عليه السلام من زيارة جدّه وأبيه ورجع، حينئذٍ عدت إلى حالتي الطبيعية وقلت الصيغة الثانية للسلام.

ومن كراماته: ما ذكره بحر العلوم للميرزا القمي رحمه الله: أنني كنت مشغولاً بالعبادة في إحدى الليالي في مسجد السهلة، وفجأة سمعت صوت مناجاة يضطرب له القلب، فذهبت نحو مصدر الصوت فقال لي: إجلس سيّد مهدي. فجلست ثم وضع بحر العلوم يده على كتف الميرزا القمي وقال له: إذا قلت لك أنني رأيت القائم فكذّبني؛ لأن هذا هو تكليفك. وقطع بحر العلوم كلامه.

ومن كراماته: ما حكاه السيّد جواد العاملي صاحب كتاب مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة من تلامذة بحر العلوم وقد تلمذ له الشيخ محمّد حسن النجفي صاحب جواهر الكلام في بداية أمره. قال السيّد جواد: رأيت في بعض الليالي أُستاذي بحر العلوم قد فتح باب صحن أمير المؤمنين عليه السلام وتوجّه نحو حرمه ولم يرني فتعقّبته، فانفتح له باب الرواق مع أنّه كان مقفلاً وتوجّه منه إلى الحرم وفتح بابه ثم سلّم على جده وجاء الجواب من المرقد المنوّر، فخفت وعدت.

وقال السيّد جواد: رأيت في بعض الليالي أُستاذي بحر العلوم يخرج من النجف فتعقّبته حتى دخلنا مسجد الكوفة، فرأيته يذهب نحو مقام صاحب الأمر عليه السلام وقد تحدث مع الإمام عليه السلام فسأله عن مسألة فقال له عليه السلام: أنتم مكلّفون في الأحكام الشرعية بالأدلّة الظاهرة وما تستفيدونه من الأدلّة ولستم مأمورين بالأحكام الواقعية.

وقال الملّا زين العابدين السلماسي: إنّ بحر العلوم كان يخرج كلّ ليلة ويدور في أزقّة النجف يوزّع الخبز ونحوه على الفقراء، ففي يوم ترك التدريس فطلب مني الطلاب أن أسأله فقال لي: لن أُدرّس. وبعد عدّة أيّام طلب منّي الطلاب أن أسأله عن السبب فقال لي: كلّ هذا العدد من الطلاب ولم أسمع أحداً منهم مشتغلاً بالتضرّع في الليالي بعد نصف الليل والمناجاة مع أنّني في أغلب الليالي أكون في أزقّة النجف، ومثل هذا الطالب لا يستحقّ أن أعطيه درساً. وعندما سمع الطلاب بذلك بدؤوا يشتغلون بالمناجاة والتضرّع وقد سُمعت من كلّ صوب، حينها عاد السيّد للتدريس.

وكان السيّد في بعض الأوقات في مسجد الكوفة فقال لأصحابه: ائتوا بطعام زائد فسيأتي بعض الركبان بعدد كذا وكذا وهم جائعون. ففعلوا ذلك فجاء ذلك

العدد الذي ذكره وأكلوا من ذلك الطعام ورحلوا.

ومن أخلاقه أنّه في بعض الأوقات وقف للصلاة وقرأ الإقامة كلّها وأراد ذكر تكبيرة الإحرام فجاءه شخص بنرجيلة ليدخّنها فجلس جنابه ودخن النرجيلة ثم صلّى، وبيّن ذلك بأنّني إن لم أُدخّن فهذا يكسر قلب مؤمن.

ومن أحفاده السيّد حسين أحد فقهاء النجف، ومن أحفاد أخيه الميرزا محمود في بروجرد وكان صاحب كرامة ولم يكن يجلس في مجلس إلّا ويقرأ القرآن. السيّد صادق الساكن طهران مثله أيضاً كان يحمل معه القرآن إلى كلّ مجلس ويقرأ في غاية الحسن سواء كان المجلس فيه علماء أم لا؛ لأنّه إن دخلوا في حديث علمي فسيجرّ الأمر إلى الجدال الباطل وعدم خلوص النية، وإن كان الحديث في أمر الدنيا فلا يتمّ عادة بدون غيبة.

كما أنّ السيّد صدر الدين النهاوندي الششتري كانت عادته أن يحمل سجّادته ويشتغل بالصلاة، وهو من أهل ششتر لكنه سكن نهاوند، وكان شخصاً فاضلاً مشتغلاً بالصلاة على الدوام، وكان معروفاً أنّه من أهل الباطن والكرامة. وحكى خالي المفضال السيّد صادق إمام الجماعة التنكابني الأصل اللنكرودي مسكناً: أنني في بعض الأيام سافرت إلى العتبات وكانت طريقي من إصفهان، فعبرت نهاوند وسمعت عن كرامات السيّد فأردت أن أعرف شيئاً منها بل أن أرى شيئاً منها، فذهبت لزيارة السيّد وكان يبدو عليه الصفاء والأخلاق والناس مخلصة له في تلك البقاع بحيث إنّ الأمراء كانوا يدعمونه ويحمونه ظنّاً منهم أن يلتفت إليهم ليصلوا إلى السلطنة بعد وفاة فتح علي شاه جُعلت الجنة مثواه.

يقول الخال المفضال: بعد أن سألني عن حالي سألني عن سبب المجيء، فقلت: قد ملأت كراماتك الأصقاع والأسماع فرأيت أن أستفيد من فيضك العميم وأن

أرى شيئاً رأي العين. فقال السيّد: ما عندي كرامة، وسبب اشتهار الكرامة عني أنّ كلّ شخص يولد يولد معه في ذلك الحين طفل من الجن، وهذا الطفل يسمّونه قرين هذا الشخص، ولي قرين كان من سلاطنة الجن فأرسل لي خمسة أو ستة أنفار من الجن ليكونوا في بيتي ويخدموني، فأحياناً يكون الإناء خالياً من الماء وفجأة تراه قد امتلأ، وأحياناً يبكي الطفل في المهد فيبدأ المهد بالاهتزاز دون أن يحركه أحد، أو ربّما لا يكون عندي حطب وفجأة يجتمع الحطب، أو تكون المدفأة غير مشتعلة فتشتعل فجأة دون أن يشعلها أحد. وعندما يرى الناس هذه الأُمور يظنون أنّها من الكرامات والحال أنّها ليست كذلك بل هي من خدمات الجن.

يقول المؤلف: حكاية القرين هذه معروفة وقد سألوا الشيخ أحمد الأحسائي عن السبب في أن الإنسان يغتم أحياناً بدون سبب ظاهر فأجاب عن ذلك بوجهين: أحدهما: أنّ لكل شخص قريناً من الجن فإذا ملّ يعرض الملل على الإنسان بلا سبب للارتباط بينهما فلا يفهم السبب، والآخر: حيث إنّ الإمام ﷺ يطّلع على أعمال الشيعة يُغتم من المعاصي التي تصدر منهم، وحيث إنّه ﷺ هو قلب عالم الإمكان وكلّما عرضت للقلب ملالة وغم فإن هذا الغم يسري إلى جميع الأعضاء، فكذلك إذا غُم الإمام يسري غمّه إلى عالم الإمكان، ولعلّ ذلك الشخص الذي انزعج الإمام ﷺ من عصيانه هو الذي يغتمّ لا غيره بسبب الارتباط القائم بين الفعل وبين ذلك الشخص.

(٢٩)
السيّد علي صاحب الشرح الكبير والصغير ﷺ

السيّد علي ابن السيّد محمّد علي الطباطبائي الإصفهاني الساكن كربلاء، ووالده السيّد محمّدعلي هو ابن السيّد أبو المعالي الصغير ابن السيّد أبو المعالي الكبير صهر الملّا صالح بن أحمد المازندراني. وللسيّد أبو المعالي الكبير ثلاثة أولاد ذكور وعدّة بنات. أمّا أولاده الذكور فهم: السيّد أبو طالب والسيّد علي والسيّد أبوالمعالي. وكان السيّد أبوالمعالي هذا أصغرهم ولم يُرزق إلّا ولد واحد هو السيّد محمّد علي والد السيّد علي. وأمّا بنات السيّد أبو المعالي فإحداهن هي زوجة الملّا محمّد رفيع الجيلاني الساكن مشهد المقدسة.

والسيّد علي المذكور هو ابن اخت الآغا باقر البهبهاني من الرضاعة وصهره أيضاً، أي كانت ابنة الآغا محمّد باقر زوجته وهي والدة السيّد محمّد. وعندما بلغ السيّد علي سن الكهولة وبعد إصرار خاله المفضال آغا محمّد باقر البهبهاني اشتغل بتحصيل العلوم، وذلك بعد ولادة السيّد محمّد.

ولد السيّد علي في بلدة الكاظمية الطيبة سنة ١١٦١ في الثاني عشر من ربيع الأول وهو يوم ولادة الخاتم ﷺ بناء على رواية ثقة الإسلام الكليني. وكان جنابه سيّد الأسانيد ومرجع الرواة والأساتيذ والوحيد في العلوم العقلية وفي التقرير كان مفيضاً وكتابته في غاية الفصاحة والبلاغة والتسديد، وفي الجدل لا بديل له وكان مؤيّداً غاية التأييد، وكلّ مشايخ وأساتذة زماننا من تلامذة جنابه بواسطة أو

بلاواسطة. وفضل تلامذة جنابه شاهد على وفرة علمه. وكانت أُصوله أكثر من فقهه وسلّم له الجميع في ديار العرب والعجم بل في جميع بلاد الإسلام، وكان الفاضل القمي أكثر مهارة في الفقه لكن اشتهر تأليفهما على العكس(١)، فكان كتاب الفقه له وهو الشرح الكبير وكتاب القوانين للميرزا في الأُصول كالشمس في رائعة النهار شهرة.

درس في بداية أمره عند الآغا محمّد علي بن الآغا محمّد باقر فجعله الآغا محمّد علي شريكاً في الدرس مع جماعة أكبر منه في السن فنا بسرعة، ثم تلمذ لخاله الآغا محمّد باقر البهبهاني وبمدّة يسيرة ترقّى جداً واشتغل بالتصنيف. وكان مرحاً جداً حكى لي شخص أنّه كان يدرّس يوماً الشرح الكبير وفي أثناء قراءة العبارة وصل إلى قوله «ذكراً كان أو أنثى» فقال أحد تلامذته: ليس عندي ذكراً. فضحك جنابه وقال: أنا عندي بطول ذراع.

ولجنابه إجازة من الآغا محمّد باقر وكذلك بعض آخر غيره ذكرناهم في إجازة السيّد محمّد.

وتشرّف في بعض السنوات الميرزا القمي بزيارة العتبات العالية، وكان مذهب الميرزا حرمة الطعام المشتمل على الزبيب ومذهب السيّد على الحلية، فدعي ليلة للضيافة عند السيّد علي وأمر أن يُطبخ في الطعام مقدار من الزبيب، وعندما أحضر الطعام امتنع الميرزا عن الأكل فمسك السيّد علي بيد الميرزا وقال: ناقشني في هذه المسألة وأجبني، أو كلّ من هذا الطعام. فقال له الميرزا: أنت تعرف أنني لا أقدر عليك وأن مذهبي حرمة هذا الطعام فلماذا تؤذيني؟ فتبسّم السيّد علي

---

(١) أي الأمهر منهما في الأُصول وهو السيّد علي اشتهر بكتاب الفقه، والأمهر منهما في الفقه وهو الميرزا القمي اشتهر بكتاب القوانين. (المترجم).

وأتوا بطعام للميرزا خالٍ من الزبيب.

وقد سُمع أنّ السيّد علي لم يكن عنده معرفة بعلم الحكمة فعندما أراد تعريف الملك قال لتلامذته: ما هو تعريف الملك؟ فيقول التلامذة: جوهر مجرد... كما أنّه كان لا معرفة له بعلم الهيئة، وعندما كتب الشرح الكبير ووصل إلى بحث القبلة أشكل الأمر عليه؛ لأنه لم يكن على معرفة بالهيئة، وكان أحد تلامذته على معرفة بها فطلب منه السيّد أن يأتي إليه في وقت محدّد ليعلّمه بعض ضروريات القبلة من علم الهيئة، فقال له ذلك الشخص: كما أننا نحمل الكتاب تحت ابطنا ونتشرّف ونستفيض منكم فكذلك تحملون أنتم الكتاب تحت ابطكم وتشرفوننا في المنزل وتأخذون مسائل الهيئة. فقال له السيّد: بالنسبة لي لا مانع من ذلك لكن إذا خرجت من المنزل هجم الناس عليّ ويضيّعون أوقاتي فلا يدعونني أقوم بعملي.

وبالجملة فإنّ السيّد علي تألّم من هذا الكلام وقضى تلك الليلة داخل حرم سيّد الشهداء عليه السلام مشغولاً حتى الصباح بالعبادة والتضرّع طالباً من اللّه بشفاعة سيّد الشهداء عليه السلام أن يفيض عليه دقائق علم الهيئة الضرورية، وقد فرّج اللّه همّه وكتب مباحث القبلة.

وأمّا تأليفات السيّد علي فكثيرة وأكثرها رسائل، منها: شرح لصلاة كتاب المفاتيح بتفصيل تام اشتمل على معظم أقوال العلماء الأعلام واستدلالات الفقهاء الكرام والترجيح والتعارض والتفريع؛ وكتاب رياض المسائل وهو شرح للمختصر النافع المعروف بالشرح الكبير، وقد اشتمل الكتاب على أُصول المسائل الفقهية مع إشارة إجمالية للأقوال والتحقيق بعبارات فصيحة بليغة مع رعاية السجع والقافية. والحقيقة أنّ تأليف هذا الكتاب على هذا الوجه معدود من كراماته وهو في الاشتهار كالشمس بلا أستار وحجاب بين الطلاب والعلماء

الأطياب وهو مطرح أنظار الأخيار، وكان كتاب درسه اشتغل بتدريسه، ولي حواشٍ كثيرة على هذا الكتاب مدوّنة وغير مدوّنة كتبتها أثناء المباحثة والمذاكرة منها: تعليقة على كتاب الإجارة في مجلّد، وتعليقة على كتاب الصلح في مجلّد، وتعليقة على كتاب الهبة وكتاب القضاء في مجلّد، وتعليقة على كتاب الوصايا في مجلّد، وحواشٍ على كتاب المتاجر.

ومن تأليفات السيّد علي أيضاً: رسالة في تثليث التسبيحات الأربعة في الركعتين الأخيرتين، وكتاب الشرح الصغير وهو مختصر للشرح الكبير وشرح للمختصر النافع، ورسالة في الإجماع والاستصحاب، ورسالة في حجّيّة مفهوم الموافقة، ورسالة في جواز اكتفاء بضربة واحدة في التيمم؛ ورسالة في اختصاص الخطاب الشفاهي بالحاضرين، ورسالة في منجّزات المريض، ورسالة في حكم استظهار الحائض زمان تجاوز الدم عن الأيام العشرة، ورسالة في براءة ذمّة الزوج من المهر وعلى الزوجة إثبات اشتغال ذمّة الزوج، ورسالة في حجّيّة الشهرة، ورسالة في إباحة النظر إلى الأجنبية في الجملة. وله حواشٍ غير مدوّنة على كتاب المعالم، وحواشٍ متفرّقة على كتاب الحدائق، وأجزاء غير تامة في شرح مبادئ الأُصول للعلامة، وحواشٍ متفرّقة على كتاب المدارك، ورسالة في تكليف الكفار بفروع الدين.

وكان المعظّم مستمراً كلّ ليلة جمعة من أول الليل حتى الصباح في الإحياء والعبادة.

وحيث تقدّم أن السيّد علي كان أوحد أهل زمانه في المناقشة، وقد اشتهرت مناقشته مع الميرزا محمّد الأخباري، فاللازم ذكر أحوال الميرزا محمّد الأخباري.

فاعلم أنّ الميرزا محمّد الأخباري من أهل البحرين، وأغلب أوقاته في طهران

وبعض أوقاته في اصفهان إلى أن سكن في نهاية الأمر في الكاظمية ودفـن فـيها، وكان أولاده في هذه المدّة في البحرين، وكان للميرزا محمّد اليد الطولى في الجدل ولم يغلبه أحد إلا السيّد علي، وقد حكى لي الملّا صفر عـلي اللاهـجي ـ وهـو أحـد مشايخي ـ أنّ قوّة جدال الميرزا محمّد نشأت من إحاطته، فإذا دخل في نقاش مـع أحد وشعر أنه سيُغلب ينقله بشتّى الحيل من تلك المسألة إلى علم آخر، فإذا رأى مثل ذلك انتقل إلى علم آخر وهكذا حتى يـعجز خـصمه ولا يكـون مـتمكّناً في مسألة.

وجاء إلى إصفهان في بعض الأيام فاجتمع في مجلس من المجالس الميرزا محمّد والسيّد محمّد باقر حجّة الإسلام والحاج الكلباسي، فعاتب المـيرزا مـحمّد الحـاج الكلباسي قائلاً: كنا رفيقين في أيام التحصيل فلي حقّ الصداقة عليك فلماذا لا تأتي لزيارتي؟ فسكت الحاج الكلباسي فأجاب حجّة الاسلام: لأنّ الحاج الكـلباسي درس عند من يقول لهم: كلّ من يجلس منكم أو يعاشر الأخباريين فهو عاقّ لي؛ فلذا لا يأتي لزيارتك. فقال المـيرزا مـحمّد: الآن هـنا مسألة وهـي: لو تـعارضت الحقوق مع العقوق أيّهما المقدم؟ فقال السيّد العقوق مقدم. وجاء بحديث يدلّ على مدّعاه، فقدح الميرزا محمّد في سند ذلك الحديث وأتى بعدّة إيرادات في اللغة العربية والألفاظ، ثم اختار أنّ الحقوق مقدّمة وأتى بحديث من كتاب الكافي يوافق مدّعاه. فسكت الحاضرون جميعاً.

وفي زمن جاء إلى طهران الشيخ جعفر النجفي ـ أعلى اللّه مـقامه ـ وصـادف وجود الميرزا محمّد في طهران أيضاً، فكـان الأعـيان يـدعون في اللـيالي الشـيخ للضيافة ويدعون أيضاً الميرزا محمّد فيتحدّث الميرزا محمّد مع الشـيخ، ولمـا كـان الشيخ ماهراً في العلوم النقلية والميرزا محمّد محيطاً وقادراً في المناظرة والجدل بـدا أمام الناس أنّه غلب الشيخ جعفر، وكدّر أوقات الشيخ إلى أن جاءت ليـلة وقـد

انزعج الشيخ منه فقال له: تجعل الأمر مشتبهاً على الناس بهذه الكلمات الواهية والكلام الفاسد تزينه وتفسد دين المسلمين، فإن كان معك كلام الآن فإني أدعوك وقت الظهر غداً إلى خارج بوابة المدينة للمباهلة حتى يعرف الجميع المحق من المبطل. وفي اليوم التالي وقف الميراز محمّد للصلاة وكان قد اجتمع خلق كثير فاصطف خلفه جمع كثير، ثم خرج الشيخ ووقف للصلاة فوقف الجميع خلفه، فصلى الميرزا محمّد صلاة خفيفة وترك المدينة مباشرة ولم يقف للمباهلة. وليعلم أنّ المباهلة مؤثّرة جداً في الفصل بين الحقّ والباطل لكن مع تحقق شرائطها، وفي أُصول الكافي أخبار كثيرة في المباهلة وكيفيتها وشرائطها.

ومن الوقائع الغريبة أنّه في أيّام المرحوم فتح علي شاه دخل في خصام مع سلطان الروس، وصار اشبختر قائد جيش الروس فاحتلّ قبه وبادكوبه وتحرّك لاحتلال مدن إيرانية أُخرى، وكان كلما وصل إلى مدينة يضطرب فتح علي شاه اضطراباً شديداً، وكان في ذلك الوقت الميرزا محمّد الأخباري في دار الخلافة طهران فذهب إلى فتح علي شاه وقال له: أنا آتيك برأس اشبختر خلال أربعين يوماً إلى طهران بشرط أن تنسخ مذهب المجتهدين وتتركه وتقمعهم وتقلعهم من أساسهم وتنشر المذهب الأخباري في بلاد إيران.

فقبل فتح علي شاه، وظل الميرزا محمّد مدّة أربعين يوماً مشتغلاً بالختم وختم آية الكرسي بالشرائط المتداولة بينهم، وترك الطعام الحيواني وصنع وجهاً من الشمع وصار يضربه بالسيف، وبعد انقضاء الأربعين يوماً جلس فتح علي شاه للملاقاة العامة فلم يجد أثراً لرأس اشبختر فانزعج من الميرزا محمّد وأرسل خلفه من يحضره، فخرج الميرزا محمّد من الختم وأكل الطعام الحيواني وتساهل وتباطأ في الوصول إلى السلطان حتى أرسل خلفه شخصين أو ثلاثاً آخرين، وعندما وصل الميرزا محمّد كان قد وصل رأس اشبختر أيضاً!

وقد ذكروا أنّه عندما حوصرت لنكران طلب حاكمها من اشبختر الانفراد معه للحديث في أمر الصلح، فجاء اشبختر مع شخص والحاكم مع شخص، وعندما التقيا أخرج الحاكم مسدسه وقتله ثم قطع رأسه، وعندما رأى الجند أنّ قائدهم قُتل هربوا، ثم أُرسل الرأس إلى السلطان فتعجب جداً من ذلك، ثم قال الميرزا محمّد: قد وفيت بوعدي فعليك الآن أن تفي أنت بوعدك. فجمع السلطان أُمناء الدولة ليستشيرهم في ذلك فقالوا: إن مذهب المجتهدين مذهب كان من زمان أئمة الهدى ﷺ واستمر إلى الآن وهم محقّون، ومذهب الأخباريين نادر وضعيف، والناس في أول زمان السلطنة القاجارية لا يتمكّنون من العدول عن المذهب ولعله يوجب اختلال حال الدولة وخروج الناس على السلطان، إضافة إلى أنّه قد تحصل بينك وبين الميرزا محمّد مشكلة ويصانع خصمك ويتعامل معك كما تعامل مع اشبختر الروسي، فالمصلحة أن تعطيه مالاً وتعتذر منه وتحكم بذهابه إلى العتبات العالية ليسكن هناك؛ فإن وجود مثل هذا الشخص في ظل العرش ليس في صلاح الدولة. فاعتذر السلطان من الميرزا محمّد وأعطاه مالاً وسيّره إلى العتبات العالية.

وعندما وصل الميرزا محمّد إليها تشرّف بخدمة السيّد علي وجرت بينهما مسألة النزاع بين الأخباري والمجتهد فقال له السيّد علي: أُناقشك بشرط أن لا ينتهي الكلام بالمراسلات. فقبل الميرزا محمّد وبدأت المناظرة وتغلّب السيّد علي على الميرزا محمّد، فذهب الميرزا محمّد إلى الكاظمية وأرسل من هناك رسالة في هذه المسألة يرد فيها على السيّد علي، وعندما رأى السيّد علي الرسالة لم يقبل وقال: اتفقنا على المحادثة لا المراسلة، فإن كان عنده كلام فليحضر إلى هنا ويتحدّث معي حتى ألزمه.

وكان الميرزا محمّد عارفاً بالعلوم الغريبة وماهراً في أنساب العرب، وكان يقول ـ والعياذ بالله ـ: إن الشيخ جعفر النجفي من نسل بني أُمية. وعندما توفّي

الشيخ جعفر قال ذلك الملعون المطرود هذه العبارة: مات الخنزير بداء الخنازير؛ إذ كان الشيخ ابتلي بمرض الخنازير فتورّم حلقه ورقبته. ثم صدرت من الميرزا محمّد أعمالاً شنيعة حتى حكم علماء العتبات بكفره بسبب أقواله الشنيعة وسحره وحكموا بقتله، وعندما أرادوا الذهاب إلى منزله رأوا أنّ داره بلا باب بسبب السحر الذي قام به، فكسروا الحائط وعثروا عليه فقتلوه.

يقول مؤلّف الكتاب: إن كان الأخباري قاصراً فلا إشكال، وإن كان مقصّراً فهو فاسق، وإن كفّر ـ والعياذ باللّه ـ المجتهدين فهو كافر. ولنا في رد الأخباريين بيان في الكتب الأُصولية مثل التعليقة على القوانين، والمنظومة في الأُصول وشرحها.

(٣٠)
الميرزا القمّي

الميرزا أبو القاسم بن الحسن الجيلاني عالم عـليم دقـيق في التـحقيق وعـلم التدقيق، علّامة فهامة، مقنّن القوانين، ناهج مناهج الصدق واليقين، حائز متعلقات غنائم الدارين، قدوة العلماء العاملين وأُسـوة الفـقهاء الراسـخين، رئـيس الدنـيا والدين، أزهد أهل الزمان وأورع المتورّعين، وأعلم وأفـقه المـعاصرين، رئـيس الإمامية.

ووالده الملّا حسن من أهل شفت من توابع رشت، وقـد جـاء إلى إصـفهان لطلب العلم وتلمذ للعالمين الميرزا حبيب اللّه والميرزا هداية اللّـه الذي هـو جـد الميرزا لأُمّه، فجاء هذان العالمان إلى قرية جابلاق بأمـر مـن السـلطان لترويـج الأُمور الشرعية والقضاء بين المسلمين وتوطّنا هناك، وأتى معهما الملّا حسن. وكان الملّا حسن عالماً فاضلاً ألّف كتاباً على طريقة كشكول البهـائي، وكـان مـشهوراً بالزهد والعبادة.

والميرزا درس عند والده الماجد العلوم الأدبية، وبـعد ذلك درس الأُصـول والفقه عند السيّد حسين الآتي ذكره وهو من أعاظم فقهاء ذلك العصر ومن مشايخ الإجازة وصاحب رسالة في علم الرجال، بـعد ذلك تـشرف المـيرزا بـذهابه إلى العتبات العالية ودرس عند أُستاذ الأساتيذ المؤسس الذي لا ثاني له الآغا محـمّد باقر البهبهاني إلى أن أخذ منه الإجازة.

وكان الميرزا في بداية أمره فقيراً، وكان أُستاذه الآغا محمّد باقر يصلّي بالأُجرة ويعطي المال للميزا ليصرفه على نفسه ليدرّس العلم وهو فارغ البال. والمعروف أنّ الميرزا ذهب إلى كربلاء بعد وفاة الآغا محمّد باقر وذهب إلى باب بيته وقبّل عتبتها ثمّ زار الإمام الحسين عليه السلام.

وبالإجمال بعد الرجوع من تحصيل العلوم عاد إلى وطن أبيه وهي قرية من قرى جابلاق مسمّاة بدره باغ، لكنّها كانت صغيرة وضاقت المعيشة على الميرزا أيضاً، فتوطّن في قرية قلعة بابو وهي من قرى جابلاق، وداعم حركته الحاج محمّد سلطان وهو من أعيان وأركان جابلاق ومن الأكابر وأهل الثروة والغنى، وكثير التدين وأعان الميرزا وكان محباً له، ولم يكن فيها من طلاب العلم إلّا شخصان: أحدهما أخو الحاج محمّد سلطان المسمّى بالميرزا هداية اللّه، والآخر علي دوستخان بن طاهر خان، فدرسا عند الميرزا النحو والمنطق وشرح الجامي وحاشية الملّا عبداللّه.

ولم يعرف أهل القرية قيمة الميرزا، والمعروف أن ملّا القرية كان يستخفّ بالميرزا فجمع أهل القرية وطلبوا الميرزا، فقال لهم: قولوا للميرزا أن يكتب «حيّة». فكتبها الميرزا، لكن ذلك الملّا رسمها وقال لإهل القرية: انظروا هل الحية هي التي أنا كتبتها أم التي كتبها الميرزا؟ وحيث إنّ أهل القرية لا يعرفون القراءة فضّلوا ما كتبه الملّا فتأثّر الميرزا من ذلك تأثّراً شديداً.

وقد وصل الأمر إلى أنه أتى شخصان إلى الميرزا ليترافعا عنده، فادّعى أحدهما على الآخر أنّه قد أحدث فأنكر الآخر، عندما رأى الميرزا الأمر على هذه الصورة بكى ورفع يده نحو السماء وقال: إلهي، لا ترضَ لي ذلة أكثر من ذلك. وهذا هو ما يوجبه السكن في القرى وكما قالوا:

إن كان ذيـل الطـير نحـو المـدينة
ورأســــــه نحـــو القـــرية
فـــــذيله أفــضل مــن رأســه

وقال الملّا الرومي في المثنوي:

لا تذهب إلى القرية فإنها تجعل الرجـل أحمـق
تجـــعل الرجـــل بــلا عــقل ولا رونــق

وعلى كلّ حال ذهب الميرزا من هناك إلى إصفهان دار السلطنة، وأمضى مدّة من الزمان في مدرسة كاسه گران، فظهر لبعض علماء الدنيا آثـار الرشـد في هـذا المعظم فأهانوه فتوجّه الميرزا نحو شيراز، وكانت السلطنة في ذلك الزمان مع كريم خان زند، فأقام فيها سنتين أو ثلاثاً وأعانه الشيخ عبد الحسين وابنه الشيخ مفيد وأعطوه سبعين توماناً أو مئتي تومان على اختلاف الحكايتين، فأخذ الميرزا ذلك المال ورجع إلى إصفهان؛ ولمّا لم تكن عنده مصادر الاجتهاد فاشترى بعض الكتب الاستدلالية والكتب اللغوية وكتب الحديث، ويقال: إنّ الكتب كانت تباع في ذلك الزمان بالوزن، ووحدته المنّ وهو بوزن الملك يعادل منّين مـن تـبريز ويسـاوي عشرة توامين، وكانت العادة على هذا المنوال أن يجعل البائع كفّة الميزان لجهة المبيع أثقل من وحدة الوزن، وعندما اشترى الميرزا الكتب وضع الميرزا كتاب الروضة البهية الذي هو شرح اللمعة الدمشقية على الكفة لتصير كفة الكتب أثقل.

ثم عاد من هناك إلى بابو فـاشتغل عـنده بـعض الطـلاب بـتحصيل الفـقه والأُصول، ولكن كان البلد خالياً من العلماء والفضلاء، وأمر المعاش مضيّقاً عليه، وأهل البوادي غير مهتمّين بأمره لعدم تمييزهم بين الحسن والقبيح، فتوجّه جنابه نحو البلدة الطيبة قم، وببركة فاطمة ﷺ ولقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْـراً * إِنَّ

مَعَ العُسْرِ يُسراً﴾[1] و ﴿يَأبَى اللّه إلاّ أن يُتِمّ نُورَه﴾[2]، و ﴿إنّ اللّـهَ لا يُـضِيعُ أجْـرَ المُحْسِنِينَ﴾[3] وسّع عليه الخلّاق العالم في معاشه وصار علمه مـقبولاً لدى أبـناء الزمان، فأكرمه اللّه بذلك وصار يشتغل بالتأليف والمقابلة والتدريس والإجـابة عن الاستفتاءات وإقامة صلاة الجمعة والجماعة وإرشاد الخلائق.

ومن فتاواه حرمة الزبيب المطبوخ، وتجويزه قضاء المقلّد على رأي مجتهده.

وخلّف عدّة بنات إحداهن زوجة الملّا أسـد اللّـه البروجـردي والأُخـرى زوجة الملّا علي البروجردي.

ودُفن في مقبرة قم الكبيرة وله مقبرة خاصّة. وكنت قد أقمت مدّة في قـم في السنوات السابقة فدرست القوانين مدّة عند مقبرته، فكنت أضع الكتاب على قبره المبارك رضي اللّه عنه وأرضاه.

ومشايخ إجازته الآغا محمّد باقر البهبهاني وبعض آخر تقدّم ذكر أسمائهم في إجازة السيّد محمّد باقر.

وأمّا تأليفاته فهي مهوى الأنظار منها: كتاب قـوانـين الأُصـول في مجـلّدين تقريباً وخمسة آلاف بيت، ولهذا الكتاب شهرة بين الأمـصار والأعـصار وصـار مورد إقبال أنظار فضلاء الزمان، وحوى أفكاراً أبكاراً ولم يكتب قبله في الأُصول مثله بهذه الدقة والمتانة وهو الآن مدار تدريس ودراسة العلماء الإمامية. ومعروف أنّ العلماء عثروا على اثني عشر ألفاً من الأغلاط اللفظية في كتاب القوانين، لكن جنابه كان حين تأليف الكتاب غارقاً في بحر الفكر ولم يكن في مـقام التـدقيق في

(١) الشرح ٩٤ / ٥ ـ ٦.

(٢) التوبة ٩ / ٣٢.

(٣) التوبة ٩ / ١٢٠.

اللفظ. وقد سمعت الملّا محمّد صالح البرغاني يقول: إنّ الميرزا كان حين تأليف كتاب القوانين غارقاً في التفكير حتى إنّه لم يكن يسمع. ويقال: إن الملّا أحمد النراقي ذكر إشكالات على الميرزا في المناهج، فكتب الميرزا حواشي على كتابه ليدفعها، وهذه الحواشي تبلغ مجلّداً. والعلماء الذين جاؤوا بعد الميرزا ذكروا ردوداً كثيرة على القوانين مثل: الشيخ محمّد تقي في حاشية المعالم، وأخيه الشيخ محمّد حسين في الفصول والحاج الكلباسي في الإشارات وأُستاذي في الضوابط والملّا أحمد النراقي في المناهج، والشيخ المرتضى في رسائله، وقد كتبت تعليقة على القوانين سمّيتها بالمحاكمات بين الفضلاء السبعة في عدّة مجلّدات، وقد رددت على كثير من إيرادات هؤلاء الفضلاء مع تحقيق الحقّ.

ومن تأليفاته: شرح على تهذيب الأُصول للعلامة، ولم أرَ هذا الكتاب لكنني سمعت أنّه أفضل من القوانين.

أقول: سبب اشتهار هذا الكتاب المصالح الإلهية الكاملة التي هي في أغلبها مخفيّة علينا خصوصاً أنّ صفاء النفس وخلوص النية دخيلة في ذلك غالباً، مثل كتاب المدارك الذي لم يبرز فيه المهمّ من التحقيق لكن اشتهر لصفاء نفس مؤلّفه ولخلوص نيته.

وهكذا كتاب مرشد العوام وهو فارسي وفتاوى، وكتاب غنائم الأيام في الفقه كتبت فيه تلك العبارات مع جميع الأقوال والاستدلال وتحقيق الحق والفروع، وكتاب مناهج الأحكام في الفقه، وكتاب معين الخواص المقتصر فيه على الفتاوى في العبادات، وكتاب أجوبة المسائل في ثلاثة مجلدات كلّ مجلّد يشتمل على تمام الأبواب الفقهية حتى الديات مع الاستدلال في أغلب المواضع والمجلد الثالث في أسئلة متفرقة وعلوم متعدّدة، وله رسالة في الوقف، ورسالة في من أجّج ناراً في

ملكه، ورسالة في عموم لا ضرر، وغيرها من الرسائل الكثيرة.

وكراماته كثيرة لكن لا استحضر منها شيئاً.

وكان الحاج الكلباسي يريد أن يزوج ابنه محمّد مهدي بإحدى بنات الميرزا لكن توفي الميرزا وعدل الكلباسي وزوّج ولده بابنة حجّة الإسلام، ولم يعرف لماذا عدل؟ واللّه يعلم. وبالتأكيد يجب حمل أفعال المسلمين على الصحة خصوصاً رؤساء الدين وأعاظم شريعة سيّد المرسلين.

ويقال: إنّه وصل للملا علي النوري أن الميرزا القمي كفّره، فركب الملّا مباشرة وتوجه نحو بيت الميرزا فوقف بجزمته في ساحة الدار فقال له: اجلس. فقال: لن أجلس حتى أُصحح اعتقادي. فخرج الميرزا وقال الملّا: عقيدتي هي هذه فهل هي صحيحة؟ فقال الميرزا: حسنة وأنا لم أكفّرك والناس كذبوا.

(٣١)
الشيخ جعفر النجفي

الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر النجفي العالم الأزخر والأُستاذ الأكبر، قمر سماء الفقاهة والجلالة، ومتاع فلك الزهد والتقى والنقاء وزبدة أرباب العبادة، وفذلكة أصحاب الكرامة، نادرة الزمان وأعجوبة العصر وفلتة الدهر الخوّان.

والإنصاف أنّه لم يضع فقيه قدمه في دائرة الوجود مثل الشيخ جعفر في الإحاطة بالفروع الفقهية من الطهارة حتى الديات، وفي تكثير الفروع من زمان غيبة المعصوم حتى هذا الزمان تحت قبة هذا الفلك، فهو في التفريع والفهم كالشهيد الأول كما قال:

«الفقه باق على بكارة لم يمسّه أحد إلّا أنا والشهيد وولدي موسى» وكلّ من يريد أن يتّضح له ذلك فليرجع إلى كتاب كشف الغطاء للشيخ وسائر تأليفاته، ومن يريد الإذعان بهذا الكلام بحقّ الشهيد فليراجع كتاب القواعد للشهيد الذي كتبه في القواعد الفقهية الكلّيّة.

وكان لجنابه مكتبة أوقفها على أفقه أولاده ما تناسلوا وتعاقبوا. وجلس بعد الشيخ ولده الأكبر الشيخ موسى مكانه ودرّس، والحقّ أنّه كان فقيهاً فريداً وحيداً والتالي لأبيه، والتحقيقات التي تنقل عنه في غاية المتانة والدقة. وعندما توفي الشيخ موسى جلس الولد الثاني وهو الشيخ علي مكان أبيه للتدريس، وكان في حوزته تلامذة كثيرون مشتغلون بالدراسة، وأطلقوا عليه اسم المحقق الثالث،

وكان في تأسيس القواعد الكلية وتحكيمها بلا نظير، وكان كأبيه وحيد الأعصار في تفريع الفروع كما يشهد على ذلك كتاب العناوين من تأليفات السيّد فتاح بن علي المراغي وهو من تلامذة الشيخ موسى والشيخ علي، وكتابه مختصّ بالقواعد الفقهية الكلية مع الأدلّة وموارد جريانها وفروعها، وهو كتاب أفضل من قواعد الشهيد؛ لأنّ قواعد الشهيد وإن ذكرت فيه القواعد الكلية والفروع لكن لم يذكر أدلّتها بل ذكر الحكم والمصالح.

وكتاب الملّا أحمد النراقي عوائد الأيام وإن حوى القواعد الكلية لكن فيه منافع عدّة، أولها: أنّ فروع هذا الكتاب قليلة، ثانيها: أنّه لم يجمع القواعد بل كأنه حوى نصف قواعد كتاب العناوين، ثالثها: أنّه ذكر الكثير من الدقائق الفلسفية وذكر أكثر القواعد المعروفة المسلّمة الموروثة عن الأسلاف الأشراف من الفقهاء مع تدقيقات فلسفية بعيدة عن مذاق الفقه والفهم العرفي. كما فعل ذلك بعض الأصوليين بالنسبة لأصل البراءة والاستصحاب وحجّية الظن؛ إذ دقّق فيها تدقيقات فلسفية وابتعد عن مذاق فهم العرف، وكذلك فعلوا في القواعد الفقهية.

وبالجملة فإن كتاب العناوين متميز عن أنظاره من الكتب في هذا المجال، فقد ذكرت فيه قواعد كثيرة وأحكمها بالأدلّة وذكر فروعاً لا تُحصى ولم يبتعد عن ذوق الفقاهة والفهم العرفي، وأكثر تحقيقاته هي من الشيخ علي وبعضها من الشيخ موسى كما أقرّ بذلك صاحب كتاب العناوين.

ويكفي الشيخ علي فخراً أنّ السيّد إبراهيم الفقيه الأكمل الذي كان أوحد أهل الزمان في التحقيق والتدقيق قد درس عنده مدّة سبعة عشر شهراً واستفاد من أنفاسه القدسية.

والحاصل: جلس الشيخ علي مكان أبيه للتدريس حسب وصيّة والده، فقال

له أخوه الأصغر الشيخ حسن: إنّ وصية الوالد تقتضي أن يجلس مكانه أفقه أولاده، وأنا أفقه منك. فقال له الشيخ علي: النزاع في هذه المسألة ليس صواباً، وأنا أقطع النزاع بشكل حسن، فأنا أذهب إلى كربلاء وأنت تجلس مكان الوالد، فإذا بقي الطلاب في النجف وحضروا درسك فأنت أفقه واعمل حينئذٍ بالوصية، وإذا تخلّى عنك الطلاب وجاؤوا إلى كربلاء فسأكون أنا الأفقه. فقبل الشيخ حسن بذلك وذهب الشيخ علي إلى كربلاء، فتخلّى الطلاب عن مجلس الشيخ حسن وكسروا درسه وذهبوا إلى كربلاء وحضروا درس الشيخ علي.

عندما رأى الشيخ حسن ذلك جاء إلى كربلاء وأتى بأخيه الشيخ علي وأجلسه مكان أبيه وتوجّه هو إلى الحلّة وأقام بها مدّة، وكان في الحلّة مسجد يصلّي فيه الشيعة فأمّ الشيخ حسن المصلّين، لكن الرجال كانوا قلّما يجتمعون بل أكثر المأمومين ـ إن لم يكونوا كلّهم ـ من النساء، فذهب الشيخ حسن يوماً وقت الظهر ولم يكن حاضراً إلّا النساء ولا يوجد في المصلّين أيّ رجل، فصلّى الظهر وبعد ذلك سمع صوت حدث من بين الصفوف، فرفع الشيخ يديه نحو السماء وقال: إلهي جعلت الآتين نساء وفيهن من تحدث؟!

وبعد مدّة توفّي الشيخ علي وكنت قد تشرّفت إلى كربلاء إلى خدمة السيّد الأُستاذ وأنا لم ألتق الشيخ علي، فجاء الشيخ حسن إلى النجف وجلس مكان أبيه حسب وصيته، وبدأ بالتدريس، وكان ممّا أوصى به الشيخ جعفر أن يُطبخ كلّ ليلة مقدار من الطعام ليجتمع أولاده وأحفاده ويشتغلوا بالمذاكرة في الفقه ومقدّماته مدّة ساعتين، وهذه الطريقة جارية إلى الآن والمذاكرة مستمرّة، وهذه الوصية مستحسنة جداً؛ لأنّها توجب أن يصير الجميع فقهاء، كما أنّ خلف الشيخ جعفر من الذكور والإناث كلّهم فقهاء وكذلك وقف المكتبة على أفقه أولاده أمر حسن وفّقنا اللّه تعالى لأمثال تلك الوصايا، بل إنّني أوقفت كتبي على الأولاد الذكور ماتعاقبوا

وأُريد أن أُوقف مكاناً لمكتبة وأجعل ولايته لأفقه الأولاد، وفقني اللّٰه تعالى لذلك.

وكان الشيخ حسن فقيهاً كاملاً وقد حضرت مجلس درسه مدّة، وفي اعتقادي أنّ فقاهته كانت أكثر من الشيخ محمّد حسن، بل كان الشيخ محيطاً بالأُصول وغيره وله باع طويل في الجدل. يحكي الشيخ حسن: أنّ عادة الشيخ جعفر كانت بأن يستيقظ وقت السحر من كلّ ليلة ويأتي إلى البيت ويوقظ زوجته وأولاده كلّهم ويقول لهم: قوموا لصلاة الليل، فيقوم الجميع وكنت طفلاً صغيراً والنوم يغلبني وعندما يأتي المنزل الذي أنا فيه وينادي كنت أقول مباشرة: ولا الضالين اللّٰه أكبر، أي إني مشغول بالصلاة فيطمئن ويعود فأعود للنوم.

وفي السنة التي ظهر فيها المير علي محمّد الباب وجعل قرآنا وأرسله إلى بعض أصدقائه في شبه الجزيرة العربية مع شخصين، فدخل الشخصان إلى كربلاء واطّلع حاكم بغداد على ذلك، فأخذ قرآنه وحبس ذينك الرجلين وجمع قضاة ومفتي ورجال العامة وأطلعهم على هذه القضية فأفتوا بقتله، لكن لما كانا من العجم أراد أن يكون القتل بحضور علماء الإمامية أيضاً؛ ليتناظر علماء الأمامية مع علماء العامة، وحيث كان الشيخ جعفر وأولاده مطاعين في بلاد العرب ولهم الرئاسة العامة كما هو الحال اليوم والمقدّمين على جميع العلماء ـ سيما الشيخ حسن الذي كان الأفقه في ذلك الزمان ـ فأرسل السلطان للشيخ حسن والسيّد ابراهيم في كربلاء ليحضروا.

وفي اليوم المتّفق عليه للمناظرة حضر أولاً علماء العامة ورجالهم، بعد ذلك دخل الشيخ حسن وجلس إلى جانبه السيّد إبراهيم ثم طرحوا المسألة فقال علماء العامة: هذا القرآن بدعة والآتي به مبدع في الدين ومن المفسدين في الأرض وقتله واجب. فقال الشيخ حسن: هذا الكتاب قرطاس «ولا عمل بالقرطاس» حاكم

على عدم الاعتناء بالكتاب وعدم لزوم واعتقاد صاحب الكتاب وتلك الكتب، وأمّا الأمر بالكتابة في آية ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾[1] والإملال في آية: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾[2] محمول على أن صاحب الكتابة يتذكّر من كتابته ويحصل له العلم فيشهد، لا أنّ هذه الكتب هي بنفسها حجّة. وهذان الشخصان الآتيان بهذا الكتاب لا يعلمان بما فيه ولا يعتقدان به، فاسألوهما عما يعتقدانه. فأحضروهما وسألوهما عن اعتقادهما فقالا: لا علم لنا بما يوجد في الكتاب وعقيدتنا هي عقيدة عامّة المسلمين. حينئذٍ قال الشيخ: فكيف يجوز قتلهما وهما رسولان فقط؟ ووافق السيّد إبراهيم على ذلك أيضاً وكان يراعي التقية، فأخذ السلطان الكتاب وأطلق سراح الرجلين، وقدّم هدايا كثيرة للشيخ حسن والسيّد إبراهيم، وممّا أعطاه للسيّد ساعة قيمتها ستون توماناً وعادا إلى كربلاء والنجف.

وأيضاً فإنّ ابن العلوسي وهو من مشاهير العامة وفضلائهم كان في بغداد، وكانت له صداقة مع الآغا الدربندي، وكان الملّا الدربندي يزوره كراراً ويقيم عنده، وجاء في أحد الأيام سلطان بغداد وجلس في بعض غرف صحن حرم الكاظمين عليهما السلام المطهر، وكان يتغنّى له الميرزا محيط وهو أخ الملّا حسن جوهر ومن تلامذة السيّد كاظم، واتّفق مجيء، الشيخ حسن لزيارة الكاظمين، وعندما دخل الحرم سمع التغنّي عاد الشيخ، ولمّا رأى العلوسي ذلك من الشيخ سأل الميرزا محيط: لماذا رجع شيخكم؟ فقال له محيط: لأنّ الغناء في مذهبه غير جائز. فقال له ابن العلوسي: أولم يقرأ شيخكم القرآن؛ إذ يقول اللّه في سورة الجمعة: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾[3] وهذه الآية تدلّ على أن في اللهو خيراً وحسناً، لكن ما عند اللّه أحسن؛ لأن «خير» هنا أفعل تفضيل وهو يدلّ على اشتراك المفضّل

(١)، (٢) البقرة ٢ / ٢٨٢.

(٣) الجمعة ٦٢ / ١١.

والمفضّل عليه في أصل الفعل. فعجز الميرزا محيط عن الجواب.

أقول: تحقيق هذا الجواب بعدّة وجوه ذكرتها في كتاب مشكلات العلوم وأشرت إليها في المجلد الأول من التفسير، وأحد هذه الوجوه: أن «خير» مجرّد عن معنى التفضيل وليس في هذا تكلّف وصعوبة. ووجه آخر هو أنّ هذا الحسن بلحاظ اعتقاد المخاطبين والكلام جارٍ مجرى الأنصاف؛ لأنّ المخاطبين يعتقدون حسن اللهو وغير ذلك من الوجوه.

وهنا يرد أيضاً سؤال آخر وهو: لماذا قدّم اللّه تعالى في البداية التجارة على اللهو، ثم في النهاية قدّم اللهو على التجارة؟ والجواب من وجوه: منها أنّ الكلام فيه ترقٍ من الأدنى إلى الأعلى وغير ذلك من الأجوبة.

لكن ابن العلوسي ذكر عند احتضاره لمن حضر عنده: أنني إذا توفّيت فوصيتي تحت الوسادة فاعملوا بها. وعندما توفّي فتحوا الوصية فوجدوا فيها شهادته بتوحيد اللّه ورسالة خاتم النبيين ﷺ والاعتقاد بخلافة أمير المؤمنين ﷺ بلا فصل وأولاده الأحد عشر وبجميع ما جاء به النبي، وطلب أن يغسّل ويكفّن ويصلّى عليه ويدفن على طريقة الشيعة. ويقال: إن الملّا الدربندي شيّعه.

وكتب الشيخ حسن في الفقه كتاباً مستقلاً، وهو في الحقيقة كتاب مرغوب مشتمل على فروع كثيرة، وقد كان مجلّد الصوم منه من مراجعي عندما ألّفت كتاب الصوم.

ومن جملة فتاواه: عدم مفطّرية تدخين النرجيلة، وهذه هي عبارته: «لا بأس بدخان التنباك»، وقد مرض وتوفي رضي اللّه عنه في السنة التي توفي فيها أُستاذي السيّد ابراهيم.

وجلس بعده مجلس الشيخ جعفر ابن أخي الشيخ حسن وزوج ابنته الشيخ

محمّد ابن الشيخ علي، وكان ماهراً في الفقه، وبعده أخوه الشيخ مهدي ابن الشيخ علي، وبعده وهو موجود الآن الشيخ جعفر ابن الشيخ علي المعروف بـ «سمي الشيخ» ويشتغل بالتدريس وهو فقيه ماهر في المسائل، وجميع هذه العائلة من الذكور والإناث فقهاء بحيث إنّ عوامّهم الذين لم يدرسوا شيئاً ولم يتعلّموا العربية فقهاء وماهرون في الفقه، وفّقهم اللّه وإياي.

وفي السنة التي توفّي فيها الملاعلي النوري أخذوا جثمانه حسب وصيّته إلى النجف الأشرف؛ ولأن الشخص المشهور المعروف يطاف بنعشه في الأماكن المشرفة يطلب الخدام والذين يقومون بهذا العمل مالاً كثيراً؛ ولذا أخذوا نعش الملّا نعوش أُخرى دون أن يدروا وحملوه على الدابة، ووصل للشيخ علي ابن الشيخ جعفر خبر الإتيان بجثمان الملّا، فخرج مع جمع كثير من العلماء العظام والخواصّ والعوامّ لاستقبال نعشه بالرايات السوداء وحكم بإقفال أسواق النجف، وعندما وقف على النعش قال: أين هو نعش الملا؟ فقيل له: هذا هو قرب أمثاله على الدابة. فانزعج الشيخ علي جداً وقال: ألم يستطع محمّد باقر مع كلّ هذا الغنى أن يدفع خمسمئة تومان لكي يُؤتى بنعش الملّا بعزّة؟! فحكم بوضع النعش على الأرض وأرسل من النجف تابوتاً مختصّاً بعائلة الشيخ جعفر ووضعوا فيه جثمان الملّا، ورفع الشيخ علي النعش وجاء ماشياً، وحكم على أهل المدينة أن يأتوا لاستقبال النعش جماعات جماعات وليحملوه حتى يصلوا إلى حرم أمير المؤمنين عليه السلام المطهر، وبعد الطواف دُفن حسب الوصية عند محل نزع الأحذية. وقد زرت قبره.

وكان الملّا علي أُستاذ والدي المرحوم الماجد، ولمّا كنت طفلاً رأيت والدي يدخل المنزل ذات يوم وهو يبكي فقلت له: ما الأمر فقال: بأنّه جاء خبر وفاة أُستاذه الملّا علي النوري. وقال لي والدي: كنت أتمنّى أن يبقى حياً حتى تكبر

وتستفيد من علمه ولم يحصل ما كنت آمل.

وكان والدي يوصيني بأن لا تدرس الطب، لأنّني درسته وندمت ولكن ادرس المعقول. وكنت بعد إصرار البعض قد درست مدّة شهرين أو ثلاثة كتاباً في الطب عند الميرزا أحمد التنكابني ساكن مهران، بعد ذلك تركته رعاية لوصية والدي. وفي بداية أمري درست بعض كتب الحكمة ثم تركتها واشتغلت بالعلوم النقلية لكن في النهاية عدت ودرست الحكمة امتثالاً لوصيّة الوالد.

وعلى كلّ حال فالشيخ جعفر كان بلا نظير في الفقه والتفريع وفي فهمه لألفاظ الكتاب والسنة المطابق لفهم العرف، بل لم يوجد بعد الأئمة شخص بين الفقهاء كما يستفاد من كتبهم مثل الشيخ جعفر والشهيد الأول.

والتبحر في الفقه على أقسام ثلاثة:

١ ـ تأسيس القواعد الفقهية والاستدلال عليها وأحكامها، وقد كان هذا منحصراً بالشيخ علي وأُستاذي والشيخ النراقي.

٢ ـ التفريع والإحاطة بمسائل الفقه وتطبيق الفروع على القواعد، ولم يأت شخص في هذا المقام كالشيخ جعفر والشهيد الأول.

٣ ـ التحقيق في المسائل الفقهية بحيث يستدلّ على الفتوى في كلّ مسألة بأدلّة عديدة تبدو معها المسألة أمراً بديهياً، ولم يوجد في هذا المجال شخص مثل المؤسس البهبهاني الآغا محمّد باقر.

ومشايخ إجازة الشيخ جعفر رزقه اللّه تعالى الرضوان الأكبر: الآغا محمّد باقر والسيّد مهدي بحر العلوم وغيرهما.

وكان كثير الأكل. وكان يحيي في كلّ ليلة ثلثيها يشتغل بعبادة اللّه. وكان

يرهن بيته في أكثر السنوات ويبذل مال الرهن بين الفقراء، ثم يذهب إلى إيران ويأتي بالمال ويفك الرهن. وكانت معه جارية ترافقه في الأسفار. وكان مرحاً. وطلب في بعض الأيام من الأصحاب الأطياب في المدينة الذهاب معه لزيارة أرواح وادي السلام فركب مع جماعة وذهبوا، وكان من جملتهم الميرزا أبو الحسن الملقب بـ «خوش مزه» وقد ركب حماراً، وذهبوا من الباب الكبير وتوجهوا نحو وادي السلام وسلك الميرزا أبوالحسن طريقاً آخر، فناداه الشيخ جعفر: إلى أين تذهب من هذا الطريق؟ فقال له الميرزا: أرجو المعذرة فحماري مجتهد ذو رأي حيثما يريد أنّ يذهب يذهب. فضحك الشيخ.

والمعروف أنّ الشيخ جعفر كان يقول: قد درّست الشرائع ثلاثمئة مرة. ومعلوم أن هذا ما يجب أن يكون حتى تكون له هذه الفقاهة ووصل إلى هذه الملكة وهذه الكيفية من الإحاطة.

ومعروف أنّه قال: إذا مُسحت الكتب الفقهية كلّها فإنني أستطيع أن أكتبها من حفظي من الطهارة حتى الديات. والإنصاف أنّه كان كذلك كما يظهر من تأليفاته خصوصاً كشف الغطاء فيظهر كم هو محيط بالفقه، بل إن مسائل الفقه حتى الديات كانت كالخاتم في إصبعه حيث يشاء يحركه؛ لأنّه في كلّ قاعدة وفي أكثر المسائل من الطهارة حتى الديات يذكر الفروع؛ مما يوضّح أنّه كان ضابطاً محيطاً بجميع أبواب الفقه مستحضراً لها بالفعل.

وفي إحدى السنوات دخل الشيخ مدينة زنجان وهو لا يعرف اللغة التركية، فقال له أحد الظرفاء: الناس تأتي اليوم لاستقبالكم ويحيونكم وإني أعلمك كلمة تركية تقولها لكل من يأتي إليك. فسأل الشيخ عن الكلمة فقال له هي: يـخ يـه. فأخذها الشيخ وصار يقولها لكلّ من استقبله إلى أن جاءه حاكم زنجان وتشرّف

بخدمته وحيّاه فقال له الشيخ تلك الكلمة، وكان الحاكم كيّساً ففهم وقال للشيخ: هل تعرف معنى هذه الكلمة؟ فقال الشيخ: لا، ولكنّهم علموني إياها. فقال له الحاكم لا تقل هذه الكلمة بعد الآن فهي لا تليق. فتركها الشيخ.

ومن كرامات الشيخ أنّه طلب من اللّه أن يجب نسله جيلاً بعد جيل الفقاهة، وقد مضت إلى الآن ستّون سنة من وفاته وأولاده وأحفاده فقهاء يشتغلون بالتدريس من دون سعي ولا دراسة زائدة ومع ذلك هم في الفقه ماهرون كما لو كانت وراثية بينهم. نعم إنّ الطفل منهم ومن صغره يسمع كلّ يوم وليلة مسائل الفقه وقواعد أُصول الفقه. وهذا يوجب الفقاهة والحذاقة والمهارة.

وفي سنة ذهب الشيخ جعفر إلى رشت فطلبوا منه صلاة الجماعة، وكانت المساجد في البلد قليلة لا تفي بجموع المصلين فاجتمعوا في ساحة وأُقيمت صلاة الجماعة، وبعد الصلاة طلبوا منه موعظة فقال الشيخ: إنني لا أعرف الفارسية جيداً. فأصروا عليه إصراراً غير طبيعي فصعد الشيخ المنبر وقال هذه العبارات: أيها الناس، كلكم تموتون والشيخ أيضاً يموت ففكّروا في يومكم الأخير. أيها الناس، إن رشتكم مثل الجنة، ففي الجنة قصور وفي مدينة رشت أيضاً قصور عالية، وفيها حدائق تجري فيها الأنهار، وفي الجنة حور العين في غاية الحسن والجمال ونساء رشت مثل حور العين في كمال الوجاهة، وفي الجنة غلمان وكذلك في رشت، وفي الجنة ارتفع التكليف بالصلاة والصوم وجميع العبادات فكذلك في رشت فقد رفعت الصلاة والصوم والعبادات الأخرى. ثم نظر فرأى قارئاً للعزاء فطلب منه الشيخ أن يقرأ ونزل من على المنبر. وكان علماء ذلك البلد مهتمين بالدنيا فلم يكن أئمة الجماعة في رشت يصلون النوافل فذكروا هذا الأمر للشيخ الذي قال لهم: لا تقتدوا بمن لا يصلّي النوافل. وعندما سمع أئمة الجماعة ذلك صاروا يصلّون النوافل مع الجماعة.

وفي السنة التي سافر فيها الشيخ إلى قزوين ذهب إلى المسجد فطلب منه الناس موعظة، فصعد الشيخ المنبر وقال: أيها الناس أولستم شيعة؟ فلماذا لا يوجد بينكم عقد منقطع؟ ثم قال: المقصّر هم علماء البلد. وحيث إنّ رئيس علماء قزوين آنذاك هو الشيخ عبد الوهاب خاطبه الشيخ بقوله: لماذا لا تزوّج ابنتك بالعقد المنقطع حتى يرغب الناس به ويتّبعونك؟ ثم قال الشيخ: كانت عندي صبية بلغت سنّ التكليف فطلبتها وقلت لها: إنّ اللّه شرّع للناس أن تتزوج وقد صرت في عمر الزواج وإني سأزوجك ممّن ترغبين فصرت أعدّ لها اسم كلّ واحد من الأقارب وأهل العلم فلم تقبل، وفي النهاية ذكرت اسم بقالٍ في جيرتنا فسكتت فعرفت من ذلك رضاها فأتيت بذلك البقال وزوجتها، ثم انتقلا ثم رأيتها بعد مدّة تشكو من زوجها فانزعجت منها وقلت: أنت من اختار هذا الرجل زوجاً والآن ليس لك إلا الصبر والشكر. وأرسلتها في تلك الساعة إلى بيت زوجها.

وكتب الشيخ جعفر في كشف الغطاء: رأى والدي الشيخ خضر رسول اللّه في الرؤيا وأمره أن يقول في التشهد بعد «وارفع درجته»: «وقرّب وسيلته». ولما لم يكن للمنام حجيّة شرعاً كان يقرأ والدي تلك الجملة إخفاتاً.

ومن كرامات الشيخ: ما أخبرني به أحد الأصدقاء الصالحين الموثقين فقال لي: كان عندي عم ابتلي لعدّة سنين بألم في عينه فذهب إلى جراحي وأطباء ذلك الزمان للعلاج فلم يستفد، وسمع أن الشيخ جعفر جاء إلى لاهيجان. فذهب إليه وقبّل يده وقال له: ابتليت بألم في العين عدّة سنين وها قد تشرّفت بخدمتك وإنيّ أرجو اللّه تعالى أن يكرمني بالشفاء فمسح الشيخ بريقه على عينه ودعا له وشفي ذلك الشخص.

وقد أذن جنابه لفتح علي شاه في السلطنة وجعله نائباً عنه لكن بعدّة بشروط:

أن يكون في كلّ فوج من الجيش مؤذّن وإمام جماعة يعظهم يوماً في الأُسبوع ويعلّمهم المسائل، وكتب ذلك في جهاد كتاب كشف العطاء.

وفي بعض الأزمنة تشرفت والدة فتح علي شاه بالذهاب إلى العتبات العالية وذهبت إلى النجف وتشرّفت بخدمة الشيخ وقالت له: ولدي سلطان فأخشى أن ينالني شيء من ظلمه وظلم عائلتنا للرعايا والبرايا، فأرجو منك أن تقسم ليغفر اللّه تعالى ذنوبي وأن يحشرنا مع الصديقة الكبرى.

وفي زمن انزعج فتح علي شاه لسبب من الأسباب من الشيخ وبقي منزعجاً حتى جاء الشيخ إلى طهران فقال السلطان لأمين الدولة: لا أُريد أن أرى الشيخ فلا تفسحوا له الطريق في البلاط. فعزم الشيخ يوماً على زيارة السلطان وعندما وصل استقبله الحجّاب وقبّلوا يده وفتحوا له الطريق، فعندما رأى السلطان ذلك تعجّب من فتح الحجاب الطريق له فقال لأمين الدولة: إذا دخل مجلسي فلن أُعظّمه ولن أُكرمه. فعندما صعد الشيخ الدرج قال بصوت مرتفع: يا اللّه. فوقف السلطان من دون اختيار وأقبل إلى الشيخ وأخذ بيده ثم جلسا، وبعد انقضاء المجلس قال أمين الدولة للسلطان: كنت قد أردت أن لا تتواضع للشيخ فكيف انعكس الأمر؟ فقال السلطان: عندما سمعت من الشيخ كلمة: يا اللّه رأيت ثعباناً عظيماً يواجهني يريد أن يهجم على صدري، فوقفت بلا اختيار وأخذت بيد الشيخ فاختفى الثعبان.

وعندما جاء الشيخ إلى إصفهان أتى في يوم مع طلوع الشمس لزيارة الملّا علي النوري وقد اجتمعت التلامذة للدرس ولم يكن قد حضر الملّا بعد، وعندما علم الملّا بحضور الشيخ خرج مباشرة، وبعد المجاملات قال الشيخ: قد أتيت اليوم باكراً لأن الإبكار للعلم مستحبّ وقد بكّرت للعلم لأحظر درسك. فخجل الملّا وأصرّ الشيخ أن يعطي الملّا درسه فرفض وقال: لا يمكن أن أدرّس مع حضورك فقام

الشيخ من المجلس.

ويقال: إنّ شخصاً في إصفهان رأى في المنام رسول اللّه في مكان وقد جلس إلى جانبه الملّا علي النوري وجلس بعده جمع آخر، والشيخ جعفر جالس قرب الباب والرسول منزعج من أُمته إذ يعصون ويخالفون أمره، وصار الملّا النوري يعتذر: يا رسول اللّه نحن مذنبون ومقصّرون مقرّون بذلك نرجو من اللّه العفو ومنكم الشفاعة وأهل المجلس ساكتون.

أقول: يدلّ هذا المنام على تفوّق رتبة الشيخ على الملّا النوري والآخرين؛ لأنّ من جملة المعلومات أنّه إذا دخل أجنبي على عظيم يكون مقدّماً على المحارم والأقارب والأصدقاء، ويكون أكثر احتراماً، والشيخ من المحارم فجلس قرب الباب، وهو جلس بقرب الرسول ﷺ وهذه طريقة متعارفة، ويحتمل أن يكون المنام دالاً على أفضلية الملّا علي.

وكان الشيخ كلّما دخل إلى مكان وخصوصاً في إصفهان كانت طريقته إذا جاء وقت الصلاة أن يذهب إلى أقرب مسجد فيصلّي هو بنفسه إحدى الصلاتين جماعة ثم يقدّم للصلاة الأُخرى الإمام الراتب ويقتدي به، فكان في بعض الأيام في إصفهان ودخل إلى محلة بيد آباد، وعندما اقترب وقت المغرب ذهب إلى مسجد الميرزا باقر ودخله، وكان يصلّي في ذلك المسجد حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر، ودخل السيّد المسجد وكان الشيخ حاضراً فوقف في المحراب وصلّى المغرب واقتدى به الجميع، بعد الفراغ منها نظر خلفه فرأى الملّا علي النوري فدعاه الشيخ إلى المحراب ليقتدي به في صلاة العشاء، فرفض الملّا علي فأتى الشيخ إليه وأخذ بيد الملّا علي وقال: قم للصلاة. فقال له الملا: بعلي المرتضى ألّا رفعت يدك عني؟ فقال له الشيخ: لماذا هذا الرفض منك؟ فقال الملّا علي: لأنّ شرائط الإمامة غير متوفّرة

فيّ. فانزعج الشيخ منه وترك يده وقال له: عالم مثلك بلغ من العمر سبعين أو ثمانين سنة ولم توجد فيه إلى الآن شرائط إمام الجماعة. عجيب ذلك جداًا ثم تـوجّه إلى السيّد محمّد باقر وقدّمه لصلاة العشاء واقتدى به الشيخ والمصلّون.

وفي بعض الأزمان جاء الشيخ إلى إصفهان وأقـام فـيها مـدّة، وعـندما أراد الرحيل خرج من المنزل وركب فرأى سيّداً وقال للشـيخ: إني فـقير ومـضطر وفي الضروري يحتاج إلى مئة تومان وأُريدها منك. فقال له الشيخ: لِمَ لَمْ تأتِ قبل الآن فإني ذاهب؟ فأصرّ السيّد إصراراً غير طبيعي وكان في ذلك الزمـان أمـين الدولة حاكم إصفهان، فقال الشيخ للسيّد: اذهب إلى أمين الدولة وقل له: إنّ الشيخ قال أعطني مئة تومان. فقال له السيّد: ربما لا يعطيني وتكون قد ذهبت. فقال له الشيخ: إني هنا باقٍ حتى ترجع. فذهب السيّد إلى أمين الدولة وأبلغه رسالة الشيخ فقال له أمين الدولة: وأين هو الشيخ الآن؟ فقال: واقف ينتظرني حتى أعود. فـقال أمـين الدولة لمن معه: عجّلوا بمئة تومان. فأتوا بكيس فيه مال وأرادوا أن يعدّ ما فيه فقال لهم أمين الدولة: لا تعدّوا فإني أخـشى أن يـطول انـتظار الشـيخ ويأتي إلى هـنا ونتضرر. فأعطى السيّد الكيس وذهب إلى الشيخ وكان ما زال منتظراً فأحـصى الشيخ ما في الكيس من مال فكان مئتي تومان، فأعطى السيّد مئة تومان فـطلب منه المئة الأُخرى فقال له الشيخ: أنت لم تطلب أكثر من مئة تومان وأكـثر مـنها لا أُعطيك. ثم طلب أعلام فقراء البلد فاجتمعوا ووزّع المئة تومان بينهم ثم ذهب.

وأتى الشيخ في بعض الأوقات إلى طهران وحان وقت الغروب فجاء إلى منزل أمين الدولة وأخرجه من المنزل وقال له: الشيخ يريد منك امـرأة. فـلم يـر أمـين الدولة بداً إلا بإعطائه الجارية التي عنده، وعاد الشيخ إلى منزله.

وكانت عادة الشيخ أن يجول بين صفوف الجماعة ويجمع المال بذيل عـباءته

من دراهم ودنانير للفقراء ويعطيهم المال، وكان إذا جاء إلى مجلس تجّار ويكون ضيفاً عليهم يقيّم الأطعمة ـ بعد مدّ السفرة ـ ويبيعها لصاحب البيت ويأخذ العوض ثم يأذن للحضور بتناول الغذاء، إلى أن كان ضيفاً في مكان وكانت قيمة الطعام تساوي ثلاثين توماناً وأخذ المال وبقي تومان، وقال صاحب البيت: إنّ الأكل يبرد فكلوا الآن وبعد الانتهاء أدفع التومان الباقي. فلم يرضَ الشيخ حتى أخذ التومان بعد ذلك أذن للناس بتناول الطعام، وكان يصرف ما يأخذه على الفقراء.

وقد تكرّر أن يدخل منزل فيمدح المنزل فيقول له صاحب البيت: هذا مقدّم لكم. فيقول الشيخ: قبلت. ثم يقول مرة أُخرى: إنّ أهل الخبرة قيّموا المنزل. فيبيعه لصاحب البيت ويأخذ المال منه ويوزّعه على الفقراء.

أقول: إن كانت عندك شبهة في أخذ هذه الأموال فاعلم أنّ الشيخ كان على يقين باشتغال ذمّة هؤلاء الأشخاص بالحقوق الشرعية كالخمس والزكاة ورد المظالم، فكان يأخذ الحقّ بأيّ وجه كان نظراً لعموم الولاية ورعايةً لحقّ الفقراء.

وقد سُمع من بعض الأكابر الأفاضل أنّ الشهيد الثالث قال: دخل الشيخ جعفر إلى قزوين ونزل في بيت أخي الشهيد الثالث الملّا محمّد صالح، وكان هذا المنزل حديقة فنام كلّ واحد في مكان ونمت في زاوية تلك الحديقة، وعندما مضى مقدار من الليل رأيت الشيخ يوقظنا للقيام إلى صلاة الليل فقلت: نعم أنهض. ومضى الشيخ ثمّ عدت للنوم، وفجأة تغيّر حالي وصرت كأنّ مرض القلب أصابني، ثم استيقظت من شدّة الألم فعلمت أنّ هذا التغيّر لسماع الصوت الذي كان يُسمع وقد أصابني غمّ شديد من سماع ذلك، ومشيت في أثر ذلك الصوت وعندما اقتربت رأيت جناب الشيخ في غاية التضرّع وشدّة البكاء مشتغلاً بالمناجاة، فكان لصوته

تأثير في روحي بحيث مضى على تلك الليلة إلى الآن خمسة وعشرون سنة وكل ليلة أنهض وأقرأ مناجاة قاضي الحاجات.

ويقال: إنّه قسّم يوماً بين الفقراء مالاً وبعد الانتهاء وقف للصلاة وبين الصلاتين جاءه سيّد وقال للشيخ: أعطني من مال جدي. فقال له الشيخ: جئت متأخّراً ولم يبقَ عندي شيء. فبصق السيّد على لحية الشيخ فوقف الشيخ ودار بين الصفوف وقال: كلّ من يحب لحية الشيخ فليعن السيّد. فامتلأ ذيل عباءة الشيخ بالذهب الأحمر والأبيض وأعطاه للسيّد، ثم قام لصلاة العصر وصلّاها جماعة.

وأيضاً دخل قزوين في بعض الأوقات ونزل عند الملّا عبد الوهاب، فطلب التجّار من الشيخ أن يزورهم فذهب الملّا عبد الوهاب مع الشيخ يرافقهما الأصحاب والعلماء الأطياب، وعندما وصلوا إلى السوق نهض التجّار لاستقبال الشيخ، وعندما وصل إلى مكانهم تنازعوا بينهم فكل شخص يتمنى أن يدخل الشيخ إلى بيته أولاً، فذكر الملّا عبد الوهاب للشيخ الأمر فوقف الشيخ وقال: من يدفع أكثر يذهب الشيخ إلى بيته أولاً. فجاء تاجر بظرف مليء بالدراهم والدنانير وقدّمه للشيخ ثم دعا الشيخ الفقراء ووزّع المال بينهم ثم دخل إلى منزله.

ويقال: إنّه عندما كان الشيخ في إصفهان عرض بعض تلامذة الملّا علي النوري على الشيخ مسألة عويصة في الحكمة تعلّمها من الملّا، فقال له: الشيخ أُعطيك الجواب غداً. ثم ذكر التلميذ للملا النوري الأمر فانزعج منه الملّا وقال له: إنّ الشيخ فقيه فلماذا تضايقه؟ وبالتأكيد لا تطالبه غداً بالجواب. وفي اليوم التالي نادى الشيخ بين الصلاتين: أين صاحب المسألة الفلانية ليأت ويأخذ الجواب. فأتى وأخذ الجواب واطلع عليه الملّا النوري فتعجّب، لأنّ الجواب مكتوب موافقاً للقاعدة، وبعد لقائه بالشيخ سأله: إنّك لم تشتغل بالعلوم العقلية ومع ذلك كيف

تمكّنت من حلّ هذه العويصة الصعبة؟ فقال له الشيخ: هذه من واضحات أخبار الأئمة الأطهار.

وقد سُمع أنّ شخصاً جاء إلى السيّد وسأله عن مسألة محتاج إليها، وأتوا بالطعام للشيخ وكان الطعام كثيراً فنظر الشخص فلم يجد غير الشيخ فظنّ أنّ عادة الأعيان في مجالسهم هي أن يؤتى بغذاء كثير لكن لا يأكل الجميع بل يأكل اللازم ثم يأكل الباقي الملازمون له، فشرع الشيخ بالأكل وأكل الطعام كلّه فتعجب ذلك الشخص وحدّث نفسه: إنّ هذا الرجل أكل كلّ هذا الطعام وبخاره سيؤثّر في دماغه ويقعده ويصير عنده المعلوم والمجهول واحداً، وفي مثل هذه الحال لا فائدة من السؤال. فنهض ذلك الرجل يريد الذهاب فقال له الشيخ: إجلس وقل ماذا تريد؟ فقال: ليس عندي شيء. وبعد الإصرار أبرز ذلك الرجل ما يريد وقال له: إنّني أعرضت عن السؤال لكثرة الأكل. فقال له لشيخ: اذكر مسألتك. فذكرها وأجاب الشيخ بجواب كافٍ استوفى جميع فروعها ثم قال له: إنّ الخالق العالم جعلني في العلم فريد الدهر، وإنّي ألتذ دائماً باللذائذ الروحانية، كما وهبني شهية وافرة للأكل حتى أكون دائماً ملتذاً بلذة نعمه، وأكرمني بشهوة بحيث يجب أن أُجامع كلّ ليلة، ووهبني قوة على الطاعة بحيث دائماً أستيقظ ابتداء من نصف الليل حتى الصباح وأُشغل بالدعاء والمناجاة ولي قوة المثابرة على ذلك، وأنت ليس عندك لا الفهم والإدراك وهو غذاء الروح، ولا اشتهاء الطعام وهو غذاء الجسم، ولا القوة الشهوانية لتلتذّ بالجماع، ولا قوة النهوض ليلاً للقيام بالعبادة، فلم تلتذّ لا بلذّة الدنيا ولا لذة الآخرة. فخجل ذلك الرجل وخرج من عند هذا المعظم.

ومن أقواله: إنّه إذا كان الشهيد والعلامة مجتهدين فأنا لست مجتهداً، وإذا كان السيّد علي صاحب الرياض مجتهداً فأنا مجتهد ثماني مرّاتٍ.

وكان يجلس دائماً في السوق يأكل الطعام فيقال له: الأكل في السوق خلاف المروءة ويسلب العدالة. فيجيب: إذا أكل السيّد علي في السوق فهذا يسلبه العدالة أمّا إذا أكلت أنا فلا، لأنّني لست ذا جلال وإنني درويش.

وطلب بعض الأشخاص من بعض تلامذة الشيخ ليتوسّط له عنده حتى يخطب له ابنة الشيخ، فذهب التلميذ المذكور في اليوم التالي إلى مجلس الدرس وهيبة الشيخ كان ذلك التلميذ كلّما أراد أن يسأل الشيخ ينفعل ويتصبّب عرقاً وبقي على هذه الحال حتى فرغ من الدرس فعدل عن ذلك وتراجع، وعندما أراد النهوض قال له الشيخ: اجلس. وبعد أن خلا المجلس قال له الشيخ: عندك أمر فاذكره. فزاد خجل ذلك الشخص فقال ليس عندي حاجة. فقال له الشيخ: بالتأكيد عندك حاجة ولا بدّ من ذكرها وسأقضي حاجتك. فـفكّر الشخص في نفسه: أنّه ما دام الشيخ سيقضي الحاجة وما دمت سأخجل من السؤال فالأفضل أن أطلب ذلك لنفسي، فقال له: زوّجني ابنتك. فأخذ بيده وذهبا إلى المنزل وزوّجه ابنته وأخلىٰ له في تلك الليلة بيتاً وزفّ في تلك الليل، وبعد مضي نصف من الليل جاء الشيخ إلى بيته وناداه: استيقظ فقد أتيتك بماء ساخن لتغتسل وتصلّي صلاة الليل.

أقول: أحد أصهار الشيخ جعفر العالم الوفي الصفي الجلي الحفي التقي النقي الشيخ محمّد تقي الذي كتب حاشية على الأُصول وقد تقدّم ذكر اسمه الشريف، والآخر هو السيّد صدر الدين الآملي ساكن إصفهان توفّي في العتبات العالية، وكان له باع طويل في علم الرجال وصنّف في ذلك العلم رسائل منها: رسالة في ابن أبي عمير موجودة عندي؛ والثالث آغا محمّد باقر بن محمّد باقر الهزار جريبي المقيم في النجف، والآغا محمّد علي المقيم بإصفهان وكان الشيخ مؤمناً به جداً وكان فقيهاً كاملاً وعندي ثلاثة مجلّدات من تعليقته وقد تقدم ذكر حاله؛ وآخر هو الشيخ

أسداللّه بن الشيخ إسماعيل الكاظمي وله إجازة من السيّد علي والشيخ جعفر والآغا محمّد باقر والميرزا القمي والسيّد مهدي بحر العلوم والميرزا محمّد مهدي الشهرستاني الإصفهاني، وكان مفسّراً عجيباً وبارعاً في التحقيق والتدقيق بل كان أعجوبة الزمان وصل إلى مرتبة الاجتهاد قبل البلوغ، كما اشتغل بالتأليف ومناظرة العلماء قبل البلوغ أيضاً كما سيأتي ذكر حاله في ترجمة الفاضل الهندي محمّد بن حسن الإصفهاني، وهو صاحب كتاب المقابيس في الفقه وكتب في مقدمته مشايخ الإجازة وذكر فيها اصطلاحاته في الكتاب، وذكر من مشايخ الإجازة السيّد عبد اللّه بن السيّد محمّد رضا شبر. وشبّر لقب العائلة وللسيّد عبداللّه تأليفات كثيرة مثل: شرح المفاتيح، ورسالة الدراية الّتي تمت سنة ١٢٣٣، وكتاب مشكلات الأخبار، وله إجازة من الشيخ أحمد الأحسائي. والسيّد عبداللّه من مشايخ إجازة الملّا صالح البرغاني القزويني وكان أخبارياً. وعلى كلّ فالشيخ أسداللّه من مشاهير أفاضل الزمان وله عبارات فاق أقرانه في فصاحتها وبلاغتها.

وكان الشيخ جعفر يقول: لم آكل أبداً من مال حرام. فجاء في بعض الأزمنة إلى إصفهان وكان أمين الدولة عبداللّه خان حاكماً عليها فدعا الشيخ للضيافة وجعل جميع مصاريفها من مال الجمرك والضرائب، وبعد تناول الطعام قال أمين الدولة للشيخ: إنك قلت بأنّك لم تأكل مال حرام ولن تأكل والحال أن هذا الطعام الذي تناولته هو فعلاً من مال حرام. فقال له الشيخ: مجهول المالك على حلال وعليك حرام.

ومن جملة كرامات الشيخ: أنّه خلال إقامته في لاهيجان جاءه شخص وقال له: عندي أمر أقوله لك في السرّ. فأخلى الشيخ المجلس ثم قال له ذلك الشخص: إنّي رجل متزوّج بامرأتين ذهبت يوماً إلى الصحراء فرأيت بنتاً في غاية الحسن والجمال فخفت من لقائها في الصحراء وسألتها من أنت وماذا تفعلين هنا؟ فقالت:

إنني من الجن وأُحبك فإذا ذهبت إلى البيت فهيّئ لي غرفة مستقلّة وعليك أن تبتعد عن نسائك فلا تجامعهن وأنا آتي كلّ ليلة إليك، وليكن هذا سراً بيني وبينك لا تخبر بذلك أحداً وإلاّ أهلكتك. فأتيت إلى البيت وعملت بما طلبت تلك الجنّية وإلى الآن تأتيني كلّ ليلة وقد أضعفتني جداً وصرت مشرفاً على الهلاك، وأتت لي بمال كثير وضعته في بيت مستقل، وأنت نائب إمام الزمان فعالجني وخلّصني من هذه المهلكة. فكتب الشيخ رقعتين سلّمها للرجل وقال له: ضع إحداهما على الأموال التي أتتك بها الجنّية والأُخرى أبقها في يدك واجلس على باب البيت، فإذا جاءت الجنية فابرز لها الورقة وقلّ لها: هذه رقعة كتبها الشيخ جعفر. فعمل الرجل بما قاله الشيخ وظهرت الجنية فأبرز لها الورقة وقال لها: هذه كتبها الشيخ جعفر فلم تقترب تلك الجنية وبقيت واقفة، ثم ذهبت ناحية الأموال لتأخذها فرأت أنّ رقعة من الشيخ على الأموال فقالت له: لولا أنّ الشيخ كتب هذه الورقة لأهلكتك في لحظة، ثم اختفت الجنية ولم تعد أبداً.

وكانت مروءة الشيخ ومخالفته لنفسه في حدّ الكمال، فقد ذهب مرّة إلى زنجان فطلب من والي تلك البلد في ليلة عقداً منقطعاً فرفضت نساء ذلك البلد ذلك، فأتى ذلك الرجل بفتاة جميلة زيّنها بأنواع الزينة وأرسلها إلى الشيخ، وعندما دخل الشيخ المنزل ورأى تلك البنت بذلك الجمال والزينة تعجّب وجلس جانباً ثم سألها: ابنة من أنت؟ فقالت: ابنة فلان. فقال لها: هل أتيت برضاك راضية بعقد منقطع مع الشيخ؟ فقالت: نعم. فقال لها: فكيف لم تتزوّجي إلى الآن وأنت على هذا الحسن والجمال؟ فقالت: كنت أُريد شخصاً أبى والدي أن يزوّجني إيّاه وهو يريد أن يزوجني بمن لا أرضى بهم. فقال لها الشيخ: وذلك الشخص الذي تريدينه أين يسكن؟ قالت: في المكان الفلاني. فقال لها: وهل تريدين الآن أن تتزوّجيه؟ قالت: إنني الآن متزوّجة من الشيخ وهذا فخر لي. فرأى الشيخ أنّ عندها ميلاً لذلك

الشاب فاستدعى والدها وأحضر ذلك الشاب وفي تلك الليلة عقد لهما وعيّن لهما بيتاً وسلّمها لذلك الشخص.

وهذا من كرامات الشيخ فهو وإن كانت عنده شهوة لكنّه كان أميراً عليها لا أسيراً لها. وكتب الملّا الرومي في «المثنوي» حول رسالة سليمان النبي على نبينا وآله وعليه السلام إلى بلقيس:

بلقيس هيا تعالي أو يسوء الحال
وعليك يرتدّ الجنود ويخاصموا
هيا تعالي إنني رسول دعوة
إذا جاء وقت الشهوة تنعدم
أمسك الشهوة فأنا الأمير لها
لا أسير لها فالوجه مظلم

ومن فتاوى الشيخ جعفر الغريبة أنّ التمثيل في المصيبة حرام. وفي نظري هذا القول هو الأقوى.

وقال الشيخ أيضاً: إذا لم يكن عندك مسبحة وتريد الاستخارة فخذ قدراً من شعر اللحية استخر بها.

ومن فتاواه الغريبة إذا لم يكن حمل الجثمان إلى العتبات العالية يجوز أخذ عضو من أعضائه إلى المشاهد المشرفة وإن كان بقطع أحد أصابع اليد، ونظره في ذلك إلى أنّه في هذا المقام يتعارض الضرر الدنيوي مع الضرر الأُخروي، والضرر الدنيوي هو إلحاق الأذى بالجسد وهتك المؤمن، لكن دفع الضرر الأُخروي مقدّم على الضرر الدنيوي، فيجب ارتكاب الضرر الدنيوي ورفع الضرر الأخروي.

أقول: ذكرت في كتاب الأُصول أنّه إذا تعارض الضرّر الدنيوي مع الأُخروي

فالأُخروي مقدم، وذكرت تفصيله الفيصل في تعليقة على القوانين مع ذكر الدليل الرافع للقال والقيل.

وأمّا تأليفات الشيخ جعفر فهي: كشف الغطاء حيث يكشف الغطاء والحجاب عن الأحكام الشرعية، اشتمل على فروع لا تحصى وذكر في مقدّمته أُصول العقائد وأُصول الفقه وكثيراً من القواعد الكلية الفقهية، وهو كـتاب في العـبادات وله في بعض المقامات منه إشارات إلى الأدلّة إجمالاً، ولم يؤلف مثل هذا الكتاب في اشتماله على فروع الدين.

وله شرح على أوائل متاجر قواعد العلّامة، والرسـالة الصـومية، ورسـالة الدماء الثلاثة، ورسالة الجنائز، ورسالة العقائد الجعفرية، ورسـالة أخـرى رضي اللّه عنه وبلّغه مناه.

(٣٢)
السيّد محسن الكاظمي ﷺ

السيّد محسن الكاظمي من معاصري السيّد علي ومن تلامذة الآغا محمّد باقر البهبهاني، والسيّد محسن من جملة مشايخ الإجازة للسيّد محمّد باقر حجة الإسلام، وكان ماهراً في الفقه والأُصول.

ومن تأليفاته: شرح وافية الأُصول المسمّى بالمحصول، وهو في خمسين ألف بيت، والمحصول اسم كتاب للفخر الرازي أيضاً كتبه في الأُصول؛ وألفية منظومة في الفقه متينة جداً نظم فيها مهمّات الفقه ومنها تظهر مهارته في الفقه.

كان حين شروعه بالدراسة كبير السن وقد بدأت محاسنه بالبياض وفي أدنى زمان فاق أقرانه، وكان يقيم الجماعة في الكاظمين.

ودخل الشيخ أحمد مرّة إلى المسجد ولم يقتد بالسيّد وصلّى فرادى، وبعد انقضاء المجلس سئل الشيخ أحمد الأحسائي: هل السيّد محسن فقيه عادل عندك أم لا؟ فقال: بلى عادل وفقيه. فقالوا: لماذا لم تقتدِ به؟ فقال: لأنّني أعلم منه، واقتداء الأعلم بالعالم مكروه.

التلميذ ويبقى تحتها بياضاً حتى يكتب الملّا محمّد باقر فيه تحقيقاته، ويقول لتلميذ آخر: اجمع لي الأخبار من الكتاب الفلاني التي تتحدّث عن المسألة. فيجمعها التلميذ ويبقى بياضاً ليكتب الملّا إن أراد تحقيقه، فربّما لا يكتب الملّا المجلسي إذا لم يكن الخبر محتاجاً إلى بيان وقد يكتب، وعلى هذاالنحو كانت نسخة البحار الأصلية، والإعانة في التأليف كانت من هذا القبيل لا أنّه أعانه في التحقيقات والتدقيقات، ولا أنّ التلامذة شاركوه في التحقيق، كما أنّ الإعانة المذكورة كانت في بعض التأليفات لا كلّها، وفي بعض المقامات لا جميع المقامات.

وأمّا هيبة جنابه فالمستفاد من العقل وغيره أنّ كلّ من يتعبّد اللّه ويخاف اللّه تخشى منه جميع المخلوقات وتقع هيبته في القلوب كما ورد في أحوال أئمة الهدى عليهم السلام في الأخبار. كتب السيّد نعمة اللّه الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية: أن أُستاذي العلّامة المجلسي مع كلّ هذا المزاح وجلوسنا معه ليلاً ونهاراً والضحك سوياً مع ذلك كلّما أردنا التشرّف بخدمته تأخذنا هيبة شديدة كأننا نؤخذ إلى سلطان ليؤدّبنا وترتجف قلوبنا. وكتب السيّد نعمة اللّه الجزائري أيضاً في الأنوار النعمانية: أنّه إذا أراد أن يُعير أحداً كتاباً يقول له أولاً: هل عندك سفرة تأكل عليها أم لا؟ إن لم يكن عندك فقل لأُعطيك سفرة تجعل الخبز عليها ولا تأكل على الكتاب.

نعم إنّ المحافظة على الكتب واحترامها مما يلزمك لا أن تضع الكتاب تحت الشمس ليتلف جلده من أثرها، واحذر أن يضعوا القمل على الكتب، وأن يأكلوا الخبز على الكتب. كما أنّ الملّا علي النوري كان يحترم وسائل العلم جداً بحيث إنّ بقايا الأوراق التي تبقى بعد قصّها يطلب أن توضع في مكان لا تدوسها الأقدام، وكذلك يجب احترام بقايا القلم ونحوه. وقد كتبت رسالة في آداب التعليم باللغة الفارسية وهي مستحسنة جداً ومرغوبة، وبيّنت فيها بالتفصيل الكتب الضرورية للطلّاب وطريقة المطالعة والتدريس والدرس وفائدة التأليف والمذاكرة.

ويقال: إنّ العلامة المجلسي كان يدرّس في العلوم العقلية ففي يوم شرح للتلامذة مذهب الدهريين مع دليلهم فقال أحد التلامذة: هذا المذهب حقّ. وقام من المجلس ليخرج، فأصر عليه الملّا محمّد باقر ليبق حتى يسمع جواب الاستدلال، فقال: هذا المذهب حقّ ولا جواب له. فمن ذلك الحين ترك العلامة المجلسي درس الكلام والحكمة.

وقد سُمع أنّ الملّا محمّد تقي المجلسي كان قد سنّ أن لا ترضع والدة الملّا محمّد باقر إياه على جنابةٍ.

وليعلم أنّ أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام لم تكن في الأعصار السابقة مجموعة، وكان الرواة كلّ واحد منهم يكتب ما يسمعه من الأسئلة والأجوبة، مثلاً: لوسئل المعصوم عن مسألتين إحداهما في الحيض والأُخرى في الوضوء يكتب الراوي السؤال والجواب في كتابه، وهكذا الرواة الآخرون. ولم يكن هناك ترتيب في الأبواب الفقهية بحيث تكون مسائل الوضوء لوحدها أو مسائل الطهارة لوحدها، بل كانت الأخبار مختلطة، وهذه الكتب تسمّى بكتب الأُصول؛ ولذا يكثر في علم الرجال أنّ يقال: فلان له أصل أو أكثر. واجتمع ابتداء من زمان الإمام السجاد عليه السلام حتى زمان العسكريين ستة آلاف أصل من رواة الشيعة عن الأئمة عليهم السلام وقد فقد بعض هذه الأُصول، ووجدت فيها أخبار متعارضة كثيرة أوجبتها التقية ونحوها، بل قد يقول الإمام عليه السلام أحكاماً متعارضة حتى لا يُعرف الشيعة بمذهب واحد فلا يعرفهم الناس فلا يؤذونهم، وقد ورد في حديث: نحن أوقعنا الخلاف بين شيعتنا فإنّه أبقى لنا ولهم.

إذن اجتمعت أخبار كثيرة في زمان العسكريين والزمان القريب إلى عصر الغيبة، ثم اتّفق الإمامية على أربعمئة أصل من هذه الأُصول الستة آلاف، وهذه

الاربعمئة من الأُصول المعتبرة المعتمد عليها إمّا لأنّ الكتاب عُرض على المعصوم عليه السلام وصحّحه وأمر بالعمل به مثل كتاب يونس بن عبدالرحمن، وإمّا لأنّ صاحب الأصل كان من المعتمدين المعتبرين مثل زرارة ومحمّد بن مسلم ونحوهما.

وهذه الأُصول الأربعمئة لم تكن مبوّبة بل كانت أحكام الفقه مختلطة فيما بينها، وهجروا بقية الأُصول، وكانت الأُصول الأربعمئة فيما بينها مختلفة أيضاً وفيها المتعارضات، فعملت الإمامية بالأخبار العلاجية، وهي الأخبار التي وردت في علاج الخبرين المتعارضين الصادرين عن المعصوم، وهي أربعين خبراً ذكرها صاحب الوسائل محمّد بن الحسن العاملي في كتاب القضاء، مثل قولهم عليهم السلام: إذا جاءك المتعارضان فاعمل بما وافق المشهور، وكالترجيح بما وافق الكتاب وما خالف العامّة.

وهكذا جلس محمّد بن يعقوب الكليني مدّة عشرين سنة وكتب الكافي في أُصول العقائد والفروع، وجمع الأخبار وبوّبها فجعل أخبار الطهارة في باب وهكذا، واختار ما رآه معتبراً من الأخبار بحسب جهده سواء في أخبار أُصول العقائد أو أخبار فروع الدين وبوبها جميعها، وكان هذا العظيم في زمان الغيبة الصغرى.

وجاء بعده محمّد بن علي بن بابويه القمي وجمع ما هو معتبر عنده وسمى كتابه من لا يحضره الفقيه، وهو ملقّب بالصدوق.

ثم جاء بعده محمّد بن الحسن الطوسي وعرف بشيخ الطائفة، وإذا قيل الشيخ بنحو مطلق فالمراد به جنابه، وقد جمع أيضاً ما رآه معتبراً من الأخبار، وكتب كتابين أحدهما هو التهذيب وهو شرح المقنعة لأُستاذه الشيخ المفيد، والآخر هو الاستبصار.

وهؤلاء هم المحمدون الثلاثة الذين كتبوا هذه الكتب الأربعة عند الإمـامية وعليها المدار، وهي غاية الاعتبار والاشتهار كالشمس في رائعة النهار، ويقال لها: الكتب الأربعة، ولمؤلفيها: المحمّدون الثلاث الأوائل.

وبين المتأخّرين ثلاثة محمّدين آخرين كتبوا ثلاثة كتب أُخرى في الأخـبار وجمعوا فيها هذه الكتب الأربعة وأخباراً أُخرى من غيرها، وهم: الأول محمّد بن مرتضى الكاشاني الملقّب بالفيض والمحسن، وكتب كتاب الوافي وهـو شرح عـلى الكافي أُصولاً وفروعاً وذكر فيه أخبار الكتب الأربعة مع توضيحات إجمالية في بعض المواضع؛ والثاني هو محمّد بن الحسن الحرّ العاملي الذي كتب الوسائل في مدّة سبع عشرة عاماً، سنة وهو مشتمل على أخبار الفروع، جمع فيه أخـبار الكـتب الأربعة وأخباراً من كتب أُخرى مع توضيحات إجمالية في بعض المواضع؛ والثالث هو محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي الذي كتب بحار الأنوار وهو كتاب لم يُكتب مثله بين العامّة الخاصّة، وقال في مقدمة البحار: إنّ أحداً من العامّة والخاصّة لم يسبقني إليه. وقد صدق؛ لأنّه جمع جميع أخبار الخاصّة، ففيه الكتب الأربعة وغيرها وجميع أخبار الشيعة من الكتب المعروفة؛ إذ إنّه عثر على مئتي أصل مـن أُصـول الرواة وذكر أخبارها المعتبرة، بل ذكر فيه توضيحات تفصيلية، بل ذكر في أكثر المواضع أخبار العامّة أيضاً. وذكر في كلّ باب الآيـات القـرآنـية التي تـدلّ عـلى المسألة وفسّرها، كما ذكر مذاهب الحكماء في كلّ باب حسب ما يـقتضيه المـقام، وذكـر التوثيق والتضعيف في كلّ الموارد، ونقل الأقوال والاستدلال وتحقيق الحقّ في كلّ باب. وله إجازة من صاحب الوسائل وكذا العكس، ويسمّى هذا في علم الدرايـة بالتجازي، وقد ذكر صاحب الوسائل في آخر كتابه في بيان مشايخ الإجازة: وقد أجازني الملّا محمّد باقر وهو آخر من أجازني وقد أجزته أيضاً.

وأمّا تأليفات الملّا محمّد باقر المجلسي فعديدة منها:

كتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول وهو شرح على أُصول الكافي من أوّله حتى نصف كتاب الدعاء، وكتاب ملاذ الأخبار في شرح كتاب تهذيب الأخبار حتى كتاب الصوم، وكتاب الأربعون حديثاً، وكتاب الفوائد الطريفة في شرح الصحيفة السجادية الكاملة ولم يتمّ ووصل فيه حتى شرح الدعاء الرابع، ورسالة الوجيزة، ورسالة الاعتقادات فيما يجب على المكلّف من العقائد وقد كتبها في ليلة، ورسالة في الأذان، ورسالة في الشك في الصلاة، ورسالة في أجوبة مسائل متفرّقة وتسمى أيضاً بالهندية، ورسالة الأوزان والمقادير الشرعية.

وكتاب حياة القلوب اشتمل على ثلاثة مجلّدات، المجلد الأول: في تاريخ الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم حتى نبينا صلوات اللّه وسلامه عليه وعليهم أجمعين، والمجلد الثاني: في أحوال خاتم النبيين صلى الله عليه وآله من ولادته حتى وفاته مع غزواته وذكر أحوال بعض كبار الصحابة، والمجلد الثالث: في الإمامة وهذا المجلد لم يتم.

وكتاب تحفة الزائر، وكتاب جلاء العيون في أخبار المصيبة، وكتاب عين الحياة في الواعظ والزهد، وكتاب مشكاة الأنوار وهو مختصر كتاب عين الحياة، وكتاب حلية المتقين في الآداب والسنن، وكتاب مقباس المصابيح في تعقيبات الصلوات اليومية، وكتاب الربيع، وكتاب زاد المعاد في أعمال السنة ومجمل عن الزكاة والكفارات ونحوها، ولي حواشٍ على هذا الكتاب. ومن جملة تخبّطات العلامة المجلسي أنّه قال في خاتمة الكتاب في وطي الحائض: المشهور أن كفارة وطي الحائض في أول الحيض دينار وفي وسطه نصف دينار وفي آخره ثلث دينار. مع أنّ المشهور أنّه في آخر الحيض ربع دينار لا ثلث وهو سهو من طغيان القلم. ومن تخبطاته في هذا الكتاب أنّه قال في إحياء أعمال الليالي: أن يضع القرآن على رأسه ويقول: اللهم بحق هذا القرآن... مع أنّ صريح الأخبار أن يضع القرآن في مقابله لا على رأسه.

وله رسالة في القصاص والديات، وكتاب مسـائل الشك في الصـلاة. والذي تقدم وهو الشك في الصلاة كان باللغة العربية، ومن حياة القلوب حتى الآخر من الكتب هي باللغة الفارسية؛ وله رسالة في أوقات النوافل اليومية، وكتاب الرجعة، وكتاب ترجمة رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر، وكتاب اختيارات الأيام، وكتاب الجنة والنار، وكتاب الجنائز، وكتاب أعمال الحج والعمرة، ورسالة صغيرة في الحج، وكتاب مفاتيح الغيب في الاستخارات، وكتاب مال النواصب الغواصب، وكتاب الكفارات، وكتاب الزكاة، وكتاب صـلاة الليـل، وكـتاب آداب الصـلاة، ورسالة في تحقيق ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[1] وفي الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، ورسالة في تحقيق البداء، ورسالة في الجبر والتفويض، وكتاب في النكـاح، وكتاب فرحة الغري، وكتاب ترجمة الزيارة الجامعة وترجمة دعاء كميل وتـرجمـة دعاء المباهلة وترجمة دعاء السمات وترجمة دعاء الجوشن الصغير وترجمة حديث عبدالله بن جندب وترجمة حديث رجاء بن الضـحاك وتـرجمـة قـصيدة دعـبل وترجمة حديث ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع، ورسالة في الإنشـاء في تـذكرة النجف وكربلاء. وبعد الرجوع من هناك كتب رسالة في أُجوبة المسائل المـتفرقة، ورسالة صواعق اليهود، وكتاب حقّ اليقين في أُصول الدين، وكتاب تذكرة الأئمّة. وقد جمع الملّا محمّد صالح المازندراني تأليفات المرحوم ولم يذكر اسم التذكرة.

وكتاب بحار الأنوار المشتمل على خمسة وعشرين كتاباً، الأول: العقل والعلم والجهل، الثاني: كتاب التـوحيد، الثـالث: كـتاب العـدل والمـعاد، الرابـع: كـتاب الاحتجاجات والمناظرات وجوامع العـلوم، الخـامس: كـتاب قـصص الأنـبياء، السادس: كتاب نبينا صلى الله عليه وآله وأحواله، السابع: كتاب الإمامة وفيه جـوامـع أحـوال

(١) الواقعة ٥٦ / ١٠.

الأئمة، الثامن: كتاب الفتن وما وقع بعد النبي وغزوات أمير المؤمنين، التاسع: كتاب تاريخ الإمام أمير المؤمنين وفضائله وأحواله، العاشر: تاريخ فاطمة والحسنين وفضائلهم ومعجزاتهم، الحادي عشر: تاريخ علي بن الحسن ومحمّدبن علي الباقر وجعفر بن محمّد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وفضائلهم، الثاني عشر: تاريخ علي بن موسى الرضا ومحمّد بن علي الجواد وعلي بن محمّد الهادي والحسن بن علي العسكري وأحوالهم ومعجزاتهم، الثالث عشر: كتاب الغيبة وأحوال القائم عجل اللّه فرجه، الرابع عشر: كتاب السماء والعالم وهو مشتمل على أحوال العرش والكرسي والأفلاك والعناصر والمواليد والملائكة والجن والإنس والوحوش والطيور وسائر الحيوانات، وفيه أبواب الصيد والذباحة وأبواب الطب؛ الخامس عشر: كتاب الإيمان والكفر ومكارم الأخلاق، السادس عشر: كتاب الآداب والسنن والأوامر والنواهي والمعاصي وفيه أبواب الحدود، السابع عشر: كتاب الروضة والمواعظ والحكم والخطب، الثامن عشر: كتاب الطهارة والصلاة، التاسع عشر: كتاب القرآن والدعاء، العشرون: كتاب الزكاة والصوم وفيه أعمال السنة، الواحد والعشرون: كتاب الحج، الثاني والعشرون: كتاب المزار، الثالث والعشرون: كتاب العقود والإيقاعات، الرابع والعشرون: كتاب الأحكام، الخامس والعشرون: كتاب الإجازات وهو آخر كتب البحار اشتمل على طرقه وإجازاته.

وقال صاحب اللؤلؤة: إنّ بعض مشايخنا قال: إن الذي خرج من المسوّدة من البحار ستة عشر كتاباً وتسعة لم تخرج من التصحيح والتوضيح، والمسوّدة هي: الكتاب الايمان والكفر ومكارم الأخلاق، وكتاب الآداب والسنن، وكتاب الروضة، وكتاب القرآن والدعاء، وكتاب الزكاة والصوم، وكتاب الحج، وكتاب العقود والإيقاعات، وكتاب الأحكام، وكتاب الإجازات. وهذا غير بعيد لإنّنا

لم نطّلع على هذه الكتب. انتهى كلام الشيخ يوسف في اللؤلؤة.

لكن هذا الكلام لا أصل له، وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، وقد سمعنا أنّ بعض العلماء كان عنده جميع مجلّدات البحار وهي موجودة في مكتبة المجلسي تحت إشراف إمام جمعة إصفهان، وقال بعض الفضلاء: إنّ كتاب الإجازات كان موجوداً عند السيّد محمّد باقر حجة الإسلام. وقال البعض أيضاً إنّه رأى كتاب العقود والإيقاعات.

وجناب الملّا محمّد باقر المجلسي كان ظريفاً جداً ومازحاً كما ذكر في كتاب تذكرة الأئمة حيث قال: يقول السنة: إنّ الشيعة تقول: إنّ ذا الفقار نزل من السماء وهذا كذب؛ لأن السماء ليس فيها محل حدادة. وقال الملّا: إنّ السني يقول إنّ جبة الصوف التي هي لأبي بكر نزلت من السماء. فقال الملّا محمّد باقر المجلسي: إنني أُقسم بحياة الملّا علي القوشجي وبلحية الملّا سعد الدين أنّ السماء التي فيها دكان لكيل الصوف فيها دكان حدادة.

وكانت وفاة الملّا محمّد باقر المجلسي سنة ١١١١ وتاريخه بعد «غم وحزن». وقال في حاشيته على بحار الأنوار عندما ذكر تسمية البحار: إنّ من الغرائب تفطنّ بعض علماء الأخبار مطابقة تاريخ ولادتي مع عدد الكامل لكتاب بحار الأنوار انتهى كلامه. ومن هذا الكلام يظهر أنّ ولادته كانت سنة ١٠٣٧ فيكون عمره تقريباً ٧٤ سنة.

وله إجازة من أبيه الملّا محمّد تقي المجلسي، وكذا من الشيخ عبدالله ابن الشيخ جابر العاملي وهو ابن عمّة الملّا محمّد تقي، ومن جدّ الملّا محمّد تقي لأُمّه الدرويش محمّد ابن الشيخ حسن، عن المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، وهذا السند هو أقصر الطرق.

وحيث إنّ هذا الكتاب وضع لبيان حال مشايخ الإجازة، وقد اشتملت إجازة المَلّا محمّد تقي المجلسي لولده العزيز المَلّا محمّد باقر على أسماء كثير من المشايخ ممن تقدّم ذكر بعضهم ويأتي ذكر بعض آخر منهم، ولعلنا لا نذكر قسماً منهم؛ لذا نذكر نصّ تلك الإجازة نفسها تيمّناً وتبرّكاً وتوخّياً للإفادة وكثرة الانتفاع.

قال الفاضل المولى محمّد تقي:

إجازة العلامة المجلسي

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى عترته الأصفياء الطاهرين.

وبعد فيقول أحوج المربوبين إلى رحمة ربّه الغني محمّد تقي بن مجلسي العاملي النطنزي الإصفهاني: لا ريب لأُولي الألباب والعقول والأخلاق بين علماء المعقول والمنقول وأرباب الفروع والأُصول أنّ أفضل الأعمال وأشرفها وأحسن الأخلاق وأكملها ـ بعد معرفة اللّه تبارك وتعالى معرفة رسوله والأئمّة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ هو العلم بالأحكام الشرعية والوظائف الدينية، وبه تحصل السعادات الأبدية والكمالات السرمدية.

ولا شك في أنّ المتكفّل بذلك هو كتاب اللّه المبين وأحاديث سيّد المرسلين والأئمة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، بل لا يمكن معرفة القرآن المجيد سيما متشابهاته إلّا منهم، بل لا يحصل العلم إلّا من أبواب مدينة العلم كما ورد متواتراً عن سيّد المرسلين أنّه قال: لن يفترقا حتى يردا على الحوض في حديث الثقلين.

وإنّ الولد الأعز المترقي من حضيض التقليد إلى أوج الاستدلال محمّد باقر لما قرأ عليّ كتب الفقه والأحاديث سيما الكتب الأربعة لأبي جعفر محمّد بن الثلث

رضي اللّه عنهم، وسمع منّي بالفحص والتدبّر والتحقيق والتدقيق، وسمع وقرأ غيرها من كتب الأخبار الموجودة في هذا الزمان كقرب الإسناد للحميري والمحاسن للبرقي والبصائر للصفار وعيون أخبار الرضا والأمالي والعلل والشرائع والخصال والتوحيد والأُصول وكمال الدين وتمام النعمة وغيرها للصدوق وصححها، التمس منّي أن أُجيز له ما يجوز لي روايته من كتب التفاسير والأحاديث والفقه والكلام والأُصول والقراءة واللغة والأدب وكتبي وغيرها ممّا صنّف في الإسلام من الخاصّة والعامّة، فاستخرت اللّه تعالى وأجزت له أن يرويها عنّي بالأسانيد المتواترة إلى أربابها، فمن ذلك ما أخبرنا به الشيخ الأعظم بل الوالد المعظّم شيخ الطائفة العظام ومربي العلماء الأعلام الزاهد العالم الباذل عبداللّه الحسين التستري، عن الشيخ الأجل نعمة اللّه ابن خاتون العاملي شيخ الطائفة ومروّج المذهب قدوة علمائنا المحقّقين وفضلائنا المدقّقين نور الدين علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ نعمة اللّه، عن أبيه أعلم علمائنا المتأخّرين أحمد ابن الشيخ شمس الدين محمّد ابن خاتون العاملي، وعن الشيخ نور الدين، عن جمال الدين أحمد العيناني، عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام، عن السيّد الأجل الحسن بن أيوب، عن شيخ العلماء والفضلاء السيّد الشهيد محمّد بن مكي العاملي رضي اللّه تعالى عنهم أجمعين.

وما حدّثنا به الشيخ الأعظم بل الوالد المعظم شيخ علماء الزمان ومربي الفضلاء الأعيان علامة الفقهاء شيخ الإسلام والمسلمين بهاء الملة والحق والحقيقة والدين محمّد ابن الشيخ الأجل الأعظم الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي، عن أبيه، عن شيخ علمائنا المحققين وأكمل فضلائنا المدققين زين الملّة والحق والحقيقة والدين أبي علي بن أحمد العاملي، عن الشيخ الجليل نور الدين علي بن عبد العالي الميسي.

وما حدّثنا وأخبرنا به جماعة من العلماء العظام والفضلاء الفخام منهم: شيخ بهاء الدين العاملي والعلامة الفهّامة القاضي معزّ الدين محمّد والشيخ يونس الجزائري، عن الشيخ الأجل الأعظم العلامة الفهّامة عبد العالي، عن أبيه الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي(ح).

وما أخبرنا به جمّ غفير من الفضلاء منهم: أُستاذ الفضلاء القاضي أبو الشرور وابن عمّه أي الشيخ الأجل عبداللّه ابن شيخ الأعظم جابر العاملي وخالي مولانا عن جدي شيخ الطائفة في عصر الشريف مولانا درويش محمّد ابن الشيخ الزاهد العالم البذل ذي الكرامات العالية حسن النطنزي الإصفهاني(ح) وعن الشيخ الأعظم جابر العاملي، وهما عن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي أنار اللّه تعالى برهانهم.

وما أجاز لي في الصغر الشيخ الأعظم أبو البركات الواعظ عن الشيخ نور الدين.

وما حدثنا وأخبرنا به السيّد الأجل الأعظم العابد الزاهد العلامة الأمير شرف الدين علي الشولستاني، عن السيّد الأجل الأمير الأعظم محمّد بن الشيخ الأجل الأعلم الحسن ابن شيخ الطائفة زين الملّة والحق والحقيقة والدين جميعاً عن الشيخ الأعلم الحسن العاملي، عن شيخ الإسلام والمسلمين الحسين بن عبد الصمد(ح) وعن السيّد الأجل عن الفاضل العالم الزاهد المجاور لبيت اللّه تبارك وتعالى الميرزا محمّد الاسترآبادي، عن الشيخ الأجل ابراهيم، عن أبيه الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي قدس اللّه أرواحهم(ح).

وما أخبرنا به الشيخ الأجل جابر بن عباس النجفي وجماعة، عن الشيخ عبد النبي الجزائري، عن السيّد المحقق المدقق محمّد بن السيّد علي(ح) وعن جماعة كثيرة

منهم: السيّد الأجل عبد الكريم العاملي، عن السيّد محمّد ابن السيّد علي، عن أبيه الشهيد الثاني، وعن السيّد محمّد بن علي ومولانا عبد الرحمن المولى الأجل الأعظم الأزهد البر، عن مولانا أحمد الأردبيلي، عن مشايخه، عن الشهيد الثاني، عن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الميسي.

وما أخبرنا به الشيخ الأجل محمّد التبيني، عن أربعين من مشايخنا، عن الأربعين إلى شيخ الطائفة، بل المشايخ الثلاثة على ما هو المسطور في رسالة في الإجازات؛ ولما كانت الكتب الأربعة بل أكثر كتب الحديث متواترة لم أذكرهم بل لا أذكر إلّا للتيمّن والتبرّك ناسياً بالسلف. وعن الشيخ نور الدين الكركي، وعن الشيخ نورالدين علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ الأعظم جمال العارفين والزاهدين أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ الأجل زين الدين علي بن خازن الحائري، عن شيخ علمائنا المحقّقين وأفضل فضلائنا المدققين الشهيد السعيد محمّدبن مكي العاملي قدس اللّه أرواحهم(ح). وعن الشيخ حسن، عن السيّد نور الدين علي ابن السيّد حسن والشيخ حسين والسيّد نور الدين فخر الدين الهاشمي والشيخ أحمد بن سليمان وغيرهم من مشايخه، عن الشهيد الثاني، عن الشيخ نور الدين علي الميسي، عن ابن عم الشهيد الأول الشيخ شمس الدين محمّد بن داود الشهير بابن المؤذن الجزيني عن الشيخين الأجلين: أبي طالب محمّد وضياء الدين علي نجلي الشهيد، عن محمّد بن مكي رضي اللّه عنهم(ح) وعن ابن المؤذن، عن السيّد علي بن دقماق، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن شجاع القطان، عن الشيخ أبي عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه السيوري، عن الشهيد، وعن ابن المؤذن، عن الشيخ عز الدين المعروف بابن العشرة، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن نجدة الشهير بإبن عبد العالي عن الشهيد(ح) وعن ابن المؤذن، عن الشيخ أبي القاسم علي بن طي، عن الشيخ شمس الدين العريضي، عن السيّد حسن بن أيوب، عن

الأعرج، عن الشهيد رضي اللّه تعالى عنهم، عن جم كثير من الفضلاء الأخيار والعلماء الأبرار منهم: الشيخ الأعظم فخر المحققين أبو طالب محمّد بن علامة وسيّد المحقّقين عميد الملّة والدين عبد المطلب بن الأعرج والسيّد الأعظم الأجل العلامة تاج الدين أبو عبد اللّه محمّد بن القاسم بن معية الحسيني الديباجي والسيّد الأجل الأعظم أبو طالب أحمد بن محمّد بن الحسن بن زهرة الحلبي والسيّد الكبير الفاضل نجم الدين مهنا بن سنان المدني والشيخ المحقّق العلامة ملك العلماء والفضلاء مولانا قطب الدين محمّد بن محمّد الرازي شارح المطالع والشمسية والشيخ العالم الأديب رضي الدين أبوالحسن علي بن أحمد بن يحيى المعروف بالمزيدي والشيخ الفاضل أبو الحسن علي بن طراد المطارآبادي، عن الشيخ الأجل الأعظم آية اللّه في العالمين جمال الملة والحق والحقيقة والدين علامة العلماء المحقّقين الحسن العلامة بن الشيخ سديد الدين يوسف بن مطهر الحلي(ح) وعن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن أحمد الضبهوني، عن الشيخ جمال الدين أحمد المعروف بابن الحاج علي، عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام، عن السيّد حسن بن أيوب، عن السيّدين الفقيهين: ضياء الدين عبد اللّه وعميد الدين عبد المطلب ابني الأعرج والشيخ فخر الدين محمّد، عن العلامة، وعن نجلي الشهيد وعن السيّد تاج الدين عن العلامة(ح) وعن ابن المؤذن، عن ابن العشرة، عن ابن فهد، عن الشيخ عبد الحميد النيلي، عن السيّدين: عبد اللّه وعبد المطلب والشيخ فخر الدين، عن العلامة(ح) وعن الصهبوني، عن ابن العشرة، عن الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي، عن الشيخ فخرالدين عن العلامة(ح) وعن ابن المؤذن، عن علي بن طي، عن الشيخ محمّد بن عبد اللّه الفريصي، عن السيّد بدر الدين حسن بن نجم الدين، عن ابن السيّد فخر المحقّقين، عن العلّامة وعن الشهيد وغيره، عن السيّد تاج الدين بن معية، عن جم غفير من علمائنا: منهم العلامة

وولده الشيخ فخر الدين وولد ولده الشيخ ظهير الدين محمّد بن الحسن بن المطهر وإن روى ظهير الدين عن السيّد أيضاً كأمثاله، ومنهم: العالم الرباني عميد الدين عبدالمطلب بن الأعرج الحسيني والسيّد الجليل كمال الدين يوسف بن ناصر حماد الحسيني والسيّد السعيد جلال الدين جعفر بن علي الحسيني والسيّد الأجل علم الدين المرتضى علي بن عبد الحميد بن فخار الموسوي والسيّد الأعظم رضي الدين أبوالقاسم علي ابن السيّد الأعظم غياث الدين عبد الكريم طاووس الحسيني وأبوه السيّد الأجل أبو جعفر القاسم بن الحسن بن معية والسيّد السعيد رضي الدين محمّد الموسوي والسيّد الجليل كمال الدين الرضي الحسن بن محمّد الآوي الحسيني والسيّد الكبير ناصر الدين عبد المطلب بن پادشاه الحسيني الخزري والسيّد العظيم فخر الدين أحمد بن علي بن عرفة الحسيني والسيّد الأعظم مجد الدين أبو الفوارس محمّد بن الأعرج الحسيني والسيّد الفقيه عز الدين أبو الفتح بن الدهان الحسيني والشيخ الجليل صفي الدين محمّد ابن السعيد نجم الدين أبو القاسم حملات والقاضي السعيد تاج الدين أبو علي محمّد بن محفوظ بن وشاح والعدل الأمين جلال الدين محمّد ابن السعيد شمس الدين محمّد بن أحمد الكوفي والشيخ الأمين زين الدين جعفر بن علي بن يونس بن عروة الحلّي والشيخ السعيد مهذب الدين محمود بن يحيى بن محمود بن سالم الشيباني الحلّي والشيخ الزاهد كمال الدين علي بن الحسين بن حماد الواسطي والشيخ العالم شمس الدين محمّد بن الغزالي المنصري الكوفي والشيخ العلامة نصير الدين علي بن محمّد القاشي والشيخ الفقيه الفاضل رضي الدين علي بن أحمد المرندي والشيخ السعيد جمال الدين أحمد بن محمّد الحداد والشيخ الفاضل شمس الدين محمّد بن علي بن غني والفقيه السعيد قوام الدين محمّد بن الفقيه رضي الدين علي بن مطهر والشيخ الأجل علي بن طراد، عن الشيخ الفقيه الأديب النحوي العروضي تقي الدين الحسن بن داود الحلي صاحب

كتاب الرجال. وعن العلامة وبعضهم، عن ولده فخر المحققين، عن أبيه سديد الدين يوسف ورئيس المحققين أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد وسلطان العلماء والحكماء خواجه نصير الملة والحق والحقيقة والدين والسيّدين السندين الزاهدين البدلين: رضى الدين أبي القاسم علي وجمال الدين أبي الفضائل أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني والشيخ مفيد الدين محمّد بن جهيم الأسدي جميعاً عن السيّد الأعظم الأعلم المرتضى إمام الأدباء واللباب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي والشيخ الأجل الفقيه نجيب الدين أبي ابراهيم محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة اللّه بن نما الحلي، عن المشايخ العظام والفضلاء الكرام محمّد بن إدريس الحلي والشيخ الأعظم أبي الفضل سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي والشيخ السعيد رشيدالدين أبي جعفر محمّد بن شهر آشوب المازندراني، وعن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن السعيد الفقيه محيي الدين أبي حامد محمّد بن أبي القاسم عبداللّه بن علي بن زهرة عن الثلاثة المتقدمة، وعن الشيخ الأعظم أبي الحسين يحيى بن الحسين بن البطريق الأسدي، عن الفقيه عماد الدين أبي جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ المفيد أبي علي الحسن، عن والده شيخ الطائفة ورئيسها محمّد بن الحسين الطوسي رضي اللّه تعالى عنهم أجمعين (ح) وعن تقي الدين داود، عن المحقق والسيّد جمال الدين أحمد بن طاووس وولده السيّد غياث الدين عبد الكريم(ح) وعن الشيخ كمال الدين علي بن الحسين‌بن حماد الواسطي، عن غياث الدين، عن خواجه نصير الملة والدين الطوسي، وعن الشيخ فخر الدين المطهر، عن عمه رضي الدين علي بن يوسف بن المطهر(ح) وعن السيّد عبيد الدين، عن أبيه السيّد مجد الدين أبي الفوارس وخاله الشيخ رضي الدين بن المطهر، عن والده الشيخ سديد الدين يوسف والمحقق، وعن الشيخ رضي الدين علي المرندي، عن

الشيخ محمّد بن صالح، عن المحقق، وعن الشيخ كمال الدين حماد، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد والشيخ نجم الدين جعفر بن محمّد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما والشيخ العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني والشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح والشيخ الفقيه شمس الدين محمّد بن صالح الغسيني بكتبهم ورواياتهم(ح)، وعن الشهيد وعن الشيخ جلال الدين محمّد بن محمّد الكوفي، عن المحقق، وعن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد وكان هذا الشيخ معمراً(ح) وعن الشهيد، عن المرندي عن الشيخ شمس الدين محمّد بن صالح، عن السيّد فخار، عن شاذان، عن الدوريستي، عن أبيه عن شيخنا المفيد وهذا أعلى الطرق. وذكر محمّدبن صالح أنّه يروي عن السيّد فخار والشيخ نجيب الدين بن نما وجماعة منهم. السيّد الفقيه المعظم الزاهد رضي الدين محمّد بن محمّد الآوى، والشيخ الفقيه شمس الدين عليبن ثابت بن عصدة السور آوى والسيّد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس وأبوه أحمد بن صالح روى له عن الفقهين راشد بن ابراهيم بن إسحاق البحراني وقوام الدين محمّد بن محمّد بن محمّد البحراني والشيخ الفقيه علي بن فرج السوراوي بطرقهم إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي قال: وروى لي أبو البركات الصنعاني، عن عربي بن مسافر الفقيه والسيّد الأعظم جمال الدين أحمد بن طاووس(ح)، وعن الشهيد، عن السيّد الأجل شمس الدين محمّد بن أبي المعالي، عن الشيخ كمال الدين علي بن حماد الواسطي، عن الشيخ نجم الدين جعفر بن نما، عن أبيه الشيخ نجيب الدين محمّد بن نما، عن الشيخ أبي عبداللّه محمّد بن جعفر المشهدي الحائري، وعن الشيخين العالمين: ابن أبي الفرج علي بن الشيخ قطب الدين أبي الحسين الراوندي وأبي الحسن علي بن يحيى بن علي الخياط، عن محمّد بن إدريس وابن الطريف والعالم المقوى أبي عبد اللّه محمّد بن هارون والشيخ الفقيه عبداللّه بن حمزة الطوسي والشيخ المقوى جعفر بن محمّد بن محمّد بن شفر

الجاصمي، عن قطب الدين والسيّد الأعظم ضياء الدين فضل اللّه بن علي الراوندي الحسيني والشيخ الأجل جمال الدين أبي الفتوح الخزاعي الرازي المفسر والشيخ الأعظم السعيد سديد الدين محمّد بن علي الخصمي والشيخ الأجل الأعظم العلامة أمين الدين أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي بجميع كتبهم، وعن محمّد بن جعفر بن جعفر المشهدي، عن الشيخ الزاهد أبي الحسين ورام بن أبي فراس بكتابه المعروف (ح)، وعن محمّد بن جعفر عن ابن بطريق بجميع كتبه ورواياته (ح)، وعن محمّد بن جعفر عن محمّد بن هارون بكتبه ورواياته (ح)، وعن الشيخ الفقيه أبي عبداللّه الحسين بن أحمد بن لاه، وعن الشريف الأجل شرفشاه بن محمّد بن زياد والشيخ أبي الفضال شاذانبن جبرئيل، عن الشريف محمّد المعروف بأبي الشريف الجمل البحري، عن البصري وكتاب المفيد في التكليف (ح)، وعن الشيخ يحيى بن سعيد، عن السيّد يحيى الدين بن زهرة، عن عمه السيّد الأجل عز الدين أبي المكارم حمزة بن علي بن زهرة (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن أبيه، عن عمه أيضاً بالقراءة والسماع لتصانيفه وتصانيف أبيه (ح)، وعن الشيخ سديد شاذان ومحمّد بن إدريس، عن السيّد أبي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني بتصانيفه (ح)، وعن العلامة، عن أبيه، عن الشيخ سديد الدين سالم بن محفوظ بن عزيزة السوراوي وبجميع رواياته، عن مشائخ الدين هم: نجيب الدين بن بذكي الاسترآبادي والفقيه ياسر بن هشام الحائري مصنفاته، وعن أبيه عن الشيخ مهذب الدين محمّد بن يحيى بن كرم بجميع مصنفاته ورواياته، عن مشائخ الدين هم: نجيب الدين بن بذكي الاسترآبادي والفقيه ياسر بن هشام الحائري والعماد الطبري ومحمّد بن طحال المقدادي الحائري، وعن العلامة، عن أبيه، عن الشيخ مهذّب الدين بن بردة، عن العلامة نصير الدين عبداللّه بن حمزة الطوسي بتصانيفه ورواياته (ح)، وعن العلامة عن الشيخ الأجل علي بن سليمان البحراني بتصانيفه

وروایاته(ح) وعن والده والسیّدین ابني طاووس والشیخ سدید الدین بن مطهر، عن السیّد صفي الدین، عن الشیخ السعید الفقیه برهان الدین محمّد بن علي الهمداني القزویني نزیل الري، عن الشیخ الأعظم الحافظ منتجب الدین أبي الحسن علي بن عبدالله بن الحسن المدعو حسكا بن الحسین بن الحسین علي بن الحسین بن موسی بن بابویه القمي جمیع روایاته وما اشتمل علیه فهرسته المتضمن لا سیما علماء المتأخرین، عن الشیخ أبي جعفر الطوسي رحمه اللّه والمعاصرین له(ح)، وعن الشهید، عن السیّد تاج الدین، عن السیّد رضي الدین، عن أبیه السیّد غیاث الدین، عن خواجه نصیر الدین محمّد، عن الشیخ برهان الدین، عن الشیخ منتجب الدین، وعن العلامة، عن أبیه، عن السیّد أحمد بن یوسف العریضي العلوي، عن الشیخ برهان الدین، عن الشیخ منتجب الدین رضي اللّه عنهم(ح)، وعن الشیخ برهان الدین، عن الشیخ الأعظم العلامة أمین الدین أبي علي الفضل الحسن بن طبرسي والشیخ سدید الدین الحمصي والسیّد الأجل فضل اللّه بن علي الراوندي جمیع مصنفاتهم وروایاتهم، وعن العلامة، عن الفضلاء الأربعة السابقة، عن السیّد صفي الدین، عن الشیخ نصیر الدین راشد بن إبراهیم بن إسحاق البحراني، عن السیّد فضل اللّه الشیخ أبي علي الطبرسي بكتبه سیما مجمع البیان وجوامع الجامع(ح)، وعن العلامة عن أبیه السیّد فخار عن ابن البطریق والشیخ الأعظم الأجل الضابط البارع عمید الرؤساء هبة اللّه بن حامد بن أحمد بن أیوب جمیع كتبهما وروایاتهما لا سیما الصحیفة الكاملة، وعن السیّد الأجل(ح) وعن الشهید، عن المرندي، عن محمّد بن صالح، عن السیّد فخار، عن عمید الرؤساء، عن السیّد الأجل بإسناده إلى سیّد الساجدین صلوات اللّه علیه، وعن العلامة، عن أبیه، عن الشیخ مهذب الدین بن بردة، عن العاصي أحمد بن علي بن عبد الجبار الطوسي، عن الشیخ الفقیه أبي الحسین قطب الدین الراوندي جمیع مصنفاته وروایاته

وإجازته، وعن مهذب الدين بردة، عن الحسين بن فضل بن الحسن الطبرسي، عن والده برواياته ومصنفاته(ح)، وعن السيّد جمال الدين أحمد بن طاووس، عن الشيخ السعيد سديد بن علي بن الحسين بن خشوم جميع كتب الأصحاب السابقين ورواياتهم وإجازاتهم ومصنّفاتهم. وعن والده عن السيّد صفي الدين محمّد بن محمّد الموسوي، عن الشيخ ابن الحسن بن يحيى الخياط، عن الشيخ محمّد بن إدريس الحلي والشيخ شمس الدين يحيى بن البطريق والشيخ نصير الدين بن عبد اللّه بن حمزة بن الحسن الطوسي جميع رواياتهم، وعن الخياط، عن الشيخ المعري محمّد بن هارون بن الكيال جميع رواياته(ح)، وعن السيّد، عن شاذان، عن الفقيه عبداللّه بن عمر الطرابلسي، عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل، عن الشيخ الطوسي والسيّد المرتضى، عن الشيخ الفقيه أبي الفتح محمّد بن عثمان بن علي الكراجكي عنهما رضي اللّه عنهما(ح)، وعن السيّد فخار، عن الشيخ شاذان، عن عبداللّه بن عبد الواحد، عن القاضي عبد العزيز بن أبي كامل، عن القاضي سعيد الدين عبد العزيز بن أبي كامل، عن القاضي سعد الدين عبد العزيز بن نحرير بن البراج بكتبه ورواياته، عن السيّدين الأجلين: المرتضى ورضي الدين بكتبهما وروايـاتهما(ح)، وعن الشيخ شاذان، عن القاضي أبي الفتح علي بن الجبار الطوسي، عن السيّد أبي تراب بن الداعي، عن الشيخ أبي يعلى سلار بن عبد العزيز الديلمي جميع مصنفاته ورواياته، عن السيّدين والمفيد(ح)، وعن الشيخ محمّد بن صالح، عن السيّد الأعظم رضي الدين محمّد بن محمّد الآوي الحسني، عن أبيه، عن جده، عن زيد، عن جد أبيه الفقيه، عن الشيخ أبي الصلاح والقاضي عبد العزيز بن البراج والشيخ سلام(ح)، وعن الشهيد، عن السيّد شمس الدين محمّد أبي المعالي، عن الشيخ كمال الدين يحيى بن سعيد، عن السيّد محيي الدين محمّد بن عبد اللّه بن زهرة، وعن الشيخ سديد شاذان، عن عبد اللّه عمر، عن القاضي عبد العزيز، عن أبي الصلاح الحلبي وابن

البراج(ح)، وعن السيّد محيي الدين بن زهرة، عن الشريف الفقيه عز الدين أبي الحارث محمّد بن الحسن العلوي البغدادي، عن الشيخ الفقيه قطب الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن علي الحسن الحلبي، عن القاضي أبي القاسم عبدالعزيز نحرير البراج جميع تصانيفه ورواياته (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن شاذان، عن الشيخ أبي محمّد عبد اللّه بن عبد الواحد والشيخ عبد اللّه بن عمر، عن القاضي عبد العزيز بن أبي كاط، عن الكراجكي كتبه ورواياته (ح)، وعن شاذان، عن الشيخ الفقيه أبي ريحان بن عبد اللّه الحبشي، عن القاضي، عن الكراكجي (ح)، وعن السيّد محيي الدين عن ابن إدريس، عن عربي بن مسافر، عن السيّد الأجل بالصحيفة الكاملة (ح)، وعن ابن المسافر العبادي، عن الشيخ ياسر هشام الحائري، عن الشيخ المفيد أبي علي الحسين بن محمّد بن الحسن، عن أبيه شيخ الطائفة (ح)، وعن الشيخ أبي يعلى سلار بن عبد العزيز (ح)، وعن الشيخ كمال الدين علي بن حماد، عن الشيخ نجم الدين جعفر بن نما، عن والده، عن الشيخ أبي‌الفرج علي ابن الشيخ قطب الدين الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر الحسيني، عن ابن البراج(ح)، وعن أبي الفرج، عن أبيه، وعن السيّد الأعظم أبي صمصام ذي الفقار بن سعيد الحسيني، عن النجاشي والطوسي وسلار(ح)، وعن الشهيد، عن السيّد تاج الدين، عن السيّد أعلم الدين المرتضى علي ابن سيّد جمال الدين عبد الحميد ابن السيّد العلامة شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن إدريس، عن الشيخ جمال الدين الحسن بن هبة اللّه السوراوي جميع مصنفاته(ح)، وعنه عن أبي علي، عن والده شيخ الطائفة جميع مصنفاته ورواياته(ح)، وعن العلامة، عن أبيه السيّد أحمد بن يوسف العريضي، عن برهان الدين، عن السيّد فضل اللّه الراوندي، عن السيّد أبي الصمصام، عن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي كتابه في الرجال وأسانيده إلى الكتب إلى الأئمة

المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين(ح)، وعن الشهيد، عن الشيخ الفقيه الصالح جلال الدين الحسن بن أحمد ابن الشيخ نجيب الدين محمّد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما، عن أبيه، عن الشيخ أبي عبد اللّه الحسين بن طحال المقدادي، عن الشيخ أبي علي، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن الشهيد، عن السيّد تاج الدين، عن السيّد علي بن عبد الحميد بن فخار، عن شاذان، عن العماد الطبري، عن أبي علي، عن الطوسي(ح)، وعن الشهيد، عن المرندي والمطار آبادي، عن ابن داود، عن الشيخ المحقق نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد، عن أبيه، عن أبيه، عن عربي بن مسافر، عن الياس، عن أبي علي، عن أبيه شيخ الطائفة(ح)، وعن العلامة عن أبيه عن الشيخ يحيى بن الفرج السوراوي الفقيه الحسين بن هبة اللّه(ح)، وعن العلامة، عن أبيه، عن السيّد أحمد العريضي، عن برهان الدين، عن السيّد فضل اللّه، عن السيّد ذي الفقار، عن الشيخ أبي جعفر(ح)، وعنه عن ابن طاووس، عن ابن زهرة، عن ابن البطريق، عن العماد الطبري، وعن أبي، عن أبيه(ح)، وعنه عن أبيه، عن الفقيه علي بن الفرج، عن الحسين بن رطبة، عن أبيه علي، عن أبيه(ح)، وعنه عن الشيخ الفقيه شمس الدين علي بن ثابت، عن الفقيه عربي بن مسافر، عن السيّد الأجل والحسين بن رطبة، عن أبي علي، عن أبيه شيخ الطائفة(ح)، وعنه عن محمّد بن أبي البركات الصنعاني، عن عربي بن مسافر عنهما عنه عن أبيه(ح)، وعنه عن السيّد الفقيه رضي الدين محمّد الآوي، عن أبيه محمّد، عن جدّه زيد، عن جدّ أبيه الداعي، عن الشيخ أبي جعفر الطوسي، وعن السيّد غياث الدين عن أبيه(ح)، وعنه عن ابن زهرة، عن الشيخ رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب، عن جده، عن الطوسي(ح)، وعن السيّد غياث الدين سلطان الحكماء خواجة نصير الملّة والدين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، عن أبيه، عن فضل اللّه الراوندي، عن السيّد ذي الفقار، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن العلّامة وأبيه، عن

السيّد علي بن طاووس، عن الشيخ حسين بن أحمد السوراوي، عن العماد الطبري، عن أبي علي عن أبيه(ح)، وعن العلّامة وأبيه، عن السيّد علي بن طاووس، عن الشيخ علي بن الخياط، عن عربي بن مسافر، عن العماد، عن أبي علي عن أبيه(ح)، وعن كمال الدين بن حماد، عن السيّد غياث الدين ومحمّد بن صالح، عن السيّد رضي الدين علي بن طاووس، عن الحسين بن أحمد، عن العماد، عن أبي علي عن أبيه(ح)، وعن العلامة، عن أبيه، عن سعيد بن عبد القاهر الإصفهاني، عن أبي الفرج علي بن قطب الدين الراوندي، عن محمّد بن الحلبي، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن السيّد محيي الدين زهرة عن ابن البطريق، عن الطبري عن أبي علي عن أبيه(ح)، وعن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن السيّد محيي الدين زهرة، عن الشيخ رشيد الدين بن شهرآشوب، عن السيّد أبي فضل الداعي بن علي الحسيني والسيّد أبي الرضا فضل الله بن علي الحسيني وعبد الجليل بن عيسى وأبي الفتوح أحمد بن علي الرازي ومحمّد وعلي ابني عبد الصمد النيشابوري ومحمّدبن الحسن السوهاني الفقيه الصالح الثقة وأبي علي الطبرسي وجماعة غير، عن الشيخ أبي علي وعبد الجبار المعري، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن الشريف الفقيه، عن عز الدين أبي الحارث محمّدبن الحسن بن علي الحسيني، عن الفقيه قطب الدين، عن محمّد بن علي المحسن الحسيني، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن شاذان، عن الطبري وأبي غالب عبد القاهر بن حمويه القمي والطبري عن أبي علي وابن حمويه عن الفقيه حسكة بن بابويه القمي، عن شيخ الطائفة، وعن الشيخ نجم الدين بن نما عن والده عن محمّدبن جعفر المشهدي عن الشيخين الأجلّين: الحسين بن هبة الله بن رطبة وأبي البقاء هبة اللّهبن نما، عن ابن علي، عن أبيه(ح)، عن شيخ أبي الفرج، عن أبيه قطب الدين، عن محمّد بن المحسن، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن أبي الفرج، عن السيّد

ضياء الدين فضل اللّه، عن السيّد ذي الفقار، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن أبي الفرج، عن الشيخ جمال الدين أبي الفتوح، عن الشيخ عبد الجبار، عن شيخ الطائفة(ح)، وعن أبي الفرج، عن الطبري، عن أبي علي، عن أبيه شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي رضي اللّه تعالى عنهم أجمعين(ح)، وعن العلامة، عن أبيه والمحقق والسيّدي ابني طاووس، عن السيّد فخار، عن شاذان، عن الشيخ أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد الدوريستي، عن المفيد شيخ الفضلاء محمّد بن محمّد بن نعمان، وعن الدوريستي، عن أبيه، عن الصدوق ابن بابويه القمي، وعن الشيخ نجم الدين نما، عن أبيه، عن الشيخ أبي الفرج، عن السيّد صفي الدين المرتضى بن الداعي الحسيني، عن الشيخ أبي عبد اللّه جعفر بن العباس الدوريستي، عن أبيه عن الصدوق (ح)، وعنه عن أبيه عن الفرج عن السيّدين الأجلين: ناصح الدين أبي جعفر محمّد والسعيد أمين الدين أبي القاسم المرزباني بن الحسين بن محمّد الدوريستي عن أبيه عن الصدوق (ح)، وعن السيّد محيي الدين بن زهرة عن عربي بن مسافر، عن إلياس بن هشام، عن السيّد الموفق أبي طالب بن مهدي السليق العلوي، عن الشيخ الطائفة (ح)، وعن السيّد أبي يعلى الجعفري والشيخ أبي جعفر الدوريستي عن الصدوق (ح)، وعن السيّد محيي الدين بن زهرة، عن أبي المكارم حمزة بن زهرة، عن الشيخ الملكين أبي منصور محمّد بن الحسن بن منصور النقاش الموصلي عن أبي الوفا الموصلي الحسيني المحمدي، عن شيخنا الصدوق محمّد بن بابويه وهذا أعلى الأسانيد (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن الشيخ ابن إدريس، عن الشيخ عربي بن مسافر، عن الرئيس عميد الرؤساء بن حبا، عن القاضي بن أحمد بن علي بن قدامة، عن الشيخ أبي عبد اللّه المفيد محمّد بن محمّد بن نعمان (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن السيّد عزّ الدين محمّد بن الحسن الحسيني، عن فقيه قطب الدين، عن السيّد أبي صمصام، عن المفيد بكتبه ورواياته (ح)، وعن الشيخ

نجم الدين، عن أبيه، عن محمّد جعفر المشهدي، عن النعاس الموصلي، عن السيّد أبي الوفا المحمدي، عن المفيد (ح)، وعن أبيه عن علي بن يحيى الخياط، عن ابن مسافر، عن عميد الرؤساء يحيى بن علي بن حبا، عن القاضي أحمد بن قدامة، عن شاذان، عن أحمد، عن محمّد الموسوي، عن ابن قدامة، عن السيّدين الأجلين: المرتضى والرضي جميع مصنّفاتهما ورواياتهما (ح)، وعن السيّد غياث الدين، عن خواجه نصير الدين محمّد بن محمّد بن أبيه، عن السيّد فضل الراوندي عن مكي بن أحمد المحلطي، عن أبي عبدالله بن غانم العصمي، عن السيّد المرتضى رضي الله عنه (ح)، وعن السيّد غياث الدين، عن القاضي عبد الله بن محمود، عن السيّد الأعظم العارف الرباني كمال الدين حيدر بن محمّد بن زيد الحسيني، عن محمّد بن علي بن شهر آشوب، عن المبتهى، عن أبي زيد، عن أبيه، عن السيّد رضي بكتبه ورواياته سيما كتاب نهج البلاغة (ح).

وبالأسانيد عن ابن شهر آشوب، عن السيّد أبي صمصام، عن المفيد والسيّدين والطوسي والنجاشي، وعنه عن السيّد وأبي عبدالله محمّد بن علي الحلواني، عن سيّد المرتضى جميع تصانيفه ورواياته (ح)، وعن السيّد الرضي بكتبه ورواياته (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن السيّد عز الدين، عن الشيخ قطب الدين، عن السيّدين الأجلّين المرتضى والمجتبى ابني الداعي، عن أبي جعفر الدوريستي عن الصدوق والسيّدين الرضي والمرتضى رضي الله تعالى عنهما، وعن ابن نما، عن المشهدي عن المازندراني، عن المبتهى، عن أبيه أبي زيد الجرجاني، عن السيّد الرضي والمرتضى (ح)، وعن ابن نما، عن محمّد بن جعفر بن عبدالله بن جعفر الدوريستي، عن جدّه عن المرتضى والرضي والصدوق (ح)، وعن ابن نما، عن الخياط، عن السيّد شرفشاه، عن الشيخ أبي الفتوح الرازي، عن القاضي الفاضل حسن الاسترآبادي، عن ابن قدامة، عن السيّدين (ح)، وعن ابن نما، عن الشيخ

أبي الفرج، عن عبدالرحيم بن أحمد بن الأفوه البغدادي، عن الشيخ أبي غانم العصمي الهروي الشيعي الإمامي عنهما (ح)، وعنه عن الخياط عن الشيخ علي بن الهروي الكيال، عن الحسن بن علي بن عبده، عن أبي السعادات أحمد بن الماصوري العطاردي عن ابن قدامة عنهما (ح)، وعن الشيخ محمّد صالح، عن رضي الدين الآوي الحسيني، عن أبيه محمّد، عن جد أبيه الفقيه الداعي، عن الشيخ والسيّدين (ح). وبالأسانيد المتواترة، عن المحقق وسديد الدين مطهر ونجم الدين بن نما وغيرهم سند الصحيفة الكاملة عن السيّد فخار والشيخ نجيب الدين بن نما، عن الشيخ محمّد بن جعفر المشهدي سماعة عن السيّد بهاء الشرف يقرء الشريف الأجل نظام الشرف أبي الحسن العويضي وقراءة على أبيه وعلى الشيخ الفقيه هبة اللّه بن نما والشيخ المعرّي جعفر بن أبي الفضل بن شعرة والشريف أبي القاسم بن زكي العلوي والشريف أبي الفتح بن الجعفرية والشيخ سالم بن فتارويه جميعاً عن السيّد بهاء الشرف بسنده المسطور في أول الصحيفة الكاملة زبور آل محمّد وإنجيل أهل البيت والدعاء الكاملة (ح)، وعن الشيخ الأجل نجيب الدين ابن نما، عن الخياط، عن الشيخ العربي بن مسافر، عن السيّد الأجل، وعن الشهيد، عن المرندي، عن الشيخ جمال الدين محمّد بن صالح وغيره من الفضلاء الأخيار، عن السيّد فخار، عن الأجل الأعظم عميد الرؤساء هبة اللّه بن حامد، عن السيّد الأجل(ح)، وعن السيّد فخار، عن الشيخ الأجل محمّد بن هارون المعروف بابن الكمال، عن أبي طالب حمزة بن شهريار، عن السيّد الأجل (ح)، وعن السيّد فخار، عن ابن إدريس، عن أبي علي، عن أبيه (ح)، وعن ابن إدريس، عن العماد الطبري وإلياس بن هشام الحائري وابن رطبة السوراوي وغيرهم، عن السيّد ذي الفقار بن معد والشيخ أبي علي، عن شيخ الطائفة (ح)، وعن ابن إدريس وابن شهر آشوب وشاذان، عن عبد الجبار المعري وأبي علي، عن شيخ الطائفة (ح).

وبالأسانيد المتواترة، عن شيخ الطائفة، عن الشيخ أبي عبدالله الحسين بن عبدالله الغضائري عن أبي المفضل (ح)، وعن الشهيد، عن السيّد تاج الدين والده أبي جعفر القاسم، عن خاله تاج الدين أبي عبدالله جعفر بن معية، عن أبيه السيّد مجد الدين محمّد بن الحسن بن معية، عن الشيخ رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب، عن جده، عن شيخ الطائفة (ح)، وعن السيّد تاج الدين، عن السيّد كمال الدين المرتضى محمّد بن محمّد بن الآوي، عن الخواجه نصير الدين محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، عن أبيه، عن السيّد أبي الرضا فضل الله الحسيني، عن السيّد أبي الصمصام، عن شيخ الطائفة بالأسانيد المتكثرة، عن الإمام سيّد الساجدين علي بن الحسين زين العابدين صلوات الله وسلامه عليهما (ح)، وعن السيّدين ابني طاووس، عن الشيخ حسين بن أحمد السوراوي، وعن العماد الطبري، عن أبي علي، عن شيخ الطائفة (ح)، وعنهما عن علي بن يحيى الخياط الحلي، عن عربي بن مسافر العبادي، عن العماد الطبري، عن أبي علي، عن أبيه، وعنهما عن الشيخ الفاضل أسعد بن عبد القاهر الإصفهاني، عن الشيخ أبي الفرج الراوندي، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن المحسن الحلبي، عن شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي رضي الله تعالى عنهم بكتبه ورواياته ورواياتهم سيما كتاب تهذيب الأحكام والاستبصار وفهرستها، عن العلماء الأخيار، عن جماعة كثيرة منهم: شيخ الطائفة ورئيسها في العلوم العقلية والنقلية أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد وأبو عبد الله الحسين بن عبدالله الغضائري وأبوالحسين جعفر بن الحسن بن حسكة وأبو زكريا محمّد بن سليمان الحمداني وغيرهم، عن الصدوق ورئيس المحدثين محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي بكتبه ورواياته سيما كتاب من لا يحضره الفقيه، وعن شيخ الطائفة عن جماعة كثيرة منهم: المفيد وابن الغضائري وأحمد بن عبدون، عن الشيخ الصدوق أبي القاسم جعفر بن

محمّد بن قولويه القمي، وعن أبي غالب أحمد بن محمّد الرازي وأبي عبدالله أحمدبن إبراهيم الصيمري المعروف بابن أبي رافع وأبي هارون بن موسى التلعكبري وأبي المفضل محمّد بن عبدالله بن المطلب الشيباني جميعاً عن شيخ علمائنا الربانيين ثقة الإسلام ورئيس المحدثين أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي بكتبه سيما كتاب الكافي المشتمل على خمسين كتاباً لم يصنّف في الإسلام مثله بالأسانيد المثبتة فيها الأئمة المعصومين عن سيّد الأنبياء والمرسلين وأشرف الأولين والآخرين عن الله تعالى وعن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن خالق السماوات والأرضين وعن إسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله تعالى رب العالمين. فكلّ كتاب صنّفه علماؤنا أو ردده فهو داخل في هذه الأسانيد إلّا ما شذ.

وأما كتب العامّة فعن العلامة، عن أبيه، عن السيّد صفي الدين معد الموسوي، عن الشيخ نصير الدين راشد بن إبراهيم بن إسحاق البحراني، عن السيّد فضل الله الراوندي، عن الشيخ أبي المظفر عبد الواحد بن أحمد بن محمّد بن رشيدة السكري بأصبهان في داره بمحلة شيمكان، عن سعد بن أبي سعيد عن أحمد بن محمّد بن عمربن شبويه، عن محمّد بن يوسف بن مطر، عن محمّد بن إسماعيل البخاري بصحيحه (ح)، وعن السيّد رضي الدين بن طاووس، عن الشيخ تاج الدين الحسن‌بن الدربي، عن رشيد الدين بن شهر آشوب المازندراني عن أبي عبدالله محمّد القرادي، عن عبد الغفار النيشابوري، عن أبي أحمد الجلودي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمّدبن سفيان الفقيه، عن أبي الحسين مسلم بن الحجاج بصحيحه (ح)، وعن العلامة، عن أبيه، عن الشيخ علي بن محمّد المنداني الواسطي، عن أبيه عن بين الحضرة هبة الله، عن أبي علي بن المذهب، عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، عن أبي عبد الرحمن، عن أبيه أحمد بن حنبل بمسنده (ح)، وعن أبيه، عن علي بن محمّد المنداني، عن القاضي الحسين بن إبراهيم الفارقي، عن

أحمد بن ثابت الخطيب، عن القاسم بن جعفر الهاشمي، عن أبي علي اللؤلؤي، عن ابن داود السجستاني بمسنده (ح)، وعن العلامة، عن أبيه، عن المنداني، عن القاضي أبي طالب الكتاني، عن أبي طاهر الباقلاني، عن عبد الغفار، عن أبي الصحاف، عن أبي علي الأسدي عن أحمد بن محمّد النسائي، عن محمّد بن الحسن الشيباني، عن مالك بن أنس الأصبحي لوطائه (ح) وعن الشيخ أبي زكريا يحيى بن البطريق، عن الشريف الخطيب أبي يعلى حيدرة الهاشمي، عن الحميدي بالجمع بين الصحيحين مسلم (ح) وعن ابن البطريق، عن عبدالله بن منصور الباقلاني، عن ابن البطريق، عن عبدالله بن منصور الباقلاني، عن الحسن بن زربي بالجمع بين الصحاح الستة: البخاري ومسلم والترمذي والسجستاني ومالك بن أنس وزرين العبدري، وعن السيّد فخار بن معد الموسوي، عن المنداني عن أبي القاسم بن الحسين، عن القاضي أبي عبدالله القصاع بكتاب الشهاب في الحكم والآداب من كلام سيّد المرسلين ﷺ والطرق إلى هذه الكتب أكثر من أن تحصى (ح).

وأما كتب القراءة فعن الشهيد، عن السيّد تاج الدين، عن الشيخ جمال الدين يوسف بن حماد، عن السيّد الرضى قتادة، عن عمر بن معن، عن محمّد بن عمر القرطبي، عن علي بن محمّد المالقي، عن عبد الله بن سهيل، عن الشيخ أبي عمر والداني بكتاب التيسير في القراءات السبع (ح)، وعن الشهيد، عن شيخ جمال الدين أحمد الكوفي، عن الشيخ محمّد المصري، عن الشيخ زين الدين على المربعي، عن الشيخ عزّ الدين حسين بن قتادة المدني، عن الشيخ مكين الدين يوسف عبد الرزاق الأنصاري، عن ناظم الشاطبية المعروفة بحرز الأماني (ح)، وعن السيّد فضل الله الراوندي الحسيني، عن أبي الفتح ابن أبي الفضل الأخشيدي عن أبي الحسن علي القاسم، عن خياط، عن عمر بن إبراهيم الكسائي، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن موسى بن مجاهد في القراءات السبع (ح)، وعن الشهيد، عن السيّد

تاج الدين، عن الشيخ جمال الدين بن يوسف بن حماد، عن السيّد رضي الدين بن قتادة، عن أبي فحص التبريزي، عن القاضي بهاء الدين، عن ضياء الدين يحيى بن سعدون القرطبي، عن الشيخ عبد الرحمن عسابن مكي بن أبي طالب المقري بكتاب الموخى في القراءة ورعاية في التجويد وسائر كتبه في القراءة (ح)، وعن السيّد محيي الدين بن زهرة، عن أبيه عبدالله بن زهرة، عن الشيخ أبي عبدالله الحسين بن عبد الأحد القنسريني، عن حمزة بن زهرة بكتاب التهذيب له في القراءات السبع (ح)، وعن السيّد محيي الدين، عن الشيخ المقري علم الدين أبي الفتح العليمي، عن الشيخ علي بن البركات خليفة الحداد، عن الخطيب عبد الواحد بن علي، عن الشيخ أبي الحسن علي أحمد المعري المعروف بابن البنا بكتاب التذكار في القراءات السبع ويعقوب إلى غير ذلك من كتب القراءة وغير ما ذكرنا من الطرق إلى الكتب التي ذكرناها.

وأما كتب اللغة فعن العلامة، عن الشيخ مهذب الدين الحسين بن علي بن محمّد بن الحسين بن علي بن عبد الصمد التيمي النيشابوري، عن أبيه، عن الأديب أبي منصور بن القاسم اليلتكي، عن أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري بكتاب الصحاح في اللغة (ح)، وعن السيّد فخار عن أبي الفتح محمّد بن المنداني، عن أبي منصور موهوب بن أحمد بن الجواليقي، عن الخطيب أبي زكريا التبريزي، عن محمّدبن الجوهري، عن أبي بكر بن الجراح، عن ابن دريد بكتاب الجمهرة وسائر مصنفاته ورواياته وإخباراته (ح)، وعن السيّد فخار عن أبي الفتح عن أبي الفتح، عن الرئيس أبي عبد الله الحسين بن محمّد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع، عن محمّد بن أحمد بن مسلم العدل، عن أبي القاسم إسماعيل بن سعد بن سليمان بن سويد، عن أبي بكر محمّد بن القاسم بشار الأنباري، عن ابنه القاسم، عن عبداللهبن محمّد الرسمي، عن أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت الشهيد

للتشيع بكتاب إصلاح المنطق وكان من خصيص أصحاب أبي جعفر الجواد وأبي الحسن الهادي صلوات اللّه عليهما روى عنه تغلب (ح)، وعن السيّد فخار، عن عميد الرؤساء أبي منصور هبة اللّه بن أيوب، عن ابن الغفار، عن سعيد الخير، عن محمّد بن محمّد المطري، عن جدي أبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الحافظ الأصبهاني المقبول عند الخاصّة والعامّة وله كتب منها: كتاب حلية الأولياء، عن محمّد بن كيسان النحوي، عن أبي القياس تغلب أحمد بن يحيى بكتبه ورواياته، منها: كتاب الفصيح (ح)، وعن العلامة عن أبيه عن الشيخ مهذب الدين محمّد بن يحيى بن كرم، عن أبي الفرج الجوزي، عن ابن الجواليقي، عن الخطيب التبريزي، عن سلمان بن أيوب الرازي، عن أحمد بن فارس بكتبه سيما كتاب مجمل اللغة له (ح)، وعن أبيه، عن السيّد فخار، عن أبي الفرج ابن الجوزي، وعن ابن الجواليقي، عن الخطيب التبريزي، عن الوزير أبي القاسم المقري، عن أبي عبد اللّه بن محمّد الهروي بكتبه سيما الغريبين له (ح)، وعن سيّد فخار، عن عميد الرؤساء، عن ابن القصار، عن محمّد بن محمّد، عن المبارك بن عبد الجبار، عن أبي الحسن محمّد بن أحمد بن عبدوس، عن الحسن بن عبد الغفار النحوي، عن محمّد بن السري، عن الحسين السكري، عن أبي إسحاق الزيادي، عن أبي سعيد عبد الملك الأصمعي بكتبه (ح)، وعن العلامة، عن السيّد رضي الدين علي بن طاووس، عن الشيخ تاج الدين الحسن بن الذربي، عن أبي عبد اللّه أحمد بن شهريار الخازن، عن أبي محمّد عبد اللّه بن أحمد الخشاب النحوي اللغوي المغربي بكتبه ورواياته ومقروءاته من كتب الأحاديث والتفاسير والأدب وغيرها (ح)، وعن أبيه، عن السيّد فخار، عن ابن المنداني، عن ابن الجواليقي، عن الخطيب التبريزي، عن أبي العلا بن سلمان المعري بكتبه ورواياتهم (ح)، وعن والده، عن الشيخ بن كرم، عن ابن الجوزي، عن ابن الجواليقي، عن الخطيب التبريزي، عن أبي العلا المعري وأبي القاسم عمر بن ثابت

الثمانين، وأبي الحسن بن عبد الوارث بجميع كتبهم ورواياتهم (ح)، وعن الثمانين، عن أبي الفتح بن جني بكتبه ورواياته سيما عن الخاصة (ح)، وعن ابن جني بهذا الإسناد، عن الشيخ الأعظم الإمامي أبي علي الفارسي بجميع كتبه (ح)، وعنه عن أبي بكر السرّاج بجميع كتبه (ح)، وعنه عن الزجاج بجميع كتبه (ح)، وعنه عن أبي بكر السراج بجميع كتبه (ح)، وعنه عن الزجاج بجميع كتبه (ح)، وعنه عن أبي العباس المبرّد بجميع كتبه (ح)، وعنه عن المازني أبي عثمان بجميع كتبه وعنه عن الحريري بمصنفاته (ح)، وكذا عن أبي الحسن الأخفش بتصانيفه (ح)، وعنه عن سيبويه بكتبه سيما الكتاب له (ح)، وعنه عن الشيخ الأعظم الخليل بن أحمد بكتبه ورواياته (ح). وبالأسانيد المتواترة عن الصدوق محمّد بن بابويه عن الخليل الإمامي الثقة الثقة بكتبه ورواياته، عن الخاصة الأئمة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين (ح)، وعن العلامة عن نجم الدين الكاتبي، عن أثير الدين المفضل عمير الأبهري جميع رواياته ومصنفاته (ح). وكذا عن افضل(ح) وعنهما عن فخر الدين محمّد بن الخطيب الرازي بمصنفاته ورواياته.

فليرو الولد الأغر ـ أدام اللّه تبارك وتعالى تأييداته وتوفيقاته ـ هذه الكتب وغيرها ممّا لم أذكره اختصاراً من الكتب التي صنّفت في الإسلام سيما كتب التفاسير والأحاديث عني، وآخذ عليه ما أخذ علي من الاحتياط في الرواية والفتوى من العمل، ولا يفتي إلّا بالأجود فإنّه لا يضل مسالكه سيما اليوم، فإن السبيل منحصر فيه إلّا ما يكون واضحاً، كصلاة الجمعة في زمان الغيبة مع أني أحتاط فيها أيضاً مع أن وجوبها كالمتيقّن عندي، وأما قبل وجوب السورة واستحبابه؛ وكذا السلام والقنوت، فإن الظاهر أنّ أمثالها من المتشابهات والاحتياط فيها أن لا يتركها ولا يفتي بالوجوب ولا الاستحباب كما يرى في عملي.

ثم إنّي أُوصيه ونفسي الخاطئة بتقوى اللّه تبارك وتعالى، فإنّها وصية اللّه

تعالى في الأولين والآخرين، وإيثار مراقبته والإخلاص له في العلم والعمل، فـإن الناس كلّهم هلكى إلّا العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلّا العـاملين، والعـاملون كلّهم هلكى إلّا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم.

وأن يقرأ في كلّ يوم من القرآن العظيم جزءاً بالتدبّر والتفكّر، وأن يلاحظ كلّ يوم وصية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لابنه أبي محمّد الحسن سيّد شباب أهل الجـنة أجمعين المذكورة في نهج البلاغة، وأن يعمل بها وبوصاياه الأُخـر وبـوصايا بـاقي الأئمة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

وأن لا يترك الرياضات والمجاهدات كما قال اللّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وعليه أن يتدبّر في الأخبار الواردة في الأخلاق المـرضية وفي الأطـوار الرويـة والاجـتناب عـنها، وعـليه بـالمداومـة بالدعوات وأن يسأل منه تعالى أن يجعله من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثم المأمول منه أن لا ينساني حياً ولا ميتاً سـيما في مـظانّ إجـابة الدعـوات وعقيب الصلوات.

نمقه بيمناه الداثرة أحوج المربوبين إلى رحمة ربه الغني محمّد تقي بن مجلسي عفا اللّه عنهما، والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنـبياء محـمّد خاتم النبيين وعترته الطيبين الطاهرين.

---

(١) العنكبوت ٢٩ / ٦٩.

(٣٥)
المّلا محمّد صالح ﷫

الملّا محمّد صالح المازندراني بن أحمد من مشاهير الأفـاضل الأكـامل ومـن تلامذة الملّا محمّد تقي، وزوجته هي ابنة المجلسي.

وكان في بداية أمره فقيراً جداً بحيث إنّه لم يكن قادراً عـلى تحـصيل ورقـة ليكتب عليها، فكان يكتب على العظم والخشب، ويقال: إنّ فقر الملّا محمّد صـالح كان إلى درجة أنّه لا يحضر مجلس الدرس من كـثرة الحـياء مـن لبـاسه القـديم المهترئ، بل كان يجلس خارج مجلس الدرس، ويسمع الدرس ومـا يحـقّقه كـان يكتبه على ورق الشجر.

وكان يظنّ أهل مجلس الدرس أنّه يحضر من أجل الإعانة إلى أن أشكـلت مسألة على الأُستاذ الملّا محمّد تقي المجلسي وأوكل حلّ المسـألة إلى يوم آخـر، ولم تحلّ في اليوم الآخر فأجّلها إلى يوم ثالث، وفي الأثناء مرّ بـعض طـلّاب الدرس بالمدرسة ورأى أنّ الملّا صالح قد لبس عباءته ولفّها عليه وسوّد الكثير من أوراق الشجر وألقاها أمامه، فدخل عليه هذا الشخص وتناول بعض تلك الأوراق ورأى فيها حلّ الإشكال فأخذها معه إلى الدرس، وفي اليوم الثـالث لم يُحـلّ الإشكـال فأبرز ذلك الشخص الجواب فتعجّب الملّا محمّد تقي وأصرّ عليه أنّ هذا التـحقيق ليس منك إلى أن اعترف له ذلك الشخص وكشف حال الملّا محمّد صالح.

فنظر المجلسي فرآه يجلس خارج المجلس فأرس إليه ملابس وأحضره إلى المجلس، وسمع منه شفاهاً حلّ الإشكال فجعل له رزقاً معيناً إلى أن أراد الملّا محمّد صالح أن يتزوّج زواجاً منقطعاً، فطلبت منه من أرادها أن يأتي لها بحذاء، فذهب إلى الدرس وبيده الحذاء الذي اشتراه، وفي أثناء الدرس لاحظ الملّا محمّد تقي الحذاء فأدرك أنّ الملّا محمّد صالح يريد زوجة.

وبعد الانتهاء من الدرس أبقى الملّا محمّد صالح حتى خلا المجلس، ثم أخذه معه إلى بيته وعرض عليه بناته وقال له: اقبل أيّة واحدة منهن. فقبل الملّا محمّد صالح إحداهن وزوّجه الملّا محمّد تقي في تلك الساعة، وأنزله في مكتبته رضوان اللّه عليهما.

فليعتبر طلاب العلوم الحقّة ولا يملّوا من الفقر والفاقة فيعيقهم ذلك عن تحصيل العلوم، وليعلموا أنّ اللّه تعالى ذو قدرة تامّة على أن يبدّل الفقر بالغنى مع أنّ الفقر زينة العلم.

ويقال: إنّه كان ضعيف الحفظ بحيث كلّ يوم يريد الذهاب إلى بيت أُستاذه للدرس ينسى بيته فكتب على باب بيت الأُستاذ: هذا بيت الأُستاذ.

وصعد المنبر يوماً للوعظ فقال: بسم اللّه الرحمن الرحيم ثم سكت، ومضت مدّة على السكوت وكان ولده العالم آغا هادي جالساً تحت المنبر فقال لأبيه: نسيت والقرآن الحكيم! لكنّك لم تنسَ النزول عن المنبر فانزل حتى أصعد وأعظ الناس. فنزل الملّا محمّد صالح وصعد مكانه الملّا محمّد هادي.

وبالجملة: فالملّا محمّد صالح مع قلّة حافظته كان من الأكامل والأفاضل، فلا ييأس طالب العلم من قلّة الحافظة بل ليشدّ همّته وليسعَ كما قال الملّا سعد التفتازاني لولده: ما هي المرتبة التي تريد الوصول إليها في الدراسة؟ فقال: مرتبتك.

فقال له الملّا سعد: فلن تنال إذن شيئاً فقد جعلت في نظري مقام الإمام جعفر الصادق ﷺ حتى توصلت إلى هذه المرتبة، فإذا كان طموحك أن تصل إلى ما أنا عليه فلن تصل إلى شيء.

والمعروف أنّ السكاكي كان سكّاكاً يصنع السكاكين، ففي مدّة سنة صنع للسلطان خنجراً ممتازاً جداً، وكان السلطان يتحدث معه إذ دخل أحد العلماء فأهمل أمره وصار يتحدّث مع العالم، وعندما رأى السكاكي ذلك فهم أنّ العلم أفضل من جميع الصناعات، فتخلّى عن صنعته وطلب العلم.

ثم ذهب إلى أُستاذ فقال له الأُستاذ: أقول لك جملة تردّدها في اليوم والليلة وتواظب عليها وفي الغد تأتي إليّ، وهي: قال الشيخ أبو حنيفة: جلد الكلب يطهر بالدباغ. كرّر السكاكي هذه الجملة في اليوم والليلة ألف مرّة تقريباً، وفي اليوم التالي ذهب إلى أُستاذه وقال له هذه العبارة: قال الكلب: جلد الشيخ أبو حنيفة يطهر بالدباغ. فضحك الأُستاذ وقال له: لست أهلاً للتعلم.

فتخلّى السكاكي عن طلب العلم ويئس من نفسه، وبعد سنة قضاها في التجوال وصل إلى مكان فيه نبع يتقاطر منه الماء نقطة نقطة وتحتها صخرة تسقط عليها تلك القطرات وبمرور الزمن حفرت القطرات فيها حفرة، حينئذٍ حدّث السكاكي نفسه وقال: الماء على لطافته استطاع بمرور الزمن أن يحفر الصخرة على شدتها وقلبي ليس أصلب من هذه الصخرة. فعاد من جديد إلى طلب العلم حتى صار فاضلاً جامعاً صاحب تأليفات، وكان هذا في سن الكهولة.

والحاصل: أنّ الملّا محمّد صالح بن أحمد المازندراني من أعيان العلماء، كتب حاشية على المعالم وشرحاً على زبدة الأُصول للشيخ البهائي، وشرح الزبدة أفضل كتبه، وله حواشٍ جيدة على كافي الكليني.

(٣٦)
الملّا محمّد هادي ﷺ

الآغا محمّد هادي ابن الملّا محمّد صالح المازندراني السابق الذكر، وهو أيضاً من مشاهير الفضلاء، وله تأليفات عديدة مثل: شرح فارسي على المعالم، وشرح فارسي على شرح الشمسية، وشرح فارسي على شافية ابن الحاجب في الصرف، وترجمة القرآن مع بيان شأن النزول والحسن والقبح للاستخارة بالآيات القرآنية. وقد سمّى القاضي البيضاوي بالقاضي السوداوي.

وشأن نزوله مشهور بين الناس شهرة كبيرة، وفي الحقيقة هو كتاب جيّد، وسبب كتابته أنّ الملّا هادي ابتلي بالصرع أو بالسكتة فغشي عليه مرة مدّة طويلة فظنّ الناس أنّه مات، ثم أخذوه للمقبرة ودفنوه لكنّهم احتياطاً تركوا فوق فمه قصبة حتى إذا لم يكن ميتاً واستفاق من غيبوبته يستطيع أن يتنفس أو يصرخ، وبعد دفنه استعاد وعيه فرأى نفسه في القبر فنذر أنّه إذا خرج من القبر سالماً أن يترجم القرآن ويكتب شأن النزول فصرخ، وكان في تلك المقبرة راعي جمال وكان جمل يدور قرب القبر فنفر الجمل من الصوت فأتى الراعي وسمع الصوت فأخبر أهل المدينة الذين أتوا وأخرجوه من القبر، فترجم القرآن وكتب شأن النزول، وفي الحقيقة ما كتبه هو مختصر مفيد. وقد كتبت في بعض المقامات حاشية على شأن النزول ودقائقه وأشكلت عليه.

ومن جملة كراماته ما كتبه في آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[1] فقال: يقول المترجم: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فليعرفني: أنا هادي بن محمّد صالح المازندراني ولتعم عيناي ولتصم أذناي إن قلت كذباً. في ليلة من الليالي السالفة أيام الشباب رأيت في المنام بناءً رفيعاً فيه قبر وصندوق ورجل عجوز جالس، وبيد الأخ الأعز العالم مولانا عبد الباقي كتاب كبير قرأه في فصاحة وبلاغة قرآنيتين لكنّه لم يكن قرآناً فقلت له: ما هذا الكتاب؟ قال ذلك العجوز: مصحف علي. ففتحت المصحف فرأيت في الصفحة اليمنى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وكانت سطوره طويلة، سطران منها في وصف أهل بيت الرسالة، ثمّ استيقظت ولم يبقَ في بالي أي كلمة منه، ثمّ عدت للنوم فرأيت نفس المكان الشريف والمصحف نفسه فقلت في نفسي: فلأُكرر تلاوة هذه الآية حتى تبقى في بالي بعد التكرار. ومرّة أُخرى استيقظت ولكن محيت كلّ الكلمات إلا كلمة «زوج البتول» في وصف أمير المؤمنينعليه السلام، والأغرب من ذلك أنني قلت لأخي بعد مدّة: إنّني رأيت مصحف أمير المؤمنينعليه السلام في المنام. فقال لي قبل أن أذكر له أي تفصيل عن المنام: رأيت في المنام هذا المصحف قبل مدّة وفيه الاسم المبارك للحسنينعليهما السلام.

ولا يخفى أنّ الآغا هادي شارح المفاتيح ليس هو محمّد هادي ابن الملّا صالح بل شارح المفاتيح هو ابن أخ الملّا محسن الفيض، وهو شرح مختصر من المسالك والمدارك، كما أن متن المفاتيح مختصر لهما أيضاً، ولذا قيل: لو سمّاه بمختصر المسالك لكان أولى.

---

(١) المائدة ٥ / ٥٥.

(٣٧)
الملّا محمّد تقي المجلسي

الملّا محمّد تقي بن مقصود علي المجلسي ـ أجلسه اللّه تعالى مجالس الرضوان ـ كان من جهابذة فضلاء الزمان وصناديد العلماء الأخيار، وكان شعاره الزهد والورع والتقوى، وهو من تلامذة الشيخ البهائي ـ زيد بهاؤه ـ ومن مشايخ إجازة ولده الملّا محمّد باقر والميرزا محمّد بن حسن الشيرواني والآغا جمال الخوانساري والشيخ جعفر القاضي وغيرهم، وكان معاصراً للملا صدرا.

ومن تأليفاته شرح فارسي لمن لا يحضره الفقيه، وشرح آخر عربي، واسم الثاني روضة المتقين، وله حواشٍ على أُصول الكافي في حلّ الأخبار المغلقة وله في الحقيقة يد بيضاء، وكتاب شرح الصحيفة السجادية الكاملة، ورسالة في الرضاع، ورسالة الأوزان والمقادير.

وكتب الشيخ أسد اللّه الكاظمي في مقدمة كتاب المقابيس: أن هذا المعظّم كرامات باهرة. وكتب الملّا المذكور في شرح الفقيه: عندما وفّقني اللّه لزيارة حيدر الكرار أكرمني ببركته بمكاشفات كثيرة لا تتحمّلها العقول الضعيفة، رأيت في ذلك العالم، بل أردت أن أقول: كنت بين اليقظة والنوم وإذا بي أرى نفسي في سرّ من رأى ورأيت مشهدها في غاية الارتفاع والزينة، ورأيت على قبر العسكريين ملابس خضراء من ألبسة الجنّة لم أر مثلها في الدنيا، ورأيت سيّدنا صاحب الأمر جالساً متّكئاً على القبر ووجهه إلى جهة الباب، فعندما رأيته بدأت بالزيارة

الجامعة بصوت مرتفع مثل ما يقرأ المدّاحون وعندما انتهيت قال ﷺ: زيارة حسنة. فقلت: سيّدي فداك روحي، هذه راية جدّك وأشرت إلى جانب القبر. فقال لي: ادخل. فدخلت وعندما وصلت إلى الباب وقفت فقال لي: تقدّم. قلت: أخاف أن أصير كافراً من ترك الأدب. فقال: قد أذنا فلا خوف. فتقدّمت قليلاً وكنت خائفاً جداً أرتجف فقال ﷺ: تقدم. فتقدّمت حتى وصلت إليه فقال: اجلس. فقلت: أخاف. فقال: إجلس ولا تخف. فجلست مثلما يجلس الغلام عند سيّده فقال: استرح وتربّع. لقد تعبت حقّاً وأتيت سيراً حافي القدمين.

وبالجملة: فقد نلت بذلك الألطاف العظيمة والمكالمات اللطيفة وقد نسيت أكثرها بعدما استيقظت، وتهيّأت لي في ذلك اليوم وسائل الزيارة بعد أن سدّ علي السبيل مدّة طويلة، فارتفعت الموانع وذهبت ماشياً حافي القدمين للزيارة. وكنت أكرر في الليل في الروضة المقدسة من هذه الزيارة وظهرت في الطريق خلال يومين كرامات عظيمة ومعجزات غريبة. وقد حكى هذا المنام الشيخ أحمد الأحسائي في شرح الزيارة الجامعة عن جنابه.

وأمّا مشايخ إجازة الآخوند الملّا محمّد تقي المجلسي فهم: الشيخ البهائي والملّا عبد اللّه التستري والقاضي معزّالدين محمّد والشيخ يونس الجزائري والقاضي أبوالشرف والشيخ عبد اللّه ابن الشيخ جابر، وهو ابن عمة الملّا محمّد تقي المجلسي، ومحمّد قاسم خاله والشيخ أبو البركات الواعظ والأمير شرف الدين علي الشولستاني والشيخ جابر بن عباس النجفي والشيخ محمّد التبنيني الذي له إجازة من أربعين شخصاً وهكذا حتى المشايخ الثلاثة المحمدين الثلاثة الأوائل.

ويقال: إنّ الملّا محمّد تقي المجلسي في بداية أمره وقبل أن يشتهر قال له أحد محبّيه: إنّ لي جاراً يضايقني من سوء سلوكه يجمع الفساق والأشرار في الليل

ويشتغلون باللهو واللعب وشرب الخمر ونحو ذلك حتى الصباح، فهل عندك حلّ لهذا الأمر؟ فقال له: ادعه الليلة إلى بيتك وادعني أنا أيضاً لعلّ اللّه العالم يهديه بهذا الطريق. فدعاه لضيافته فقال رئيس الأشرار. ماذا جرى حتى صرت داخلاً في مجموعتنا؟ فقال هذا ما حصل، فسرّ الأشرار بذلك وأخبر ذلك الرجل الملّا محمّد تقي فأتى إلى بيت الرجل ودخله قبل أن يدخلوه وجلس في ركن من البيت، وإذا برئيس الأشرار يدخل مع أتباعه فجلسوا ورأوا الملّا في المجلس فانزعجوا منه؛ لأنّه من غير نوعهم ووجوده ينغّص عليهم حياتهم، فأراد رئيسهم أن يُخرج الملّا من البيت فقال للملا: ما أنت عليه أفضل أم ما نقوم به من أعمال؟ فقال الملّا: ليبيّن كلّ واحد منا خواصّ ولوازم عمله لنرى أيّهما الأفضل والأهنأ؟ فقال رئيس الأشرار: هذا كلام منصف وصواب. ثم قال: من صفاتنا أننا إذا صار بيننا وبين أحد خبز وملح لا نخونه. فقال الملّا: هذا كلام لا أُوافق عليه. فقال الرئيس: هذا الأمر من مسلّمات هذه المجموعة. فقال الملا: أو لم تأكل شيئاً من ملح اللّه. عندما سمع الرئيس هذا الكلام تأمّل ثم نهض من دون اختيار وخرج ولحقه جماعته. فقال صاحب البيت للملا: الأمر صار أسوأ وهؤلاء خرجوا في غضب. فقال الملا: العمل انتهى إلى هنا لنرى ماذا يحصل فيما بعد؟ عند الصباح جاء رئيس الفساق إلى بيت الملّا وقال له: قد أثّر فيّ كلامك بالأمس وإني تبت واغتسلت فعلّمني شرائع الدين. إذن صار هذا الشخص من المهديين من أثر نفس الملّا وإرشاده. وقد سمعت هذه الحكاية عن الملّا محمّد صالح البرغاني وهو يقولها على المنبر.

ولا يخفى عليكم أنّ الناس لم تكن تثق بالملّا محمّد تقي وكانوا يعتبرونه داخلاً في سلك الصوفية حتى ظهر الملّا محمّد باقر المجلسي وأظهر الوثوق بأبيه فوثق به الناس، فعندما كتب الملّا محمّد باقر رسالة في الاعتقادات في ليلة واحدة قال في آخرها: ولا يُساء الظن بوالدي وأنّه من الصوفية، بل هو ليس كذلك؛ لأنّني

عاشرت والدي سرّاً وجهراً وكنت مطّلعاً على عقيدته، ووالدي يرى الصوفية خطأً لكن لما كانت الصوفية في بداية الأمر في غاية الغلو أظهر والدي أنّه على طريقتهم حتى يتمكّن بهذه الطريقة من قلع وقمع ودفع ورفع أُصول هذه الشجرة الخبيثة الزقومية، وعندما انطفأت نار شقاوتهم أظهر ما كان يبطنه، وإلّا فإن والدي كان في غاية الورع والتقوى والزهد والعبادة والنقاء.

وسمعت من خالي المفضال السيّد أبي جعفر أنّه قال: صار قاضي قضاة الجن مطيعاً للملا محمّد تقي بسبب رياضة ونحوها، واتّفق أن تزوّج رجل في إصفهان، وفي ليلة الزفاف قال لعروسه: اذهبي وائتي بفحم من الغرفة الفلانية. وعندما ذهبت نادى العريس ـ من باب المزاح ـ باسم غريب وقال: هيا خذ العروس. فتأخّرت العروس ففتش عنها فلم يجدها حتى يئس من إيجادها فذهب إلى الملّا محمّد تقي المجلسي وحكى له الحكاية، فأحضر قاضي القضاة وطلب منه العروس وبعد الفحص الكثير أتى القاضي بالعروس وقال: كان هناك شخص من جن كذا بلد بعيد حاضراً في ذلك المكان، وكان ذلك الاسم اسمه فأخذها.

(٣٨)
الشيخ البهائي

هو محمّد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الهمداني الجبعي، وهَمْدان اسم قبيلة، والمراد من الحارثي أنّ الشيخ منسوب إلى الحارث الهمداني المعروف بالحارث الأعور وهو من أصحاب أمير المؤمنين‌ وشعر:

يا حار همدان من يمت يرني

موجه إليه، أي إنّ الشيخ من أحفاد الحارث. والجبعي نسبة إلى جُبَع وهي قرية من قرى جبل عامل.

وكان فقيهاً نبيلاً جليلاً أُصولياً ورياضياً بلا بديل ولا نظير له في التفسير، وهو في العلوم العقلية حكيم نبيل علّامة الزمان ونادرة الأوان، ومشيد أركان الدين ومقنّن القوانين ومؤسّس أساس الحبل المتين، وزبدة المتقدّمين والمتأخّرين، ومشرق شمسي فلك فقه الأولين وسماء علوم الآخرين الملقب بالبهائي، بهاء الدين وخاتم المجتهدين وقدوة المحقّقين ومقتدى المتأخرين، مفتاح فلاح المفلحين، شيخ الإسلام والمسلمين أفاض اللّه على روحه الرحمة الأبدية وأسكنه فسيح جنانه السر مدية. وهو في التحقيق رئيس المحقّقين وفي التدقيق إمام المدققين، وفي التحرير فصيح غاية الفصاحة، وفي التقرير والتدريس أوحد الناس، ونظمه أحسن نظم.

و هو من تلامذة أبيه المعظم العالم بلا ريب الشيخ حسين. وكتب الشيخ في حاشية على تفسير القاضي أنّه تلمذ للملّا عبداللّه اليزدي صاحب الحاشية على

تهذيب المنطق ووصفه بالعلامة اليزدي. والملّا عبد اللّه اليزدي درس عند الملّا جلال الدواني الذي درس عند سيّد شريف. وكتب الملّا جلال أيضاً حاشية على تهذيب المنطق وأسماها بنقطة الفولاذ، وكتب الملّا عبد اللّه حاشية على تلك الحاشية وهي في الحقيقة حاشية حسنة.

و من كرامات الملّا عبداللّه اليزدي: أنّه عندما كان في إصفهان في بعض الأيام نظر يوماً بعد مضي مقدار من الليل بنظرة باطنية إلى إصفهان فقال لمن معه: احملوا متعانا لنخرج من هذه المدينة بسرعة؛ لأنني أرى الآلاف من موائد الخمر قد مدّت في هذا المدينة فينزل عليهم عذاب من اللّه تعالى فيحرقنا. فحمل من معه المتاع وركب الملّا عبد اللّه، ولم يكد يخرج من المدينة وكان وقت السحر فنظر نظرة أُخرى إلى إصفهان فرأى آلاف سجّادات الصلاة قد فرشت فقال: لنعد. وذكر لهم ما رأى وأنّهم قاموا لصلاة الليل وهذا يجبر ذاك فرجع إلى البيت الذي كان فيه.

ومن كرامات الشيخ البهائي: أنّه في أواخر عمره ذهب يوماً مع أصحابه إلى مقبرة إصفهان المسمّاة بتخت فولاذ لزيارة أهل القبور، فاعتزل أصحابه وذهب الى قبر وصار يتحدّث مع صاحب القبر وأصحابه يسمعون صوتاً لكن لا يعرفون ماذا يقال، فقام الشيخ البهائي ـ زيد بهاؤه ـ من على القبر ووضع عباءته على رأسه ولم يكلّم أحداً حتى عاد الى بيته، وأقفل باب البيت ولم يأذن لأحد بالدخول حتى مضت سبعة أو ثمانية أيام، وتوفّي الشيخ ودُفن حسب وصيته في خراسان في جوار الأمام الرضا عليه السلام في ركن الصحن المطهر.

وفي السنة التي تشرفت فيها بزيارة الإمام الرضا عليه السلام كنت في أغلب أيام إقامتي هناك أزور جنابه.

ويقال: إنّ مسجد الشاه في إصفهان بني بمساعدة عدّة سلاطين وتم بناؤه في

زمان الشاه عباس، وفي المسجد عدّة أشياء كلّ واحد منها يساوي سبعة آلاف تومان.

منها: حبة فيروز وضعت في وسط القبة وقيمتها سبعة آلاف تومان.

ومنها: لوحة حجرية صافية طولها ذراعان وعرضها ذراع وهي في الصفاء والجلاء كالمرآة المصقولة ونصبت في الحائط مكان الألفية وقيمتها سبعة آلاف تومان.

ثالثها: منبر مرتفع من قطعة مرمر يشتمل على ١٧ أو ١٨ درجة وقيمته سبعة آلاف تومان.

رابعها: باب المسجد المصنوع من الذهب والفضة وقيمته أيضاً سبعة آلاف تومان.

خامسها: الزنجير على باب المسجد وقيمته أيضاً سبعة آلاف تومان.

وقد تمّ المسجد في زمان الشاه عباس فكان يود أن يأتي المقدس الأردبيلي الملّاأحمد أفشار الساكن في النجف إلى إصفهان ليصلّي فيه جماعة، وكان السلطان يحب العلماء حبّاً شديداً بحيث كانت بينه وبين المقدّس مراسلة. وفي الرسالة: الأخ الأعز الشاه عباس... فاحتفظ السلطان بهذه الرسالة وأوصى أن توضع معه في كفنه ليحتجّ على اللّه بأنّ نائب الإمام اعتبرني أخاه فإن كنت مستحقاً للعذاب فلماذا يعتبرني أخاه؟

وفي الجملة: قال أعيان الدولة للسلطان: إنّ المقدس لا يأتي والرأي أن ترسل إلى الشيخ البهائي ليأتي به من النجف ويرضيه. فذكروا ذلك للشيخ فوافق، ثم ذهب مع جمع إلى العتبات العالية والتقى المقدّس في النجف الأشرف وتحدّثا في مسألة المجيء إلى إصفهان وبنحو وبآخر أرضوه وتهيّؤوا للسفر ومهما أصرّوا على المقدس

ليركب الفرس فلم يقبل وطلب ركوب الحمار، وذهب الشيخ البهائي مع أعيان وأشراف العجم في ركابه والكل ركبوا مراكبهم، وبعد طي مقدار من المسافة سار حمار المقدّس بشكل بطيء فطلب الشيخ الإسراع فقال المقدس للحيوان أن يسير بإرادته واختياره، وبعد طي مقدار من المسافة نزل المقدس فسئل عن ذلك فقال: يجب رعاية حال الحيوان أركب مرّة وأسير مرّة حتى تسلك طريق العدالة. فقال الشيخ: فاصعد إذن على حيوان آخر. فرفض المقدس فقال الشيخ: لن نستطيع اجتياز المسافة بهذه الطريقة. فقال المقدس: وأنا أطوي الطريق بهذا النحو. ثم إنّ حمار المقدس همّ بالأكل فضرب الشيخ الحمار ليسرع فانزعج المقدس وقال: لماذا آذيت الحمار؟ وأنت من علماء أهل العجم وتفعل هذه الأذية في حضوري، وهذا ملكي وتأتي بالمعصية فكيف حال أعيان وأشراف وعوام أهل العجم؟ وأنا لا أذهب إلى مثل هذا البلد. ومهما أصرّ الشيخ والآخرون على التراجع فلم ينفع ورجع المقدّس الأردبيلي من هناك.

وكتب السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية: أن مباحثة ومناظرة وقعت بين الشيخ البهائي وعالم من علماء العامة وكان أعلم علماء أهل مصر، وكان الشيخ البهائي قد سافر إلى مكة وبقي في سفره أربع سنين أمضى سنتين منها في مصر، وكانت بين الشيخ وذلك العالم مودّة وكان قد أعلم الشيخ ذلك العالم أنّه على مذهب العامة، ففي يوم قال ذلك العالم للشيخ: ماذا تقول الرافضة عندكم عن الشيخين؟ فقال الشيخ البهائي: ذكر لي هؤلاء حديثين عجزت عن الجواب عنهما. فقال له ذلك العالم: وما هما؟ وماذا يقولون؟ قال الشيخ: يقولون إنّ مسلماً روى في صحيحيه أن النبيﷺ قال: من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه ومن آذى اللّه كافر. وبعد خمسة صفحات من هذا الحديث روى أن فاطمة رحلت عن الدنيا وهي غاضبة على أبي بكر وعمر، فلم أتمكّن إلّا من الموافقة على هذين

الحديثين وعجزت عن الجواب عن هذه الشبهة. فقال العالم: أمهلني إلى الغد لأنظر ليلاً في ذلك الكتاب. وفي اليوم التالي جاء العالم إلى الشيخ وقال: كنت أقول لك: إنّ دائماً الرافضة يكذبون في نقل الحديث، نظرت ليلة أمس في صحيح مسلم وكان بين الحديثين أكثر من خمس أوراق. وكان هذا جوابه عن الحديثين. انتهى كلام السيّد نعمة اللّه الجزائري.

وللشيخ كرامة معروفة وهي: أنّه كان جالساً مع المير فندرسك في أحد قصور الملك، وكان المير فندرسك من أهالي استرآباد ومن العرفاء، وكان معروفاً بأن بدنه كيمياء وإذا مُسح ببدنه الحديد والنحاس يصير ذهباً، وعندما توفي أراد أهل الهند أن يأتوا ببدنه إلى مدينته ووضعوا حول قبره الصاروج[1] وأحكموا ذلك، ويقال: إنّهم ذوّبوا الرصاص ووضعوه حوله حتى لا يقترب أحد منه.

وكان المير فندرسك في الهند عند سلطانها، واتّفق أن سافر معه برفقة بعض العامة، فبال في الصحراء ولم يكن ماء ومسح بقطعة طين يابسة، فقال له العالم السني فعلك هذا موافق لمذهبنا. فقال له المير أبو القاسم فندرسك: اليوم بلت على مذهبكم.

قال له سلطان الهند أيضاً: إنّ معاوية خال المؤمنين ومن كتّاب الوحي فلماذا تجوّز لعنته؟ فقال: إذا تقاتل جيش علي عليه السلام مع جيش معاوية فمع من تكون؟ قال: مع جيش علي. قال: فإذا قال لك اضرب عنق معاوية فماذا تفعل؟ قال: أضرب. قال إذا جوّزت قتل معاوية فلعنه جائز أيضاً.

والمير فندرسك صاحب قصيدة معروفة:

---

(١) معرّب ساروج وهو جصّ أو ملاط مخلوط بالرمل.

حركة الفلك مع هـذا النـجم الجـميل
له صــورة في الأدنى لمــا في الأعـلى
والصــــورة في الأدنى لو عــرفت
هـــي مـــع أصـــلها واحـــد

وهذه القصيدة شرحها الملّا محمّد خلخالي.

وعلى كلّ حال جلس يوماً الشيخ البهائي مع المير فندرسك وإذا بأسد مـن أسود الملك يقطع زنجيره ويدخل على ذلك المجلس الذي كانا يجلسان فيه، فلملم الشيخ نفسه وغطّى بعباءته نصف وجـهه ولم يأت المـير فـندرسك بأي حـركة، وطاف الأسد في المجلس ثم خرج دون أن يؤذي أحداً. وقـد رسمت صـورة هـذا المجلس مع الأسد على حائط في عمارة باب الجنة الثامن في إصفهان. وكانت لحية الشيخ خفيفة جداً.

وكتب الشيخ في بعض مؤلفاته: إنّني سئلت يوماً: هـل الصـدوق أفـضل أم زكريا بن آدم؟ قلت: مقتضى القاعدة أن يكون زكريا بن آدم القمي أفـضل؛ لأنّ علماء الرجال لم يوثّقوا الصدوق لكن زكريا بن آدم وثّق في كتب الرجال وذكروا جلالته وقربه عند الأئمة عليهم السلام وقالوا: إنّ زكريا بن آدم سافر مع الإمام الرضا عليه السلام في هودج واحد إلى مكة. وهذا أيضاً يدل على غاية جلالته، وبعد مدّة رأيت في ليلة الصدوق رضي اللّه عنه في النوم فسلّمت عليه لكنني رأيته معرضاً عني، وفي أثناء الحديث سألته عن سبب إعراضه فقال لي: من أين علمت أن زكريا بن آدم أفضل مني؟ ثم استيقظت.

يقول مؤلف الكتاب: الصدوق وإن لم يوثّقه العلماء لكن هذا لا يدل على تأمّل الرجاليين في توثيقه؛ لأنّ القدماء لم يسيروا غالباً عـلى تـوثيق مشـايخ الإجـازة

خصوصاً أولئك المشهورين مثل: علي بن ابراهيم وهو من مشايخ إجازة الكليني، ولعلي إجازة من أبيه ابراهيم بن هاشم القمي، وإبراهيم لم يوثقه أهل الرجال؛ ولذا اعتبر العلماء السابقون الرواية التي في سندها ابراهيم بن هاشم حسنة لكن الأقوى وفاقاً لمحقق متأخري المتأخرين أن مثل هذه الرواية صحيحة؛ لأن ابراهيم من مشايخ الإجازة، وهذا المقدار كافٍ في التوثيق، إضافة إلى أنّه لا إشكال في ولده علي واعتماده على أبيه إضافة إلى اعتماد الكليني وهو ثقة الاسلام ومن المشايخ الثلاثة عليه وتكثير الروايات عنه مع كون إبراهيم بن هاشم معتمداً عند القميين، وهذا القدر كافٍ في توثيقه وجلالته؛ لأنّ أهل قم كانوا كثيري الاحتياط في الروايات والرواة بحيث إذا كان الراوي يروي عن الضعفاء وينقل الروايات المرسلة يخرجونه من قم، فاعتماد القميين كافٍ، كما أن الصدوق من مشايخ الإجازة ومعتمد القميين بل معتمد المسلمين، بل من المشايخ الثلاثة وكتابه من الكتب الأربعة المعتبرة المسلّمة والشيخ المفيد من تلامذته، كما أنّ الصدوق ولد بدعاء الإمام الحسن العسكري أو صاحب الأمر، إضافة إلى أنّ كثرة رواياته وكثرة تأليفاته من أمارات الوثوق والعدالة، بل وصل الأمر إلى أن يكون ترضي الصدوق على أي شخص يذكره ويقول: «رضي اللّه عنه» توثيقاً فتوثيق الصدوق ليس محل ريب. وقد ذكرنا تفصيل هذا الكلام في منظومة الدراية وشرح وجيزة الشيخ البهائي في الدراية والحواشي على شرح دراية الشهيد وغيرها من تأليفاتنا.

وكان الشيخ في أغلب العلوم قديراً، وكان ماهراً في الرياضيات ووحيد زمانه.

والمعروف أنّ الشيخ البهائي حفر على صخرة مربعة شكلاً ودفنه في مكان في شيراز في حدود إيران حتى يدفع البلاء عن إيران، ولم يدخل الوباء إيران من زمان الشيخ حتى زمان فتح علي شاه، وفي زمان فتح علي شاه كان الأمير حسين علي حاكم شيراز، وكان كلّ أمير يتمنّى السلطنة وجمع الدراهم والدنانير، فاشترى

إنكليزي ذلك الحجر المدفون بعشرة أو اثنتي عشر ألف تومان من الأمير فغض الطرف عن إيران والإيرانيين طمعاً بالمال غافلاً عن قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾[1]، وبعد بيع ذلك الحجر دخل الوباء إلى إيران وبعده الطاعون وإلى الآن لم تخل إيران في أكثر السنين من الوباء.

كما أن الشيخ ملأ مربعاً ودفنه في إصفهان حتى لا يدخلها الطاعون، ومن ذلك الزمان حتى اليوم لم يدخلها الطاعون حتى في سنة الطاعون الكبير حيث عم جميع بلاد إيران فإنه لم يدخل إصفهان.

ويقال: إنّ الشيخ في أيام سياحته وصل إلى جبل سرانديب فجلس على صخرة وإذ برجل يأتي ويجلس بحيث يراه الشيخ وذلك الشخص لا يراه، وإذا بذلك الشخص يقول: احضر الطعام. نظر الشيخ فلم يرَ على ذلك الجبل مخاطباً، وإذا بسفرة تنزل من السماء ونزلت أطعمة مختلفة، ثم قال ذلك الرجل بصوت عال: أيها الغائب عني احضر وكل معي. فنظر الشيخ فلم يجد غيره فعلم أنّه يريده فقام وجلس معه وأكل، وبعد أن شبعا رمى ذلك الرجل ما تبقى من الطعام على الأرض فقال له الشيخ: لماذا تكفر بنعمة اللّه وترميها على الأرض؟ فقال الرجل: يجب أن يكون الفيض عاماً وهنا في هذه الأرض حيوانات يجب أن تأكل من رزق اللّه، ثم بعد ذلك قال: خذه. وإذا بالسفرة مع ما فيها تصعد إلى السماء.

يقول المؤلف: المعروف عند العوام بل الخواص أنّ الشيخ ساح مدّة من الزمان وهذا الكلام لست مطمئناً لصحته، نعم سافر إلى مكة واستمر في سفره أربع سنين أقام سنتين منها في مصر، كما سافر في بداية أمره إلى خراسان مع والده وتجوّل في أطرافها، كما ذكر جنابه منظومة في وصف بلدة هراة وذكرها في كشكوله.

(١) آل عمران ٣ / ٢٦.

وكانت ولادته في البلاد العربية ثم أخذه معه أبوه وذهب إلى خراسان كما سيأتي في ترجمة الشيخ حسين والد الشيخ لكنّ سياحة غير هذه فهذا غير معلوم لدينا.

وللشيخ في كتاب الكشكول عبارة: لو لم يأتِ بي والدي إلى ديار العجم لكنت زاهد أهل الزمان، لكن أتيت إلى العجم وأكلت من طعام السلاطين والملوك ولبست من ألبستهم وعاشرت أهل العجم، فلم يحصل لي الزهد والتقوى.

وورد في الحديث أنّه في بعض أسفار الرسولﷺ احتاج الأصحاب الكبار لسيّد الأبرار إلى الماء ولم يكن هناك ماء فأخرج رسول اللّهﷺ بسبابته المباركة ماء كالنهر الجاري وشربوا مع حيواناتهم من الماء. وعندما لاحظ الشيخ البهائي هذا الحديث قال: إنّه لو أخرج الرسول الماء بخنصره أو بنصره لاحتملت أن يكون سحراً ولكن حيث إنّه أخرجه بسبابته المباركة أقطع بأنه رسول اللّه. وسئل الملّا علي النوري عن كلام الشيخ هذا وعن الفرق بين إخراج النبيﷺ الماء بسبابته أو خنصره أو بنصره حتى يكون الأول معجزة والثاني والثالث محتملي السحر، ففكّر الملّا علي النوري ثم قال: مهما فكّرت في هذا الأمر لم أجد شيئاً. وللشيخ الكثير من أمثال هذه الكلمات المشكلة.

وكتب السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية: ناظر الشيخ البهائي أحد علماء العامة فسأل العالم السنّي الشيخ: لماذا يجوّز الشيعة قتل عثمان مع أنّه من أكابر الصحابة وقد قال النبي: أصحابي مثل النجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؟ فقال الشيخ: نجوّز ذلك استناداً إلى هذا الحديث؛ لأنّ قتلته من صحابة النبيﷺ فإذا فعلوا ذلك علمنا أنّه جائز.

وقال السيّد نعمة اللّه الجزائري: إنّ سلطان البصرة كان سنّياً فقال يوماً في

محضر جمع من علماء العامة لبعض مشايخ الشيعة: من أفضل فاطمة أم عائشة؟ فقال الشيخ: عائشة أفضل. قال: كيف؟ قال لقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً...﴾[1] وعائشة جاهدت وأهرقت دماء كثيرة، أمّا فاطمة فلم تخرج من البيت إلّا للمطالبة بفدك عندما أخذوها منها، فردوها ثم جلست في البيت. فضحك السلطان والحضور وقال السلطان: عجيب هذا التشنيع اللطيف.

ويقال: إنّ الميرداماد كان يصلي الجمعة في إصفهان فحضر يوماً السلطان الى صلاة الجمعة فتأخّر المير محمّد باقر الداماد فخافوا أن يفوت وقت صلاة الجمعة فقال السلطان للشيخ البهائي: قم وصلّ الجمعة. وعندما هيّأ الشيخ نفسه للصلاة وصل المير وأشار بعصاه: كني يجب أن يعود الشيخ إلى الخلف، ثم صلّى الميرداماد الجمعة. فالتعريض الذي يذكره الشيخ في رسالة خبز وحلاوة المقصود فيه الميرداماد، أي مراده من بعض كناياته بعلماء أهل الدين الميرداماد، لكن في نظري هذا غير صحيح بل إن الشيخ والمير عالمان زاهدان.

وكتب في زمان الشيخ شخص سنّي عدّة أبيات في الطعن على الشيعة مضمونها: إنّ غصب فدك لا يوجب سبّ ولعن الشيخين فلعلّهما أبديا عذراً يوم القيامة عند اللّه، فنظم الشيخ أبياتاً في الردّ عليه وأنّه على الاحتمال الذي ذكرته فلعل الذين يسبّون الشيخين لهم عذر مقبول عند اللّه مع أنّ عذرهم واضح كالشمس في رائعة النهار وعذر غاصبي فدك غير موجود.

وليعلم أنّ رسالة «الخبز والحلاوة» مسمّاة بـ«سوانح سفر الحجاز» كتبها في طريق مكة ولذا سمّاها بهذا الاسم.

وقد طعن بعض العلماء بالشيخ البهائي ونسبه البعض إلى التصوف وسبب

____

(١) النساء ٤ / ٩٥.

اشتباههم أُمور:

١ ـ إنّ الشيخ لم يتغير رأيه في المسائل مع أنّه كتب عدّة كتب فقهية وتجدد الرأي من حسن اجتهاد المجتهد.

٢ ـ إنّه ترك الاشتغال بالتعليم والتعلم واهتمّ بالسياحة وقد صرف أكثر عمره في الأسفار.

٣ ـ إنّ للشيخ كلمات شعرية تدلّ على التصوّف مثل الشعر الذي كتبه في «الخبز والحلاوة» فقال:

أرخى شعره على كتفه
ومن نظره صنع العالم

والمراد من إرخاء الشعر التعينات التي تعرض على ذات وجود الحق، وهذه وحدة الوجود، وفسادها ظاهر، وكذلك أشعاره الأخرى.

وله في كتاب مفتاح الفلاح تفسير سورة الحمد حيث قال فيه: إن الإمام الصادق عليه السلام أو إماماً آخر كان يكرر ﴿إيّاكَ نَعبدُ﴾[1] كثيراً، فسئل عن ذلك فقال: أُكرر الكلام حتى أصير كأني أسمعه من قائله وهو اللّه. وذلك مطابق للشعر الّذي قاله الشيخ محمود الشبستري في كتابه «گلشن راز»:

يجري «أنا الحق» من شجرة
لم لا يكن فقد جرى من حسن الحظ

هذا حاصل كلامه في كتاب مفتاح الفلاح وهو صريح في وحدة الوجود.

٤ ـ إنّ الشيخ في كتبه يذكر بكمال التعظيم الصوفية ومن يُعدّ كفرهم يقينياً، فمن

---

(١) الفاتحة ١ / ٥.

ذلك ما ذكره في رسالة «سوانح سفر الحجاز»: وابتدأها ببيت من مثنوي معنوي للحكيم المولوي:

اسمع الناي عند يقصّ حكايته
ويشكـــو مــــن الهـــجر

وكذلك في كتاب الكشكول حيث قال في بعض الموارد: قال العارف الرباني والفاضل الذي ليس له ثان محيي الدين بن عربي. وغير ذلك من العبارات.

٥ ـ ما هو المعروف من أنّ الشيخ قال هذا الشعر:

أرخى شعره على كتفه

وعرضه على أبيه الشيخ حسين فعاتبه على ذلك وضربه.

٦ ـ إنّ جنابه كان ذا اعتقادات ضعيفة مثل قوله: إنّ المكلف إذا بذل جهده في دراسة الدين فلا حرج عليه وإن كان مخطئاً، ولن يكون مخلّداً في النار وإن كان على خلاف أهل الحق. والحال أنّ لازم هذا الكلام أن يكون علماء الضلال ورؤساء الكفر غير مخلّدين في النار إذا كانت عندهم شبهة أوجبت ضلالهم، مثل أبي حنيفة وأمثاله.

الى هنا نهاية واشتباه الطاعنين على الشيخ، والحق أنّ كلّ هذه الوجوه لا اعتبار لها، وذيل الشيخ منزّه عن هذه المطاعن وكان أزهد وأفضل وأعلم وأورع وأتقى أهل زمانه.

والجواب عن الدليل الأول: أنّ تجدد الرأي يدلّ على حسن اجتهاد المجتهد وقوة تصرّفه لا أنّ عدم تجدّد الرأي يدلّ على سلب الاجتهاد أو على تصوّفه والعياذ بالله. إضافة إلى أنّ اجتهاده فاق اجتهاد سائر المجتهدين، وإلى أنّه من ذا

الذي رأى جميع فتاواه وجمعها حتى يكون على يقين بعدم تجدّد رأيه؛ لأنّ جـنابه كتب الاثني عشرية ومشرق الشمسين والحبل المتين والجامع العباسي، فـمن هـو الذي طالعها كلّها ورأى أنّه أفتى في جميعها فتوى واحدة في مسألة واحدة؟ زد على ذلك الاستفتاءات الكثيرة التي كانت تطلب منه، فمن جمع هذه الفتاوى ولاحظ أنّها لا تختلف في أي منها عن فتاواه؟ ومع الغض عن ذلك من قال: إنّ تجدد الرأي دليل على حسن الاجتهاد، بل عدم التجدد يدل على أنّه في مقام الاستدلال كان في غاية الجهد والجدّ بحيث لم يتراجع عن اجتهاده، بـل صـارت المسألة عـنده بـديهية. والحاصل أن شأنه أجل من هذا الكلام ولذا خاطبوه بخاتم المجتهدين.

وأما جواب الدليل الثاني فهو: أنّ الشيخ لم يمارس السياحة، وهـذا غـلط مشهور، وقد تقدم أنّ الشيخ لم يسافر أبعد من مكة وسافر مع والده إلى هـراة ولم يعلم وجود سياحة أخرى، مع أن السياحة لا تـوجب فسـاد العـقيدة والكـفر والفسق، وليس من الضروري أن يبقى المؤمن أو العالم أو المجتهد في بيته ليلاً نهاراً مشتغلاً بالتأليف والتصنيف والتدريس. وبالجملة هـذا الاعـتراض لا اعـتبار له أصلاً، ويشهد لهذا الكلام المعجز لأمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

تغرّب عن الأوطان في طلب العـلى   وسافر ففي الأسـفار خمس فـوائـد

تـفرّج هـمّ واكـتساب مـعيشة   وعـلم وآداب وصـحبة مـاجد

وأما الجواب عن الاعتراض الثالث فـهو: أن هـذا الكـلام لم يسـمعه أحـد مشافهة من الشيخ، والكتب ليست دليلاً على فساد العقيدة لعدم حجّيتها كما تقدم تفصيل ذلك في محاجة الشيخ حسن ابن الشيخ جعفر مع علماء العامة.

إضافة إلى أن إرخاء الشعر لا دخل له بوحدة الوجـود؛ لأنّ طـريقة الشـعر جرت على هذا المنوال بأن يؤتى بهذه الكلمات وأمثالها في الشـعر ليزيـن نـظمه

ويدخل عليه المحسنات البديعية الشعرية، كما أنهم غالباً ما يذكرون في أوائل قصائدهم محبوباً خيالياً ثم يدخلون بعد ذلك إلى الموضوع الأصلي كما في قصيدة:

لأم عمروٍ باللوى مربع

وهي قصيدة حسنة دالة في مدح أمير المؤمنين علي‌ﷺ وقد رأى الإمام الرضاﷺ رسول اللّه في المنام يقول له: احفظ هذه القصيدة وكل من حفظها فسيكون له يوم القيامة حاجب وحاجز عن جهنم. فاللازم إذن القول: إنّ السيّد إسماعيل الحميري قد شبّب في هذه القصيدة وتحدّث عن العشق لتلك المرأة.

وشعر الشيخ «أرخى شعره» من هذا القبيل، ومع غضّ النظر عن ذلك فقد ذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري أن الشيخ البهائي عاشر كلّ فرقة وتحرك مع كلّ ملّة ودين حسب طريقتهم. وقال السيّد: إنّ أحد علماء العامة في مصر قال: إنّ الشيخ البهائي من علماء العامّة. فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح فتعجب وقال: إن الشيخ عندنا من علمائنا تماماً وذكر الشيخ في هذا المجال عدّة أبيات في قصيدة في مدح الإمام القائم عجل اللّه تعالى فرجه:

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ... ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري

أُخالط أبناء الزمان بمقتضى ... عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري

وأُظهر أني مثلهم تستفزني ... صروف الليالي باحتلاء وإمرار

ومن هنا يظهر الجواب عن الاعتراض الرابع وأن مقصود الشيخ أن يتحدث مع كلّ فئة على وفق مذهبهم حتى لا ينكره أحد. إضافة إلى أن تعظيم أهل العلم طريقة دأب عليها العلماء ولذا يذكرون علماء العامة بالتعظيم وبالعكس.

وأما الجواب عن الإيراد الخامس فهو: أن هذا كذب محض ولم يذكره أحد،

ولم يسمع من الثقات أن الشيخ كتب «الخبز والحلاوة» في سفر الحجاز ولم يكن والده الشيخ حسين حياً حينذاك حتى يضر به أو يؤدّبه، كما أنّ التأديب لا يدل على فساد العقيدة؛ إذ لا مضايقة في أن يكون بيان اصطلاح العرفاء وأن يشتغل بحسب الظاهر في مسلك العرفان خلاف القاعدة وكان بعيداً عن طريق الفقاهة.

وأمّا الجواب عن السادس فإنّه من الممكن القول: إنّه من غير المعلوم أنّ الشيخ قال مثل هذا الكلام، وبالفعل ليس في بالي كلام في هذا المجال، هذا أولاً.

وثانياً نقول: إنّ هذا المذهب يوافق قواعد العدلية ومقتضى اللطف؛ لأنّه بعد الجد والاجتهاد بالقدر المقدور للوصول إلى ما هو الواقع إذا عذب لكان ظلماً وتكليفاً بما لا يطاق، وأمّا النقض بالمخالفين والكفار فالشيخ إنما تعرّض للكبرى لا الصغرى، أي تعرّض إلى أن مثل هذا الشخص لا يعذب، وأمّا الصغرى وتحقّقها في شخص فلا، فالشيخ لم يقل: إنّه يوجد مثل هذا القاصر، ولو قال هذا الكلام في مورد لكان النقض عليه بالمخالفين تاماً، ولكن الشيخ لم يقل ذلك، ومقتضى الآية الشريفة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1] دال على عدم وجود القاصر، وكذلك الآية الشريفة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2]، وكذلك حديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»، وكذلك ما تقتضيه قاعدة اللطف هو هذا، والكفار والمخالفون لم يبذلوا جهدهم بنحو صحيح أو بذلوه لكن أغمضوا النظر عن الحق طمعاً بالدنيا، فهم إذن مقصّرون لا قاصرون.

وثالثاً: سلمنا أن الشيخ ذكر هذا الكلام في الصغرى إلّا أنّ المسألة من

---

(١) العنكبوت ٢٩ / ٦٩.

(٢) الروم ٣٠ / ٣٠.

غوامض المسائل ومحلّ خلاف، وقاعدة اللطف جارية أيضاً في الفروع مع أنّه ليس صحيحاً إذا ذكر الشيخ في هذه المسألة مثل هذه الفتوى أن يطعن عليه.

وكان الشيخ البهائي معاصراً للميرداماد الذي قال: إنّه بعدي سيتجلّى هذا العربي وهو الشيخ البهائي في إيران. ويقال: إنّه عندما ذهب السلطان للصيد ورافقه الميرداماد والشيخ واجتازا مسافة سار أحدهما في الخلف وببطء والآخر في الأمام وبسرعة وقد يضرب فرسه أحياناً، فتقدّم السلطان نحو ذلك الذي هو في الأمام وقال له: إنّ ذلك المتأخّر في غاية البساطة وليس أهلاً لأن يحمله فرسه ويكون معنا. فقال له: إنّ تأخره لكونه منبع العلم ومعدنه فلثقله لا يستطيع الفرس أن تسير بحمل العلم ولذا يبطئ في الحركة. ثم اتّجه السلطان نحو المتأخّر وقال له: ألا تنظر إلى ذلك المتقدّم كيف يقود فرسه بلا وقار وهذا من قلة عقله؟ فقال له: إنّ الفرس فرح مسرور لأنّه يحمل من في صدره علم كثير، فلم يملك نفسه حتى صار يعدو وسار متقدماً. ثم بعد ذلك كان السلطان دائم التوقير والتكريم لهما ولم يقصّر في ذلك.

نعم إذا لم يعظّم العلماء ويمدح بعضهم بعضاً فهذا يوجب هتكهم جميعهم فاللازم أن لا يهتك العلماء حرمة بعضهم، وأن لا يكونوا طعمة لأهل الدنيا من أجل جيفتها، وبمجرّد أن يغضبوا من بعضهم فإنّ كليهما يضيعان ويكسد ما عندهم كما هو المعروف أنّ عالمين كانا ضيفين عند شخص وعندما خرج أحدهما من المنزل لحاجة قال صاحب البيت للآخر: ما هو فهم وإدراك صاحبك؟ فأجاب ذلك العالم: إنّ صاحبي لا يفهم وهو حمار لا إدراك له. وبعد مدّة دخل الذي كان خارجاً وخرج الذي كان جالساً فسأله صاحب البيت عن صاحبه فقال له: إنّه بلا فهم وهو حمار لا إدراك له. ولما دخل الليل أراد صاحب البيت أن يأتي بصحني شعير ويضع أمام كلّ عالم صحناً منهما بدل العشاء، فتعجّبا من ذلك واستفسرا من

صاحب البيت فقال: سألت كلاً منكما عن فهم صاحبه فقلتما حمار، ومن البديهي أنّ الحمار يأكل الشعير ولذا أتيتكما بالشعير.

وبالجملة فإنّ خدمة أبناء الجنس لا تحسن خصوصاً في هذه الأيام حيث نرى بعض أهل الدنيا من جهلهم ولعدم التدين يلقون بأنفسهم مقابل عالم ويذمون أمامه الآخر حتى يتبعه ويشاركه في الغيبة أعاذنا اللّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ويقال: إنّ سلطان ذلك الزمان عزم على الصيد والتنزه وخرج من المدينة، وكان الشيخ غالباً يتباطأ في سيره ويسير في الخلف، ثم اصطاد أصحاب السلطان خنزيراً وأتوا به إليه وعندما نظر إليه رأى على أسنانه لفظ الجلالة ـ اللّه ـ منقوشاً فتعجب السلطان؛ لأنّه من الواضح أن هذا ليس من فعل الإنسان ولفظ الجلالة طيب طاهر بحيث لا يمكن للإنسان أن يمسّه بدون وضوء، ولعاب الخنزير نجس، والخنزير نجس العين فكيف ذلك؟ فأرسل السلطان إلى الشيخ فحضر وسأله عن ذلك فقال له الشيخ: قد يكون هذا مؤيداً لكلام السيّد المرتضى الذي يذهب إلى عدم كون أجزاء ما لا تحله الحياة من الخنزير نجسة العين، وما لا تحلّه الحياة هي العظم والشعر والظفر وأمثالها. وكان في ذلك المجلس طبيب فقال: إنّ الشيخ الرئيس لا يرى الأسنان ممّا لا تحلّها الحياة ويقول بأنّها تحلها الحياة. فقال الشيخ: بعد أن ورد في الأخبار عن الأئمة عليهم السلام أنّ الأسنان ممّا لا تحلها الحياة فلا اعتبار بكلام ابن سينا. عندما سمع الطبيب ذلك قام من محله وضحك وصار يشنّع عليه وأنّ هؤلاء لا يفهمون ويجمدون على الأخبار، فغضب الشيخ من فعل ذلك الطبيب وقال له: ولنا في هذا المقام إشكال على ابن سينا لا تخلص له منه. فقال الطبيب: وما هو هذا الإشكال؟ فقال الشيخ: إن ابن سينا ذكر في البحث الفلاني من القانون أن لا عظم لا في الحيوان ولا في الإنسان تحلّه الحياة، وهذه سالبة كلية وقال في مكان آخر: إنّ

بعض العظام تحلّها الحياة وهي الأسنان وهذه موجبة جزئية، والموجبة الجزئية نقيض السالبة الكلية، فكلامه إذن متناقض. فقال الطبيب: لا بد أن أُراجع القانون حتى أحل هذا الإشكال. فقال له الشيخ: إذهب وراجعه ألف مرة فلن ينفعك الرجوع.

ويقال: إنّ الشيخ بعد رجوعه من الأسفار صار عنده علوم غريبة وصارت تصدر منه أُمور من صفاء نفسه، فجاء إليه شخص اسمه قاسم وكان يظهر كلّ ما كان يظهر من الشيخ من صفاء نفسه، فتعجب الشيخ من ذلك كثيراً فقال له قاسم: لا تتعجّب فإنّ ما تأتي به فهو حقيقي ومن صفاء النفس وما آتي به أنا فهو من السحر والشعبذة. فقال له الشيخ: ما دام الأمر كذلك فلا تُشِع ذلك وإذا أردت أن تكتب هذه الأُمور في كتاب فاكتبها بقلم الأسرار ـ أي بالخطوط الغريبة التي لا يفهمها إلّا أهلها ـ لأنّ إشاعة هذه الأُمور يوجب ازدياد الفسق. فكتب قاسم كتاباً وأودع فيه هذه الأسرار بخطوط غريبة، وهذا الكتاب معروف عند الأصحاب بأسرار قاسم.

ويقال أيضاً: إنّ أحد تلامذة الشيخ طلب منه أن يعلّمه كحل الخفاء وهو كحل إذا كحّلت به العين لا يراه أحد، فامتنع الشيخ من ذلك وبعد إصرار شديد علمه الشيخ ولكن أوصاه كثيراً بإخفاء ذلك العلم والحرص عليه وأن لا يفعل ما فيه الفساد، وبعد عدّة أيام كان السلطان مشغولاً بتناول الطعام وإذا به يرى فجأة سفرة الطعام تنقص شيئاً فشيئاً كأن شخصاً آخر يأكل منها، فتحيّر السلطان وتكرر الأمر عدّة أيام، فذكر السلطان الأمر للشيخ وفهم الأمر، فقال الشيخ للسلطان: اجلس هذه المرة للطعام ثم انسحب من المائدة لعذر من الأعذار ثم بعد خروجك ليقفل الباب وليرم من الطاقة بمقدار من التبن وليشعلوه حتى يعلو الدخان ثم ليفتحوا الباب بعد ساعة فسيكون هناك شخص فليرسلوه إليّ دون أن

يؤذوه. ولما فعلوا ذلك رأوا شيخاً جالساً، لأنّ الدخان ونفذ إلى عينيه فدمعتا وزال الكحل عنهما فأخذوه إلى الشيخ وأبدى الشيخ انزعاجه منه وتاب عن العودة إلى مثلها.

والمعروف أمران، أحدهما: إنّ سور صحن النجف من طرح الشيخ البهائي، فقد جعله بنحو تكون الحجرات في الصحن تقابل كوكباً هو كوكب مربي لعلم من العلوم، فإذا جلس طالب الرياضيات في الغرفة المقابلة لكوكب علم الرياضيات فينمو بسرعة ويترقّى في العلم إن شاءالله؛ والآخر: أنّه في كلّ فصل من فصول السنة إذا وصلت أشعة الشمس أسفل الحائط فهو وقت الظهر. وهذان الأمران من الغرائب.

ولد الشيخ البهائي في مدينة بعلبك وقت الغروب من يوم الخميس في السابع عشر من محرم الحرام سنة ٩٥٣، وتوفي هذا الفاضل نادرة العصر في الثاني عشر من شهر شوال سنة ١٠٣١، فعمره المبارك سبع وثمانون سنة تقريباً.

وله تأليفات رشيقة دقيقة جميعها في غاية الفصاحة والبلاغة والجزالة والسلاسة والبراعة والمتانة، منها: كتاب الجامع العباسي اشتمل على الفتاوى مع فروع لا تحصى ألّفه للشاه عباس، وعندما أنهى العبادات انتقل إلى جوار ربّه، فأتمّ الكتاب أحد تلامذة الشيخ بأمر من السلطان، والحق أنّه كتاب فاق الكتب المماثلة وهو مفيد للمبتدئ والمتوسط والمنتهي من الطلاب؛ وكتاب الزبدة في علم الأُصول كتبه بعبارة مختصرة مع محسنات كثيرة وله حواشٍ منه على تلك الزبدة جمعت في مجلّد، وللمحقق جواد الكاظمي وهو من تلامذة الشيخ شرح على الزبدة؛ وكتاب مفتاح الفلاح في الأدعية الواردة في الصلاة مع شرح لغوي، وكتب بعض العلماء شرحاً عليه، وترجمه إلى الفارسية الآغا جمال الخوانساري مع تصرّف منه، ولي

حواشٍ غير مدونة على مفتاح الفلاح؛ وله رسائل خمس أثني عشرية في الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج وشرحها بعض العلماء؛ وله رسالة في علم الدراية مسمّاة بالوجيزة، ولهذا الفقير مؤلف الكتاب شرح مفصل لها في مجلّد حوى دقائق كثيرة؛ وله رسائل في لغز الزبدة وأخرج اسم الزبدة باللغز وذكر فيها أحكام النحو إجمالاً، ولي شرح مفصّل عليها؛ وله رسالة تشريح الأفلاك في علم الهيئة؛ ولي عليها حواشٍ غير مدوّنة وله حواشٍ منه على تشريح الأفلاك مدوّنة؛ ورسالة في القبلة ورسالة الاسطرلاب باللغة الفارسية؛ وخلاصة الحساب في علم الحساب وقد كتبت شرحاً لها لكنه غير تام؛ وحواشٍ على هامش ذلك الكتاب غير مدوّنة؛ وله كتاب الكشكول في عدّة مجلّدات ذكر فيه من كلّ شيء من العقائد والتفسير والأشعار والقصائد والفكاهات والحكايات والأحاديث، لكن النسخ الصحيحة منه نادرة؛ وكتاب المخلات وهو أيضاً من الكشكول؛ وله الحديقة الهلالية في شرح دعاء رؤية الهلال المذكور في الصحيفة الكاملة؛ وكتاب الأربعين شرح فيه أربعين حديثاً، ولابن خاتون رضي اللّه عنه شرح فارسي له وهو شرح حسن جداً. وسبب تأليف الأربعين أنّه ورد في حديث ما هذا مضمونه كلّ من ينشر أربعين حديثاً تنتفع به أُمّة الرسولﷺ فهذه الأربعون تصير ساتراً بينه وبين جهنم يوم القيامة، فكتب القدماء من العلماء الأربعينات مثل الشهيد الأول والشيخ البهائي والملّا محمّد باقر المجلسي وأمثالهم؛ وله كتاب الحبل المتين في الفقه ولم يخرج منه إلا كتاب الطهارة والصلاة؛ وله كتاب العروة الوثقى في تفسير القرآن ولم يخرج منه إلّا تفسير سورة الفاتحة؛ وله كتاب في شرح العضدي لمختصر الأُصول؛ وله رسالة المواريث؛ ورسالة في ذبائح أهل الكتاب؛ والرسالة الصمدية كتبها لابن أخيه الشيخ عبد الصمد. وقال الشيخ يوسف: إنّه كتبها لأخية الشيخ عبد الصمد وهذا خبط بل الشيخ عبد الصمد ابن أخيه ولعلّ منشأ خبط الشيخ يوسف أن الشيخ قال

في ديباجة الصمدية: كتبت هذه الرسالة للأخ الأعز الشيخ عبد الصمد. ولعلّ مراد الشيخ يوسف أيضاً من الأخ ابن الأخ.

وهناك شروح كثيرة للصمدية منها: شرح فارسي كتبته واشتمل على ذكر الأدلّة والأقوال، والسيّد علي خان الذي كان حاكم شوشتر ودزفول والهويزة أيام الشاه سلطان حسين كتب شرحين عليه: صغيراً وكبيراً وقد اشتمل الشرح الكبير على نقل الأقوال وذكر الاستدلال وتحقيق الحال، وشرحه الصغير أيضاً لم يخل من هذه الدقائق وقد اشتمل على كثير من الألغاز النحوية. وكان السيّد علي خان حاكماً شجاعاً سخياً فاضلاً محيطاً، وله إجازة من العلماء أيضاً وأجداده كلهم فضلاء وهو صاحب كرامة أيضاً. قال السيّد نعمة اللّه الجزائري: عندما ذهبت إليه رأيت محاسنه المباركة بيضاء فسألته: ألا تخضب محاسنك؟ فقال: عندما أردت أن أكتب تفسيراً للقرآن استخرت بكلام اللّه فجاءت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1] فعلمت أن أجلي قريب، وشرعت بتفسير مختصر وتركت الخضاب حتى ألقى اللّه بلحية بيضاء. وبعد سنة توفّي هذا المعظم، وهذا من غرائب الكرامات. وللسيّد علي خان شرح على للصحيفة الكاملة في نهاية الدقّة والمتانة.

ومن جملة تأليفات الشيخ: حاشية على من لا يحضره الفقيه ولم تتم، وكتاب التهذيب في النحو، وكتاب بحر الحساب، وتوشيح المقاصد في أيام السنة، وأجوبة مسائل الشيخ صالح الجزائري وهي ٢٢ مسألة، وهو في غاية الحسن ومرغوب وهو موجود عندي؛ وله كتاب في أجوبة المسائل المدنية وشرح الفرائض النصيرية للمحقق الطوسي ولم يتم، ورسالة أعظم الجبال نحو قطر الأرض، وله التفسير الموسوم بعين الحياة، وكتاب مشرق الشمسين في الفقه وعندي كتاب

---

(١) ص ٣٨ / ٢٥.

الطهارة منه، ورسالة الكنز، ورسالة الاسطرلاب عربي، وشرح الصحيفة الكاملة المسمّى بحقائق الصالحين، وله حاشية مفصّلة على تفسير القاضي البيضاوي ولم تتمّ، وشرح على تفسير القاضي، وحاشية على المطول لم تتم، ورسالة في معرفة القبلة، ورسالة سوانح سفر الحجاز المعروفة بـ«خبز وحلاوة» والنظم، وله حواشٍ على الكشّاف، وحاشية على الخلاصة في علم الرجال، وشرح الرسالة الاثني عشرية للشيخ حسن صاحب المعالم، وحاشية على قواعد الشهيد، ورسالة القصر والتخيير في السفر، ورسالة في بيان أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس، ورسالة في حلّ إشكال عطارد والقمر، ورسالة في أحكام سجود التّلاوة، ورسالة في استحباب السورة ووجوبها وشرح شرح الرومي للملخص الذي ذكره في الحديقة الهلالية رحمة اللّه تعالى عليه.

(٣٩)

الشيخ حسين بن عبد الصمد بن محمّد ﷺ

الشيخ عزّ الدين حسين بن عبد الصمد محمّد الحارثي الهمداني الجبعي عالم محقّق مدقق موثق مسند عماد أرباب الإسناد ومحل اعتماد المشايخ الامجاد الانجاد، وقد تقدّم ذكر نسبة جنابه إلى الحارث الهمداني في ترجمة ابنه الشيخ البهائي المعظم.

وهو من تلامذة جمع من العلماء وأكثر ما تلمذ للشهيد الثاني. قال الشهيد الثاني في إجازته الطويلة المفصّلة للشيخ حسين: الأخ في سبيل اللّه المختار في الاخوة والمختار في الدين المترقّي من حضيض التقليد إلى أوج اليقين، العالم الأوحد صاحب النفس الطاهرة الزكية والهمّة الباهرة العلية والأخلاق الزاهرة الأُنسية، ركن الإسلام والمسلمين وعز الدنيا والدين الحسين ابن الشيخ صالح العالم التقي خلاصة الاخوان الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمّد المشتهر بالجبعي الحارث الهمداني أسعده اللّه وأشق أعداءه... إلى آخر الإجازة.

وقال الشيخ المحدث محمّد بن الحسن الحر العاملي في كتاب أمل الآمل في ترجمة هذا الجليل: العالم الماهر المحقّق المدقّق المتبحّر الجامع الأديب عظيم الشأن جليل القدر ثقة ثقة من فضلاء وتلامذة شيخنا الشهيد الثاني. وله عدّة كتب فمن تأليفاته: الأربعون حديثاً، ورسالة في الرد على أهل الوسواس الذي سمّاه بالعقد الحسيني، وحاشية الإرشاد، ورسالة تحفة أهل الإيمان في قبلة عراق العجم وخراسان، وفي تلك الرسالة ردّ على الشيخ علي بن عبد العالي الكركي؛ لأنّ الشيخ

على أمره بوضع الجدي بين الكتفين وتغيير المحراب كثيراً مع أنّ طول تلك البلاد أكثر من طول مكة وكذلك عرضها فيلزم الانحراف نحو المغرب انحرافاً كثيراً. وسافر إلى خراسان وبقي مدّة في هراة وكان فيها شيخ الإسلام، ثم جاء إلى البحرين وتوفي فيها وله من العمر ست وستين سنة. انتهى كلام أمل الآمل.

ومن تأليفاته كتاب العقد الطهماسبية كتبه للشاه طهماسب، وشرح على ألفية الشهيد الأول، ورسالة في صلاة الجمعة ذكرها في شرح الألفية.

وعندما جاء جنابه إلى بلاد العجم من بلاد الجبل كان عمر ابنه الشيخ البهائي سبع سنين، وذهب الشيخ إلى مكة وكان يقصد البقاء فيها حتى تأتيه الوفاة، لكنّه رأى في المنام أنّ القيامة قد قامت فأمر اللّه أن ترفع أرض البحرين بما فيها إلى الجنة، حينها اختار البقاء في البحرين وأقام فيها حتى توفّي.

وقد سرّ علماء البحرين بمجيئه، وكان لهم مجمع يجتمعون فيه، وكان من جملة فضلاء البحرين الشيخ داود بن مسافر، وكان له باع طويل في علم الجدل، وكان بينه وبين علماء البحرين نفور أوجب عدم حضوره في المجمع مدّة من الزمان، لكن عندما سمع العلماء بقدوم الشيخ حسين أرسلوا إليه أن يحضر في المجمع كالأيام السالفة، وعندما أتى الشيخ حسين ذهبوا لملاقاته وعظّموه بما يليق، وعندما سمع الشيخ حسين أنّ علماء تلك المنطقة عندهم مثل هذا المجمع حضر الشيخ يوماً فيه، ولم يكن في ذلك الحين شخص في المجمع بمستوى الشيخ حسين بل كان فائقاً على أقرانه، فبدأ بالمباحثة كما هي عادة العلماء في جميع الأصقاع فبادر الشيخ داود لمناقشة الشيخ حسين مع أنّه لم يكن في مستوى مناقشته، وعندما انقضى المجلس وذهب الشيخ كتب هذين البيتين:

أُنــاس في زمــان قـد تـصدّوا   لمحــو العــلم فــاشتغلوا بـلم لم

فــإن بــاحثتهم لم تـلقَ مـنهم   ســوى حــرفين لم لا نســلم

وأقام الشيخ حسين في البحرين حتى توفي، وقبره في قرية المصلى من بلاد البحرين. وقد رثاه الشيخ البهائي. ولصاحب المعالم والشيخ البهائي إجازة من هذا المعظم. وكانت وفاة الشيخ حسين في الثامن من شهر ربيع الأول من شهور سنة ٩٨٤ للهجرة، وولادته في غرّة شهر محرم الحرام سنة ٩١٢ للهجرة، وقال في كتاب اللؤلؤة بعد ذكر هذين التاريخين: فيكون عمره خمساً وستين سنة وثلاثة أشهر وعدّة أيام. انتهى كلام اللؤلؤة.

ولا يخفى أنّه إذا كان تاريخ ولادته ووفاته كما تقدم فإنّ عمره المبارك اثنتان وسبعون سنة لا كما ذكر صاحب اللؤلؤة رحمة اللّه عليه.

(٤٠)

الشيخ زين الدين الشهيد الثاني ﷫

الشيخ زين الدين ابن الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ الفاضل أحمد بن جمال الدين بن تقي الدين صالح تلميذ العلامة ابن مشرف العاملي. وكتب حفيده الشيخ علي في حاشية الدر المنثور والمنظوم: تكرر بخط جدي طاب ثراه صالح بن مشرف وبخط جدي الشيخ حسين. وذكر السيّد علي بن عبد الحميد في كتاب الرجال اسم تقي الدين وكتب أنّه جدنا ونقله من هذا الكتاب جماعة من فضلاء هذا الزمان.

والشهيد الثاني المعروف بابن الحجة والمشهور بالشهيد الثاني هو محور دائرة العلوم والتحقيق ومركز الآداب والتدقيق ورئيس الأفاضل والكمّل وقدوة أرباب الفضيلة والتأليف والتصنيف والبحر الزخّار ونادر الفلك الدوار وأُعجوبة الدهر، طود الفطانة والفقاهة والرزانة والمسعود بسعادة الشهادة، ممهّد قواعد الدين وسالك مسالك روضة المتقين، حوى مقاصد السابقين العلية. وله إجازة من جمع كثير كما سيأتي.

وكانت هيئته المباركة على ما قالوا: معتدل القامة ورأسه معتدل، سمن في آخر أمره، ووجهه المبارك صبوح وشعره جميل وعيناه سوداوان وحاجباه أسودان، وله خالان: أحدهما على أحد الخدين والآخر على أحد الجبينين، ولونه أبيض، وعينه لطيفة وذراعاه وساقاه غليظتان، وأصابعه المباركة كأقلام فضة، وإذا نظر أحد إلى

وجهه وسمع عذوبة ألفاظه لم يرضَ بمفارقته ويجد السلوى في حديثه، وتمتلئ القلوب من مهابته.

ويقول الشهيد الثاني نفسه: إنّني لا أذكر متى أخذوني إلى المكتب. وقال تلميذه محمّد بن علي بن حسن العودي الجزيني: قال لي جنابه: أذكر إنّني عندما أُرسلت إلى المكتب كنت صغيراً جداً. وكان أبوه عطوفاً جداً وتفرّس فيه الخير ولم يكن يضر به أبداً، وكان يقول لمعلّمه: لا تضربه ودعه لحاله؛ لأنّني أعلم أنّه غير محتاج إلى الضرب. وكذلك كان لأنّه كان في غاية الرشد ويبحث دائماً عمّا ينفعه ولم يكن يميل أبداً إلى اللعب. وعندما درس كتاب تصريف الزنجاني عند أحد الأعاجم كان أبوه يسأله عن إحدى الصيغ ويعده بالمال إذا أجاب وكان يفي بالوعد. ورأى الشيخ زين الدين الفقعاني[1] في قرية البص الواقعة على ساحل البحر في المنام أنّ رجلاً صاحب هيئة جميلة دخل عليه وكان معه كوز ماء، فوضع فم الكوز على فم الشهيد الثاني ومسك الكوز والشهيد الثاني يشرب من ذلك الماء جرعة جرعة، فسأل الرائي عن ذلك الشخص المعطي للماء فقيل له في المنام: إنّه الشيخ علي بن عبد العالي الكركي.

ومن كرامات الشهيد الثاني: ما ذكره بنفسه لمحمد بن حسن العودي قال: في ليلة الأربعاء العاشر من ربيع الأول من سنة ٩٦٠ في بلدة الرملة ذهبت إلى المسجد المعروف هنا بالجامع الأبيض لزيارة الأنبياء المدفونين في الغار، فرأيت الباب مقفلاً ولا أحد في المسجد، فوضعت يدي على القفل وسحبته فُتح الباب وثم دخلت الغار ووقفت للصلاة والدعاء ونسيت القافلة حتى خرجت إلى المدينة وسألت عنها فقالوا: رحلت. فبقيت متحيّراً فذهبت لوحدي حتى تعبت ولم ألتحق بالقافلة،

(١) يحتمل الفوغاني (المترجم).

فرأيت حينئذٍ رجلاً على فرس وعندما اقترب مني قال لي: اصعد خلفي. فركبت وذهب الراكب كالبرق، وفي زمن قليل لحقت القافلة فأنزلني وقال لي: التحق برفاقك ودخل هو أيضاً في القافلة لكن فتّشت عنه فلم أجده. ولم أكن قد رأيته سابقاً.

كرامة ثانية: عندما وصل جنابه إلى غزّة واجتمع مع الشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الخير وجرت محادثات واحتجاجات بينهما وأجاز الشهيد الثاني إجازة عامة وصارت بينهما مودة زائدة أدخله الشيخ محيي الدين إلى مكتبته ليشاهدها، وعندما أراد الخروج قال محيي الدين للشهيد: اختر لنفسك كتاباً وسيكون لك. فوضع الشهيد يده بدون تفحّص وتأمّل على كتاب فكان أحد كتب الشيعة من مصنّفات العلامة فأخذه.

كرامة ثالثة: أن الحاج شمس الدين محمّد بن هلال كان دائماً يعين الشهيد مالياً وكان أيام التحصيل يدبر مصاريفه ومصاريف عياله، فسار الشهيد مع قافلة فيها رجل من أهل الشام وحذّره الحاج محمّد من هذا الرجل وقال له: إنني إذا أردت السفر وكان هذا الرجل في القافلة ألغي سفري ولا أذهب مع هذه القافلة. ولكن الشهيد سافر وعندما وصلت القافلة إلى بلدة قطبة وكان مع الشهيد رأس مال طلب حاكم البلد الخراج من أهل القافلة فأخذوهم مع الشهيد إلى الحاكم، فرأى الشهيد ذلك الرجل الشامي الذي حذّره الحاج محمّد من شرّه جالساً عند باب بيت الوالي، وعندما رأى ذلك الرجل الشهيد قال للحضور: هذا هو الرجل الذي أخبرتكم عنه. فقال له الشهيد: وماذا قلت لهم عني؟ فقال ذلك الرجل: قلت: إنّك ذاهب إلى مصر لطلب العلم وقد أرسلك الحاج محمّد وقد مدّك بالمال. فرأى الشهيد في هذا الكلام ريبة وطرأ الخوف عليه، وعندما دخلوا على الوالي بدأ بحساب التجار، وحينما وصل الدور إلى الشهيد نظر إليه وتفرّس فيه خيراً فكتب

رقعة بخطه إلى الشهيد: أن يعفوا جمال السراج ـ أي الشهيد ـ من الخراج، وعندما خرجوا من عند الوالي ووصل الشهيد إلى ذلك الشامي فقال الملعون: لا شك أن معك لجاماً تلجم به الناس. ثم غيّر الله قلب ذلك الرجل الشامي ودفع شره عن الشهيد. وكان رأس مال الشهيد نصف جمل فحسب جمال بعض رفاقه من ماله ولم يشملها الخراج.

كرامة رابعة: ما كتبه تلميذه محمّد بن علي بن حسن العودي في رسالته في أحوال الشهيد، قال: إنّ جنابه رأى في مصر رسول الله في المنام يعد الشهيد بالخير. وقال محمّد بن الحسن: لم يبقَ في بالي كيفية المنام.

كرامة خامسة: يقول محمّد بن علي بن حسن العودي: كنا مع جمع من الأصحاب الأطياب برفقة جنابه في سفر، وكان رجل من سلاطين الأزبك قد أتى من الحج ومعه جماعة أحدهم رجل شيعي عجمي ورجل عجوز، وكان هناك ملّا يصلّي السلطان معه، وكان ذلك الرجل العجوز يبتعد غاية الابتعاد عن الشهيد ورفاقه، وألقى العجمي بين السلطان والشهيد الثاني الأُلفة بحيث صلّى السلطان بقية أيامه مع الشهيد جماعة، وكلما نزلت القافلة في منزل جاء السلطان إلى الشهيد وقد ألقى الله في قلبه محبّته، ولم يصلِّ السلطان مع ذلك الملّا فلزم مسكنه الذي كان معه، فدخل الرجل العجوز الحسد والبغض للشهيد وأراد مع الملّا أن يسعيا بالشهيد إذا وصلا إلى بغداد، وعرف الشهيد نيتهما فأراد إن لم يتمكن من الزيارة أن يعود بدون زيارة الأئمة عليهم السلام إلى الوطن بشكل سري، وعندما وصل إلى الموصل أصاب الرجل السنّي العجوز ضعف بحيث لم تبقَ عنده قدرة على السفر فتخلّف عن القافلة وبقي في الموصل، وكفى الله تعالى الشهيد شره واستطاع أن يزور الأئمة عليهم السلام.

كرامة سادسة: أنّه عندما وصل الشهيد الثاني إلى حلب أراد أن لا يمكث كثيراً فيها، فجاءت قافلة تريد الذهاب إلى روم من الطريق المعهود فاستخار للذهاب بتلك القافلة فلم تكن جيدة، وكان هناك بعض طلاب العلم يذهب إلى روم من غير الطريق المعهود ويندر أن يذهب أحد من تلك الطريق، فاستخار الشهيد أن يذهب معهم فكانت الخيرة جيدة، لكن سفر ذلك الطالب والقافلة تأخّر فتفأل الشهيد بكتاب اللّه ليصبر وينتظرهم فجاءت هذه الآية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1] فاطمأنّت نفسه، ثم جاءت قافلة أُخرى تريد سلوك الطريق المعروفة فاستخار الشهيد فلم تكن جيدة، وتفأل بكتاب اللّه حتى ينتظر الذين يريدون سلوك الطريق غير المعروفة فجاءت هذه الآية: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[3]، ثم جاءت قافلة أُخرى تريد سلوك الطريق المعروفة فاستخار الشهيد للذهاب معهم فلم تكن جيدة ثم تفأل بكتاب اللّه فكانت هذه الآية: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾[4] ثم مرّت قافلة رابعة تريد سلوك الطريق المعهودة فاستخار الشهيد للذهاب معهم فلم تكن الخيرة جيدة والذين يريدون السفر من الطريق الأُخرى تأخّروا وسوّفوا اليوم وغداً.

يقول الشهيد: وفي صبح يوم السبت تفألت بكتاب اللّه فجاءت هذه الآية: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[5] فتعجبت من ذلك كثيراً

(١) الكهف ١٨ / ٢٨.
(٢)، (٣) الأنفال ٨ / ١٦.
(٤) يونس ١٠ / ١٠٩.
(٥) الأنبياء ٢١ / ١٠٣.

وقلت: إذا رحلت هذه القافلة اليوم فهذا من أعجب الأُمور، ثم اتّضح أنّهم يريدون السفر في هذا اليوم فحمدنا اللّه وشكرناه كثيراً على هذه النعمة، ثم تبيّن أنّ في إقامتنا في حلب حكماً كثيرة أقلها أنّه في الطريق المعهودة كان هناك قحط وغلاء بحيث خلت أربعة منازل من الطعام، وفي الطريق الذي سلكناه كان في كلّ منزل نعمة وافرة وزهيدة جداً بحيث إنّ قيمة حزمة علف في الطريق المعهودة بعشرة دراهم عثمانية وفي طريقنا بدرهم واحد.

كرامة سابعة: كتب الشهيد الثاني في رسالته في أحواله: أنّ من غرائب نعم اللّه التي توفّرت لي أنني كنت مرّة في القسطنطينية، فذهبنا يوماً نحن والأصحاب لزيارة مشهد أبي أيوب الأنصاري الذي كان خارج البلد، وكان السلطان محمّد قد بنى عليه قبّة، وكان ذلك اليوم في شهر جمادى الأُولى، وعندما وصلت إلى ذلك المشهد خلوت بنفسي وأخذت المصحف وتفألت في أمر زوجتي التي كانت حين فارقتها حاملاً وموعد ولادتها أوائل شهر جمادى الأُولى، ففتحت القرآن وكان في بداية الصفحة هذه الآية: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[1] فسجدت للّه شكراً وطلبت من اللّه أنْ يرزقني ولداً ذكراً مباركاً، ثم جاءتني رسالة من الوطن في التاسع عشر من شهر رجب وكان يوم الثلاثاء وبشّرتني بأن اللّه قد وهبني ولداً ذكراً، فأنشأت في ذلك الوقت هذين البيتين:

وقد منّ مولانا الكريم بفضله	عليكم بمولود غلام من البشر
فيا ربّ متّعنا بطول بقائه	وأحي به قلباً له الوصل قد هجر

إلى هنا كلام الشهيد الثاني.

وقال محمّد بن علي بن حسن: إن هذا المولود كان من زوجته الكبرى وهي

(١) الصافات ٣٧ / ١٠١.

ابنة الشيخ علي الميسي وابنة خالة الشهيد، واسم ذلك الولد محمّد وتوفي وهو صغير وأبوه غائب.

كرامة ثامنة: يقول الشهيد: سقط الثلج في بعض الأسفار وكنت أنام ليلة الاثنين فوق المنبر وكان البرد شديداً، ومن الغرائب أنّه في تلك الليلة بمجرّد أن نمت رأيت في المنام كأنني عند الشيخ الجليل محمّد بن يعقوب الكليني جالساً، وهو شيخ جميل الصورة في زينة وعظمة علم بادية من وجهه، وكان معي جماعة من أصحابي منهم: صديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد، فطالبت الكليني بنسخة الأصل من كتاب الكافي حتى أنسخها، فدخلنا البيت ثم أتى بالجزء الأول من كتاب الكافي وكان في قالب نصف الورق الشامي وفتحه وكان مكتوباً بخط حسن ومضبوط بالشكل ومصحح، وكانت رموز ذلك الكتاب مكتوبة بماء الذهب فتعجّبت من نسخة الأصل أن تكون بهذا النحو وسررت جداً، وكنت متألماً من النسخة اللاحقة فطلبت منه بقيّة الأجزاء فتألّم الكليني من تقصير الناس في استنساخ ذلك الكتاب وقال: لست أدري أين هي الأجزاء الأُخرى؟ وقال: اشتغل أنت بهذا حتى أعثر على بقية الأجزاء. ثم دخل إلى بيته ليحصل على الأجزاء ثم خرج وبيده مجلّد بخط غيره وكان في قالب ورق شامي كامل وكان ضخماً والخط غير حسن، فأعطاني إياه وشكا لي من أن الكتاب كُتب بهذه الصورة وكان متألماً من ذلك، وكان في المجلس الأخ الصالح الشيخ زين العابدين الفقعاني فقال: عندي جزء من نسخة الأصل مع الوصف المتقدّم. فسررنا بذلك وخرجنا وأعطاني إياه ثم فتش بيته وأخرج أجزاء أربعة أو أكثر على ذلك الوصف، ثم خرجنا مع الأجزاء إلى الشيخ الجليل المصنّف وكان في ذلك المكان الأول، فعندما جلسنا عنده وعدنا للحديث عن نسخ الكتاب وتقصير الناس فيه فقلت: شيخنا، في مدينة دمشق رجل من أصحابنا اسمه زين العابدين الغرابيلي نسخ كتابك في غاية الجودة وفي

ورق جيد، وذلك الكتاب مجلّدان كلّ مجلّد بقدر كتاب الشرائع، وتلك النسخة فخر على المخالف والمؤالف. فأشرق وجه الشيخ مسروراً وفتح يديه ودعا له بدعاء خفي لم أحفظه ثم استيقظت.

كرامة تاسعة: كتب محمّد بن علي بن حسن العودي: أخبرني الشهيد بعد رجوعه من زيارة العراق عن كرامات تلك الزيارات في سنة ٩٥٦: إنّني أحرزت قبلة العراق من خلال محراب جامع الكوفة الذي صلّى فيه أمير المؤمنين عليه السلام ثم وجدت أن قبلة الحضرة المقدسة على خلافه وصرت أصلي هناك منحرفاً نحو المغرب ووافق طلبة العلم على هذا الاجتهاد منّي في تحديد القبلة، لكن الشيخ موسى وكان عجمياً لم يوافق وقاطعني ثلاثة أيام وكان شديد الانكار في هذا الأمر؛ لأنّ فضلاء كثيرين صلّوا في ذلك المحراب وخصوصاً المرحوم الشيخ المحقق الثاني وغيره، ثم رأى الشيخ موسى في المنام أن رسول اللّه داخل الحرم الشريف يصلّي جماعة وقد انحرف مثل ما انحرفت فانحرف في الصلاة جماعة وتخلف بعض، وبعد انتهاء الرسول ﷺ من الصلاة توجه نحو الجماعة وقال: كلّ من يصلّي ولا ينحرف فصلاته باطلة. وعندما استيقظ الشيخ موسى من النوم جاء إلي وقبّل يدي واعتذر من عمله، فسألته عن السبب فحكى لي المنام.

كرامة عاشرة: جلس الشهيد الثاني قرب رأس الضريح المقدس في ليلة الجمعة وتلا مقداراً من القرآن ثم دعا اللّه أن يخرج له ما يصل إليه من عاقبة الأمر مع الأعداء ففتح القرآن وكانت في أوّل الصفحة اليمنى هذه الآية: ﴿فَفَرَرتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الـمُرْسَلِينَ﴾[1] فسجد للّه لهذه البشرى والتفضّل والنعمة الإلهية وشكر اللّه.

---

(١) الشعراء ٢٦ / ٢١.

الكرامة الحادية عشرة: كتب محمّد بن علي بن حسن: أنّ جنابه كان أول تأليفه كتاب شرح الإرشاد وكان يكتبه دون أن يُطلع أحداً على ذلك وأنا أيضاً لم أكن على علم بذلك، فرأيت في ليلة أن الشهيد الثاني جالس على منبر عالٍ ويقرأ خطبة لم يُسمع بمثلها في البلاغة والفصاحة، فذكرت المنام له فدخل المنزل وأتى بجزء وأراني إياه، فرأيت أنّه شرح الإرشاد وهو مشتمل على الخطبة المعروفة في كمال الفصاحة والبلاغة والبراعة وحسن الترصيع والبلاغة خصوصاً بلاغة الاستهلال الذي يبيّن موضوع الكتاب، وقد ذكر فيه أسماء كتب الفقه بأوجز عبارة وأرشق إشارة وقال: هذه من الخطبة التي سمعتها في المنام وأمرني بكتمان الأمر.

الكرامة الثانية عشرة: كتب الشيخ علي بن محمّد بن حسن بن زيد الدين في الحواشي على الدر المنثور: سمعت من بعض من أثق فيهم في بلادنا أن الشهيد الثاني رأى في المنام أنّه يسير في الجنّة، ورأى في ذلك المكان عدّة كراسٍ يجلس على كلّ كرسي أحد العلماء المشهورين، وكان جنب كرسي الشهيد الأول كرسي خالٍ لم يجلس عليه أحد فسألت: هذا الكرسي لمن؟ فقالوا: هو لك. فعلم الشهيد الثاني من ذلك الوقت أنّه سيّدرك سعادة الشهادة فبنى على تتبّع تأليفات الشهيد الأول أعلى اللّه مقامه.

الكرامة الثالثة عشرة: سنذكر فيما بعد أن جنابه أُخبر بشهادته. وقد كتب الشيخ علي في حواشي الدر المنثور: أنّه سئل الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي والد الشيخ البهائي: ماذا يقول شيخ الإسلام فيما روي عن الشيخ المرحوم المبرور الشهيد الثاني من أنّه كان يمر في إسلامبول وكان معه مولانا الشيخ سلّمه اللّه تعالى؟ فقال جنابه: قد قرب أن يقبل في هذا المكان شخص له شأن، أو ما يقرب من هذا المضمون. ثم قتل الشهيد في ذلك المكان ولا شك أنّ هذا من كراماته رحمه اللّه تعالى وأسكنه جنان الخلد. فكتب الشيخ في الجواب: نعم خاطبني بمثل هذا

الشيء وقد علمنا أنّه استشهد في ذلك الموضع، وكان هذا معلوماً للنفس الزكية حشره الله مع الأئمة الطاهرين. كتبه حسين بن عبد الصمد في ١٢ ذي الحجة الحرام سنة ٩٨٣ في مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً.

الكرامة الرابعة عشرة: وهي في رؤية محمّد بن حسن العودي للجنّة في المنام. قال: رأيت في المنام قائلاً يقول لي: لماذا أنت ضجر؟ قلت: ولم لا أكون كذلك والحال أنني غريب في البلاد؟ فقال: لا تخف ثم إنك حقاً لك سكن في اثني عشر بيتاً في كلّ منها تجري المياه. ففتحت عيني في المنام فرأيت الأمر كما ذكره، ثم استيقظت وحمدت الله ورأيت في مرضي خفة.

ثم بعد ذلك رأيت ليلة الثلاثاء رؤيا عجيبة وقد كنت أُفكر في تلك الليلة: أنني إذا مت في هذا المرض فهل عاقبة أمري خير، وهل أكون من أهل الجنة أم من أهل النار؟ ثم نظرت إلى نفسي وعيّرتها وقلت: بأي عمل تستحقين الجنة؟ والحال أنّك إذا قضيت عمرك في الأسفار مع طهارة لم يكن حسناً وليس عندك عمل تستحقين به الجنة إلا الايمان وحب أهل البيت‰. ثم قلت لنفسي: الإيمان علّة تامة لدخول الجنة، وأنا بحمد الله مؤمن وعندي ذنوب كثيرة أعاقب عليها بعد ذلك أدخل الجنة، لكن العذاب مقابل الذنوب خطر كبير إن لم يسقطها عفو الله وشفاعة النبي والأئمة.

ونمت وأنا على هذه الحال فرأيت في المنام أنني واقف في مكان لا ماء فيه ولا طعام مع وحشة شديدة ولم يكن عليّ ثياب إلا مئزر، ورأيت بدني في غاية القبح كما لو ملئ دمامل فطار عقلي، ثم جاء شخص يقول: أجب. قلت: ما الخبر؟ قال: هذا يوم القيامة وقد طلبوك للحساب. فذهبت معه حتى تركني في أرض جرداء وإذا بشخص آخر يأتي وقال: امش. قلت: إلى أين؟ فقال: أنت مأمور بالدخول إلى

النار. فصرت حزين القلب منكسر الخاطر وسرت شمالاً.

ثم قلت له: ألا تأخذوني إلى رسول اللّه والأئمة فلعلهم يشفعون؟ فقال: لسنا مأمورين بذلك. فقلت: فمر بي في مكان قريب منهم بنحو لا يصدق أنك تقصد مكانهم. فبقيت معه وإذا بي أرى الرسول وأمير المؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليهما جالسين إلى جهة اليمين وعندهما ثلاثة أشخاص جالسون في مجلس متأخّر عنهما، فعندما رأونا طلبوني فاقتربنا منهم فسلّمت بقلب منكسر وقد طأطأت رأسي حياءً لقبح منظري ولكوني قد حكم علي بالنار.

فنظر إلي الرسول وأنا مطأطأ الرأس وتأمّل مدّة طويلة ثم قال: خذوه إلى الجنة. فقال ذلك الشخص: يا رسول اللّه ليس في صحيفته أيّة حسنة وكلّها سيئات! فأشار إلي الرسول وكان بيدي صحيفتان فأعطيته صحيفة الحسنات وقد كتب في أولها بخط واضح: الأيمان وحب أهل البيت وبقية الصحيفة بيضاء لم يكتب فيها شيء، ثم أشار بالصحيفة الأُخرى فأعطيته إياها وكانت مليئة ولم يبق فيها محل لكلمة، فوضع ﷺ كلتا الصحيفتين تحت ركبته المباركة ثم قال: خذوه إلى الجنة.

فقال: يا رسول اللّه هل رأيت صحيفته؟ فأخرج ﷺ الصحيفة ونشرها فكانت صحيفة الحسنات مليئة بالحسنات من أولها إلى آخرها وصحيفة السيّئات خالية إلّا من بعض السيئات، ثم قال الرسول ﷺ له: انظر. فقال: الأمر لك. فأشار الرسول ﷺ إلى جهة اليمين وقال: خذوه إلى الجنة. فقالوا: يا رسول اللّه، لسنا ممن يأخذ الشخص إلى الجنة. فقال الرسول لي: اذهب بنفسك إلى الجنة.

فقلت: يا رسول اللّه، أين هي الجنة؟ فقال: اذهب من ناحيتي إلى اليمين. وقال: سترى باباً عالياً نورانياً فادخل منه. فقلت: يا رسول اللّه، سيكون الباب مفتوحاً؟

فقال: نعم مفتوح إن شاء اللّه تعالى. فقلت: يا رسول اللّه، كيف أدخل الجنة وأنا على هذه الهيئة القبيحة؟ فقال: إذا دخلت ستجد نهر الكوثر عند باب الجنة فاغتسل فيه يزول عنك ما أساء منظرك، ثم اعبر إلى الجانب الآخر ستجد ملابس جاهزة فالبس قدر حاجتك، ثم اجلس واسترح وكل مما يوجد هناك؟ فقلت: وماذا هناك؟ فتبسّم وقال: سؤال جميل: ثم قال: هناك الرطب والعنب واللبن. فقلت: وحقّك أيها الرسول إنّي أُحب الرطب واللبن. فقال: نعم هو طعام ولايتكم. فقلت: وماذا أفعل هناك يا رسول اللّه؟ فقال: ابقَ هناك حتى يأتيك شخص يوصلك إلى المكان الذي أعدّه اللّه لك.

ثم تركت الرسول وبعد طي قليل من الطريق رأيت باباً عالياً نورانياً وهو مفتوح ولا يوجد أحد عنده، فدخلت ووصلت إلى نهر الكوثر فرأيته جارياً فاغتسلت فيه وارتفع سوء المنظر الذي كان لبدني، وعبرت إلى الجهة الأُخرى فرأيت ألبسة متعددة بعضها في صندوق كبير وبعضها في سلال صغيرة فارتديت بعضها، ونظرت فرأيت أشجاراً كثيرة وأرضاً جميلة وثماراً تنالها اليد ورطباً ولبناً وعنباً كما أخبر الرسول، فأكلت قدر كفايتي وجلست ساعة واسترحت مما كنت فيه من المحن الشديدة وذلك الرعب والخوف الذي كان في قلبي.

ثم جاء شخصان فسلّما وقالا: قم لترى ما وعد اللّه به. فسرت معهما قليلاً من الطريق فأدخلاني في باب حسن متوسّط العلو ونظرت فرأيت أشجاراً مثمرة في أرض خضراء جميلة فقالا: هذا أول مقامك. فسرت قليلاً فوصلنا إلى قبّة على أعمدة بلا جدران وحولها أنهار تجري فقالا: اجلس. فجلست.

ثم قالا: ألا تأكل شيئاً؟ قلت: لا ضير في ذلك. فاحضرا مائدة فيها أنواع الأطعمة وتفوح منها رائحة طيبة وقد أتى بالمائدة شباب حسان الوجوه ومعهم

امرأة في عمر متوسط فبسطوا المائدة وقالوا: كل. فقلت: ألا تأكلون معي؟ فقالوا: نحن ملائكة وهؤلاء الخدام. فقلت لتلك المرأة: ألا تأكلين معي؟ فقالت: نعم وسيأتيك عن قريب من يأكل معك وأحب إليك مني. وإذ بامرأة جميلة قد أتت لم أرَ مثلها في العباد وعندما اقتربت سلّمت وقبّلت ركبتي وجلست إلى يميني فقلت لها: بسم اللّه لنأكل.

ثم سألت المرأة الأُولى: من هي هذه؟ قالت: هذه من حور العين التي أعدّها اللّه لك. ثم أكلنا حتى اكتفينا وكنت أنظر إلى تلك المرأة متحيّراً من حسن منظرها، ثم قال الملكان اللذان كانا معي في البداية: قم لترى ماذا أعطاك اللّه؟ فوقفت وسرت معهما وإذ بثلاثة أو أربعة من حسان الوجوه ومعهم دابة هي بين الفرس والبغل وجميلة وعليها زينة، فقالوا لي: اركب. فركبت وساروا أمامي وسرنا ساعة في بساتين وأنهار، ثم قالوا: كم سرنا؟ قلت: لا أدري. قالوا: حوالي مئة فرسخ وبقي أضعاف ذلك في الجهة التي نحن فيها.

ثم أخذوني إلى اليمن ومضت ساعة حتى وصلنا إلى حائط فقلت: ماهذا الحائط؟ قالوا: هذه حدوده ملك الشيخ زين الدين. فقلت: وأين هو الآن الشيخ زين الدين؟ قالوا: في الموضع الذي أعطاه اللّه تعالى إياه. فقلت: هل بقيت جراحات بدنه من أهل البغي والعدوان أم لا؟ قالوا: لم يبق منها شيء إلّا جرحاً واحداً على كتفه يضيء كالنجم وهي علامة باقية. فقلت: ومن عند الشهيد الثاني؟ قالوا: جميع أصحابه عنده. وذكروهم فمنهم: الشيخ محمّد الحر والسيّد علي والشيخ بهاء الدين وجماعة نسيت أسماءهم. فقلت: أود أنّ أرى السيّد علي بن الصائغ. فقالوا: سيأتي إليك الآن.

وبينما نحن نتحدّث إذ رأيت رجلين جالسين وعليهما الهيبة والوقار، فقلت: من

هما؟ قالوا: أحدهما الإمام موسى الكاظم والآخر الإمام الرضا عليهما السلام، فتقدّمت وسلمت عليهما ورداً السلام وقالا: بارك اللّه لك بما أنعم عليك. وبقيت عندهما ساعة ثم فارقاني وحينئذٍ أتى السيّد علي فاستقبلته وبدأنا بالحديث، فسألت عن الشيخ الشهيد الثاني وأصحابه فقال: هم بخير. وقال: لا ضير في أن نعيّن مواضع بعض الذين سيأتون. فذكر السيّد علي بن الصائغ وابن عمه الشيخ زين الدين وأسماء أُخرى نسيتها ثم استيقظت وقد استولى عليَّ العرق وشفيت.

وقال الشيخ أسد اللّه الكاظمي في كتاب المقابيس: إنّ للشهيد إجازة من الشيخ علي بن عبد العالي الميسي بواسطة وبلا واسطة. وأمّا علي بن عبد العالي الكركي الملقب بالمحقّق الثاني فللشهيد الثاني إجازة منه بواسطة ولا واسطة.

يقول مؤلّف الكتاب: إنّ في تلمذ الشهيد الثاني للمحقق الثاني ريباً، وقد نقل في شرح اللمعة في كتاب الطهارة أو اللعان أو الإيلاء أو الخلع قولاً عن المحقّق الثاني تدلّ عبارته على أن المحقق الثاني أُستاذه، وقد ذكر الشيخ البهائي في كتاب الأربعين إجازة الشهيد الثاني من المحقّق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، وذكر الملاّصدرا في كتاب شرح أُصول الكافي إجازاته، وله إجازة من شخصين أحدهما الشيخ البهائي: والآخر الميرداماد، وقال في تلك الإجازة: إنّ الشهيد الثاني له إجازة من علي بن عبد العالي الكركي المعروف بالمحقّق الثاني. ثم ذكر في إحدى الإجازتين إجازة الشهيد من الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المذكور.

ومن كرامات الشهيد الثاني: أنّه وجد بخطه مئة كتاب غير ما تلف واحترق من الكتب الكثيرة، وهذا من أعظم الكرامات والتأييدات الربانية مع أنّه كان مشوش الخاطر جداً ومضطرب الحال من الدهر الغدّار وكان ذا موانع كثيرة، وقد ذكر هذا الشيخ أسد اللّه الكاظمي في كتاب المقابيس.

والحمد لله فقد كتبت بخط يدي أكثر من ١٥٠ كتاباً.

ومن كرامات الشهيد الثاني في مجال الحبر: ما ذكره الشيخ أسد الله الكاظمي في المقابيس من أنّ كرامته المشهورة أنّ القلم يملؤه مرة من الدواة ويكتب به عشرين وثلاثين سطراً ولعل ذلك باختلاف الأسطر والأزمنة والأحوال. إلى هنا كلام الشيخ أسد الله.

وقال الشيخ علي في الدر المنثور: إنّه جُمعت في زمان الشهيد الثاني ووالدي الشيخ محمّد كتب كثيرة مع كتب الشيخ محيي الدين جدّ صاحب المعالم لأُمه، وكانت تلك الكتب تصل إلى حد أنّه احترق ألف مجلد وبقي عندنا ألف، وقسم من مجلّدات الكتب بخط الشهيد الثاني، وجنابه من أعيان فقهاء الفرقة الناجية الإمامية الاثني عشرية، ومحاسنه أكثر من تحصى، وكتابه الروضة مرجع الطلاب والمعلّمين والمتعلّمين ومسالكه مرجع الفقهاء الأطياب في كلّ باب، وكل مصنّف جاء بعد المسالك فقد سلك سبيله وإن زاد في الفروع وأضاف تحقيقات.

وقال الشيخ أسد الله: إنّ الشهيد صهر الشيخ علي بن عبدالعالي الميسي.

وكتب تلميذ الشهيد الثاني الشيخ محمّد بن علي بن حسن العاملي كتاباً في أحوال وأوصاف أُستاذه وقال: إنّه كان مجمع المفاخر والمحاسن وشيخ الأُمة ومبدأ الفضائل ومنتهاها، ولم يصرف لحظة من عمره إلّا في اكتساب فضيلة من الفضائل، وقسّم أوقاته في اليوم والليلة بما ينفعه.

ثم ذكر محمّد بن علي أوقات التصنيف والمطالعة والمراجعة والاجتهاد في العبادة والنظر في أحوال المعيشة وقضاء حوائج المحتاجين واستقبال الضيوف بالبشاشة والحفاوة، وفي الليل يجمع الحطب لعياله، ويؤدي صلاة الصبح في المسجد، وبقية اليوم كان يشتغل بالتدريس ويصلّي العشاء جماعة، ثم يذهب إلى

كرمه ويصلحه ويحافظ عليه ويصلي الصبح في المسجد، ثم بعد ذلك يدرّس، ثم ذكر أن جنابه وصل في الأدب والفقه والتفسير والحديث والعلوم العقلية والهيئة والهندسة والحساب إلى حد الكمال.

وكانت ولادته في الثالث عشر من شوال سنة ٩١١ للهجرة. وقد ختم القرآن ولم يتجاوز عمره الشريف تسع سنين، ودرس عند أبيه الفنون القريبة[1] والفقه حتى انتقل والده إلى رحمته تعالى سنة ٩٢٥، فهاجر لطلب العلم إلى ميس وتلمذ لعلي بن عبد العالي الميسي في أواخر سنة ٩٣٣، ثم سافر إلى كرك وتلمذ للسيّد حسن بن جعفر بن فتون، ثم عاد في سنة ٩٣٤ إلى وطنه جباع ثم ذهب إلى دمشق ودرس هناك لدى جماعة مثل شمس الدين محمّد بن مكي والشيخ أحمد بن جابر ثم عاد إلى جباع، وفي سنة ٩٣٨ سافر إلى مصر لدراسة بعض العلوم فتلمذ لجمع من علماء العامة في الفقه والحديث وغيرهما، فدرس عند ١٦ عالماً من علماء مصر، ثم تشرّف بالذهاب إلى مكة سنة ٩٤٤ وأتى بالحج وعاد إلى جباع، ثم ذهب إلى العراق سنة ٩٤٦ لزيارة الأئمة الأطهار وعاد في تلك السنة، بعد ذلك في سنة ٩٥١ سافر إلى روما وبقي ثلاثة أشهر ونصف الشهر في القسطنطينية، وفوّضت إليه المدرسة النورية في بعلبك فعاد إلى بعلبك وأقام فيها ودرّس المذاهب الخمسة مدّة طويلة. إلى هنا حاصل كلام محمّد بن علي بن حسن.

وفي تلمذ الشهيد الثاني لعلماء العامة ـ كالشهيد الأول والعلامة ونحوهما ـ قد أعرض عنه البعض مثل صاحب المعالم وقالوا: إنّ غرضهم وإن كان صحيحاً لكن تترتب عليه مفاسد. لكن هذا الكلام لا يحسن؛ لأنّ الرجل يجب أن يطّلع على علوم وكتب الضلال ليتمكّن من رفعها ودفعها والاحتجاج عليها.

---

(١) قد يكون المراد «العربية» فكتبت سهواً «القريبة». (المترجم).

وتأليفات هذا المعظم كثيرة وقد عدّ الشيخ أسد اللّه الكاظمي ستين تأليفاً حسب ما وصل إليه اطلاعه منها: كتاب المسالك في سبعة مجلّدات ولم يظهر مثله في المعاملات من العلماء الأطياب قبله، والمعروف أنّ المسالك عندما جيء به إلى إصفهان قال علماؤها: إنّ هذا الكتاب جيّد لطلّاب المكتب. وعندما وصل شرح اللمعة إلى إصفهان اعترف جميع فضلائها بفضيلة جنابه.

وله كتاب شرح الإرشاد المسمّى بروض الجنان، وقد خرج منه كتاب الطهارة والصلاة، وهو أول تأليفاته وقد صنّفه بعد ظهور اجتهاده وبروز ملكة التصنيف وقد مضى من عمره ٣٣ سنة.

وكتاب شرح الألفية المسمّى بالمقاصد العلية، وشرح آخر متوسّط وشرح ثالث مختصر؛ والفوائد الملية في شرح النفلية، وشرح اللمعة في مجلّدين وقد كتبوا عليه حواشي كثيرة منهم: الفاضل الهندي صاحب كشف اللثام الذي كتب تعليقة مفصّلة على الطهارة والصلاة منه، والميرزا محمّد ديلماج، والشيخ علي ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني وتعليقته مفصّله في مجلّدين اسمها الزهرات الدوية، وسلطان العلماء كتب مختصراً واشتملت تعليقته على إيرادات ردّ أكثرها حفيد الشهيد الشيخ علي، والآغا جمال الخوانساري كتب تعليقة من أوله حتى آخره في مجلّدين أو ثلاثة وقد فصّل مع ذكر الاستدلال في بعض المواضع واختصر في مواضع أُخرى ولم يتعرض لأكثر المواضع، والشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني علّق على الطهارة والصلاة منه ولا تخلو تعليقته من دقّة، ومحمّد صادق بن عبد الفتاح التنكابني، والميرزا ابراهيم ابن الملّا صدرا كتب من الطهارة حتى الزكاة، والآغا محمّد علي بن باقر الهزار جريبي في ثلاثة مجلّدات بل كتب تعليقة عليها في غاية الفقاهة، وللآغا رضا القزويني تلميذ الملّا خليل القزويني حواشٍ غير مدونة وللشيخ البهائي حواشٍ قليلة لم تدوّن، وللملا محمّد نوري

حواشٍ عليها غير مدونة، ولي عليها حواشٍ من الطهارة حتى الديات في عدّة مجلدات، وللملا الميرزا الشيرواني أيضاً حواشٍ غير مدونة، وللملا صالح المازندراني كذلك، وغير ذلك من الحواشي الصادرة عن أقلام الأعلام. وكان شرح اللمعة آخر تأليفات الشهيد كتبه في ستة أشهر وستة أيام؛ لأنه كتب في ظهر نسخة الأصل تاريخ الشروع في التأليف، وفي آخرها تاريخ الانتهاء منه.

ولي حواشٍ غير مدوّنة على كتاب المسالك، وكذلك الآغا محمّد باقر البهبهاني ولكنّها مدوّنة.

ومن جملة تأليفاته: حاشية فتوى خلافيات الشرائع، وحاشية القواعد، وكتاب تمهيد القواعد في مئتي باب: مئة باب في النحو ومئة باب في الأُصول، عنون في كلّ باب قاعدة وفرّع عليها فروعاً كثيرة وغالباً ما ينقل الأقوال؛ وحاشية الإرشاد، ومنية المريد في آداب المفيد والمستفيد وهي آداب المتعلمين تقرب من ثلاثة آلاف بيت كلّ بيت خمسون حرفاً، ومن جملة اللطائف التي كتبها في الكتاب: أن لماذا كان العلماء في الأيام السابقة محترمين ولكن زالت حرمتهم في هذه الأزمنة؟ فقال: إنه في الأيام السابقة كان أهل الدنيا يلازمون العلماء ويطلبون منهم أن يعيشوا معهم والعلماء يستنكفون فلم يعاشروا أهل الدنيا الدين كانوا يظنون أن إكسير العظمة موجود عند العلماء، وكان العلماء فارغي الأيدي. إلى هنا حاصل كلام الشهيد في ذلك الكتاب، وفي الحقيقة أنّ هذا الكلام يحكي حقيقة الحال بالوجه المصيب.

ومن تأليفاته: حاشية على المختصر النافع، ورسالة في أسرار الصلاة، ورسالة في نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها، ورسالة في اليقين بالطهارة والحدث والشك في المتأخر والسابق، ورسالة في الحدث الواقع أثناء غسل الجنابة، ورسالة في تحريم

طلاق الحائض الحامل المدخول بها وزوجها حاضر، ورسالة في طلاق الغائب، ورسالة في صلاة الجمعة، ورسالة في الترغيب بصلاة الجمعة، ورسالة في آداب الجمعة، ورسالة في المقيمين في الأسفار، ورسالة في مناسك الحج، ورسالة في نيابة الحج والعمرة، ورسالة في أحكام الحياة، ورسالة في ميراث الزوجة، ورسالة في بيان عشرة مباحث مشكلة في عشرة علوم، وكتاب مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد يذكر فيه ثواب الصابرين من الأخبار والآيات وخصوصاً الصبر على مصيبة فقد الأولاد، وذكر في آخر الكتاب: إلهي، أنا معتقد بهذا الثواب لكن لا تبتلني بألم فقد الأولاد فلا طاقة لي على ذلك ولا أطلب هذا الثواب وأفض علي ثواباً آخر عوضاً عنه.

وله كتاب كشف الريبة في أحكام الغيبة، ورسالة في عدم جواز تقليد الميت، ورسالة في الاجتهاد، وبداية الدراية، وشرح البداية، ولي حواشٍ على شرح البداية لكنّني لم أدوّنها وهي حواشٍ مشتملة على قواعد كثيرة، وفي تلك الحواشي كتبت إجازة ولدي محمّد تقي وموسى؛ وكتاب غنية القاصدين في اصطلاحات المحدثين، وكتاب منار القاصدين في أسرار معالم الدين، ورسالة في شرح «الدنيا مزرعة الآخرة»، وكتاب الرجال والنسب، ورسالة في تحقيق الإيمان والإسلام، ورسالة في تحقيق النية، ورسالة في تحقيق الإجماع، وكتاب الإجازات، وحاشية على عقود الإرشاد، ومنظومة في النحو وشرحها، ورسالة في شرح البسملة، وأسئلة الشيخ زين الدين وأجوبتها، وفتاوى الشرائع، وفتاوى الإرشاد، ومختصر منية المريد، ومختصر مسكّن الفؤاد، ومختصر خلاصة ورسالة في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[1]، ورسالة في العدالة، وجواب المسائل الخراسانية،

(١) الواقعة ٥٦ / ١٠.

وجواب المسائل النجفية، وأجوبة المسائل الهندية، وأجوبة المسائل الشامية، والرسالة الإسلامبولية في الواجبات العينية، والبداية في سبيل الهداية، وفوائد خلاصة الرجال، ورسالة في أحواله وقد أضاف إليها تلميذه محمّد بن حسن وزاد عليها حفيده الشيخ علي، وغير ذلك من الرسائل والإجازات والحواشي.

وفي شهادته اختلاف، وقد سمعت من الملّا صفر علي اللاهيجي أنّه عندما اشتهر الشهيد في بلاد العرب بالعلم انزعجت العامة العمياء من ذلك، وأبلغوا سلطان الروم أن الشيخ زين الدين شيعي، فأرسل السلطان سبعة أشخاص ليأتوا به إليه ويستفسر عن ذلك، وهؤلاء السبعة أساؤوا الأدب مع الشهيد وظهرت له في الطريق كرامات كثيرة، ففكّروا فيما بينهم أنّهم إذا أخذوه إلى السلطان فسوف ينجو وقد أسأنا الأدب معه فسنهلك فقتلوه، وأتوا برأسه إلى السلطان، فسمع بذلك السيّد عبد الرحيم العباسي وهو من نسل العباس بن عبد المطلب، وكان شيعي الباطن ومن المخلّص للشهيد، وكان له منصب مستوفي الممالك فأخذ مقلمته وذهب إلى السلطان ووضع المقلمة أمامه وطلب منه أن يعفيه من الخدمة، فسأل السلطان عن السبب وأصرّ على ذلك فقال له: إنّ العاملين عند السلطان خرجوا عن قاعدة وقانون أعيان العالم، أرسلتهم ليأتوا بالشيخ زين الدين حتى يناقش العلماء ويظهر مذهبه وهم يأتونك برأسه ولم تحاسبهم على ذلك، فما يمنع من أن تطلبني لأمر فيأتونك برأسي؟ فالخدمة في مثل هذه الدولة خطأ فاعفني. فقبل السلطان كلامه ووهبه السبعة فأمر السيّد بأخذهم وإحراقهم بالنار.

وقال في كتاب أمل الآمل: إنّ سبب قتله على ما سمعت من بعض المشايخ ورأيته بخط بعض أنّه جاء شخصان يترافعان عند الشهيد الثاني فحكم لأحدهما وغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا الذي كان معروفاً، وكان الشهيد في هذه الأيام يسكن في مكان بعيد، وهو في كرم عنب مشغول بتأليف اللمعة يكتب

كلّ يوم كرّاساً هو عبارة عن جزء، فأرسل قاضي صيدا إلى جباع من يأتي به، وقد ذهب الشهيد في تلك الأيام لحج بيت اللّه مع أنّه حجّ عدّة مرات وكان يقصد التخفي ولا يطّلع أحد على أحواله، وكان يجلس في أثناء الطريق على محمل ويوضع عليه الستار، فلم يجده ذلك الشخص الذي ذهب إلى جباع، وقال أهل البلد: إنّه مسافر منذ مدّة. فكتب قاضي صيدا إلى سلطان الروم أنّه ظهر في بلاد الشام شخص مبدع خارج عن المذاهب الأربعة. فأرسل السلطان في طلبه شخصاً أن ائت به حيّاً ليناظر العلماء حتى نطّلع على مذهبه لنحكم بما يقتضيه مذهبنا. فجاء ذلك الشخص وسأل عنه فقالوا: ذهب إلى مكة. فسافر في طلبه والتقاه في أثناء الطريق إلى مكة، فقال له الشهيد: ابق معي حتى نحجّ وبعد ذلك نذهب حيث تشاء. فوافق ذلك الشخص وبعد الفراغ من الحج أخذه إلى الروم وعندما وصلوا جاء شخص وسأل الذي يرافق الشهيد: من هذا الرجل الذي معك؟ فقال له: هذا رجل من علماء الشيعة الإمامية أُريد أن آخذه إلى السلطان. فقال ذلك الشخص: أنت قد قصرّت في خدمته أثناء الطريق وضيّقت عليه ألا تخاف أن يشكوك إلى السلطان؟ وله هناك أنصار يعينونه في ذلك وفي هذا الهلاك، فالصواب أنْ تقطع رأسه وتبعث به إلى السلطان. فذهب ذلك الملعون المطرود الطالح عاقر نافة صالح إلى شاطئ البحر وقطع رأسه الطاهر، ورأت في تلك الليلة طائفة من التركمان أنواراً تنزل من السماء إلى ذلك المكان وتصعد، فدفن التركمان البدن الطيب في ذلك المكان وبنوا فوقه قبّة، وعندما أخذ ذلك الملعون الرأس المبارك إلى السلطان أنكر أنه قتله، وسعى السيّد عبد الرحيم العباسي في قتل الملعون فقتله السلطان. إلى هنا كلام أمل الآمل.

وأرّخ بعض الأُدباء تاريخ وفاته بقوله: «ذلك الأواه الجنة مستقره واللّه». وفي اللؤلؤة: إنّ هذه العبارة تشعر بأن وفاته كانت سنة ٩٧٦، والجنة يجب أن تقرأ بالهاء لا بالتاء وإلا لزاد الرقم عن الألف، والذي اطلعت عليه من مواضع مختلفة أن سنة

وفاته كانت ٩٧٥، فيكون عمره ٥٥ سنة أو ٥٦ وستة أشهر، ويؤيد هذا أنّه ذكر الشيخ علي حفيد الشهيد في كتابه الدر المنظوم والمنثور في ترجمة ولده[1] الشيخ حسن أنّ أباه استشهد سنة ٩٦٥. إلى هنا كلام اللؤلؤة. وفيه سقطات وخبطات ظاهرة؛ لأن عبارة ذلك البعض من الأدباء غلط بين؛ لأنّ تلك العبارة تزيد عن الألف، إضافة إلى أن كلام الدر المنظوم كثير المنافاة مع ما ذكرته اللؤلؤة في صدر كلامها إلا إذا كانت تلك العبارات غلطاً، والذي أعرفه وذكرته في تذكرة العلماء أنّ ولادته سنة ٩١١ ووفاته ٩٦٦.

وقال صاحب اللؤلؤة: وجدت في بعض الكتب المعتبرة في حكاية قتل الشهيد الثاني ما هذه صورته: أُخذ الشهيد الثاني من مكة المشرّفة بأمر السلطان سليم سلطان الروم في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٩٦٥ في المسجد الحرام وأخرجوه إلى بعض بيوت مكة وحبسوه فيها مدّة شهر وعشرة أيام، ثم أخذوه إلى القسطنطينية من طريق الساحل وقتلوه في تلك البلد وتركوا بدنه المبارك ثلاثة أيام ثم رموه في البحر. وهذه الكيفية نقلت عن خط الشيخ الأفضل بهاء الدين. إلى هنا كلام اللؤلؤة.

وذكر العلامة المجلسي في كتاب البحار نقلاً عن الثقات عن الشيخ البهائي عن والده الشيخ حسين تلميذ الشهيد الثاني أنّه قال: ركبت أنا وأُستاذي الشهيد الثاني ولما وصلنا إلى موضع في إسلامبول تغيّر وجه الشهيد وظهر ذلك على بشرته المباركة وقال: يهرق هنا دم شخص عظيم. وبعد مدّة أُهرق دمه المبارك في ذلك المكان، وهذا من كراماته.

وهناك كرامة أُخرى له ظهرت بعد شهادته وهي: سقوط مطر عظيم غزير عادي في إسلامبول وهيجان البحر بحيث كادت إسلامبول تغرق.

---

(١) أي ولد الشهيد الثاني (المترجم).

(٤١)
الملّا خليل القزويني ﷺ

الملّا خليل القزويني، مقبرته في قزوين، والمدرسة التي هي قرب المقبرة منسوبة إليه وهي الآن خربة.

ولم يعلم ممّن له إجازة، لكنه كان أخبارياً وصاحب فضل، كتب شرحاً على الكافي بالفارسية وعندي شرح كتاب الزكاة. ومن تلامذته رضا القزويني وهو فاضل جداً وصاحب تأليفات خصوصاً تأليفاته في المسائل العديدة من العلوم العقلية والنقلية والرياضيات، وهذا يدل على أنّ أُستاذه كان فاضلاً لأنّ كلّ تلميذ هو غالباً مظهر كمالات أُستاذه.

وقد أخطأ الملّا خليل القزويني في مسألتين:

إحداهما: جواز الترجيح بلا مرجح مثل أخذ الجائع لأحد الرغيفين بلا ترجيح، ومثل أخذ العطشان لأحد القدحين.

والحال أنّ المتكلّمين ذكروا هذا المورد من النقض وأجابوا بأنه في الأمثلة المذكورة المرجّح هو الإرادة، ولو كان الترجيح بلا مرجح جائزاً لا نسدّ باب إثبات الصانع؛ لأنّ الممكن يتساوى بالنسبة إلى الوجود والعدم ـ بحسب ذاته ـ فلو جاز الترجيح بلا مرجح لأمكن وجود الممكن بلا صانع فلا يمكن بعد إثبات الصانع.

والمسألة الثانية: أن الشكل الأول ـ من الأشكال الأربعة في القياس ـ غير منتج؛ لأنه يستلزم الدور؛ لأنّ النتيجة تتوقّف على الكبرى والكبرى تتوقّف على

النتيجة والدور باطل، فالشكل الأول باطل وعليه فالاستدلال بالشكل الأول في كلّ حال باطل.

وكان قد ذكر هذه الشبهة الشيخ أبو سعيد أبو الخير وأرسلها الشيخ محمّد إلى الشيخ أبي علي ابن سينا وهي: أنكم ـ يا أهل الاستدلال ـ عليكم أن تثبتوا المطلب بأحد الأشكال الأربعة والأشكال الثلاثة ـ غير الأول ـ تتوقّف صحّتها على الشكل الأول والشكل الأول مستلزم للدور، وكل دليل لا ينتهي إلى الشكل الأول لا ينتج حسب اعتقادكم، وتعتقدون أن الشكل الأول بديهي الإنتاج مع أنّه مستلزم للدور وهو باطل.

فكتب الشيخ الرئيس في الجواب: أن الشبهة ترتفع بالإجمال والتفصيل فلا يتّحد الموقوف عليه والموقوف، فالكبرى تتوقّف على النتيجة إجمالاً والنتيجة تتوقف على الكبرى تفصيلاً.

والحاصل لما اختار الملّا خليل تينك المسألتين اشتهر أمره في البلاد، وعندما سمع بذلك علماء إصفهان مثل الآغا حسين وإضرابه أنكروا ذلك وشنّعوا عليه، ولما وصل تشنيعهم إلى الملّا خليل أتىٰ إلى إصفهان ليجادلهم في ذلك، فدخل المدرسة التي يدرس فيها الآغا حسين الذي كان في البيت، وكان في المدرسة الملّا محمّد بن حسن الشيرواني وهو يدرس عند الآغا حسين، واتّفق أنّ الملّا خليل دخل غرفة الميرزا فسأله الميرزا عن حاله فقال له: أنا الملّا خليل القزويني وسمعت أن الآغا حسين شنّع عليّ في المسألتين المعروفتين فأتيت لأُناقشه. فقال له الميرزا: قل لي لماذا الشكل الأول لا ينتج؟ فقال الملّا خليل: لأنّه يلزم منه الدور والدور باطل فالشكل الأول باطل. فقال له الميرزا: دليلك هو الشكل الأول، وفيه صغرى وكبرى ونتيجة: وأنت لاترى أنّ الصغرى والكبرى تستلزم نتيجة، فدليلك بناءً

على مذهبك باطل. فلم يصبر حينئذٍ الملّا خليل حتى يخرج الآغا حسين بل نهض من فوره وركب دابته وعاد إلى قزوين.

وكان له ولد فاضل معروف بالملّا سليمان ابن الملّا خليل القزويني، وهو صاحب تأليفات.

(٤٢)

الآغا حسين بن محمّد الخوانساري

وكان من جهابذة جمهور الأكابر والأكارم الأفاضل الكمّل، ويقال له: أُستاذ الكل في الكل. وكان في بداية أمره مشغولاً بعلم الحكمة، وكان ماهراً في هذا العلم ووحيد عصره فذهب في ليلة مع فقيه في ضيافة بعض الناس وعندما حان وقت النوم أتوا للفقيه بفراش ولم يأتوا للآغا حسين بشيء، فقال الفقيه للآغا حسين: افرش الهيولى وافرش عليها الصورة ثم نم. وفي اليوم التالي توجّه إلى المحقق السبزواري محمّد باقر صاحب الذخيرة وشرح عبادات الإرشاد والكفاية وهو من تلامذة الشيخ البهائي وعنده إجازة منه، فحضر في مجلس درسه وتتلمذ له في العلوم النقلية مدّة ١٢ سنة حتى أخذ منه الإجازة، ثم تزوج ابنته فولدت له الآغا جمال؛ وحيث كان يدرس العلوم العقلية والنقلية قيل له: أُستاذ الكل في الكل. ومن تلامذته الآغا جمال ابنه والملّا الميرزا محمّد بن حسن الشيرواني.

وطلب منه السلطان الصفوي في ذلك الزمان أن يكتب كتاباً وهو يتكفّل مصاريفه، فبدأ بشرح كتاب للشهيد الأول فشرح، ورقتين منه بسبعة عشر ألف بيت ثم توفّي السلطان فترك الآغا حسين الكتابة فسئل عن ذلك فقال: إنّ الذي كان يؤلف هو السلطان لا أنا. وهذا الكتاب مسمّى بمشارق الشموس في شرح الدروس. ولصاحب الوسائل إجازة منه. رحم اللّه معشر الماضين وأطال اللّه أعمار الباقين بمحمد وعترته الطاهرين.

(٤٣)
الآغا محمّد ابن الآغا حسين الخوانساري

وهو ابن العالم الآغا حسين الخوانساري الملقب بجمال الدين والموصوف بالمحقق الخوانساري، لا نظير له في التحقيق والتدقيق ولا عديل، وله إجازة من الملّا محمّد تقي المجلسي.

وتأليفاته: تعليقة على شرح مختصر الأُصول، وتعليقة على شرح اللمعة في غاية المتانة والتدقيق، وتعليقة على حاشية البرخفزي على الهيات شرح التجريد للقوشجي، وشرح فارسي على كتاب مفتاح الفلاح للشيخ البهائي.

ويقال: إن الآغا جمال قال عبارة خلط فيها بين التأنيث والتذكير، فقيل له ذلك فقال: الأمر في التذكير والتأنيث سهلة. فخلط في الجواب بينهما أيضاً.

وفي سنة أراد الملّا محسن الفيض الحج فسافر من طريق كاشان فدخل إصفهان وحلّ ضيفاً عند الآغا حسين، وكان الآغا جمال حاضراً في المجلس فسأل الملّا محسن الآغا جمال عن مسألة فلم يجب، وكان في ذلك الوقت يقضي أكثر أيامه بالبطالة، فضرب الملّا محسن كفّيه ببعضهما وقال: مؤسف أن يقفل باب بيت الآغا حسين. فأثّر فيه هذا الكلام وبدأ بالعمل. وبعد رجوع الملّا محسن من مكة جاء إلى بيت الآغا حسين وصار يتحدّث مع الآغا جمال فرآه فاضلاً ثم قال: هذا الآغا جمال غير ذلك الآغا جمال الذي رأيناه في السنة الماضية.

ومرّة أحضروا الطعام للآغا جمال وكان مشغولاً بالمطالعة فتركوا السفرة وهو

لم يلتفت أبداً حتى ارتفع أذان الفجر، فرفع رأسه فرأى العشاء حاضراً فقال لهم: لماذا أتيتم بالعشاء متأخرين؟ فقالوا: قد أتينا به من أول الليل وأنت لم تلتفت.

وكان السلطان يعطيه كلّ سنة أربعة آلاف تومان على القضاء، فجاءه مرة أحد الأعيان وجلس عنده ثم جاء شخص وسأل الآغا عن مسألة فقال: لا أدري الآن. ثم جاء شخص آخر وسأل عن مسألة وكان الجواب: لا أدري، حتى جاء أربعة والجواب: لا أدري، فقال ذلك البعض من الأعيان: أنت تأخذ كلّ سنة أربعة آلاف تومان لأنّك عالم وكل من يأتيك للسؤال في هذا المجلس تقول له: لا أدري! فقال الآغا جمال: أنا آخذ أربعة آلاف تومان على ما أعرفه ولو أردت أن آخذ مقابل ما لا أعرفه فلن تكفي خزانة السلطان. رحمة اللّه عليه وعلى علمائنا الماضين.

(٤٤)
الميرزا محمّد بن حسن الشيرواني

الملّا الميرزا محمّد الشيرواني شعلة ذكاء ووارث محاسن الفضلاء ومقتدى المدققين من العلماء، الملقب بالمحقّق الشيرواني والمعروف بالملّا الميرزا الشيرواني، أفكاره الأبكار نتيجة أفكار الأسلاف الأشراف من الأولين، وأقواله المنثورة في سطور المتأخّرين هي كالشمس المشرقة المنيرة، وذهنه الصافي يقرب من الحدس، ودقائق لطائفه في غاية الجمال، وهو من تلامذة أُستاذ الكل في الكل الآغا حسين، وإجازته من العالم بلا نقص الآغا حسين.

وفي زمان أتى العالم الرباني والفاضل بلا ثانٍ مشيد الألفاظ والمباني والمعاني الملّا الميرزا الشيرواني إلى الآغا حسين بلباس شيروان، وكان جنابه حينذاك يدرّس شرح الشيخ أبي علي على الإشارات، فبدأ يعترض عليه وأكثر من الإشكالات فسأله الآغا حسين عن اسمه وعنوانه فلما عرفه قال: أنا لم أُحضّر الدرس لك وهذه الليلة أحضره. فألقى رحله عند الآغا حسين وتلمذ له.

ومن جملة فتاواه الغريبة: أنّه لا يلزم التروّي في شكوك ركعات الصلاة، وقد نقلت هذا القول في كتاب بدائع الأحكام في شرح شرائع الإسلام وضعّفته غاية التضعيف.

ويقال: إنّه كان يوماً جالساً على حافّة حوض المدرسة والطلاب مجتمعون حوله، فأقام سبعين دليلاً على أنّه يجب أن يكون هذا الحوض فارغاً من الماء

وعجز الطلاب عن ردها وتلبستهم الشبهة، فأخذ جنابه بيده مقداراً من الماء ورشه في الهواء وقال: هذا كافٍ في إبطال هذه الأدلّة. أي إنّ وجود الماء يدلّ على أنّ هذه البراهين هي مغالطات مخالفة للضرورة والبداهة وكلّ شبهة تخالف البداهة باطلة.

والمعروف أنّ الميرزا كثيراً ما يمزح مع الآغا جمال وكثيراً ما يناقشه بحيث إنه غالباً ما يضيّق الخناق عليه، وفي يوم دعا شخص الآغا جمال للعشاء ففكّر الآغا جمال في نفسه أن يعده بالمجيء إن لم يدعُ الملّا الميرزا وإلا فلا يعده فسأله: هل دعوت الملّا الميرزا فقال: لا. فقال له الآغا جمال: اذهب وسوف آتيك. ثم ذهب ذلك الشخص إلى عند الملّا الميرزا ودعاه. وعند العشاء أتى الآغا جمال إلى منزل ذلك الشخص فرأى الملّا الميرزا جالساً هناك وبدأ الملّا الميرزا بالمباحثة والمناقشة في المسائل العلمية حتى انزعج الآغا جمال وبان عليه، ففهم حينئذٍ صاحب البيت ماذا كان يقصد الآغا جمال من سؤاله، وأنّه لم يكن يقصد أن يدعوه فأراد صاحب البيت أن ينهي النقاش فسأل الملّا الميرزا عن شعر أول ديوان الخواجة حافظ وهو:

ألا يا أيّها الساقي أدر كأساً وناولها
كه عشق آسان نمود أول ولي أفتاد مشكلها

فقال له: إن في هذا الشعر لغزاً باسم أحمد فكيف ذلك؟ وفي الواقع لم يكن هناك لغز وإنما أراد صاحب البيت أن يشغل بال الميرزا ليخلّص الآغا جمال، فذكر الميرزا للمضيف سبعين وجهاً يكون الشعر فيها لغزاً باسم أحمد ثم عاد إلى الآغا جمال وبدأ معه بالمناقشة.

وقيل للميرزا: إنّه فوق الفلك الأطلس لا خلاء ولا ملاء. فقال: إذا وصلنا إلى ما فوق الفلك الأطلس أقص كم الثوب وأُدخل يدي هناك فإن دخلت فهو خلاء

وإلّا فلا. وطبعاً ذكر الملّا الميرزا هذا الكلام مفاكهة. وكتب الآغا باقر البهبهاني: أنّ الملّا الميرزا قال: درّست شرح جامي عشرين مرّة وكل مرّة أفهم منه شيئاً لم أكن فهمته قبلها. وقد سُمع أن الميرزا قال: درّست شرح جامي سبعين مرّة. ويقال: إنّه ذهب هو والآغا جمال سوية إلى مكانٍ ما وركب أحدهما على دابة، وكان الآغا جمال يرتدي ملابس جيّدة دائماً ويلف عمامته الكبيرة على رأسه، وبدأ الحمار بالنهيق على ما ينطبق عليه ﴿إنّ أنكَرَ الأصواتِ لَصَوتُ الحَميرِ﴾[1]، وكان الملّا الميرزا من الأتراك والآغا جمال إصفهانياً، فقال الملّا الميرزا للآغا جمال: هذا الحمار يقول بالإصفهانية. فلم تمض ساعة حتى ضرط الحيوان فقال الآغا جمال للملا الميرزا: هذا الحيوان شيئاً فشيئاً يتكلم بالتركية أيضاً.

وتأليفاته: حواشٍ متفرّقة على شرح اللمعة غير مدوّنة ولا تخلو من لطافة، وحواشٍ غير مدونة على الهيات شرح التجريد في غاية الدقة وتكشف عن أن له باعاً طويلاً في علم الحكمة، وشرح فارسي على معالم الأُصول لكن حيث كان تركياً فإنّ اللغة الفارسية أصعب عليه من العربية؛ وحاشية على معالم الأُصول كتبها في الردّ على إشكالات خليفة السلطان التي ذكرها في حاشية على المعالم، وحيثما قال في تلك الحاشية «قيل عليه» فمقصوده سلطان العلماء، ولي أيضاً حاشية على حاشية السلطان وسمّيتها بردودات وإيرادات السلطان على المعالم، والإنصاف أنّ خليفة السلطان في غاية الفضل وكان محيطاً ودقيقاً.

وله حاشية على الخفري على إلهيات شرح التجريد، وحاشية على شرح مختصر أُصول العضدي، وحاشية على شرح اللمعة واسمه محمود وهو حسيني النسب وكان في أواخر عهد الشيخ محمّد ابن صاحب المعالم وأوائل الشيخ علي

---

(١) لقمان ٣١/ ١٩.

حفيد الشهيد الثاني؛ لأن السلطان نقل في الحاشية عن الشيخ محمّد ابن صاحب المعالم، وفي قول المعالم عند التقسيم «إن كان بوضع واحد...» قال السلطان: نقل الشيخ محمّد ابن صاحب المعالم عن أبيه أنّ المراد من «وضع واحد» الوضع المستقلّ الذي لم يلحظ فيه الوضع الأوّل، وهذا دليل على أنه كان في أواخر عهد الشيخ محمّد، وقد رد الشيخ علي ردود السلطان على شرح اللمعة، وهذا دليل على أنّه كان في أوائل عهد الشيخ علي.

ويقال: إنّ السلطان سافر في سنة إلى مكة ولم يأتِ هناك بالهرولة التي هي مستحبة، وعندما عاد إلى إصفهان وعرف الشاه عباس بعدم هرولته فاستدعى خليفة السلطان وقال له: أتأنف وتستنكف وتستكبر في بيت اللّه ولا تهرول؟! ثم أمر أن يوضع على كتفه فأساً حربياً وأن يهرول في ساحة إصفهان بحضور الشاه وأعيان الدولة، فهرول جنابه وهو على هذه الحال في ساحة إصفهان. والظاهر أن تلقيبه بخليفة السلطان لأن السلطان عينه لمنصب.

ومن جملة مذاهب السلطان الغريبة أنّ الجن كانت موجودة حتى زمان النبي، ثم دعا النبي على الجن فماتوا كلّهم ولا وجود للجنّ في هذه الأزمنة. وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية نقلاً عن شيخ ثقة عن الفاضل القزويني ـ أدام اللّه أيام بقائه ـ أنّه قال: إنّ الجن كانوا موجودين قبل بعثة النبي ثم لعنهم النبي فماتوا. وذهب إلى هذا القول سلطان العلماء﵀ إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه.

أقول: ومراد السيّد من الشيخ الثقة الملّا محمّد باقر المجلسي، وأما سلطان العلماء فمعلوم، وأمّا الفاضل القزويني فهو مردد ولعل مراده الملّا خليل القزويني؛ لأنّه كان في عهده، أو المراد الملّا سليمان ابن الملّا خليل، أو المراد الميرزا قوام الدين الذي نظم متن اللمعة والخلاصة.

والحقّ أنّهم موجودون كما تدل عليه الأخبار الكثيرة إضافة إلى ما تظافر وسمع عن رؤية الجن وأنه إلى الآن يرون، وإذا ورد خبر بخلاف ما ذكرنا فهو محمول على طائفة خاصّة من الجن أو مطروح، والأخبار الدالة على وجود الجن في زمان الأئمة متواترة تواتراً معنوياً.

وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في هذا المجال أنّه حكى له مقدس عدل أوحد أنّ أباه كان يذهب إلى الأمكنة المظلمة الموحشة لعلّه يرى الجن لكن لم يتّفق له ذلك فقال له ابنه: إن الجن لا تظهر لقوي القلب وإنما تظهر على ضعفاء القلوب. إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه الجزائري.

أقول: لعل مراده بالأوحد المقدس العدل ـ بقرينة صدر الكلام ـ الملّا محمّد باقر المجلسي واللّه العالم.

وأقول أيضاً: إنّه حكى لي والدي: أنني كنت أسير يوماً في غابة تتكاثر وهي قرب مسقط رأسي فرأيت عند شجرة بنتاً صغيرة واقفة بشعر مبعثر وأصابع يدها إلى الخلف وكعوب قدميها إلى الأمام فقرأت سورة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1] وإذ بها تختفي ولم يكن عندي أي خوف.

(٤٥)
الملّا عبد اللّه التوني ﷺ

الملّا عبد اللّه من أهل تون، وتون من بلاد خراسان قريبة من قاين. والمسمّى بعبد اللّه أربعة وهم معروفون:

١ ـ الملّا عبد اللّه بن حسين التستري الذي سيأتي ذكره.

٢ ـ الميرزا عبد اللّه صاحب رياض العلماء وهو من تلامذة الملّا محمّد باقر المجلسي، ورياض العلماء كتاب في أحوال العلماء السابقين.

٣ ـ الملّاعبد اللّه اليزدي صاحب شرح تهذيب المنطق والحاشية المعروفة عليه، وحاشية على حاشية الملّا جلال على التهذيب، وصاحب كرامات وقد تقدم. وكان حكيماً وقد وصفه الشيخ البهائي بالعلامة، وقد تلمذ للشيخ البهائي كما تلمّذ له صاحب المدارك أيضاً، ودرس الملّا عبداللّه اليزدي عند الملّا جلال الدواني والملّا جلال درس عند سيّد شريف.

٤ ـ الملّا عبداللّه التوني وكان أخبارياً، وكان في أواخر زمان الشيخ البهائي والميرداماد. ومن تأليفاته كتاب وافية الأُصول الذي كتبت له شروحات مثل: شرح السيّد صدر الدين الهمداني والسيّد محسن الكاظمي الذي يقرب شرحه من خمسين ألف بيت والسيّد بحر العلوم أيضاً كتب مقداراً من الشرح على أوائل الكتاب.

ذهب الملّا عبد اللّه مرة لزيارة الميرداماد فجرت بينهما مناقشة، وعندما أراد

الملّا عبد اللّه الخروج قال له الميرداماد: أيها الملّا عبد اللّه إذا خرجت من هنا فلا تقل: ناظرت الميرداماد، بل افتخر على العلماء بأنك فهمت اليوم كلام الميرداماد. والإنصاف أنّه كلام موافق للحق ومطابق للواقع؛ لأنّ الملا عبداللّه نسبته إلى الميرداماد نسبة التلميذ إلى الأُستاذ بل إنّ أكثر كتب الميرداماد يصعب فهمها.

ويقال: إنّه جاء يوماً الشاه عباس لزيارة الملّا عبداللّه التوني وكان الملّا قد بنى مدرسة ولكن كانت خالية من الطلاب، فجال السلطان في المدرسة وسأل الملّا عبد اللّه عن خلو المدرسة من الطلاب فقال له الملّا عبد اللّه: سأُجيبك عن هذا السؤال بعد مدّة. ثم جاء في يوم الملّا عبد اللّه لزيارة الشاه عباس وبعد المجاملات قال السلطان للملا عبد اللّه: اطلب مني شيئاً. فقال الملّا ليس عندي طلب فأصر السلطان وحينئذٍ قال الملا: ما دمت مصراً فعندي حاجة وهي أن أركب أنا وتسير أمامي في ساحة الشاه. فقال له السلطان: وماالحكمة في ذلك؟ قال: أقول لك فيما بعد. وحيث كان السلاطين الصفويون رحمهم اللّه تعالى من مروجي دين سيّد المرسلين صلوات اللّه وسلامه عليه وآله أجمعين وكانوا يبذلون جهدهم في احترام العلماء الأعلام قبل الشاه عباس، فركب الملّا عبد اللّه وسار أمامه الشاه عباس فرأوهم أهل المدينة كلهم، ثم ودع الملّا السلطان وعاد إلى مكانه.

وبعد مدّة جاء السلطان مرّة أُخرى لزيارة الملّا عبد اللّه فرأى مدرسة الملّا مليئة بالطلاب فاستفسره عن ذلك فقال له: الوجه في هذا وفيا طلبته منك سابقاً أنّ الناس في بداية الأمر لم يدركوا فضيلة العلم والعالم ولم يكن عندهم معرفة؛ فلذا كانت المدرسة في بداية الأمر خالية لكن عندما ركبت وسار الشاه في الأمام علم الناس أنّ العلم له هذه العظمة بحيث يسير السلطان أمام العالم، فدعاهم ذلك لما رأوا من غرة الدنيا والجاه والجلال وغيرها من حطام الدنيا للاشتغال بطلب العلم،

فإذا اجتازوا مرتبة من العلم ستخلص نيتهم وتحصل لهم نية القربة، وهو المقصود الأصلي من العلم وجميع العبادات كما ورد في الخبر: اطلبوا العلم ولو لغير اللّه فإنّه يجر إلى اللّه. والمجاز قنطرة الحقيقة.

(٤٦)
الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني

الشيخ يوسف البحراني الحائري صاحب الحدائق من جملة المحدثين لكنه لم يكن متعصباً وكان فاضلاً جداً، وكتب في ترجمة نفسه في آخر اللؤلؤة على هذا النحو:

إن مولدي كان في سنة ١١٠٧ هـوكان مولد أخي الشيخ محمّد ـ مد في بقائه ـ سنة ١١١٢ هـ في قرية الماحوز، حيث إنّ الوالد كان ساكناً هناك لملازمة الدرس عند شيخه سليمان بن عبدالله الماحوزي وأنا يومئذٍ ابن خمس سنين تقريباً. وفي هذه السنة حدثت الواقعة بين الهولة والعتوب. وربيت في حجر جدي المرحوم الشيخ إبراهيم ـ قدس الله روحه ـ وكان مشغولاً بأمر الغوص والتجارة في اللؤلؤ وكان كريماً ديّناً خيّراً رحيماً ينفق جميع ما يجيء في يده على الأضياف والأرحام ومن يقصده من الأنام لا يدّخر شيئاً ولا يحرص على شيء، وانتحلني ورباني حيث إنّه لم يكن لأبي ولد قبلي، وجعل لي معلماً في البيت للقرآن وعلّمني الكتابة وكان خطه وخط والدي في غاية الجودة والحسن.

ثم بعد ذلك لازمت الدرس عند الوالد إلا أنّه لم يكن لي يومئذ رغبة تامة لغلبة جهالة الصبا، وقرأت على الوالد كتاب قطر الندى وأكثر ابن الناظم وأكثر النظام في التصريف وأول القطبي إلى أن اتّفق مجيء الخوارج إلى أخذ بلاد البحرين، فحصل العطال والزلزال وحاربوا ثلاث سنين وعاضدهم الأعراب

والنصاب، وفتحوها قهراً ووقع القتل والسلب والنهب وسفك الدماء وهرب أكابر البلد إلى القطيف وغيرها من الأقطار ومن جملتهم الوالد ﷺ مع جملة العيال والأولاد وتركني في البحرين في البيت الذي لنا في قرية الشاخورة حيث أبقى بعض الأسباب من كتب وثياب مربوطاً عليه في أماكن خفية، وأمرني بالتقاط ما يوجد من الكتب التي انتهبت في القلعة واستنقاذها من أيدي الشراة، فاستنقذت جملة ممّا وجدته وأرسلت به إليه مع جملة ما في البيت شيئاً فشيئاً ومرت هذه السنين كلها بالعطال.

ثم إني سافرت إلى القطيف لزيارة الوالد وبقيت شهرين أو ثلاثة، فضاق بالوالد الجلوس بالقطيف لكثرة العيال وضعف الحال وقلّة ما في اليد فعزم على الرجوع إلى البحرين وإن كانت في أيدي الخوارج، إلا أنّ القضاء والقدر حال بينه وبين ما جرى في باله وخطر، فاتّفق أنّ عسكر العجم مع جماعة من الأعراب جاؤوا لا ستخلاص البحرين من أيدي الخوارج في ضمن تلك الأيام، فصرنا نرقب ما يصير من أمر ذلك حتى صارت الدائرة على العجم وقتلوا جميعاً وحرقت البلاد وكان من جملة ما حرق بالنار بيتنا في القرية المتقدمة، فازداد الوالد ﷺ غصة لذلك حيث إنّه خرج على بنائه مبلغاً عظيماً وصار هذا سبب موته فمرض وطال به المرض شهرين حتى توفي.

ولما حضره الموت لزمني وقال: لا أبرئ لك ذمة إن جلست على سفرة وليس إخوتك حولك ومعك؛ وذلك لأنّ إخوتي كانوا من أُمّهات أخر وأكثرهم أطفال وأكثرهم قد توفيت أُمهاتهم، ولم يكن لهم مرجع فلا علاج إني ابتليت بالعيال والحمل لثقل هؤلاء الإخوان من كبار وأطفال، وبقيت في القطيف بعد موت الوالد ﷺ مما يقرب من سنتين اقرأ على شيخنا الشيخ حسين الماحوزي، فقرأت عليه جملة من القطبي وجملة وافرة من أول كتاب شرح القديم للتجريد، وأنا فيما بين

ذلك أتردد إلى البحرين لأجل ما لنا فيها من النخيل لإصلاحها وجمع محصولها وأرجع إلى القطيف وأشتغل بالدرس إلى أن أُخذت البحرين من أيدي الخوارج صلحاً بعد دفع مبلغ خطير لإمام الخوارج لعجز ملك العجم وضعفه وإدبار دولته بسوء تدبيره.

فرجعت إلى البحرين وبقيت فيها مدّة خمس أو ست سنين وأنا مشتغل بالتحصيل درساً ومقابلة عند شيخنا الأوحد الشيخ أحمد بن عبدالله البلادي.

وسافرت في ضمن تلك المدّة إلى حج بيت الله الحرام وتشرفت بزيارة سيّد الأنام وأبنائه الكرام عليهم صلوات الله الملك العلام، وسافرت إلى القطيف لأجل تدقيق الحديث على شيخنا الشيخ حسين، فاشتغلت عليه بقراءة جملة من أول التهذيب مع المقابلة لغيري ممن يقرأ عليه، ثم رجعت إلى البحرين وضاق بي الحال لما ركبني من الديون التي أوحت لي الهموم بسبب كثرة العيال وقلّة ما في اليد، واتفق خراب البلد بعد استيلاء الأفاغنة ففررت إلى بلاد العجم وبقيت مدّة في كرمان.

ثم رجعت إلى شيراز فوفّق الله سبحانه فيها بالإكرام والإعزاز وعطف الله سبحانه على قلب سلطانها وحاكمها يومئذٍ، وهو الميرزا محمّد تقي الذي ترقى إلى أن صار تقي خان، فأكرم وأنعم جزاه الله تعالى بالإحسان. وبقيت مدّة في ظل دولته مشغولاً بالتدريس في مدرسته وإقامة الجمعة والجماعة في تلك البلاد، وصنّفت في تلك المدة جملة من الرسائل وشطراً من أجوبة المسائل حتى عصفت في تلك البلاد عواصف الأيام.

فخرجت منها إلى بعض القرى واستوطنت قصبة فسا بعد أن أرسلت العيال إلى البحرين وجددت عيالاً من تلك البلاد، فبقيت فيها مشتغلاً بالمطالعة وصنّفت

هناك كتاب الحدائق الناضرة إلى باب الإغسال، وأنا مع ذلك مشتغل بالزراعة لأجل المعاش والكفّ عن الحاجة إلى الناس، وكان متوليها الميرزا محمّد علي ﷺ في غاية المحبة لي والمراعاة والإحسان معي ولم يأخذ علي خراجاً في تلك المدة حتى نزلت بتلك البلاد الحوادث، وقتل المتولي لها وهو الميرزا محمّد علي المذكور، وبقي الكتاب المذكور وقد نسجت عليه عناكب النسيان، ووقع عليّ فيها من البلاء بسبب ذلك الخراب ما أوجب ذهاب أكثر كتبي وجملة أموالي.

ففرت منها إلى الإصطهبانات وبقيت مدّة أعالج مرارات الأوقات، وأنا في ذلك أحاول الفرصة بالتشرف بالعتبات العاليات والمجاورة في جوار الأئمة السادات، حتى من اللّه سبحانه بالتوفيق إلى الشرب بذلك الكأس الرحيق، فقدمت العراق وجلست في كربلاء المعلى على مشرفها وآبائه وأبنائه صلوات ذي العلى، عازماً على الجلوس بها إلى الممات غير نادم ـ بعد التشرف بها ـ على ما ذهب مني وفات، صابراً على ما تجري به الأقدار من يسار والمسار.

ووفق اللّه سبحانه بانفتاح أبواب الرزق فاشتغلت بالمطالعة والتدريس والتصنيف، وشرعت في إتمام كتاب الحدائق الناضرة فخرج منه كتاب الطهارة يشتمل على مجلدين، وكتاب الصلاة يشتمل على مجلّدين، وكتاب الزكاة، وكتاب الصوم في مجلّد وكتاب الحج في مجلّد، وكتابنا هذا ـ بحمد اللّه سبحانه ـ لم يعمل مثله في كتب الأصحاب ولم يسبق إليه سابق في هذا الباب لاشتماله على جميع النصوص المتعلّقة بكل مسألة وجميع الأقوال وجميع الفروع التي ترتبط بكل مسألة إلّا ما زاغ عنه البصر وحسر عنه النظر، وهذا الالتزام إنما حصل فيما صنّفته في هذا المكان وإلا فالأول الذي صنّف في بلاد العجم وإن كان مستوفياً لتحقيق المسائل وربطها بالدلائل إلّا أنّه لم يستوفِ جملة الأخبار تفصيلاً وإن أشير إليها إجمالاً وكذلك الأقوال. وقصدنا فيه إلى أن الناظر فيه لا يحتاج إلى مراجعة غيره من الأخبار

ولا كتب الاستدلال.

وفي أثناء كتابته صنفت جملة من الرسائل في أجوبة المسائل الآتي ذكرها، ومصنّفاتي منها: كتاب الحدائق المذكور إلى كتاب الحج، وأنا الآن في الاشتغال بكتاب المتاجر وأعرضت عن ذكر كتاب الجهاد وما يتبعه لقلّة النفع المتعلق به الآن تبعاً لبعض علمائنا الأعيان وإيثاراً لصرف الوقت فيما هو أحوج.

ومنها: كتاب سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد والردّ عليه في شرحه لكتاب نهج البلاغة الذي رام فيه أن يشرحه على رأي المعتزلة وأُصولهم ومذاهبهم وقواعدهم، وذكرت في أوله مقدمة شافية في الإمامة تصلح أن تكون كتاباً مستقلاً، ثم نقلت من كلامه في الشرح المذكور ما يتعلق بالإمامة وأحوال الخلفاء والصحابة ومما يناسب ذلك ويدخل تحته، وبيّنت ما فيه من الخلل والمفاسد الظاهرة لكل طالب وقاصد، وخرج منه مجلّد، ومن المجلد الثاني ما يقرب من ثلث مجلّد وعاق الاشتغال بكتاب الحدائق عن إتمامه.

ومنها: كتاب الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب وما يترتّب عليه من المطالب.

ومنها: كتاب الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، فهو كتاب لم يعمل مثله في فنّه المشتمل على تحقيقات رائقة وأبحاث فائقة.

وكتاب عقد الجواهر النورانية في أجوبة المسائل البحرانية، ورسالة الصلاة متناً وشرحاً، ورسالة أُخرى في الصلاة منتخبة منها بعبارات واضحة لسائر الناس، والرسالة المحمدية في أحكام الميراث الأبدية، وكتاب جليس الحاضر وأنيس المسافر يجرى مجرى الكشكول، ورسالة ميزان الترجيح في أفضلية القول فيما عدا الأولتين بالتسبيح. ورسالة مناسك الحج، ورسالة في تحقيق معنى الإسلام

والإيمان وأنّ الإيمان عبارة عن الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان، ورسالة اللآلي الزواهر في تتمة عقد الجواهر تشتمل على أجوبة مسائل لذلك السائل، وكتاب النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية، وكتاب تدارك المدارك يشتمل على البحث مع صاحب المدارك في مواضع خطأ فيها قلمه وتساهل في تحقيقها، خرج منه مجلّد مشتمل على كتاب الطهارة والصلاة وحصل الاشتغال عنه بكتاب الحدائق لاشتماله على البحث معه في تلك المواضع وأمثالها من كتب العبادات؛ وكتاب المسائل الشيرازية، وكتاب أعلام القاصدين إلى مناهج أُصول الدين خرج منه الباب الأول في التوحيد إلا أنّه والذي قبله ذهبا فيما وقع على كتبي من حوادث الزمان في قصبة فسا كما تقدمت الإشارة، ورسالة قاطعة القال والقيل في نجاسة الماء القليل تعرضنا فيها للردّ على المحدّث الكاشاني إذ اختار القول بالطهارة ومسجل عليه وتبعه عليه جميع ممن تأخر عنه ومال إليه، ورسالة كشف القناع عن صريح الدليل في الردّ على من قال في الرضاع بالتنزيل، وقد تضمّنت أبحاثاً شافية مع المولى العماد المير محمّد باقر الداماد حيث إنّه ممن اختار القول بالتنزيل وكتب فيه رسالة نقلنا جملة من كلامه وبيّنا ما فيه مما يكشف عن ضعفه باطنه وخافيه؛ ورسالة الكنوز المودعة في إتمام الصلاة في الحرم الأربعة، ورسالة الصوارم القاصمة للجامعين بين ولد فاطمة ﷺ مشتملة على تحقيق تحريم الجمع بين الفاطميتين، وكتاب معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه خرج منه قليل من أوله ولم يتم، وكتاب المسائل البهبهانية الواردة من المرحوم المقدّس السيّد عبدالله ابن السيّد علوي البحراني القاطن ببهبهان حياً وميتاً، وأجوبة المسائل الكازرونية الواردة من الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبد النبي البحراني، وأجوبة المسائل الخشتية الواردة من الملّا إبراهيم الخشتي، وأجوبة مسائل الشيخ أحمد بن يوسف بن علي بن مظفر السيوري البحراني، وأجوبة مسائل الشيخ الأمجد الشيخ

أحمد ابن المقدس الشيخ حسن الدمستاني البحراني، وأجوبة مسائل عبد الله ابن السيّد حسين الشاخوري بين دفعات عديدة، وكتاب الخطب اشتمل على خطب الجمعة من أول السنة إلى آخرها وخطب العيدين، وكتاب الأنوار الحيرية والأقمار البدرية في أجوبة المسائل الأحمدية، وقد سمي الكتاب بذلك لوقوع الأجوبة في جوار سيّد الشهداء وإمام السعداء؛ فنسبت إلى الحائر الشريف المسمّى في الأخبار أيضاً بالحير، وهي تبلغ قريباً من مئة مسألد خرج الآن منها ما يقرب من خمس وخمسين مسألة، وأجوبة مسائل الشيخ محمّد ابن الشيخ علي بن حيدر النعيمي؛ وغير ذلك...

إلى هنا كلام صاحب الحدائق في اللؤلؤة، والغرض من هذا التطويل أن لا يترك طالب العلم التحصيل بسبب الفقر والفاقة وظلم الظلمة وورود البليّة، أو لا يشتغل بالتصنيف والتأليف.

وصاحب الحدائق غالباً ما مشى في كتاب الحدائق على طريقة أهل الاجتهاد فيذكر أقوالهم ويذكرهم بالتعظيم وقد مدحهم في إجازاته وأثنى عليهم، وطعن على الملّا محمد أمين الاسترآبادي وردّ عليه، كما قدح الملّا محسن الفيض بل اعتبره في كتاب النفحات الملكوتية فاسدالعقيدة.

والشيخ يوسف وإن كانت له في الفقه والأُصول بعض الفتاوى الغريبة لكن لا عيب في ذلك، إلّا أنّ المرحوم السيّد محمّد باقر حجة الاسلام لم ينقل أي شيء من أقواله ولم يكن يعظمه وكان يشمئز من ذكر اسم كتابه، ولعله لأنّه من تلامذة السيّد محمّد باقر ولو بالواسطة والسيّد باقر منع تلامذته من عِشرة الأخباريين. وكتاب الحدائق وصل إلى كتاب الطلاق.

وكانت وفاته سنة ١١٨٦ في ربيع الأول فكان عمره ٧٩ سنة تقريباً، وصلّى

عليه الآغا محمّد باقر البهبهاني ودفن في كربلاء.

وأخوه الشيخ عبدالعلي من مشايخ الإجازة، وقد وصفه صاحب الحدائق بالمقدّس وهو أول من أوجب الجهر بالتسبيح في الركعتين الأخيرتين، وأخوه الشيخ محمّد أيضاً من مشايخ الإجازة، وابن الشيخ عبدالعلي أيضاً من مشايخ الإجازة، وكذا الشيخ حسين ابن الشيخ المذكور.

(٤٧)

الشيخ حسين ابن الشيخ محمّد البحراني

الشيخ حسين ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ جعفر البحراني الماحوزي جامع المعقول والمنقول والعلم والعمل، وهو من مشايخ إجازة صاحب الحدائق.

والماحوزي نسبة إلى ماحوز وهي ثلاثة قرى: درنج وهي مسكن الشيخ المذكور، وهلتا وفيها قبر المحقق العلامة الفيلسوف الشيخ ابن ميثم البحراني صاحب الشروح الثلاثة على نهج البلاغة الصغير والكبير والمتوسط، وغريفة.

ولهذا الشيخ إجازة من أُستاذه الشيخ سليمان بن عبد اللّه الماحوزي.

وهذا الشيخ عمّر ما يقرب من تسعين سنة ولم يتغير حال ذهنه ولم تختل أي من حواسه، اللهم إلّا ضعف أصابه من كبر سنّه. والعجب أنّ هذا الشيخ معَ ما له من الفضل لم تكن عنده ملكة التصنيف ولم يؤلّف شيئاً رحمة اللّه تعالى عليه.

(٤٨)

الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد اللّه

الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد اللّه بن علي بن حسن بن أحمد بن يوسف بن عمار البحراني، كان نادرة الزمان وعلامته وإليه انتهت رئاسة بلاد البحرين في ذلك الوقت. قال تلميذه الشيخ عبداللّه بن صالح البحراني في ذكره: كان هذا الشيخ أعجوبة في الحفظ، ودقيقاً جداً وسريع الانتقال في الجواب والمناظرات، وطليق اللسان ولم أر مثله أبداً، وكان ثقة في النقل ضابطاً وإمام عصره ووحيد دهره، أذعن له جميع العلماء وأقرّ بفضله جميع الحكماء، وكان جامع جميع العلوم وعلامة في جميع الفنون، وحسن التقرير خطيباً شاعراً، وكان منصفاً تمام الإنصاف وعظيماً في العلوم والحديث والرجال والتواريخ، هو الذي ربّاني وقرّبني وخصّني بالعناية من بين أقراني جزاه اللّه تعالى أفضل الجزاء بحق النبي وآل النبي ﷺ وكان عمره قريباً من خمسين سنة، توفي سنة ١١٢١ في السابع عشر من شهر رجب، ودُفن في مقبرة الشيخ ميثم بن المعلى جد الشيخ ميثم العلامة المشهور في قرية درغ من قرى ماحوز. إلى هنا كلام تلميذه عبد اللّه بن صالح.

وقال في اللؤلؤة: وجدت بخطه ينقل عن والده: إنّ ولادتي كانت في نصف شهر رمضان من سنة ١٠٧٥ وكان الطالع عطارد، وقد حفظت القرآن وكنت في عمر سبع سنين أو أكثر بأشهر وبدأت بدراسة كتب العلوم وأنا في عمر عشر سنين، وكنت مشغولاً دائماً بتحصيل العلم حتى هذه السنة وهي ١٠٩٩. إلى هنا

كلام الشيخ سليمان.

ثم قال صاحب اللؤلؤة: إنّه نظراً إلى هذا التاريخ وبالمقارنة مع ما ذكره الشيخ عبد اللّه من تاريخ وفاته يكون عمر الشيخ سليمان ٤٤ سنة وعشرة أشهر تقريباً، فقول تلميذه عبد اللّه بن صالح: إنّ عمره يقرب من خمسين سنة سهو ناشئ عن عدم الاطلاع على تاريخ ولادته.

وكان الشيخ سليمان شاعراً حسناً وقال الشعر الكثير والمراثي الجيدة في الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تلمذ لهذا الشيخ جماعة من العلماء مثل: والد صاحب الحدائق وهو أشهر تلامذة الشيخ سليمان، والشيخ عبداللّه بن صالح المتقدّم، والشيخ حسين المتقدم، والشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللّه بن حسن البلادي وكان في غاية الفضل والإنصاف وحسن الأوصاف والورع والتقوى، توفي الشيخ أحمد المذكور يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١١٣٧. ومن تلامذة الشيخ سليمان: الشيخ عبد اللّه بن الشيخ علي ابن الشيخ أحمد البلادي، وكل واحد من هؤلاء وصلت إليه الزعامة العلمية كلّ منهم في وقته.

وكان الشيخ سليمان كلّ يوم جمعة يعطي درساً في الصحيفة السجادية في المسجد بعد الصلاة ويمتلئ مجلسه بالعلماء والفضلاء، وفي غير الجمعة يدرّس في بيته.

وللشيخ سليمان عدّة تأليفات أكثرها عبارة عن رسائل بعضها تم وبعضها لم يتم، منها: كتاب أربعين حديثاً في الإمامة من طرق العامّة، وهذا الكتاب هو من أحسن مصنّفاته أرسله هدية إلى السلطان حسين وصنّفه باسمه فأعطاه ألفي درهم وهي تساوي في ذلك الزمان عشرين توماناً فلم ينصفه لأن شأنه أعظم من ذلك.

ومنها: كتاب أزهار الرياض وهو كشكول في ثلاثة مجلّدات، وكتاب الفوائد النجفية، وكتاب العشرة الكاملة تضمّن عشرة مسائل أُصولية وفقهية وهـو دال على تصلّبه في الاجتهاد، ويفهم من بعض فوائد هذا الكتاب أنّه رجع إلى نحو يقرب من طريقة الأخباريين؛ وكتاب الشفاء في الحكمة النـظرية، ورسـالة في الصـلاة، ورسالة في مناسك الحج مختصرة كتبها بالتماس السيّد الأكمل الأمجد السيّد أحمد ابن السيّد عبد الرؤوف جد الحفصي البحراني، ورسالة نفحة العبير في طهارة البئر، ورسالة ثانية في مناسك الحج وهي مختصرة أيـضاً، ورسـالة ثـالثة في المسـائل الخلافية في مناسك الحج، ورسالة في إقامة الدليل على نصرة الحسن بن أبي عقيل في عدم نجاسة الماء القليل. قال في اللؤلؤة: وجدت بخط الشيخ سليمان ما خلاصته: رأيت في المنام كتاباً كأنه كتاب ذكر وقد كتب فيه: لما أظهر الحسن بن أبي عـقيل القول بعدم نجاسة الماء القليل هجره أصحابنا الإمامية واستخفوا به في مكة.

وله رسالة في وجوب صلاة الجمعة علينا وهي نقض على رسالة كتبها بعض الفضلاء في تحريم صلاة الجمعة، وكتاب المعراج في شرح فهرست الشيخ طـوسي لكنه لم يتم وخرج منه باب الهمزة والباء الموحدة والتاء، ورسالة البلغة على وزن رسالة الوجيزة للملا محمّد باقر المجلسي في ما هو المختـار مـن أحـوال الرجـال، ورسالة في علم المنطق وشرحها، ورسالة في تحريم الارتماس على الصائم، ورسالة في نجاسة أبوال الدواب الثـلاثة، ورسـالة في وجـوب الطـهارة وجـوباً غـيرياً خصوصاً الجنابة، ورسالة في أفـضلية التسـبيح عـلى الحـمد في ثـالثة الثـلاثية والركعتين الأخيرتين من الرباعية، ورسالة في شرح خطبة الاستسقاء، ورسالة في تعريب رسالة فارسية في أربعة مسائل في الرد على العامة، ورسالة في تحـقيق أنّ وضع الجبهة جزء من السجود في معارضة الشيخ محمّد بن ماجد، ورسالة في طلاق الغائب، ورسالة في شرح حديث: نية المؤمن خير من عـمله، ورسـالة في سـبب

تساهل الأصحاب في أدلّة السنن، ورسالة صواب البداء في مسألة البداء ولم تتم، ورسالة في استقلال الأب بالولاية على البكر البالغة الرشيدة في تزويجها، ورسالة ثانية في مسألة البداء مسمّاة باعلام الهدى في مسألة البداء، ورسالة في جواز التقليد، ورسالة الذخيرة في المحشر في فساد العمل، ورسالة النكت البديعة في فرق الشيعة، ورسالة في إعراب ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾[1]، ورسالة في أسرار الصلاة، ورسالة في الاستخارة، ورسالة في القرعة، ورسالة في الصوم، وكتاب شرح الباب الحادي عشر ولم يتم، ورسالة في وجوب غسل الجمعة، ورسالة في مسألة البئر والبالوعة، ورسالة في النحو، ورسالة في مقدمة الواجب، ورسالة موسومة بعجائل الإعجاز في المعمّيات والألغاز، ورسالة أُخرى في النحو، ورسالة ناظمة الشتات في ما هو مستحب تأخيره عن الوقت وهي حسنة دقيقة، ورسالة في آداب البحث، ورسالة أُخرى في علم المناظرة، ورسالة إيقاظ الغافلين في الوعظ، والرسالة الشمسية في ردّ الشمس لمولانا أمير المؤمنين، ورسالة في حكم الحدث أثناء الغسل، ورسالة في تحريم تسمية صاحب الأمر عجل اللّه فرجه، والرسالة الموسومة بالسر المكتوم في حكم تعلم علم النجوم، ورسالة فصل الخطاب في كفر أهل الكتاب والنواصب، لم تتم، وكتاب هداية القاصدين نحو عقائد الدين، ورسالة ضوء النهار، وكتاب شرح مفتاح الفلاح، وكتاب شرح الاثني عشرية البهائية. لم تتم، ورسالة السلافة البهية في الترجمة الميثمية ذكر فيها أحوال الشيخ ميثم البحراني. وكثير من هذه الرسائل لم يتم وبعضها لم يخرج عن المسوّدة. ولهذا المعظم إجازة من الملّا محمّد باقر المجلسي وغيره، رحمة اللّه تعالى عليه.

---

(١) المؤمنون ٢٣ / ١٤.

(٤٩)
الشيخ سليمان بن علي

الشيخ سليمان بن راشد بن أبي ظبية ـ بظاء مثلثة الحركات ـ البحراني أصبعي الأصل شاخوري المسكن، وهو من مشايخ إجازة الشيخ عبد الله بن سليمان، وكان هذا الشيخ مجتهداً صرفاً وله إجازة من الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد بن علي المقاعي.

وهذا الشيخ سليمان توفي سنة ١١٠١ وقد رثاه السيّد الأجل عبد الرؤوف الجد حفصي برثية ضمّنها تاريخ وفاته.

ومن تأليفاته: رسالة في تحريم صلاة الجمعة في عصر الغيبة وقد نقضها الشيخ أحمد بن محمّد البحراني، ورسالة في حلّية التتن والقهوة وردّ بعض العلماء الأخباريين الذين قالوا بحرمتها، ورسالة في علم الكلام في أُصول الدين، ورسالة في حلّية جميع أقسام السمك.

رحم الله معشر الماضين وأطال الله أعمار الباقين.

(٥٠)

الشيخ علي بن سليمان ﷺ

الشيخ علي بن سليمان بن درويش بن حاتم البحراني القدمي الملقب بزين الدين، وهو من مشايخ إجازة الشيخ سليمان بن علي المتقدم، وهو أول من نشر علم الحديث في البحرين ولم يكن قبله أثر لتهذيب وترويج الحديث، وكتب قيوداً لكتاب التهذيب والاستبصار لشدّة ملازمته للحديث، وقد اشتهر في ديار العجم بـ«أُمّ الحديث».

وكان في بلاد البحرين الرئيس والمتولي للأُمور الحسبية، وواجه الظلم والفساد وقمعها ودفع البدع وبسط العدل. وكانت وفاته سنة ١٠٦٤.

ومن مصنّفاته: رسالة في الصلاة، ورسالة في جواز التقليد، وحاشية على المختصر النافع مختصرة جداً.

وقبره مزار معروف في قرية قدم.

وقد تلمذ لمحمّد بن حسن، ثم سافر إلى العجم والتحق بالشيخ البهائي وتعلم منه علم الحديث، ثم رجع إلى البحرين ونشر الحديث فيها وصار يحضر مجلس درسه محمّد بن حسن المتقدم، ثم فعاتبه الناس: أنّه بالأمس كان يدرس عندك واليوم تدرس عنده! فقال لهم: اليوم تفوّق الشيخ علي عليّ وعلى غيري لأخذه بعلم الحديث.

ولهذا الشيخ علي ثلاثة أولاد.

أحدهم: الشيخ صلاح الدين وكان فاضلاً جداً وخصوصاً في علم الحديث وعلم الأدب، وله بعض الحواشي على تهذيب الحديث، وقد تولى بعد أبيه الأمور الحسبية وجلس مكانه في مجلس القضاء ومجلس الدرس وصلاة الجمعة والجماعة، ولكنه لم يبق بعد أبيه طويلاً بل سرعان ما توفي.

ثانيهم: الشيخ حاتم ابن الشيخ علي وكان فقيهاً فاضلاً.

ثالثهم: الشيخ جعفر ابن الشيخ علي وكان شديداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان إمام الجمعة والجماعة بعد أخيه.

وللشيخ جعفر ولد فقيه فاضل هو الشيخ علي بن جعفر وكان زاهداً وصاحب ورع، متصلّباً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اتّهمه بعض أُمراء البلاد عند السلطان سليمان مع براءته مما نسب إليه فأرسل السلطان من قيّده وأتى به إلى كازرون، ثم علم السلطان بحقيقة الأمر وأرسل في العجل من يفك قيده، فبقي جنابه في كازرون مدّة وقد يذهب إلى البحرين ثم يعود إلى العجم. وكانت وفاته في كازرون سنة ١١٣١. رحمة الله عليه وتغمّده في بحار غفرانه.

(٥١)

الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد بن يوسف الحظي

الشيخ أحمد بن محمّد بن يوسف الحظي الأصل والبحراني المقام، كان هذا الشيخ علامة فهامة زاهداً عابداً ورعاً كريماً متقياً قوياً في العلوم العقلية والنقلية والفروع والأُصول، مع دقّة نظر ووحدة خاطر وبلاغة زائدة وفصاحة في التعبير والتحرير. قال صاحب الحدائق: في اعتقادي كان أفضل علماء البحرين ممن كانوا في عصره وتأخروا بعده بل غيرهم أيضاً.

وللشيخ سليمان بن عبد اللّه الماحوزي المتقدم إجازة من الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد المذكور.

كتب بعض تلامذته الشيخ أحمد في رسالته: أنّه ذهب جنابه إلى إصفهان وكان يختلي بالآغا محمّد باقر صاحب الكفاية والذخيرة يومين كلّ أُسبوع يتذاكران ويستفيد منه.

وقد أعطى العلامة المجلسي الملّا محمّد باقر إجازة للشيخ أحمد كتب فيها: من غرائب الزمان وغلط الدهر الخوان بل من فضل اللّه تعالى عليّ ونعمه البالغة علي ما حصل من صحبة المولى الأولى الفاضل الكامل البارع التقي الزكي الجامع لفنون الفضائل والكمالات، والحائز قصب السبق في ميادين السعادات، صاحب الخلق الحميد والأُصول الطيبة البهية، علم التحقيق وطود التدقيق، العالم النحرير والفائق في التحرير والتقرير، كشّاف دقائق المعاني الشيخ أحمد البحراني أدام اللّه أيامه

وقرن بالسعادة شهوره وأعوامه.

وبعد فقد وجدته بحراً من العلم لا شاطئ له وعالماً ماهراً...إلى آخر الإجازة.

وشعر الشيخ أحمد في غاية الجودة والحسن والجزالة.

ومن مصنفاته: كتاب رياض الدلائل وحياض المسائل. قال صاحب اللؤلؤة: لم أعثر على هذا الكتاب إلا قطعة من الطهارة.

ورسالة في الوجوب العيني لصلاة الجمعة ردّ فيها على الشيخ سليمان بن علي الشاحوري كما سبق، ورسالة في استقلال الأب في الولاية على البكر البالغة الرشيدة، ورسالة في المنطق اسمها المشكاة المضيئة، ورسالة الرموز الخفية، والرسالة المنطقية، ورسالة صغيرة في البداء.

وقد توفي جنابه بمرض الطاعون مع أخيه الشيخ يوسف ودُفنا في جوار الكاظميين عليهما السلام سنة ١١٠٠، وكان أبوهما حياً وقد توفي سنة ١١٠٣ في قرية مقاباد.

ولجنابه إجازة من أبيه الشيخ محمّد بن يوسف. وكان الشيخ محمّد بن يوسف ماهراً في العلوم العقلية والفلكية والرياضية والهيئة والهندسة والحساب والعربية. قال صاحب اللؤلؤة: قرأ عليه أبي العلوم العربية والرياضية وخلاصة الحساب، وأتم أكثر شرح المطالع بعد ذلك مع أُستاذه الشيخ سليمان بن عبد اللّه المتقدم. ولم ينقل عن الشيخ محمّد المذكور شيئاً من المصنّفات.

(٥٢)
السيّد علي الملقّب بالسيّد نور الدين

السيّد علي ابن السيّد علي بن أبي الحسن الحسيني الإبراهيمي الموسوي الملقب بالسيّد نور الدين هو شعلة ذكاء وفطانة وفضيلة وتقوى ونقاء وزهد وعبادة ورزانة.

وللمير محمّد مؤمن الاسترآبادي صاحب كتاب الرجعة إجازة منه، ولهذا المعظم إجازة من أخيه لأبيه السيّد الأوحد شمس الدين السيّد محمّد صاحب المدارك، ومن أخيه لأُمّه جمال الدين أبي منصور الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

وكان السيّد نور الدين فاضلاً محققاً مدققاً وأذعنوا له في زمانه، وكان مستوطناً مكة. وكانت تأليفاته في غاية الجودة. وكان في بداية أمره في بلاد الشام، وكان صاحب الشام يحترمه تمام الاحترام ثم ذهب إلى مكة المعظّمة وقد تجاوز عمره التسعين، ولم يستعن بأحد بل كانت الناس تستعين به. توفي سنة ١٠٦٢. وكان له باع طويل في الشعر.

وليعلم أنّ السيّد علي والد السيّد نور الدين تزوّج ابنة الشهيد الثاني وولدت له السيّد محمّد صاحب المدارك، وبعد استشهاد الشهيد الثاني تزوج زوجته التي كانت والدة صاحب المعالم وولدت له السيّد نور الدين، فالسيّد محمّد صاحب المدارك أخوه لأبيه والشيخ حسن صاحب المعالم أخوه لأُمّه، وصاحب المعالم خال السيّد محمّد صاحب المدارك، لكن العقول الناقصة الضعيفة ترى أن تزوّج زوجة

الأُستاذ مخالف للأدب وقد أُسيء لوالد السيّد نور الدين جداً. كما أنّ المرحوم الأُستاذ السيّد ابراهيم تزوّج زوجة أُستاذه شريف العلماء وكان أيضاً قد تزوّج بابنته، والعقل الظني لا يستحسن مثل هذا الأمر، لكن حيث إنّه جائز شرعاً فهذا يكشف عن خطأ العقل سيما أن الحكمة التي كانت في واقع الأمر من زواج السيّد علي بزوجة الشهيد الثاني ولادة السيّد نور الدين الفاضل المحيي لشريعة النبيﷺ.

ودرس السيّد نور الدين عند أبيه وأخيه لأبيه صاحب المدارك وأخيه لأمه صاحب المعالم.

ومن تأليفات السيّد نور الدين: كتاب شرح المختصر النافع وهو حسن جداً وقد أطال فيه في البحث والاستدلال لكنه لم يتم، وكتاب الفوائد المكية في مقابل الفوائد المدنية للملا محمّد أمين غير المأمون الاسترآبادي. قال صاحب اللؤلؤة: إن كتاب الفوائد المكية ليس شافياً ولا وافياً.

وأقول: حيث إنّ الملّا محمّد أمين أمين الأخباريين وهو وصاحب الحدائق على مشرب واحد كانت كلماته محبوبة ويذعن لها، والمعروف أنّ حب الشيء يعمي ويصم فلا يرى عيوب المحبوب ولا يسمعها، وإلا فإنّ كتاب الفوائد المكية ـ كما ذكر بعض الفضلاء ـ في غاية الدقة والمتانة. وقد بيّنت مفاسد مذاهب الأخباريين ـ الذين هم عدّة فرق ـ وبطلان مذهبهم في حواشي القوانين ومنظومة ألفية الأُصول وشرحها بالتفصيل.

ومن مؤلفات السيّد نور الدين: كتاب شرح الاثني عشرية للشيخ البهائي في الصلاة، وغيرها من الرسائل.

وقال السيّد نور الدين في إجازته للشيخ الفاضل الشيخ صالح بن عبد الكريم: قد أجزته أن يروي عني كلّ رواية صحيحة عندي وكل تأليفاتي ومنها: الشرح

المسمّى بغرر الجامع على المختصر النافع الذي ألفت فيه جزءاً من أوائل الفقه، وأسأل اللّه أن يوفقني لإتمامه، وكذلك الشرح الموسوم بالأنوار البهية على الاثني عشرية الصلاتية وهي من تأليف المرحوم المبرور الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي، ورسالة أنيقة في تفسير قول اللّه تعالى: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1]، والكتاب المجموع المعروف بغنية المسافر من النادم والسامر، المشتمل على فوائد وأخبار ونوادر وأشعار، وكذلك فوائد الشواهد المكية في دحض الحجج الخيالية المدنية للمرحوم الملّا محمّد أمين، وبعض الحواشي على كتب الفقه والأُصول والحديث والأجوبة والأسئلة. إلى هنا إجازة السيّد نور الدين وتاريخها يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٠٥٥.

وكانت ولادته سنة ٩٧٠ وتوفي سنة ١٠٦٨ فعمره ٩٨ سنة إلا عدّة أيام.

وللسيّد نور الدين ولد عالم فاضل محقّق مدقّق ماهر أديب شاعر. قال في أمل الآمل: كنا شركاء معه في الدرس، ودرس عند جماعة من مشايخنا واسمه السيّد جلال الدين وذهب إلى مكة وجاورها ثم ذهب إلى مشهد الرضا ﷺ ومن هناك إلى حيدرآباد في الهند والآن هو يسكن هناك، وهو مرجع الأكابر الفضلاء فيها. إلى هنا كلام أمل الآمل.

وله ولد آخر اسمه حيدر ابن السيّد نور الدين بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي وكان يسكن في إصفهان رحمة اللّه عليه.

(١) الشورى ٤٢/ ٢٣.

(٥٣)
السيّد محمّد صاحب المدارك

السيّد محمّد ابن السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي أخو السيّد نـور الديـن المذكور سابقاً لأبيه، وهو صاحب المدارك وملقّب بشمس الدين، وتقدّسه وعلمه أشهر من أن ينكره أحد، لكن صاحب المعالم كان دائم الإنكار لكثرة التأليف بلا تحرير وكان دائماً يبذل الجهد في تحقيق ما ألفّه، وكانت تأليفات صاحب المـدارك قليلة أيضاً.

وكان هو وصاحب المعالم متقاربين في السن وقد درسا معاً عند الأردبـيلي، وكان المقدس المحقق الملّا أحمد الأردبيلي في ذلك الزمان يكـتب شرح الإرشـاد، فكان يعطي أجزاء منه لصاحب المدارك وصاحب المـعالم ويـقول لهـما: انـظرا في عباراته واصلحاها في عباراته لأنني أعلم أن بعض عباراته غير فصيحة. وعندما أراد ترك الأردبيلي والرجوع إلى بلادهم طلب الشيخ حسن صاحب المـعالم مـن الملّا أحمد الأردبيلي أنّ يكتب له شيئاً بخطه ليحتفظ به كذكرى له فكـتب المحـقق الأردبيلي بعض الأحاديث لصاحب المـعالم وكتب في آخرها: كـتبه العـبد لمـولاه امتثالاً لأمر المولى ولكي يبقىٰ متذكّراً له ولا ينساه في خلواته وبعد صلاته، وفّـقه اللّٰه تعالى لما يحبه وأن يرضى عنه بمنّه وكرمه بمحمد وآله صلوات اللّٰه عليهم. إلى هنا كلام الأردبيلي.

وكتب السيّد نعمة اللّٰه الجـزائـري في الأنـوار النـعمانية: إنّ صـاحب المـعالم

وصاحب المدارك كانا في النجف وكانا يريدان الذهاب إلى خراسان، لكنّهما لم يذهبا حذراً من أن يطلبهما الشاه عباس ومن عشرة السلاطين وبقيا في النجف وسلك صاحب المدارك وصاحب المعالم في الأخبار طريقاً خاصاً وقالوا بالصحيح الأعلى، وهو أن يكون رواة الحديث اثني عشرية المذهب عدولاً شهد عادلان بعدالة كلّ واحد منهم. ولا شك أنّه على هذا لن تكفي الأخبار في الفقه.

ولصاحب المدارك في المدارك اضطراب كثير فهو أحياناً يطرح الموثّقات وأحياناً أُخرى يعمل بها، وله في كثير من الرجال اضطراب أيضاً مثل إبراهيم بن هاشم ومسمع بن عبدالملك، فأحياناً يعتبر أخبارهم من الحسان وأُخرى يطعن فيهم ويرد أخبارهم، ولعلّ ذلك من تبديل الرأي وتجديد الرأي من حسن فطانة المجتهد. وأمّا عمله أحياناً بالموثّقات فقد يكون لأجل قيام القرائن الخارجية التي تعضد الخبر، مثل الشهرة مع عدم المخالف لها، ونحو ذلك.

(٥٤)

الشيخ حسن صاحب المعالم ﷺ

الشيخ حسن بن زين الدين الشهيد الثاني، صاحب المعالم، معروف عند الأصحاب بالمحقّق[١] وتصانيفه في غاية التنقيح والتهذيب.

ومن ورعه أنّه لم يكن يجمع أكثر من قوت أُسبوعه أو شهره حتى يواسي الفقراء وليجد الفقراء في فعله السلوى وحتى لا يتشبه بالأغنياء.

ومذهبه أنّ الأمر في الندب مجاز مشهور، وأن العلم بالإجماع نادر التحقّق في هذه الأزمنة. وكان يعمل بالصحيح الأعلى ويطرح سائر الأخبار.

وذكر حفيد الشهيد الثاني الشيخ علي ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن في كتاب الدر المنظوم والمنثور: درس جدّي صاحب المعالم عند الملّا عبد اللّه اليزدي التهذيب والمطوّل وحاشية الخطائي وحاشية الملّا عبداللّه على الخطائي، وكان هذا في زمان كتابة الملّا عبد اللّه حاشيته المشهورة على التهذيب، وتلك الحاشية موجودة بخط جدي، وكان الملّا عبد اللّه أيضاً يدرس عند جدي وعند صاحب المدارك الفقه والحديث، وقد وجدت صفحة بخط الشيخ البهائي بعد ذكر الكلمات الحكمية: كتب هذه الكلمات امتثالاً لأمر السيّد صاحب الكتاب حرس مجده، وكتب بخط أقل العباد بهاء الدين الجباعي ـ أصلح اللّه شأنه ـ سائلاً منه إجراءه

(١) لا يعني أنّه إذا قيل المحقق فالمراد صاحب المعالم فهذا اللقب اختص بالمحقّق الحلي صاحب الشرائع بل يعني أنهم يصفونه به. (المترجم).

على خاطره الخطير وعدم محوه عن لوح ضميره المنير سيما في محال الأمانات ومظان الإجابات وذلك سنة ٩٨٣. انتهى.

وكانت هذه الصفحة بجانب الصفحة التي كتبها الملّا أحمد الأردبيلي له والتي تقدّمت في ترجمة صاحب المدارك، وجدي الشيخ حسن كان هو وابن أُخته السيّد محمّد صاحب المدارك كفرسي رهان ورضيعي لبان متقاربين في السن، وبقي صاحب المعالم بعد السيّد محمّد بمقدار ما بين عمريهما من تفاوت تقريباً، هذا برواية الشيخ علي لكن في رجال الشيخ أبي علي كتب: أن صاحب المعالم عمّر بعد صاحب المدارك ثلاثين سنة.

وقد كتبت هذا في تذكرة العلماء ولكن الذي يظهر للنظر الآن أنّ هذا خبط؛ لأنّ الشيخ علي حفيد صاحب المعالم وهو أعرف بتاريخه وأهل البيت أدرى بما فيه، وعندما توفي صاحب المدارك كتب صاحب المعالم على قبره ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1]. ورثاه برثية كتبها على قبره:

لهفي لرهن ضريح صار كالعَلَم ... للجود والمجد والمعروف والكرم

قد كان للدين شمساً يستضاء بها ... محمّد ذو المزايا صاحب الشيم[2]

سقى ثراه وهنّاه الكرامة وال

ريحان والروح طراً بارئ النسم

وقال خليفة السلطان: سمعت أنّ الشيخ حسن توفي أثناء تصنيف المنتقى والمعالم، ومن كان على هذا الفكر وكان تحقيقه بهذا الحد فليس عجيباً أن تكون

(١) الأحزاب ٣٣ / ٢٣.

(٢) وفي بعض النسخ: طاهر الشيم بدل صاحب الشيم.

وفاته أثناء تصنيف مثل هذه الكتب.

وقال الشيخ علي: سمعت من بعض مشايخنا وغيرهم أنّ الشيخ حسن عندما ذهب إلى الحج قال لأصحابه: عندي أمل من اللّٰه أن أرى صاحب الأمر، لأنّه يأتي إلى الحج كلّ سنة. وعندما وقفوا في عرفة طلب من أصحابه الخروج من الخيمة لقراءة دعاء عرفة وجلس، وإذا برجل غير معروف أتى وسلّم وجلس. قال الشيخ حسن: بهتّ ولم أقدر على الكلام. ثم تكلّم معي ونهض وذهب فتخيّلت أنّه صاحب الأمر فسعيت خلفه فلم أجده، وسألت أصحابي قالوا: لم نر أحداً أتى أو ذهب.

قال الشيخ علي: ومن ذلك الحين برز فرق في دقّة النظر بين صاحب المدارك وصاحب المعالم، فكان الشيخ أدق نظراً وأكثر إحاطة في العلوم، وكانا إذا سبق أحدهما إلى المسجد يقتدي به الآخر وبقيا كذلك ما داما حيين، وإذا سئل أحدهما عن مسألة أجاب إن كان استنبط الفتوى وإلاّ يحيله على الآخر، وكانا يرغّبان الناس كلّ بالآخر ويحضران درس بعضهما.

وقال الشيخ علي عندي خط الشيخ حسن الشريف وفيه: مولد العبد الفقير للّٰه حسن بن زين الدين علي بن أحمد بن جمال الدين بن تقي عفا اللّٰه عن سيّئاتهم وضاعف حسناتهم في العشر الأخيرة من شهر اللّٰه الأعظم شهر رمضان سنة ٩٥٩. ويوجد بخطه أيضاً ما هذا لفظه: كتب والدي رحمه اللّٰه بخطه بعد ذكر تاريخ إخواني ما هذا لفظه: وكانت ولادة أخيه حسن أبي منصور جمال الدين ليلة الجمعة ٢٧ رمضان المبارك سنة ٩٥٩، وكانت الشمس في الدرجة الثالثة من الميزان. انتهى كلام الشيخ علي.

ومن هذا يظهر أن ما كتبه السيّد علي في كتاب السلافة من أن الشيخ حسن

كان عمره عندما قتل والده اثني عشر عاماً خطأ؛ لأن الأولاد أعرف بتاريخ الآباء.

وكانت والدة صاحب المعالم بنت العالم الفاضل الشيخ محيي الدين. وقال في كتاب أمل الآمل بعد أن نقل عنه أنّه عند قتل أبيه كان عمره أربع سنين قال: هذا ما وجدته، لكن الذي يظهر من تاريخ قتل أبيه ما ينافيه وهو أنّه كان عمره في ذلك الوقت سبع سنين.

وكان الشيخ حسن والسيّد محمّد صاحب المدارك شريكين في الدراسة، ومن جملة مشايخهما في الإجازة: السيّد علي بن أبي الحسن والد صاحب المدارك، والسيّد علي الصائغ، والشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي وجميعهم يروون عن الشهيد الثاني. ومن أساتذة صاحب المعالم وصاحب المدارك: الملّا أحمد المقدس الأردبيلي فقد جاءا من بلادهم إلى العراق ودرسا عند الملّا أحمد ولا يقرآن الكثير ولا يعطيان البحث حقّه من التدقيق وأحياناً يدرسان شرح الشمسية عنده فلا يكملان البحث وينتقلان إلى بحث آخر، فكان تلامذة الملّا أحمد يستهزئون بهما فقال لهم الملّا أحمد: غداً ترون مصنّفاتهما. وعندما رجعا إلى بلادهما كتب الشيخ حسن المعالم والسيّد محمّد المدارك وكتب المنتقى وأرسلا بعضاً من هذه الكتب إلى العراق وكان ذلك قبل وفاة الملّا أحمد.

وقال الشيخ علي في الدر المنثور: جاء صاحب المعالم والمدارك إلى العراق عند الملّا أحمد وقالا له: لا نستطيع الإقامة كثيراً في العراق فندرس معك على أن لا تشرح ما نفهمه من المطالعة وما لا نفهمه منها تدرّسنا إياه. فدرسا على هذه الطريقة شرح مختصر العضدي وشرح الشمسية مع الحاشية وشرح المطالع وعلم الكلام.

وللشيخ حسن من أبيه الشهيد الثاني إجازة بلا واسطة، والظاهر أنّه كتبها

مع صغر سنه.

وللشيخ حسن أشعار رائقة وقصائد فائقة. قال صاحب اللـؤلؤة: كـتب في كتاب أنيس المسافر وجليس الحاضر الكثير منها. وقال في كتاب أمل الآمل: إنّ للشيخ حسن ديوان شعر جمعه تلميذه نجيب الدين علي بن محمّد بن مكي العاملي.

ومن تصانيفه: كتاب منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، وهو عدّة مجلدات وقد خرج منه كتاب العبادات وكتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين، وقد ظهر منه مقدمة في الأُصول ومجلد في الفروع في الطهارة؛ ومعالم الأُصول مختصر من كتاب شرح مختصر العضدي، وقد كتبت الشروح والحواشي الكثيرة على معالم الأُصول مثل: حاشية الملّا صالح المازندراني، وحاشية ولده الشيخ محمّد، وحاشية سلطان العلماء، ولي حاشية على حاشية السلطان، وحاشية الملّا الميرزا الشيرواني، وحاشية الآغا باقر البهبهاني كتبها لولده الشيخ عبد الحسين، وحاشية الشيخ محمّد تقي الإصفهاني، وحاشية الشيخ رفيع اللاهيجاني، وشرح الملّا صفر علي اللاهيجاني، وشرح فارسي للملا الميرزا الشيرواني... وكتاب معالم الأُصول هو في الاشتهار كالشمس في رائعة النهار، وهو كتاب دراسي عند الفضلاء والطلاب، ولي حاشيتان مدوّنتان على معالم الأُصول.

ومن تأليفات الشيخ حسن: حاشية على المختلف، وكتاب مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد والتقليد، وكتاب الإجازات، والتحرير الطاووسي في الرجال وهو مجلّد وهو تلخيص وتهذيب لرجال السيّد ابن طاووس، والرسالة الاثني عشرية في الطهارة والصلاة، وكتاب مسائل الحج، وجواب المسائل المدنية الأُولى، وجواب المسائل المدنية الثانية.

وكانت وفاته حسبما ذكر سبطه في الدر المنثور والمنظوم سنة ١٠١١ ولم يذكر

الشهر واليوم، وعمره بالنسبة لتاريخ ولادته الذي ذكر هو ٥٢ سنة وثلاثة أشهر. وأما السيّد محمّد صاحب المدارك فقد ولد سنة ٩٤٦ وتوفي ليلة السبت ١٧ ربيع الأول سنة ١٠٠٩ فعمره ٦٢ سنة وعدّة أشهر.

وأما تأليفات السيّد محمّد فمنها: كتاب المدارك والذي ظهر منه العبادات، وحاشية على التهذيب، وحاشية على ألفية الشهيد، وشرح المختصر النافع والذي ظهر منه أول النكاح حتى النذر، وكتاب شواهد ابن الناظم، وشرح قصيدة ابن أبي الحديد في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ.

ولصاحب المدارك ولد اسمه السيّد حسين وهو عالم فاضل فقيه ماهر جليل القدر عظيم الشأن، درس عند والده صاحب المدارك وعند الشيخ البهائي، وذهب إلى خراسان وسكن فيها وكان قاضي القضاة في مشهد، وكان مدرساً في الحضرة الشريفة.

وقال في أمل الآمل: إنّ شواهد ابن الناظم نسب إلى السيّد حسين. لكن حسبما رأيت فإن الشواهد من تصنيفات والده صاحب المدارك. وللسيّد حسين حاشية على الفية الشهيد. توفي سنة ١٠٦٩.

وأمّا والد صاحب المدارك فهو السيّد علي بن أبي الحسين الموسوي العاملي الجبعي، وهو من أعيان فضلاء ذلك العصر ومن تلامذة الشهيد الثاني، وكان السيّد علي الصايغ الحسيني العاملي الجزيني فاضلاً عابداً محدّثاً محقّقاً ومن تلامذة الشهيد الثاني درس اللمعة عنده، ومن تأليفاته: شرح الشرائع وكتاب شرح الإرشاد وغيرهما.

وكتب الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني في كتاب الدر المنظوم والمنثور: إنّ الشهيد الثاني كان مؤمناً جداً بالعالم السيّد علي الصايغ وكان يطلب من اللّه أن

يكرمه بولد يربيه ويعلمه السيّد علي، فحقق اللّه طلبه وأكرمه بـالشيخ حسـن ودرس مع صاحب المدارك عند السيّد علي الصايغ، والسيّد علي بن أبي الحسـن أكثر العلوم التي استفادها من الشهيد الثاني من العلوم العقلية والنقلية والفـروع والأُصول والعربية والرياضية. إلى هنا كلام الشيخ علي.

ومن أشعار صاحب المعالم:

سـقوني في الهـوى كأساً — مـعاني حسـنهم راحـه

فـلي في مـهجتي أصـل — لوجـد ابـن شراحـه

ومن أشعاره أيضاً:

صـدّ دلالاً وانـثنى مـعرضاً — فأرسـل الصـدغ عـلى خـاله

لئن أبى عـن أن نـراه فـقد — أنـبأنا المـرسل عـن حـاله

رحمة اللّه عليه وعلى أبيه وعمه وأسكنهم اللّه في الجنان بمحمد وآله.

(٥٥)

الشيخ محمّد بن ماجد بن مسعود البحراني

الشيخ محمّد بن ماجد بن مسعود البحراني الماحوزي كان فقيهاً مجتهداً محققاً دقيق النظر ومن أعيان علماء تلك البلاد.

ومن تأليفاته: رسالة في الصلاة كتبها في شيراز للأمير صفي ابن الأمير محمّد مهدي وقد سمّاها بالروضة الصفوية في الصلاة اليومية، وأيضاً كتاب في المنطق.

وقال الشيخ صالح بن عبد اللّه: رأيته في آخر عمره وصليت خلفه مرّتين، وكان معي الأُستاذ العلامة الشيخ سليمان بن عبد اللّه والشيخ سليمان صهره أي زوج ابنته، وجرى في ذلك اليوم بحث بين الشيخ سليمان والشيخ محمّد بن ماجد في أنّ وضع الجبهة جزء من السجود أم ليس جزءاً، فإذا كان شخص ساجداً وسمع آية السجدة فهل يكفي الاستمرار في السجدة وتبرأ الذمة من سجود الاستماع لآية السجدة أم لابد من أن يرفع رأسه ويسجد مرة أُخرى؟

وكان الشيخ محمّد بن ماجد ادّعى أنّ وضع الجبهة ليس جزءاً من السجود ويكفي الاستمرار وادّعى عليه الإجماع، وخالف الشيخ سليمان وقال: وضع الرأس جزء ويجب على ذلك أنّ يرفع رأسه ثم يعيد جبهته إلى السجود. فوقع بينهما شجار شديد وانجرّ الكلام إلى أن قال الشيخ سليمان: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]. يريد أنّك أنت مجتهد ولك رأي ولا يجوز لك تقليدي وأنا أيضاً مجتهد ولي رأي ولا يجوز لي

(١) الكافرون ١٠٩/ ٦.

تقليدك، ولكن الشيخ محمّد نظر إلى أصل نزول الآية فانزعج وقال كلاماً منفراً موحشاً، فقال له الشيخ سليمان: إتمام المسألة يكون بالحجة والدليل لا بالتقريع. ولم يمكنه أن يقول أكثر من ذلك؛ لأنّ الشيخ محمّد كان مذعناً له ومطاعاً والشيخ سليمان لم يكن مشهوراً بعد، ثم افترقا وكل منهما في غاية الغيظ، وبقي الشيخ محمّد بعدها ما يقرب من أربعين يوماً، وكتب الشيخ سليمان رسالة في هذه المسألة في الردّ على الشيخ محمّد.

أقول: الحق مع الشيخ سليمان؛ لأنّ السجدة ليس لها حقيقة شرعية ومتشرعية بل هي على معناها اللغوي، وفي اللغة والعرف لا يقال: سجد ما لم يضع الرأس، إضافة إلى أنّ كلمات العلماء مطلقة في أنّه يجب في السجدة وضع الرأس على محل السجود.

والحاصل: أن الشيخ محمّد مرض مرضاً عظيماً وقد عاده الشيخ سليمان، وفي ذلك المرض توفّي الشيخ محمّد عن عمر يقرب من سبعين سنة وذلك في سنة ١١٠٥، وهي سنة جلوس السلطان حسين ابن الشاه سليمان، وبنوا على قبره قبة، وعندما توفي الشيخ محمّد رثاه الشيخ السليمان بمرثية مدحه فيها.

وللشيخ محمّد إجازة من الملّا محمّد باقر المجلسي.

(٥٦)
السيّد هاشم ابن السيّد سليمان

السيّد هاشم المعروف بالعلامة ابن السيّد إسماعيل ابن السيّد عبدالجواد الكتكاني نسبة إلى كتكان ـ بفتح الكافين والتاء ـ وهي من قرى توبلي من أعمال البحرين. وكان هذا السيّد فاضلاً محدّثاً متتبعاً في الأخبار بحيث لم يسبقه في الأخبار أحد غير المجلسي، وقد ألّف كتباً عديدة ولم يبرز منه كتاب في الفتاوى ولم يسمع عنه استدلال في الأحكام، وهذا إمّا لعدم بلوغه مرحلة الاجتهاد أو لشدة الورع والتقوى كالسيّد العابد الزاهد رضي الدين بن طاووس.

وقد انتقلت إليه رئاسة البلد بعد الشيخ محمّد بن ماجد فقمع أيدي الظلمة والحكام وكان في غاية التصلب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكانت وفاته سنة ١٠٠٩[1]. وللشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي إجازة من هذا السيّد.

ومن مصنفاته: كتاب البرهان في تفسير القرآن في ستة مجلّدات جمع فيه الأخبار الواردة في التفسير من الكتب القديمة، وكتاب مدينة المعجزات في النص على أئمة الهدى في عدّة مجلّدات، وكتاب الهادي وضياء النادي في تفسير القرآن في عدّة مجلّدات، وكتاب معالم الزلفى في النشأة الأخرى وهو مجلّد كبير، وكتاب الدر

(١) في هذه الصفحة سهوان: الأول في العنوان إذ ذكر أنّه ابن سليمان وفي المتن ذكر ابن اسماعيل. والثاني في هذا التحديد إذ سبق أن الشيخ محمّد توفي سنة ١١٠٥ وهذا ينافي كون وفاة السيّد هاشم الذي عاش بعد الشيخ محمّد ١٠٠٩. (المترجم).

النضيد في فضائل الحسين الشهيد عليه السلام وهو مجلّد، وكتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء ما عدا نبينا صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين، وكتاب وفاة الزهراء عليها السلام، وكتاب سلاسل الحديد وهو منتخب من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة في فضل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام وكتاب الإيضاح، وكتاب نهاية الأعمال فيما يتم بتلك الأعمال، وكتاب ترتيب التهذيب في عدّة مجلّدات، جعل في كلّ باب الحديث المتعلّق به وقد سمّاه بعض معاصريه من علماء البحرين بتخريب التهذيب كما هو شأن المعاصرين؛ وكتاب تنبيهات الأديب في رجال التهذيب وقد نبّه فيه على أغلاط كثيرة وقع فيها الشيخ في الرجال وأسانيد الأخبار التي ذكرها في التهذيب، وكتاب الرجال العلماء الذين رجعوا إلى الحق، وكتاب حلية النظر في فضل الأئمة الاثني عشر، وكتاب البهجة المرضية في إثبات الخلافة والوصية، وكتاب مناقب الشيعة، وكتاب الميثمية وكتاب نسب عمر، وكتاب تعريف رجال من لا يحضره الفقيه، وكتاب مولد القائم، وكتاب نزهة الأبرار ومنار الأفكار في خلق الجنة والنار، وكتاب المحجة فيما نزل بالحجة، وكتاب تبصرة الولي فيمن رأوا المهدي عليه السلام، وكتاب عمدة النظر في الأئمة الاثني عشر، وكتاب معجزات النبي صلى الله عليه وآله، وكتاب غاية المرام في تعيين الإمام وهو مجلّدان نقل فيه أخبار العامة والخاصة بأسانيدهم في تعيين أمير المؤمنين وأولاده المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين.

ولهذا السيّد إجازة من السيّد عبد العظيم ابن السيّد عباس الاسترآبادي والسيّد عبد العظيم إخباري ألّف رسالة في وجوب الجمعة عيناً. رحم اللّه معشر الماضين.

(٥٧)

الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي

الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي وهو شيخ فاضل محدّث لغوي عابد زاهد.

ومن مصنفاته: كتاب مجمع البحرين، والمطلع المنير في تفسير غرائب القرآن والأحاديث الواردة من طرق الشيعة، وكتاب شرح المختصر النافع، وكتاب تمييز المتشابه من أسماء الرجال، وكتاب الأربعين، وكتاب المنتخب في المراثي والخطب والأخبار في مصيبة سيّد الشهداء.

ولهذا الشيخ إجازة عن الشيخ محمّد بن جابر النجفي عن الشيخ محمود بن حسام الدين الجزائري عن الشيخ البهائي.

وليعلم أنّ أكثر الأخبار التي ذكرها في المنتخب في مصيبة سيّد الشهداء هي من المراسيل.

وللشيخ فخر الدين ولد هو الشيخ صفي الدين وكان فاضلاً ومن مشايخ الإجازة وصاحب تأليفات.

(٥٨)
الشيخ صالح بن عبد الكريم

الشيخ صالح بن عبد الكريم الكازركاني البحراني كان متوطناً في شيراز وتوفي فيها ودفن في جوار السيّد علاء الدين حسين، وهو من مشايخ إجازة الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي، وكان فاضلاً ورعاً.

وقد تولى القضاء والمرافعات بأمر الشاه سليمان وعندما أُرسل إليه من قبل السلطان خلعة وأمر القضاء امتنع عن لباسها، وبعد الالتماس والتخويف من سطوة السلطان رمى تلك الخلعة خلفه.

ومن تأليفاته تفسير أسماء اللّه الحسنى، والرسالة الخمرية، ورسالة في الجبائر.

وله إجازة من السيّد نور الدين المتقدم. رحمه اللّه تعالى وأسكنه في الجنة مع الأئمة الأبرار والأولياء الأخيار.

(٥٩)

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني

الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني من مشايخ إجازة الشيخ سليمان بن أبي ظبية المتقدم، جاء هو والشيخ صالح بن عبد الكريم من البحرين إلى بلاد شيراز بسبب ضيق المعيشة، وكان هناك أيضاً من الفضلاء فذهب الشيخ جعفر إلى الهند وتوطن في حيدرآباد، وسكن الشيخ صالح في شيراز، وكان كلّ منهما مرجعاً في البلد الذي أقاما فيه. رحمة الله عليهما وغفرانه.

(٦٠)

الشيخ أحمد بن صالح البحراني

الشيخ أحمد بن صالح الدرازي البحراني عالم زاهد ورع.

ومن تأليفاته كتاب الطلب الأحمدي، ورسالة في الاستخارة. توفي سنة ١١٢٤. رحمة الله عليه.

(٦١)
علي بن عبدالله البحراني ﷺ

علي بن عبدالله بن أحمد البحراني البلادي من مشايخ إجازة صاحب الحدائق، وكان فاضلاً في الحكمة والمعقولات قليل الرغبة في التدوين والمطالعة.

ومن تأليفاته رسالة في علم الكلام، ورسالة أُخرى في علم الكلام، ورسالة في نفي الجزء الذي لا يتجزّأ، ورسالة في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وشرح رسالة سليمان في المنطق، ورسالة في وجوب الجهاد في زمن الغيبة، ورسالة في عدم ثبوت الدعوى على الميت بشاهد واحد ويمين.

وله إجازة من الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدّم.

(٦٢)
علي بن حسن بن يوسف ﷺ

له إجازة من الشيخ محمّد بن ماجد المتقدم، كان هو وأبوه وجده من مشاهير الفضلاء، وكان معاصراً للشيخ سليمان بن عبدالله.

(٦٣)
الشيخ محمود بن عبدالسلام ﷺ

هو من مشايخ إجازة صاحب الحدائق، وعمّر ما يقرب من مئة سنة. رحمة الله عليه وأسكنه في الجنة.

(٦٤)

محمّد بن الحسن بن علي العاملي

محمّد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي المشغري نسبة إلى مشغرة قرية من قرى جبل عامل. وهو عالم فاضل محدّث، وكان أخبارياً، وهو من المحمدين الثلاثة الأواخر الذين جمعوا أخبار الكتب الأربعة.

ولد سنة ١٠٣٣ في الثامن من رجب ليلة الجمعة على ما ذكر في كتاب أمل الآمل، وتلمذ لوالده وعمه الشيخ محمّد الحر وجدّ أُمّه الشيخ عبد السلام بن محمّد الحر وخال أبيه الشيخ علي بن محمود وغيرهم، ودرس في قرية جبع عند عمه أيضاً والشيخ حسن الظهيري والشيخ زين الدين محمّد ابن الشيخ زين الدين الشهيد.

وبقي أربعين سنة في بلاده حجّ خلالها مرتين، بعد ذلك سافر إلى العراق وزار الأئمة عليهم السلام ثم زار طوس وبقي فيها مجاوراً، وخرج من طوس مرتين لزيارة مكة.

وله كتب متعددة فمن تأليفاته: الوسائل الذي جمع فيه الكتب الأربعة مع بعض الشروحات الإجمالية في بعض الموارد ألفها خلال ١٧ سنة في ستة مجلّدات، ولم يجمع من أخبار أُصول الكافي بل اقتصر على الفروع ويذكر في آخر الكتاب مذهبه على طريقة الأخباريين، وأقام الأدلّة الكثيرة عليه لكنها أوهن من بيت العنكبوت.

والمناسب أن نذكر هنا إجازات صاحب الوسائل التي ذكرها في آخر كتابه

تيمّناً وتبرّكاً ولكثرة المهارة في علماء مشايخ الإجازة.

قال في آخر كتاب الوسائل: الفائدة الخامسة في بيان بعض الطرق التي نروي بها الكتب المذكورة عن مؤلفيها، وإنما ذكرنا ذلك تيمناً وتبركاً باتصال السلسلة بأصحاب العصمة ﷺ لا لتوقف العمل عليه لتواتر تلك الكتب وقيام القرائن على صحتها وثبوتها كما يأتي إن شاء اللّه تعالى فنقول:

إنا نروي الكتب المذكورة وغيرها عن جماعة منهم: الشيخ الجليل الثقة الورع أبو عبداللّه الحسين بن الحسن بن يونس بن ظهير الدين العاملي ﵀ إجازة، وهو أول من أجازني سنة إحدى وخمسين وألف عن الشيخ الفاضل نجيب الدين علي بن محمّد بن مكي العاملي، عن الشيخ الكامل الأوحد بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، عن والده، عن الشهيد الثاني الشيخ الأفضل الأكمل زين الدين علي بن أحمد العاملي.

ونرويها أيضاً عن الشيخ الأجل الأكمل الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني، عن الشيخ الأكمل الشيخ بهاء الدين، عن أبيه، عن الشهيد الثاني، وعن شيخنا الشيخ زين الدين عن مولانا محمّد أمين الاسترآبادي، عن السيّد محمّد بن علي بن أبي الحسن الحسين العاملي بالسند الآتي عن الشهيد الثاني، وعن شيخنا الشيخ زين الدين، عن مولانا محمّد أمين، عن مولانا ميرزا محمّد بن علي الاسترآبادي، عن الشيخ الجليل إبراهيم بن علي بن عبد العالي العاملي، عن والده، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن داوود العاملي العاملي بالسند الآتي.

ونرويها أيضاً عن أبي عبداللّه الحسين بن الحسن، عن الشيخ نجيب الدين والسيّد الجليل نور الدين علي بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي جميعاً، عن

الأُستاذ المحقق المدقق الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين العاملي والسيّد الجليل السيّد محمّد ابن السيّد علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي جميعاً، عن السيّد علي بن أبي الحسن العاملي والشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والسيّد علي ابن السيّد فخر الدين الهاشمي العاملي والشيخ أحمد بن سليمان العاملي كلهم عن الشهيد الثاني.

ونرويها أيضاً عن الشيخ نجيب الدين، عن أبيه، عن جده، عن الشهيد الثاني.

ونرويها أيضاً عن خال والدي الشيخ علي بن محمود العاملي، عن الشيخ الجليل محمّد بن الحسن بن زين الدين، عن والده عن المذكورين عن جده الشهيد الثاني، وعن خال والدي عن الشيخ محمّد بن علي العاملي التبني، عن الشيخ بهاء الدين، عن أبيه عن الشهيد الثاني، وعن خال والدي عن السيّد نور الدين العاملي بالسند السابق عن الشهيد الثاني.

ونرويها أيضاً عن المولى الأجل الأكمل الورع المدقق مولانا محمّد باقر ابن الأفضل الأكمل مولانا محمّد تقي المجلسي أيده اللّه تعالى، وهو آخر من أجازني وأجزت له عن أبيه وشيخه مولانا حسن علي التستري والمولى الجليل ميرزا رفيع الدين محمّد النائيني والفاضل الصالح شريف الدين محمّد الرويدشتي كلهم عن الشيخ الأجل الأكمل بهاء الدين محمّد العاملي، عن أبيه الحسين بن عبد الصمد العاملي، عن الشهيد الثاني، وعن المولى الأجل مولانا محمّد باقر سلمه اللّه، عن العدة المتقدم ذكرهم، عن المولى الأورع الأتقى عبد اللّه بن الحسين التستري، عن الشيخ الأجل نعمة اللّه بن أحمد بن محمّد بن خاتون العاملي، عن الشيخ المحقق المدقق الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي والفقيه أبي العباس أحمد بن خاتون العاملي، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن خاتون العاملي، عن الشيخ

الجليل جمال الدين أحمد ابن الحاج علي العاملي العيناثي، عن الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام العاملي، عن السيّد الجليل الحسن بن أيوب الشهير بابن نجم الدين العاملي، عن العلامة السعيد الشهيد محمّد بن مكي العاملي، وعن مولانا محمّد باقر المجلسي دام ظله، عن أبيه، عن الشيخ الأجل بهاء الدين محمّد العاملي والمدقق النحرير القاضي معز الدين محمّد والشيخ يونس الجزائري، عن شيخهم المحقق عبد العالي العاملي، عن والده العلامة نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الكركي، عن شيخه الأجل علي بن هلال الجزائري عن الشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن فهد، عن الشيخ زين الدين علي بن خازن الحائري، عن الشهيد محمّد بن مكي العاملي، وعن مولانا محمّد باقر المجلسي، عن أبيه، عن القاضي أبي الشرف الإصفهاني والشيخ عبد اللّه ابن الشيخ جابر العاملي، عن مولانا درويش محمّد بن الحسن العاملي عن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الكركي بالإسناد السابق. وعنه عن أبيه عن الشيخ جابر بن عبّاس النجفي، عن الشيخ عبد النبي الجزائري، عن الشيخ علي بن عبد العالي العاملي. وعنه عن السيّد الفاضل أمير شرف الدين علي الحسيني التولستاني، عن الأمير فيض اللّه بن عبد القاهر الحسيني التفريشي، عن الشيخ الجليل محمّد بن الحسن بن زين الدين العاملي، عن أبيه، عن الشيخ الجليل الحسين بن عبد الصمد العاملي عن الشهيد الثاني. وعنه عن أمير شرف الدين علي، عن الأمير فيض اللّه، عن السيّد الجليل السيّد علي بن أبي الحسن العاملي، عن الشهيد الثاني. وعنه عن أمير شرف الدين علي عن مولانا الأجل ميرزا محمّد بن علي الاسترآبادي عن شيخه الشيخ إبراهيم بن علي بن عبد العالي والعاملي الميسي عن أبيه، وبالأسانيد السابقة كلها عن الشهيد الثاني، عن الشيخ أحمد بن خاتون العاملي عن الشيخ علي بن عبد العالي العاملي الكركي. وبالأسانيد عن الشهيد الثاني، عن شيخه الفاضل علي بن عبد العالي العاملي

الميسي، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن داوود المؤذن العاملي الجزيني، عن الشيخ ضياءالدين علي ابن الشهيد محمّد بن مكي العاملي، عن والده، عن الشيخ فخر الدين محمّد ولد الشيخ العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، عن والده، عن شيخه المحقق نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد الحلي، عن السيّد الجليل شمس الدين فخار بن معد الموسوي، عن الشيخ الفقيه أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي، عن الشيخ عماد الدين محمّد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ أبي علي الحسن ابن الشيخ الجليل أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي عن والده. وبالإسناد السابق عن الشهيد محمّد بن مكي العاملي، عن السيّد شمس الدين محمّد بن أبي المعالي، عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، عن السيّد محيي الدين محمّد بن عبد اللّه بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، عن الشيخ السعيد رشيد الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، عن أبيه، والداعي بن علي الحسيني وفضل اللّه بن علي الحسيني الراوندي وعبد الجليل بن عيسى الرازي ومحمّد وعلي ابني عبد الصمد النيشابوري وأحمد بن علي الرازي ومحمّد بن الحسن الشوهاني وأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ومحمّد بن علي بن الحسن الحلبي ومسعود بن علي الصوابي والحسين بن أحمد بن طحال المقدادي كلهم، عن الشيخين أبي علي الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسي، وأبي الوفا عبد الجبار بن علي المقري، عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسين الطوسي قدس اللّه أرواحهم بأسانيده المذكورة سابقاً إلى كلّ من روى عنهم. وقد عرف من ذلك الطريق إلى الكليني، والصدوق، والحسن بن محمّد الطوسي وأحمد بن أبي عبد اللّه البرقي، ومحمّد بن الحسن الصفار، وعبد اللّه بن جعفر الحميري، وسعد بن عبد اللّه والفضل بن شاذان ومحمّد بن مسعود العياشي وعلي بن جعفر والحسين بن سعيد ومحمّد بن أبي القاسم الطبري وجعفر بن محمّد بن قولويه وعلي بن إبراهيم والشيخ

المفيد، والمحقق جعفر بن الحسن بن سعيد، وغيرهم ممن تقدم على الشيخ أو تأخر عنه وقد ذكر في هذا السند.

فإنا نروي كتبهم ورواياتهم بالسند المذكور إليهم أو إلى الشيخ بأسانيده السابقة في طرق التهذيب والاستبصار وفي الفهرست وفي طرق الصدوق السابقة وغير ذلك إلى المشايخ المذكورين كلهم بطرقهم إلى الأئمة عليهم السلام.

ثم بعد ذلك يذكر أسانيد خاصة لبعض الكتب، ونكتفي بهذا المقدار حذراً من الإطالة.

ويقال: إنّه عندما دخل صاحب الوسائل إلى إصفهان أكثر الملّا محمّد باقر من احترامه احتراماً لشخصه ولنوعه، وكلّف السلطان برؤيته فزاره السلطان سليمان في غاية الاحترام فأراد صاحب الوسائل لبساطته أن يذهب صباح ذلك اليوم لزيارة السلطان وأعلم السلطان بذلك، ففهم السلطان أن هذا من بساطة الشيخ فقال له: الشيخ يزور بعد عشرة أيام.

وبعد عشرة أيام ذهب الشيخ بصحبة المجلسي وعلماء آخرين إلى محضر السلطان، وكانت السنّة أن العلماء لا يجلسون على بساط السلطان الخاص احتراماً له والسلطان أيضاً لم يكن يجلس في حضور العلماء على بساطهم احتراماً لهم، فجلس المجلسي والآخرون في أمكنتهم وجلس الشيخ على البساط الخاص فانزعج السلطان من ذلك وسأل الشيخ أنّه ماذا يفصل بين الحر والحمار[1] فقال له الشيخ: بينهما مسند واحد. فسكت السلطان، وبعد انقضاء المجلس عاتب المجلسي الشيخ بأنّ هذه الأفعال والأقوال لا تكون مع السلطان فأجاب الشيخ: لماذا تتسون اللّه وزمام أُمور المملكة والسلطنة في يده؟

(١) الحمار بالفارسية خر. (المترجم).

ومن تأليفاته: كتاب الجواهر السنية في الأحاديث القدسية وهو أول كتاب ألفه ولم يجمع قبله أحد الأحاديث القدسية، وكتاب الصحيفة الثانية من أدعية علي بن الحسين عليه السلام التي لم تذكر في الصحيفة السجادية الكاملة، وكتاب هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمة في ثلاثة مجلّدات، والمنتخب من هداية الأمّة بحذف الأسانيد والمكررات من أول الفقه حتى آخره، وكتاب فهرست وسائل الشيعة وقد اشتمل على عناوين الأبواب وعدد أحاديث كلّ باب ومضمون الأحاديث وهو مجلّد، وكتاب الفوائد الطوسية في مجلّد وقد اشتمل على مئة فائدة في المطالب المتفرقة، وكتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات وهو عدّة مجلّدات اشتمل على عشرين ألف حديث من كتب الخاصة والعامة، وكتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل وفيه أيضاً أسماء العلماء المتأخرين، ورسالة في الرجعة اسمها الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة، ورسالة في رد الصوفية في خلق الكفر وما يناسبه، ورسالة في تسمية المهدي صلوات اللّه وسلامه عليه اسمها كشف التعمية في حكم التسمية، ورسالة الجمعة، ورسالة في الإجماع اسمها نزهة الأسماع في حكم الإجماع، ورسالة في تواتر القرآن، ورسالة في الدجال، ورسالة في أحوال الصحابة، ورسالة في تنزيه المعصوم من السهو والنسيان، ورسالة في الواجبات والمحرمات المنصوصة من أول الفقه حتى آخره وقال: إن عدد الواجبات ١٥٣٥ وعدد المحرمات ١٤٤٨، وكتاب الفصول المهمة في أُصول الأئمة اشتمل على القواعد الكلية المنصوصة في أُصول الدين وأُصول الفقه وفروع الفقه والطب، وله ديوان شعر فيه ما يقرب من عشرين ألف بيت أكثرها في مدح النبي والأئمة الطاهرين صلوات اللّه وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وتأليفاته وإن كانت كثيرة لكنها خالية من التحقيق إن هي إلا جمع. ومن تأليفاته كتاب بداية الهداية. رحم اللّه معشر الماضين.

(٦٥)

الشيخ زين الدين حفيد الشهيد الثاني ﷺ

الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمّد بن حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، كان عالماً فاضلاً متبحّراً مدققاً محققاً، وحكى في اللؤلؤة عن أمل الآمل وصفه بـ«ثقة ثقة» وهذا كمال التوثيق، وكان صالحاً ورعاً شاعراً أديباً جامعاً حافظاً في فنون العلوم العقلية والنقلية، وكان جليل القدر عظيم المنزلة ولم يكن له في زمانه نظير.

تلمّذ لأبيه الشيخ محمّد والشيخ البهائي ومحمّد أمين الاسترآبادي وجماعة من علماء العرب والعجم.

وكان مجاوراً لمكة وتوفي فيها ودفن عند خديجة الكبرى.

وقرأ عليه صاحب الوسائل كتب العربية والرياض والحديث والفقه وغير ذلك. وكان يحسن الشعر وله فوائد وحواشٍ كثيرة وديوان شعر صغير، ولم يؤلّف كتاباً من شدة الورع وخوف الشهرة. وقال صاحب أمل الآمل: والمتأخّرون أكثروا من التأليف وفي مؤلفاتهم الكثير من السقطات، عفا اللّه تعالى عنا وعنهم، وصار هذا موجباً لقتلهم وكان الشيخ زين الدين يتعجّب من جدّه الشهيد الثاني ومن الشهيد الأول والعلامة في كثرة قراءاتهم على العامة وكثرة تتبّعهم في كتبهم الفقهية والأُصولية والروائية ودراستهم عندهم، وكان الشيخ زين الدين ينكر عليهم ذلك، إذ ترتب عليه ما ذكر من قتلهم عفا اللّه عنهم.

وقال صاحب اللؤلؤة بعد ذكر هذا الكلام: وما ذكره من كثرة التعجب والإنكار على هؤلاء الفضلاء وأمثالهم وما قاله حق وأحق أن يتبع وإن كان تابعوه قلة: أما أولاً: فللأخبار المستفيضة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام من المنع من الجلوس في مجالسهم والحضور عندهم والتعمق في علومهم وأحاديثهم.

وأما ثانياً: فلما ذكروه في كتاب المتاجر من حرمة حفظ كتب الضلال ونسختها ودرسها ووجوب إتلافها، وهم أصل كلّ ضلال كما ورد مستفيضاً في أخبار آل محمّد صلى الله عليه وآله.

وأما ثالثاً: فلما ترتب على هذه المعاشرة مع العامة من دخول هذه الأُصول المسمّاة بأُصول الفقه في شريعة النبي لمتابعة العامّة مع أنها أُصول لا أصل لها في أخبار أهل البيت عليهم السلام مع أنهم عليهم السلام كانوا حريصين على بيان كلّ حكم كبير أو صغير من الأحكام الشرعية فلماذا لم يذكروا عليهم السلام هذه الأُصول إن كانت صحيحة؟ انتهى كلام صاحب الحدائق.

يقول مؤلف الكتاب: مما ذكر في بداية الأمر من توصيفهم إياه جعلنا نعتقد أن الشيخ زين الدين كان فقيهاً فطناً فاهماً ذكياً، لكن الذي ظهر من هذه الكلمات الواهية أنّه هو وصاحب الحدائق لم يكونا على ذلك القدر من الفهم، فنقول: أمّا جواب الدليل الأول فهو أنّ المراد من الأخبار المانعة المنع عن مجالستهم عندما تكون عن خلل في الاعتقاد، أمّا إذا كان تقية ولرفع شرهم وفتنتهم وفسادهم فإن الجلوس معهم واجب كما كان الأئمة عليهم السلام يجلسون مع المخالفين ويحضرون صلاة جماعتهم وجمعتهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام دائماً يجلس معهم ويقول ما هو الصواب عندما يستشيرونه، كما أنّ الإمام الصادق عليه السلام أحسن العشرة مع العامة والمخالفين حتى قالوا: رحم اللّه جعفر بن محمّد فقد أحسن تأديب أصحابه. وبهذا تشعر الآية

الشريفة: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدواً...﴾[1].

إضافة إلى أنّه قد يكون الدرس عندهم والرجوع إلى كتبهم، ليطّلع الإنسان على طريقهم وأدلّتهم فيردّها ويجيب عنها ويزلزل اعتقاد العوام الذين هم كالأنعام، واجباً كفائياً فضلاً عن أنّه ليس حراماً سيما إذا اطلعوا من أخبارهم على ما يدل على كلام الشيعة فيلزمهم به، وهذا من الجدال بالتي هي أحسن وهي مقبولة وموافقة للعقل، وهذه هي طريقة أصحاب الأئمة عليهم السلام أيضاً كما يظهر من التتبع في الأخبار، وبهذا يرد عن الدليل الثاني؛ لأن الفقهاء في كتاب المتاجر استثنوا حفظ كتب الضلال للإلزام وإتمام الحجة عليهم وتضعيف أدلّتهم كما لا يخفى على المتتبع، وهذا في غاية الوضوح حتى إنّ منكره مكابر.

وأمّا الجواب عن الدليل الثالث فإن نسبة الأُصول إلى البدع غباء وعدم فطنة؛ لأن الأُصول على نحوين: مباحث الألفاظ وغيرها. أما مباحث الألفاظ فكيف يمكن للفقيه أن لا يبحث مثلاً عن أن الأمر للوجوب أو للندب؟! افرضوا أننا ـ نحن الأُصوليين ـ أتينا بهذه البدعة المحرمة وارتكبناها فأنتم أيها الأخباريون ماذا تفعلون؟ هل تحملون الأمر على الوجوب أم على الندب؟ وعلى كلّ تقدير هل لا بد من دليل من عرف الأئمة على أن الأمر للوجوب أم بدون دليل تختارون أحد الأمرين؟ بالتأكيد أنتم لا ترضون بأن تتكلّموا بلا دليل، إذن عليكم أنتم أيضاً أن تطرحوا هذه المسألة وتبحثوا فيها.

ثم إنكم هل تنكرون آية: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[2]؟ بالتأكيد أن التكاليف بيّنت بلسان عربي ويجب أن نفهم كلام النبي وآله حتى نعرف التكليف

---

(١) الأنعام ٦ / ١٠٨.

(٢) إبراهيم ١٤ / ٤.

وهل كلامهم هو على طريقة قومهم أم كان لهم اصطلاح خاص بهم؟ إذن يجب البحث في الحقيقة الشرعية، والحقيقة والمجاز، والصحيح والأعم، والأمر والنهي، والعام والخاص، وحمل العام على الخاص، والمطلق والمقيد والمجمل والمبين حتى يحصل لنا علم بالتكليف أو ظن به عند انسداد باب العلم.

إضافة إلى أنّه ورد في الحديث أنّ زرارة سأل الإمام الصادق عليه السلام: أنّه لماذا يجب أن نقصّر في الصلاة مع أن اللّه تعالى قال: «لا جناح» ولم يقل: قصروا؟ فتمسك عليه السلام ببيان الرسول صلى الله عليه وآله، كما ورد أنّ زرارة سأل عن الوجه في المسح ببعض الرأس لا بتمامه فقال عليه السلام: لمكان الباء في ﴿بِرُؤُسِكُم﴾[1] أي الباء للتبعيض، فالأئمة ذكروا ذلك بشكل مجمل. وقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» يدلّ عليه، كما أن قوله: «علينا بإلقاء الأُصول وعليكم بالفروع» أقوى شاهد على الاجتهاد.

وأمّا حجية الكتاب والإجماع والخبر ونحوها ففي كلام الإمام عليه السلام أيضاً إيماء إليه. وفي مبحث الرؤية روي حديث أنّ المعصوم تمسّك بالإجماع على أن الإجماع دليل يفيد القطع وبعد حصول القطع لا يمكن الإتيان بدليل على حجية القطع؛ لأنّ ذلك الدليل إن كان قطعياً فلازمه الدور، وإن كان ظنياً فلن يكون مثبتاً للقطع ببداهة العقل. إضافة إلى أنّ «المجمع عليه لا ريب فيه» يدل على حجية الإجماع.

أمّا أصل البراءة والاستصحاب فمأخوذان من الأخبار فدليل البراءة «ما حجب اللّه علمه من العباد» وأمثاله، ودليل الاستصحاب «لا تنقض اليقين إلا بيقين» غاية الأمر أنّهم اصطلحوا عليهما بأصل البراءة والاستصحاب ولا مشاحة في الاصطلاح، فكيف تكون هذه الأُصول بدعة أدخلها المجتهدون في الدين؟ وأي

---

(١) المائدة ٥ / ٦.

مسألة هي ليست محتاجة إلى ذلك عندكم أيها الأخباريون؟

وأمّا حجية العقل فتدلّ عليها أخبار كثيرة، والعبارة الواردة في الحديث «بك أُثيب وبك أعاقب» شاهد صدق.

وأمّا ما يدّعيه الأخباريون من قطعية الأخبار فهذا غلط صرف مع وجود التعارض بين الأخبار وعروض أوجه الخلل واختفاء القرائن الحالية والمقالية مع تمادي العصور، وقد بسطنا الجواب عن هذا الكلام بالتفصيل مع تطويل في منظومة ألفية الأُصول وشرحها وفي حواشي القوانين بنحو لا يقبل الإنكار، والتحدّث في هذا الأمر ليس ممّا نقصده من هذا الكتاب؛ لكن من اللازم أن نتحدث بالإجمال فنقول:

أمّا قول صاحب الوسائل: إنّ المحمدين الثلاثة شهدوا على أن هذه الأخبار المذكورة في الكتب الأربعة هي حجة بيننا وبين اللّه، فهو كلام بعيد عن العقل؛ لأنّ المحمدين شهدوا بذلك من أجل عملهم وهذا لا دخل له بالآخرين، وأنا أيضاً أقول: الفتاوى التي ذكرتها هي حجّة بيني وبين اللّه، حجة لي ولمقلديني. إضافة إلى أنّ روايات المحمدين متعارضة فإنّ الكثير من أخبار التهذيب وأخبار الكافي متناقضة، وهذا هو حالها مع من لا يحضره الفقيه، بل التعارض موجود في الكتاب الواحد منها فما هو التكليف ونحن نسألكم أيها الأخباريون: ماذا نفعل وبأي من المتعارضين نأخذ؟

إن قلتم: نرجع إلى الأخبار العلاجية التي ذكرها صاحب الوسائل في باب القضاء لعلاج تعارض الأخبار. نقول لكم: إن الأخبار العلاجية أيضاً متعارضة فبعضها قدّم الترجيح بما وافق القرآن، وبعضها الآخر قدّم الترجيح بما خالف العامة. المهم أنّ هذه الأخبار لا تخلو فيما بينها عن تعارض. إضافة إلى أنّ الشهادة

في الأحكام الشرعية غير مسموعة ولا دليل على حجّيتها.

فإن قلت: نعمل بهذه الأخبار للإجماع نقول: أولاً: هذا إجماع مدركي، مثل أن هناك مائعاً هو عند الجميع حلال لكن بعضهم يراه حلالاً لأنّه ماء عنده وهو عند غيره عصير عنبي حلال، وعند ثالث ماء قليل لاقى النجاسة ومع ذلك طاهر حلال، ومثل هذا الإجماع لا قيمة له، وكذلك هذه الأخبار فهي عند السيّد المرتضى وأمثاله متواترة فهي حجة، وعند غيره هي أخبار آحاد وحجة وهكذا.

ثم إنّ الإجماع هل هو على العمل بالصحيح الأعلى أم الصحيح عند القدماء أو المشهور؟ وهل عملوا بالموثق أيضاً؟ وهل الحسن داخل في الإجماع أم لا؟ وهل الضعيف أيضا معمول به أم لا؟ فأي إجماع سيكون في البين؟ بل إن هذه الدعوى كلام لا يستند إلى أساس.

وأمّا ما قاله أمين الأخباريين الملّا محمّد أمين الاسترآبادي من أن الشريعة خرّبت مرتين: مرة يوم سقيفة بني ساعدة والأُخرى يوم قسّم العلامة الحديث إلى حسن وموثق وضعيف وصحيح، فهو كلام في غاية الغباء وعدم الفطنة ناشئ من العناد واللجاجة؛ لأنّ الصحيح عند القدماء كلّ ما هو معتمد وقامت القرائن عليه أو له معاضد، والآن وبسبب طول المدة اختفت القرائن فلا ندري أي خبر هو الذي كانت قد قامت القرينة عليه؟ فكان من اللازم تقسيم الأحاديث والبحث لنرى ما هو الأحسن ونضم إليه الظنون الاجتهادية وحينئذٍ نعمل به ولا سبيل لنا غير ذلك، فإن كانت هناك قرائن بين أيديكم ـ أيها الأخباريون ـ فأطلعونا عليها وطمئنونا، وإلا فإنه لا يمكن إثبات حكم اللّه بهذه الهفوات وهذا الكلام المتزلزل وهذه الأغلاط.

إضافة إلى أنّ الملّا محمّد أمين غير مطّلع على أقوال العلماء إلى حدّ أنّه لم يعلم

ولم يفهم أنّ هذا التقسيم ليس من العلامة بل من السيّد ابن طاووس، وهو من أصحاب الكرامة وقد سمع صوت صاحب الأمر، وكذلك المحقق الأول صاحب الشرائع وهو متقدم على العلّامة، فالعلامة وهو أيضاً صاحب كرامات تبعهم على ذلك، فانظر إلى هذا الرجل الذي ليس عنده خبر عن شيء ماذا يصدر عن قلمه من أغلاط؟

وأما اعتقاد بعض الأخباريين بأنّ علم الرجال بدعة فكلام متزلزل في الغاية، لأن بعض رجال الإسناد فاسق والبعض عادل والبعض غير ضابط والبعض من الغلاة والبعض كذاب، وهذه مقدمة قطعية، فكيف نعمل بالحديث من دون علم الرجال وضم الظنون الرجالية، مع أنّ المعصوم أيضاً قد يضعّف شخصاً ولا يراه غيبة؟

وقال الشيخ علي أخو الشيخ زين الدين في كتاب الدر المنظوم والمنثور بعد أنّ ذكر الشيخ زين الدين وأثنى عليه: سافر الشيخ زين الدين إلى ديار العجم ونزل في منزل الشيخ البهائي، فأكرمه تمام الإكرام وبقي عنده مدّة طويلة اشتغل خلالها بالدراسة لديه وقراءة مصنّفاته وغيرها، وكان يدرس عند غيره أيضاً، وعندما انتقل الشيخ في السنة التي توفي فيها والده وهي سنة ١٠٣١ سافر الشيخ زين الدين إلى مكة المشرّفة واشتغل فيها بالمطالعة، فتشرّفت بالذهاب إلى مكة ورجعت معه إلى بلادنا ودرست عنده الأُصول والفقه والهيئة، ثم ذهب مرة أُخرى إلى العجم وعاد بسرعة. وكانت ولادته سنة ١٠٠٩، وانتقل إلى رحمة اللّه ورضوانه يوم التاسع والعشرين من ذي الحجة من سنة ١٠٦٤. وكنت في مكة المشرّفة واجتمعت معه يوم عرفة وبقيت معه حتى هذه السنة. ودُفن مع أبيه في المعلى في مقابر مكة المعظمة. انتهى كلام أخيه الشيخ علي.

وللشيخ زين الدين إجازة من أبيه الشيخ محمّد ومن الشيخ البهائي.

(٦٦)
الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ﷺ

الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني كان فاضلاً مدققاً ورعاً فقيهاً متبحراً رجالياً.

درس في بداية أمره عند والده المعظم الشيخ حسن صاحب المعالم والسيّد محمّد صاحب المدارك وأخذ منهما الحديث والأُصول وغيرهما، وقرأ مصنفاتهما من المنتقى والمعالم والمدارك وما كتبه السيّد محمّد على كتاب النافع، واشتغل مدّة بعد وفاتهما بالمطالعة ثم تشرّف بالذهاب إلى مكة المشرفة، والتحق بالميرزا محمّد علي بن ابراهيم الاسترآبادي صاحب الرجال وقرأ عنده الحديث، ثم رجع إلى بلاده وأقام فيها مدّة قليلة، ثم سافر إلى العراق خوفاً من أهل الشقاق والنفاق وبقي مدّة في كربلاء يدرّس فيها حتى رماه شخص بسهم وهو يصلّي فلم يصبه ومرّ قرب صدره وحفظه اللّه، فذهب من هناك إلى مكة ثم رجع منها إلى العراق، ثم لسبب خرج من العراق وسافر إلى مكة وبقي في مكة حتى توفي.

وكنيته أبو جعفر ولقبه فخر الدين. وكان عابداً زاهداً فقيهاً محدثاً متكلّماً حافظاً أديباً جليل الشأن.

وقد أخبر في مكة المشرّفة عن قرب أجله، وعندما توفّي سُمع صوت قرآن عند نعشه قبل أن يدفن فاطلع شخص ليرى من هو القارئ فقال له: أنا القائم المهدي. روحي وروح العالمين له الفداء. وقد نقلت حكاية قراءة القرآن زوجة

الشيخ ابنة صاحب المدارك، وهاتان الكرامتان ذكرهما الشيخ أسد اللّه الكاظمي رفع اللّه قدره في كتاب المقابيس وقال: إنّ صاحب الأمر عجّل اللّه فرجه قرأ عدّة أوراد ليلة وفاة الشيخ محمّد وهي أوراد لا توجد في تلك البلاد.

ومن احتياط الشيخ وتقواه أنهم قالوا له: إن الشخص الفلاني وهو من أهل هذا البلد لا يدفع الزكاة. فكان الشيخ محمّد يأخذ لقوت عياله كلّ شيء زكوي من ذلك الشخص فيدفع أولاً زكاته ثم يتصرّف فيه.

وأرسل إليه الأمير يونس بن حرقوش الجزائري مبلغ خمسمئة قرش عندما كان الشيخ محمّد في مكة، وكان الأمير يونس صاحب مزارع وبساتين كثيرة وأملاك لا تحصى، وكان يحرص دائماً على أن لا يدخل في ماله مال حرام، وكتب إلى الشيخ رسالة تفصح عن أدب تواضع، وكان مؤمناً بالشيخ جداً، وقد التمس منه في تلك الرسالة أن يقبل منه الهدية وأنها من ماله الحلال وقد دفع خمسها وزكاتها، فامتنع الشيخ عن قبولها فقال له الرسول: إن أهلك وعيالك في بلد هذا الرجل ولا يصلح عدم القبول لأنّه مخلص لك وفي ذلك المشقة الشديدة على عيالك وأهلك. فقال الشيخ محمّد: إن كان الأمر كذلك فليحتفظ بالمال وليشتر كلّ سنة بمئة قرش قماشاً وأعواداً فينتهي المال.

وطلبه سلطان ذلك الزمان من مكة وقرر له مبلغاً من المال لمصاريفه وأرسل إليه رسالة بتواضع فأجاب الشيخ وقالوا له: اكتب جواباً للسلطان. فقال الشيخ: لا يليق أن أكتب بدون دعاء لائق للسلطان وقد نهينا عن الدعاء. وعندما أصروا عليه قال بعد تأمل: ورد في الحديث أن الدعاء بالهداية لأمثاله ممكن، فأرسل إليه رسالة ودعا بلفظ: هداه اللّه.

وقال الشيخ علي في الدر المنثور: اشتهر أن جنابه كان يطوف مرة فجاءه رجل

وأعطاه باقة ورد من الورود المختلفة التي لا وجود لها في مكة وأطرافها سيما أن الفصل لم يكن فصل ورود، فقال الشيخ لذلك الرجل: من أين هذا الورد؟ فقال: هذا من الخراب. فأراد الشيخ أن يراه بعد ذلك السؤال والجواب فلم يجده مهما فتّش عنه. إلى هنا كلام الشيخ علي.

ومن المعلوم طبعاً أنّ هذا الشخص هو صاحب الأمر ﷺ.

وقال للشيخ بعض أصحابه: إنّ السلطان سيطلبك بنحو لا تقدر معه على الجواب وعليك الذهاب إلى بلد السلطان. فدعا الشيخ محمّد: إلهي إن كان في علمك ذلك فتوفّني إليك. وكان يقول بعد ذلك: سأموت قريباً.

وقد عدد مصنفاته ولده المقدس الشيخ علي في كتاب الدر المنثور على هذا النحو: شرح الاستبصار ظهر منه ثلاثة مجلّدات. وقال الشيخ أسد اللّه في المقابيس: إن ذلك الشرح للطهارة والصلاة، وحاشية على شرح اللمعة عدّة مجلّدات حتى وصل إلى كتاب الصلح، وحاشية على معالم الأُصول كتاب أبيه وهو مجلّد متوسط، وحاشية على عبادات من لا يحضره الفقيه، وشرح الاثني عشرية لوالده، وحاشية على مختلف الشيعة للعلامة، وحاشية على المدارك سوى الحواشي المعلّقة على المدارك، وحاشية على المطول، وكتاب روضة الخواطر ونزهة النواظر وهو كتاب مشتمل على فوائد ومسائل وأشعار له ولغيره وحكم وغير ذلك جمعها من عدّة كتب، ورسالة في المفاخرة بين الغنى والفقر، ورسالة في تزكية الراوي، ورسالة في التسليم في الصلاة وقد حقق فيها كلّ ما هو راجح عنده من أخبار التسبيح، وكتاب اشتمل على أشعاره وأشعار غيره والمراسلات بينه وبين معاصريه، وكتاب جامع اشتمل على المواعظ والنصائح والحكم والمراثي والألغاز والمدائح والرسائل الشعرية بينه وبين شعراء عصره وأجوبتهم له في المديح

والألغاز، وكتاب شرح تهذيب الأحكام، ورسالة في الطهارة، وحواشٍ على الكافي، وحواشٍ على منهج المقال لأُستاذه الميرزا محمّد.

وكان جنابه صهر صاحب المدارك.

وقال في اللؤلؤة: وقفت على جملة مصنّفات الشيخ محمّد التي منها: شرح الاستبصار، وحاشية الفقيه وتأملت في كلامه فرأيته رجلاً فاضلاً، لكن عباراته معقدة وغير سلسة وتصنيفه غير منقّح وغير محرر، وترى أنّه إذا بحث في مسألة فعندما يصل إلى الموضع المطلب يحيل الكلام إلى حواشيه على الكتب أو إلى تصنيف آخر له، وهذا إمّا لعجزه أو لعدم حسن تصنيفه. انتهى كلام اللؤلؤة.

أقول: إنّ حوالة التحقيق على كتاب آخر لا يضر بفهمه وعلمه، فقد يكون قد حقّق المسألة في موضع آخر فيختصر الكلام ويحيل التفصيل إليه. وقد رأيت الطهارة والصلاة من حاشيته على شرح اللمعة وكذلك حاشيته على المعالم، والإنصاف أنّه كان في تحقيق وتدقيق وفطانة، ولو كان الشيخ محمّد أخبارياً لبالغ صاحب الحدائق في مدحه كما ظهر منه لكن حيث كان الشيخ محمّد مجتهداً أدخل هذه الدقائق في فهمه.

وقال الشيخ عبد اللّه بن صالح البحراني: كان الشيخ محمّد مدقّقاً لكنّه لم يكن محققاً.

وحكى عن الشيخ علي بن سليمان البحراني أنّه رأى الشيخ محمّد وذكر أنّه لم يكن مجتهداً، لأنّه لم يكن يستقر على محل من شدة تدقيقه، ويقال لهذا الدقة: اضطراب، وكل من يطّلع على مصنفاته ـ مثل شرح الاستبصار والحاشية على الفقيه ـ يعلم أنّه كان مضطرباً.

وقال ولده الشيخ علي في كتاب الدر المنثور: عندي بخط جدي المرحوم

المبرور الشيخ حسن قدس اللّه روحه بعد ذكر مولد زين الدين علي: ولد أخـوه فخر الدين محمّد أبو جعفر ـ وفقهما اللّه لطاعته وهداهما إلى الخير وأيّدهما بالسعد والإقبال في جميع الأُمور وجعلني اللّه فداهما من كلّ محذور ـ في ضحى يوم الاثنين العاشر من شهر شعبان من سنة ٩٨٠، وقد نظمت ليلة الجمعة التاسع مـن رجب سنة ٩٨١ في مشهد الحسين عليه السلام هذين البيتين:

أحمـد ربيّ اللّه إذ جـاءني — محـمّد مـن فـيض نـعماه

تـــاريخ لا زال مـــثله — اسمه بجـوده يسـعه اللّـه

فظهر من تاريخ ولادته ووفاته أن عمره خمسون سنة وثلاثة أشهر. إلى هنا كلام الشيخ علي. وكانت وفاته سنة ١٠٣٠.

(٦٧)

الشيخ علي ابن الشيخ محمّد

الشيخ علي ابن الشيخ محمّد المتقدّم كان فاضلاً جليل القدر متبحّراً.

تأليفاته: حواشٍ على شرح اللمعة لجده الشهيد الثاني في عدّة مجلّدات وهي عن علم واسمها الزهرة الذوية، وشرح كتاب أُصول الكافي خرج منه شرح كتاب العقل والعلم في مجلّد، وكتاب الدر المنثور، ورسالة في الرد على الصوفية اسمها السهام المارقة من أغراض الزنادقة، ورسالة في الردّ على من أباح الغناء، وفي هاتين الرسالتين تعريض بالملّا محسن الفيض الكاشاني، وحواشي الفوائد المدنية، ورسالة في الردّ على الملّا محمّد أمين وحواشٍ على المعالم وحواشٍ على من لا يحضره الفقيه، وكتاب يقرب من أربعين ألف بيت في الفنون المتفرقة والفوائد والأشعار، وكتاب آخر مثله في اثني عشر ألف بيت، وكتاب ثالث نظيره في خمسة آلاف بيت، وغير ذلك من الرسائل.

وقد ذكر أحواله في المجلّد الثاني من كتاب الدر المنثور، وذكر أنّ ولادته كانت سنة ١٠١٣ أو ١٠١٤، لكنه عمّر وطعن كثيراً على الملّا محسن؛ لأنّ الملّا محسن كان يطعن على العلماء، وقال في ديباجة شرح الكافي المسمّى بالوافي: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. أي المجتهدين، وطعن على العلماء في كتاب سفينة النجاة وكان يميل إلى التصوف؛ ولذا سمّاه الشيخ أحمد الإحسائي في كتابه بالملّا المسيء. وكذلك كان الشيخ علي في عداوة شديدة مع المحقّق السبزواري، وكتب رسالة في

ذمّه... وقال بأنّه سرق خبزاً في سوق زنجان، نعوذ باللّه.

يقول مؤلف الكتاب: عقيدتي أن المحقق السبزواري كان من أعيان علماء الإمامية وفي غاية الزهد والورع والتقوى وهو من مشايخ الإجازة، والأمر اشتبه على الشيخ علي إذ نسب إليه ذلك.

وجدّة الشيخ علي هي ابنة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المحقق الثاني، ذكر ذلك في حاشية شرح اللمعة وقال: أدركتها وقد تجاوزت التسعين وكنت صغيراً. وذكر الشيخ علي في كتاب الدر المنثور: عندما ذهب والدي إلى العراق كنت في سن السادسة ووقعت في بلدنا فتنة فاحترق ألف كتاب من كتبنا فانتقلت إلى قرية كرك نوح وأقمت فيها مدّة، ثم سافرت مع أخي إلى العراق وأنا في الثانية عشرة من عمري، وختمت القرآن وأنا في التاسعة، وكانت والدتي شديدة الرأفة بي، وكانت دائماً توصي المعلم أن لا يضربني ولا يهينني، وكانت تتفقد أحوالي عدّة مرّات في اليوم.

ثم اشتغلت بالعلم عند تلامذة جدي ووالدي وغيرهما وهم الشيخ الجليل الفاضل الشيخ نجيب الدين وأخي الشيخ زين الدين والشيخ حسين بن ظهير والشيخ محمّد الحرفوشي رحمهم اللّه تعالى.

وعندما ذهب أخي من عندي كنت مشغولاً بالعيال والأطفال واشتغل على هذه الحال بطلب العلم، وكتبت كتباً متعددة وكنت حريصاً على المحافظة على الكتب التي بقيت، ثم سافرت إلى مكة بعد وفاة والدي وذلك في سنة ١٠٣٢ أو ١٠٣٣ وكان عمري ١٦ سنة، وكنت أرى لطف اللّه وعنايته بي مع صغري ووحدتي. وقد اتّفقت في ذلك السفر أمور غريبة من جملتها:

الكرامة الأُولى: عندما سافرت إلى دمشق وكنت في المنزل الأول راكباً على

بغل وكنت مع جماعة من الحجاج في الأمام وخلفنا كانت الجمال، وكان معي رفيق معه غلام هندي صغير، وكانت معي سكين وقعت مني، واتّفق أنّ غلام ذلك الرجل كان نائماً على ظهر الجمل فوقع على الأرض ورأى السكين في ذلك المكان فأتى بها إلى المنزل وعرف السكين ونقل القصة.

الكرامة الثانية: أننا وصلنا إلى مكان يقال له: مرك الناقة، وهو بين جبلين ووصلنا هناك إلى مكان جميل لا يمكن أن يمر منه إلا قطار أو قطاران، فسرت مع بعض الرفاق في الأمام وكنا راكبين على البغال ونزلنا في مكان وانتظرنا أن يمر حاج من الطريق، فطال الانتظار فعزم بعض الرفاق على الذهاب إلى منزل اسمه عـلاء فذهبت معهم وتركنا في ذلك المكان بعض متاعنا، وكانت طريقة القوافل إذا عبروا معبراً أن ينوّموا الجمال حتى يجتمع الناس ثم يغادرون، واتّفق أن إناخة ونوم جمالنا كان في الليل، وعندما وصلوا إلينا ونزلوا في منزلنا أتوا إلينا بما نسيناه من المتاع.

الكرامة الثالثة: أن الشيخ محمّد الحر ـ سلّمه اللّه تعالى ـ كان في تلك السنة في الحج، وحجاج الشام على قسمين: المقاطرية والشعارة، والقاعدة أنّ الشعارة يذهبون عن يمين وشمال وخلف الحجاج، وفي ليلة فقدت بعض آلات السفر، والشيخ محمّد كان ماشياً وذهب مع الشعارة فوجد ما كان قد ضاع مني وأتى به إليّ.

الكرامة الرابعة: أنني شارفت على الوصول إلى مكة وكنت مع شخصين راكبين على البغال قد تقدمنا عن عسفان، وعندما وصلنا إلى مكة المشرّفة ذهبت إلى الحرم من أجل طواف العمرة، وكنت لوحدي فطفت أولاً في أنحاء بيت اللّه الحرام إلى أن تعرفت على الأماكن المعهودة. فمن المستحسن أن أكون عارفاً بها عند الطواف، ثم أردت أن أطوف وإذا برجل يعلّم الناس الطواف قد اقترب مني وقال

لي: يجب أن أطوف بك. فقلت له: إني رجل من أهل الشام ومن الحجاج الشاميين وقد سبقتهم وليس عندي دراهم لأُعطيك فليس عندي إلا لباس الإحرام. فإن كنت ترضى أن لا تأخذ مني شيئاً فطف بي وإلا فاتركني. فنازعني ذلك الرجل وتحدّث معي بكلام خشن وإذا برجل آخر يأتي وسحب ذلك الرجل إلى خلفه وقال له: اترك هذا الرجل يطوف لوحده فهذا الشخص ومن قبله أبوه يعلّمان المئات من أمثالك الطواف فاتركه يطوف بنفسه. فتركني وطفت كما أعلم وكما أردت.

الكرامة الخامسة: عندما عدت من مكة كان منزلنا بدراً وهو بين مكة والمدينة، وعند الصباح كان هناك رفيق يركب دابة، وفي مكان واسع بين قوافل الحجاج توضأنا وصلّينا، وكان معي سيف تركته هناك أثناء الصلاة وقد نسيت أن أخي والحجاج يذهبون يمين ويسار ذلك الموضع، فسرنا مقدار نصف فرسخ ونزلنا في مكان ونصبنا الخيمة، فتذكّرت هناك أنني قد نسيت السيف فقلت لرفيقي الذي كان يركب الدابة: صاحبني إلى ذلك الموضع لنأتي بالسيف فإن وجدناه فيه وإلا نكون قد تنزهنا. فقال لي: هذا عبث. قلت له: قم لنذهب. فأتى معي ذلك الرجل وعندما اقتربنا من ذلك المكان رأينا السيف من بعيد في ذلك الموضع والحجاج يذهبون عن يمين المكان وشماله، فقلت لرفيقي: لنسرع قبل أن يأتي أحد ويأخذه. فأخذنا السيف والناس ينظرون إلينا ويتعجّبون.

الكرامة السادسة: ما اتّفق لي عندما كنت أُدرّس شرح اللمعة، فقد وصلنا إلى عبارة كتب فيه لفظ «صدوقان» فسألني تلميذ ومن هما الصدوقان؟ فقلت له: محمّد بن بابويه وأخوه.

الكرامة السابعة: أنني كنت كثير الاهتمام بأن يصل إلى يدي كلّ ما بقي من

كتبنا، وطال الزمان بسبب انقطاع الحجاج ثم بذلت لرجل كلّ ما يريد وكنت أنتظر أن يرسل إليّ تلك الكتب، وعندما اقترب وقت الحج رأيت ليلة في المنام أنّ رجلاً يأتي إليّ ومعه طبق وفيه صدر رجل مع أضلاعه، فسألته ما هذا؟ قال: هذا صدر جدك الشيخ زين الدين. وفي نهار تلك الليلة جاء خبر وصول الحجاج ووصول الكتب، وكان الكثير منها بلا تجليد وبعضها تالف من كثرة النقل والتحويل.

الكرامة الثامنة: أنني رأيت في المنام في وقت آخر أن جدّي الشهيد الثاني قد أخذته جماعة ليقتلوه فقلت: ألا يكفي أنّه قتل أول مرة حتى يريدوا قتله مرة أُخرى. وبعد مدّة جاءني خبر أن أكثر الكتب التي بقيت في البلاد قد تلفت وسلبت، وهذا من كرامات الشهيد الثاني، وعندما سافرت إلى البلاد لمصالح اقتضت ذلك فأكلت من طعامهم المشتبه وسلكت غير مسلك آبائي ففقدت ذلك الفيض والصلاح اللذين رأيتها في أوائل عمري، وعندما أردت في المرة الثانية ترك تلك البلاد والذهاب إلى مكة المعظمة المشرفة اتفقت لي أُمور ببركة الحج والزيارة تقدم ذكرها.

الكرامة التاسعة: وصلني أنّ بين إصفهان والبصرة رجلاً من البلاد قال: يوجد بين الحجاج شخص وقال إنني سافرت إلى مكة حتى أُؤذي الشيخ المذكور. وقد أشاع أنني في بلاد العجم وأن الشيخ علي فعل كذا وكذا، فعندما وصلني هذا الخبر انزعجت وعندما دخلنا بلد دورق وجلسنا في الخيمة رأيت ذلك الرجل فناديته وقلت له: بلغني أنّك قلت كذا وكذا. فقال: نعم وسرعان ماترى ماذا سأفعل؟ فقلت له: ولماذا تريد ذلك؟ فقال: لأنك لم تعطني شيئاً في إصفهان وأنا سأتلافى ذلك. فقلت: اسأل اللّه أن يدفع شرّك عني. وعندما ذهب إلى مكانه أُصيب بالحمّى وبعد عدّة أيام عندما وصلنا إلى البصرة مات ودفع اللّه عنّي شرّه. ومثل ذلك حصل من رجلين في مكة ومنى لو لم يدافع اللّه عني لكان ذلك موجباً لهلاك نفس بل نفوس

ولكن اللّه دفع عني شرّهما، ونقل ذلك موجب للتطويل وذلك من بركة بيت اللّه الحرام.

الكرامة العاشرة: عندما توجّهت من بغداد إلى إصفهان كنا ثلاثة أشخاص غلك جارية وكان مع غيرهم حرم أيضاً، فوصلنا إلى مكان يسمّى باليعقوبية وفيه شخص لئيم معاند من قبل الحاكم جالس في جانب النهر ويأخذ ضريبة على كلّ جارية وعبد مقدار أشرفيتين، ويأخذ على كلّ جمل عباسيتين هذا عدا الضرب والإهانة، فكنا نعبر النهر وكل امرأة تخرج من السفينة ينظر إلى يدها ليرى هل هي جارية أم لا؟ وكنا نحن في السفينة وعندما اقتربنا من الشاطئ جاء شخص عند ذلك المعاند وتكلم معه بكلام غضب منه وقام وتحرك وبيده عصا، فخرجنا من السفينة ونصبنا خيمة وأجلسنا الجواري خلف الهودج، ثم أرسل امرأة لتفتش الخيام، وكنت خارج الخيمة وعندما أتيت أخبروني أن امرأة جالت في أنحاء الخيمة ورأت جارية، ثم جاء ذلك الملعون بعد ساعة وسأل: كم جارية عندكم فقلت: جارية واحدة. ثم ذهب إلى خيمة أُخرى فرأى هناك امرأة عندها غلام فقالت له المرأة: هل تترك غلامي إذا أرشدتك إلى ثلاث جوارٍ؟ قال: نعم. فقالت له: في تلك الخيمة وأشارت إلى خيمتنا ثلاث جوارٍ. وأرسلت زوجها مع ذلك المعاند ليدلّه على خيمتنا، وحيث إننا قلنا له سابقاً: أن ليس عندنا أكثر من جارية، خفنا لو ظهرت الحقيقة إذ ستلحقنا إهانة عظيمة، فقلت للجمّال: اربط الهودجين على الجمل وأجلس جارية في كل منهما وإلاّ لحقنا ـ نحن وأنت ـ ضرر كبير. فقبل ثم جاء المعاند مع زوج تلك المرأة فلم يجدا إلا جارية واحدة فضرب زوج تلك المرأة بالعصا بشدّة ورجع وأخذ الغلام وقال للمرأة: قد كذبت. فقالت المرأة: لقد أركبوا جاريتين وامرأتين وقد أرسلوا ذلك الجمل لوحده. فغضب ذلك المعاند وركب فرسه وذهب إلى ذلك الجمل لكن اللّه أعماه عن رؤيته، وسار مقدار فرسخ

وفتش القوافل التي كانت موجودة في ذلك المكان وذهب إلى جميع الخيام فلم يجد شيئاً ولم يصل إلى ذلك الجمل مع أنّه كان ماشياً قبل أن يصل مرة أُخرى إلى القافلة، فأعماه اللّه ثم جاء إلى تلك المرأة وأخذ منها الغلام، وبعد مشقة كبيرة أعطته المرأة عشرة قروش حتى تستره، وتلك الأمكنة التي كانت تؤخذ فيها الضرائب هي في حدود بغداد، وكان يحصل معنا مثل ذلك في كلّ منزل واللّه أكرمنا بتوفيقه فلم يصل إلينا ضرر.

الكرامة الحادية عشرة: أننا عندما نزلنا في تلك المدينة جاؤوا من جديد لأخذ الضريبة عن الجواري، فجاء رجل مع امرأة للتفتيش ودخلت المرأة الخيام وعندما وصلا إلى خيمتنا قالا: هذه أول خيمة ابتدأنا بها مع أنّه لا يوجد أحد في تلك الخيمة. وكنت في غالب الأوقات في بلاد الغربة مكسور القلب ومع ذلك كنت أشتغل بالمطالعة والبحث ولم يكن معي ما أحتاج من الكتب، فكتبت أكثر من سبعين كتاباً بخط يدي من الكتب التي أحتاجها.

الكرامة الثانية عشرة: أنني استخرت لشخص على طريقة عدّ لفظ الجلالة فجاءت هذه الآية: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾[1] فسألته عن اسمه فقال: اسمي إبراهيم.

الكرامة الثالثة عشرة: أنّه جاءني شخص آخر وطلب استخارة فجاءت هذه الآية: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[2] فسألني عن الآية فتلوتها له فتبسم الرجل وتعجّب فسألته عن تعجبه فقال: إن هذه الاستخارة هي لرجل اسمه عزيز فاستخرت أن أجعله وكيلاً في أُموري.

---

(١) هود ١١/ ٧٦.
(٢) هود ١١/ ٩١.

الكرامة الرابعة عشرة: جاءني شخص من الأعيان طالباً استخارة وأرسل لي كراراً رقعة يطلب الجواب هل هي جيدة أم سيئة؟ وأكتب له الجواب فأرسل لي يوماً يطلب استخارة وأكتب الآية وأرسل ذلك مع رسول، فاستخرت له وجاءت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[1].

الكرامة الخامسة عشرة: أن شخصاً أراد أن يتولّى الحكومة من قبل السلطان فطلب مني استخارة فقلت له: لا أستخير لأمر غير مشروع. فقال ذلك الرجل: إنني أخاف على نفسي إن لم أقبل. فاستخرت له وجاءت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾[2].

الكرامة السادسة عشرة: طلب مني شخص الاستخارة للزواج فجاءت هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً﴾[3].

الكرامة السابعة عشرة: أنّه كثيراً ما استخرت في أمر التزويج فكانت تأتي هذه الآية: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ...﴾[4].

الكرامة الثامنة عشرة: أراد إخوان السفر إلى الهند وكان خالهما هناك وهو مشهور بالفسق وشرب الخمر، فأرادا الذهاب إليه فاستخرت لهما فجاءت هذه الآية: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ﴾[5].

الكرامة التاسعة عشرة: أراد اليهود أن يحكم بينهم رجل فتكرر أن يأتي إلي

(١) غافر ٤٠ / ٧٨.
(٢) المائدة ٥ / ٤٢.
(٣) الفرقان ٢٥ / ٥٤.
(٤) الكهف ١٨ / ٣٣ ـ ٣٤.
(٥) يوسف ١٢ / ٤١.

للاستخارة، وتأتي الآيات دائماً حول موسى وهارون وبني إسرائيل.

الكرامة العشرون: أنّ شخصاً أراد الذهاب إلى السلطان لحاجة عظيمة فاستخرت له وجاءت هذه الآية: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾[1].

الكرامة الحادية والعشرون: أنني استخرت لشخص في نفس هذه الحاجة فجاءت هذه الآيات: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي...﴾[2].

الكرامة الثانية والعشرون: أن شخصاً تخاصم مع زوجته في أمر جارية فجاء إليّ للاستخارة على شرائها فجاءت هذه الآية: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3].

الكرامة الثالثة والعشرون: وقعت في الهند مصائب فجاء في شخص للاستخارة على السفر إليها فجاءت هذه الآية: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[4] وبعد مدّة قليلة جاء خبر خراب الهند.

الكرامة الرابعة والعشرون: أن شخصاً أراد في ظاهره الخروج فطلب استخارة فجاءت هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[5].

---

(١) الكهف ١٨ / ١٦.
(٢) طه ٢٠ / ٢٥ـ٢٨.
(٣) البقرة ٢ / ٣٥.
(٤) هود ١١ / ٧٦.
(٥) التوبة ٩ / ٤٦.

الكرامة الخامسة والعشرون: أنني استخرت لنفسي في الخروج من البلد الذي أُقيم فيه فجاءت هذه الآية: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[1].

ومما ابتلي به الشيخ علي مفارقة ولد كان في غاية الكمال، وذكر هذه القضية هنا لا يخلو من الموعظة وفيها تنبيه للغافلين وموعظة للصابرين وتشويق لطلاب علم الدين، فقد ذكر الشيخ علي في كتاب الدر المنثور: وكيف لا يحترق قلبي من نار فراق فلذة كبدي وهو ولدي الذي لم أره له من أول عمره حتى آخره ميلاً للهو باللعب أو نظراً بغير أدب، ولم يكن ينظر إلي أبداً إذا تكلّم وكان إذا تكلم معي اضطرب لسانه بحيث أكاد لا أفهم من كلامه شيئاً، ولم يكن يطلب مني شيئاً أبداً بلا واسطة، وعندما بلغ العاشرة من عمره كان قد اعتاد على صلاة الليل، وفي هذه المدة القصيرة التي هي اثنتان وعشرون سنة درس عندي من الفقه الألفية والمختصر النافع والشرائع، وكتب بخط يده المختصر والشرائع ودرس عندي شرح اللمعة وكتبه كما كتب حواشينا على شرح اللمعة في حواشي الكتاب بنحو مستقل، وكان يحيي جميع ليالي شهر رمضان المبارك بالعبادة والدعاء وقراءة القرآن، ولم يشُك لأحد مع كثرة عياله وتضييق عليه في المصروف حتى يعتاد على القناعة، ولم يكن يجلس مع أحد في مجلس إلا ولم يكن هو البادئ بالكلام من شدة الحياء والحجاب.

وعاش اثنتين وعشرين سنة درس خلالها في النحو شرح الأُجرومية وشرح القطر وشرح الفية ابن مالك وكتب بيده شرح القطر وشرح الألفية وقرأ عند غيري كتاب مغني اللبيب، ودرس عندي تمام أحاديث من لا يحضره الفقيه وكتب عليه الحواشي التي سجّلتها على ذلك الكتاب وسمع مقداراً من التهذيب وقرأ عليّ

(١) النساء ٤ / ٧٥.

رجال خلاصة العلامة وكتاب الدراية وكتبها بخطه، كما درس المعالم مقداراً منه عندي ومقداراً آخر عند غيري وكتبه بخطه ودرس شرح الشمسية ومختصر التلخيص وأكثر المطول وشرح التجريد وخلاصة الحساب ورسائل أخرى في الحساب وتشريح الأفلاك ومقداراً من شرح الجغميني في علم الهيئة وقرأ أكثر تحرير اقليدس وكتبه بخط جميل ورسم أشكاله في البداية وشرع في تفسير القاضي مع كتابته وقراءة الحاشية.

ووصل في جودة الخط إلى مرتبة رفيعة وكان يرسم الجدول بالقلم وعندما أراه أقول له: لماذا كلّ هذا المصروف يا ولدي؟ فيجيب: قد جلّدته ورسمت جدوله. وعندما يراني أعمل في تصحيح الكتب وأتعب كان يقوم بالعمل لساعة ولساعتين وثلاث وأربع، وعندما كان يرى شيئاً كان يهيّئ أسباب عمله ويقوم بالعمل. وعندما بلغ الثمانية سألني: هل يذهب الطفل قبل البلوغ إلى الجنة؟ قلت له: نعم. فقال لي: ادع اللّه لي أن يبلغني أجلي وأنا طفل حتى أدخل الجنّة. فقلت: والكبير أيضاً إذا عمل صالحاً يدخل الجنة.

ولم يكن يتجرّأ على أن يسألني حتى آخر عمره لكن كلّما رأيت وجهه منقبضاً أثناء شرح الدرس أعود لشرحه ببيان آخر، فإن فلم يفهم عدت وقررت المسألة بنحو آخر فإذا فهم المسألة ينشرح وجهه.

وكنت أظن في البداية أنّ قلّة كلامه لعله لعجزه عن التكلّم لكنّه عندما بدأ بقراءة الدروس أو المقابلة كان لسانه يجري أحد من السيف القاطع.

ولم أره يغتاب أحداً أبداً، وعندما أذهب إليه في ليالي شهر رمضان المبارك لأراه فإذا سمع صوتي تناوش كتاب القراءة وسجادته فكنت أقول له: أي بني إن هذه الليالي هي ليالي القراءة فلماذا تجلس بلا عمل؟ فكان يخفض رأسه استحياء

ولا يجيب. وبعد ذلك كانت زوجته تخبر أنّه كان منشغلاً بالعبادة.

وكان قد رزقه اللّه في بداية أمره صبياً ومات الطفل بعد عدّة أيام، وقد بكيت عليه كثيراً لكنه بكى قليلاً، وقد ظهر عليه أثر الرضا بحكم اللّه ثم أكرمه تعالى بثلاث بنات كلها ولدت واحدة ظهرت عليه البشاشة والسرور ويقول لزوجته: إن ثوابنا يزداد. وإذا طلبت إحدى البنات شيئاً يسرع بالذهاب إلى السوق ويستجيب لطلبها.

ولم يطلب مني أبداً فرساً للركوب مع أنّه كانت لدينا الأحصنة ولم نكن محتاجين إليها، ولم يطلب مني أبداً مصروفه المتّفق عليه بل كان يرسل فتاة أو طفلاً لذلك. وإذا أوصيته بعدم الإسراف كان يسكت وإذا أجاب يقول: أنت عندك عيال وأنا عندي عيال فقس هذا على ذلك.

وعندما جاء زمان موته طلب مني الإذن لزيارة الإمام الرضا؛ فقلت له: لا طاقة لي على فراقك وإن شاء اللّه نسافر سوياً مرة أُخرى. ثم قال: قد تفألت بكتاب اللّه فجاءت هذه الآية: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾(١). فقلت له: لن آذن لك. وبعد عدّة أيام مرض وانتقل إلى عالم الآخرة. وبقي مريضاً ثمانية أيام فأرسلناه إلى مشهد المقدسة، وبعد مدّة رآه ابن عمه في المنام أنّه جاء إلى بيتهم، يقول ابن عمه: رأيت أنّ باب البيت يطرق فخرجت فشاهدته على فرس جميل فقلت له: ادخل إلى المنزل. فقال: إن بيتكم الآن لا يسعدني وإني أسكن في بيت من لؤلؤ وجواهر، لكنني جئت لأُخبرك أنّه كان عندي كتاب استعرته من رجل اسمه الملّا أفضل وأنا لم أوصِ به، وفي صندوقي ١٦ ألف عدد. يقول الشيخ علي: أرسلت من يفتح الصندوق فكانت فيه تلك

---

(١) يوسف ١٢ / ٨٠.

الأشياء كما ذكر وكان هذا دليلاً على صحة.

وكانت ولادة ذلك الولد في آخر ساعة من يوم السبت السابع عشر من ذي الحجة سنة ١٠٥٦، وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة من سنة ١٠٧٨، قد مات قبله بسنتين ولدي الآخر محمّد وكان عمره ثماني سنين.

(٦٨)

الشيخ سليمان

الشيخ سليمان بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني، كان فاضلاً محدّثاً فقيهاً ورعاً وهو عم جد صاحب الحدائق الشيخ إبراهيم بن الحاج أحمد أكبر أولاد الحاج صالح وكان عنده سفن للغوص فأوكل الحاج أحمد أمر السفينة إلى أخيه، ثم مرض الشيخ سليمان فعفاه الحاج أحمد من أمر السفينة ووضعه في البيت وأتى بالشيخ محمّد بن سليمان المقابي البحراني إلى البيت ليعلم الشيخ سليمان، وبعد مدّة تلمذ الشيخ سليمان مع الشيخ محمّد بن سليمان عند الشيخ علي بن سليمان، وكلاهما بلغا مقاماً رفيعاً.

وكان الشيخ سليمان بن صالح مع كونه فقيهاً يشتغل بتجارة السفن والغوص، وكان مرجع البلاد، وكان أهل الغوص يبيعونه الجواهر ويقسمون الربح.

ومن الحكايات العجيبة أنّ شخصاً من قرية بني حمزة القريبة من قرية دراز باع لآلئ كثيرة لم يكن يعرف قيمتها للشيخ سليمان بثمن قليل، فأرسلها الشيخ إلى شخص ليصلحها وباعها بخمسين توماناً في ذلك الزمان، فقال الشيخ للبائع: إن هذا اللؤلؤ قد بيع بالقيمة الفلانية والزائد لك وأنا آخذ رأس مالي. فامتنع البائع وقال: هذا المال قد بعته فلو كان فاسداً لكنت أنت الخاسر فالربح إذن هو لك. فرفض وامتنع كلاهما حتى جاء شخص وأصلح بينهما بأن جعل بعض المال للبائع وبعضه للمشتري.

وتوفي هذا الشيخ في كربلاء سنة ١٠٨٥.

وأمّا الشيخ محمّد بن سليمان فقد وصل أيضاً إلى مرتبة عالية من العلم وإلى الرئاسة العامة. وكان له ثلاثة أولاد كلّهم فاضلون وأفضلهم الشيخ عبد الغني وكان مجتهداً فقيهاً ورعاً صالحاً ولم يكن له ثانٍ في الاطلاع على الفقه والفروع، وثانيهم الشيخ سليمان وكان فاضلاً أيضاً، وثالثهم الشيخ زين الدين وله ولد لم يكن له ثانٍ في الورع والتقوى واسمه الشيخ علي رحمة اللّه عليه.

(٦٩)

الشيخ أحمد بن إبراهيم*

الشيخ أحمد ابن الشيخ إبراهيم ابن الحاج أحمد بن الحاج صالح بن أحمد بن عصفور بن عبدالحسين بن عطية بن شيه، وكان شخصاً فاضلاً مجتهداً فقيهاً لا يملّ من المباحثة ولا يغضب ولا يتعب ولا يضيق منها، وعادة من لا يقدرون على المباحثة أن ينقبضوا.

وكان الشيخ في بعض الأوقات يدرّس خطبة كتاب الكافي وجلس جماعة -منهم: علي بن عبدالصمد الأصبغي وهو أيضاً فاضل دقيق النظر- فجرى بحث في قول صاحب الكافي: «احتجب بغير حجاب». واستمرّ البحث في هذه الفقرة من الصباح حيث كان الشيخ أحمد والشيخ علي ينتقلان من علم إلى علم ومن مسألة إلى مسألة حتى أن جاء وقت الظهر فتفرّق المجلس، وجلسوا للدرس بعد العصر فعاد الشيخ علي للبحث حتى حلّ الغروب.

وللشيخ أحمد مصنّفات منها: رسالة في القول بحياة الأموات بعد الموت، ورسالة الجوهر والعرض، ورسالة في الجزء الذي لا يتجزّأ وفيما اختاره الحكماء، ورسالة في الأوزان، ورسالة الاستثناء في الإقرار، وشرح الحمدية الشيخية للشيخ سليمان بن عبد اللّه المتقدم وقد مدحه في صدرها وذكر بعض الاعتراضات على الشيخ سليمان، وعندما عرض الشرح على الشيخ سليمان قال بعد النظر فيه: من يقدم أجوبة على هذه الاعتراضات فسأغنيه. فقال الشيخ أحمد: إن عدتم عدنا.

أي من يجيب عن هذه الاعتراضات فإننا سنفسدها مرة أُخرى.

وله رسالة في بيان ثبوت الولاية على البالغة الرشيدة، ورسالة في هدم الطلقة أو الطلقتين تحليل المحلل وعدمه واختار في هذه الرسالة عدم الهدم وهو خلاف المشهور، وغرضه من هاتين الرسالتين الرد على الشيخ عبد اللّه بن صالح؛ ورسالة في القرعة حسنة جداً، ورسالة في التقية وهي عجيبة، ورسالة في شرح عبارة اللمعة في بحث الزوال، ورسالة في مسألة موت الزوج والزوجة قبل الدخول هل يوجب تمام المهر أم لا، ورسالة في الدعوى على ميت هل تثبت بشاهد ويمين أم لا؟ واختار فيها الثبوت وردّ على بعض المعاصرين وهو الشيخ عبداللّه بن علي البلادي، ورسالة في الصلح، ورسالة في تحقيق غسالة النجاسة، ورسالة في العدول عن سورة إلى سورة أُخرى، ورسالة في أجوبة مسائل الشيخ الناصري الخطي الجارودي وهي حسنة وجيدة ومشتملة على تحقيق في الطلاق العدي وأنه هل يفيد فائدة الخلع أم لا؛ والرسالة العطارية وهي أجوبة مسائل الشيخ علي بن لطف اللّه الجد حفصي المتعلقة بالعطّارة والمنتظمة في سلك كتاب التجارة، ورسالة في أجوبة مسائل السيّد محيي ابن السيّد حسين الأحسائي، ورسالة في مسألة المتنجس هل ينجس بعد زوال عين النجاسة أم لا؟ وهي المسألة التي تفرّد بها المحدث الكاشاني، ورد في تلك الرسالة على الملا محسن؛ ورسالة في أجوبة مسائل الشيخ عبد الإمام الأحسائي، ورسالة في دخول الرقبة في الرأس في الغسل، وكتب الشيخ عبد اللّه بن صالح رسالة في عدم دخولها.

وكانت وفاة الشيخ أحمد المزبور في القطيف في ضحى الثاني و العشرين من صفر سنة ١١٣١ ودفن في المقبرة المعروفة بـ«حنا» وكان عمره يقرب من ٤٧ سنة.

يقول مؤلف الكتاب: إنّ سبب تعداد الرسائل والمؤلفات في هذا الكتاب عدّة أُمور:

١ ـ أن تظهر مرتبة المؤلفين.

٢ ـ أنّه إذا نظر شخص إلى أحد تلك الكتب والرسائل يعرف مؤلّفه ويعلم ما هي درجته ورتبته.

٣ ـ إن هذا يبعث الشوق عند طالب العلم للتأليف.

٤ ـ أن يصير طالباً لهذه الكتب ليتذكر العلماء وتكون وسيلة لعمله خصوصاً الرسائل؛ لأن المؤلفين لهم سعي أكثر في الرسائل المنفردة ويدققون أكثر ويحققون أكثر ويكثرون من ذكر المقدمات والمباني الخارجية، فتلك الرسائل أنفع لإعمال الفكر والكتابة.

ويقول مؤلّف الكتاب أيضاً: وحيث تقدم ذكر فقرة «احتجب بغير حجاب» فلا ضير في توضيحها إجمالاً فنقول: المراد أنّ ذاته المقدّسة محجوبة عن الأبصار والأنظار والأفكار والأذهان والأوهام ولا يمكن إدراكها بأي من هذه الأُمور، فالذات محجوبة عنها دون أنّ يكون هناك حجاب في البين.

والمراد أنّ تلك الذات وهي في مقام الصفاء والضياء والنور والتلألؤ لا تملك الممكنات قوة لإدراكها، فالذات محجوبة عن الممكنات كما لو ألقي شخص بستار على وجهه فهكذا لن يدركه خصوصاً إذا كان الحجاب من اللّه، فكذلك اللّه تعالى محجوب بغير حجاب مثل: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[1]، فإن المنافقين عندما غلبوا الجهل على العقل صاروا كأن اللّه ختم على قلوبهم، فكما أن ختم اللّه لا يمكن لإحد

---

(١) البقرة ٢ / ٧.

أن يكسره فقلوبهم صارت بحيث لا يؤثّر الحق فيها أبداً.

وبعبارة أخرى إن أمثال هذه العبارات من باب التمثيل وتشبيه هيئة بهيئة مثل: أراك تقدم رجلاً وتؤخّر أُخرى، حيث لم يحصل تقديم للرجل ولا تأخير، لكن المراد التردد في الإقدام على أمر، وكذلك الكلام فيما نحن فيه، أي كما لو ألقى اللّه حجاباً، والحال أنّه لا حجاب والضعف من المواد الممكنة.

(٧٠)

الشيخ عبدالله ابن الحاج صالح جمعة

الشيخ عبدالله ابن الحاج صالح بن جمعة بن علي بن أحمد بن ناصر بن محمّد بن عبدالله السماهيجي الأصل نسبة إلى سماهيج وهي قرية من قرى الجزيرة الصغيرة.

وكان هذا الشيخ أخبارياً صرفاً كثير الطعن على المجتهدين، وله تأليفات كثيرة مثل: جواهر البحرين في أحكام الثقلين وفيه رتب الأخبار وبوّبها على خلاف نهج الوافي والوسائل واقتصر على الكتب الأربعة، وخرج منه مجلّد واحد مع شيء في المجلد الثاني؛ وكتاب المحمدية فيما لا بد منه من المسائل الدينية، وكتاب الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية، ورسالة تحرير مسائل الديباج والحرير، ورسالة في المسائل الخلافية فيما لا بد منه من مسائل الطهارة والصلاة الأبدية ـ وقد ألّف هذه الكتب للسيّد عبد الله ابن السيّد علوي وهذا السيّد هو من مشايخ إجازة صاحب الحدائق ـ والرسالة العلوية في ثلاث مسائل كلامية في جواب الشيخ علي بن سليمان بن علي الشاخوري، والرسالة الموسومة بمسائل الجداول وجداول المسائل، ورسالة كتبها لأبيه في «بندركنك»، ورسالة في أحقّية الزوج بالمرأة في تغسيلها والصلاة عليها من الأب والأخ، وغير ذلك رد فيها على صاحب المدارك، ورسالة في إثبات التوحيد، ورسالة في المسائل المضمرات في علم النجوم وهي تسعون مسألة، ورسالة في تغسيل النبي، والرسالة البهبهانية في أحكام الأموات

وهي اثنتان وعشرون مسألة، ورسالة أُخرى منتخبة من السابقة وهي فارسية، ورسالة في جواب مسألتين: إحداهما جواز التنفل بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، والأُخرى في أفضلية الصلاة الراتبة وإن كانت قضاء على التعقيب؛ ورسالة في إثبات اللذة الفعلية عقلاً ومنعها شرعاً، ورسالة في مسائل الحيض، والرسالة الموسومة بالكفاية في علم النجوم ولم تتم، ورسالة في إنفاق الزوج على الزوجة وكسوتها، ومنظومة موسومة بتحفة الرجال وزبدة المقال في علم الرجال، ورسالة البلغة الصافية والتحفة الوافية، وكتاب شرح أُستاذ من لا يحضره الفقيه، وكتاب من لا يحضره النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه والكتابان غير تامين، ورسالة المسألة السليمانية في مسألة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، ورسالة في الانتصار لصاحب المدارك في أن المئزر من الكفن ومخالفة الأصحاب في أن المئزر ليس من الواجب، ورسالة في شرح حديث مشكل من أُصول الكافي من أسماء اللّه، ومنظومة الرسالة الأثني عشرية للشيخ البهائي في الصلاة، ورسالة في أن المتصرف بملك شرعي لا يسلب منه تصرفه إلا ببينة قاطعة بأنه من غاصب أو تشهد بأن الملك الآن هو ملك المدعي، ورسالة كتبها في خراسان في الرد على الملّا سليمان ابن الملّا خليل القزويني في تحقيق الرهط الذين تجب عليهم صلاة الجمعة، ورسالة في تحقيق مقدم الرأس الذي يجب مسحه ولم تتم، ورسالة فيما يجوز البيع فيه من الأوقات وما لا يجوز، وكتاب مصائب الشهداء ومناقب السعداء وهو خمسة مجلّدات، ورسالة في جواز أكل المختلط بالحرام في الشبهة غير المحصورة، والرسالة النوحية في جواب الشيخ نوح في أُصول الفقه، وكتاب رياض الجنان المشحون باللؤلؤ والمرجان وهو كشكول، وكتاب الخطب التي أنشأها في الجمعات والأعياد، وكتاب منية الممارسين في أجوبة الشيخ ياسين.

وكانت وفته يوم الأربعاء التاسع من جمادى الثانية سنة ١١٣٥ رحمه اللّه.

(٧١)

الميرمحمّد مؤمن ﷺ

المير محمّد مؤمن الحسيني الاسترآبادي من تلامذة نور الدين المتقدّم، وله إجازة منه رحمه اللّه وحشره مع أوليائه في الآخرة بالنبي وآله الأطهار.

(٧٢)

محمّد صالح بن عبد الواسع الحسيني ﷺ

قال في اللؤلؤة: كان أفضل أهل زمانه وأورع أهل الإيمان، وكان عالماً علامة محققاً فهامة وسيّداً أجل أكمل أفضل، وله إجازة من العلامة الملّا محمّد باقر المجلسي رحمة اللّه تعالى عليهما وعلى علمائنا الماضين.

(٧٣)

محمّد قاسم ﷺ

وهو بن محمّد صادق الاسترآبادي، له إجازة من الملّا محمّد باقر المجلسي رحمة اللّه تعالى عليهما وعلى علمائنا الماضين.

(٧٤)

محمّد بن حسن المشهور بالفاضل الهندي

محمّد بن حسن الأصبهاني عالم عامل فاضل كامل محقّق مدقق نحرير فقيه متكلّم حكيم، جامع مجامع الفضل والمآثر وبدائع المكارم والمفاخر، ألمعي مؤيد ومسدّد بلطف اللّه الصمدي، الملقب ببهاء الدين والمشتهر بالفاضل الهندي.

ولد سنة ١٠٦٢، وهو من تلامذة العلامة المجلسي الملّا محمّد باقر. وقد كتبت في كتاب تذكرة العلماء أنّه وصل إلى الاجتهاد وهو في عمر ١٧ سنة لكنه من المسموعات، وكذلك ما ذكره في كشف اللثام أنّه وصل إلى الاجتهاد قبل البلوغ كما سيأتي. ويقال: إنّ السلطان حسين الصفوي طلب من المجلسي عالماً غير مكلّف حتى يدخل على حرم بيت السلطان ويعلّم النساء، فأرسل المجلسي الفاضل الهندي وكان طفلاً ليعلّم الحرم المسائل. وفي يوم أغمض عينيه وخرج من الحرم فقيل له: ما السبب؟ فقال: وصلت هذه الساعة إلى حد البلوغ فأغمضت عيني حتى لا أرى النساء وخرجت.

وكان شديد الفقر ويعيش على الكتابة، فإذا جاؤوا للترافع عنده قال لهم: عندي عيال وعلي أن أشتغل لكسب العيش فإذا أردتم المرافعة فعلى الطرفين أن يدفعوا أُجرة.

وقد فرغ جنابه من العلوم العقلية و النقلية وهو لم يتم بعد سن الثالثة عشرة. وقال الشيخ أسد اللّه الكاظمي صهر المرحوم الشيخ جعفر النجفي في كتاب

مقابيس الأنوار: إنّ الفاضل الهندي نشأ في صغره في الهند ولذا يـقال له الفـاضل الهندي، وكانت له مباحثات ومناظرات عجيبة مع المخالفين من علماء الهند وكـان يلزمهم، وعندما تجاوز عمره العاشرة كتب في العشرة الثانية الكـتب والرسـائل والتعليقات في العلوم الأدبية والأُصول الدينية والفقهية منها: ملخص التـلخيص وشرحه، والمناهج السوية في شرح الروضة البهية في شرح اللمعة، وهـو كـتاب مبسوط مشحون بالفوائد والتحقيقات وتاريخ الانتهاء مـنه سـنة ١٠٨٨، فكـان عمره في ذلك الزمان ٢٥ سنة وعدّة مجلّدات في العبادة؛ وكتاب كشف اللثام وهو شرح قواعد العلامة من المجلد الثاني من النكاح حتى الآخر، ومـن أول الطـهارة والحج وبعض من الصلاة، وهو أقرب إلى الاختصار مع استيفاء المهم من الأقوال والأدلّة ولم يخرج من كشف اللثام أكثر من ذلك؛ وكتاب ملخص الشفاء والشفاء للشيخ أبي علي ابن سينا ويقال: إنّه لم يتمه.

وقال الشيخ أسد اللّه بعد ذلك: قد اتفق لي في بداية الحـال قريب ممـا اتـفق للفاضل الهندي لكن كانت صروف الأيام تعيق عن بلوغ المرام، وهـذه الصروف من الزمان وحوادث الدهر الخوّان في قليل من الأوقات قد فـارقتني حـتى هـذا الزمان واللّه المستعاذ والمستعان وإليه الشكوى وعليه التوكل. انتهـى كلام الشيخ أسد اللّه.

وقال الفاضل الهندي في أول كشف اللثام في شرح ديباجة المصنف: إنّ فخر المحققين درس عند أبيه قبل العاشرة من عمره كتب العلوم العقلية والنقلية وطلب منه تأليف كتاب القواعد. وقال: غير مستبعد عن فضل اللّه أن أكون قد فرغت من دراسة العلوم العقلية والنقلية ولم أُتم الثالثة عشرة وبدأت بالتصنيف قبل أن أبلغ الحادية عشرة، وصنّفت أكثر من عـشرة كـتب مـتناً وشرحاً وحـواشي مـثل: التلخيص في البلاغة وتوابعها، والزبدة في أُصول الدين والحـرز البديعة في أُصول

الشريعة وشروحها، والكاشف والحواشي على شرح عقايد النسفية. وكنت في سن الثامنة عندما درست المطول ومختصر التفتازاني. إلى هنا كلام الفاضل الهندي.

يقول مؤلف الكتاب: لا عجب من هذه الأُمور وقد ذكر الشهيد الثاني في شرح البداية في الدراية أنّه في زمان المأمون كان هناك طفل عمره أربع سنين أتوا به ليناظر علماء ذلك العصر في القياس والاستدلال وكانوا يحملونه على الأكتاف ويأتون به، وعندما يجوع يبكي من أجل الطعام. والعجب من صاحب الحدائق إذ أنكر ذلك في حقّ السيّد ابن طاووس وفخر المحققين مع أنّه ليس محل إنكار، وحكايات الشيخ أبي علي ابن سينا تشهد على المدعى، فلا ضير في أن نذكر بعض غرائب أحواله وإن لم يكن داخلاً في مشايخ الإجازة وكان داخلاً في الحكماء، بل في تشيّعه خلاف فنقول:

كان أبو علي عبداللّه بن سينا يدرس في دار السلطنة إصفهان فذهب يوماً إلى السلطان وقال له: إنّ النّحاسين في كاشان يطرقون النحاس وقت السحر وصوت الطرق يمنع من المطالعة. فتعجب السلطان لأنّه بين إصفهان وكاشان أربعة منازل فكيف يمكن أن يصل صوت الطرق من هناك؟ فقال السلطان: سآمر أن لا يشتغلوا بذلك في الليالي. فأرسل السلطان شخصاً إلى كاشان وأمرهم بأن يشتغلوا في ضرب النحاس من أول الليل حتى الصباح في هذا الأُسبوع، وعندما تمّت سبعة أيّام جاء أبو علي إلى السلطان وقال له: منعنا النحّاسون من المطالعة في هذا الأُسبوع من أول الليل حتى الصباح. فأدرك السلطان حينئذٍ صدقه ثم أمر النحاسين بأن لا يعملوا بالليل.

ويقال: إنّه كان حاد البصر بحيث يرى الذباب على بعد أربعة فراسخ. وتفصيل ذلك أنّه دخل أبو علي يوماً على السلطان فرآه يحمل منظاراً فقال له أبو

علي: ولم المنظار؟ فقال: يأتي راكب من مسافة أربعة فراسخ فأُريد أن أُميّزه. فقال له أبوعلي: لا تحتاج إلى منظار لهذه المسافة القليلة. فنظر أبو علي إلى تلك الجهة وقال: يأتي راكب بالشكل الفلاني والملابس الفلانية ولون حصانه كذا ويأكل شيئاً حلواً. فقال له السلطان كيف عرفت أنّه يأكل حلوى وهذا مرتبط بالذوق لا بالنظر؟ فقال: رأيت بعض الذباب يحوم حول فمه وهذا يدل على أنّه يأكل حلواً.

وقال أبو علي أيضاً: إنني رأيت يوماً كوكب عطارد في وقت الاقتران مع الشمس وكان يبدو على الشمس كخال على وجه شخص، وعطارد وإن كان في الفلك الثاني والشمس في الفلك الرابع لكن حيث كانا متقارنين ـ أي اجتمعا في برج واحد ودرجة واحدة ودقيقة واحدة ـ بدا كخال في وجه الشمس.

وقال أبو علي أيضاً: عندما ولدت رأيت السماء كشبكة كثيرة المنافذ. فسألوا والدته فقالت: عندما ولد أبو علي وضعوا غربالاً لأمر وقد رأى السماء من تحت الغربال فنظر من خلال الشبك التي بعثرت شعاع بصره فرآها على ذلك الشكل.

وكانت قوة إدراكه بحيث إنّ ابنة السلطان مرضت وعمره تسع سنين، وكان المرض صعباً بحيث إنّ السلطان جمع سبعين طبيباً ليتّفقوا ويصلوا إلى حلّ فاتفقوا على علاج خاص، بعد ذلك صار الشيخ الرئيس يناقشهم وأتى لهم بسبعين برهاناً على عددهم أن المرض ليس هذا وأن العلاج هو بهذا النحو، فأقر الأطباء كلهم بالعجز وفوّض السلطان أمر المعالجة إليه فعالجها بأقل وقت.

وقد طوى جميع العلوم في مدّة ٢٤ سنة، وكان في حافظته فريد الزمان. وكتب الملّا أحمد النراقي في كتاب سيف الأمة: أنّ أبا علي هرب من خراسان إلى إصفهان ولم يأت معه بالقانون، فطلب الطلاب والعلماء منه تلك النسخة فقال الشيخ الرئيس: لم آت معي بكتاب القانون لكنني أحفظه فأنا أقول وأنتم تكتبون.

والقانون ٦٠ ألف بيت فقرأ لهم كتاب القانون من حفظه وهم كتبوا، وعندما جاؤوا بالقانون فيا بعد من خراسان وقابلوه بما كتبوه لم يعثروا على خطأ حتى بحرفٍ، بل كان مطابقاً كلّه مع نسخة الأصل.

وعندما كان في سفينة وكان يرافقه في تلك السفينة ملّا لغوي سأله الشيخ عن سبب مجيئه فقال: كتبت كتاباً في اللغة العربية وأُريد أن أعرضه على السلطان. فقال له الشيخ: هل هناك مجال أن أراه وأُطالعه ما دمنا في السفينة؟ فقال: لا ضير في ذلك. فوضع الكتاب عند الشيخ الرئيس الذي قرأه خلال عدّة أيام بتمامه ثم وصلوا وخرجا من السفينة، وفي صباح اليوم التالي ذهب اللغوي بالكتاب إلى السلطان فرأى رفيقه في السفينة جالساً محترماً عند السلطان، فحدّث نفسه أن لو كنت أعلم بقربه من السلطان لجعلته وسيلتي، ثم وضع الكتاب عند السلطان الذي سلمه لأبي علي قائلاً له: انظر إن كان يستحق جائزة لأعطيه. فأخذه الشيخ وقرأ منه مقداراً فقال: إن هذا الكتاب قد أُلّف سابقاً: فأنكر اللغوي وقال: أنا ألّفت الكتاب. فقال له الشيخ الرئيس: والدليل على صدق قولي أنني أحفظه، فامسكه وأنا أقرأ من حفظي. فقرأ عدّة أوراق من بدايته وأوراقاً من وسطه ومن آخره، فأصاب اللغوي في ذلك المجلس الضعف وتعجب أنّه كيف يمكن أن يكون هذا الشخص حافظاً لهذا الكتاب وهو من تأليفه وينسبه إلى السابقين؟ ثم قال الشيخ الرئيس للسلطان: إن هذا الكتاب هو من مؤلفات هذا الشخص وهو يستحقّ جائزة، وقد صاحبته عدّة أيام في السفينة وطالعت هذا الكتاب من أوله إلى آخره وقد حفظته. فأعطاه السلطان جائزة وتعجّب الحضور من قوة حافظته. وقد سمعت من البعض أن ذلك الشخص هو صاحب القاموس وأن ذلك الكتاب هو كتاب القاموس، وهذا غلط؛ لأنّ الشيخ أبا علي كان في سنة ٤٠٠ للهجرة وصاحب القاموس كان في سنة ٨٠٠ والفاصل الزماني بينهما كبير جداً.

ويقال: إنّ والد أبي علي استضاف درويشاً وبعد أن انتهيا من تناول الطعام قال الدرويش لوالد الشيخ: أنا أنام وابقَ أنت مستيقظاً فإنّ كوكباً يطلع الليلة فأيقظني إذا طلع فعندي عمل. فنام الدرويش وجلس والد الشيخ أبي علي، وعندما رأى الكوكب قد ظهر في المحل الموعود جاءته الشهوة فجامع زوجته ثم اغتسل ثم أيقظ الدرويش الذي رأى الكوكب قد تجاوز عن المحل الموعود، فلام والد الشيخ على إيقاظه متأخّراً وقد تجاوز الوقت، فقال والد الشيخ للدرويش ما جرى، فقال له الدرويش: سيكون لك ولد أُعجوبة الزمان وفريد العصور. ثم ولد الشيخ.

وعندما فاق الشيخ الرئيس علماء الزمان ذهب إلى السلطان وادعى التفوّق في العلوم ليكون المعلم الثالث؛ لأنّ المعلم الأول هو أفلاطون أو أرسطو أو بقراطا على الاختلاف، والثاني وهو أبو نصر الفارابي الذين نقلا الحكمة من اللغة اليونانية إلى العربية، والمعلم هو شخص إذا ناظر صاحب كلّ علم في علمه غلبه، فجمع السلطان أصحاب العلوم ليناظروا الشيخ فتغلب الشيخ على الجميع إلا في علمين بقي عاجزاً فيهما وهما: الموسيقى والكيميا فقد أقام البرهان على استحالة الكيميا فعارضه جندكي الذي كان من أصحاب علم الكيميا فقال الشيخ: يستحيل الكيميا؛ لأنّه يلزم أن تنقلب الماهية وهذا محال باطل بالنظر إلى قواعد الحكمة. فقال له جندكي: إنني عاجز عن رد البرهان لكنني أثبت الكيميا عملياً. فقال له الشيخ: لا اعتبار بذلك فقد تشبّه على حسيّ وتقوم بشعبذة. فقال له جندكي: أُعطيك بعض الأشياء وأُجلسك على بعد أربعة فراسخ وأنت بنفسك تقوم بما أُعلمك إياه فيصير كيميا. فقبل الشيخ فأعطاه جندكي تلك الأشياء وعلّمه ماذا يفعل وذهب إلى أربعة فراسخ وقام بالعمل كما علّمه فحصلت الكيميا فسلّم الشيخ وأقر بالعجز، ثم بعد ذلك أقام برهاناً على وجود وتحقق الكيميا. وعندما غلب

الشيخ الرئيس في علم الموسيقى والكيميا قال: سأحصّل هذين العلمين. ثم احترقت مكتبة الشيخ أو أحرقها أعداؤه فتحسّر الشيخ وتجاوز عن ادعاء مقام المعلم فلذا لقب بالشيخ الرئيس.

والمعروف: أن الشيخ عالج اليرقان قبل السبع، وحيث كان علاج اليرقان قبل السبع متعسّراً ضربوا طبول بيت السلطان.

ويقال: إنّه كان الشيخ في قافلة لم يعرفه أهلها فلم يحترموه وكانوا يلهون ويلعبون في الطريق حتى ضاق الأمر على الشيخ وتضجر من أعمالهم، ففي ليلة وكان أهل القافلة نائمين رتّب خلاخل الجمال بترتيب خاصّ وعندما استيقظوا وساروا ارتفع صوت الخلاخل فناموا ورتّبها الشيخ بنحو آخر فاستيقظوا، وعندما سمعوا الصوت مرة أُخرى استغرقوا في الضحك واستمروا يضحكون حتى وصلوا إلى منزل، وفي الليلة الثالثة رتّبها بنحو آخر وعندما استيقظوا استغرقوا في البكاء عند مسيرهم وسماع الأصوات واستمروا يبكون حتى وصلوا إلى منزل، وعندما أراد الشيخ الرئيس أن يرتّبها بنحو آخر كمن له أهل القافلة وقبضوا عليه وعرفوه وأبدوا له الاحترام.

ومن آرائه: أن دلالة الألفاظ ذاتية وليست بالوضع وهو مذهب سليمان بن عباد الصيمري، ومن المتأخّرين المرحوم الملّا عبد الكريم الإيرواني المتقدّم الذكر اختار أيضاً هذا المذهب، وقد ذكرت باستيفاء تام في كتاب لسان الصدق ومنظومة الألفية الأُصولية وشرحها بطلان هذا المذهب.

وقد سمعت من بعض الفضلاء أن الشيخ أبو سعيد أبو الخير وهو من أهل الرياضة كان معاصراً للشيخ وكانت بينهما مكاتبات، فذهب يوماً إلى الحمام وكان الشيخ أيضاً في الحمام فسأل الشيخ أبو سعيد الشيخ أبا علي: إنك تقول: الجسم

الثقيل يميل إلى مركزه فهل هذا مسلم وله أصل أم لا؟ فقال الشيخ الرئيس: هذا من جملة المسلّمات. فرمى الشيخ أبو سعيد بطاسة الحمام في الهواء وبقيت في الهواء وقال للشيخ: فلماذا لم يمل هذا الجسم الثقيل إلى المركز؟ فتأمّل الشيخ: هناك من أجبر هذه الطاسة ومنعها من الميل إلى المركز والنزول. فقال الشيخ أبو سعيد: وما هو المجبر هنا؟ فقال: المجبر هو نفسك. فقال له الشيخ أبو سعيد: أكمل نفسك أنت أيضاً حتى تصل إلى هذه المرتبة. فقال الشيخ الرئيس: أنت كعامل وأجير عملت فأُعطيت أجرك، وأنا أدرك المعقولات بقوّة الفهم.

ومن كلمات الشيخ أبو سعيد أبو الخير: إنني حيثما ذهبت في عالم الكشف والشهود رأيت أن هناك محل عصا رئيس أعمى العميان.

ويقال: إن شخصاً من أهل همدان كان دائماً يمر على مقبرة فيها قبر الشيخ أبي علي ولا يقرأ الفاتحة له، وكان يعتقد أنّه زيدي المذهب إلى أن رأى في عالم الرؤيا خاتم الأنبياءﷺ جالساً وبجانبه جلس الشيخ الرئيس فسأل الهمداني رسول اللّهﷺ: لماذا أبو علي قريب إلى حد أنه جالس بجانبك والحال أنّه زيدي المذهب؟ فقال له رسول اللّه: أنت بهذه العنق المنكسرة أدركت أن مذهب الزيدية باطل والشيخ أبو علي مع فهمه وفطانته لم يدرك ذلك؟! فصار الهمداني معتقداً بالشيخ وصار يزور قبره ويقرأ الفاتحة.

وقال الشيخ البهائي في كشكوله: يقول الشيخ مجد الدين البغدادي: رأيت في ليلة رسول اللّهﷺ فسألته عن حال ابن سينا أناج هو أم هالك؟ فقال: هو رجل أراد الوصول إلى اللّه بلا واسطة فحجبته عن ذلك ودفعته بصدره فوقع في جهنم.

وعندما راسله الشيخ أبو سعيد أبو الخير برسالة ذم فيها العلوم الرسمية كتب: إنّ أقوى الأشكال الأربعة هو الشكل الأول، والأشكال الباقية لا تنتج إذا لم ترجع

إلى الشكل الأول، وكل الاستدلالات ترجع إلى الشكل الأول، ويرى أهل المعقول أنّ الشكل الأول بديهي الإنتاج، والحال أنّه يستلزم الدور؛ لأنّ معرفة النتيجة تتوقّف على معرفة كلية الكبرى ومعرفة كلية الكبرى تتوقّف على معرفة النتيجة، وهذا دور والدور باطل؛ لأن لازمه تقدّم الشيء على نفسه وهذا باطل. ومن ثمّ لن يتم أي مطلب من المطالب العقلية. فكتب الشيخ في الجواب: أنّ جهة الدور مختلفة بالاجمال والتفصيل على هذا النحو من أن النتيجة تتوقف على معرفة النتيجة إجمالاً فالدور مندفع. وقد تقدم ذكر هذا الكلام في ترجمة الملّا خليل القزويني أو الملّاالميرزا الشيرواني. ونظير هذا الدور ما أورده منكرو الإجماع على الإجماع كما ذكروه في الكتب الأُصولية.

ولما كان الشيخ الرئيس على رأس علماء ذلك العهد خضعت رقاب فضلاء ذلك الزمان للرغبة إليه وأذعنوا بفضيلته وحضروا مجلس درسه، وكان يحضر مجلس درسه أيضاً بهمنيار وهو من فضلاء حكماء ذلك العصر وتلمذ له وكان من خواصّ مريدي الشيخ، وقال بهمنيار للشيخ يوماً: لماذا لا تدّعي النبوة، وأنت إذا ادّعيتها فسينكر العلماء ذلك، وعلماء هذه الأزمنة والأمكنة لا يستطيعون التغلب عليك في المناظرة؟ فقال له الشيخ الرئيس: سأُجيبك عن هذا السؤال فيما بعد. ومضى زمان على هذا الحديث إلى أن كان بهمنيار والشيخ الرئيس في همدان وقد ناما في غرفة واحدة، وكان الفصل شتاء وهمدان معروفة بانجمادها وبرودة شتائها وعند السحر صعد المؤذن إلى مئذنة المسجد وصار يثني على اللّه تعالى والنبي فقال الشيخ أبو علي لبهمنيار: اذهب وائتني بماء للشرب. فقال له بهمنيار: ليس الوقت وقت شرب الماء؛ لأنك الآن استيقظت من النوم والماء البارد في هذا الوقت يضر الأعصاب والعروق. فقال له الشيخ الرئيس: إنني الطبيب الوحيد في هذا العصر وأنت تمنعني من شرب الماء مع أن هناك ضرورة تستدعيه؟! فقال له بهمنيار: إنّني

مبلل بالعرق وإذا خرجت الآن فإن الهواء سيّدخل مسام بدني فأمرض. فـقال له الشيخ: الآن أجيبك عن سؤالك في دعوى النبوة: فاعلم أنّ النبي شخص مـضت على بعثته أربعمئة سنة ولنفسه تأثير بحيث إنّه في مثل هذا الوقت من السحر مع شدة البرد يذكرون الله من على المئذنة، وأنا الآن معك وأنت من خواصّ أصحابي وآمرك بأن تأتي لي بشربة ماء ولا تؤثّر نفسي فيك حتى بمقدار أن تجيبني على ذلك فكيف إذن أدّعي النبوة؟

ويقال: إنّ الشيخ الرئيس سمع عن طبيب في البلاد أخبر المريض أن مـرضه بسبب أكل وشرب الشيء الفلاني، فتعجب الشيخ لأنّه لا يمكن من النبض معرفة ماذا كان يأكل ويشرب، فذهب إلى تلك الديار وحضر في عـيادة ذلك الطـبيب وجلس عنده ولم يعرفه الطبيب، ثم جاء مريض فأخذ الطبيب نبض المريض وقال له: قد مرضت بسبب الطعام الفلاني. فاعترف المريض وكانت هذه الحال مع عدّة مرضى والطبيب يتحدث بهذه السهولة، فتعجب الشيخ من ذلك فلما خلا المجلس سأل الطبيب: إنّ إخباراتك بالمأكول والمشروب لا توافق أية قاعدة طـبية وقـد سمعت في البداية فلم أصدق حتى رأيت رأي العين. فسأل الطـبيب عـنه فـعرفه فأعزه وأكرمه ثم قال له: قد أتعبت نفسك وأتيت من مكان بعيد، وهذه الإخبارات بالمأكول والمشروب لا تستند إلى القوانين الطبية بل إلى الفراسة، فحيث إن أهالي البلد هم في أغلبهم يهود وعادة الكثير منهم أن يبدو أثـر طـعامهم عـلى بـدنهم ولباسهم فأرى ذلك فأقول: قد أكلتم الشيء الفلاني، فالشخص الأول كان عـلى ثوبه بذور البطيخ فقلت له: قد أكلت البطيخ، وصدّق قولي وهكذا.

وتأليفات الشيخ الرئيس كثيرة منها: كتاب الإشارات في الحـكمة المشـائية، وقد شرحه الإمام الفخر الرازي كما شرحه المحقق الطوسي الخواجة نصير الدين، وكتب العلامة الحلي محاكمات بين شرّاح الإشارات كما أن قـطب المحـققين كـتب

محاكمات أيضاً؛ وكتاب الشفاء، وكتاب القانون الذي لم يكتب مثله في الطب، وذكر الشيخ البهائي في كشكوله أن شرّاح القانون هم تسعة أشخاص: عز الدين الرازي، وقطب الدين المصري، وأفضل الدين محمّد الجويني، وربيع الدين عبد العزيز عبد الجبال الجبلي، وعلاء الدين القرشي المعروف بابن النفيس، ويعقوب الدين إسحاق السامري وكان طبيباً في مصر، ويعقوب بن إسحاق المليحي المعروف بابن الثف، وهبة الله بن جميع اليهودي المصري، وقطب الدين العلامة الشيرازي.

ومن تأليفاته: النجاة، ورسالة سلامان وأبسال، ورسالة الطير.

ومن جملة الاختلافات بين الشيخ الرئيس وبهمنيار: أن بهمنيار كان يرى الزمان من المشخصات وكان يكثر النقاش مع الشيخ في هذا الأمر إلى أن قال له الشيخ: ليس لك علي حق الجواب؛ لأنّ ذلك الزمان الذي سألت فيه غير هذا الزمان، فأنت الآن غير ذلك الشخص الذي سألني فسكت بهمنيار وأُلزم. والمعروف أن الشيخ كان يأتي لكل مطلب بصغرى وكبرى ونتيجة فإن رأى شرائط الإنتاج تامة حكم بها وإلا فلا.

وفي اسم الشيخ أبي علي خلاف، والمشهور أنّه حسين بن عبدالله بن سينا. وكان طالع الشيخ الرئيس عند ولادته السرطان، والمشتري في درجة شرفه، والقمر في درجة شرفه، والزهرة أيضاً في درجة شرفها، وكان سهم السعادة في ٢٩ من السرطان، وسهم الغيب في أوّل السرطان أو سهيل والشعرى اليمانية وقال الشيخ ظهير الدين البيهقي: إنّ الشيخ عندما بلغ العشر سنين حفظ أُصول الأدب ثم شرع بدراسة كتاب ايساغوجي عند الباقلي.

وفي يوم حضر الشيخ أبو علي ابن سينا مجلس درس أبي علي ابن مسكويه والتلامذة حوله جالسون، وحيث كانت عادة الشيخ امتحان الفضلاء وإظهار

المزية مع أكابر العلماء أعطى الشيخ الرئيس جوزة لأبي علي ابن مسكويه وطلب منه تحديد مساحتها، فأعطاه ابن مسكويه كتاباً في علم الأخلاق وقال له: أصلح نفسك أولاً حتى أحدد مساحة الجوزة.

وكتب تلميذه عبداللّه الجرجاني رسالة مستقلّة في أحواله وأصله ونسبه وشطراً من كمالات حسبه، وذكر أنّ والد الشيخ كان عالماً حكيماً من أهل بلخ ومن أعيان الشيعة الإسماعيلية، وكان في زمان الأمير نوح بن منصور الساماني حيث جاء من هناك إلى بخارا ولازم الأمير المذكور وولد أبو علي فيها، وفي سن العاشرة حفظ القرآن وضبط كثيراً من العلوم الدينية والفنون الأدبية[1]، ثم درس ظواهر المنطق عند أبي عبداللّه الناقلي وكان من فضلاء الزمان واستغنى عنه بأقل زمان، ثم اشتغل بنفسه بمطالعة كتب المنطق والحكمة، وفي سن السابعة عشرة فرغ من تحصيل جميع العلوم.

والمذكور في كتاب تذكرة دولتشاهي أنّه ناظر علماء تلك المنطقة وهو في الثانية عشرة من عمره وألزمهم.

وفي كتاب تاريخ الوزراء وغيره أنّ الشيخ في ذلك الزمان كان مشغولاً بالمطالعة في بخارى فابتلي الأمير نوح بمرض صعب عجز جميع الأطباء عن علاجه، وعندما طلبوا العلاج من الشيخ برئ الأمير من مرضه بسرعة فبقي ملازماً له. وفي تلك الأثناء أجازه الأمير بالاستفادة من مكتبة بخارى التي كانت في ذلك الزمان حاوية لكتب الأولين والآخرين، فنظر في الكتب النفيسة الغريبة وحفظ دقائق حقائقها، وفي الأثناء اشتعلت النار في المكتبة فاتّهمه بعض خصمائه بأنه أشعل النار في المكتبة عمداً حتى ينسب العلوم إلى نفسه، ثم بعد ذلك بدأ بالتصنيف.

---

(١) هكذا الجملة في الكتاب والظاهر أن فيه سقطاً واللّه العالم. (المترجم).

وبالجملة: جاء الشيخ إلى إيران وذهب إلى همدان فلم يذهب إلى سلطان همدان وبقي مخفياً حتى أتمّ طبيعيات الشفاء وإلهياته يكتب كلّ يوم خمسين ورقة دون الرجوع إلى أي كتاب، ثم علم السلطان بالشيخ فحبسه في قلعة من قلاع همدان فأنشأ الشيخ فيها قصيدة هذا بيت منها:

دخولي في اليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

وبقي محبوساً أربعة أشهر ألّف خلالها كتاب الهداية، ورسالة حي بن يقظان، وكتاب القولنج، ثم تخلص من السجن وصنف منطق الشفاء، ثم جاء إلى إصفهان فتقرر من جانب علاء الدولة أن يحضر كلّ ليلة جمعة الشيخ وعلماء إصفهان إلى مجلس خاص ويتباحثون العلم، وهناك أتمّ كتاب الشفاء، وفي الأثناء كتب كتاب الحكمة العلائية باسم الأمير علاء الدولة.

ولما كانت رغبة الشيخ بالجماع قوية فكان يكثر منه لاعتقاده بقوة مزاجه، فأصاب مزاجه فتور وأصابه القولنج، ولحرصه على الصحة كان يحقن نفسه ثماني مرات كلّ يوم فجرحت أمعاؤه بسبب ذلك وأصابه السحج، ثم أصابه مرض الصرع الذي يتبع أحياناً القولنج وأثناء علاجه خانه بعض غلمانه في خازنة ماله ووضعوا في دوائه الذي كان يتناوله للصرع بعض الأفيون، فتغيرت حاله من تناوله ومع أنّه وصل إلى حد لم يستطع معه أن يقوم فقد تمكّن من المشي وحضر مجلس الأمير علاء الدولة لكنه لم يشفَ بالكلية.

وفي تلك الأيام طلب منه علاء الدولة أن يرافقه إلى همدان وفي الطريق عاد إليه المرض، وعند الوصول إلى همدان لم تبق عنده قوة ولم ينفعه العلاج، فتوقف عن مداواة نفسه وبقي على هذه الحال فترة ثم مات.

وكان أكثر فقهاء السنّة والجماعة في ذلك الزمان قد كفّروه فقال الشيخ هذا الرباعي:

ليس تكفيري بسهل أو جزاف
ولا إيمــان أقـوى مـن إيمـاني
في الدهر واحد مثلي وهو كافر
إذن فليس في الدهر من مسلم»

وفي مذهب الشيخ خلاف فيرى البعض أنّه زيدي، وظاهر كتبه أنّه على مـذهب السنّة والجماعة؛ لأنه أثبت خلافة أبي بكر. وكتب شخص رسالة في تشيّعه وتمسّك بقول الشيخ في مورد: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله لمركز دائرة الحكمة وكرة العقل علي الذي هو في الصحابة بمنزلة المحسوس من المعقول. وبقوله من مـوضع آخـر: والخـلافة بـالنص أصـوب فـإن ذلك لا يـؤدي إلى الشـغب والتشـعب والاختلاف. وأهل السنة يرون الخلافة بالإجماع والبيعة والشيعة بالنص. وله هذا الرباعي الدال على تشيعه في الجملة:

كتب عـلى صـفحة وجـه الكـتاب الأزلي
بـــالحسن مــعكوساً اسم اثــني عــلي
لام وعــــــينان ويــــــاءان
معكوس من حاجب وعين وأنف بخط جلي

وقال رباعياً آخر:

سكــبوا خمــرة العشـق في الحـلق
وحـركوها في قـوة عشـق العـاشق
امتزج في روح أبي عـلي حب عـلي
كـما يمـتزج السكـر في الحـليب

وقال بعض: إنّه كان يشرب الخمر في البداية لكن ليس إلى الحد المسكر ثم تاب في آخر عمره وتصدّق على الفقراء بمال كثير وأدّى ردّ المظالم، وكان يختم القرآن مـرّة

كل ثلاثة أيام إلى أن توفي يوم الجمعة أول شهر رمضان المبارك سنة ٤٢٨ في همدان، وكانت ولادته على ما في فصل الخطاب سنة ٣٧٠ فعمره إذن ٥٨ سنة. قال في المختار من التاريخ:

حـجة الحـق أبـو عـلي ابـن سـينا
جـاء في شـجع مـن العـدم إلى الوجـود
وفي شـصا كسب كـلّ العـلوم
وفي تكـز ارتحـل مـن هـذا الوجـود
رحـم اللّـه عـلماءنا المـاضين
وأطـال اللّـه أعـمار البـاقين

(٧٥)
الملّا محمّد أمين

محمّد أمين بن محمّد شريف الاسترآبادي من مشايخ إجازة الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمّد بن حسن بن الشهيد الثاني، كان أخبارياً محضاً وهو أول من فتح باب الطعن على أهل الاجتهاد وشنّع على المجتهدين وهذا من غبائه.

تأليفاته: الفوائد المدنية، وشرح أُصول الكافي، وشرح تهذيب الأحكام، وفيما أحدثه الفاضلان الملّا جلال الدين والمير صدر الدين في حواشي الشرح الجديد للتجريد، وكتاب فوائد دقائق العلوم وحقائق العلوم، وشرح الاستبصار، لم يتم، ورسالة في البداء، وأجوبة مسائل الشيخ الطبري، ورسالة في طهارة الخمر ونجاسته، وحاشية على طهارة المدارك ولم تتم.

وكان مجاوراً لمكة والمدينة، وكانت وفاته سنة ١٠٣٣ للهجرة النبوية صلى اللّه عليه وآله. وله إجازة من صاحب المدارك رحمة اللّه عليه.

(٧٦)

الميرزا محمّد علي

الميرزا محمّد بن علي بن ابراهيم الاسترآبادي فاضل عالم محقق مدقّق عابد ورع عارف بالحديث عالم بعلم الرجال.

وتأليفاته: كتاب الرجال الكبير، وكتاب الرجال المتوسط، وكتاب الرجال الصغير، وكتاب تفسير آيات الأحكام، وحاشية على التهذيب، ورسائل متعددة.

توفي بمكة المعظمة في الثالث عشر من ذي القعدة الحرام سنة ١٠٢٨.

وهو من مشايخ إجازة الملّا محمّد أمين المتقدم، وله إجازة من الشيخ ابراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي.

وقال البعض: إنّ اسم جده كميل. والبعض قال: ابراهيم.

وقال العلامة المجلسي في كتاب البحار في باب ذكر من رأى صاحب الأمر في زمان الغيبة الكبرى: أخبرني جماعة عن السيّد السند الفاضل الكامل الميرزا محمّد أمين الاسترآبادي نوّر اللّه مرقده أنّه قال: كنت في ليلة أطوف في بيت اللّه الحرام فرأيت شاباً حسن الوجه يطوف أيضاً، وعندما وصل إليّ أعطاني باقة من الورد الأحمر ولم يكن ذلك الزمان زمن ورد فشممتها وقلت: سيّدي من أين هذا الورد؟ فقال: من الخرابات. ثم غاب عن نظري ولم أره بعدها.

وكان جنابه أعبد العباد وأزهد الزهاد، وقد سبق الرجال وأهل الحال في مضمار الكلام والتفسير والرجال.

(٧٧)

محمّد بن مرتضى الملقب بالفيض

محمّد بن مرتضى المدعو بمحسن الملقب بالفيض كان فاضلاً أخبارياً محدثاً حكيماً.

وكان قد أرسل ملك الأفرنج في زمان الشاه عباس شخصاً من أوروبا وكتب للسلطان الصفوي: أن قل لعلماء دينكم أن يناظروا رسولي في أمر الدين والمذهب فإن أجابهم فادخل في ديننا. وكان عمل ذلك المرسل أن يصف كلّ شيء يؤخذ في اليد، فجمع السلطان العلماء وكان على رأسهم الملّا محسن الفيض فقال الملّا محسن للسفير الإفرنجي: ألم يكن عند السلطان عالم ليرسله حتى أرسل مثلك من العوام ليناظر العلماء؟ فقال له: أنت لا تستطيع أن تتخلّص مني فخذ شيئاً بيدك لأقول. فأخذ الملّا محسن سبحة من تربة سيّد الشهداء فسبح الإفرنجي في بحر التفكير وأطال فقال له الملّا محسن: مالك عجزت؟! فقال له: لم أعجز لكن حسب طريقتي أرى أن في يدك قطعة من تربة الجنة، فقلت: كيف يمكن أن تصل إلى يدك تربة الجنة؟ فقال له الملّا محسن: صدقت فإن في يدي قبضة من تربة الجنة وهي هذه السبحة من تربة القبر المطهر لابن بنت نبينا الإمام فظهرت حقانية ديننا وبطلان دينك. فأسلم الرجل.

وكان الملّا محسن يجيز الغناء وهذه من فتاواه الغريبة، وله فتاوى غريبة كثيرة سيذكر كثير منها بحسب ما يقتضيه كلّ مقام، وكان سبب ذلك أنّه لم يكن عنده ذوق

فقهي وقد غلبت عليه جهة المعقول. ويقال: إنّ الملّا محسن كان يصلي صلاة الليل وقت السحر في بساتينه وجارية تغني له وهو في الركوع يبكي.

وكان زاهداً كثيراً ويقال: إنّه سقطت منه في السوق مجموعة سكاكين وتذكر بعد سنة فأراد أن يرسل من يأتي بها فقالوا له: إنّها لن تكون موجودة بعد هذه المدة فلا بد من أنها أُخذت. فقال الملّا محسن: الناس مسلمون فكيف يأخذونها بدون إذني؟

وكان من تقواه وورعه أن الملّا محمّد وهو من مشاهير علماء تلك الديار، وكان أيضاً مؤذناً وخادماً لمسجد الملّا محسن، أرسل الملّا محمّد المشهور إلى الملّا محسن شخصاً ليخطب ابنته فقبل الملّا محسن، وفي نفس ذلك اليوم أرسل إليه الملّا محسن: أن خذ زوجتك هذه الليلة إلى بيتك. فعرف الملّا محمّد القضية وكيف جرت فأرسل إلى الملّا محسن: أنني أرسلت إليك الطالب وأنت قبلت وليس الطلب للملا محمّد الخادم. فأجاب الملّا محسن أنني أعطيت البنت بتصور أنّه الملّا محمّد الخادم، وأنا لن أتراجع عن كلامي.

وكان الملّا محسن أخبارياً صرفاً، ومع أنّه كتب كتاب المفاتيح على طريقة المجتهدين لكنه طعن كثيراً عليهم وخصوصاً في رسالة سفينة النجاة سيما ما يفهم منه نسبة الكفر فضلاً عن الفسق إلى جمع من العلماء، مثل ما ذكره في آية: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الكَافِرِينَ﴾[1]، مع أنّ له مقالات كثيرة على مذاق التصوف والفلاسفة أساس الكفر وكان يعتقد بعقائد محيي الدين بن عربي مثل وحدة الوجود ونحو ذلك.

وهو من تلامذة الملّا صدرا، وقد تزوّج ابنته ولقّبه الملّا صدرا بالفيض، ولقّب

---

(١) هود ١١ / ٤٢.

الملّا عبد الرزاق صاحب الشوارق بالفياض. ولما كان الملّا محسن قد سلّم له في ذلك اشتهرت القواعد الصوفية في تلك الأعصار حتى جاء الملّا محمّد باقر المجلسي إلى الساحة وأطفأ نار تلك الجماعة. وسمّاه الشيخ أحمد الأحسائي بالمسيء وكثيراً ما يقول: قال المسيء القاساني تبعاً لإمامه مميت الدين بن عربي.

وبالجملة: فإن من يرى حسن محيي الدين ويعتقد بعقائده فإن الفقهاء بالتأكيد سيعتبرونه كافراً، والملّا محسن في الحقيقة فاضل جامع محقق مدقق ماهر. وكتابه المفاتيح وإن كان مختصراً للمسالك والمدارك لكنه أحسن ترتيبه وطرح المسائل غالباً بنحو كلي.

وتأليفاته كثيرة، بل لا يوجد شخص من ذلك العصر حتى الآن، بل في أغلب العصور السابقة من له تأليفات بقدر تأليفات الملّا محسن، إلا الملّا محمّد باقر المجلسي رضي اللّه عنه. وذكر السيّد محمّد شفيع البروجردي في كتابه الروضة البهية: سمعت عن أُستاذي العالم العامل الكامل الملّا أحمد النراقي نقلاً عن أبيه أنّه قال: رأيت الملّا محسن الفيض في المنام يقول: ما يقوله الناس في حقي فقد تبرّأت فيما بعد من العقائد الفاسدة الباطلة واعتقادي هو ما كتبته في آخر عمري؟ وقال لي الملّا محسن اسم تلك الرسالة فاستيقظت ونظرت في تلك الرسالة فرأيت اعتقاداته مطابقة للاعتقاد الحق للعدلية، وحيث إنني لم أر الملّا محسن ولم أسمع منه ولا توجد قرائن توجب العلم بمذهبه فهذه الرؤيا إن شاء اللّه صادقة.

وللملا محسن ما يقرب من مئتي تأليف، وكتب رسالة في فهرس تأليفاته خلاصتها:

١ ـ كتاب الصافي في تفسير القرآن، وهو مجلّدان يقرب من سبعين ألف بيت، فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٥.

٢ ـكتاب التفسير الآصفي وهو منتخب من الصافي في ٢٧ ألف بيت تقريباً.

٣ ـكتاب الوافي في شرح الكافي وهو ١٥ مجلّداً ومجموعه ١٥٠ ألف بيت، فرغ منه سنة ١٠٦٨.

٤ ـكتاب الشافي وهو منتخب من الوافي وهو مجلّدان: أحدهما في العقائد والأخلاق، والآخر في الشرائع والأحكام، وكل واحد منها اثنا عشر كتاباً يقرب من ٢٦ ألف بيت، وكان الفراغ منه سنة ١٠٨٠.

٥ ـكتاب النوادر في جميع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة وهو ٧ آلاف بيت.

٦ ـكتاب معتصم الشيعة في الأحكام خرج منه كتاب الصلاة ومقدماتها في مجلّد يقرب من ١٤ ألف بيت، وفرغ منه سنة ١٠٤٢.

٧ ـكتاب النخبة اشتمل على خلاصة أبواب الفقه في ٣٣٢٠ باباً تقريباً، فرغ منه سنة ١٠٥٠.

٨ ـكتاب التطهير وهو نخبة من النخبة لبيان علم الأخلاق وهو يقرب من ٥٠٠ بيتاً.

٩ ـكتاب علم اليقين في أُصول الدين وهو ١٤ ألفاً و ٥٠٠ بيت تقريباً، انتهى منه سنة ١٠٤٦.

١٠ ـكتاب المعارف وهو تلخيص علم اليقين ولبابه في ٦ آلاف بيت فرغ منه سنة ١٠٣٦. والعجيب أن تاريخ أصل هذا الكتاب متأخّر وتاريخ تلخيصه متقدّم وإن لم يخل من توجيه.

١١ ـكتاب أُصول المعارف وهو ملخص لمهات عين اليقين وهو يقرب من ٤

آلاف بيت، وكتبه سنة ١٠٨٩.

١٢ ـ كتاب المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ومجموعه ٧٣ ألف بيت تقريباً، فرغ منه سنة ١٠٤٦.

١٣ ـ كتاب الحقائق في أسرار الدين وهو ملخّص المحجة في ٧ آلاف بيت، فرغ منه سنة ١٠٩٠.

١٤ ـ كتاب قرّة العيون في ٣٥٠٠ بيت، فرغ منه سنة ١٠٣٨.

١٥ ـ كتاب الكلمات المكنونة في التوحيد وهو ٨٠٠ بيت، فرغ من تصنيفه سنة ١٠٩٠.

١٦ ـ كتاب جلاء العيون في بيان أذكار القلب وهو ٢٢٠ بيتاً.

١٧ ـ كتاب التشريح في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الأفلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات في ٣ آلاف بيت.

١٨ ـ كتاب أنوار الحكمة وهو مختصر من كتاب علم اليقين أو الفوائد الحكيمة التي اختص بها أنوار الحكمة، ويقرب من ٦ آلاف بيت، ألّفه سنة ١٠٤٠.

١٩ ـ كتاب لباب القول في الإشارة إلى كيفية علم اللّه تعالى بالأشياء وهو ٢٠٠ بيت.

٢٠ ـ كتاب لب القول في معنى حدوث العالم في ٣٧٠ بيتاً.

٢١ ـ كتاب ميزان القيامة ذكر فيه تحقيق القول في كيفية الميزان يوم القيامة، وهو يقرب من ٦٢٠ بيتاً، فرغ منه سنة ١٠٤٠.

٢٢ ـ كتاب مرآة الآخرة يكشف فيه حقيقة الجنة والنار ووجودهما الآن ومحلهما من الدنيا في ٩٢٠ بيتاً، صنّفه سنة ١٠٤٤.

٢٣ ـ كتاب ضياء القلب في تحقيق الأحكام الخمسة التي يحكم بها على الإنسان في الباطن، وهو يقرب من ٥٠٠ بيت، وقد فرغ منه سنة ١٠٥٧.

٢٤ ـ كتاب تنوير المذاهب وهو تعليقات على التفسير المنسوب للكاشفي الموسوم بالمواهب وهو يقرب من ٣ آلاف بيت.

٢٥ ـ شرح الصحيفة السجادية وشرح ما يحتاج إلى الشرح باختصار يقرب من ٣٣٠٠ بيت.

٢٦ ـ كتاب سفينة النجاة في أنّه لا مأخذ للأحكام الشرعية إلا المحكمات والسنّة، وهو قريب من ١٥٠٠ بيت، صنّفه سنة ١٠٥٨.

٢٧ ـ كتاب الرسالة الموسومة بالحق المبين في تحقيق كيفية التقية في الدين، يقرب من ٢٥٠ بيتاً، صنّفه سنة ١٠٦٨.

٢٨ ـ كتاب الأُصول الأصلية اشتمل على عشرة أُصول مستفادة من الكتاب والسنّة، يقرب من ١٠٠٨ أبيات، ألّفه سنة ١٠٤٤.

٢٩ ـ كتاب تسهيل السبيل في الحجة في انتخاب كشف المحجة للسيّد ابن طاووس العلوي وهو يقرب من ٩٠٠ بيت، صُنّف سنة ١٠٤٠.

٣٠ ـ كتاب نقد الأُصول الفقهية اشتمل على خلاصة علم الأُصول، صنّفه في شبابه وهو أول ما صنّفه، ويقرب من ٢٣٠٠ بيت.

٣١ ـ كتاب أُصول العقائد في تحقيق الأُصول الدينية الخمسة، يقرب من ٨٢٠ بيتاً، صنّفه سنة ١٠٣٦.

٣٢ ـ كتاب منهاج النجاة في بيان العلم الذي طلبه فريضة على كلّ مسلم، يقرب من ٢٠٠٠ بيت، صنّفه سنة ١٠٤٢.

٣٣ـكتاب خلاصة الأذكار، يقرب من ٢٣٠٠ بيت، صنّفه سنة ١٠٣٣.

٣٤ـكتاب ذريعة الفراغة في جميع الأدعية التي تضمنت المناجاة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، يقرب من ٥٠٠ ألف بيت، صنّفه سنة ألف ونيف.

٣٥ـكتاب مختصر الأوراد اشتمل على الأذكار والأدعية المتكررة في اليوم والليلة والأُسبوع والسنة، وهو قريب من ٥٠٠ ألف بيت، فرغ من تصنيفه سنة ١٠٦٧.

٣٦ـكتاب أهم ما يعمل اشتمل على ما هو المهم في الشريعة المطهّرة من العمل، يقرب من ٥٠٠ بيت.

٣٧ـكتاب الخطب اشتمل على أكثر من مئة خطبة للجمعات والعيدين وهو قريب من ٤ آلاف بيت وقد تم جمعه سنة ١٠٦٧.

٣٨ـكتاب الشهاب الثاقب في عينية صلاة الجمعة في زمان الغيبة، صنّفه سنة ١٠٥٧.

٣٩ـكتاب أبواب الجنان في بيان وجوب صلاة الجمعة وشرائطها وآدابها وأحكامها، وهو فارسي مفيد لعامة الناس في ٥٠٠ بيت، صنّفه سنة ١٠٥٥.

٤٠ـكتاب ترجمة الصلاة ترجم فيه أذكار الصلاة إلى الفارسية ويقرب من ٤٥٠ بيتاً، صنّفه سنة ١٠٤٣.

٤١ـكتاب مفاتيح الخير مما يتعلق بفقه الصلاة ولواحقها، وهو فارسي يقرب من ٢٥٠ بيتاً.

٤٢ـترجمة الطهارة في الفقه باللغة الفارسية في ٢٨٠ بيتاً.

٤٣ـأذكار الطهارة في ٥٠ بيتاً.

٤٤ ـ ترجمة الزكاة باللغة الفارسية يقرب من ٢٦٠ بيتاً.

٤٥ ـ كتاب ترجمة العقائد باللغة الفارسية.

٤٦ ـ كتاب الصيام وهو كترجمة الزكاة يقرب من ٣٠٠ بيت.

٤٧ ـ كتاب ترجمة الرسالة الموسومة بالسانح الغيبي في تحقيق معنى الإيمان والكفر ومراتب الإيمان والكفر.

٤٨ ـ كتاب طريق الصواب ذكر فيه سبب اختلاف أهل الإسلام في المذاهب والباعث لهم على تدوين الأُصول وتحقيق معنى الإجماع، كتبه باللغة الفارسية، وصنّف سنة ١٠٤٠ ونيف.

٤٩ ـ رسالة شرائط الإيمان منتخبة من طريق الصواب.

٥٠ ـ كتاب ترجمة الشريعة إلى الفارسية وفيه معنى الشريعة وفائدتها وكيفية سلوكها في بيان أقسام كلّ من الحسنات والسيئات.

٥١ ـ كتاب الأذكار المهمة وهو مختصر خلاصة الأذكار وفارسي في ٣٤٠ بيتاً.

٥٢ ـ كتاب الرفع والدفع في رفع الآفات ودفع البليات بالقرآن والدعاء والعوذة والرقي والدواء، وهو فارسي في ٤٢٠ بيتاً.

٥٣ ـ رسالة فارسية اسمها آينه شاهي وهي منتخب من ضياء القلب تقرب من ٣٠٠ بيت، صنّفها سنة ١٠٦٦.

٥٤ ـ رسالة وصف الخيل وذكر ما ورد في اتخاذ الخيل والمعرفة بها وعلاماتها من الأئمة المعصومين، وهي فارسية تقرب من ٢٠٠ بيت، صنّفها سنة ١٠٦٧.

٥٥ ـ رسالة زاد السالك ذكر فيها كيفية سلوك طريق الحق وشروطه وآدابه

٥٦ ـ رسالة النخبة الصغرى اشتملت على لب فقه الطهارة والصلاة والصيام بألفاظ مختصرة.

٥٧ ـ متعلقات النخبة الصغرى وفيها تفصيل ما ذكر في النخبة الصغرى بالإبهام والإجمال.

٥٨ ـ رسالة الضوابط الخمسة في أحكام الشك والسهو والنسيان في الصلاة.

٥٩ ـ رسالة حومان الأموات اشتملت على أُمهات المسائل الشرعية المتعلقة بالجنائز.

٦٠ ـ رسالة في حكم أخذ الأُجرة على العبادات تقرب من ١٥٠ بيتاً.

٦١ ـ رسالة في تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج وما يتعلق بها، وهي ١٨٠ بيتاً.

٦٢ ـ رسالة غنية الأنام في معرفة الأيام والساعات مما يستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام.

٦٣ ـ رسالة المحاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقية في الدين.

٦٤ ـ رسالة أحجار السداد والسيوف الحداد في أبطال الجواهر الأفراد.

٦٥ ـ رسالة رفع الفتنة في بيان تتمة من حقيقة العلم والعلماء وأصنافهم وشيء من معنى الزهد والعبادة وأصحابها.

٦٦ ـ كتاب فهرست العلوم شرح فيه أنواع العلوم.

٦٧ ـ رسالة في أجوبة الرسائل والأسئلة، منتزعة من كتب العلماء وأهل المعرفة وأشعارهم.

٦٨ـرسالة شرح الصور اشتملت على ما مضى من حالاته ومصائبه في أيام عمره من إقامة وسفر وإفادة واستفادة ومكارم ومقامات وخمول وشهرة ومفارقة الإخوان المحبوبين ومرافقة الأصحاب المكروهين، صنّفها سنة ١٠٦٥.

وذهب من كاشان إلى شيراز للدراسة عند السيّد ماجد بن هاشم الصادقي البحراني والملّا صدرا الشيرازي. قال السيّد نعمة اللّه بن السيّد عبد اللّه الجزائري الششتري: إنّ للأُستاذ المحقق المولى محمّد محسن الكاشاني صاحب الوافي مايقرب من مئتي كتاب ورسالة، ونشأ في قم ثم سمع بقدوم الشيخ الأجل المحقق المدقق الإمام الهمام السيّد ماجد البحراني الصادقي إلى شيراز، فأراد الذهاب إليه ليدرس عنده ويأخذ منه العلوم، لكن تردد والده في الترخيص له بالسفر فاتّفقا على الاستخارة وعندما فتحا القرآن جاءت هذه الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] وليس من آية أصرح وأدل على المطلوب من هذه الآية ثم تفألا بديوان البلاغة المنسوب لرأس حلقة أهل العرفان أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت هذه الأبيات:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرّج هم واكتساب معيشة	وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفار ذل ومحنة	وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من قيامه	بدار هوان بين شر وحاسد

وهذه الأبيات أيضاً هي أدل على المطلوب خصوصاً كلمة «صحبة ماجد» التي هي صريحة في المطلوب، فذهب إلى شيراز وأخذ العلوم الشرعية من السيّد

(١) التوبة ٩ / ١٢٢.

ماجد والعلوم العقلية من الملّا صدرا وزوجه السيّد ابنة الملّا صدرا.

وللسيّد ماجد إجازة من الشيخ البهائي والميرداماد، وللملا محسن إجازة بلا واسطة من الشيخ البهائي كما أن له إجازة من الملّا صدرا، والملّا صدرا له إجازة من الشيخ البهائي والميرداماد، والملّا محسن من مشايخ إجازة العلامة المجلسي الملّا محمّد باقر. وقال السيّد نعمة اللّه الجزائري الموسوي: عندما دخلت شيراز التحقت بولد الملّا صدرا الميرزا ابراهيم ودرست عنده الحكمة والكلام وحاشيته على حاشية شمس الدين الخفري على الشرح الجديد للتجريد، وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية واعتقاده في أُصول الدين أفضل من اعتقاد والده، وكان يقول دائماً في مدح نفسه: إنّ اعتقادي كاعتقاد العوام، واسمه الميرزا ابراهيم. إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه.

وكان الملّا علي النوري الحكيم الإلهي دائماً يقول: اللهم أمتني على عقيدة العوام. وللميرزا إبراهيم حاشية على أول شرح اللمعة حتى كتاب الزكاة.

وللملا محسن تأليفات أُخرى مثل: الكلمات المكنونة، وكتاب مقتل أبي بكر وعمر وعثمان، وكتاب المفاتيح في الفقه من الطهارة حتى الديات، وقد كتبوا عليه شروحاً مثل: شرح الآغا باقر البهبهاني، وشرح بحر العلوم السيّد مهدي الطباطبائي، وشرح ابن أخ الملّا محسن الملّا محمّد هادي، ولي أيضاً حواشٍ غير مدونة على ذلك الكتاب.

ومن تأليفاته: كتاب عوامل الملّا محسن في علم النحو وهذا الكتاب متداول بين الطلاب في التدريس، والملّا محسن بن محمّد طاهر القزويني مؤلف كتاب زينة السالك في شرح ألفية ابن مالك في أربعة مجلّدات كتب شرحاً على العوامل السماعية لعوامل الملّا محسن، وقد كتبت شواهد أشعار عوامل الملّا محسن

بالفارسية، كما كتبت شرحاً باللغة الفارسية على الفقرات «ثمـانياً بـعدما جـاوزت الأثنين» مع تركيبها، وكذلك كتبت شرحاً فارسياً على عوامل الملّا محسن في مدّة تسعة أيام.

وللملا محسن إجازة من الشيخ محمّد ابن صاحب المعالم.

وكتب السيّد نعمة اللّه في كتاب زهر الربيع: أنّه وقعت زلزلة عظيمة في نواحي شيروان وأطرافها بحيث هلك الكثير وذلك في زمان بـعض مـلوك الشـيعة مـن السلاطين الذين عاصرناهم، وحكى لي جماعة من الثـقة يـنقلون عـن قـراهـم وأما كنهم أنّه عندما علم السلطان بذلك ـ وكان أُستاذنا العلامة المحقق الكاشاني صاحب كتاب الوافي ونحوه من المصنّفات التي يبلغ عددها المئتين بل أكثر حاضراً في المجلس ـ سأل الملّا محسن عن سبب ذلك فقال له: هذا من حيف وهوى ورشوة القضاة ليحكموا بالباطل. فقال السلطان: إذا رجعنا من هذا السفر سأُعيّن في كـلّ بلد مجتهداً ليرجعوا إليه. وكان السلطان في ذلك الوقت في مجال خراسان فأراد إذا رجع أن يجعل الآغا محمّد باقر السبزواري قاضي إصفهان لأنه كان فقيهاً عـادلاً، فقال السلطان للملا محسن: ماذا نفعل إن لم يقبل الآغا محمّد باقر السبزواري؟ قال له: هذا واجب عليه فإن لم يقبل فيجب عليك أن تجبره على ذلك. لكن السلطان لم يصل إلى إصفهان ومات فلم يقم بهذا العمل. نعم عين ولده الشاه سليمان أُسـتاذنا صاحب بحار الأنوار الذي يقرب من ثلاثين مجلّداً ولقّبه بشـيخ الإسـلام، وقـام جنابه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فـحطم الأصـنام التي كـانوا يـعبدونها وأهرق الخمور وأحرق المحرمات والذنوب ونحو ذلك، فحمداً للّه أن عاد الأمر إلى أهله بعد تمادي السنين والأعوام. إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه.

وكتب الملّا ابراهيم ابن الملّا صدرا تفسيراً سمّـاه العروة الوثقى، وقال البعض:

إنه مصداق ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[1]. ونقلوا عن الميرزا ابراهيم أنه قال: قـال والدي عندما حضرته الوفاة: للأسف لم يتحقّق ما كان ببالي. قيل له: وماذا كان في بالك قال: كنت أتّصور أن أكون في المقرّبين والآن تبين لي أنني لست كذلك بل أنا في أصحاب اليمين.

ولقب الملّا صدرا صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي ومن ألقـابه أيـضاً صدر المتألهين، ويقال: إنّ والده كان من الوزراء ولم يكن له ذكور فنذر على نفسه نذراً لازماً أن يبذل مالاً عظيماً للفقراء إن أكرمه اللّه تعالى بولد صـالح مـوحّد، فرزقه اللّه تعالى الملّا صدرا، وعندما توفي والده ارتحل الملّا صدرا من شـيراز إلى إصفهان وتلمذ في العلوم النقلية للشيخ عند الشـيخ البهـائي، ثم ذهب إلى مجـلس درس المير محمّد باقر الداماد ودرس عنده العلوم العقلية وأخذ إجازة من كليهما، ثم ذهب إلى بعض قرى قم واشتغل برياضة النفس وتشرّف سبعة مرات بالذهاب إلى مكة المعظمة زادها اللّه شرفاً، وتوفي في المرة السابعة أثناء رجوعه في البصرة.

وتأليفاته: شرح على الكافي في ثلاثة مجلّدات آخرها مقدار من كتاب الحجة، وتفسير سورة آل عمران والفاتحة والبـقرة وآيـة الكـرسي وسـورة الإخـلاص والحديد والجاثية، وكتاب الأسفار الأربعة في أربعة مجلّدات الأول: سفر الأُمـور العامة، الثاني: الجواهر والأعراض، الثالث: سفر النفس، الرابع: الإلهيات؛ وكتاب الشواهد الربوبية، والمشاعر، والمبدأ والمعاد، ومـفاتيح الغـيب، وكـسر الأصـنام، وأسرار الآيات، وشرح الهداية وهـو في شرح الحـديث الأول مـن بـاب العـقل والجهل.

وكتب إجازته بهذا النحو: حدثني شيخي وأُستاذي ومـن عـليه في العـلوم

---

(١) يونس ١٠ / ٣١.

النقلية استنادي عالم عصره وشيخ دهره بهاء الحق والدين محمّد العاملي الحارثي الهمداني نوّر اللّه قلبه بالأنوار القدسية عن والده الماجد المكرم وشيخه المـمجد المعظم الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد أفاض اللّه على روحه الرحمة والرضوان وأسكنه دار الجنان، عن شيخه الجليل وأُستاذه النبيل عـماد الإسـلام وفخر المسلمين الشيخ زين الملة والدين العاملي طاب ثراه وجعل الجنّة مثواه، عن الشيخ المعظم المفخم والمطاع المؤيد المكرم عالي النسب سامي اللقب المجدد المهذب علي بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ الورع الجليل علي بن هلال الجزائـري، عن الشيخ القائم القائد أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشيخ الفاضل والنحرير الكامل السعيد الشهيد محـمّد بن مكي أعلى اللّه رتـبته، وعن الشيخ زين الملة والدين عن الشيخ الفاضل التقي علي بن عبد العالي الميسي روّح اللّه روحه بالفيض القدسي، عن الشيخ سـعيد بـن محـمّد بـن داود المـؤذن الحربيني، عن الشيخ الكامل ضياء الدين علي، عن والده الأفضل الأكمل المحـقق المدقق الجامع بين الفضيلتين والحاوي للمنقبتين رتـبة العـلماء ودرجـة الشهـداء الشيخ شمس الدين محمّد بن مكي رفع اللّه قدره وأكمل في سماء الرضوان بدره.

وحدّثني سيّدي وسندي وأُستاذي في المعالم الدينية والعلوم الإلهية والمعارف الحقيقية والأُصول اليقينية السيّد الأجل الأنور العالم المقدس الأطهر الحكيم الإلهي والفقيه الرباني سيّد عصره وصفوة دهره الأمير الكبير والبدر المنير علامة الزمان أُعجوبة الدوران المسمّى بمحمد الملقب بباقر الداماد الحسيني قـدّس اللّـه عـقله بالنور الرباني، عن أُستاذه وخاله المكرم المعظم الشيخ عبد العالي رحمه اللّه، عـن والده السامي المطاع المشهور اسمه في الآفاق والأصقاع الشيخ علي بن عبد العالي المذكور سنداً بالسند المذكور وغيره إلى الشيخ الشهيد محمّد بن مكي عن جماعة من مشايخه. منهم الشيخ عميد الدين عبد المطلب الحسيني والشيخ الأجل الأفضل

فخر المحققين أبو طالب محمّد الحلي والمولى العلامة مولانا قطب الرازي، عن الشيخ العلامة آية اللّه في أرضه جمال الملة والدين أبي منصور الحسن المطهر الحلي ﷺ، عن شيخه المحقق رئيس الفقهاء والأُصوليين نجم الملة والدين أبي القاسم جعفر بن الحسن السعيد الحلي، عن السيّد الجليل النسابة فخار بن معد الموسوي، عن شاذان بن جبرئيل القمي، عن محمّد بن أبي القاسم الطبري، عن الشيخ الفقيه أبي علي الحسن، عن والده الأجل الأكمل شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي نوّر اللّه مرقده، وعن العلامة جمال الملة والدين عن أُستاذه أفضل المحققين سلطان الحكماء والمتكلّمين خواجه نصير الملة والحكمة والحقيقة والدين محمّد الطوسي روح اللّه روحه بالنور القدسي، عن والده محمّد بن الحسين الطوسي، عن الشيخ الأعظم المفيد محمّد بن نعمان الحارثي سق اللّه ثراه، عن الشيخ الأجل ثقة الإسلام والمسلمين قدوة الأنام محمّد بن بابويه القمي أعلى اللّه مقامه، عن أبي القاسم جعفر بن قولويه عن الشيخ الجليل ثقة الإسلام والمسلمين وسند المحدثين أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني. إلى هنا كان كلام الملّا صدرا.

وكان للملا صدرا تلامذة كثيرون منهم: الملّا محسن الفيض، والشيخ حسين التنكابني الذي كتب حاشية على حاشية الخفري على الهيات شرح التجريد، والملّا عبدالرزاق اللاهيجي الملقب بالفياض وصاحب كتاب شوارق شرح التجريد، وصاحب كتاب «جوهر مراد» أساس الإيمان في أُصول الدين، وحواشٍ على الشرح الجديد للتجريد، ومذهبه أقرب إلى الشرع كما يظهر من كتاب «جوهر مراد» واللّه يعلم إن كان ذلك عن تقية أم لا. ويقال إنّه سئل الملّا عبد الرزاق: كم ينزح من البئر إذا سقط فيه غراب؟ فأجاب: الغراب طير ذكي لا يقع في البئر. ونظيره أنّه سئل الملّا علي النوري: كم دلواً ينزح من البئر إذا وقعت فيه سمكة؟ فتأمل ثم قال لا أعرف. وكان للملا عبد الرزاق ولد اسمه الميرزا حسن وكان من

الفقهاء المقدسين ومن تأليفاته كتاب جمال الصالحين في الأدعية.

وفي مذهب الملّا صدرا خلاف فكفّره جمع من الفقهاء، وقد تكلم بعدة مسائل على خلاف الظواهر الشرعية مثل وحدة الوجود، وقد وصل فيها حتى قال في تفسيره: قال محيي الدين بن عربي: فرعون مات مؤمناً موحّداً. ثم قال الملّا صدرا: هذا كلام يشم منه رائحة التحقيق. وهو مفاد شعر الملّا الرومي إذ قال:

لأن عديم اللون صار أسير اللـون
فقد تحارب مـوسى مـع مـوسى

ويقول في ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام لابن ملجم: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال له:

لا تـــغتم أيهـا العـزيز فأنـا شـفيعك
مـــالك روحـــي لا ممـــلوك بـــدني

ومن الواضحات أن ليس هناك عاقل يرى أن أمير المؤمنين وابن ملجم هما جيدان معاً، بل العقل يقضي بأنّ أحدهما هو الحسن، وكذلك أمر موسى وفرعون عند العقلاء.

وللسيّد الداماد أُستاذ الملّا صدرا رباعي يمدح فيه الملّا صدرا يقول:

يا صدرا أخذ جاهك الضريبة من الرقـاب
وفـــضلك أعـــطى خـــراج أفـــلاطون
لم يأت مـــثلك عـــلى كـــرسي التـــحقيق
وفـــجأة ظـــهرت مـــن ثـــوب الطـــبيعة

والمسألة الأُخرى التي كانت محل تزلزل الملّا صدرا أنّه قال في شرح أُصول الكافي

وفي تفسير سورة البقرة وكتاب الأسفار بانقطاع العذاب وأنكر الخلود في جهنم، والحال أنّ ضرورة الإسلام على خلافه، لكنني سمعت من أحد فضلاء تلامذة الملّا علي النوري يقول: قال الملّا علي: إنّ الملّا صدرا تراجع عن هذا المذهب في آخر عمره وقال بخلود عذاب جهنم وكتب رسالة في الخلود وقدم انقطاع العذاب.

كما أنّه كتب في الأسفار في بيان مراتب العشق: أنّ التعشق ومحبّة عشق مجازي هو في الحقيقة عشق للّه نظراً إلى قاعدة: المجاز قنطرة الحقيقة.

وذكر الملّا محمّد صالح البرغاني حكاية مضحكة وهي أنّ شخصاً من علماء المالكية كان في سفر، وحيث إنّ مالكاً يجوّز وطء الغلام في السفر لمن لا ترافقه زوجته؛ ولذا جاء في منظومة فقه مالك:

وحلّلوا وطي الغلام الأمرد   للرجل المسافر المجرّد

وقال أيضاً:

وليس في لواطه من حد   ولا بوطي الأُخت بعد العقد

نعود إلى حكاية الملّا محمّدصالح، قال: ودخل الأفندي إلى بيت شخص وبقي هناك في الليل وقد أظهر له صاحب البيت غاية الإعزاز والاحترام، وكان لصاحب البيت ولد حسن الوجه فكان الأفندي يكثر النظر إلى وجه ذلك الصبي ولا يرفع عينه عن وجهه، فسأله والد الصبي وهو صاحب البيت: إنّك تكثر النظر إلى وجه ابني فماذا في وجهه؟ فقال له الافندي: انظر إلى عجيب خلق اللّه وأرى كمال قدرته إذ أظهر مثل هذا الوجه من كتم العدم. فقال له صاحب البيت: إن كنت تنظر إلى عجيب صنع اللّه فإنّ عندي ما هو أعجب من ذلك فلاحظ واعتبر، فاللّه خلق في أيامي شيئاً شكله مخروطي رأسه مشقوق وهو أحياناً كالشجرة قائم وأُخرى كالحية نائم وأحياناً متحرّك وأحياناً أُخرى ساكن، وتحته حبتان مدوّرتان كالكرة

وقد وضعا في كيس من الجلد، وأحياناً يجتمعان فيتّصل هذا الكيس وأحياناً يكون ذلك الكيس متدلياً، والحبتان تقعان في أسفل ذلك الكيس، فتبارك اللّه أحسن الخالقين، فإذا كنت تريد النظر إلى عجائب صنع اللّه فانظر إليه فهو أعجب من صنع وجه ولدي.

وبالجملة: أن يصدر من عالم مثل هذا الكلام أي إن إظهار التعشق بالأمرد هو قنطرة لعشق خالق العالمين من أعجب ا لأعاجيب، نعم وحدة الوجود لها هذه اللوازم الباطلة بل لم يرد العشق في أخبار الأئمة إلّا في خبر هو حديث قدسي، بل سُئل الإمام الصادق عن العشق فقال: قلوب خلت عن ذكر اللّه فأذاقها اللّه محبّة غيره. وقال الشيخ أحمد الأحسائي في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة بعد ذكر هذا الحديث: انظر وتأمل إلى أي حد كان العشق عند الإمام الصادق مكروهاً بحيث لم يرد أن يجري على لسانه المبارك في الجواب لفظ «العشق» ولم يقل: العشق قلوب خلت عن ذكر اللّه، بل قال: قلوب خلت عن ذكر اللّه.

ومسألة أُخرى هي في المعاد، فالملّا صدرا وأن ذكر في الشواهد الربوبية أنّ الحق هو أن المعاد في الجسم العنصري لكن بعد أن شقق المطلب في مقام التحقيق لم يرتّب شيئاً على الجسم العنصري حسب ظاهر عبارته.

كما أنّه قسّم الجنّة إلى عدّة أقسام أولها الحور والقصور وأنهار وأشجار وقال: إنّها جنة العوام الذين لا يرون إلّا الحور والقصور والأشجار والأثمار ولا يتخيلون أي شيء آخر، لهذا يقع ما يتصورونه. واعتقد باقي الأقسام وفقاً لما يفيده الملّا الرومي في المثنوى إذ قال:

الجنة ثمانية فما هي أعمالك
وجهنم سبعة فما هي أفعالك

والحاصل: أن ظواهر كلماته غير جيدة إلّا أن الحكم بالكفر مع مضي مدّة ومع أن الكلام مجمل مشكل فتأمل. ونحن نتوقف في هذا المقام.

وكانت وفاة الميرزا ابراهيم ابن الملّا صدرا أيام سلطنة الشـاه عـباس الثـاني سنة ١٠٧٠.

(٧٨)

المير محمّد باقر الداماد

محمّد بن محمّد المدعو بباقر الداماد، وهو ما ذكره في شرح الصحيفة، وهو سيّد حسيني النسب استرآبادي الأصل إصفهاني المسكن، ومعروف في الخارج بالميرداماد والمير محمّد باقر. وداماد[١] من ألقاب أبيه لأنّ والده صهر المحقق الثاني الشيخ علي بن عبد العالي الكركي، فأُم المير محمّد باقر هي ابنة المحقق الثاني؛ ولذا سمّي والد المير محمّد باقر بالداماد وبقي هذا اللقب له ولابنه.

وهذا السيّد هو إمام الأنام وفاضل همام وعالم قمقام، عين الأماثل الكمل الأفاضل ومعدوم المماثل ومنار الفضائل، بحر بلا شاطئ، علامة فهامة، فاق في علم اللغة صاحب القاموس والصحاح، وهو في علوم العربية حياض علوم أهل الأدب وفاق أهل الزمان في الفصاحة والبلاغة والإنشاء والإنشاد والنظم والنثر، وسلّم له العلماء الأعلام في المنطق والحكمة والكلام، وفاق الجميع في الحديث والفقه، وهو في علم الرجال من أكامل الرجال، وفي علم الرياضيات بجميع أقسامه متفرّد ووحيد المقال، حلّال العويصات والمعضلات في الأُصول، وأُعجوبة الزمان في علم تفسير القرآن.

وهو من تلامذة خاله المفضال مركز دائرة وكرة الإفضال الشيخ عبد العالي بن علي بن عبد العالي الكركي وله إجازة منه. وقال الشيخ أسد اللّه الكاظمي في

---

(١) معنى داماد الصهر. (المترجم).

المقابيس: إنّ له إجازة من الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي أيضاً، وهو نفسه من مشايخ إجازة الملّا صدرا وكفى فخراً أنّ مثل الملّا صدرا الفاضل الفريد والوحيد من خريجي مائدة محفل إفاضة وإفادة ذلك المعظم.

وكان في علم الحروف وأمثاله في غاية الاشتهار، بل هو في جميع العلوم كالشمس في رائعة النهار. ويعتبر نفسه معلماً ولذا يقول في بعض المواضع: قال شريكنا في التعليم أبو نصر الفارابي. وإذا أراد أن ينقل قولاً عن بهمنيار يقول: قال تلميذنا بهمنيار. والمير هو الذي قال فيه الملّا عبد اللّه التوني: افتخر اليوم وقل فهمت كلام المير. وكان دائماً يقول: إنه بعدي ستعرفون هذا العربي. يعني الشيخ البهائي.

وقد سمع أنّ الشاه عباس طلب من الميرداماد أن يفكر في أن يجعل طريقة صنع النحل للشمع والعسل مرئية، فقال المير بأن يهيّئوا بيوتاً من زجاج للنحل وجعلوه فيها ووضعوا تلك البيوت وسط المجلس ليروا ماذا يفعل؟ وإذا بالنحل يجعل الزجاج قاتماً ويُشغل داخل البيوت بصنع العسل وبقي هذا المجهول مجهولاً.

ويقال: إنّ الملّا صدرا حضر يوماً مجلس درس الميرداماد وقبل أن يخرج المير من البيت جاء تاجر لحاجة إلى مجلس درسه فسأل ذلك التاجر الملّا صدرا: المير أفضل أم فلان الملّا؟ فقال الملّا صدرا: المير أفضل. وفي الأثناء جاء المير ولاحظ المسألة فوقف المير خلف الحائط يستمع وذلك الشخص التاجر يسأل عن أفضلية المير والعلماء ويسمّيهم واحداً واحداً والملّا صدرا يقول: المير أفضل. فسأله التاجر المير أفضل أم الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا؟ قال: المير أفضل. ثم سأله: المير أفضل أم المير الثاني؟ فتوقف الملّا صدرا وسكت. وإذ بالمير ينادي خلف الحائط: صدرا لا تخف وقل المير أفضل.

وكان جنابه يقول بعموم التنزيل في الرضاع كما هو مذهب الشيخ الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان، ويرى أن دلالة الألفاظ ذاتية، ويقال: إن تلميذين من تلامذته من أهل جيلان قالا له: أنت تقول بأن الألفاظ تدل دلالة ذاتية فقل لنا ما معنى: فسك ويسك؟ ففكّر المير مدّة ثلاثة أيام ثم قال: كأن أحدهما مخرج البول والآخر مخرج الغائط. فصدّقاه على ذلك ثم دعا عليهما لأنّهما أشغلاه وعطلا أعماله من أجل هذا اللفظ فتوفيا في تلك الأيام.

ويقال: إنّ الميرداماد لم يمد قدميه للنوم خلال أربعين سنة، ولم يصدر منه فعل مباح مدّة عشرين سنة. والبعض من ينسب هذا إلى المقدس المحقق الأردبيلي الملاّأحمد، ولعل كلتا النسبتين صحيحتان، ونُسب إلى كثير من العلماء عدم صدور المباح طول العمر كالشهيد الأول وأمثاله، وذلك بأن يقصد من كلّ عمل يقوم به نية القربة ومحض رضا اللّه، مثل النوم يأتي به بنية أنّ البدن قد ضعف فحتى يصير مهياً للعبادة بنحو أتم يأتي بالنوم، وهكذا كلّ حركة وسكون وأكل ونحو ذلك.

وتأليفاته كثيرة منها: الصراط المستقيم. وقال شاعر في وصفه:

الصراط المستقيم للميرداماد
لم يصبح مسلماً ولم يكن كافراً

والقبسات، والحبل المتين في الحكمة والفقه، وشرح النجاة، وحواشٍ على الكافي، وحواشٍ على الفقيه، وحواشٍ على الصحيفة السجادية الكاملة، ورسالة في النهي عن تسمية المهدي عليه السلام، وكتاب عيون المسائل، وكتاب حلّة الملوك، وكتاب تقويم الأعيان، وكتاب الأفق المبين، وكتاب الرواشح السماوية، وكتاب السبع الشداد، وكتاب ضوابط الرضاع، وكتاب إيماضات وتشريفات، وكتاب شرح الاستبصار، ورسالة في أن المنتسب إلى هاشم من جهة الأم هو من السادات ويمكن

إعطاؤه الخمس، ونبراس الضياء في مسألة البداء.

وكانت وفاته سنة ١٠٤١، وقد مات قبله الشيخ البهائي بعشر سنين تقريباً.

ويقال: إنّ الملّا صدرا رأى المير في المنام وسأله: لماذا يكفرني الناس ولا يكفرونك مع أن مذهبي لا يخرج عن مذهبك؟ فقال له: السبب هو أنـي كـتبت مطالب الحكمة بحيث يعجز العلماء عن فهمها ولا يمكن لغير أهل الحكمة أن يفهموها، وأنت كتبت الحكمة بشكل مبتذل وبينتها بحيث إذا رآها معلم كـتّاب يفهمها؛ ولذا كفّروك ولم يكفروني. رحمها اللّه تعالى في الجنان مع رسوله المختار وأهل بيته الأطهار.

(٧٩)

الشيخ عبد العالي ابن المحقق الثاني ﷺ

الشيخ عبد العالي بن علي بن عبد العالي الكركي ابن المحقق الثاني وخال الميرداماد وخال المير حسين ابن السيّد حيدر الكركي، وهو فاضل متكلم محدّث عابد ومن مشايخ الإجازة، وله إجازة من والده المعظم.

ألّف رسالة في القبلة عموماً وفي قبلة خراسان خصوصاً، وكتاب تعليق الإرشاد.

وقال السيّد مصطفى التفريشي في كتابه: الشيخ عبد العالي جليل القدر رفيع المنزلة عظيم الشأن نقي الكلام كثير الحفظ وقد تشرّفت بخدمته. إلى هنا كلام السيّد مصطفى رحمه الله تعالى.

(٨٠)
السيّد ماجد بن هاشم بن علي

السيّد ماجد بن هاشم بن علي بن مرتضى بن علي بن ماجد بن حسين البحراني الجدخاجي، وجدّ بتشديد الدال قرية من قرى البحرين. وهذا السيّد كان ـ كما ذكر صاحب الحدائق في اللؤلؤة ـ محقّقاً مدقّقاً شاعراً أديباً لا نظير له في جودة التصنيف وبلاغة التحبير وفصاحة التعبير ودقة النظر، وكان شعره فائق البلاغة، وكانت خطبته يوم الجمعة تلهب القلوب لبلاغتها، وكان أول من نشر الحديث في شيراز.

وله مصنّفات منها، كتاب سلاسل الحديد، والرسالة اليوسفية وهي وجيزة بديعة، ورسالة في مقدمة الواجب، ومن أشعاره القصيدة المشهورة في رثاء الحسين وأولها:

وليس على صب بمعذور

وكانت وفاته سنة ١٠٢٢، ودفن في مشهد السيّد أحمد ابن الأمام موسى الكاظم.

وكان من تلامذة الشيخ محمّد بن حسن المقابي الأصل والرويسي المنزل، وكان الشيخ محمّد فاضلاً فقيهاً وأول من أقام صلاة الجمعة في البحرين بعد افتتاحها في الدولة الصفوية، ومن تلامذة السيّد ماجد الملّا محسن الفيض. والشيخ محمّد بن علي بن يوسف بن سعيد المقشاعي الأصل والأصبعي المسكن، وهذا

الشيخ فاضل جليل له شرح على الباب الحادي عشر ولم يتم، وهو أحسن شروح الباب الحادي عشر، ولهذا الشيخ ولد فاضل محقق هو الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد وهو من معاصري الشيخ علي بن سليمان القدمي، وكان الشيخ علي المذكور متولياً لقضاء البحرين ثم عزل للقضية التي وقعت بينهما وهي: المسألة التي جرت في ذلك البلد في امرأة طلّقت وبعد انقضاء العدة تزوّجت، وكان زوجها غائباً فحضر الزوج وادّعى الرجوع في زمن العدة وأتى بشاهد على ذلك لكنّه لم يعلم الزوجة ولم يصلها خبر الرجوع حتى انتهت عدتها وتزوّجت، فحكم الشيخ علي أن المرأة هي زوجة الزوج الثاني، وحكم الشيخ أحمد أنها زوجة الأول، ثم سألوا علماء شيراز وإصفهان عن هذه المسألة والجميع أجاب موافقاً للشيخ أحمد ومخطّئاً الشيخ علي.

وكان للشيخ أحمد المذكور أخ اسمه الشيخ عبد الصمد، وكان للشيخ عبد الصمد حفيد فاضل هو علي بن عبدالله بن عبد الصمد، وكان من تلامذة الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي ودرس أيضاً عند الشيخ علي بن عبدالله الجدخاجي وكان فاضلاً وأُعجوبة في الحفظ، وهذا الشيخ علي الجدخاجي من تلامذة الشيخ محمّد بن يوسف المقابي والشيخ محمّد بن ناصر الحجري البحراني. وكان هذا الشيخ محمّد أيضاً فقيهاً دقيق النظر وأُصولياً صرفاً، رحمة الله عليه.

(٨١)
الملّا عبدالله بن حسين الشوشتري﴿ره﴾

عبد اللّه بن حسين الششتري الإصفهاني، قال في وصفه الشيخ أسد اللّه الكاظمي: هو صاحب الرياضات والمجاهدات والكرامات والمقامات، وتلامذته: الملّا محمّد تقي المجلسي والمير مصطفى التفريشي وابن الملّا عبد اللّه حسين علي الذي للملا محمّد باقر إجازة منه، ومن تلامذته أيضاً خداوردي بن قاسم أفشار وكتب خداوردي كتاباً حسناً في الرجال المؤلفين وهذا الكتاب عندي.

ووصفه صاحب كتاب أمل الآمل بالشهيد وشهادته أيضاً مشهورة في الألسن لكن لم نعرف تفصيل استشهاده؛ ولذا بعضهم يصفه بالشهيد الثالث.

وقال الملّا محمّد تقي المجلسي في وصف الملّا عبداللّه: هو شيخ جليل وإمام نبيل صاحب الأخلاق الطاهرة الزكية والنفس الزاهرة الملكية.

وقال السيّد مصطفى التفريشي في كتاب الرجال: الملّا عبد اللّه بن حسين التستري ـ مد ظله العالي ـ شيخنا وأُستاذنا وعلامة محقق مدقق جليل القدر عظيم المنزلة ووحيد العصر وأورع أهل الزمان ولم أر أوثق منه، ومناقبه وفضائله لا تحصى صائم النهار قائم الليل وأكثر فوائد وتحقيقات هذا الكتاب منه. إلى هنا كلام المير مصطفى.

وتأليفاته: كتاب شرح القواعد، وشرح الألفية، وشرح قواعد الكركي المسمّى بجامع الفوائد في سبعة مجلّدات، وغير ذلك.

وكانت وفاته سنة ١٠٢١.

(٨٢)
الشيخ نعمة الله بن أحمد بن محمّد

الشيخ نعمة الله بن أحمد بن محمّد بن خاتون من مشايخ إجازة الملّا عبدالله الششتري المتقدم، وله شرح فارسي على أربعين الشيخ البهائي وهو شرح جيد.

والشيخ نعمة الله من تلامذة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي المحقق الثاني، ووالده الشيخ أحمد يشارك الشيخ علي الكركي في إجازة من والد الشيخ أحمد الشيخ شمس الدين محمّد بن خاتون العيناثي العاملي، وللشهيد الثاني إجازة من الشيخ أحمد، وللشيخ محمّد خاتون إجازة من جمال الدين أحمد بن علي العيناثي، وهذا له إجازة من الشيخ زين الدين جعفر بن حسام، وهذا له إجازة من السيّد الأجل حسن بن أيوب بن شهريار بن يوسف نجم الدين، ولهذا إجازة من الشهيد الأول رحمة الله عليه وعليهم وأسكنهم في روضات الجنان بمحمد وآله الأطهار الأخيار.

(٨٣)
شمس الدين محمّد الشهيد الأوّل

الشيخ الشهيد السعيد السديد شمس الدين محمّد بن مكي بن محمّد بن حامد العاملي المعروف بالشهيد الأول، قطب كرة الفضل والجلالة وبدر سماء الفقاهة وقمر فلك الرفعة والسعادة والجلالة والنباهة والفطانة والذكاء والتقى والنقاء والعبادة والزهد والشهادة والنبل، ولم يوجد في جميع الأعصار مثل هذا المعظم من بين الفقهاء من وضع قدمه في دائرة الوجود والشهود، ولم يأت مثله في الإحاطة بأبواب الفقه على مر الأيام إلّا الشيخ جعفر النجفي وولداه الشيخ موسى والشيخ علي.

والمشهور أنّ الشيخ جعفر كان يقول: بقي الفقه على بكارته لم يمسها أحد إلا أنا والشهيد الأول وولدي موسى. ويقول الشيخ جعفر أيضاً: لو محيت الكتب الفقهية من الطهارة حتى الديات فإني أستطيع إذا شئت أن أكتبها كلّها من أولها إلى آخرها من حفظي. كما أنّ شريف العلماء كان يقول: لو محي الفقه فإني سأستخرج جميع المسائل من خلال القواعد.

وقد كان الفقه من الطهارة حتى الديات عند الشهيد الأول كالخاتم في الأصبع، والشيخ جعفر كان أرقى من الشهيد في الفقه، وفقاهة الشهيد تتجلى من كتاب القواعد. وكتب القاضي المير حسين ابن السيّد حيدر الكركي ابن أُخت المحقق علي بن عبد العالي الكركي وابن خالة الميرداماد رسالة في صلاة الجمعة ذكر فيها أن

للشهيد الأول إجازة من ألف فقيه ولم تثبت هذه المرتبة لأحد من الفقهاء.

وعندما سمع الشهيد بالعلامة الحلي وأوصافه أراد أن يتلمذ له، فجاء إلى الحلّة وجلس يوماً في مجلس درس العلامة ثم أراد أن يدور على كربلاء والنجف والكاظمين وسامراء لزيارة الأئمة ﷺ وأن يعود إلى الحلة ليتلمذ عند العلامة، فتشرف بزيارة الأئمة ﷺ في العراق وختمها بالنجف وعاد من النجف إلى الحلة، فرأى في الطريق جنازة العلامة ـ أعلى اللّه مقامه ـ يأتون بها إلى النجف فعاد الشهيد إلى النجف لتشييع الجنازة ودفن العلامة في جوار أمير المؤمنين ﷺ، فرجع الشهيد ودرس سبعة أشهر عند فخر المحقّقين ابن العلامة وعند سائر تلامذة العلامة مثل السيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين وأخذ إجازة من الجميع وعاد إلى بلده.

وذكروا من كرامات الشهيد عدّة أُمور:

١ ـ أنّ له إجازة من ألف فقيه، وهذا خارق للعادة إذ لم يتّفق ذلك لأحد من الفقهاء.

٢ ـ عندما أخذوه للشهادة كتب في الطريق رقعة بهذا اللفظ: ﴿رَبِّ إِنِّي مَغلوبٌ فَانتَصِر﴾[1] وإذ بالرقعة تعود وقد كتب خلفها: «إن كنت عبدي فاصطبر». ولم أر هذه القضية مكتوبة في مكان ما لكنها مشهورة في الألسن والأفواه.

٣ ـ إن اللمعة كتبها خلال سبعة أيام وهذا من أجل الكرامات؛ لأنّ المسائل المهمة من العبادات فقط لا يمكن إعطاء الفتوى فيها خلال سبعة أيام، بل لا يمكن ذلك في مسائل الطهارة والصلاة، بل إنّ كتابة اللمعة في سبعة أيام صعبة فضلاً عن التصنيف.

(١) القمر ٥٤ / ١٠.

٤ ـ إن صاحب أمل الآمل قال: كتب كتاب اللمعة في الحبس ـ كما سيأتي ـ وهذا من أجل الكرامات إذ يكون الشخص محبوساً للقتل ويكتب في الحبس الفقه من الطهارة حتى الديات بتنقيح وتهذيب مع عدم سلامة الحواس.

٥ ـ ما ذكره العلماء من أنّه حين تأليف اللمعة لم يكن عنده إلّا المختصر النافع، وهذا أيضاً من أجل الكرامات فإن كون هذا من عجائب الأمور ومن الكرامات من الواضحات عند الفقيه المستنبط.

٦ ـ ما ذكره العلماء من أن علماء العامة كانوا يأتون إلى الشهيد الأول كلّ يوم في دمشق، وعندما شرع باللمعة خاف أن يأتي إليه علماء العامة فيطلعوا على عقيدته، لكن اتّفق أنّه خلال سبعة الأيام التي اشتغل فيها بتصنيف اللمعة لم يأت إليه أحد من العامة، وهذا من الألطاف الخفية لرب الأرباب ومن كرامات الشهيد.

ويقال: إنّ الشهيد الأول كان في أيام دراسة الجامي يضع كأساً من النحاس قرب النار فتصير حارة ويطالع في الليالي فإذا جاءه النعاس وضع الكأس على رأسه بحيث يشعر بالألم ويزول النعاس حتى غدا رأسه بلا شعر ولم يعد ينمو فيه.

وكنت في سابق الأيام قد كتبت في كتاب تذكرة العلماء في شهادة الشهيد أنّه كان معاصراً لابن جماعة وهو من مشاهير علماء العامة وكانا شريكين في الدرس، وقد اشتهر جنابه بين العامة وجعلت له الإمامة وصار يقضي ويفتي على المذاهب الأربعة، وعندما لاحظ ابن جماعة هذه الشهرة الواسعة تحرك عنده عرق الحسد وتولى قضاء دمشق فلم يرَ فيه فائدة، فذهب إلى والي الشام واتهم الشهيد بالرفض والتشيع، فأحضر الملعون الشهيد وربطوا إحدى قدميه بجمل والأخرى بجمل آخر وحركوا كلّ جمل إلى جانب. وكان تاريخ استشهاده في التاسع من جمادى الأُولى سنة ٧٨٦. وقد سمعت هذا النحو من الاستشهاد من جماعة منهم الوالد.

وقال القاضي نور اللّٰه الششتري في كتاب المجالس: انتهت رئاسة الإمامية في ذلك الزمان للشيخ المذكور إلى أن أرسل السلطان علي المؤيد حاكم خراسان الذي كان شيعياً المير شمس الدين محمّد وهو من الصالحين ومن مقربيه إلى الشام طالباً قدوم الشيخ، فاعتذر عن الذهاب إلى خراسان وكتب فتاواه في كتاب اللمعة وأرسلها إليه.

وكان قاضي دمشق ابن جماعة ـ وهو أحد أولاد الزنا ـ شريكاً في الدرس معه في أيام الشباب، وعندما رأى أنّه على رأس علماء الزمان وكان يرجع إليه أهل المذاهب الخمسة أخذه الحسد، فسعى لاستظلام منصب قضاء دمشق ومع ذلك بقي اعتبار الشهيد أكثر، فنسب إليه الرفض وحصّل على حكم بقتله من بيدمر والي الشام، وفي اليوم الذي قتل فيه الشيخ كان ابن جماعة حاضراً وعندما تهيّأ الجلاد لقتل الشيخ استحضر ابن الزنا ذكرى جلسة وحوار للشيخ أيام اشتراكه معه في الدرس وبكى، وعندما رأى الشيخ بكاء ابن الزنا الريائي نظر إليه وقال له: ما كذبت أُمّك إذ سمّتك ابن جماعة. فشنقوا الشهيد في ساحة قلعة دمشق بجانب سوق بيع الأحصنة في ضحى الخميس التاسع عشر من شهر جمادى الأُولى سنة ٧٨٦ وعند العصر أنزلوه من على المشنقة وأحرقوه. إلى هنا كلام القاضي نور اللّٰه.

وقال صاحب اللؤلؤة: إنّ جنابه قتل بالسيف سنة ٧٨٨٠ ثم صُلب ثم رُجم ثم أحرقوه في دمشق أيام دولة بيدمر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعد أن حُبس سنة كاملة في قلعة الشام، وألّف في الحبس وخلال سبعة أيام اللمعة ولم يكن عنده من الكتب إلا كتاب المختصر النافع كما ذكر في كتاب أمل الآمل.

وشيخنا الشهيد الثاني في شرح قول المصنّف في اللمعة: إجابة لبعض

الديانين، قال: هذا البعض هو شمس الدين محمّد الآوي من أصحاب السلطان علي بن مؤيد ملك خراسان وما والاها في ذلك الوقت إلى أن استولى على بلاده تيمور لنك، فأخذه معه قسراً حتى كانت وفاة سلطان خراسان سنة ٧٩٥ بعد تسع سنين من شهادة المصنّف، وكانت بينه وبين الشهيد مراسلات مع بعد المسافة سواء عندما كان الشهيد في العراق أو عندما كان في الشام، وفي المرة الأخيرة طلب من الشهيد المجيء إلى خراسان ودعاه في رسالة شريفة أكثر فيها من التلطف والتعظيم والترغيب، فأبى الشهيد واعتذر وكتب له كتاب اللمعة في دمشق في مدّة سبعة أيام لا أكثر كما نقل عن الشهيد ابنه أبو طالب محمّد، فأخذ شمس الدين الآوي نسخة الأصل ولم يكن أحد قادراً على استنساخها لضنّه بها، وإنما نسخها بعض الطلبة وهي في يد الرسول تعظيماً لها وسافر بها قبل المقابلة فوقع فيها خلل بسبب ذلك، ثم أصلحه المصنف بعد ذلك بما يناسب المقام وربما كان مغايراً للأصل بحسب اللفظ وذلك في سنة ٧٨٢.

ونقل عن المصنّف ﷺ أن مجلسه بدمشق ذلك الوقت ما كان يخلو غالباً من علماء الجمهور لمخالطته بهم وصحبته لهم. قال: فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب كنت أخاف أن يدخل علي أحد منهم فيراه، فما دخل عليّ أحد منذ شرعت في تصنيفه إلى أن فرغت منه وكان ذلك من خفي الألطاف انتهى.

وقال صاحب اللؤلؤة: إنّ هذه الحكاية ـ أي حكاية شرح اللمعة ـ تدل على أن ما ذكره في كتاب أمل الآمل من أن تصنيف اللمعة كان أيام حبسه في قلعة دمشق غير صحيح.

وقال صاحب اللؤلؤة بعد ذلك: رأيت بخط الشيخ سليمان بن عبد اللّه الماحوزي المتقدم أنّه كتب: وجدت في بعض المجموعات بخط من أثق به نقلاً عن

الشيخ العلامة جعفر بن كمال الدين البحراني، أنّه كتب: وجدت بخط شيخنا المرحوم المبرور العالم العامل أبي عبد الله المقداد السيوري أنّه كتب: أن وفاة الشيخ الأعظم شمس الدين محمّد بن مكي في ١٩ جمادى الأولى وفي بعض النسخ: ٩ جمادي الأُولى سنة ٧٨٢. وقتل بالسيف ثم صلب ثم رجم ثم أحرق بالنار في دمشق ـ لعن اللّه تعالى الفاعلين والراضين بذلك الفعل ـ في دولة بيدمر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي المالكي المسمّى ببرهان الدين وعباد بن جماعة الشافعي مع تعصب جمع كثير بعد أن حبس في القلعة الدمشقية سنة كاملة.

وكان سبب حبسه أن تقي الدين الجبلي كتب بعد ارتداده عن مذهب الإمامية محضراً يؤنّب الشيخ شمس الدين محمّد بن مكي ﷺ بأقاويل شنيعة ومعتقدات فضيعة وأنّه كان أفتى بها محمّد بن مكي رحمه اللّه تعالى، وشهد في ذلك المحضر سبعون شخصاً من أهل الجبل ممن ارتدّ عن التشيع وثبّتوا فيه خطوطهم تعصّباً مع يوسف بن يحيى وكتب شهادته في هذا ماينيف عن الألف من أهل السواحل المتسننين وأثبتوا ذلك عند قاضي صيدا وأتوا بذالك المحضر إلى القاضي عباد بن جماعة بدمشق فنفذه إلى القاضي المالكي وقال له: تحكم بمذهبك وإلّا عزلتك. ثم جمع الملك بيدمر الأمراء والقضاة والشيوخ وأحضروا الشهيد وقرأوا عليه المحضر فأنكر ذلك وذكر أنّه غير معتقد بهذه الأُمور ـ مراعياً للتقية ـ فلم يقبل منه وقيل له: قد ثبت ذلك عليك شرعاً ولا ينتقض حكم القاضي. فقال: الغائب على حجته فإن أتى بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلّا فلا، وها أنا أُبطل شهادات من شهد بالجرح وأُقيم على كلّ واحد حجة وبينة. فلم يسمع ذلك منه ولم يقبل، فقال الشيخ ﷺ للقاضي عباد بن جماعة: إني شافعي المذهب وأنت الآن إمام هذا المذهب وقاضيه فاحكم فيّ بمذهبك. وإنما قال الشيخ ذلك لأن الشافعي يجوّز توبة المرتد، فقال ابن جماعة له: على مذهبي يجب حبسك سنة ثم استتابتك، أمّا الحبس فقد

حبست ولكن تب إلى اللّه واستغفر حتى أحكم بإسلامك. فقال الشيخ رحمه اللّه تعالى: ما فعلت ما يوجب الاستغفار حتى استغفر ـ خوفاً من أن يستغفر فيثبت عليه الذنب ـ فأغلظ له القول ابن جماعة وأكّد عليه فأبى من الاستغفار، حتى أجبروه على الاستغفار، ثم قال ابن جماعة: الآن ثبت عليك الحق، ثم قال للمالكي: قد استغفر والآن ما عاد الحكم إليّ قال ذلك عناداً لأهل البيت عليهم السلام فعاد الحكم إلى المالكي فقام ذلك المنافق الملعون وتوضأ وصلّى ركعتين ثم حكم ـ والعياذ بالله ـ بإهراق دمه، فألبسوه ملابس القتل والشهادة وقتلوه بالسيف ثم علّقوا بدنه الطاهر ثم حرقه، وممّن سعى في حرقه رجل يقال له محمّد الترمذي وهو ليس من أهل العلم وإنما كان تاجراً فاجراً.

وأمّا الذين تلمذوا عندالشهيد وأخذوا منه إجازة فكثيرون مثل ابنه أبي الحسن ضياء الدين علي وولده الآخر أبي طالب محمّد والسيّد حسن بن أيوب والشيخ علي بن خازن والشيخ علي بن عبد الحميد النيلي والشيخ حسن بن أيوب والشيخ علي بن خازن المعروف بابن العشرة والشيخ المقداد وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم إن شاء اللّه.

وكان الشهيد في أغلب إجازاته يأخذ إجازة لنفسه ولولديه محمّد وعلي بحيث إنّه كان يأخذ الإجازة للطفل الرضيع كما كان يأخذ إجازة لابنتيه وكانتا فقيهتين عندهما إجازة اسم إحداهما فاطمة ويقال لها: ست المشايخ، وفي بعض النسخ بنت المشايخ كنيتها أم الحسن، وكانت عالمة فاضلة فقيهة صالحة عابدة، وكان يثني عليها أبوها ويأمر النساء بالرجوع إليها في الأحكام، كما كان الشهيد يثني على زوجته المكناة بأم علي وكانت فاضلة تقية فقيهة عابدة وقد ذكر قصة زوجته وابنته الشيخ أسد اللّه الكاظمي في المقابيس، كما ذكر غيره حكاية ابنتيه.

وكان والده أيضاً مكي فقيهاً من مشائخ الإجازة وله إجازة من الشيخ طومان أو طمان بن أحمد.

وأما تأليفات الشهيد الأول فمنها: كتاب غاية المراد في شرح نكت الإرشاد وهو أول تأليف له، وكتاب الذكرى خرج منه الطهارة والصلاة، وكتاب الدروس الشرعية في فقه الإمامية خرج منه أكثر الفقه لكنه لم يتم، وكتاب جامع العين في فوائد الشرحين: أحدهما للسيّد عميد بن عبد المطلب والآخر للسيّد ضياء الدين عبد اللّه، وكلاهما شرح لتهذيب الأُصول للعلامة؛ وكتاب البيان في الفقه، ورسالة في تفسير الباقيات الصالحات، وكتاب اللمعة، وكتاب الأربعين حديثاً، ورسالة الألفية ولي عليها تعليقة باللغة الفارسية، والرسالة النفلية، ورسالة في قصر من سافر في الإفطار والتقصير، وخلاصة الاعتبار في الحج، وكتاب القواعد ولي عليه تعليقة، ورسالة التكليف، وكتاب المزار، ورسالة الإجازات والحواشي على قواعد العلامة، واللمعة هو آخر تأليفاته.

ومن فتاواه الغريبة في الألفية: وجوب مسح الرجل من رؤوس الأصابع حتى ساق القدم.

وقد وصفه الشيخ أسد اللّه الكاظمي بالمطّلبي ومراده أن الشهيد من أولاد المطّلب بن عبد مناف ابن أخ هاشم كما أنّ الشافعي أيضاً هو مطّلبي كما صرح بذلك صاحب القاموس وغيره. وإذا قيل لعلّ مراده نسبة إلى عبد المطلب لأن المركب تركيباً إضافياً يحذف أوله إذا دخلت عليه ياء النسبة مثل عبد الصمدي تصير صمدي فعبد المطّلب يقال في النسبة له مطلبي.

نقول في الجواب: إنّ أولاد عبد المطلب ينسبون إلى هاشم لا إلى عبد المطلب بخلاف المطلب فافهم. رحمة اللّه على الشهيد الأول وأسكنه اللّه تعالى في الجنان مع النبي وآله الأطهار الأطياب.

(٨٤)
أحمد بن محمّد المقدّس الأردبيلي ﷺ

أحمد بن محمّد الأردبيلي المشهور بـالمقدّس الأردبـيلي والمعروف بـالمحقق الأردبيلي، وهو من مشاهير جهابذة المحققين من فضلاء الزمـان، ومـن صـناديد المدققين من فضلاء الأعصار، ومن معروفي المقدسين ومتورّعي الأحبار والأخيار.

درس عنده صاحب المعالم والمدارك، وللملا عبد اللّه التستري المتقدم مـنه إجازة، وهو له إجازة من السيّد علي بن صائغ عن الشهيد الثاني.

وكانت وفاته في شهر صفر المظفر سنة ٩٩٣.

وزهده وورعه وتقواه أشهر من أن ويظهر هذا القاصر عشراً من أعشـاره. وبالجملة كان عنده حمار يركب عليه إلى كربلاء وسامراء لم يضربه أبـداً، وكـان يركب عليه نصف المسافة ويسير ماشياً النصف الآخر، وإذا أراد الحمار أن يأكل لم يكن يـمنعه. وقال في الأنوار النعمانية كانوا إذا أرسلوا من بغداد إلى النـجف حـملاً ليوصلها الملّا أحمد كان يأخذ الحمل، فإذا كانت الدابة مستأجرة لم يكـن ليركب عليها ويقول: لقد استأجرتها لأركب عليها وهذا الحمل زائد ولم أستأجرها عـلى هذا الأساس وقد لا يرضى صاحبها.

وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في زهر الربيع أن شخصاً من أمراء السلطان العادل الشاه عباس الأول قصرّ في الخـدمة، فـطلب مـن المـقدس الأردبـيلي في المشهد العلوي أن يكتب رسالة للسـلطان ليشـفع له، فكـتب المحـقق الأردبـيلي

رسالة موجزة بهذا اللفظ:

يا باني الملك المستعار عباس، أعلم أنّ هذا الرجل وإن كان في البداية ظالماً لكنه الآن مظلوم، فتجاوز عن تقصيره لعل اللّه يعفو عن تقصيراتك. كتبه عبد ملك الولاية أحمد الأردبيلي.

فكتب في الجواب: يجيب عباس أن الخدمات التي طلبها له المنّة فيها، ويطلب هذا المحب أن لا ينساه من دعاء الخير. كتبه كلب ساحة علي عباس.

وحكى أيضاً بعض من أثق بهم أن المحقق الأردبيلي كتب إلى الشاه طهماسب نور اللّه برهانه من أجل بعض السادات، فعندما وصلته الرسالة قام من محله تعظيماً وقبلها ووضعها على عينه وقضى الحاجة بأحسن ما يمكن، ثم نظر في الرسالة فوجد في بعض فقراتها: «أيها الأخ» فأخذ السلطان الرسالة لتوضع في كفنه وطلب من خواصّه ذلك حتى يحتج بها على منكر ونكير كي لا يعذب وهو ما فعله خواصه. إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه الجزائري.

وقد تقدم ذكر قضية المقدس الأردبيلي مع الشيخ البهائي ومن هنا يظهر ورعه.

ومن ورعه أنّه عندما يكون في كربلاء لا يلقي بالبول والغائط على الأرض؛ لأنّ أرض كربلاء تربة سجود بل بناء على بعض الروايات: «كربلاء تربة حتى أربعة فراسخ» وقد هيأ المقدس الأردبيلي ظرفاً يضع فيه الفضلات ويسدّ بابه حتى أُسبوع فيحمله ويرميه خارج الأربعة فراسخ.

وقد سمع عن البعض أنّ المقدس الأردبيلي لم يأت بالمباح مدّة أربعين سنة فضلاً عن الحرام والمكروه.

وقد تقدم أن المقدس الأردبيلي لم يمدّ رجليه للنوم مدّة أربعين سنة، والبعض

ينسب هذا للميرداماد، ولعل كلتا النسبتين صحيحتان كما تقدم في ترجمة الميرداماد.

وأمّا كرامات المقدس الأردبيلي فكثيرة وهي في غاية الاشتهار على ألسن العلماء الأعلام، وقد ذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية والعلامة المجلسي في بحار الأنوار وصاحب اللؤلؤة والشيخ أبو علي في منتهى المقال قسماً من تلك الكرامات، وأنا الفقير أذكر بعضاً منها:

١ ـ إن المعظّم ألقى بدلو في بئر في صحن النجف الأشرف ليستقي ماء، فعندما أخرج الدلو رآه مليئاً بالذهب والعملات فألقى الدنانير في البئر وقال: إلهي أحمد يريد منك ماء لا ذهباً.

٢ ـ وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية أنّ الملّا عبد اللّه التستري سأل المقدس الأردبيلي عن مسألة كانوا يتكلمون فيها فسكت المقدس الأردبيلي وقال: علي أن أُراجع المسألة. ثم أخذ بيد الملّا عبد اللّه التستري وخرجا من النجف الأشرف وعندما صارا وحيدين قال له المقدس الأردبيلي: ما هي مسألتك؟ فتكلّم المقدس فيها وحقّقها فسأله الملّا عبد اللّه: لماذا يا أخي لم تذكر هذا التحقيق هناك حيث سألتك؟ فقال له المقدس الأردبيلي: لأن الكلام كان بين الناس فقد يكون هذا منقصاً لي ولك نصبح أنا وأنت طلاب الظفر، والآن لا يوجد معنا إلا اللّه.

٣ ـ ما ذكره السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية وهو مذكور في منتهى المقال أيضاً، وهو: أنّه في سنين الغلاء والقحط قسّم ماله على الفقراء وأبقى لنفسه مثل سهم أحد الفقراء، وفي بعض السنين فعل ذلك فغضبت زوجته وقالت: تنفق مالنا على الفقراء وتبقى أولادنا جائعين؟! فلم يجبها وذهب إلى مسجد الكوفة

للاعتكاف، وفي اليوم الثاني جاء رجل إلى بيته يحمل على ظهره من القمح الصافي والطحين الجيد فقال ذلك الرجل لزوجة المقدس: إن صاحب البيت مشغول في مسجد الكوفة بالاعتكاف وهذه الغلّة والأحمال أرسلها إليك. وعندما رجع المقدس من اعتكافه أخبرته أن هذا الطعام الذي أرسلته مع الأعرابي طعام ممتاز، فحمد اللّه المقدس الأردبيلي.

٤ ـ ما ذكره صاحب البحار ومنتهى المقال والسيّد الجزائري في الأنوار النعمانية: أخبرني أوثق مشايخي في العلم والعمل أنّه كان للمقدس الأردبيلي تلميذ من أهل تفريش اسمه المير غلام، وذكر السيّد نعمة اللّه في الأنوار النعمانية أن اسمه المير فيض اللّه التفريشي، والآخرون مثل صاحب البحار قالوا: مير غلام وإنه كان صاحب علم وورع وفضل.

يقول المير غلام كانت عندي غرفة في الصحن المطهر لحرم أمير المؤمنينعليه السلام، وفي ليلة كنت قد انتهيت من المطالعة وقد مضى وقت كثير من الليل فخرجت من حجرتي، وكانت الليلة شديدة الظلام فرأيت رجلاً يمر بجانب الحرم، فقلت لنفسي: لعله سارق جاء يسرق قناديل الحرم فنزلت واقتربت من الرجل بحيث أراه ولا يراني فرأيته قد توجّه ناحية الحرم ووقف فوقع القفل وفتح وكذلك فتح الباب الثاني فوصل إلى القبر المطهر وألقى السلام فجاءه الجواب من القبر وعرفت صوته وأدركت أنّه أُستاذي، فتكلّم مع الإمام وسأله عن مسألة علمية ثم خرج من هناك وتوجه من النجف إلى مسجد الكوفة وذهبت خلفه بحيث لا يراني، فعندما وصل إلى محراب مسجد الكوفة سمعت صوته يتكلّم مع رجل آخر في تلك المسألة ثم عاد من هناك إلى النجف وأنا خلفه، فعندما وصلنا إلى باب النجف كان قد طلع الصبح وهو لا يراني فتقدمت إليه وقلت له: إني كنت معك من الأول إلى الآخر فأخبرني من هو الشخص الأول الذي تكلم معك في القبر المطهر ومن هو الذي تكلم معك في

مسجد الكوفة؟ فأخذ مني العهود والمواثيق أنّ لا أُبرز ذلك لأحد ما دام حياً ثم قال لي: يا بني إنّ بعض المسائل قد تشتبه عليّ فقد أتوجّه في بعض الليالي إلى القبر المطهر لأمير المؤمنين‌ﷺ وأسأله وأسمع الجواب، وهذه الليلة سألته عن مسألة فأحالني إلى مولانا المهدي‌عجل اللّه فرجه وقال لي: إنّ ولدي‌المهدي ـ صلوات اللّه عليه وأرواحنا فداه ـ موجود هذه الليلة في مسجد الكوفة فاذهب إليه واسأله عن مسألتك. فالشخص الآخر هو المهدي صلوات اللّه عليه.

٥ ـ ومن كرامات المقدس الأردبيلي: أنّه رأى في المنام ليلة رسول اللّه وقد جلس عنده موسى كليم اللّه فسأل موسى رسول اللّه: من هو هذا الرجل؟ فقال الرسول‌ﷺ: اسأله. فقال موسى‌ﷺ للمقدس: من أنت؟ قال المقدس: أحمد بن محمّد من أردبيل أسكن في الزقاق الفلاني والبيت الفلاني. فقال له موسى‌ﷺ: إنما سألتك عن اسمك فلماذا هذا التفصيل؟ فقال له المقدس: إن اللّه‌سألك ما تلك بيمينك فلماذا ذكرت له كلّ ذلك التفصيل؟ فتوجّه موسى‌ﷺ لنبينا وقال له: صدقت إذ قلت علماء أُمّتي مثل أنبياء بني إسرائيل.

ومن سخاء المقدس الأردبيلي ما ذكره السيّد الجزائري في الأنوار النعمانية من أن طريقة المقدس الأردبيلي أنّه كان يضع على رأسه عمامة كبيرة فإذا خرج من المنزل يقطع من تلك العمامة ذراعين أو أكثر ويعطيها للفقراء بحيث إذا رجع إلى المنزل تكون عمامته قريبة الانتهاء.

وذكر المير مصطفى في كتاب نقد الرجال: أنّ أمره في جلالة الرواية والدراية أشهر من أن يذكر، وكان متكلماً فقيهاً عظيم الشأن جليل القدر رفيع المنزلة وأورع وأعبد وأتقى أهل الزمان.

وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في الأنوار النعمانية: أنّ المقدس الأردبيلي كتب

رسالة إلى الشاه عباس من أجل سيّد مستحق وعنونها بقوله: «أيها الأخ»، فعندما رأى ذلك ضبطها وقال ضعوها في كفني لأحتج على اللّه إذ سمّاني المقدس بالأخ وقبلني أخاً.

وأما تأليفاته فمنها: كتاب آيات الأحكام المسمّى بزبدة البيان، وكتاب مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد العلامة. وقال صاحب اللؤلؤة: قد شرح من الإرشاد العبادات كلها ومن المتاجر حتى أول النكاح ومن كتاب الصيد والذباحة حتى آخر الكتاب، أما كتاب النكاح وتوابعه من الظهار واللعان والإيلاء والطلاق والخلع والمباراة ونحوها فلم أر ولم أسمع أنّه شرحها، والظاهر أن الذي صنّفه منه هو هذا المقدار.

ومن تأليفاته: كتاب حديقة الشيعة. وقال البعض: إنّ هذا الكتاب ليس للمقدس. وقد نسب هذا الكلام للعلامة المجلسي وهذا غلط ولم يعلم إنكار العلامة المجلسي، وقد شهد جمع كثير من أعيان العلماء على أن هذا الكتاب هو للمقدس الأردبيلي مثل: صاحب الحدائق والشيخ عبد اللّه بن صالح والشيخ سليمان بن عبد اللّه الماحوزي وغيرهم.

ومن تأليفاته: حاشية على شرح مختصر الأُصول للعضدي.

وكان في الحقيقة محقّقاً مدققاً وشكّك في كلّ مسألة بديهية رحمه اللّه تعالى.

(٨٥)

الشيخ علي بن عبد العالي المحقق الثاني ﴿ره﴾

الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني، جامع المقاصد ومؤسس المطالب ومجدد مذهب الحق للنبي في آخر الزمان، فاتح أبواب الفقه وإليه ينتسب التدقيق في الفقه، شيخ إجازة العلماء الأعيان المكنى بأبي الحسن والملقب بنور الدين.

له إجازة من الشيخ علي بن هلال الجزائري ومن الشيخ محمّد بن محمّد بن داود الجزيني المشهور بابن المؤذن وهو من بني أعمام الشهيد الأول. وممن له إجازة من المحقق الثاني والشهيد الثاني والشيخ علي بن عبد العالي الميسي وابنه إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي وغيرهم.

وجنابه في التحقيق والتدقيق والفضل وجودة التحبير وتشقيق المسائل أشهر من أن ينكر، ويكفي في فضله أن الشهيد الثاني من تلامذته، وكفى منقبة له اشتهاره على الألسن بالمحقق الثاني، ويكفي في فضيلته جامع المقاصد وفي افتخاره على أبناء الزمان بترويج مذهب الشيعة في بلاد إيران.

وقد سمعت من بعض العلماء أن المحقق الثاني قال: كتبت الفقه عدّة مرات لكن مبحثين من الفقه لم أفهمها الأول: مبحث الحيض، والآخر: مبحث الحج إلى أنّ ذهبت إلى مكة ففهمت أعمال ومناسك الحج، لكنني لم أحض حتى أفهم مسائل الحيض.

يقول مؤلف الكتاب: ورد في الحديث أن امرأة جاءت إلى الإمام جعفر الصادق ﷺ وسألته عدّة مسائل في الحيض فأفادها ﷺ أجوبة شافية كافية. وعندما خرجت من عنده ﷺ قالت: كأنه رأى الحيض سبعين سنة.

ووصفه الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بهذا اللفظ: الإمام المحقق نادرة الزمان ويتيمة الأوان الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الكركي قدس الله روحه.

وكان جنابه معاصراً للشيخ علي بن عبد العالي الميسي، فطلب الشيخ المذكور من المحقق الثاني لنفسه ولولده الشيخ ابراهيم الملقب بظهير والمكني بأبي إسحاق فكتب المحقق الثاني إجازة لكليهما. والشيخ علي بن عبد العالي الميسي من مشايخ إجازة الشهيد الثاني، وقد وصفه الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بهذا اللفظ: شيخنا الإمام الأعظم بل الوالد المعظم شيخ فضلاء الزمان ومربي العلماء الأعيان الشيخ الجليل الفاضل المحقق العابد الزاهد الورع التقي نور الدين عبد العالي الميسي العاملي رفع الله مكانه في جنته وجمع بينه وبين أحبته. انتهى.

وقال في اللؤلؤة: لم ينسب إليه أحد أي تأليف. إلى هنا كلام اللؤلؤة. وهذا الكلام خبط ناشئ عن قصور في التتبع، لأنّ هذا الشيخ له حواشٍ على قواعد العلامة والفقهاء يذكرون أقواله في الكتب ويعبرون عنها بالحواشي الميسية، كما أن له شرح الجعفرية وشرح رسالة صيغ العقود للمحقق الثاني، كما نسب إليه تعليق الشرائع تامّاً أو ناقصاً، لكن قال الشيخ أسد الله في المقابيس بعد ذكر هذه الكتب الثلاث: لم يثبت كون تعليق الشرائع له.

وكان للميرزا محمّد بن علي الاسترآبادي وصاحب الرجال إجازة من الشيخ إبراهيم ابن الشيخ علي الميسي وكانت وفاة الميسي سنة ٩٣٨. وأما الشيخ محمّد بن

محمّد بن داود الجزيني فقد وصفه في بعض إجازاته بابن عم الشهيد الأول، والحال أنّهما لا يشتركان لا في أب ولا في جد، فيبعد أن يراد ابن عم أو قد يكون المراد ابن عم أُمه أو لأُمه. ولمحمد المذكور إجازة من علي ابن الشهيد الأول.

ولا يخفى أن الشيخ علي بن عبد العالي الكركي من علماء زمان شاه طهماسب الصفوي الذي أتى بالشيخ علي الكركي من جبل عامل إلى بلاد العجم وسعى في إكرامه وإعزازه، وكتب إلى جميع ولاياته أن يمتثلوا لأمر الشيخ علي فهو أصل السلطنة؛ لأنّه نائب الإمام، فكتب الشيخ إلى جميع البلاد التي كانت تحت سلطنة الشاه طهماسب كيفية الخراج والعمل في شؤون الرعية، وسوّى القبلة في كثير من البلاد لمخالفتهم الواقعية في جهتهم.

وكتب السيّد نعمة اللّه الجزائري في صدر كتابه الموسوم بغوص اللآلي: عندما جاء المحقق الثاني في عصر الشاه طهماسب الصفوي إلى إصفهان وقزوين قال له السلطان: أنت أليق مني للسلطنة؛ لأنك نائب الإمام وأنا من رعيتك أعمل بأوامرك ونواهيك. وأرسل الشيخ الأحكام والرسائل إلى أنحاء مملكة السلطان إلى عماله تضمّنت قوانين العدل وكيفية سلوك العمل مع الرعية في أخذ الخراج ومقداره ومدته، وأمر بإخراج المخالفين وأهل السنة حتى لا يضلّوا الموافقين، وبأن يكون في كلّ بلد وقرية إمام صلاة يصلي الجماعة ويعلمهم شرائع الدين، كما كتب السلطان إلى العمّال أن يمتثلوا أوامر الشيخ وأن الشيخ هو الأصل في السلطنة والأصل في الأوامر والنواهي. ولم يركب الشيخ أو سار إلى مكان إلّا والشباب في ركابه وجاهدوا المخالفين ولعنوا كلّ من كان على طريقتهم. إلى هنا كلام السيّد نعمة اللّه الجزائري.

ويقال: إنّ الشيخ عندما أتى إلى إصفهان ذهب في اليوم التالي إلى المسجد

وأقام صلاة الجماعة، وبعد الصلاة صعد أحد تلامذته على المنبر وجاهر في سبّ المتخالفين ولم يكن أحد حتى ذلك الزمان يجهر بذلك.

وكتب السيّد نعمة اللّه إنّ علماء الشيعة الذين كانوا في مكة كتبوا إلى علماء إصفهان: أي أهل المنابر والمحاريب، إنكم تسبّون المخالفين في إصفهان ونحن نعاني من ذلك العذاب في الحرمين الشريفين من العامة. وهنا قدح صاحب اللؤلؤة في المحقق الثاني إن صحت هذه النسبة إليه لأن الخلال التي نقلت عن الأئمة الأطهار عليهم السلام هي التقية انتهى كلام صاحب اللؤلؤة.

يقول مؤلف الكتاب: لما لم يكن هناك سبّ في إيران أبداً فقد يكون المحقق الثاني رأى مصلحة في إشاعة ذلك وترويجه حتى يظهر للناس بطلانهم، ألاترى أنّ الكفار إذا تترّسوا بالمسلمين لا تسقط محاربتهم وقتلهم فتأمل، بل يجب أن يُغض النظر عن أُولئك حينئذٍ؛ أو إنّ المحقق الثاني لم يكن يعلم أن في مكة والمدينة شيعة يتعذّبون بسبب السبّ.

وكانت وفاته سنة ٩٤٠ للهجرة، وبعضهم أرّخه بقوله: مقتدى الشيعة، وهذا يصح إذا اعتبر التاء المربوطة في آخر الشيعة هاء وإذا لم تحسب الألف واللام، مثلما قالوا في تاريخ الشهيد الثاني: تاريخ وفاة ذلك الأواه الجنة مستقره واللّه. وهذا التاريخ غير صحيح حسب الظاهر بل أكثر. وقال البعض في تاريخ الشهيد الثاني في المقام الخطاب مع الشهيد الأول: جاءك الشهيد الثاني.

وأمّا تأليفاته: فمنها كتاب جامع المقاصد وهو شرح قواعد العلامة من أوله حتى مبحث تفويض النكاح في ستة مجلّدات، والرسالة الجعفرية التي ألّفها في خراسان، ورسالة الرضاع، ورسالة في أقسام الأرضين، ورسالة صيغ العقود والإيقاعات، ورسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، وحاشية

الشرائع، ورسالة الجمعة، وشرح ألفية الشهيد الأول، وحاشية الإرشاد في مجلّدين، وحاشية على المختلف، وحاشية في السجود على التربة، ورسالة في السبحة، ورسالة في الجنائز، ورسالة في أحكام السلام والتحية، والمنصورية، ورسالة في تعريف الطهارة. وقد كُتبت كثيرة للجعفرية ورسالة العقود.

رحمة اللّه عليه وأسكنه في روضات الجنان بمحمد وآله الأطهار الأمجاد

(٨٦)
الشيخ إبراهيم بن سليمان

الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي الأصل ثم سكن النجف وبعد ذلك سكن الحلّة فنسب إلى كلّ من هذه الأمكنة الثلاثة.

ولكريم الدين الشيرازي إجازة من الشيخ إبراهيم، وكذلك للشيخ حسين بن عبد الحميد إجازة منه، وللسيّد شجاع الدين محمود بن علي المازندراني إجازة من الشيخ حسين وكريم الدين، وللسيّد حسين ابن السيّد حيدر الكركي الذي كان مفتي عصره في إصفهان إجازة من السيّد شجاع الدين والسيّد حسين ابن السيّد حيدر من الشيخ البهائي. والميرداماد ابن خالة القاضي المير حسين ابن السيّد حيدر. ووالدة المير حسين المذكور هي ابنة الشيخ علي بن عبد العالي الكركي. وللسيّد حسين المذكور رسالة في صلاة الجمعة وهي عندي، وقال فيها: إن الشهيد الأول له إجازة من ألف شخص. وللملا محمّد تقي المجلسي إجازة من السيّد حسين ابن السيّد حيدر.

والحاصل أنّ الشيخ ابراهيم له إجازة من الشيخ عليبن عبد العالي الكركي المحقق الثاني.

وقال صاحب اللؤلؤة: قال بعض الفضلاء: رأيت بخط بعض الفضلاء يحكي عن بعض أهل البحرين فيحق الشيخ ابراهيم القطيفي أن إمام العصر ـ أروحنا فداه وعجل اللّٰه فرجه ـ دخل عليه بصورة رجل يعرفه الشيخ فسأل ذلك الرجل

الشيخ: أيّة آية في القرآن أعظم في باب المواعظ؟ فقال الشيخ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أم مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعمَلُوا مَا شِئْتُم إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]. فقال له: صدقت أيهاالشيخ. ثم خرج من عنده فسأل الشيخ أهل البيت: هل خرج رجل من البيت أم لا؟ فقالوا: لم يدخل مثل هذا الرجل ولم يخرج.

والعجب أنّ الشيخ إبراهيم مع أن له إجازة من المحقق الثاني، له مناقضات ومعارضات معه أيضاً. قال صاحب اللؤلؤة: رأيت كلامه في بعض كتبه مما يدل على القدح في فضل المحقق الثاني ونسبة الجهل إليه ـ والعياذ باللّه ـ كما هو شأن بعض المعاصرين بحيث ألّف في جملة من المسائل ردّاً على المحقق الثاني، ومنها مسألتا حل الخراج إذ المشهور حلّيته، فكتب المحقق الثاني رسالة في حلّيته وسمّاها بقاطعة اللجاج في حل الخراج، فصنّف الشيخ ابراهيم رسالة أسماها: السراج الوهاج في رفع لجاج قاطعة اللجاج، وقد وافقه في هذه المسألة المقدس الأردبيلي؛ وصنّف رسالة في حرمة صلاة الجمعة في زمان الغيبة مطلقاً وفيها ردّ على المحقق الثاني الذي أوجبها في رسالته بشرط وجود فقيه جامع للشرائط، وصنّف رسالة في القول بعموم التنزيل في الرضاع ورد فيها على المحقق الثاني الذي كتب رسالة في بطلان القول بعموم التنزيل. ولم يذهب إلى الصواب في أي من رسائله بل أخطأ الشيخ ابراهيم.

ونقل عن بعض الفضلاء أنّ الشيخ إبراهيم كان في كربلاء فاتّفق أن جاء الشيخ علي المحقق الثاني للزيارة فاجتمعا في الرواق خلف رأس القبر المبارك، وكان قد أرسل الشاه طهماسب جائزة إلى الشيخ ابراهيم وقد ردّها الشيخ واعتذر

---

(١) فصلت ٤١ / ٤٠.

بأنه ليس بحاجة إليها، فقال المحقق الثاني للشيخ: قد أخطأت في ردّ الجائزة وارتكبت حراماً أو مكروهاً؛ لأنّ الإمام الحسن ﷺ كان يقبل جوائز معاوية وأتباعه، والتأسّي بالإمام واجب أو مستحب، وترك التأسّي حرام أو مكروه كما برهن عليه في علم الأُصول، والشاه طهماسب ليس أقل درجة من معاوية، ولست أنت بأعظم من الإمام الحسن ﷺ. فذكر الشيخ ابراهيم جواباً إقناعياً.

وقال صاحب اللؤلؤة: وقعت تحت يدي رسالة اسمها الرسالة الحائرية وهي من تصنيف الشيخ إبراهيم في تحقيق مسألة السفر، وذكر في صدر تلك الرسالة: أنني سافرت مع المحقق الثاني إلى المشهد الرضوي. وذكر إجمالاً لمسائل نسب فيها الخطأ إلى المحقق الثاني منها: أن العشرة القاطعة لكثرة السفر يشترط فيها التوالي أم لا فنسب إلى نفسه اشتراط التوالي وإلى المحقق الثاني عدمه. وفي هذه الرسالة كتب هذه المسألة ورد على الشيخ علي.

ومنها: ما نقله عن المحقق الثاني أنّه إذا لم يجد الشخص ساتراً إلا جلد كلب، وكان نزعه محل تقية، فإن فريضة أداء الصلاة تسقط، فنسب الشيخ إبراهيم هذه الفتوى إلى المحقق الثاني وقال: وقد بالغت في الإنكار فلم يتراجع وأصر على ذلك القول مع أن الذي وصلنا أن الصلاة لا تسقط بفقد الساتر ولا يفقد صفة واجبة حال الاختيار بإجماع العلماء، وقد صرّح بذلك في كلام الأصحاب، فأعرضت عن المحقق الثاني وحملت كلامه على الغفلة وعدم المطالعة.

ومنها: مسألة أُخرى تناقشنا فيها وهي: أن المحقق الثاني حكم باستحباب تجديد الوضوء لمن اغتسل من الجنابة، فأنكرت ذلك وبالغت في الإنكار وقلت له: إن التجديد لا يكون مستحباً إلا إذا سبقه وضوء. فقال المحقق الثاني: في غسل الجنابة ضمناً الوضوء. فقلت له: إن أردت الغسل من الوضوء فهذا ليس وضوءاً

ضمنياً وإن أردت غيره فبيّنه. فامتنع المحقق الثاني عن الإقرار بالحق وثبت على ما قاله فأعرضت عنه.

ثم قال الشيخ إبراهيم بعد ذلك: دخلت يوماً حرم الإمام الرضا عليه السلام فاتّفق حضور المحقق الثاني مع بقية العلماء مثل جمال الملة والدين فاعترض عليّ المحقق الثاني: لماذا لم تقبل هدايا الحكام؟ قلت: لأنّه مكروه. قال: ليس كذلك بل هو إمّا واجب أو مستحب. فطالبته بالدليل فاستدلّ بفعل الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وقال: التأسي بالإمام إما واجب أو مندوب وعلى اختلاف المذهبين. قلت له: ذكر الشهيد في كتاب الدروس أن ترك أخذها من الظالم أفضل وهذا لا يعارضه أخذ الإمام الحسن عليه السلام الهدايا من معاوية؛ لأنّها هي بالأصالة من حقوق الأئمة. فمنع المحقق الثاني أولاً من وجود هذا الكلام في الدروس فألزمته بالمرجوحية، ثم عاهد اللّه أن كلامه مقصور على الاستعارة بالسؤال أو إفادة الجواب.

وقال الشيخ ابراهيم: لولا كراهة التطويل لذكرت أكثر ما جرى بيني وبينه، ثم فارقته وعدت بأحسن حال إلى النجف، وعندما وصلت وردت الأخبار المتواترة عن الثقات وغيرهم بما لا يليق ذكره فقابلته بالضد، وهكذا كان الحال حتى ادعى العلم فسعيت سعيي كي يرضى بالبحث والاجتماع والمناقشة وأبرزت كلّ أنواع اللطف فلم يرضَ.

ثم قال في آخر تلك الرسالة: فرغت من هذه الرسالة فأشرع بنقض الرسالة الخراجية وكشف الاشتباه الذي رأيت فيه من المباحث الاقناعية.

يقول مؤلف الكتاب: لا ينبغي أن تدخل هذه الكلمات إلى القلوب؛ لأنّ الشيخ إبراهيم ليس بالمستوى الذي يجعله في مقام المعارضة مع طور جبل التحقيق والتدقيق، وأن يضع قدمه في دائرة القيل والقال والبحث والجدال مع ذلك الفذلك

لأرباب الكمال، بل هو في مجلس درس وإفادة المحقق الثاني كطفل يتعلم الحروف، بل لو كانت تحقيقات قمر سماء الفضيلة قد توصل إليها بعد أن استفادها منه يلزم منه أن يمدح فرقه عن الفرقدين، ولا شك في أنّ أمثال هذه الترهّات والأكاذيب والهذيان ملازم للخفافيش ولا يملك المثول بين يدي الشمس الساطعة. كما سيأتي تأييد هذا الكلام مما نقل عن العلامة المجلسي.

فإن قلت: فما هي مرتبة مثل هذا الشخص حتى يأتي صاحب الأمر إلى بيته؟

نقول في الجواب: إنّه على فرض صدق المرحلتين فلعل ذلك بعد توبته وإنابته عن هذه الهفوات وصيرورته شخصاً كاملاً.

وذكر بعض الفضلاء من تلامذة الملّا محمّد باقر المجلسي: سمعت أُستاذي يقول: إنّ الشيخ إبراهيم ليس ذا فضيلة مهمة وليس في مستوى مقابلة الشيخ علي الكركي.

وقال هذا الشخص أيضاً: سمعت أُستاذي المجلسي مشافهة شيئاً يقدح في فضيلة الشيخ ابراهيم بل يقدح في تديّنه أيضاً لأن المجلسي قال: وجدت مجموعة بخط الشيخ إبراهيم كتب فيها: إنني أقرأت الشيخ علي المحقق الثاني. وقال المجلسي: وأين ذلك؟ وأي نسبة لفضل الشيخ علي قرب فضل الشيخ ابراهيم، وتبحّر الشيخ علي وعلمه؟

وللشيخ إبراهيم تأليفات منها ما تقدم ذكره، ومنها: رسالة في شرح عدد المحرمات في الذبيحة لطيفة ومختصرة، والرسالة الصومية نسبها إليه الفاضل الأردبيلي في بحث الصوم من شرح الإرشاد ونقل عنها بعض الآراء، وشرح ألفية الشهيد الأول كما ذكر الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد العاملي في حواشيه على الألفية، وله تعليقات على الشرائع، وحاشية على الإرشاد نسب ذلك إليه

القاضي نور اللّه في كتاب مجالس المؤمنين، وكتاب الفرقة الناجية والظاهر أنـه في تحقيق الفرقة الناجية وأنها الامامية، وكتاب نفحات الزوائد والفوائد وهذا الكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة بهذه الطريقة: سأل سائل عن كذا فنقول: كذا وكذا.

ومن تأليفاته: شرح الأسماء الحسنى طويل الذيل وجيّد الفوائد فرغ منه سنة ٩٣٤، ورسالة في الشكيات وكتب إجازة لتلميذه الأمير معز الدين محمّد بن تـقي الدين الحسيني الإصفهاني ويظهر مـن هـذه الإجـازة أن الشـيخ عـلي‌بن هـلال الجزائري هو عم الشيخ ابراهيم، كما كتب إجازة لشمس الدين محـمّد بـن حسـن الاسترآبادي قال فيها: إنّه أجازني جمع من الفضلاء أوثقهم الشيخ ابـراهـيم بـن حسن شهربان الوراق عن الشيخ علي‌بن هلال الجزائري. وتاريخ تـلك الإجـازة سنة ٩٢٠ أيام المجاورة في النجف.

ومن تلامذة الشيخ إبراهيم القطيفي السيّد شريف الدين الحسـيني المـرعشي التستري والد القاضي نور اللّه التستري صاحب كتاب مجـالس المـؤمنين، ومـن تلامذته الأمير نعمة اللّه الحلي رحمة اللّه عليهم وعلى علمائنا الماضين وأسكنهم في الجنان مع النبي محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

(٨٧)

محمّد بن حسن فخر المحققين ﷺ

فخر المحققين محمّد بن الحسن بن يوسف المطهر الحلي بدر الأنوار وافتخار آل المطهر وسلطان العلماء الأعلام والفضلاء النبلاء العظام وهو في الذكاء والفطنة أعجوبة الزمان، والعجب أنّه هو مجتهد وابنه أيضاً مجتهد وأبوه حسن العلامة وجده يوسف من المجتهدين ومن المجتهدين أيضاً عمه رضي الدين علي بن يوسف وابن عمه قوام الدين محمّد بن علي بن يوسف وابنا عمه عميد الدين عبد المطلب بن محمّد بن علي الأعرج الحسيني وابن السيّد عبداللّه المذكور واسمه السيّد حسن وجميعهم عندهم إجازات من المشايخ، وخال أبيه المحقق من المجتهدين أيضاً فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وقد اشتهر أن في بيت العلامة عشرة مجتهدين، وكتب الشيخ الشهيد في بعض إجازاته يمدح فخر المحققين في مقام تعداد مشايخه: منهم: الشيخ سلطان العلماء منتهى الفضلاء والنبلاء خاتمة المجتهدين فخر الملة والدين أبو طالب ابن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر مدّ اللّه في عمره مدّاً وجعل بينه وبين الحادثات سدّاً.

وله تأليفات منها: شرح القواعد المسمّى بإيضاح الفواعد في حل مشكلات القواعد، وأجوبة المسائل الحيدرية، والرسالة الفخرية في النية، وحاشية على الإرشاد، والكافية في الكلام، وكتاب المسترشدين، وهداية الطالبين.

ويكفي في مدحه أنّه ذهب مع والده إلى مجلس الشاه خدابنده وناقش العلماء المخالفين وألزمهم.

وله إجازة من أبيه العلامة وعمه رضي الدين بن يوسف. ثم إنّه وان اشتهر أن العلامة قد نال الاجتهاد قبل البلوغ لكنه خطأ مشهور. نعم ابنه فخر المحقّقين بلغ الاجتهاد قبل البلوغ كما يظهر من شرح خطبة كتاب القواعد، وبملاحظة ولادته وتاريخ تصنيف القواعد يتّضح أن عمره كان في ذلك الزمان أقل من عشر سنين. وتعجّب الشهيد الثاني من ذلك في حاشية القواعد في غير محله؛ لأنّه تقدم في ترجمة الفاضل الهندي ذكر الذين بلغوا الاجتهاد قبل البلوغ.

ولد فخر المحققين في منتصف ليلة الاثنين ٢٠ جمادى الأُولى سنة ٦٨٢ وتوفي ليلة الجمعة ١٥ جمادى الثانية سنة ٧٧١ فعمره ٨٩ سنة.

وقد أوصاه العلامة بأن يكمل ما كان ناقصاً من تأليفات العلامة فأتمها فخر المحققين، ولعلّه لهذا كان فخر المحققين قليل التأليف مع هذا العمر الطويل، أي اشتغل بإكمال تلك التأليفات.

وقال بعض العلماء: جاء شخص إلى العلامة وسأله: إنـي كـنت خـلال ١٢ عاماً أتوضّأ قبل دخول الوقت بنيّة الوجوب وأُصـلي بـذلك الوضـوء وليس في ذمتي صلاة قضاء، وقد عرفت الآن أنّ رأيك هو عدم إمكان اشتغال الذمة بالصلاة بقصد الوجوب قبل دخول الوقت، فهل الصلوات التي أدّيتها خـلال هـذه المـدّة صحيحة أم لا؟ قال العلامة: ما صليته بهذا الوضوء عليك قضاؤه. فخرج الرجل من عند العلامة والتقى فخر المحققين في الطـريق فسأله عـن حـاله فـقدم له ذلك الشخص الاحترامات وذكر له الأمر، فقال فخر المحققين: قد اشتبه العلامة في هذه الفتوى بل عليك أن تقضي الصلاة الأُولى والباقي صحيح؛ لأنّ الصلاة الأُولى التي

صلّيتها بهذا الوضوء باطلة فاشتغلت الذمة بالقضاء، وفيما بعد كنت تتوضّأ وذمّتك مشغولة بالقضاء فلا ضير في نية الوجوب حينئذٍ. فعاد ذلك الشخص إلى العلامة وأخبره بما قاله فخر المحققين فحسّن العلامة ـ أعلى اللّه مقامه ـ رأي فخر المحققين وتراجع عن فتواه، رضي اللّه عنهما وأسكنهما في غرف الجنان وتـغمّدهما في بحـار مغفرته بجاه محمّد المختار وأهل بيته الأطهار الأخيار.

(٨٨)

محمّد بن محمّد الرازي

محمّد بن محمّد الرازي البويهي قطب الدين العلامة الفهامة، قطب رحى الفضيلة وبحر علوم الحقيقة والشريعة والطريقة، وشمس فضيلته من مطالع شرح المطالع طالعة، ومحكمات حكمته من أُفق كتاب المحكمات ساطعة، وقواعد أساس فقهه من حواشي القواعد نائرة، وميزان علمه من شرح الشمسية ظاهر. مدحه الشهيد الثاني في إجازته للشيخ حسين بهذه العبارة: السيّد بحير العالم نجم الدين سلطان المحققين وأكبر المدققين قطب الملة والدين.

ونسبه الشريف حسبما يظهر من بعض إجازات المحقق الثاني ينتهي إلى الأُسرة الشريفة لسلاطين بويه واعتبر بعض أساطين الفقهاء قطب المحققين من أحفاد ابن بابويه، وهذا خبط غير خفي على المتتبع. ومولده ومنشؤه دار المؤمنين: ورامين والري.

وبعد أن تلمذ لجماعة من علماء الزمان وأجلّاء الأعلام نال شرف التلمذ لعلّامة العصور الشيخ جمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، وكتب كتاب قواعد الأحكام للعلّامة بخطه وقرأه عليه، وقد كتب على ظهر النسخة الموجودة فعلاً في الشام عند بعض الفضلاء إجازة بخط العلامة بهذا النحو: قرأ عليّ أكثر هذا الكتاب الشيخ العالم الفقيه الفاضل المحقق المدقّق زبدة العلماء والأفاضل قطب الملة والدين محمّد بن محمّد الرازي أدم اللّه أيام قراءته ببحث وتدقيق وتحرير وتدقيق

واستبان عن مشكلاته واستوضح معظم شبهاته فبينت له ذلك بياناً شافياً، وقد أجزت له رواية هذا الكتاب بأجمعه وروايته جميع مصنّفاتي ورواياتي وما أُجيز لي روايته وجميع كتب أصحابنا السابقين رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين بالطرق المتّصلة مني إليهم، فليرووا ذلك لمن شاء وأحب على الشروط المعتبرة في الإجازة فهو أهل لذلك أحسن اللّه عاقبته، وكتبه العبد الفقير إلى اللّه تعالى حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي المصنّف للكتاب في ثالث شعبان المعظم من سنة ثلاث عشر وسبع مئة بناحية ورامين والحمد للّه وحده وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد النبي وآله الطاهرين.

بعد وفاة السلطان أبي سعيد ووزيره الخواجه غياث الدين محمّد الّذي كان مربّياً لأهل الفضل توجّه قطب المحقّقين إلى الشام، ووقعت بينه وبين الشيخ تقي الدين السبكي ـ الذي كان من فقهاء الشافعية ـ معارضة استحكمت في توجيه بعض الأحاديث، وعندما وزن السبكي عيار أُسلوبه في ميزان المناظرة ورأى أنّه سيكون خفيفاً بين أهل الشام بالضرورة سلك طريق المكابرة بلا حياء ونسب إلى القطب عدم فهم مقاصد الشرع والوقوف على الظواهر، وعندما رأى القطب ما آلت إليه الحال تخلّى عن المناظرة وأوكل الانتقام إلى جهله.

وكُتب على ظهر قواعد الشيخ الشهيد محمّد بن مكي أعلى اللّه درجته بخطه الشريف: ذهبت في دمشق لزيارة العلامة قطب الدين فرأيته بحراً لا نهاية له وتلطّف علي بإجازة ما كان جائزاً له. وكان إمامي المذهب بلا شبهة وقد صرّح بذلك، وانقطاعه ورجوعه إلى جمال الدين بن المطهر فقيه أهل البيت عليهم السلام معلوم.

وكانت وفاته في ١٢ من شهر ذي القعدة الحرام سنة ٧٦٦، وصلّي عليه في ساحة القلعة وقد حضر الصلاة كثير من أعيان دمشق، ودُفن في الصالحية ثم نقلوه

إلى موضع آخر. والعجب من الشهيد الأول لقوله: ولا شك في كونه إمامياً، فهل كان هناك احتمال لبرفع الشك؟ وقد تعجب أهل العلم جميعهم من كلام الشهيد الأول.

ومن تأليفاته: كتاب المحاكمات بين شراح الإشارات، وحاشية على كتاب الإشارات الأصغر اسمها بدرة الأصداف، وأيضاً حاشية على الكشاف الأكبر اسمها تحفة الأشراف، ورسالة في تحقيق كليات مباحث التصور والتصديق، وحواشٍ غير مدونة على كتاب قواعد العلامة وقد سُمع أن بعض العلماء جمعها ودونها، وكتب كتاباً مستقلاً اسمه الحواشي القطبية، وشرح على كتاب المطالع في المنطق، وكتب سيّد شريف عليه حواشي، وقد سمعت من القاضي الحكيم أنّه كُتبت اثنتي عشرة حاشية على شرح المطالع؛ وكتاب شرح الشمسية في المنطق كتبه استجابة لطلب الخواجه غياث الدين، وكتبوا عليه حواشي كثيرة مثل المير سيّد شريف وعماد وأحمد وداود والمير غياث الدين والملّا خليل والسيّد علي الركابي ومحيي الدين وغيرهم، ولمؤلف الكتاب أيضاً حواشٍ عليه غير مدونة، وعندما كتب التفتازاني شرحاً على الشمسية ترك شرح قطب الدين واشتغل الطلاب بدراسة شرح التفتازاني، فكتب سيّد شريف وهو من تلامذة قطب الدين حاشية على شرح أُستاذه للشمسية فعاد الكتاب من جديد محل اعتماد الطلاب وتدريس الأصحاب، وتركوا شرح سعد رحمه اللّه تعالى وأسكنه الجنة بمحمد وآله.

(٨٩)

الحسن بن يوسف بن علي العلامة الحلي

الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي أحلّه اللّه دار كرامته، الملقب بجمال الدين والمعروف بآية اللّه في العالمين، مركز دائرة الشرع المبين، وقطب كرة الدين المبين، منتهى فضائل الأولين والآخرين، مؤسس قواعد أرباب الحق واليقين، وتذكرة خواطر المؤمنين، وتبصرة المهتدين وسالك مناهج اليقين ومنهاج كرامة الأكرمين.

قال السيّد مصطفى التفريشي في كتاب نقد الرجال: يخطر على بالي أن لا أصفه فكتابي لا يسع وصفه وعلومه وتصانيفه وفضائله ومحامده وله أكثر من سبعين كتاباً.

وقال الميرزا محمّد في كتاب الرجال: حسن بن يوسف بن علي بن المطهر أبو منصور العلامة الحلي المولد والمسكن، محامده أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر.

ولد في ١٩ شهر رمضان المبارك سنة ٦٤٨، وتوفي في ليلة السبت ١١ شهر محرم الحرام سنة ٧٢٦، فعمره ٧٧ سنة وثلاثة أشهر، لكن قال القاضي نور اللّه في كتاب في مجالس المؤمنين: ولد سنة ٦٤٨ في ٢٩ شهر رمضان المبارك، وتوفي يوم السبت ٢١ محرم الحرام سنة ٧٢٦.

وقد قرأ الفقه والكلام والأُصول والعربية وسائر العلوم الشرعية على فقيه

أهل البيت نجم الدين أبي القاسم جعفر بن سعيد الحلي الملقب بالمحقق وهو خال العلامة، ودرس عند أبيه الشيخ سديد الدين يوسف بن المطهر وأخذ مطالب الحكمة عن أُستاذ البشر الخواجة نصير الدين الطوسي وعلي بن عمر الكاتبي القزويني الشافعي ومحمّد بن أحمد ابن أُخت الملّا القطب العلامة الشيرازي وغيرهم من علماء العامة والخاصة.

وذكر في تاريخ حافظ أبرو وغيره عندما ورد على ذهن السلطان محمّد أولجايتو خدابنده بطلان مذهب أهل السنة والجماعة على الإجمال أمر بإحضار علماء الإمامية، وعندما حضر العلامة مع العلماء الآخرين قُرّر أن يناظر العلامة الحلّي، الخواجه نظام الدين عبدالملك المراغي الّذي أفضل علماء الشافعية بل أفضل علماء أهل السنة، فناظر العلّامة الخواجة المذكور وأثبت الخلافة بلا فصل لأمير المؤمنينﷺ وأبطل دعوى خلافة المشايخ الثلاثة بالبراهين القاطعة والأدلّة الساطعة وأظهر مذهب الإمامية بحيث لم يبق طريق للتشكيك لدى أي أحد من الحضور، وعندما سمع الخواجة نظام الدين عبد الملك أدلّة العلامة قال: قوة الأدلّة ظاهرة تماماً لكن لما سلك السلف طريقاً وأسدل الخلف ستار السكوت على ضعفهم لإلجام العوام ورفع ت فرقة كلمة الإسلام فالمناسب أن لا يهتك ذلك الستر وأن لا يلعنوهم.

ولتعصب حافظ ابرو الشديد لم يصرّح بعجز عبد الملك وقال: وقعت بين الشيخ جمال الدين ومولانا نظام الدين عبد الملك مناظرات كثيرة وكان مولانا نظام الدين يبالغ كثيراً في احترامه وتعظيمه، والمعروف الدائر على الألسنة أنّه كان للشاه خدابنده زوجة وهو متعلّق بها تماماً ولأمر من الأُمور طلقها ثلاثاً في مجلس واحد، فقال المفتون الذين طلبهم: تحتاج إلى محلّل ولا يمكن الرجوع بدونه. فقال السلطان: هل هناك مذهب في الإسلام لا يجوّز ذلك؟ فقالوا: ليس إلا الشيعة وهم

فئة قليلة. فطلب السلطان ما يدل عليهم فقالوا: يوجد منهم عدّة علماء في الحلّة ورئيسهم العلامة. فأمر السلطان بإحضاره في غاية الإجلال، وعندما حضر في السلطان مع علماء العامة دخل واضعاً نعليه تحت إبطه فلم يعجبهم ذلك، فقال بعض علماء العامة مريداً إحراج العلامة وأن يسقط اعتباره عند السلطان: لم تسجد للسلطان والإتيان بالنعلين إلى المجلس ليس من الآداب. فقال العلامة: هناك إجماع عندنا وعندكم أن السجود لغير اللّه غير جائز واللّه قال: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا﴾[1]، وقد سمعت أن رسول اللّه ﷺ كان في مكان ضيفاً فسرق مالكي المذهب نعليه المباركتين وحيث إنّه في هذا المجلس يوجد مالكي المذهب فخفت أن يسرق نعليّ. فقال العلماء: عجيب أمرك كأنك لا تعرف المذاهب ورؤساء المذاهب فإن مالك لم يكن في زمان رسول اللّه ﷺ بل وجد بعده بمئة سنة تقريباً. فقال العلامة: قد سهوت بل كان حنفي المذهب هو الذي سرق. فقال علماء العامة: إنّ أبا حنيفة كان بعد مالك. فنسب العلامة ذلك إلى شافعي وبعد ذلك إلى حنبلي وسمع نفس الجواب. فقال العلامة: إذا لم يكن الفقهاء الأربعة في زمان النبي ﷺ فمن أين أحدثت هذه المذاهب ولم تكن موجودة في زمان رسول اللّه ﷺ؟! فألزمهم حينئذٍ.

وحكى هذه الحكاية بهذا النحو الملّا محمّد تقي المجلسي في روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، وتحدث في باب الطلاق الثلاث في مجلس واحد وقد ألزمهم العلامة جميعاً، وكان يحضر درس العلامة في تلك الأيام زينة علماء العامة.

ومن لطائف الكلمات التي قالها العلامة في جواب السيّد الموصلي الحنبلي الذي كان من أعظم علماء الحنابلة: إنه كان يناظر يوماً المخالفين في مجلس السلطان، وبعد أن أنهى مطلبه ذكر خطبة للشكر اشتملت على حمد اللّه والصلوات على الرسول

(١) النور ٢٤ / ٦١.

وآله مثلما هو في مذهب الإمامية وصلوات خاصة بأهل البيت، وعندما لم يستطع الموصلي الردّ على أدلّة العلامة تطفل هنا وقال له: بأي دليل يجوز الصلاة على غير الأنبياء؟ فقال العلامة: الدليل هو هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[1]. فقال ذلك السيّد من شدة عناده: وما هي المصيبة التي أصابت علي بن أبي طالب وأولاده؟ فترك العلامة ذكر المصائب المشهورة لأهل البيت وقال من شدّة انفعاله: وأي مصيبة أسوأ من أن مثلك من أبنائهم وتفضّل بعض المنافقين عليهم وترجّح عليهم فئة من الجهال؟! فتعجّب الحضور من قوة بديهة العلامة وضحكوا على ذلك السيّد، وكان في المجلس بعض الشعراء فنظم هذين البيتين في ذلك السيّد:

إذا العلوي تابع ناصبياً ... بمذهبه فما هو من أبيه

وكان الكلب خيراً منه طبعاً ... لأنّ الكلب طبع أبيه فيه

وقد نقل السيّد نعمة اللّه الجزائري عن العلامة هذا الرباعي في محبّة اللّه تعالى:

لي في محبّته شهود أربع ... وشهود كلّ قضية اثنان

خفقان قلبي واضطراب مفاصلي ... وشحوب لوني واعتقال لساني

وفي تذكرة الشيخ نور الدين علي بن عراق المصري أنّه كان الشيخ تقي الدين -وهو من علماء أهل السنة ـ معاصراً للعلامة وينكر ما يقوله غيابياً ويتكلم ببعض الهفوات، فأرسل إليه العلامة هذه الأبيات:

---

(١) البقرة ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

لو كنت تعلم كلّ ما علم الورى طرّاً لكنت صديق كلّ العالم

لكن جهلت فقلت: إن جميع من يهوى خلاف هواك ليس بعالم

وكتب الشيخ شمس الدين محمّد بن محمّد بن عبد الكريم الموصلي في جواب العلامة هذه القطعة:

يا من يموه في السؤال مسفسطاً إن الذي ألزمت ليس بلازم

هذا رسول اللّه يعلم كلّ ما علموا وقد عاداه أهل العالم

وجواب شمس الدين واضح؛ لأنّ العلامة خاطب تقي الدين وطرح القضية بنحو الموجبة الجزئية، والمجيب أتى بسالبة جزئية، والسالبة الجزئية ليست نقيض الموجبة الجزئية، فهذا النقض ظاهر الدفع.

ويقال إنّه في يوم كان هناك بنّاء يشتغل بالبناء وكان العلامة واقفاً مع أبيه وإذا بقطعة طين تصيب العلامة، فقال البناء: ليتني كنت الطينة. فقال العلامة لأبيه على البداهة: ﴿يَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾[1].

ومعروف أيضاً أن العلامة كان يدرس وهو طفل عند خاله المحقق، وأحياناً كان يركض العلامة فيلحقه المحقق ليمسكه، فإذا اقترب منه يقرأ العلامة آية السجدة فيسجد المحقق ويغتنم العلامة الفرصة ويركض. ولعلّ سجود المحقق احتياطاً وتقديساً؛ لأن السجدة لا تجب عند السماع بل تجب عند الاستماع، أو لعله كان يستمع تحصيلاً للثواب، أو لعل مذهب المحقق كان حينها وجوب السجود ولو للسماع والله العالم.

وكرامات العلامة أعلى اللّه مقامه كثيرة نذكر منها عدّة كرامات:

---

(١) النبأ ٧٨ / ٤٠.

١ ـ ما هو مذكور في كتاب مجالس القاضي نور الله ومشهور على الألسنة من أن أحد علماء أهل السنة ـ وكان أُستاذاً للعلامة في بعض العلوم ـ كتب كتاباً في الرد على مذهب الشيعة الإمامية، وكان يقرأه على الناس في مجلسه ويقوم بتضليلهم ولم يكن يعطي الكتاب لأحد كي ينسخه خوفاً من أن يرد عليه أحد علماء الشيعة، وكان العلامة دائم السعي بأي حيلة حتى يصل إلى يده ويردّ عليه، فدخل في جملة تلامذته واستفاد من هذه التلمذة حتى يطلب منه إعارته الكتاب، ولم يرد ذلك الشخص أن يفشله بالمرة وقال له: قد أقسمت أن لا أُبقي هذا الكتاب عند أحد أكثر من ليلة. فاغتنم العلامة هذا المقدار وأخذ الكتاب إلى البيت وحاول تلك الليلة أنّ ينقل منه قدر الإمكان، وعند مضي نصف من الليل غلبه النوم وإذا بصاحب الأمر عليه السلام يظهر ويقول للعلامة: اترك الكتاب لي ونم أنت. فاستيقظ العلامة ورأى النسخة كاملة بكرامة صاحب الأمر عليه السلام.

وقد سمعت هذه الحكاية من والدي، ومن بعض آخر بهذا النحو وهو أن مؤلف ذلك الكتاب كان من معاصري العلامة وكان من العامة، وطلب العلامة من أحد تلامذته أن يتلمذ لذلك العالم السني حتى يطمئن له، وفي ليلة أعاره الكتاب فأخذه العلامة وشرع بنسخه حتى جاء وقت السحر فغفا دون أن يحس وسقط القلم من يده، واستيقظ في الصباح فتحسّر على نومه ولم ينه الكتاب وعندما نظر إليه رآه مكتوباً كله وكتب في آخره: كتبه م ح م د بن الحسن العسكري عليه السلام صاحب الزمان.

٢ ـ ما ذكره الشيخ أسد الله الكاظمي في كتاب المقابيس بشكل مجمل، وهو أنه رأى في المنام أن القيامة قامت والعلامة الحلي متقدم على جميع العلماء.

٣ ـ ما هو دائر على الألسنة وقد سمعته من الملّا صفر علي اللاهيجي المتقدم

ذكره نقلاً عن أُستاذه المبرور السيّد محمّد ابن السيّد علي صاحب المناهل يقول: إنّ العلامة كان يذهب ليلة الجمعة لزيارة سيّد الشهداء، وكان وحيداً راكباً دابة وبيده سوط فالتقى في وسط الطريق بأعرابي فصارا يتحدّثان، ومن الحديث علم العلامة أنّه شخص فاضل فصارا يتحدثان في المسائل العلمية فأدرك العلامة أنّ هذا الشخص صاحب علم غزير وفضيلة شديدة ومتبحر، فصار العلامة يسأله عن المشكلات التي بقيت له في العلوم سؤالاً بعد سؤال وذلك الشخص يجيب ويحل المشاكل إلى أن تحدّثا في مسألة فأفتى ذلك الشخص بفتوى أنكرها العلامة قائلاً: لا حديث لدينا يدلّ على هذه الفتوى. فقال له ذلك الرجل: روى الشيخ الطوسي في هذا الباب حديثاً في التهذيب فراجع الصفحة الفلانية السطر الفلاني تجد الحديث. فتحير العلّامة من هو هذا الشخص؟ فسأله: هل يمكن رؤية صاحب الأمر في الغيبة الكبرى؟ وسقط السوط من يد العلامة فانحنى ذلك الشخص وأخذ السوط من الأرض ووضعه في يد العلامة وقال له: كيف لا يمكن رؤية صاحب الزمان ويده في يدك؟ فسقط العلامة عن الدابة ليقبّل قدم الإمام وأُغشي عليه، ولما استيقظ لم يجد أحداً ثم عاد إلى البيت وراجع التهذيب حيث دلّه فرآه، وكتب العلامة بخطه في حاشية كتاب التهذيب: هذا الحديث أخبر به صاحب الأمر ودلّ على الصفحة والسطر.

قال الملّا صفر علي: قال الأُستاذ السيّد محمّد: رأيت ذلك الكتاب وفي حاشيته خط العلّامة بهذا المضمون المتقدّم.

٤ ـ أنّه ألزم المخالفين في مجلس السلطان وألزم جميع علماء العامة وغلبهم، وقد تشيع السلطان خدا بنده مع أكثر الأعيان وكثير من أهل إيران ببركة العلامة، وحكم السلطان بأن ينقش أسماء المعصومين الأربعة عشر على الدراهم والدنانير، كما أمر بنقش أسماء الأئمة في المساجد لتزيينها بها. ويقال: إنّ الملّا حسن الكاشي

كان برفقة العلامة في ذلك السفر، وهو رجل ظريف، فقال للسلطان بعد أن غُلب المخالفون: أُصلي ركعتين على مذهب الفقهاء الأربعة وركعتين على المذهب الجعفري وأجعل الحكم لعقل السلطان. ثم قال الملّا حسن: إنّ أبا حنيفة مع واحد آخر من الفقهاء الأربعة يريان جواز الوضوء بالمسكر، كما أنّ أبا حنيفة يرى طهارة الجلد بالدباغة، وجواز الاكتفاء بآية ولو بالترجمة بدلاً من قراءة الحمد والسورة، وجواز السجود على عذرة الكلب، وجواز الإتيان بالضرطة بدل التسليم بعد التشهد. فقام الملّا حسن وتوضأ بمسكر ولبس جلد كلب وكبّر وقرأ عوض الحمد والسورة «دوبرك سبز»[1] وهي معنى ﴿مُدهَامَّتَانِ﴾[2] وهي آية ثم ركع وسجد على عذرة الكلب ثم أتى بالركعة الأُخرى على هذا المنوال وبعد التشهد ضرط ولم يسلم ثم قال: هذه صلاة أهل السنّة. ثم قام وصلّى ركعتين بخشوع تام وقال: هذه صلاة الشيعة. فقال السلطان: من الواضح أن الأُولى ليست صلاة بل الصلاة الموافقة للعقل والأدب هي هذه الثانية.

٥ ـ إن العلامة كان كثير التأليف مع اشتغاله الدائم بالتعلم والتدريس والأسفار والدخول على السلاطين والحديث معهم ومع كثرة مناظراته مع الجمهور، وكانت تأليفاته مع ذلك لو وزعت على أيام عمره لكان هناك جزء عن كل يوم، والمعروف أنّه كتب كلّ يوم ألف بيت وهذه غاية الكرامة، بل قال البعض: إنّه ألّف خمسمئة كتاب. فقد ذكر الشيخ فخر الدين الطريحي في كتاب مجمع البحرين في مادة «علم» أنّه رؤيت خمسمئة كتاب من التأليفات بخط العلامة غير ما وجد من تأليفاته بخط غيره. وقيل: إنّه ألّف أكثر من ألف كتاب وهذه كرامة تفوق الكرامات. وقد ذكر في مجلسه أن العلامة كان يؤلف كلّ يوم ألف بيت فقال:

(١) جملة فارسية تعني «ورقتان خضراوان» (المترجم).

(٢) الرحمن ٥٥ / ٦٤.

وتأليفاتنا ليست أقل من ذلك. فقال له بعض تلامذته: الفرق أن ما صدر منكم تأليف وما كتبه العلامة. تصنيف فوافقه المجلسي على ذلك. لكن الإنصاف أن أكثر كتب المجلسي تصنيف مثل البحار وغيره.

وقد سمع بل هو مذكور في بعض الكتب أنّ علماء العامة استبعدوا أن يؤلّف العلامة كلّ يوم ألف بيت؛ ولذا أنكروا ذلك ولم يفهموا أن ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1] مع أنّه إذا نُسبت إلى السنة مثل هذه النسب مع علمهم بكذبها فإنهم يقبلون، كما ذكر ابن خلكان الشافعي في تاريخه في ترجمة هشام بن صائب الكلبي النسابة أنّه حفظ القرآن في مدّة ثلاثة أيام؛ وقال في ترجمة محمّد بن عبد اللّه بن واحد: إنّه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة من علم اللغة؛ وقال في ترجمة محمّد بن قاسم المعروف بابن الأنباري: إنّه كان يحفظ مئة وعشرين كتاباً في تفسير القرآن مع أسانيدها و ٣٠٠ ألف من أشعار شواهد القرآن ومع ذلك كانت له تصنيفات كثيرة منها: غريب الحديث في ٤٥ ألف ورقة وشرح الكافي ٢٠٠٠ ورقة وكتب تقرب من ١٠٠٠ ورقة وأيام وأحوال الجاهلية في ٧٠٠ وغير ذلك؛ وقال في ترجمة عبد الرحمن بن علي المشهور بأبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي: إنّ كتبه أكثر من أن تحصى وكتب الكثير بخطه حتى قال البعض: إنّ ما كتبه جمع وقسّم على عمره فكانت حصة كلّ يوم تسعة أجزاء كلّ جزء ـ مثل ما صرّح به البعض ـ عبارة عن ٥٠٠ بيت بحساب الكتاب ـ وهذا شيء لا يقبله العقل لأنّ الأجزاء التسعة تصير ٤٥٠٠ بيت ولا يتيسر لأحد أن يكتب هذا المقدار فضلاً عن التصنيف، أمّا كتابة ألف بيت كلّ يوم فممكن بل يمكن أكثر ويعتقد مؤلف الكتاب أنّه يمكن كتابة كلّ يوم ألف بيت خصوصاً في الربيع وخصوصاً إذا قرأ أحد وأنا

(١) الجمعة ٦٢ / ٤.

أكتب سيا في الليل أيضاً، إذ لا يستبعد أن تكون بعض مصنفات العلامة قد كتبها بالليل سيا وأن القائم ﷺ قد أعانه على بعضها كما تقدم في رد كتاب العامة ــ ولابن الجوزي أشعار كثيرة. انتهى كلام ابن خلكان.

وقال فاضل آخر: إنّ يحيى بن علي المنطقي كتب بخط يده كتباً كثيرة حتى إنه كان يكتب في اليوم والليلة مئة ورقة. وحفظ سهل بن عبد اللّه الششتري القرآن وهو في عمر السادسة أو السابعة وصام ٢٥ يوماً مع الليالي لم يفطر خلالها أبـداً. والظاهر أن مقصوده صيام سهل وقد أشار إليه الشهيد الثاني في كتاب النكاح من المسالك. ولا يخفى أن العلامة كان من استعجاله وحرصه في التصنيف وسعة دائرته في التأليف كانت طريقته أن يكتب مباشرة كلّ مـا يأتي عـلى خـاطره مـن دون الرجوع إلى أقواله وأفكاره السابقة حتى وإن كانت مخالفة مع المتقدمة ولذا طعن فيه المخالفون. ولكن هذا الكلام ساقط لأن المناط في حال انسداد باب العلم على الظنون، وتجديد الرأي حسن للمجتهد، كما أن شيخ الطائفة الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي كان على طريقة العلامة في التصنيف والتأليف واختلاف الأقوال.

وقال العلامة ــ أعلى اللّه مقامه ــ في كتاب خلاصة الرجال في ترجمة نـفسه: حسن بن يوسف بن مطهر ــ بميم مضمومة وطاء غير معجمة وهاء مشددة وراء في الآخر ــ أبو منصور الحلي المولد والمسكن، مصنّف هذا الكتاب وله كتب منها:

١ ــ كتاب منتهى المطلب في تحقيق المذهب، لم يعمل مثله، ذكرنا فـيه جـميع مذاهب المسلمين في الفقه ورجحنا ما نعتقده بعد إبطال حجج من خالفنا في ذلك، وإن شاء اللّه تعالى يتم، وقد عملنا منه حتى هذا التاريخ وهو شهر ربيع الأول سنة ٦٩٣ سبعة مجلدات.

٢ ــ وكتاب تلخيص المرام في معرفة الأحكام.

٣ ـ وكتاب تحرير الأحكام الشرعية، على مذهب الإمامية، لطيف حسن استخرجنا فيه فروع لم يسبقنا إليها أحد مع الاختصار.

يقول مؤلف الكتاب: قد وصلت مسائل التحرير إلى ١٦٠ ألف مسألة.

٤ ـ كتاب مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، ذكرنا فيه اختلاف علمائنا فقط، وذكرنا حجّة لكل شخص وترجيح ما ذهبنا إليه.

٥ ـ كتاب تبصرة المتعلمين في أحكام الدين.

يقول مؤلف الكتاب: عدّ بعض مسائل كتاب التبصرة فبلغت ٨ آلاف مسألة.

٦ ـ كتاب استقصاء الاعتبار في تحرير معاني الأخبار، ذكرنا فيه كل حديث وصل إلينا، وبحثنا في كلّ حديث عن صحة السند أو إبطاله وما كان منه محكماً ومتشابهاً وما اشتمل عليه المتن من المباحث الأُصولية والأدبية وما يستنبط من المتن من الأحكام الشرعية وغيرها، وهو كتاب لم يعمل مثله.

٧ ـ كتاب مصابيح الأنوار، ذكرنا فيه كلّ أحاديث علمائنا وجعلنا كلّ حديث يتعلّق بفن في بابه ورتّبنا كلّ فن على أبواب، ابتدأنا فيه بما روى عن النبي ﷺ ثم بعده بما روي عن علي عليه السلام وهكذا إلى آخر الأئمة عليهم السلام.

٨ ـ كتاب الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان.

٩ ـ كتاب التناسب بين الأشعرية وفرق السوفسطائية.

١٠ ـ كتاب نهج الإيمان في تفسير القرآن، ذكرنا فيه ملخص الكشاف والتبيان وغيرهما.

١١ ـ كتاب القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

١٢ ـ كتاب الأدعية الفاخرة المنقولة عن الأئمة الطاهرة.

١٣ ـ كتاب النكت البديعة في تحرير الذريعة في أُصول الفقه.

١٤ ـ كتاب غاية الوصول وإيضاح السبل في شرح مختصر منتهى السؤل والأمل في أُصول الفقه.

١٥ ـ كتاب مبادئ الوصول إلى علم الأُصول.

١٦ ـ كتاب منهاج اليقين في أُصول الدين.

١٧ ـ كتاب منتهى الوصول إلى علمي الكلام والأُصول.

١٨ ـ كتاب كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد في الكلام.

١٩ ـ كتاب أنوار الملكوت في شرح فص الياقوت في الكلام.

٢٠ ـ كتاب نظم البراهين في أُصول الدين.

٢١ ـ كتاب معارج الفهم في شرح النظم في الكلام.

٢٢ ـ كتاب الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة.

٢٣ ـ كتاب نهاية المرام في علم الكلام.

٢٤ ـ كتاب كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد في الكلام.

٢٥ ـ كتاب المنهاج في مناسك الحاج.

٢٦ ـ كتاب تذكرة الفقهاء.

٢٧ ـ كتاب تهذيب الوصول إلى علم الأُصول.

٢٨ ـ كتاب القواعد والمقاصد في المنطق والطبيعي والإلهي.

٢٩ ـ كتاب الأسرار الخفية في العلوم العقلية.

٣٠ ـ كتاب كاشف الأستار في شرح كشف الأسرار.

٣١ـ كتاب الدر المكنون في علم القانون في المنطق.

٣٢ـ كتاب المباحثات السنية والمعارضات النصيرية.

٣٣ـ كتاب المقاومات، باحثنا فيه الحكماء السابقين، وهو يتم مع تمام عمرنا.

٣٤ـ كتاب حل المشكلات من كتاب التلويحات.

٣٥ـ كتاب إيضاح التلبيس من كلام الرئيس، باحثنا فيه أبا علي بن سينا.

٣٦ـ كتاب كشف المكنون من كتاب القانون، وهو اختصار شرح الجزولية في النحو.

٣٧ـ كتاب بسط الكافية، وهو اختصار شرح الكافية في النحو.

٣٨ـ كتاب المقاصد الوافية بفوائد القانون والكافية، جمعنا فيه بين الجزولية والكافية مع تمثيل ما يحتاج إلى المثال.

٣٩ـ كتاب المطالب العلية في علم العربية.

٤٠ـ كتاب القواعد الجلية في شرح رسالة الشمسية في المنطق.

٤١ـ كتاب الجوهر النضيد في شرح التجريد في المنطق.

٤٢ـ كتاب مختصر شرح نهج البلاغة.

٤٣ـ كتاب إيضاح المقاصد من حكمة عين القواعد.

٤٤ـ كتاب نهج العرفان في علم الميزان.

٤٥ـ كتاب إرشاد الأذهان في أحكام الإيمان في الفقه، حسن الترتيب.

يقول مؤلف الكتاب: إنّهم أحصوا في كتاب الإرشاد ١٢ ألف مسألة لكن أحصى فخر المحققين ١٤ ألف مسألة. وقال البعض: إنّه ١٥ ألف مسألة وشرايع

المحقّق ١٢ ألف مسألة، واحتوى الارشاد مع اختصاره على أكثر من مسائل الشرايع من حسن ترتيبه إضافة إلى أنّه لم ينقل فيه الأقوال ولم يستدل، وفي الشرائع أحياناً تذكر الأقوال وفي بعض المواضع أسماء القائلين وفي مقامات قليلة أشار إلى الاستدلال إجمالاً.

٤٦ ـ كتاب تسليك الأفهام إلى معرفة الأحكام في الفقه.

٤٧ ـ كتاب نهاية الوصول إلى علم الأُصول.

٤٨ ـ كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام. يقول مؤلف هذا الكتاب: إنّ كتاب القواعد اشتمل على عبارات مشكلة وأبواب الوصايا والميراث منه محتاجة إلى تدقيق أكثر من القواعد المذكورة في خلاصة الحساب.

٤٩ ـ كتاب كشف الخفاء عن كتاب الشفاء في الحكمة.

٥٠ ـ كتاب مقصد الواصلين في أُصول الدين.

٥١ ـ كتاب تسليك النفس إلى حظيرة القدس في الكلام.

٥٢ ـ كتاب نهج المسترشدين في أُصول الدين.

٥٣ ـ كتاب مراصد التدقيق ومقاصد التحقيق في المنطق والطبيعيات والإلهيات.

٥٤ ـ كتاب النهج الوضّاح في الأحاديث الصحاح.

٥٥ ـ كتاب نهاية الإحكام في معرفة الأحكام.

٥٦ ـ كتاب المحاكمات بين شراح الإشارات.

٥٧ ـ كتاب نهج الوصول إلى علم الأُصول.

٥٨ ـ كتاب منهاج الهداية ومعراج الدراية في علم الكلام.

٥٩ ـ كتاب نهج الحق وكشف الصدق.

٦٠ ـ كتاب منهاج الكرامة في الإمامة.

٦١ ـ كتاب استقصاء النظر في القضاء والقدر.

٦٢ ـ الرسالة السعدية.

٦٣ ـ رسالة واجب الاعتقاد.

٦٤ ـ كتاب الألفين في الفارق بين الحق والمين. وهذه الكتب منهاما لم يتم. وقال في كتاب أمل الآمل: وله من المؤلفات سوى ما ذكر.

٦٥ ـ كتاب خلاصة الأقوال في معرفة الرجال.

٦٦ ـ كتاب إيضاح الاشتباه في أحوال الرواة.

٦٧ ـ الكتاب الكبير في الرجال، ذكره في مواضع من الخلاصة.

٦٨ ـ رسالة في بطلان الجبر.

٦٩ ـ رسالة في خلق الأعمال.

٧٠ ـ كتاب كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

٧١ ـ كتاب الكشكول فيما جرى على آل الرسول ﷺ، ينسب إليه.

٧٢ ـ كتاب إيضاح مخالفة السنّة لنص الكتاب والسنّة رأينا له نسخة منه قديمة في خزانة الموقوفات الرضوية، سلك فيه مسلكاً عجيباً، والذي وصل إلينا هو المجلد الثاني وفيه سورة آل عمران لا غير، ذكر فيه مخالفتهم لكل آية من وجوه كثيرة بل لأكثر الكلمات.

٧٣ ـ إجازة طويلة مبسوطة لبني زهرة.

٧٤ ـ الباب الحادي عشر في الكلام.

٧٥ ـ مختصر مصباح المتهجد اسمه منهاج الصلاة في اختصار المصباح وهو عشرة أبواب والباب الحادي عشر جزء منه ملحق به لأنه خارج عن المصباح.

٧٦ ـ جوابات مهنّا بن سنان انتهى كلام أمل الآمل.

والبعض اعتبر كتاب الكشكول من مصنّفات أفضل المتألهين حيدر بن علي بن العبيدي الحسيني. وقال الشيخ البهائي: إنّ من مصنفات العلامة كتاب شرح الإشارات.

والمعروف أن العلامة قضى صلوات عمره ثلاث أو أربع مرات احتياطاً. رحمه اللّه تعالى وأسكنه في غرف الجنان وحشره مع رسوله المختار وأهل بيته الأطهار الأبرار.

(٩٠)

جعفر بن يحيى بن حسن المحقق الأول

جعفر بن يحيى بن حسن بن سعيد الهذلي الملقب بنجم الدين والمحقق والمكنّى بأبي القاسم، كشاف شرائع النبي في آخر الزمان والنافع في انتصار الشرع وإبطال الأديان، ذو فقه وكلام وأصول بأحسن بيان ونهاية استخراج لنكت ودقائق عارج معارج لطائف الحقائق، كان أوحد الزمان في الشعر والأدب والإنشاء. وأبوه الشيخ حسن من مشايخ الإجازة، وجده يحيى أيضاً من الفقهاء وأجلة العلماء، ولحسن إجازة من أبيه يحيى.

وقال بعض الأجلاء من تلامذة الملّا محمّد باقر المجلسي: كانت ولادة السعيد المحقق سنة ٦٣٨ هجرية ووفاته ليلة السبت في محرم الحرام من سنة ٧٢٦. لكن قال جمع: إنّ وفاته كانت سنة ٦٧٦. وعلى كلّ حال فإن تاريخ وفاته لا يخلو من تشويش.

وقال العلامة في إجازة بني زهرة: كان المحقق أفضل أهل عصره في علم الفقه. واعترض عليه الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني بأنّه لو ترك التقليد بأهل زمانه لكان أصوب لأننا لا نعلم مثله في فقهائنا. وذكر أهل الرجال أن المحقق كان من أهل الزمان، وعندما جاء الخواجة نصير الدين الطوسي إلى بغداد وأراد أن يذهب لزيارة علماء الحلة عزم المحقق على جمع فقهاء الحلة والذهاب لاستقباله، وعندما علم الخواجة بذلك لم يرض، وحينما وصل الخواجة كان المحقق

مشغولاً بالتدريس فدخل المحقق الطوسي إلى مجلس درس المحقق الحلي وهو يدرّس الشرائع استدلالياً، فترك المحقق الدرس إجلالاً وتعظيماً للمحقق الطوسي، وبعد الانتهاء من المجاملات والسؤال عن الأحوال طلب الخواجة نصير الدين من المحقق أن يكمل درسه فامتنع المحقق ثم قبل بعد إصرار الخواجة، وكان درسه في استحباب تياسر أهل العراق عندالصلاة فاعترض المحقق الطوسي على المحقق أنّ هذا الاستحباب لا وجه له؛ لأن التياسر إن كان عن القبلة فهو حرام وإن كان إليها فهو واجب، لكن مع كون الخواجة في العلوم الرياضية فريد الأعصار ووحيد الأدوار فقد أبرز المحقق توجيهاً فقال: التياسر هو من القبلة إلى القبلة. فسكت الخواجة ثم ألّف بعد ذلك المحقق رسالة لطيفة في حلّ ذلك الإشكال ذكر فيها وجوهاً عديدة وأرسلها إلى المحقق الطوسي في بغداد فأعجبته، وقد نقل تلك الرسالة أحمد بن فهد في كتاب المهذب البارع في شرح المختصر النافع بتمامها كما نقلها صاحب المدارك.

وكتب العلامة الحلي في إجازة بني زهرة أنّه عندما جاء الخواجة نصير الدين وزير هولاكو إلى الحلة أقام الفقهاء فيها محفلاً فسأل الخواجة المحقق عن الأعلم من هذه الجماعة فقال المحقق: هؤلاء كلهم فضلاء وعلماء وإن كان كلّ واحد منهم بارزاً في فن غير الآخر. فسأله الخواجة عن أعلمهم بالأُصولين فأشار المحقق إلى الشيخ سديد الدين يوسف بن مطهر وإلى الفقيه سديد الدين محمّد بن جهم ثم قال: هذان أعلم هذه الجماعة بعلم الكلام وأُصول الفقه. فتكدّر من كلامه يحيى بن سعيد صاحب الجامع وابن عمّ المحقّق وكتب رسالة إلى ابن عمه المحقق ضمّنها أشعاراً يعاتبه فيها بأنّه لماذا قلّلت من قدري وذكرت ابن المطهر وابن الجهم ولم تذكرني، ومن هذه الأبيات هي:

لا تهــــن مــــن عـــظيم قـــدر وإن كنت مشــاراً إليــه بــالتعظيم

فــــللبيت الكـريم نـقيص قـدر بـالتعدي عـلى اللـبيب الكـريم

فكتب المحقق في الجواب: أنني لو ذكرت اسمك وسألك المحقق الطوسي عـن مسألة في الأُصوليين وتوقفت وعجزت عن الجواب فلا يبقى لنا إلّا الخجل والعار.

وقال بعض الأجلاء الأعلام من متأخري المتأخرين: وجدت بخـط بـعض الأفاضل ما مضمونه أنّ الشيخ الفقيه أبا جعفر بن حســن بـن يحـيى بـن سـعيد الحلي﵀ سقط يوم الخميس صباحاً في ١٣ ربيع الأول سـنة ٦٧٦ مـن الدرج في أعلى البيت وتوفي في تلك اللحظة دون أية حركة، فبكى عليه الناس بكاءً شديداً وحضر جنازته خلق كثير وأخذواجثمانه إلى مشهد أمير المؤمنين﵇. وسُئل عن مولده فقال: سنة ٦٠٢ فعمره إذن ٧٤ سنة تقريباً.

وكان المحقق شاعراً حسناً وأشعاره في غاية الجودة مثل ما كتبه لأبيه:

ليهــنك إني كـلّ يـوم إلى العـلا أُقدم رجـلاً لا يـزلّ بهـا النـعل

فعندما رأى والده هذه الرسالة والأشعار كتب فوقها: على الرغـم مـن أنك كتبت شعراً حسناً لكنك أسأت بحقّ نفسك، أولم تعلم أن الشعر صناعة من نـزع عنه لباس الفقه ولبس خرقة، والشاعر ملعون وإن قال صواباً ومرتبته ناقصة وإن قال شعراً عجباً، وإني أرى بحق أن الشعر يخـرب عـليك فـضيلتك فسـتكون في جماعة لن ترى لك فضيلة إلا الشعر فيسمونك شاعراً. وعـندما رأى ذلك المحـقق ترك الشعر وكأنه لم يكن شاعراً أبداً.

ومن أشعار المحقق:

يــا راقــداً والمــنايا غـير راقـدة وعــاملاء سهـام المـوت تـرميه

عـا اغــترارك والأيـام مـرصدة والدهــر قـد مـلأ الأسماع راعـيه

أمـا أرتك الليـالي قـبح دخـلتها وغــدرها بـالتي كـانت تـصافيه

رفـقاً بـنفسك يـا مـغرور إن لهـا يوماً تشيب النواصي من دواهـيه

ومن له إجازة من المحقق هم: العلامة الحلي وأخـوه رضي الديـن عـلي بـن يوسف وحسن بن داود، ولجنابه إجازة من أبيه، ومن الشيخ صـالح تـاج الديـن حسن بن دربي، ومن السيّد محيي الدين محمّد بن عبدالله بن عـلي زهـرة، ومـن نجيب الدين محمّد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما، ومن السيّد شمس الدين فخار بـن معد الموسوي.

وليعلم أن المحقق هو أول المتأخّرين ويسمّي العلماء مـن سـبقه بـالمتقدّمين. وقول صاحب المعالم في بحث المفرد المحلّى بـاللام: «مـتقدمي الأصـحاب سـوى المحقق» الاستثناء فيه إمـا مـنقطع أو لاتـصال المحـقق بـالمتقدمين أدخـله فـيهم للمجاورة. والتحقيق أن المتأخرين في اصطلاح الفقهاء والأصوليين أولهم المحقق.

ومن تأليفات المحقق: كتاب شرائع الإسلام في مسـائل الحـلام والحـرام، في مجلّدين وفي غاية التنقيح والتحرير، رأى بعض أنّه ١٥ ألف مسألة وبعض آخر ١٣ ألف مسألة والمشهور أنّه ١٢ ألف مسألة، وعليه شروح كثيرة مـنها: شرح هـذا الفقير المسمّى ببدائع الأحكام في شرح الشرائع وهـو مشـتمل عـلى سـتة آلاف مسألة؛ وكتاب المعتبر في شرح المختصر خرج منه العبادات وبعض المتاجر في عدّة مجلّدات ولم يتم، ورسالة التياسر في القبلة التي تقدم ذكرها، وكتاب نكت النهاية في شرح نهاية الشيخ الطوسي، ومجلد المسـائل الغـرية، ومجـلد المسـائل المـصرية، والمسلك في أُصول الدين مجلّد، وكتاب المعارج في أُصول الفقه، وكتاب قـديم في

المنطق ونهج الأُصول، وكتاب التنبيه في المنطق. ولا يخفى أن جلالة المحقق أكبر من أن يحررها بيان، فمن ذلك أن جمعاً من العلماء ذكروا أن بعض أهل السفن ذهبوا إلى الجزيرة الخضراء حيث مقام أولاد صاحب الأمر ﷺ، وذكروا أن من الفقهاء الذين تُذكر أسماؤهم في بلاد صاحب الأمر بالتعظيم هـم المحـقق الأول والشـيخ المـفيد والصدوق والشيخ الطوسي، ونقل عن كبير تلك البلاد أنّ الشرائع مطابق للواقـع كله ما عدا مسألتين لم يبيّنهما؛ ولذا قال بعض الأذكياء: يجب طرح تينك المسألتين من الأول والله أعلم.

وحكى الشيخ أسدالله الكاظمي حكاية ذكر اسم المحقق في الجزيرة الخضراء إجمالاً في كتاب المقابيس رحمه الله تعالى وأسكنه في غرف الجنان وحشره مع النبي وآله الأطهار.

(٩١)
محمّد بن محمّد الخواجة نصير الدين الطوسي ﷺ

محمّد بن محمّد بن حسن الطوسي الرصدي المعروف بالخواجة نصير والمشهور بالمحقق الطوسي والملقب بنصير الدين الطوسي، وهو فقيه صاغ فقهاء جميع العصور طوق الإذعان لفضيلته وفطانته وكياسته قلادة لرقابهم، ولم يروا أعلم منه، أجلى العقائد الأصلية والمقاصد الفرعية بفكره الثاقب وحدسه الصائب، وهو حكيم رأيه القويم في صورة الشريعة بمنزلة الهيولي، عليم نظره الصائب في جميع الأحوال على العلّة الأُولى، وإمام اتّفق أئمة الدين على فضله وتقديمه، وهمام اعترف أهل اليقين ببحر معرفته، ونحرير استرقّ تحريره حكمة العلماء وصهر تجريده نقد محصل أفكار العلماء الكبار في بوتقة الاعتبار، وفيلسوف افتخرت به روح أفلاطون وأرسطو ونطق بالشكر لمساعيه الجميلة لسان حال أبي علي ابن سينا، وطريقه العقل الفعال في إشراق الطفل، ومشكلات أهل الكمال تنحل بنظرة منه، واستدرك في غاية علو الحكمة وكمال الإدراك معالم تحقيقات أبي علي التي كادت تندرس بتصارم شبهات أبي البركات اليهودي وتشكيكات فخر الدين الرازي، وأوهن إيرادتهم التي أطلقوها لظاهر فهمهم ولقصورهم.

وعندما توفي الإمام الفخر الرازي وضع ذلك الجوهر الطاهر قدمه على الأرض، وكان تاريخه هذه الآية الشريفة: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ

إنّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[1].

أصله من جهرود ساوه وولد هذا السعيد في ١١ جمادى الأُولى سنة ٥٩٧ في طوس. فرغ من شرح الإشارات في شهر صفر سنة ٦٤٤ وابتدأ الرصد في مراغة يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الأُولى سنة ٦٥٧. عاش ٧٥ سنة وتوفي في ١٧ ذي الحجة سنة ٦٧٠.

وسمعت بعض حكاياته من والدي الماجد وخالي المفضال السيّد أبي جعفر ومن الألسنة والأفواه فذكرناها قبل ٢٠ عاماً في كتاب تذكرة العلماء، ثم علمنا بعد تتبع كثير أن بعض فقراتها لا تخلو من خبط، وحيث إنّ تلك الحكاية مشهورة ذكرناها، ثم ستذكر بعد ذلك ما ورد في الكتب المعتبرة وذكره العلماء المهرة.

والمشهور أنّ المحقق الطوسي صنّف كتاباً خلال عشرين سنة في مدح أهل بيت النبي ﷺ فأرسله إلى بغداد لينظر فيه الخليفة العباسي، وفي يوم كان الخليفة يتنزه وسط نهر بغداد مع ابن الحاجب فسلم المحقق الطوسي الكتاب للخليفة الذي أعطاه لابن الحاجب، وعندما وقع نظر ابن الحاجب الناصبي على مدائح الآل الأطهار للنبي عليهم صلوات اللّه رماه في الماء وقال: أعجبني تلمه. أي أسعدني ارتفاع الماء عندما ألقيت الكتاب فيه وارتفعت بعض قطراته. وبعدما خرجوا من الماء طلبوا المحقق الطوسي ثم قال له ابن الحاجب: من أين أنت أيها الشيخ؟ قال: من أهل طوس. فقال ابن الحاجب: من أبطال طوس أم من جهالها؟ قال الخواجة: من أبطال طوس. فقال ابن الحاجب: وما هو سندك؟ قال: سندي في طوس اذهب وآتي به.

وعاد الخواجة متكدّراً إلى دياره، ثم رأى في ليلة بعالم الرؤيا أن قبراً في مكان

---

(١) الإسراء ١٧ / ٨١.

وقد كتب حول صندوقه اثني عشر إماماً وهو ما يعرف باثني عشرية الخواجة نصير، وكان هناك شخص جالس فعلمه تلك الاثني عشرية وطريقة ختمها، وكان ذلك الشخص هو الإمام صاحب الأمر. فاستيقظ الخواجة من النوم وكان ذلك الدعاء هو دعاء التوسل المذكور في كتب الأدعية والمأثور عن آل الرسول، لكن الخواجة نسي بعض فقرات ما علمه فنام مرة أُخرى فرأى ذات المنام وتعلّم ما نسيه ثم استيقظ وكتبه واشتغل بختمه لدفع الخليفة العباسي.

ثم ضرب الرمل في خراسان وعين أن السلطان هو من مكان ما، فضرب الرمل في ذلك المكان وحدّد البيت الذي يخرج منه السلطان وكان بيت امرأة عندها طفلان، فأخذ الخواجة الطفلين وربّاهما ثم علم بفراسته أن أحدهما هو السلطان بعد أن حدده بالقرعة وكان اسمه هولاكو خان، فسعى غاية سعيه في تربيته وقال له يوماً: ماذا تفعل لي إن صرت سلطاناً؟ قال له: أجعلك وزيري. فأخذ منه الخواجة عهداً بهذا المضمون.

ثم تهيّأت بعد مدّة الأسباب وصار هولاكو حاكم خراسان بعد أن قتل حاكمها وجعل الخواجة وزيره، وتحرك من هناك وبدأ باحتلال المدن حتى وصل إلى بغداد وقتل الخليفة العباسي واستأصل بني العباس، وهرب ابن الحاجب عندما رأى ما جرت عليه الأُمور واختبأ في منزل شخص، وجاء بطشت وملأه بالدم ووضع عليه شيئاً وفوق هذا الشي وضع بساطاً وجلس عليه حتى لا يجد الخواجة مكانه بعلم الرمل فتحير الخواجة إذ مهما ضرب الرمل لم يستطع أن يعرف أين هو؟ ولم يجد لابن الحاجب أثراً، فأمر أن يعطى كلّ صاحب بيت في بغداد خروفاً بعد وزنه ثم يسلّمه من جديد بالوزن نفسه، فجاء صاحب البيت إلى ابن الحاجب وقال له: إنهم أعطوني خروفاً حتى اسلّمه بعد مدّة دون نقيصة أو زيادة، وأنا متحيّر كيف يمكن أن يبقى الخروف على حاله حتى اسلّمه بالوزن نفسه؟ فقال

له ابن الحاجب: لا تهتم قدّم للخروف كلّ يوم مقداراً من العلف واذهب وائت بذئب صغير وأره للخروف كلّ يوم مرة فإن اللحم الذي نما له من العلف يذوب برؤيته للذئب. وفعل ذلك صاحب البيت إلى أن جاء اليوم الذي أرادوا فيه استرداد الخرفان فوزنوها فوجدوا أنّ جميعها قد تغيّر وزنه إلّا خروف صاحب البيت الذي فيه ابن الحاجب بقي وزنه على حاله لم يتبدل لا بنقيصة ولا زيادة، فأرسل الخواجة شخصاً وأحضر ابن الحاجب من ذلك البيت وأتى به إلى السلطان والخواجة ووقف أمامهما فقال الخواجة لابن الحاجب: كُنت قد قلت لك: إنني من أبطال طوس وآتي بسندي وهو هذا السلطان الذي أتيت به معي. ثم ذهب الخواجة إلى شاطئ النهر وطلب مكتبة ابن الحاجب فرمى بها كتاباً في الماء وهو يقول: أعجبني تلمه. وابن الحاجب واقف ينظر بحسرة ثم ترجّى الخواجة أن لا يرمي بثلاثة كتب تنفع المبتدئين وهي: الشافية في الصرف والكافية في النحو ومختصر الأُصول. فقبل الخواجة التماسه، ثم أمر أن يسلخ جلد ابن الحاجب كالخروف ويلغى والقاء جسده في نهر بغداد، وكان ابن الحاجب حينذاك شاباً وقد خطت لحيته حديثاً.

وهذه الحكاية فيها وجوه من الخطأ والقدح، منها: أن هولاكو لم يكن يسكن في خراسان بل هو من أُمراء وأبناء جنكيز خان جاء من تركستان كما ذكر أهل التواريخ.

ومنها: أن ابن الحاجب لم يكن في بغداد ولم يقتل في تلك السنة. وقال الآغا محمّد علي بن محمّد ﷺ في كتاب المقامع: وهذه الحكاية كذب ومن جملة ما يصدق عليها: ربّ مشهور لا أصل له؛ لأنّ وفاة ابن الحاجب ـ والذي اسمه عثمان بن عمرو بن أبي بكر المالكي ـ كانت في الإسكندرية بمصر يوم الخميس ١٦ شوال من سنة ٦٤٦ وكان فتح بغداد بيد هولاكو والخواجة سنة ٦٥٥ واللّه أعلم.

ومنها: أن كتب ابن الحاجب لم تكن غير منسوخة حتى يطلب ابن الحاجب إبقاءها على وهناك عدّة نسخ من بعضها في الأقل.

ومنها: أنّه يوجد من كتب ابن الحاجب غير الكافية والشافية ومختصر الأُصول كتب أُخرى متداولة مثل: الأمالي، وقصيدة في تعداد المؤنّثات السماعية، وشرح للكافية.

وحيث أنجر الكلام إلى هذا المقام فلا ضير في ذكر تأليفات ابن الحاجب: فمنها الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الأُصول في علم الأُصول، والأمالي على ما ذكر السيوطي في شرح:

والاسم منه معرب ومبني　　　لشبه من الحروف مدني

إذ قال: وعلّله ابن الحاجب في أماليه... والمراد من الأمالي ما كانت عليه طريقة المؤلفين سابقاً من أنهم كانوا إذا فرغوا من تأليف يأخذون كتاباً في أيديهم يكتبون فيه بعض المطالب الحسنة حتى يؤلّفون بعد ذلك ويدرجوا فيه تلك الموضوعات فيكون مثل الكشكول ويسمّونه الأمالي مثل أمالي الصدوق وأمثاله.

ومن جملة مؤلّفات ابن الحاجب قصيدة في بيان المؤنّثات السماعية من واجب التأنيث وجائز الوجهين وقد شرحها الآغا القزويني وللشافية شروح كثيرة مثل: شرح الرضي الاسترآبادي عليه الرحمة وهو من علماء الإمامية وملقّب بنجم الدين كتب الشرح في النجف في مجلّدين، وشرح الآغا هادي، وشرح النظام وشرح الجاربردي؛ وأمّا الكافية فلها شروح كثيرة مثل: شرح الرضي في مجلّدين وهو أحسن الشروح لم يكتب مثله في النحو، وشرح الجنيصي، وشرح المصنّف، والوافية في تركيب الكافية، وشرح عصام وهو لطيف أيضاً، وشرح الهندي وهو مشحون بالأخطاء، وشرح كيبا الذي كتبه السيّد الشريف لابن أحد طبّاخي

رؤوس الغنم والبقر وهو بالفارسية، وسبب تأليفه وتسميته بكيبا أنّه عندما كان السيّد الشريف مشتغلاً بالدراسة في إصفهان وما زلت غرفته موجودة عندما كنت أدرس في إصفهان، وكان فقيراً جداً، فأرسل الطباخ ولده إليه ليدرّسه على أن يعطيه كلّ يوم رأس خروف، فكتب السيّد الشريف له الأمثلة وصرف مير والصغرى والكبرى وشرح كيبا.

ومن شروح الكافية: الشرح الكبير والشرح المتوسط وللسيّد الشريف حاشية مدونة على الشرح المتوسط كما له حاشية غير مدونة على شرح الرضي أيضاً. ومن جملة شروحها: شرح الجامي وهو مشهور الآن عند الطلاب وأصحاب العلم يشتغلون بدراسته وتدريسه وكتبت عليه حواشي كثيرة مع أنّه ليس إلّا تأليفاً وجمعاً لكلام الشرّاح وليس فيه شيء من عنده؛ ومنها: حاشية عصام وهي أدق وأفضل الحواشي، وحاشية السيّد نعمة اللّه الجزائري ﷺ وهي جيدة، وحاشية العصمة وهي أفضل من عصام. لكن النسخة التي شاهدتها غير تامّة، وحاشية عبد الغفور من تلامذة الملّا جامي، ولمؤلف الكتاب هذا حاشية اسمها الموائد الاختراعية وقد كتبت مقدمتها بالحروف غير المنقطة وهي أحسن الحواشي لم يعمل مثلها في النحو؛ إذ ذكرت في كلّ مورد فيه الإشكال على المصنّف والشارح وذكرت ثلاثين حتى أربعين إشكالاً، وفي كلّ مورد أردت استخراج مطلب استخرجت منه عشرة أو خمسة عشر مطلباً، وكلما قال الشارح «أي» فهي إشارة إلى دفع إشكال الشرّاح وإشارة إلى إفادة مطالب عديدة وهذا من خواص هذه الحاشية، وردت على عصام وباقي أصحاب الحواشي، وعندما أردت الإشكال على قول المصنّف: «الإعراب ما اختلف به» ذكرت قبل الرجوع إلى الحواشي أربعين إيراداً على هذه العبارة، وعندما رجعت إليها وجدت بعضهم قد ارتكب إيراداً وبعض آخر إيرادين وثالث ثلاثة إيرادات

وعصام ارتكب أربعة إيرادات.

والمعروف أن الملّا محسن الفيض كان في عينه نقص فأرسل إليه جامي هذا البيت:

يا من كالثعلب في صفاته إذا لم تكن ثعلباً
فقل حقاً: لماذا عينك اليسرى عمياء؟

فأرسل إليه الملّا محسن هذا الرباعي رداً عليه:

في المذهب تهذيب العالم عين العطاء
تعمى اليسرى ومنهجنا استقامة النظر
يا من كالثعلب في صفاته إذا لم تكن ثعلباً
فلماذا فيك بغض علي وآله

يقول مؤلف الكتاب: إنّ هذا الشاعر ليس هو الملّا جامي شارح الكافية؛ لأنّه أسبق بحسب التاريخ من الملّا محسن، بل هذا الملّا جامي الشاعر الذي له ديوان ومن أشعاره: كتاب يوسف وزليخا، وله شرح على فصوص محيي الدين بن عربي كلحليب والسكر، أي في بعض موارده عربي وفي بعضها فارسي، وهو صوفي وسني وهو وإن قال في آخر هذه القصيدة: أصبحت زائراً لك يا شحنة النجف لكنه ليس شيعياً كما ظنوه من بعض كلماته، وقد عدّ القاضي نور اللّه في كتاب المجالس أكثر السنة والصوفية شيعة وجيدين إلا الملّا جامي فقد اعتبره سنّياً.

وحيث تقدم الحديث عن السيّد الشريف وكتابته لشرح الكافية فلا ضير في ذكر مجمل عن أحواله وأحوال الملّا سعد.

أعلم أن الملّا سعد من فضلاء أهل السنة توفي سنة ٧٩٣، كما أن السيّد الشريف من فضلائهم تلمذ مدّة للملّا سعد بعد ذلك صار إلى معارضته، فكتب الملّا

سعد شرحاً على تصريح الزنجاني وكتب السيّد شريف الأمثلة وتصريف مير، وكتب الملّا سعد التهذيب في المنطق وهو متن حاشية الملّا عبد الله وكتب السيّد الشريف رسالة الكبرى والصغرى وكتب حاشية على شرح المطالع، وكتب الملّا سعد حاشية على الشمسية ليدرسها الناس فكتب السيّد شريف حاشية على شرح الشمسية لقطب المحققين فترك الناس حاشية املا سعد، وكتب الملّا سعد شرحاً على الارشاد في علم النحو وكتب السيّد الشريف حاشية على الشرح المتوسط وحاشية على شرح الرضي وشرح كيبا وهو شرح للكافية، وكتب الملّا سعد في المعاني والبيان المطول والمختصر وكتب السيّد الشريف شرحاً على المفتاح وحاشية مدونة على المطول لعل المطول يُترك لكن لم يحصل هذا، وكتب الملّاسعد في علم الكلام المقاصد وشرحها فكتب السيّد الشريف شرحاً على مواقف العضدي، وكتب الملّا سعد في علم الأُصول شرحاً على شرع العضدي على مختصر الأُصول فكتب السيّد الشريف أيضاً حاشية على الكشاف.

ويقال: إن الملّا سعد خرج من فمه كثير من الرغوة عندما كان يحتضر ولما أخبروا السيّد الشريف بذلك قال: هذه فضلات ما أكله الملّا سعد في شرح التصريف قد خرجت الآن.

ويقال أيضاً: إنّ الملّا سعد لم يكن عنده شرح الرضي عند كتابة النصف الأول من المطول؛ ولذا استغرق ست سنين في كتابته، وفي النصف الثاني عثر على شرح الرضي فكتبه في ستة أشهر.

يقول مؤلف الكتاب: إنّ هذا الكلام لا أصل له بحسب الظاهر؛ لأنّ النصف الأخير من المطوّل بديع وبيان وقلّما تحدث الرضي في شرحه عن البيان والبديع، نعم النصف الأول في علم المعاني وأغلبه مسائل نحوية وهناك

حاجة فيه إلى شرح الرضي.

ويقال أيضاً: إنّ الملّا سعد هجا بعض العلماء المعاصرين له وذكر هذا البيت على طريقة الألغاز:

ولست جديراً أن تكون مقدماً   وما أنت إلا نصف ضد المقدم

وضد المقدّم مؤخر، ونصف المؤخر «خر» وهي في الفارسية بمعنى حمار.

ويقال أيضاً إنّه عندما دخل السيّد الشريف في معارضة الملّا سعد والرد على مؤلفاته كتب إليه الملّا سعد: أن لا تكتب حاشية على كتابين من كتبي، الأول: هو شرح التصريف؛ لأنّك إن رددته تفضحني وهو أول مؤلفاتي وأنا معترف بقصوري في ذلك الكتاب؛ والثاني: تهذيب النطق؛ لأنّني لم أكتبه بحيث يورد عليه ولم أتجاوز فيه ما هو من مسلّمات القوم، فإن علقت عليه وأشكلت فهذا يوجب فضيحتك.

ويقال: إنّ الملّا سعد كان قاضي تفتازان فأراد السيّد الشريف أن يعيب كتابه وأن يأخذ منه منصب القضاء، فذهب إلى مجلس السلطان وحضر الملّا سعد مع تلامذته ووضعوا تحت الملّا سعد ستة مساند واتّفقوا على أنّه كلما غلب السيّد الشريف الملّا سعد في مسألة يؤخذ مسند من تحت الملّا سعد ويوضع تحت السيّد الشريف، كما اتفقوا على أنّ لا يتكلم أحد من تلامذتهما وإذا تكلم أحد منهم يقطع لسانه، فغلب السيّد الشريف الملّا سعد في ستة مسائل وكانت ذاكرة الملّا سعد ضعيفة فسحبت المساند الستة وأُعطيت للسيّد الشريف ثم سأل السيّد الشريف الملّا سعد: العلم من أي مقولة؟ فسكت الملّا سعد فقال الخطائي وهو من فضلاء تلامذته اثتوا بالنرجيلة. فقال الملّا سعد: من مقولة الكيف. فقال السيّد الشريف: إن الذي أجاب هو الخطائي. وكان الشرط أن لا يتحدث أحد من التلامذة فقطعوا لسان الخطائي بناء على الاتفاق، ومنذ ذلك الحين صار اسم هذا الشخص الخطائي.

ويقال: إنّ هذه الحكاية لا أصل لها وإنّ اسم هـذا الشـخص الختـائي وهـو منسوب إلى مدينة ختاء ولم يكن في ذلك الزمان نرجيلة، كما أن الملّا سعد لم يكن إلى هذا المستوى من قلّة الفهم وإن كانت المناقشات بين الطرفين مشهورة وكـانا دائماً في معارضة.

درس السيّد الشريف عند قطب المحققين محمّد بـن محـمّد الرازي البـويهي، والملّا جلال الدواني من تلامذة السيّد الشريف.

ويقال: إنّ السيّد الشريف كان له اعتقاد فاسد في حق فاطمة ﷺ وأنكر القول بعصمتها، وكتب رسالة في هذه المسألة، فأذلّه اللّه من ذلك الحين، وكلما رزق فتاة كانت تولد من غيره بكارة. وكانت ولادة السيّد الشريـف سـنة ٧٤٠ في بـلدة جرجان وتوفي سنة ٨١٦ فعمره ٧٦ سنة.

وحاصل الكلام في الخواجة نصير الدين الطوسي: أنّه قد بلغ غاية المجادلة في إحياء مذهب الشيعة، وكان عند مناقشته لعلماء العـامة في الإمـامة يـلزمهم، وإذا ألزمهم يرى إن اختاروا التشيع فحسن جداً وإلا كان يقطع رؤوسهم.

وقد سمعت من الخال المفضال قدوة أهل العلم والكمال العالم الزاهـد الأنـور السيّد جعفر أنّه كان في ذلك الزمان الملّا قطب الدين الشيرازي السني، وكان عنده مجلس درس وكان جامعاً فاضلاً، فبدّل الخواجة ملابسه وذهب إلى مجلس درسه وجلس إلى جانب الأحذية ولم ينطق بشيء أثـناء الدرس، وبـعد ذلك ذهب إلى منزله فعرفه الشخص الذي كان يجلس إلى جـانبه فـقال بـعد انـقضاء المجـلس للأُستاذ: إن هذا الذي كان يجلس جنبي هو الخواجة نصير الدين. فقال الملّا قطب: بالتأكيد سيأتي في اليوم التالي وحينها نتحدث في علم لا يعرف عنه شيئاً. فقالوا له: إن له كتباً ومؤلفات في كلّ علم ما عدا علم الطبّ فلم نسمع في مؤلفاته ما هو في

علم الطب. فطلب الملّا قطب من التلامذة أن يحضروا معهم كتاب القانون وسوف يدرس بحث النبض من الكتاب.

وفي اليوم التالي اجتمع التلامذة وبدأ الملّا قطب بتدريس بحث النبض وذكر إشكالات كثيرة على الشيخ الرئيس كما ذكر تحقيقاته، فنظر الملّا قطب إلى التلميذ الجالس قرب الخواجة وقال له: هل فهمت المسألة؟ قال التلميذ: نعم. فقال الملّا قطب: إذن قرّرها. وعند التقرير تلعثم التلميذ فقال الخواجة: إن سمحت أنا أقرر المسألة. فقال له الملّا قطب: أنتم أيضاً فهمتم. فقال: نعم قال له: إذن قرر. فقال له الخواجة: أُبين أغلاطك أم ما هو الحق؟ فقال له الملّا قطب: اذكر أولاً كلامي ثم اذكر أغلاطي وبعد ذلك أذكر الحق عندك. فذكر الخواجة إيرادات الملّا قطب ثم ذكر أغلاطه ورد إيراداته ثم ذكر تحقيق الحق، فقام الملّا قطب من محله وأخذ بيد الخواجة وأجلسه مكانه واحترمه كمال الاحترام، ثم جرى بينهما نقاش في الإمامة فأقنعه الخواجة وأثبت خلافة أمير المؤمنين؈ وصار الملّا قطب شيعياً.

ثم ارتد بعد ذلك وعاد إلى مذهبه الأول، فعاد الخواجة إلى مناظرته وهكذا ثلاث مرات والملّا قطب يعود إلى مذهبه إلى أن طلب منه الخواجة المناظرة فقال له الملّا قطب: لا طاقة لي على مناظرتك فأمر أحد التلامذة أن يناظرني فإن أقنعني تشيعت ولا أعود أبداً. فطلب الخواجة من بعض التلامذة مناظرته فأقنعه فتشيع الملّا قطب ولم يرجع وصار من تلامذة الخواجة وكان معه وبقي عنده إلى أن كان الخواجة يوماً يرتب صفوف الحرب لمحاربة الخليفة العباسي، وكان الملّا قطب قد ذكر اثني عشر إشكالاً في المنطق لم تحل حتى ذلك اليوم، فكان يذكر الملّا قطب للخواجة الإشكال بعد الإشكال والخواجة يجيب إلى أن رتب الخواجة اثني عشر صفاً وقد حل الإشكالات كلها.

وذكر أيضاً الخال المفضال السيّد أبو جعفر التنكابني: أن هولاكو كان ضعيف الإيمان فقال يوماً للخواجة: إنّ كلّ سلطان يكتب أوامره إلى رعاياه فأين هو دستور إلهك؟ فقال الخواجة: سيصل دستور إلهنا. فأمر بأن يكتب القرآن على جلد غزال فبلغ خمسين حملاً من الإبل ودخلوا في جماعة كثيرة بالطبول والأبواق، وكان الخواجة حينها جالساً مع هولاكو، وعندما تردّدت أصوات الطبول والأبواق نهض دون اختيار لاستقبالهم وقال لهولاكو: هذا هو دستور إلهي الذي يأتون به. فقام هولاكو من محلّه وتوجّه مع الخواجة لاستقبالهم وأدخلوهم بإعزاز، ثم طلب هولاكو من الخواجة أن يستدلّ على أحكام العبادات بالعقل بحيث يقبل السلطان، فوافق واستدل عليها بحيث أقنع هولاكو خان ما عدا مسألتين عجز الخواجة عنهما وهما في أعمال مناسك الحج، وإحداهما الهرولة والأُخرى رمي الجمرات.

ويقال: إنّه عندما توفيت والدة هولاكو قال بعض أعاظم علماء العامة لهولاكو خان: إنّ منكراً ونكيراً يسألان الأموات في القبر عن اعتقاداتهم وأعمالهم، ووالدتك من العوام وليس لها اطلاع على السؤال والجواب، فأرسل الخواجة نصير الدين ليكون في قبرها ويجيب منكراً ونكيراً. ففهم الخواجة أن في الأمر سعاية من علماء العامة فقال الخواجة للسلطان: إن سؤال منكر ونكير في القبر ثابت لكل شخص حتى لكم أنتم السلاطين فلأكن أنا معك وأرسل ذلك الشخص من علماء العامة ليكون في القبر عند والدتك ويجيب الملكين. فأمر هولاكو بأن يقبر ذلك العالم السنّي في قبر والدته ففعلوا وأهالوا على رأسه تراب المذلّة ويتّموا أولاده.

وكان هذا المعظم على رأس أهل الزمان في العلوم العقلية والنقلية والهيئة والحساب والنجوم والرمل والجفر والاسطرلاب، وكتب في الرمل رسالة هي من

أحسن الرسائل، كما كتب الخفري أيضاً رسالة في الرمل وهي من أحسن رسائل هذا الفن، كما كتب رسالة في الجفر أيضاً.

وكان في النجوم أعلم الزمان. ويقال: إنّ الخواجة سافر مرة ليلاً وأراد النزول في الصحراء والنوم فيها، فجاءه صاحب طاحونة كان له بيت هناك قال له: إن الليلة ستمطر فادخل الطاحونة ونم فيها. فأخرج الخواجة الاسطرلاب فلم يـر مـطراً فقال له: لعلها لن تمطر الليلة. فنام الخواجة في الصحراء وعند مضي زمن من الليل هطل المطر فقام الخواجة ومن معه ودخلوا الطاحونة والتجؤوا فيها، فسأل الخواجة ذلك الرجل: من أين علمت أنها ستمطر الليلة؟ فقال له: إن عندنا كلباً إذا دخل الطاحونة علمنا أنّها ستمطر، وأمس عصراً دخل الكلب إلى الطاحونة. فقال الخواجة: يا حسرة على عمر أفنيناه ولم نبلغ في الفهم والإدراك ما يفهمه الكلب.

وكان يعتقد في بداية الأمر أنّ كلّ من لا يستطيع أن يثبت التوحيد وسائر الأُصول الحقة بالبرهان فهو مشرك واجب القتل؛ ولذا كان يـؤدّب الكثير من الناس ويقتل من لم يتعلم إلى أن كان في وقت في صحراء فرأى شخصاً يزرع فقاد الخواجة فرسه متوجهاً نحوه وقال له: اللّه واحد أم اثنان؟ قال: واحد. فقال له الخواجة: إن قال شخص أنّه اثنان بماذا تجيب؟ قال: أضربه بهذا الجاروف وأشق رأسه قسمين. فعلم الخواجة أن المزارع راسخ الاعتقاد وعدل عن رأيه، وعلم أن العلم بالبراهين الفلسفية ليس شرطاً ويكفي اليقين.

ويقال: إنّه كتب إليه سؤال عن شعر حافظ الذي يقول فيه: «في السفينة جالسون فيا ريح...» فهل تقرأ «نشستگان أم شكستگان»[1]. فكتب الخواجة:

---

(١) نشستگان من نشستن: أي الجلوس، وشكستگان من شكستن الكسر. (المترجم).

يرى البعض أنها «نشسته» وآخرون أنها «شكسته» ولا علم لنا بنية حافظ.

يقول مؤلف الكتاب: لا أعتقد أن هذا الشعر لحافظ لأن حافظاً تأخر عن زمان الخواجة إذ كانت وفاة الخواجة سنة ٦٧٢ وكانت وفاة الشاعر حافظ الشيرازي سنة ٧٩٢ على ما ذكره القاضي نور اللّه في كتاب المجالس.

ويقال: إنّ الخواجة ذهب إلى شيراز ونزل في طبقة عالية، وعندما سمع سعدي بأن الخواجة في شيراز ذهب لزيارته فصعد الدرج وهو يقول: «علي» عند كلّ درجة، وعندما وصل إلى الخواجة سلّم فسأله الخواجة أنت الشيخ سعدي؟ قال: نعم. قال له: أنت سني أم شيعي؟ قال: شيعي. قال له: إذا كنت شيعياً فلماذا مدحت الخلفاء؟ قال تقية: فقال الخواجة: لقد قتلنا المستعصم العباسي منذ مدّة فممن كنت تتقي ولماذا رثيته وقلت:

حق على السماء أن تبكي دماً على الأرض
في عزاء الملك المستعصم أمير المؤمنين

فلم يملك سعدي جواباً فأمر الخواجة أن تربط قدماه وتضربا حتى غطى بدنه صفار الخشب، ثم حمل وأخذ إلى بيته وعاش بعدها سبعة أو ثمانية أيام تقريباً ثم حُشرت روحه مع روح المستعصم العباسي.

وذكر البعض أنّه عمّر ١١٠ سنوات، ويرى البعض أنّه شيعي مثل القاضي نور اللّه في كتاب المجالس، ووالدي الماجد في مجموعة له وقال: كنت في شك من تشيع الشيخ سعدي سنين عديدة حتى علمت أنّه شيعي. ونقل أشعاراً له في التشيع.

يقول مؤلف الكتاب: هذه تصوّرات وقد كان سنياً، وأكثر الشعراء إما فساق أو فاسدو العقيدة وإن كانت كلماتهم تقبل التأويل، ولي في هذا

المقام مناظرة جيدة بيانها:

ذهبت في إحدى السنوات إلى بلدة لاهيجان وأبدى علماؤها احتراماً شديداً وأقاموا مجالس الضيافة، وكان أكثر علماء ذلك البلد حينئذٍ من القدماء والحكماء ولكن كانوا في الحكمة ناقصين وليس لهم كمال في هذا الفن، وكان طريق الشرع المطهّر في يد قلّة من علمائهم، وفي ليلة استضافني أحد علمائهم وكان أقواهم وأشهرهم ودعا العلماء، وبعد تناول الطعام قدّم لي ذلك العالم ديوان شعر في العرفان كتبه مثل ديوان حافظ حتى أُصحّحه، فقلت له: إن ديوانكم أجلّ من أن أُصحّحه أنا. وكان من أشعار ديوانه:

كل ما حدث فهو من السبحة والسجادة

وبـــــلا ســــــبب ذلّ عـــــالم الخـــمرة

ثم انتقل الحديث إلى الشعر، وعلماء ذلك المجلس كانوا في الحقيقة بلا علم عن أحوال المبدأ والمعاد، وصاروا يمدحون حافظاً حتى إنّهم نقلوا حديثاً على هذا النحو وهو: أن أميرالمؤمنين عليه السلام ذهب يوماً إلى شاطئ دجلة فطلب ورقة وقلماً فكتب شيئاً عليها ثم رمى بالورقة إلى الماء وقال: هذه كلمات المعرفة وحقيقة العلم وسيظهر في شيراز عارف من أولياء اللّه تجري على لسانه هذه الكلمات التي كتبتها على الورقة وهو العارف حافظ. وجرى في هذا المجال حديث كثير وأنا ساكت حتى التفت الجميع إليّ وسألوني: لماذا تجلس ساكتاً فنحن نريد أن نسمع كلاماً منك في هذا الباب؟

فقلت: أما الحديث المذكور فهو جعل محض وكذب؛ لأن أهل الخبرة بأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام هم الفقهاء والمحدثون ولم نجد إلى الآن مثل هذا الحديث في أي كتاب ولم نسمعه من مشايخنا، وعلى فرض أنكم رأيتموه في كتاب فيجب أن يرى

هل هو كتاب معتبر أم لا؟ ومن أي فرقة هو مؤلف الكتاب؟ وبالجملة هذا الحديث خارج عن أحاديث الأئمة، وكل من له أُنس بالأخبار يعلم أن هذا الحديث افتراء، مثلما ذكر الملّا محمّد باقر المجلسي في كتاب البحار المجلد ١٤ في كتاب السماء والعالم حديث كميل أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس فقال عليه السلام في الجواب وأي نفس تريد؟ قال كميل: وهل هناك أكثر من نفس واحدة؟ قال عليه السلام: نعم هناك النفس النباتية والنفس الحيوانية إلى آخر الحديث. فقال المجلسي بعد ذلك: هذا الحديث خارج عن نسق كلمات الأئمة عليهم السلام ولا يتحدث أئمتنا عليهم السلام بهذا النحو. وكذلك الكلام في أحاديث كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة فإن العلماء تأملوا فيها، بل يقولون: إنها ليست على نسق كلمات الأئمة عليهم السلام.

وأمّا أحوال حافظ فاعلموا أنني قد صادفت تلك التأويلات التي ذكرها العلماء للأشعار وأعرفها وأستطيع أن أوجّه كلّ الأشعار بل كتبوا الرسائل الكثيرة في تأويلات هذه الأشعار وشرحها، لكنني أسألكم سؤالاً أجيبوا بإنصاف وبعد تأمل: كان النبي في المدينة ووضع من قبل اللّه للعبادات مثل: لفظ القرآن لكلام اللّه والصلاة لتلك العبادة والصوم للإمساك المخصوص في طاعة اللّه، وهكذا الخمر بمعنى ذلك المسكر الذي نجّسه هذا النبي واللواط اسم لذلك العمل المحرم الذي يستحق فاعله حدّ القتل وهكذا، ولنفرض أن في شيراز شخصاً دخل في الإسلام لكنّه ونظراً إلى أنّه لا مشاحة في الاصطلاح وضع من نفسه اصطلاحات فقال: كلّما أتيت بلفظ البول فإني أُريد منه الصلاة ـ والعياذ باللّه ـ وإذا قلت: خمر فأُريد السكر من محبة اللّه فلا تذكر لغير اللّه وهكذا، ثم إذا جاء الناس إلى النبي وقالوا له: إنّ شخصاً متديناً بدينكم وضع مثل هذه الاصطلاحات، فأنصفوا هل سيقول النبي: إنّه أحسن بفعله فأعطوه هدية أم سيقول: قد أساء فاقطعوا رقبته أو اضربوه وليتب؟ فتأمّل العلماء في بداية الأمر ثم وافقوا على أن مقتضى العقل وطريقة العرف

والعادة أن يقول النبي: أدبوه. والمعروف أنّ أحد تلامذة الملّا علي النوري كتب سؤالاً: ما معنى شعر حافظ إذ يقول:

خمرة السنتين ومحبوب بعمر الأربعة عشر

كفى هذا لي في حديث الصغير والكبير

وأرسله إلى الملّا علي النوري، وحيث إنّه في العرف يقولون: إنّ مراد حافظ من محبوب بعمر الأربعة عشر سنة النبي؛ إذ بُعث بسن الأربعين والأربعة عشر تصير أربعين، كتب الملّا علي في الجواب: يا نور عيني إن المراد من الخمرة ذلك الشراب الذي بقي سنتين، ويقول أهل النشأة: إنّ تأثير هذا الشراب في الإسكار أكثر من أي شراب آخر. والمراد من المحبوب بعمر الأربعة عشر شاب بهذا العمر قد تورد عنقه، ويقول أهل الذوق: إنّ الحديث مع ذلك الأمرد ألذ ولم ير حافظ غير هذا المعنى، وما يؤول به أشهد باللّه أنّه خلاف مراد حافظ.

ويقال: إنّ الخواجة نصير الدين سافر ليلة فوصل إلى قرية فنزل فيها، وحيث كان لوحده سأل أهل تلك القرية: هل يوجد فيها ملّا أم لا؟ قالوا: يوجد معلم مكتب هنا يعلم الأطفال. فطلبه الخواجة فلمّا حضر قال الخواجة في نفسه: إن معلم المكتب ليس في مستوى من الفهم كي نتحادث سوياً فليقرأ شعراً يحفظه إن كان، فقال له: إن كنت تعرف الشعر فاقرأ لنا شيئاً منه. فقال له ملّا المكتب أقرأ من أشعاري أم من أشعار غيري؟ قال له: وهل أنت شاعر؟ قال: نعم. قال له: إقرأ من شعرك. وكان ملّا المكتب قد كتب كتاب مجنون ليلى فقرأ مقداراً من تلك الأشعار للخواجة فأعجب ذلك الخواجة وجعل له وظيفة.

والمشهور أن الخواجة سُئل كيف صار الإمام الفخر الرازي سنّياً مع ذلك الفهم والإدراك؟ فأجاب أنّه لم يصر سنياً، أي ليس أنه سعى وبحث ثم اختار

مذهب السنة من بين المذاهب، بل هو من أول أمره كان سنياً وكان هـذا مـذهب آبائه وأجداده ثم صار بعد ذلك صاحب فضل وفهم وإدراك، وكان تعصّبه لمذهب أبيه وأجداده مانعاً من الانتقال إلى مذهب الشيعة.

والإنصاف أن هذا الكلام في غاية الدقة والحسن وجـدير بأن يكـتب بمـاء الذهب.

وسمع بل المشهور أن الخيام الشاعر كان جبري المذهب وأنشد في هذا الباب هذا الرباعي:

أشرب الخـمر وكـل مـا كـنت له أهـلاً
فـشربي الخـمر عـنده كـان سهـلاً
شربي الخـمر يـعلمه الحـق مـن الأزل
فإن لم أشرب الخمر يكون علم الله جهلاً

فكتب الخواجة نصير هذا الرباعي رداً عليه:

لا يقل هذه النكتة مـن هـو أهـل
فـإن جـواب شـبهته سهـل
وجعل العلم الأزلي علة العصيان
هو عند العـقلاء في غـاية الجـهل

وكتب الشيخ البهائي ـزيد بهاؤه ـ في المجلد الثاني من الكشكول: إنّ المحقق الطوسي كتب بعد فتح بغداد إلى صاحب حلب: أما بعد، فقد نـزلنا في بـغداد سـنة خمس وخمسين وستّمئة فساء صباح المنذرين، فدعونا مالكها فإني محـق عـليه القـول فأخذناه أخذاً وبيلاً، وقد دعوناك إلى طاعتنا وإن أتيت فروح وريحان وجنة نعيم، وإن أبيت فلأُسلطنّ منك عليك، فلا تكن كالباحث عن حـتفه بـظلفه والجـارح

مارن أنفه بكفه والسلام.

وتحقيق المقام أن واقعة بغداد وقتل المستعصم نُقلت على وجهين على ما ذكره صاحب مجالس المؤمنين من أنّه كان الخواجة في بداية الحال داعية لترويج مذهب أهل البيت، وعندما نظر رأى أن مؤيد الدين العلقمي الوزير بالاستقلال للمستعصم الخليفة العباسي، وكان من أكابر فضلاء الشيعة الإمامية، كما رأى أنّ دار السلام بغداد هدف لليمن، وأراد تأييد مؤيد الدين ليدخل الخليفة المهتدي في التشيع، فكتب إلى مؤيد الدين كتاباً مع قصيدة عربية يمدح فيها الخليفة، وحيث إنّ مؤيد الدين كان قد سمع بصيت كمالات الخواجة وفضائله النفسية ومآثره ورشده وخبرته لم ير مصلحة في أن يقرب الخواجة إليه فلم يجبه على رسالته، وعندما هبّت على الخواجة ريح اليأس رأى أنّ التوقّف في بلاد العراق وخراسان من معبر السنة المتعصبين ومن خوف دم دين التتار وجنكيز والمتقلبين متعسر أو متعذر، صار يمضي أيامه منعزلاً هنا وهناك متفكّراً إلى أن أتى الرئيس ناصر الدين المحتشم قلعة ألمُوت وقوهستان، وكان من أفاضل الزمان وأسخياء أمراء علاء الدين محمّد بن جلال الدين حسن سلطان الإسماعيليين، أتى بالخواجة إليه بلطائف الحيل فاغتنم الحديث معه وسعى سعيه في طمأنته واستفاد من الخواجة، وكتب الخواجة كتاب الناصري على اسمه، وعندما وصل إلى علاء الدين محمد خبر دخول الخواجة إلى قلعة رودبار واستفادة حاكمها من ضياء هذا المعظم، غمرته سعادة الغبطة فطلب مجيء الخواجة إليه طوعاً أو كرهاً، واعتبر أن قدومه يوجب زينة وتعظيم اسمه فاهتم في إعزازه وإكرامه، وكان الخواجة يرى امتلاء إيران المحبوبة بالفتن والفوضى بسبب إغارات جنكيز، ومع هذا كانت الإسماعيلية تشاركه في أصل التشيع وتهيّئ له وقت المطالعة ووسائلها بأحسن وجه، ولا جرم فقد تورّط في عذاب محادثتهم زمناً إلى أن اقترب إيلخان ـ أي هولاكو خان ـ من قلاع

الإسماعيلية وتصالح مع خورشاه ابن علاء الدين محمّد. فذهب الخواجة لملازمة هولاكو خان الذي سرّ غاية السرور من قدوم الخواجة وبالغ في تكريمه وتعظيمه وفوّض نظم أموره إلى ما تقتضيه آرائه الحكيمة.

وحكي في كتاب حبيب السير كيفية ذهاب الخواجة إلى القلاع الإسماعيلية ومجيئه منها إلى هولاكو بهذا النحو: إن الخواجة سكن مدّة في زمان الخليفة المستعصم في ولاية قوهستان، وفتح حاكم تلك المنطقة ناصر الدين المحتشم على ذلك المعظم أبواب اللطف والكرم، وعندما كان جنابه هناك ألّف كتاب الأخلاق الناصرية على اسمه ونظم قصيدة عربية في مدح الخليفة المستعصم وأرسلها إلى بغداد فلم تعجب ابن العلقمي، فكتب على ظهر القصيدة إلى ناصر الدين المحتشم أنّ مولانا نصير الدين بدأ بمراسلة الخليفة فلا ينبغي الغفلة عن هذه الفكرة ولا ينبغي الاستخفاف بذلك الكبير. وعندما وصلت الرسالة إلى ناصرالدين حبس الخواجة، وعندما ذهب ناصر إلى علاء الدين محمّد في قلعة ألموت أو قلعة ميمون أخذه معه وسلّمه إليه فأمضى علامة الزمان مدّة اقتضتها الضرورة صرفها بين الملاحدة، وعندما انكسر أساس دولة تلك الفئة بجيش المغول خرج الخواجة من قلعة ميمون وارتبط بإيلخان فاختصه بأصناف الألطاف وأدخله في سلك الخواص والمقربين. وذكر بعض العلماء أنّه عندما ذهب الخواجة مع ناصر سجيناً إلى علاء الدين وحبس هناك صنّف عدّة كتب منها: كتاب تحرير المجسطي حلّ فيه عدّة مسائل هندسية.

وعندما اقترب إيلخان المشهور بهولاكو أحد أولاد جنكيز من القلاع الإسماعيلية وأراد فتحها ذهب ابن الملك علاء الدين، بإشارة من المحقق، سراً إلى هولاكو الذي عرف منه الأحوال وأن الخواجة محبوس فيها، ففتح القلعة وأخذ معه الخواجة محترماً تمام الاحترام وترك الامور الكلية لصواب رأيه.

ثم أراد المحقق الطوسي فتح بغداد لأن تعصب المستعصم في مذهب السنة كان واضحاً للخواجة ظاهراً، فذهب مع هولاكو إلى بغداد وعندما اشتد الحصار خرج الخليفة مع قضاة بغداد وسادات بني العباس وأبنائه أبي بكر وأحمد وغيرهم وذهبوا إلى معسكر هولاكو، فجاء الخواجة إلى السلطان وقال له: اطلب أن ينزل أصحاب الخليفة ومن معه واطلب الخليفة مع أبنائه إلى المجلس واقتلهم. فنفّذ الحكم وقتل أبناء الخليفة أولاً وصلبوا ووقف الخليفة أمام السلطان والخواجة الذي كان يحرّض السلطان على، قتله وكان في معسكر هولاكو بعض علماء العامة فتحدّثوا إلى هولاكو في أنّ الخليفة من أهل بيت الرسول ومن السادات ولا مصلحة في قتله، وإذا قتل تزلزلت الأرض وتشقّقت وابتلعت جيشك ووقعت السماء على الأرض ونزل العذاب، فقال الخواجة: إن هذا كله كلام باطل فقد قتلوا ابن النبي ولم تقع السماء على الأرض ولم ينزل العذاب، مع أن السماء والأرض قامتا به وكان على الحق وفي غير حق سفك دمه واستشهد، وهذا الخليفة على الباطل وهو ظالم غاصب للحقوق فلن ينزل من العذاب لقتله. فعاد علماء العامة لتحذير هولاكو ومنعه وقد دخل الخوف إلى هولاكو أيضاً، وعندما رأى الخواجة ذلك قال: فإن لم ترد أن يهرق دمه فليلف بالبساط وليسحق بالأيدي حتى ينتهي أمره دون أن يهرق دمه على الأرض. فقبل هولاكو هذا الكلام وأمر ببساط فلفّ فيه وسحق الخليفة حتى وهب عمره لعلماء العامة، ثم دخلوا بغداد وفتحوها.

ثم أمر السلطان هولاكو أن ينصب الرصد في مراغة فهيّأ الخواجة آلات الرصد. وأرسل هولاكو من يكون في خدمته ويعينه عليه وهم مجموعة من العلماء وتلامذة الخواجة، منهم: الملّا قطب الشيرازي الذي كان من تلامذة المحقق الطوسي، وهو صاحب الإشراق والكليات وفاضل حسن الخلق بارز في جميع فنون الحكمة.

والعجب من صاحب اللؤلؤة حيث قال: إن الملّا قطب كان في صحبة الخواجة مفيداً أو مستفيداً. وهذا الكلام خبط واضح ناشئ من عدم التتبع وعدم الخبرة بقوانين الحكمة، لأن الملّا قطب كان تلميذ الخواجة فما هي نسبته حتى يكون في مجلس الخواجة مفيداً.

ومنهم: مؤيد الدين العروضي الدمشقي وهو متبحّر في علم الهندسة والآلات ومات فجأة في مراغة سنة ٦٠٤، وفخر الدين المراغي وقد أتوا به من الموصل وكان طبيباً فاضلاً حاذقاً، ونجم الدين الكاتبي وقد أتوا به من قزوين وكان فاضلاً في الحكمة والكلام، وأحضروا محيي الدين الأخلاطي في تفليس وكان فاضلاً مهندساً متبحّراً في العلوم الرياضية، ومحيي الدين المغربي وكان أيضاً مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية وأعمال الرصد، ونجم الدين الكاتبي الفاضل في الأجزاء الرياضية والهندسة وعلم الرصد وكان كاتب صور وأحسن الخلائق طبعاً، وضبطوا حركات الكواكب وكانت وفاة الخواجة أثناء ذلك، وكان يحافظ هؤلاء الفضلاء على حساب بعض الدقائق الحسابية. وكان قطب الدين العلامة الشيرازي من أعاظم تلامذة الخواجة ويشارك تلك الجماعة بل كان الشريك الأكبر، والخواجة لم يذكر اسم القطب مع تلك الجماعة في كتاب الزيج لكونه تلميذه وأحال الكتاب لإصلاح بعض ما فيه من خلل إلى تلك الجماعة التي كانت قاصرة عن إصلاحه، وهذا أوجب أن يتكدر الملّا قطب فع أنّه قادر على إصلاحه أوكله إلى تلك الجماعة، وزيج الخواجة وإن كان دقيقاً تمام الدقة ولكن حيث إنّه لم يتمّمه فقد تُرك، ولكن مع هذا فإن الزيج محل اعتماد جميع المنجمين في الخسوف والكسوف والتعديلات وأحكامه في هذا الباب أكثر اعتباراً من جميع الزيجات.

وكان الخواجة في علم المعقول تلميذ فريد الدين المشهور بالداماد، وهو تلميذ السيّد صدر الدين السرخسي، وهو من تلامذة أفضل الدين الغيلاني، وهو

من تلامذة أبي العباس اللوكري، وهو من تلامذة بهمنيار، وهو من تلامذة الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا.

وأما مشايخه في علم المنقول فقد تلمذ الخواجة لأبيه محمّد بن الحسن، وهو تلميذ فضل اللّه الراوندي، وهو تلميذ السيّد المرتضى الراضي أخي السيّد مجتبى بن الداعي، وهو تلميذ جعفر بن محمّد الدوريستي، وهو تلميذ السيّد الرضي صاحب نهج البلاغة.

ومن جملة مشايخه في المنقول أيضاً المحقق سالم بن بدران المصري وقد كتب في إجازته للخواجة: قرأ علي جميع الجزء الثالث من كتاب غنية النزوع في علم الأُصول والفروع من أوله إلى آخره قراءة تفهيم وتبيين وتأمل، متبحث عن غوامضه عالم بفنون جوامعه، وأكثر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو الكلام في أُصول الفقه للإمام الفاضل العالم الأكمل الأورع المتقن المحقق نصير الملة والدين وجيه الإسلام والمسلمين سيّد الأئمة والأفاضل مفخر العلماء والأكابر وأفضل أهل خراسان محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي زاده اللّه في علائه وأحسن الدفاع عن حوبائه، وأذنت له في روايته عني عن السيّد الأجل العلام الأوحد الطاهر الزاهد البارع عز الدين أبي المكارم بن علي بن زهرة الحسيني قدس اللّه روحه ونوّر ضريحه، وجميع تصانيفه وتصانيفي ومسموعاتي وإجازاتي عن مشايخي ما أذكر أسانيده وما لم أذكر إذا ثبت ذلك عنده وما لعلّي أن أصنّفه. وهذا خط أضعف خلق اللّه وأفقرهم إلى عفوه سالم بدران المازني المصري، كتبه في ثامن عشر شهر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستمئة حامداً للّه ومصلياً على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين.

وسالم بن بدران المذكور ملقب بمعين الدين المصري وقد نقل الشهيد في شرح

اللمعة في كتاب الميراث قولاً عن هذا المعظم.

وقال الشيخ أبو الحسن ابن الشيخ سليمان بن عبد اللّه البحراني في رسالة السلافة البهية في الترجمة الميثمية: وجدت بخط بعض الأفاضل المعتمدين أن الخواجة تلمذ في الفقه لكمال الدين بن ميثم وتلمذ الشيخ ابن ميثم في علم المعقول عند الخواجة. انتهى كلامه، والظاهر أنّ هذا لم يقع.

والعلامة الحلي بعد مجيء المحقق إلى الحلة وزيارة المحقق صاحب الشرائع توجه إلى الخواجة وتلمذ له وأخذ منه إجازة وكتب شرحاً على المنطق والتجريد، وكان الملّا علي القوشجي صاحب الشرح الجديد يقول دائماً: لو لم يكتب التلميذ العربي للخواجة ـ أي العلامة الحلي ـ شرحاً للتجريد لبقي التجريد في بوتقة الإجمال ولم يكن ليفهم منه شيء.

وقال العلامة في إجازته لبني زهرة بعد ذكر الخواجة: وهذا الشيخ كان أفضل أهل العصر في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنّفات كثيرة في العلوم الحكمية والشرعية، وكان على مذهب الإمامية، وكان أشرف من رأيناهم في الأخلاق نوّر اللّه ضريحه، ودرست عنده إلهيات كتاب الشفاء لأبي علي بن سينا، ثم قرأت عنده التذكرة في علم الهيئة وهو من تصنيفاته ثم جاء أجله قدّس اللّه روحه. انتهى كلام العلامة.

والعجب من قول العلامة قوله: إنّ الخواجة على مذهب الإمامية، وهذا مثل قول الشهيد الأول في أن قطب المحققين هو بلا شك من الإمامية، والإشكال الوارد على الشهيد الأول وارد على العلامة؛ لأنّ شأن الخواجة أجل وأعظم وأشرف وأعرف من أن يقول أحد عنه: إنّه كان على مذهب الإمامية، وقد وصفه العلامة الحلي أعلى اللّه مقامه في كتاب منهاج الكرامة بوصف لم يصف أحداً به قال ما

مضمونه: سألت أُستاذ البشر والعقل الحادي عشر المحقق الطوسي نصيرالدين: ما هو دليلكم على أن الخليفة بلافصل هو أمير المؤمنين؟ قال: قال رسول الله في حق علي أنّه سفينة النجاة من التحق بها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وهذا الخبر متّفق عليه بين الفريقين، وقد وقعت بعد الرسول اختلافات كثيرة وظهرت في دين النبي فرق كثيرة؛ ولهذا نتمسّك بهذا الحديث المتّفق عليه لنتخلّص من هذا البحر المتلئ من الخلاف والضلالة ونركب سفينة علي ونمتثل أمر النبي.

وذكروا أن الخواجة دخل مرة أُخرى إلى بغداد فطرأ عليه مرض الموت فأوصى إلى فضلاء المؤمنين في تجهيزه وتغسيله وتكفينه وتدقيقه فقال أحد الحضور: إنّ المناسب هو نقل جثمان الخواجة إلى مشهد أمير المؤمنين. فقال الخواجة عن إخلاص تام: إنني أستحي أن أموت في جوار مفيض الأنوار الإمام الهمام موسى الكاظم وانتقل من حضرته إلى مكان آخر مهما كان أفضل. فدفن حسب وصيته في العتبة العلية الكاظمية، وفي قائمة تلك الحضرة التي قامت لوح مزار الخواجة كتبوا هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[1] وأرخوا وفاته بقولهم:

نـصير مـلت وديـن بـادشاه كشـور

فضل يگانه كه چه او مادر زمانه نزاد[2]

بسال ششصد و هفتاد و دو بذى الحـجه

بـروز هـيجدهم درگـذشت در بـغداد

وكانت وفاته سنة ٦٧٢ في شهر ذي الحجة يوم ١٧ في بغداد. والمذكور في

(١) الكهف ١٨ / ١٨.

(٢) معنى هذا البيت: نصير الملة والدين سلطان البلد فضل الاله الواحد، وهو من لم يتجب الزمان مثيلاً له.

جامع التواريخ أنهم أرادوا دفنه ـ بناء على وصية الخـواجـة ـ في جـوار المـشهد المقدس في الكاظمية على مشرفها آلاف الثناء والتحية، وقد اختير مكان في تلك الأرض المقدسة وحفروه فوجدوا تابوتاً مزيناً بالكاشي وعندما تفحّصوه بشكل جيد عنه عرفوا أنّ الناصر العباسي جعله مقرّاً له فلم يكن له هذا النصيب ولم ينل تلك السعادة، فدفنوه قرب ومحل الناصر؛ وحيث إنّ الخواجة كان معروفاً بحارس عتبة عرش منزل آل الكساء وبموجب ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[1] دفنوه في ذلك المكان كثير الفيض. ومن مؤيدات قبول الإمـام له أنّـه قـد تم السرداب المذكور يوم السبت ١٥ جمادى الأُولى سنة ٥٩٧ وكانت ولادة الخواجـة في ذلك اليوم، كما أن عمره بلغ ٧٥ سنة وسبعة أشهر.

وأمّا تصانيف الخواجة فإنّها وإن كانت في العلوم الحكمية والكلامية والفقهية في مذهب الشيعة الإمامية كثيرة لكن القليل هو الذي ذكـر مـنها، مـنها: كـتاب التجريد في علم الكلام لم يكتب مثله حتى الآن في الاختصار والفصاحة واشـتماله على الأدلّة والأقوال، وله شروح كثيرة مـثل الشرح القـديم لمحـمد الإصـفهاني، والشوارق للملا عبد اللّه اللاهيجي، وشرح الحاج الملّا محمّد جعفر الاسترآبادي، وشرح الملّا علي القوشجي المسمّى بالشرح الجديد، وكتب السيّد الشريف عـلى الشرح القديم حواشي، كما كتب الحواشي عليه الملّا جلال الدواني والمـير صـدر والملّا عبد الرازق اللاهيجي والخفري والآغا جمال والخـليفة السـلطان والشـيخ حسين التنكابني والميرزا إبراهيم ابن الملّا صدرا وغيرهم، ولمـؤلف الكتاب أيـضاً شرح فارسي للتجريد.

ومنها: كتاب تجريد المـنطق، وكـتاب أسـاس الاقـتباس في المـنطق، وشرح

---

(١) الكهف ١٨ / ١٨.

الإشارات، وتحرير اقليدس وتحرير المجسطي، وتحرير المتوسطات، وكتاب الزيج الإيلخاني، وكتاب جامع الحساب بالتحت والتراب، وكتاب قواعد العقائد، وشرح المحصل، ورسالة في الجبر والقدر، ورسالة أجوبة أسئلة الشيخ صدر الدين القونوي، ورسالة في ردّ إيراد الكاتبي على دليل الحكماء لإثبات الواجب، ورسالة في بحث الإمامة، وترجمة كتاب زبدة الحقائق لعين القضاة الهمداني وشرح المواضع المشكلة منه وقد كتبه بالتماس وطلب الأمير ناصر الدين المحتشم من دعاة الطائفة الإسماعيلية، والأخلاق الناصرية باسم ناصر الدين المذكور، وشرح كتاب ثمرة بطليموس بالتماس الخواجة بهاء الدين محمّد ابن الخواجة شمس الدين محمّد صاحب الديوان، ورسالة في فقه المواريث، ورسالة في تحقيق نفس الأمر، ورسالة في تحقيق ماهية العلم، ورسالة في الفصول في الكلام، ورسالة أوصاف الإشراق ويعلم من هذه الرسالة وبعض مواضع رسالة الفصول وشرح قصة سلامان وآبسال في خاتمة كتاب الإشارات أنّ الخواجة كان في غاية الزهد والانقطاع عن الخلق كما يدل عليه هذا الشعر من جوهر طبع هذا المعظم:

لا قيمة أبداً لجميع اللذات الدنيوية عندي
ولا أخشى من تغييرها أبداً
وليس يوم تنعمي دليل عيشي وطربي
غير ليلة مطالعة ويوم درس

ومن رسائله: رسالة في العقائد مختصرة مفيدة وقد نقلها القاضي نور اللّه في كتاب المجالس، ورسالة في علم الرمل حسنة جداً، وفي علم الرمل عدّة رسائل معتبرة جداً إحداها: رسالة الخواجة، والثانية: رسالة السكاكي، والثالثة: رسالة محمّد بن محمّد الخفري الملقب بشمس الدين. وهذه الرسالة هي من كتب الرمل المعتبرة، وللخواجة رسالة أُخرى في الرمل وإحدى هاتين الرسالتين باللغة الفارسية

والأخرى باللغة العربية، وللخواجة أيضاً رسالة في الجفر، ولمؤلف هـذا الكـتاب أيضاً رسالة في الرمل ورسالة في الجفر ومنظومة في الرمل لم تتم.

وأعلم أنّ الخواجة منكر لمسألة البداء وهذا في غاية الغرابة.

وحيث مر الكلام عن الخفري فلا بأس بأن نذكر مجملاً من أحواله وإن كان الظاهر أنّه من حكماء علماء العامة.

فاعلم أن الخفري من تلامذة المير صدر الدين محمّد الشيرازي، والمعروف أنّه في زمان الشاه اسماعيل كان يأمر الناس بتعلم الأحكام الشرعية ويكلفهم بـلعن الخلفاء، وفي يوم خرج صهر الخفري وهو يتحسّر وقال: إن هـذه الجـماعة تأمـر الناس بلعن الخلفاء فماذا أفعل؟ قال الخفري: إذهب والعن فقد كانوا اثنين أو ثلاثة من العرب العاميين هم الخلفاء. وعندما طلب الشاه إسماعيل الخفري من كـاشان إلى إصفهان قال له: ارجع عن مذهب السنة. فقال له: وكيف أكون على مـذهبهم وقد كتبت حاشية على إلهيات شرح التـجريد لو قـضوا عـمرهم بـالدراسـة لن يفهموها. فقال له السلطان: إن كـنت صـادقاً فـالعنهم فـلعنهم الخـفري وأذن له بالخروج وعاد إلى كاشان واسـتقبله النـاس ثم اعـترضوا عـليه أنك ذهـبت إلى إصفهان فلماذا لعنت الخلفاء؟ قال لهم: من الحيف أن يهرق دم فاضل مثلي من أجل شخصين أو ثلاثة من العرب. وقد ذكر هذه الحكاية القاضي نور اللّـه في كـتاب المجالس والسيّد نعمة اللّه في كتاب الأنوار النعمانية.

وذكر القاضي نور اللّه الأحكام والفتاوى وأنه عندما جاء المحقق الثاني بطلب من الشاه طهماسب الأول إلى إيران، واشتغل بترويج مذهب الإمامية، وأرسل ملّا إلى كاشان، والأحكام الفتوائية في كاشان كانت معروفة عن الخفري، فأرسلها إلى المحقق الثاني فرأى أكثرها مطابقاً للعقل والعدل، ورأى أنها مـطابقة مـع مـذهب

القاضي البيضاوي الإمامية وقبلها وقال: إن الخفري كان ضعيفاً في علم المنقول وأتى بهذه الأحكام بالعقل. وهذا يؤيد أن الأحكام الشرعية مطابقة للقواعد والأحكام العقلية وأنّه كلما حكم به العقل حكم به الشرع وبالعكس.

وأما تأليفات الخفري فهي: رسالة في إثبات الواجب، وكتاب منتهى الإدراك في علم الهيئة، وشرح التذكرة المسمّى بالتكملة، ورسالة في حل ما لا يحل، وحواشٍ على شرح التجريد من أوله حتى آخر بحث الوجود الذهني، وحاشية على الهيات شرح التجريد للقوشجي، وحاشية على أوائل شرح حكمة العين المسمّى بسواد العين، ورسالة في علم الرمل.

وأعلم أنّه حيث تقدم ذكر ترجمة العلامة الحلي وكانت قد وقعت معارضة بين العلامة والقاضي البيضاوي ولم نذكرها هناك نذكرها هنا لكثرة الفوائد فنقول:

قال الشيخ البهائي ـ زيد بهاؤه ـ في كتاب الكشكول: وهو صاحب التصانيف المشهورة اسمه عبد اللّه ولقبه ناصر الدين وكنيته أبو الخير بن محمّد بن علي البيضاوي، وبيضاء قرية في ضواحي شيراز و فارس، تولى القضاء وكان زاهداً عابداً متورّعاً في مذهبه و سمّاه الاغا محمّد هادي مترجم القرآن بالقاضي السوداوي؛ لأنّه لم يقل بخلافة علي‌ؑ بلا فصل فلا يوجد بياض من الهداية على ناصيته بل يوجد سواد الظلمة و الضلالة على جبينه.

وذهب يوماً إلى تبريز و دخل مجلس بعض الفضلاء وكان مجلس درس وجلس إلى جانب الأحذية فلم يعرفه أحد، وذكر المدّرس عدّة إشكالات مفتخراً بها وعندما انتهى بدأ البيضاوي با لجواب على اعتراضات المدرّس، فقال المدرس: لن أسمع كلامك إلا إذا ذكرت كلامي لأرى أنك فهمت أيراداتي أم لا. فقال له القاضي: انقل كلامك باللفظ أم بالمعنى؟ فبهت المدرس وقال: أعد باللفظ فذكر

القاضي تلك الإيرادات بالألفاظ عينها ودخل في بحث في تركيب ألفاظها، ثم ذكر أجوبة على الاعتراضات فأجاب المدرس، ثم ذكر إيرادات عليه بعدد إيراداته وطلب من المدرس الجواب فعجز، وكان وزير السلطان حاضراً في ذلك المجلس فعندما شاهد ذلك قام وأتى بالبيضاوي وسأله عن اسمه ونسبه، فلمّا عرفه أكرمه واحترمه غاية الاحترام والإكرام وطلب منه أن يكون قاضي شيراز، فأعطاه الوزير القضاء وقدم له خلعة فاخرة وتوفي سنة ٦٨٥ وحُشر في تبريز مع الخلفاء الثلاثه.

وذكر الشيخ علي ابن الشهيد في حواشيه على شرح اللمعة في مسألة الطهارة والحدث والشك في التقدم والتأخر: قال العلامة في القواعد يستصحب الحالة السابقة. وعندما شاع كتاب القواعد ووصلت نسخة منه إلى القاضي البيضاوي في شيراز واتّفق أن القاضي كان يطالع هذه المسألة كتب حاشية عليها بهذا المعنى: مولانا جمال الدين ـ أدام اللّه تعالى أيام إفاداته ـ أنت إمام الأُصوليين وقد تقرر في الأُصول أنّ بقاء الموضوع شرط في الاستصحاب، وفي هذه المسألة التي افتيت فيها لا يصح استصحاب الحالة السابقة على الطهارة مع الشك في المتأخر من الطهارة والحدث؛ لأنّ الحالة السابقة من الطهارة والحدث زالت قطعاً؛ لأنّها إن كانت الطهارة فقد زالت يقيناً بالحدث وإن كانت الحدث فقد زالت يقيناً بالطهارة، فلم يبق الموضوع فكيف استصحبت الحالة السابقة؟ وأرسل القاضي هذا الإشكال إلى العلامة فكتب العلامة جواباً طويلاً أرجعه إلى منفصلة مانعة الخلو وحاصل كلامه: أن مرادي من قولي: «استصحبه» إثبات مثل الحالة السابقة لا أنّ المراد الاستصحاب المصطلح عليه. ثم أرسل العلامة ذلك الجواب إلى شيراز إلى القاضي وعندما اطلع عليها استحسنها.

وللقاضي تأليفات مثل: كتاب الغاية في علم الفقه، وشرح المصابيح، وكتاب

المنهاج في علم الأُصول. وقد سمعت أُستاذي السيّد إبراهيم أنّهم كتبوا سبعين شرحاً على منهاج القاضي؛ وكتاب الطوالع في علم الكلام وعليه أيضاً شروح كثيرة، وكتاب تفسير القاضي المسمّى بأنوار التنزيل وقد سعى تمام سعيه في عربيته وعليه حواشٍ متعددة مثل: العصام والشيخ زاد والسيوطي وعبد الحكيم والملّا الميرزا جان والشيخ البهائي وغيرهم وللشيخ البهائي أيضاً شرح لتفسير القاضي، ولهذا الفقير مؤلف الكتاب حواشٍ غير مدوّنة على تفسير القاضي، والشيخ البهائي كتب أفضل من الآخرين يليه السيوطي وللقاضي في هذا الكتاب مناقضات ذكرتها في كتاب مشكلات العلوم منها: ما ذكره في تفسير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1] قال: إن الفعل هنا معلق عن العمل وقال نقيضه في سورة الملك، وأيضاً صرّح في تفسير سورة هود أن نزول التوراة كان قبل غرق فرعون وقال نقيضه في تفسير سورة المؤمنين، وقال في سورة مريم في تفسير الآية الشريفة: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[2] أن الرسول ربما لا يكون صاحب شريعة وقال نقيضه في تفسير سورة سبأ.

والحاصل لو أردنا أن نجمع تهافتات وتخبطات وأغلاط القاضي لاحتجنا إلى كتاب بحجم تفسيره بل أكثر. والسلام على من اتبع الهدى.

---

(١) الملك ٦٧ / ٢.
(٢) مريم ١٩ / ٥١.

(٩٢)
محمّد باقر المحقق السبزواري

محمّد باقر بن محمّد مؤمن السبزواري الملقب بالمحقق السبزواري، وهو من الفضلاء المهرة الحذقة، وله إجازة من الملّا محمّد تقي المجلسي والشيخ البهائي.

ومن تأليفاته: كتاب شرح الإرشاد المسمّى بالذخيرة لكن لم نعثر على أكثر من العبادات والطهار أنّه لم يكتب أكثر من ذلك، وكتاب الكفاية وهو عبارة عن دورة فقهية نقص من آخره كتابان أو ثلاثة بل كتبه حتى آخر الميراث، وهو كتاب في بيان الفتوى لكنه غالباً ما نقل الأقوال وفي بعض المواضع أقام الدليل أيضاً، وهو في الحقيقة كتاب جيد وقد شرحه البعض رحمه اللّه.

(٩٣)

محمّد بن عبد الفتاح التنكابني ﵀

محمّد بن عبد الفتاح التنكابني من بلد المؤلف ومن قرية اسمها سراب كانت في سابق الأزمان عامرة، وهي الآن خراب وفي جوار مصيف تنكابن وذكر اسمها في كتاب القوانين في حاشية منه.

وهو في الحقيقة محقق واسمه مذكور في الكتب العلمية وكتب الإجازات، وله حواشٍ غير مدونة على المعالم، ورسالة في الإمامة، ورسالة في أحكام ومسائل الإجماع.

وهو من تلامذة محمّد باقر المحقق السبزواري المتقدم ذكره وله إجازة منه رحمة الله عليهما وأسكنهما في الجنة.

(٩٤)
محمّد صادق بن محمّد التنكابني

محمّد صادق بن محمّد بن عبد الفتّاح التنكابني الساكن في إصفهان، وهو ابن الملّا محمّد السرابي المتقدم ذكره، وله من العلامة المجلسي إجازة، وكتب حواشي غير مدونة على شرح اللمعة.

(٩٥)
علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي

علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي أبو الحسن المشهور بابن بابويه والد الصدوق، كان من أعاظم المحدثّين في قم وشيخ أهلها وفقيههم، جاء إلى العراق في صحبة أبي القاسم الحسين بن روح، ثالث السفراء والنواب الأربعة، واستفسر منه عن بعض المسائل الدينية وكتب بعد مفارقته كتاباً إلى علي بن جعفر بن أسود ليسلمه إليه يلتمس فيه أن يطلب من صاحب الأمر عجل اللّه فرجه الدعاء له بالولد، وبعد ثلاثة أيام جاءه الجواب: قد دعونا لك بذلك. وسرعان ما أعطاه اللّه ولدين هما: أبو جعفر الصدوق وأبو عبد اللّه حسين. وكان الصدوق يقول دائماً: ولدت بدعاء صاحب الأمر. ويفتخر بذلك. كما جاءته تواقيع من الإمام الحسن

العسكري ﷺ مدحه فيها بلفظ: شيخي ومعتمدي، ودعا له فيها بأن يكرمه اللّه بأولاد من الصلحاء، ويقال: إنّه هو الذي طلب من الإمام الحسن العسكري ﷺ ذلك. ولعلّ هذا كله قد حصل.

وكانت وفاته سنة ٣٢٩، وتاريخه هو جملة «يرحمه اللّه»، وفي تلك السنة توفي أيضاً السفير الرابع علي بن محمّد السمري، كما توفي الكليني، وفي تلك السنة بدأت الغيبة الكبرى، وقال البعض: إنّها سنة ٣٢٨.

وجلس علي بن محمّد السمري يوماً في بغداد وعنده جمع من الشيعة فقال: رحم اللّه علي بن الحسين بن بابويه: فقيل له: هو حي. فقال: رحمه اللّه مات في يومنا هذا. ثم جاءت القوافل بعد مدّة من قم إلى بغداد وذكروا أن ابن بابويه مات في ذلك اليوم، وسمّيت تلك السنة بسنة تناثر نجوم الأرض، لأنّ العلماء هم نجوم الارض وقد توفي في تلك السنة أعيان العلماء، وقال البعض: إنّها سميت بتناثر نجوم الأرض، لأنّهم رأوا شهباً كثيرة تسقط على الأرض في تلك السنة ففسروها بموت العلماء. وهكذا كان.

ودفن في قم وله فيها قبر قد بنوا عليه قبة.

وتصنيفاته: كتاب التوحيد، وكتاب الوضوء، وكتاب الصلاة، وكتاب الجنائز، وكتاب الإمامة، والتبصرة من الحيرة، وكتاب الإملاء وهو نوادر، وكتاب الإخوان، وكتاب النساء والولدان، وكتاب الشرائع، وكتاب التفسير، وكتاب النكاح، وكتاب مناسك الحج، وكتاب قرب الإسناد، وكتاب التسليم، وكتاب الطب، وكتاب المواريث، وكتاب المعراج، ورسالة إلى ولده ﷺ.

(٩٦)
الشيخ الصدوق

محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الخراساني الرازي الملقب بالصدوق، وقد يعبّر عنه وعن والده بالصدوقين، كنيته أبو جعفر. قال عنه الشيخ النجاشي في كتاب الرجال: شيخنا وفقيهنا ووجه الطائفة بخراسان وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمئة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن.

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الفهرست: محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي جليل القدر يكنّى أبا جعفر، كان جليلاً حافظاً للأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه، له نحو من ثلاثمئة مصنّف.

وتوفي سنة ٣٨١ في بلدة الري وللمفيد ووالد النجاشي وابن الغضائري إجازات منه، وهو أحد أصحاب الكتب الأربعة التي عليها المدار في العصور، وهو من المحدثين الثلاثة. ولد بدعاء الإمام ورأى الإمام في المنام في مكة يأمره بتصنيف كتاب في الغيبة وأن يكتب فيه عمر المعمّرين، فكتب الكتاب وسمّاه بكمال الدين وتمام النعمة.

وقد ذكر النجاشي في كتاب الرجال كتبه بهذا التفصيل:

١ ـ كتاب دعائم الإسلام في معرفة الحلال والحرام.

٢ ـ كتاب التوحيد.

٣ ـ كتاب النبوة.

٤ ـ كتاب إثبات الوصية لعلي ﷺ.

٥ ـ كتاب إثبات خلافته.

٦ ـ كتاب إثبات النص على الأئمة.

٧ ـ كتاب المعرفة في فضل النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين ﷺ

٨ ـ كتاب مدينة العلم.

٩ ـ كتاب المقنع في الفقه.

١٠ ـ كتاب العرض على المجالس.

١١ ـ كتاب علل الشرائع.

١٢ ـ كتاب ثواب الأعمال.

١٣ ـ كتاب عقاب الأعمال.

١٤ ـ كتاب الأوائل.

١٥ ـ كتاب الأواخر.

١٦ ـ كتاب المناهي.

١٧ ـ كتاب الفرق.

١٨ ـ كتاب خلق الإنسان.

١٩ ـ كتاب الرسالة الأوّله في الغيبة.

٢٠ ـ كتاب الرسالة الثانية.

٢١ ـ كتاب الرسالة الثالثة.

٢٢ ـ كتاب الرسالة في أركان الإسلام.

٢٣ ـ كتاب المياه. ٢٤ ـ كتاب السواك.

٢٥ ـ كتاب الوضوء.

٢٦ ـ كتاب التيمم.

٢٧ ـ كتاب الأغسال.

٢٨ ـ كتاب الحيض والنفاس.

٢٩ ـ كتاب نوادر.

٣٠ ـ كتاب فضائل الصلاة. ٣١ ـ كتاب فرائض الصلاة.

٣٢ ـ كتاب فضل المسجد.

٣٣ ـ كتاب مواقيت الصلاة.

٣٤ ـ كتاب فقه الصلاة.

٣٥ ـ كتاب الجمعة والجماعة.

٣٦ ـ كتاب السهو.

٣٧ ـ كتاب الصلاة سوى الخمس.

٣٨ ـ كتاب نوادر الصلاة.

٣٩ ـ كتاب الزكاة.

٤٠ ـ كتاب الخمس.

٤١ ـ كتاب حق الجذاذ.

٤٢ ـ كتاب الجزية.

٤٣ ـ كتاب فضل المعروف.

٤٤ ـ كتاب فضل الصدقة.

٤٥ ـ كتاب فضل الصوم.

٤٦ ـ كتاب الفطرة.

٤٧ ـ كتاب الاعتكاف.

٤٨ ـ كتاب جامع الحج.

٤٩ ـ كتاب جامع علل الحج.

٥٠ ـ كتاب جامع تفسير المنزل في الحج.

٥١ ـ كتاب جامع حجج الأنبياء عليهم السلام.

٥٢ ـ كتاب جامع حجج الأئمة عليهم السلام.

٥٣ ـ كتاب جامع فضل مكة والحرم.

٥٤ ـ كتاب جامع آداب المسافر للحج.

٥٥ ـ كتاب جامع فرض الحج والعمرة.

٥٦ ـ كتاب جامع فقه الحج.

٥٧ ـ كتاب أدعية الموقف.

٥٨ ـ كتاب القربان.

٥٩ ـ كتاب المدينة وزيارة قبر النبي والأئمة ﷺ.

٦٠ ـ كتاب جامع نوادر الحج.

٦١ ـ كتاب زيارات قبور الأئمة ﷺ.

٦٢ ـ كتاب النكاح.

٦٣ ـ كتاب الوصايا.

٦٤ ـ كتاب الوقف.

٦٥ ـ كتاب الصدقة والنحل والهبة.

٦٦ ـ كتاب السكنى والعمرى.

٦٧ ـ كتاب الحدود.

٦٨ ـ كتاب الديات.

٦٩ ـ كتاب المعايش والمكاسب.

٧٠ ـ كتاب التجارات.

٧١ ـ كتاب العتق والتدبير والمكاتبة.

٧٢ ـ كتاب القضاء والأحكام.

٧٣ ـ كتاب اللقاء والسلام.

٧٤ ـ كتاب صفات الشيعة.

٧٥ ـ كتاب اللعان.

٧٦ ـ كتاب الاستسقاء.

٧٧ ـ كتاب زيارة موسى ومحمّد عليهما السلام.

٧٨ ـ كتاب جامع زيارات الرضا عليه السلام.

٧٩ ـ كتاب تحريم الفقاع.

٨٠ ـ كتاب المتعة.

٨١ ـ كتاب الرجعة.

٨٢ ـ كتاب الشعر.

٨٣ ـ كتاب معاني الأخبار.

٨٤ ـ كتاب السلطان.

٨٥ ـ كتاب مصادقة الإخوان.

٨٦ ـ كتاب فضائل جعفر الطيار.

٨٧ ـ كتاب فضائل العلوم.

٨٨ ـ كتاب الملاهي.

٨٩ ـ كتاب السنة.

٩٠ ـ كتاب في عبد المطلب وعبد اللّه وأبي طالب.

٩١ ـ كتاب في زيد بن علي.

٩٢ ـ كتاب الفوائد.

٩٣ ـ كتاب الإبانة.

٩٤ ـ كتاب الهداية.

٩٥ ـ كتاب الصيانة.

٩٦ ـ كتاب التاريخ.

٩٧ ـ كتاب علامات آخر الزمان.

٩٨ ـ كتاب فضل الحسن والحسين عليهما السلام.

٩٩ ـ كتاب رسالة في شهر رمضان وهي جواب رسالة وردت في شهر رمضان.

١٠٠ ـ كتاب المصابيح: المصباح الأول ذكر من روى عن النبي صلى الله عليه وآله من الرجال، والمصباح الثاني ذكر من روى عن النبي من النساء، المصباح الثالث ذكر من روى عن أمير المؤمنين عليه السلام، المصباح الرابع ذكر من روى عن فاطمة عليها السلام، المصباح الخامس ذكر من روى عن أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام، المصباح السادس ذكر من روى عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، المصباح السابع ذكر من روى عن علي بن الحسين عليه السلام، المصباح الثامن ذكر من روى عن أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام، المصباح التاسع ذكر من روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، المصباح العاشر ذكر من روى عن موسى بن جعفر عليه السلام، المصباح الحادي عشر ذكر من روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، المصباح الثاني عشر ذكر من روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، المصباح الثالث عشر ذكر من روى عن أبي الحسن علي بن محمّد عليه السلام، المصباح الرابع عشر ذكر من روى عن أبي محمّد الحسن بن علي عليه السلام، المصباح الخامس عشر ذكر الرجال الذين خرجت إليهم التوقيعات.

١٠١ ـ كتاب المواعظ.

١٠٢ ـ كتاب الرجال المختارين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله.

١٠٣ ـ كتاب الزهد.

١٠٤ ـ كتاب زهد النبي ﷺ.

١٠٥ ـ كتاب زهد أمير المؤمنين ؑ.

١٠٦ ـ كتاب زهد الحسن ؑ.

١٠٧ ـ كتاب زهد الحسين ؑ.

١٠٨ ـ كتاب زهد علي بن الحسين ؑ.

١٠٩ ـ كتاب زهد أبي جعفر ؑ.

١١٠ ـ كتاب زهد الصادق ؑ

١١١ ـ كتاب زهد أبي ابراهيم ؑ.

١١٢ ـ كتاب زهد الرضا ؑ.

١١٣ ـ كتاب زهد أبي جعفر الثاني ؑ.

١١٤ ـ كتاب زهد أبي الحسن علي بن محمّد ؑ.

١١٥ ـ كتاب زهد أبي محمّد الحسن بن علي ؑ.

١١٦ ـ كتاب أوصاف النبي ﷺ.

١١٧ ـ كتاب دلائل الأئمة ومعجزاتهم.

١١٨ ـ كتاب الروضة.

١١٩ ـ كتاب نوادر الفضائل.

١٢٠ ـ كتاب المحافل.

١٢١ ـ كتاب امتحان المجالس.

١٢٢ ـ كتاب حديث غريب النبي ﷺ وأمير المؤمنين ؑ.

١٢٣ ـ كتاب الخصال.

١٢٤ ـ كتاب مختصر تفسير القرآن.

١٢٥ ـ كتاب أخبار سلمان وزهده وفضائله.

١٢٦ ـ كتاب أبي ذر وفضائله.

١٢٧ ـ كتاب حذو النعل بالنعل.

١٢٨ ـ كتاب التقية.

١٢٩ ـ كتاب نوادر الطب.

١٣٠ ـ كتاب جوابات المسائل الواردة من واسط.

١٣١ ـ كتاب الطرائف.

١٣٢ ـ كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من قزوين.

١٣٣ ـ كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من البصرة.

١٣٤ ـ كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من الكوفة.

١٣٥ ـ كتاب جوابات المسائل الواردة عليه من المدائن في الطلاق.

١٣٦ ـ كتاب العلل غير مبوب.

١٣٧ ـ كتاب فيه ذكر من لقيه من أصحاب الحديث وعن كلّ واحد منهم حديث.

١٣٨ ـ ذكر المجلس الذي جرى له بين يدي ركن الدولة.

١٣٩ ـ ذكر مجلس آخر.

١٤٠ ـ ذكر مجلس ثالث.

١٤١ ـ ذكر مجلس رابع.

١٤٢ ـ ذكر مجلس خامس.

١٤٣ ـ ذكر الحذاء والخف.

١٤٤ ـ كتاب الخاتم.

١٤٥ ـ كتاب علل الوضوء.

١٤٦ ـ كتاب الشورى.

١٤٧ ـ كتاب اللباس.

١٤٨ ـ كتاب فضل العلم.

١٤٩ ـ كتاب المسائل.

١٥٠ ـ كتاب الخطاب.

١٥١ ـ كتاب السؤالات.

١٥٢ ـ كتاب مسائل الوضوء.

١٥٣ ـ كتاب مسائل الصلاة.

١٥٤ ـ كتاب مسائل الزكاة.

١٥٥ ـ كتاب مسائل الخمس.

١٥٦ ـ كتاب مسائل الوصايا.

١٥٧ ـ كتاب مسائل المواريث.

١٥٨ ـ كتاب مسائل الوقف.

١٥٩ ـ كتاب مسائل النكاح ثلاثة عشر كتاباً.

١٦٠ ـ كتاب مسائل الحج.

١٦١ ـ كتاب مسائل العقيقة.

١٦٢ ـ كتاب مسائل الرضاع.

١٦٣ ـ كتاب مسائل الطلاق.

١٦٤ ـ كتاب مسائل الديات.

١٦٥ ـ كتاب مسائل الحدود.

١٦٦ ـ كتاب إبطال الغلو والتقصير.

١٦٧ ـ كتاب السر المكتوم إلى الوقت المعلوم.

١٦٨ ـ كتاب مختار بن أبي عبيدة.

١٦٩ ـ كتاب الناسخ والمنسوخ.

١٧٠ ـ كتاب جواب مسألة نيسابور.

١٧١ ـ كتاب رسالة إلى أبي محمّد الفارسي في شهر رمضان.

١٧٢ ـ كتاب الرسالة الثانية إلى بغداد في معنى شهر رمضان.

١٧٣ ـ كتاب إبطال الاختيار وإثبات النص.

١٧٤ ـ كتاب المعرفة برجال البرقي.

١٧٥ ـ كتاب مولد أمير المؤمنين عليه السلام.

١٧٦ ـ كتاب مصباح المصلّي.

١٧٧ ـ كتاب مولد فاطمة ؏.

١٧٨ ـ كتاب الجمل.

١٧٩ ـ كتاب تفسير القرآن.

١٨٠ ـ كتاب الجامع الكبير.

١٨١ ـ كتاب أخبار عبد العظيم بن عبدالله الحسيني.

١٨٢ ـ كتاب تفسير قصيدة في أهل البيت ؏.

١٨٣ ـ كتاب مدينة العلم.

١٨٤ ـ كتاب الأمالي.

١٨٥ ـ كتاب الاعتقادات.

١٨٦ ـ كتاب من لا يحضره الفقيه وهو أحد الكتب الأربعة، وهذا الكتاب أربعة مجلّدات و ٦٦٠ باباً. اشتمل المجلد الأول منه على ٨٧ باباً، والمجلد الثاني على ٢٠٨ أبواب، والثالث على ٧٨ باباً، والرابع على ١٧٣ باباً[1]. ويبلغ عدد الأخبار الواردة في المجلد الأول ١٦١٨ حديثاً، وعدد ما في المجلد الثاني ٦٧٠ حديثاً، وعدد ما في الثالث ١٣٠٥ أحاديث، وعدد ما في الرابع ٩٠٣ أحاديث. ومسندات المجلد الأول بلغت ٧٧٧ حديثاً، ومراسيله ٨٤١ حديثاً، ومسانيد المجلد الثاني ١٦٠٤ أحاديث، ومراسيله ٥٧٣ حديثاً، ومسانيد المجلد الثالث ١٢٩٥ حديثاً، ومراسيله ٥١٠ أحاديث، ومسانيد المجلد الرابع ٧٧٧ حديثاً ومراسيله ١٢٦ حديثاً. فجميع

---

(١) لا يخفى أن مجموع الأبواب في المجلدات الأربعة إذا صح ما ذكره بالنسبة لكل مجلّد هو ٥٤٦ لا ٦٦٠ كما أن هناك خطأ في أرقام الأحاديث فلاحظ. (المترجم).

الأحاديث المسندة تبلغ ٣٩١٣ حديثاً ويبلغ عدد المراسيل ٢٠٥٠ حديثاً.

وليعلم أنّه قد تقدم تأمل البعض في توثيق الصدوق وهذا الكلام في غاية البطلان وقد تقدم وجهه.

وللشيخ الصدوق في مجلس ركن الدولة مناظرة مع المخالفين في الإمامة ذكرها الشيخ جعفر الدوريستي في رسالة، وذكرناها في كتاب تذكرة العلماء وفي الشرح الفارسي لمنظومة الإقامة، وهنا أيضاً نذكرها بشكل مجمل، وحاصلها: أن ركن الدولة أبا علي حسن بن بابويه قد سمع بصيت كمالات الصدوق فطلب لقاءه، وعند حضور الصدوق إلى المجلس الذي كان مليئاً بالعلماء المخالفين سعى غاية سعيه في إعزاز الصدوق وإكرامه وأجلسه بقربه، وبعد التعبير عن الأشواق والحاجة إليه ذكر له أن جمعاً من أهل الفضل الحاضرين في هذا المجلس مختلفون في أمر تلك الجماعة التي تطعن الشيعة فيهم فقال البعض: إنّ طعنهم واجب. وقال بعض آخر: إنّه غير واجب بل لا يجوز، فما هو رأيك في هذه المسألة؟

فقال الصدوق: إعلم أيها الملك أن اللّه لم يقبل من عباده الإقرار بربوبيته إلا إذا نفوا كلّ معبود بكلمة «لا إله» وإثبات العبودية بكلمة «إلا اللّه»، وكذلك لم يقبل الإقرار برسوله محمّدﷺ إلا إذا نفوا رسالة كلّ الكذابين مثل: سجاح ومسيلمة الكذاب والأسود العنسي ونحوهم، وكذلك لم يقبل بإمامة علي‌ؑ إلا بنفي كلّ من يدعو إلى غيره.

فقال ركن الدولة: هذا كلام لطيف فأقم لنا الدليل الواضح على إبطال الخلفاء وأحقية أمير المؤمنين‌ؑ. فقال الشيخ الصدوق: أجمعت الأُمّة على نقل حديث سورة البراءة وهذا الخبر يستفاد منه أن أبا بكر خارج عن الإسلام ولم يكن من النبي وفي ذلك الخبر نزول ولاية أمير المؤمنين‌ؑ من السماء.

قال السلطان: وكيف يدل ذلك الخبر على ذلك؟ قال الصدوق: روى أهل السنة وروينا أنّه عندما نزلت سورة براءة طلب الرسولﷺ أبا بكر وسلّمه السورة ليبلغها من قِبله في مكة أيام الموسم، وما أن سار أبو بكر مقداراً من الطريق حتى نزل جبرئيل وقال للرسولﷺ: إن اللّه تعالى يبلغك السلام ويقول لك: إن هذه السورة لا يبلغها إلا أنت أو رجل منك. فطلب الرسولﷺ علياً وقال له: خذ السورة من أبي بكر وبلغها في مكة. وهكذا فعل أمير المؤمنين؈ وعاد أبو بكر، فبناء على هذا الحديث نزل من السماء عزل أبي بكر وولاية أمير المؤمنين؈ ثم تولى الناس من عزله اللّه وعزلوا من ولاه اللّه وأخّروا المقدم وقدموا المؤخّر واستهانوا بأمر اللّه، ويظهر من هذا الخبر أن أبا بكر لم يكن من النبيﷺ إذ إنّ جبرئيل نزل يقول للرسولﷺ: يجب أن يبلغها أنت أو رجل منك. وبعد أن لم يكن أبو بكر من الرسول فهذا يعني أنّه ليس من أتباعه؛ لأنهﷺ يقول: «فمن تبعني فإنه مني»، وبعد أن لم يكن من أتباعه فهذا يعني أنّه ليس من محبيه؛ لأن اللّه تعالى يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم﴾[1]، وإذا لم يكن من محبيهﷺ فهو من أعدائه وحب النبي إيمان وعداوته كفر؛ إذ كيف يحب اللّه ويعادي نبيه؟! ويظهر من هذا الحديث أن علياً؈ كان من النبي مع أن المخالفين يروون رواية في تفسير هذه الآية: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[2] إن الذي على بينة من اللّه ورسول اللّه والشاهد هو أمير المؤمنين؈ كما أنّهم ذكروا أن جبرئيل رأى علياً؈ في حرب أُحد يجاهد أمام الرسولﷺ فقال: يا محمّد ما هذه المواساة من علي؟! فقال رسول اللّهﷺ: يا جبرئيل علي مني وأنا من علي فقال جبرئيل: وأنا منكما. فكيف إذن يصلح للإمامة رجل لم يره اللّه

(١) آل عمران ٣ / ٣١.
(٢) هود ١١ / ١٧.

تعالى أميناً على أداء آية من كتاب اللّه أيام الحج؟ وكيف يجوز أن يؤدي جميع دين اللّه بعد وفاة الرسول ﷺ والحال أن اللّه تعالى عزله من فوق السماوات السبع؟ وكيف لا يكون من أخروه مظلوماً والحال أن ولايته نزلت من السماء؟ فقال السلطان هذا كلام واضح ظاهر.

فقام رجل من أهل المجلس اسمه أبو القاسم استأذن الملك لمناقشة الشيخ وبعد أن أخذ الإذن قال: وكيف تجمع الأمة على الضلالة مع أن الرسول ﷺ قال: لا تجتمع أمتي على الضلالة؟ فقال الشيخ: إن كان هذا الخبر صحيحاً يجب أن نعرف معنى الأمّة، وهي في لغة العرب تستعمل في الجماعة وأقلّها ثلاثة، وقال البعض: واحد فإن اللّه تعالى قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً﴾[1]. فاللّه تعالى إذن استعمل الأمة في فرد واحد، ونحن لا ننكر صحّة هذا الخبر وأراد منه الذين اتبعوه فإن اللّه تعالى وصف أمة بعدة أمم. فقال: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً﴾[2] وقال: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً﴾[3] ثم قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[4] ومثله في حق أمة النبي، وهذه الأمة التي ذكرها اللّه هي التي أرادها ﷺ في قوله: «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

فقال السلطان: وكيف يمكن أن يرتد هذا العدد الكثير مع قرب عهدهم بموت النبي؟ فقال الصدوق: وكيف لا يمكن ذلك واللّه تعالى قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[5] وارتداد أُمّة نبينا

---

(١) النحل ١٦ / ١٢٠.
(٢) الأعراف ٧ / ١٦٨.
(٣) الأعراف ٧ / ١٦٠.
(٤) الأعراف ٧ / ١٨١.
(٥) آل عمران ٣ / ١٤٤.

أقرب من ارتداد قوم موسى حيث ذهب إلى الطور وقال: ﴿لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي...﴾[١] ووعد قومه أن يعود إليهم بعد ثلاثين ليلة وزادها اللّه تعالى عشر ليالٍ فاستضعف بنو إسرائيل هارون وعبدوا العجل، ثم عاد موسى وعاتب هارون إلى آخر القصة، فكما أن قوم موسى ارتدّوا كذلك يمكن أن يرتد قوم النبي مع أنهم كانوا يحتملون رجوع موسى، وأنه لم يمت بخلاف نبينا، وعليﷺ كان معذوراً عن حربهم كما كان هارون معذوراً.

فقال السلطان: أيها الشيخ الفاضل لم أسمع كلاماً أفضل من هذا. فقال الصدوق: أيها الأمير إن القائلين بإمامة أبي بكر ظنّوا أن الرسولﷺ لم يعين خليفة فخالفوه وعيّنوا خليفة كما أن أبابكر خالفه وعين عمر خليفة وعمر خالف للرسولﷺ لم يعين خليفة وأنّ الأمّة عينت أبا بكر، فإذا كان عدم تعيين الخليفة صواباً فقد أخطأت الأُمّة، وإذا كان تعيين الخليفة صواباً فقد أخطأ الرسول، والآن هل الأجدر أن ننسب الخطأ إلى الأُمّة أم لا؟ فقال الأمير: نسبة الخطأ إلى الأُمّة أجدر. فقال الصدوق: فكيف يجوز للرسول أن يرحل عن الدنيا ولا يعيّن خليفة مع أنّه إذا مات عامل في قرية وعنده جاروف ومعول يجعل وصياً؟ فقال الأمير: القول ما قاله الشيخ.

ثم قال الصدوق ظنّوا أن الرسولﷺ لم يعيّن خليفة فخالفوه وعيّنوا خليفة، كما أن أبابكر خالفه وعين عمر خليفة، وعمر لم يتّبع الرسول في ترك تعيين الخليفة ولم يتّبع أبابكر في تعيينه بل وجعلها شورى. فقال الأمير: هذا المطلب واضح فأخبرني عن شبهة السنّة في إمامة أبي بكر للصلاة أثناء مرض النبيﷺ. فقال الصدوق: ظنّوا أن الرسولﷺ قدّمه وهذا غير صحيح إذ اختلفوا فبعضهم قال: إن

---

(١) الأعراف ٧ / ١٤٢.

الرسول ﷺ قال لعائشة مري: أباك أن يصلي بالناس، وعندما ذهب أبوبكر للصلاة وضع الرسول ﷺ يداً على علي ﷺ ويداً أُخرى على العباس يستند إليهما ودخل المسجد وأبعد أبابكر من محله وصلّ بالناس جالساً وصلى خلفه أبوبكر والناس خلف أبي بكر. وروى البعض أن الرسول ﷺ قال لحفصة أن تأمر أباها يصلّي بالناس، وهذا خبر غير صحيح؛ لأنّ المهاجرين والأنصار لم يحتجّوا بهذا الخبر في السقيفة ولو فرض صحة هذا الخبر فهو لا يدل على إمامة أبي بكر؛ إذ لو ثبتت الإمامة بالتقدم في الصلاة لكان عبد الرحمن بن عوف أليق؛ لأنهم رووا أن الرسول ﷺ اقتدى به ولم يختلفوا في هذا الخبر كاختلافهم في خبر أبي بكر، كما أنّه كيف نقبل رواية عائشة وحفصة مع أنهما ذاتا منفعة ومصلحة من هذا الخبر لأنفسهما ولأبيهما؟ ولماذا لم يقبلوا قول فاطمة في أمر فدك مع أن الرسول ﷺ أعطاها فدكاً وبقيت معها عدّة سنين أثناء حياة أبيها ﷺ وفاطمة ﷺ سيّدة نساء العالمين واستشهدت بعلي والحسنين ﷺ وأم أيمن فقد طعنوا بشهادة علي ﷺ لأنها جالبة للنفع لنفسه؟ فكيف إذن يكون خبر عائشة وحفصة صحيحاً مع أنهم لا يقبلون ذلك في عشرة دراهم وأقل ما لم يكن هناك رجل؟

فقال الأمير: إن كلامهم فاسد لكن لماذا آمنتم باثني عشر إماماً مع أن اللّه تعالى أرسل ١٢٤ ألف نبي و أنتم تقطعون أنّه لا يوجد أكثر من اثني عشر إماماً؟ فقال الصدوق: الإمامة فريضة من اللّه تعالى و اللّه تعالى لم يجعل الفريضة إلا في عدد محصور، ألا ترى أنّه فرض في اليوم و الليلة ١٧ ركعة و فرض الزكاة على الأصناف المالية المعلومة و هي عند الشيعة تسعة و عند غير هم أكثر، و جعل وجوه الصوم و الحج محصورة، فكذلك يجب أن يكون هناك عدد محصور للأئمة، فكما أنّه لا يمكن أن يقال: لماذا كانت عدد ركعات الصلاة ١٧ ركعة، كذلك في الإمامة.

فقال الأمير: و هل ذكر اللّه تعالى في القرآن الفرائض و عددها؟ فقال الصدوق: بيّن الرسول ﷺ في سنته عددها و تعيين النبي بأمر اللّه كما قال: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم﴾(١) فقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾(٢) و تبين الرسول ﷺ و قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً﴾(٣) والرسول عينّها و قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾(٤) و الرسول ﷺ بيّن مناسكه و كذلك قال اللّه: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٥) و الرسول ﷺ بيّن عددهم و أنهم اثنا عشر.

فقال الأمير: لم يوافقكم السنة على العدد. فقال الصدوق: لا تضرّ مخالفة المخالفين و إلا لبطلت نبوّة نبينا؛ لأنّ اليهود و النصارى لم يعتقدوا بها ولن تثبت أي مسألة حينئذٍ، لأنّه فيها خلاف. فقال الأمير: هذا الكلام حق فحدّثنا بحديث عن إمامكم صاحب الزمان ؑ في أي زمان يخرج؟ فقال الصدوق :إن اللّه غيّب صاحب الزمان لأمر أراده و لا يعلم وقت ظهوره إلا اللّه، و قال الرسول ﷺ. مثل القائم من أبنائي مثل القيامة، وقال اللّه تعالى في أمر القيامة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾(٦).

فقال الأمير كيف يجوز أن يعيش هذا العمر الطويل؟ فقال الصدوق: وأين العجب أولم يصل إلى سمعكم الشريف عمر المعمّرين؟ فقال الأمير: نعم و لكن ذلك غير صحيح. فقال الصدوق: إن خبر اللّه تعالى صحيح إذ يقول: إنّ نوحاً بعث في ألف سنة إلا خمسين؟

---

(١) النحل ١٦ / ٤٤.
(٢) هود ١١ / ١١٤.
(٣) التوبة ٩ / ١٠٣.
(٤) آل عمران ٣ / ٩٧.
(٥) النساء ٤ / ٥٩.
(٦) الأعراف ٧ / ١٨٧.

فقال الأمير: هذا صحيح ولكن الزمان لا يتحمّل مثل هذا العمر. فقال الصدوق بعد أن جعل اللّه الزمان متحملاً فالزمان يصبح ممكناً فيه ذلك، وقد قال الرسول ﷺ: إن كلّ ما وقع في الأُمم السابقة يقع في أُمتي وحيث إنّ الزمان لا يتحمّل هذا العمر و جب أن يكون هذا العمر ثابتاً لأشهر أصناف البشر وهو صاحب الزمان وهذه السنّة قد جرت فيه.

فقال الأمير فما هي حكمة وجوده مع غيبته؟ قال الصدوق: إن وجوده من أجل السماء والأرض وإلا فإن السماء لا تقطر ولا تخرج الأرض بركاتها كما قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1] فكما أنه لم يعذب الناس مع وجود الرسول كذلك لا يعذبهم مع وجود الإمام؛ لأنه قام مقامه إلا أنّه لا يوحى إليه، وقد روى رواتنا والسنة أن النبي ﷺ قال: النجوم أمان لأهل السماوات فلولا النجوم لأصاب أهل السماء المكروه وكذلك هم أهل بيتي هم أمان لأهل الأرض لولاهم لأصاب أهل الأرض المكروه. وقال الرسول ﷺ أيضاً: لولا الحجة لماجت الأرض بأهلها كما تموج البحار بأهلها. وفي بعض الروايات: لساخت الأرض بأهلها، وفي بعض الروايات لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

فقال الأمير: ما أحسن هذا الكلام! وقال للحضور: إن هذا الكلام حق وغير هذه الفرقة على باطل. ثم سأل الشيخ أن يكثر من المجيء إلى الأمير. وفي اليوم التالي تحدث الأمير عن الصدوق وأثنى عليه فقال بعض الحضور: إنّ الشيخ يعتقد أنّه عندما حمل رأس الإمام الحسين ﷺ على رأس الرمح قرأ الرأس سورة الكهف. فقال الأمير: لم أسمع هذا الكلام منه ولكن أسأله فكتب إليه عن المسألة، فكتب الصدوق في الجواب: إنّ هذا الخبر مروي عمّن سمع رأس الإمام المطهر يتلو سورة

(١) الانفال ٨ / ٣٣.

الكهف ولم يرو عن الإمام وأنا لا أنكره بل هذا ثابت. فـالله أخـبر في كـتابه أن الأيدي والأرجل تتكلم يوم القيامة وتشهد على الأعمال، وإذا كان الله قادراً على أن يجعل يد ورجل المذنب تتكلم فهو قادر على أن يجعل رأس الإمام الحسين عليه السلام يتكلم في الدنيا مع أنه عليه السلام خليفة النبي والإمام وأحد سيّدي شباب أهل الجنة وابن سيّدة النساء وأبوه سيّد الوصيين وأمير المؤمنين، فـيجب أن لا يـنكر ذلك بحـق الإمام الحسين عليه السلام! وهذا غير مستبعد عن قدرة الله، بل العجب هنا ممن بكت عليه الملائكة وبكته السماء دماً وناحت عليه الجن! وكل من ينكر ذلك فقد أنكر شرائع ومعجزات الرسول صلى الله عليه وآله لأن الجميع رواها بهذه الطـريقة. إلى هـنا حـاصل تـلك الرسالة.

ومـن غـرائب فـتاوى الصـدوق: أن مـن عـنده عـمامة ليس له أن يـصلي دون الحنك، وأيضاً أن أول وقت المغرب استتار القـرص وهـذا مـذهب الشـيخ الطوسي في كتاب المبسوط، وأيضاً يرى الشـيخ الصـدوق وجـوب القـنوت في الصلوات اليومية الخمس وتبطل الصلاة بدونه، وذهب ابن عقيل إلى وجـوبه في الصلاة الجهرية.

ومن فتاواه: أن الصلوات على محمّد وآله ليست جزءاً مـن التـشهد وذكـر التشهد في كتاب من لا يحضره الفقيه من دون الصلوات، كما أنّه يرى جواز السهو على النبي والإمام وسمّـاه إنساء الرحمن، واختار السيّد نعمة الله الجـزائـري هـذا المذهب أيضاً، وقال الصدوق: إن هذا هو مذهب الأُستاذ محمّد بن الوليد وإذا سمح العمر فسأكتب رسالة في هذا الباب. وذكر الشيخ البهائي في هذا المقام: الحمد لله أنّه قضى عمره ولم يوفق لكتابة مثل هذا الكتاب. وقال الشيخ أحمد في هذه المسألة:

الصدوق في هذه المسألة كذوب[١].

وتوفي هذا المعظم سنة ٣٨١، وتاريخه بالحروف لفظ «شفا» ودفن في الري. ويقرب من أربعين سنة أرادوا أن يعمروا ذلك القبر فأدى ذلك إلى نبشه فرأوا ذلك الجسد على حاله لم يتعفن وعلى رؤوس أصابعه لون الحنّاء على حاله وقد تأثّر مفرقه المبارك قليلاً بسبب خراب القبر، فبنوا قبة عليه.

وقد تلمذ عنده الشيخ المفيد، وله إجازة من أبيه ومن الكليني بواسطة محمّد بن علي بن ماجيلويه ومحمّد بن محمّد بن عصام الكليني وعلي بن أحمد محمّد بن عمران الدقاق رحمة الله عليهم وعلى علمائنا الماضين.

---

(١) ليس المقصود من الكذب هنا المعنى العرفي وهو تعمد الحكاية بما هو غير واقع، بل المقصود ما هو المعنى المصطلح عليه عند أهل البلاغة من عدم مطابقة الخبر للواقع وإن لم يتعمد المخبر ذلك بل كان خطأً واشتباهاً (المترجم).

(٩٧)
محمّد بن يعقوب الكليني ﷺ

محمّد بن يعقوب الكليني الملقب بثقة الإسلام والمكنّى بأبي جعفر، وكلين بضم الكاف وفتح اللام كما صرّح به العلامة وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي، وهو المسموع من المشايخ خلفاً عن سلف كما أنّه المعروف في ألسنة أهل الري قراءتهم الكلمة على هذا النحو، وهي من التوابع والقرى. واعتبر صاحب القاموس لفظ كلين بفتح الكاف وكسر اللام على وزن أمير، وهذا من أغلاط القاموس.

وجنابه ﷺ أول المحمدين الثلاثة الأوائل وقد كتب الكافي الذي يقرب من ثمانية آلاف بيت خلال عشرين سنة. وحكي عن ابن الأثير في جامع الأُصول أنّ من خصائص الشيعة أن يظهر لهم على رأس كلّ مئة سنة هجرية مجدد لمذهبهم، ففي رأس المئة الثانية كان الإمام الرضا ﷺ، وعلى رأس المئة الثالثة كان محمّد بن يعقوب الكليني، وعلى رأس المئة الرابعة السيّد المرتضى.

وهو أول من بوّب الأخبار وكتابه أحد الكتب الأربعة وهو ـ حسب ما يستفاد من كتب الرجال ـ أوثق الناس في الحديث وأثبتهم وأضبطهم، وعدد أخبار الكافي ١٦١٩٩ حديثاً، وصحيحها حسب اصطلاح المتأخرين ٥٠٧٢ حديثاً، وحسانها ١٤٤ حديثاً، وموثقاتها ١١١٦ حديثاً وقويّها ثلاثمئة وحديثان وضعافها ٩٤٨٥ حديثاً.

توفي سنة ٣٢٩ أو ٣٢٨ ـ وهي سنة تناثر النجوم الأرض ـ في بغداد ودفن في مقبرته في باب الكوفة وصلّى عليه محمّد بن جعفر الحسيني الملقب بأبي قيراط. قال السيّد هاشم البحراني المتقدم ذكره في كتاب روضة العارفين: قال بعض الثقات من العلماء المعاصرين: إنّ شخصاً من حكام بغداد رأى قبر محمّد بن يعقوب الكليني فسأل: هذا قبر من؟ فقالوا له: قبر أحد علماء الشيعة. فأمر بأن يخرّب وأن يفتح فرأوه باقياً مع كفنه على حاله لم يتغيّر وقد دفن معه طفل صغير، فأمر بأن يدفن من جديد وبنى عليه قبة وهو الآن قبر معروف وهو مشهد ومزار. انتهى كلام السيّد هاشم.

وذكر بعض المشايخ أن السيّد نعمة اللّه الجزائري قال: إن سبب حفر ذلك القبر المطهر أن شخصاً من حكام بغداد رأى أن الناس مفتونون بزيارة الأئمة عليهم السلام ولبغضه وعداوته لأهل البيت أمر بحفر القبر المطهر للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقال: إذا كانت الشيعة على حق فهو الآن في القبر موجود وإلا فسنمنع الناس من زيارة قبورهم. فقال بعض للحاكم: إنها هنا رجلاً من علمائهم وهو من أقطابهم وهم يعتقدون أيضاً أن قبور علمائهم تبقى محفوظة أيضاً ولا تتبدلّ أبدانهم، فافتحوا قبر ذلك العالم وهو محمّد بن يعقوب الكليني. ففتحوه ورأوا محمّد بن يعقوب الكليني على هيئته مدفوناً لم يتغير أبداً فأمر بأن تبنى على قبره قبة عظيمة وبناء قوياً وصار مزاراً مشهوراً.

ولمحمد بن يعقوب الكليني تأليفات نقلت عنه منها: كتاب الكافي المشهور كالشمس في رائعة النهار، وكتاب رسائل الأئمة، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب تعبير الرؤيا، وكتاب الرجال، وكتاب ما قيل من الشعر في الأئمة عليهم السلام. رحمه اللّه تعالى وأسكنه غرف الجنان.

(٩٨)
محمّد بن محمّد بن النعمان
الملقب بالشيخ المفيد

محمّد بن محمّد بن نعمان بن عبد السلام الحارثي الملقب بالمفيد، شيخ سديد، فاضل عميد، ومتكلم وحيد ومناظر ومجادل فريد، وهو الذي نال عز خروج ثلاثة تواقيع في سنين ثلاث من الناحية المقدسة وكتب الإمام في العنوان: للأخ الأعز السديد الشيخ المفيد.

وأصل الشيخ من عكبرى، والمذكور في مصابيح القلوب أنّ الشيخ عندما هاجر من موطنه وجاء إلى بغداد حضر مجلس درس القاضي عبد الجبار المعتزلي وجلس إلى جانب الأحذية ثم قال: أيها القاضي عندي مسألة لو تأذن. فأذن له القاضي فقال الشيخ: هل حديث الغدير مسلّم أم لا؟ قال القاضي: مسلّم. فقال الشيخ: ما هو المراد من «مولى»؟ فقال القاضي: المراد به الأولى. فقال الشيخ: فلماذا اختلف السنة والشيعة في تعيين الإمام؟ فقال القاضي: أيها الأخ خبر الغدير رواية وخلافة أبي بكر دراية والعاقل لا يترك الدراية لأجل الرواية بل الدراية مقدمة. فقال الشيخ: فماذا تقول في هذا الحديث حيث قال الرسول: يا علي حربك حربي وسلمك سلمي؟ قال القاضي: صحيح. فقال الشيخ: فماذا تقول في أصحاب الجمل الذين حاربوا علياً؟ فقال القاضي: قد تابوا. فقال الشيخ: الحرب دراية والتوبة رواية والعاقل لا يترك الدراية من أجل الرواية؛ لأن الدراية مقدمة على

الرواية. فسكت القاضي وسأل عن اسم الشيخ ثم قام من مكانه وأجلس الشيخ مكانه وقال له: أنت المفيد حقاً. فبان التغير على وجوه علماء المجلس فقال لهم القاضي: أيها العلماء قد عجزت عن جوابه فإن كان عندكم جواب فليقل حتى يقوم ويجلس محلّي. وعندما سمع السلطان عضد الدولة بما جرى أرسل إلى الشيخ مركباً خاصاً مزيناً ولجاماً مذهباً ومئة دينار ذهب من دنانير الخليفة وكل دينار منها عشرة دنانير وأعطاه أيضاً غلاماً وكل يوم عشرة أمنان من الخبز وخمسة أمنان لحم لمجلسه وأعطاه جبّة وعمامة ممتازين ثم صار الشيخ ملقباً بالمفيد.

وروى هذه الحكاية في كتاب السرائر على هذا الوجه: أن مولد جنابه كان في عكبرى ثم جاء إلى بغداد وشُغل بالدراسة عند أبي عبداللّـه، ثم التحق بدرس علي بن عيسى الرماني بناء على إرشاد علي بن ياسر، وكان في الدرس رجل من أهل البصرة فسأل البصري علي بن عيسى عن خبر الغدير وحديث الغار فقال الرماني: حديث الغار دراية وحديث الغدير رواية والدراية مقدّمة على الرواية. فقام البصري وخرج ثم قال الشيخ بعد لحظة ما تقول في من حارب إمام الزمان؟ قال الرماني: كافر. ثم قال مستدركاً: فاسق فسأله الشيخ عن طلحة والزبير فقال الرماني: قد تابا. فقال الشيخ الحرب دراية والتوبة رواية والدراية مقدّمة على الرواية. فقال له الرماني: أو كنت حاضراً عند سؤال البصري؟ قال: نعم. قال: من أنت؟ قال: ابن المعلم. قال الرماني: عند من تدرس؟ قال: عند أبي عبداللّه (جُعل) فكتب الرماني رقعة وطلب منه أن يسلمها لأبي عبداللّه وعندما قرأ أبو عبداللّـه الرسالة تبسّم وقال له: ماذا جرى بينك وبين الرماني حتى كتب توصية في حقّك ولقّبك بالمفيد؟ فحكى له الشيخ القصة كلها.

ومن فتاوى الشيخ: أنّه لا يوجد لدينا أمر موسع في الأوامر الشرعية.

ويحكى أنّ قروياً جاء إلى الشيخ وسأله عن امرأة حامل توفيت وحملها حي فهل نشق بطنها ونخرج الولد أم ندفنهامع الولد؟ فقال الشـيخ: تـدفن مـع الولد. فرجع القروي وفي الطريق جاءه راكب وقال له: أيهاالرجل قال لك الشيخ المفيد أن تشقّوا بطنها وتخرجوا الطفل ثم تدفنوا المرأة وهكذا فعلوا. وبعد مدّة نـقلت هـذه الحكاية للشيخ فقال: لم أرسل أحداً ومن المعلوم أنّه صاحب الزمان ﷺ فالظاهر أننا نتخبط ونخطئ في الأحكام الشرعية فالأفضل أن لا نـفتي لأحـد بـعد الآن. فجلس في بيته وأقفل على نفسه ولم يخرج وإذ بتوقيع يأتيه من صاحب الأمر ﷺ قال له فيه: افتوا وعلينا تسديدكم ومنعكم من الخطأ[1]. فتصدى الشيخ من جديد للفتوى.

وليعلم أنّه لم يخرج توقيع في زمن الغيبة الكبرى إلّا للشيخ المفيد. وقال الشيخ أسد اللّه الكاظمي في كتاب المقابيس: أجمعت علماء الإمامية عـلى أنّـه خـرجت توقيعات من إمام الزمان بخطه المبارك إلى الشيخ المفيد.

ومن فتاوى الشيخ الغريبة أن تسليم الصلاة مستحب، وهذا القول مـوافـق لمذهب الشيخ الطوسي في غير المبسوط وابن البراج وابن إدريس والعلامة في غير المنتهى. والمشهور المنصور أنّه واجب وجزء من الصلاة وذهب الشهيد الأول في كتاب القواعد إلى وجوبه لكنه لم ير جزئيته بل اعتبره خارجاً من الصلاة.

ومن فتاوى الشيخ المفيد الغريبة نفيه للواجب الموسّع في الشريعة، وقد بـيّنّا ضعف هذه الفتوى في كتاب لسان الصدوق في بحث الواجب الموسع باستيفاء، وبيّنّا الجواب عن الاستحباب في مجلّد الأفعال من كتاب بدائع الأحكام في شرح شرائع الإسلام.

---

(١) هذا مضمون التوقيع (المترجم).

وكان الشيخ في بغداد ماحي الكفر والضلال والهادي نحو السداد وقد غلب علماء العامة وخذلهم، وكان سلاطين آل بويه الشيعة أقوياء في بغداد فحموا الشيخ. وللشيخ مناظرات كثيرة منها: مناظرته مع القاضي أبي بكر الباقلاني المشهور إذ ناظر يوماً الشيخ فكان كالطير المرعوب يقفز من غصن إلى آخر وكالغريق الذي تكاد روحه تخرج فيتشبث بأي عشبة. ولكن الشيخ كان يسرّ عليه طريق الطيران فأراد الباقلاني أن يبدي الترحيب بالشيخ ليهدئه وكي لا يبالغ في إلزامه ويخجله في نظر الحاضرين فاعترف بقدرة الشيخ في فنون العلم وقال له: ألك في كل قدر معرفة ـ أي إنك ملعقة كلّ قدر ومغرفته ـ فقال له الشيخ: نعم ما تمثّلت بأدوات أبيك. أي أحسنت إذ تمثّلت بالقدر والملعقة فإنّها من أدوات أبيك طبّاخ الباقلاء، فخجل الباقلاني وضحك عليه أهل المجلس.

وكان الباقلاني جالساً يوماً مع أصحابه فلمح الشيخ المفيد من بعيد وقال تعصباً وعناداً: قد جاءكم الشيطان. وسمع الشيخ المفيد هذا الكلام فاقترب وقرأ على الباقلاني وأصحابه هذه الآية: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1] والظاهر أن هذه المفاكهة كانت بين أبي حنيفة ومؤمن الطاق الذي يسمّيه أهل السنة بشيطان الطاق.

ومن مناظرات الشيخ: مناظرته مع الفاضل الكتبي العنيد، فقد سأل فاضل الكتبي الشيخ المفيد: ما هو دليلكم على فساد خلافة أبي بكر؟ فقال له الشيخ: لنا أدلّة كثيرة لكنني أقول ما يمكنك فهمه وهو أن الأُمّة أجمعت على أنّ الإمام غير محتاج إلى إمام آخر، وقد انعقد الإجماع على أن أبي بكر قال على المنبر: وليتكم ولست بخيركم فإن استقمت فاتبعوني وإن اعوججت فقوموني. وهذا اعتراف منه

---

(١) مريم ١٩/ ٨٣

بحاجته إلى الرعية، ولا يخفى على عاقل أن من يحتاج إلى رعيته فهو أحوج إلى الإمام، وإذا ثبتت حاجة أبي بكر للإمام بطلت إمامته. فبهت الكتبي وعجز عن الجواب فقام أحد الحاضرين في المجلس وهو معتزلي للردّ والنقض فقال: أجمعت الأُمّة على أنّ القاضي غير محتاج إلى قاضي آخر وأن الأمير غير محتاج إلى أمير آخر، وبناء على أصلكم يجب أن يكون القضاة والأُمراء أيضاً معصومينَ من الخطأ أو يجب الخروج من دائرة متابعة الإجماع. فقال الشيخ: إن سكوت السائل الأول أفضل من كلامك ولم أكن أظن أنّه يخفى عليك خطأ هذا الكلام؛ لأن الإجماع في هذه المسألة على خلاف ما ذكرت إذ إنّ الأُمّة متّفقة على أن القاضي في مرتبة أدنى من الإمام، إلّا إذا كان مرادك من القاضي والأمير هو نفس الإمام فقاضٍ وأمير كهذا يكون مستغنياً عن قاضٍ وأمير آخر بقوة عصمته وكماله.

كما جرت مناظرة بين الشيخ المفيد وبين أبي عمر الشطوي الخبيث وهو من المعتزلة أيضاً، بيانها: أنّه سأل الشيخ ألم ينعقد الإجماع على أن أبا بكر وعمر كانا على ظاهر الاسلام؟ فقال الشيخ: إنما انعقد الإجماع على أنهما كانا على ظاهر الإسلام في بعض الأزمنة أمّا إنهما كانا كذلك في كلّ الأحول والأزمان فلا؛ إذ من الواضح أنّ الإجماع على أنهما كانا قبل إظهار الإسلام على الكفر عدّة سنين، ويرى جمع كثير أنهما كفرا بعد أن أظهرا الإسلام لإنكارهما النص الجلي في الأمير عليه السلام وقد ظهرت عليهما آثار النفاق في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فأنصف الشطوي وقال: قد بطل ما كنت أُريد أن أبني كلامي عليه. فقال له الشيخ: وأنا عرفت ماذا تريد أن تقول وعن علم سددت عليك الدرب.

ومن جملة مناظرات الشيخ المفيد: أنّه ذهب يوماً إلى منزل شريف بغداد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن طاهر وكان أحد المتفقهة حاضراً فسأل الشيخ: إن مذهبكم أن الرسول معصوم من الخطأ مبرّأ من الزلل مأمون من السهو والغلط

وهو بنفسه الشريفة مستغنٍ عن الرعية، فلماذا إذن أمره اللّه تعالى أن يتشاور مع الناس في الأُمور وقال: ﴿وَشَاوِرْهُم فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[1] فقال الشيخ: إن مشاوره النبي لهم ليست لحاجته إليها ولذا قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ...﴾ ولم يقل: واعمل بمشورتهم، وإنما قال له: شاورهم ثم انظر في الأمر فإذا عزمت فتوكل، ولعلّ فائدة المشورة أنها سبب للأُلفة بينهم واستئناسهم بالاجتماع ببعضهم، أو إنّه بالاستشارة سيكون طريق العلم بأُمورهم وإدارتها بنحو أفضل وسيتوصّلون هم إلى الكمال لا النبي، أو أنّه بسبب المشورة سيبدي كلّ واحد منهم ما عنده فيتميز حينئذٍ المنافق من غيره؛ إذ يمكن معرفة كلّ واحد من أي الفرقتين هو من خلال كلماته ورأيه.

ومن جملة حكايات الشيخ المفيد: أنّه نقل في مجالسه عن أبي الحسين الخياط رئيس المعتزلة أنّه قال: جاءني يوماً أحد الشيعة الإمامية وأظهره أن رئيسهم أرسله ليسأله عن الخوف الذي أصاب أبا بكر في الغار وقال له الرسول ﷺ: لا تحزن. ونهاه عنه هل كان طاعة أو معصية؟ فإن كان طاعة فقد نهاه الرسول ﷺ عن الطاعة وإن كان معصية ثبت عصيان أبي بكر. قال أبو الحسين عندما سمعت هذا السؤال منه قلت له: اترك الجواب هذا اليوم واذهب إلى ذلك الرئيس وقل له: هل كان خوف موسى عندما قال له اللّه تعالى ﴿لا تَخَفْ﴾[2] طاعة أو معصية؟ فإن كان طاعة فهذا يعني أن اللّه نهاه عن طاعة وإن كان معصية فقد ثبتت معصية موسى. فذهب ذلك الشخص وعاد في اليوم التالي فقلت له: ماذا أجاب الرئيس؟ فقال نصحني الرئيس أن لا تتعرف عليه بعد الآن.

---

(١) آل عمران ٣ / ١٥٩.

(٢) طه ٢٠ / ٦٨.

قال الشيخ المفيد: إن صدق أبو الحسن في هذه الحكاية فجواب شبهته أنّه حيث قام الدليل العقلي والنقلي على عصمة الأنبياء عليهم السلام فالنهي في قضية موسى عليه السلام يحمل على الخلاف مثل التسلية، ولكن بالنسبة لأبي بكر لم يقم دليل على عصمته بل عدم عصمته إجماعي فالنهي بـ«لا تخف» يبقى على ظاهره بلا داعي للتأويل والحمل على خلاف الظاهر.

وللشيخ المفيد مناظرة مع عمر بن الخطاب ذكرها الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج، وحاصلها: أن الشيخ المفيد قال: رأيت في المنام أنني أعبر بعض الطرق وفيه حلقة مليئة بالناس فسألت عنها فقالوا: هنا رجل يحكي قصة. فقلت: ومن هو الرجل؟ فقالوا: عمر بن الخطاب. فدخلت الحلقة ومهما حاولت الاستماع لم أفهم شيئاً من كلامه فقطعت كلامه وقلت له: كيف تدلّ آية الغار على فضيلة صاحبك أبي بكر؟ فقال عمر: تدل على ذلك من وجوه ستة:

١ ـ أنّه جمع بينهما في الذكر وجعله ثاني اثنين.

٢ ـ أن الرسول وأبابكر وصفا بالمجتمعين في الغار إذ قال ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[1].

٣ ـ أنّه جعل أبا بكر صاحب النبي وقال: ﴿لِصَاحِبِهِ﴾[2].

٤ ـ قول اللّه تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾[3] الدال على الشفقة.

٥ ـ إخباره بأن اللّه كان معهما.

٦ ـ نزول السكينة على أبي بكر، لأن الرسول لم تكن تفارقه السكينة أبداً.

فقال الشيخ: قلت في الجواب إن ما ذكرته من الاستدلال كرماد تذروه الرياح: أما الجواب عن الأول: فإن الجمع في العدد لا يوجب فضيلة ومزية؛ إذ إنّ

(١ ـ ٣) التوبة ٩ / ٤٠.

المؤمن والكافر يمكن القول: إنّهما اثنان.

وأما الجواب عن الثاني: فإن الجمع في المكان لا يوجب أيضاً فضيلة؛ لأنّه كان يجتمع في مسجد الرسول ﷺ المؤمن والمنافق.

والجواب عن الثالث: أن الصاحب تُطلق على المؤمن والكافر والبهائم وقوله ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ...﴾[1] دليل عليه.

وجواب الرابع: أن ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فهي فلو كانت طاعة فلماذا نهى عن طاعة؟ وإن كانت معصية فالقرآن يدل على عصيانه.

والجواب عن الخامس: أن المراد منه النبي مثل: ﴿إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] وأمثاله، ويحتمل أن يكون المراد علي مع الرسول.

والجواب عن السادس: أن ضمير ﴿سَكِينَتَهُ﴾[3] يرجع إلى النبي مثل قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] إضافة إلى رجوع ضمير ﴿وَأَيَّدَهُ﴾[5] به إلى الرسول ﷺ فيجب أن يرجع ضمير في ﴿سَكِينَتَهُ﴾ إليه أيضاً حتى لا يلزم التفكيك.

واعلم أن الشيخ أسد اللّه الكاظمي ذكر أن الشيخ المفيد كان صاحب كرامات كثيرة، ويقول مؤلف هذاالكتاب: ومن كراماته: ورود التوقيعات المهدوية. والكرامة الأُخرى: حكاية تلك المرأة التي ماتت والطفل في بطنها كما تقدم.

---

(١) الكهف ١٨ / ٣٧.
(٢) الحجر ١٥ / ٩.
(٣) التوبة ٩ / ٤٠.
(٤) الفتح ٤٨ / ٢٦.
(٥) التوبة ٩ / ٤٠.

الكرامة الثالثة: ويشترك فيها السيّد المرتضى والسيّد الرضي ووالدتهما مع الشيخ المفيد، وهي: أنّ الشيخ المفيد رأى في المنام أنّه جالس في مسجد الكرخ وهو من مساجد بغداد فجاءته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام تمسك ولديها الحسنين وقالت: يا شيخ علّمهما الفقه. وعندما استيقظ تحير من هذا المنام وما هي رتبتي حتى أُعلم الإمام؟ ورؤية الأئمة والمعصومين عليهم السلام ليست رؤيا شيطانية، وفي اليوم الذي تلا المنام ذهب إلى ذلك المسجد الذي رآه وجلس فيه وإذا بوالدة السيّد المرتضى تأتي والجواري حولها وقد أخذت بيد السيّد المرتضى والسيّد الرضي وقالت: يا شيخ علّمهما الفقه. ففهم الشيخ تفسير المنام وبالغ في احترام السيّد المرتضى والسيّد الرضي.

الكرامة الرابعة: ويشاركه فيها السيّد المرتضى، وهي: أن السيّد المرتضى طلب يوماً أن يوضع السرج على حصانه فقال له الشيخ: رأيت الكلب يبول عليه فأمر بتطهيره. فقال له السيّد المرتضى. أنت شاهد واحد ولا تسمع شهادة الواحد. وبعد مناقشة اتّفقا على أن يكتبا الأمر ويضعاه في مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وفي اليوم التالي رأيا ذلك المكتوب وقد كتب عليه الأمير عليه السلام: الحق مع ولدي والشيخ معتمدي. وقال بعض العلماء: إنّ الشيخ المفيد رأى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام يقول له: يا شيخ ومعتمدي الحق مع ولدي. وقال البعض: إنّهما سمعا هذا الكلام شفاهاً من الإمام عليه السلام.

وكتب السيّد المرتضى كتاب المجالس جمع فيه مناظرات الشيخ المفيد أُستاذه مع علماء العامة، كما جمعها المجلسي في مجلّد الاحتجاجات من كتاب بحار الأنوار، والشيخ الطبرسي أيضاً ذكر جملة منها.

وكانت وفاة هذا المعظم ليلة الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ٤١٣،

وكانت ولادته يوم ١١ من شهر ذي القعدة سنة ٣٣٣، وقال البعض: ٣٣٨. وفي ذلك اليوم توفي ثمانية آلاف من الشيعة واجتمعت الرافضة بحيث ضاقت عليهم ساحة أشنان في بغداد. وصلّى عليه السيّد المرتضى، ودُفن في منزله وبقي عدّة سنين حتى نقلوه إلى مقابر قريش ودفن عند قدمي الإمام الجواد‌ﷺ بجانب قبر الصدوق أبي القاسم جعفر بن قولويه.

ونسب الشيخ المفيد هكذا: محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن سعيد بن وهب بن هلال بن أوس بن سعيد بن سنان بن عبد الدار بن رئاب بن زياد بن حرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن حارث بن كعب بن علة بن هارون بن مالك بن داود بن زيد بن يشحب بن عريب بن دقيد بن كهلان بن سنان بن يشحب بن يعرب بن قحطان، وفي النسخ اختلاف جزئي.

وذكر في كتاب مجالس المؤمنين وغيره أن هذه الأبيات كتبت على قبر الشيخ المفيد بخط صاحب الأمر‌ﷺ في رثائه:

لا صوّت الناعي بفقدك إنّه ... يوم على آل الرسول عظيم

إن كنت قد غيبت في جدث الثرى ... فالعلم والتوحيد فيك مقيم

والقائم المهدي يفرح كلّما ... تليت عليك من الدروس علوم

وهذا غير مستبعد فقد كتب‌ﷺ إلى الشيخ توقيعات بذلك النحو فمن الطبيعي أن يكون مهموماً لموت الشيخ ويرثيه.

وأما تأليفاته فهي على ما ذكره النجاشي وكان من تلامذته بلغت ما يقرب من مئتي تأليف نذكر بعضها:

١ ـ كتاب المقنعة وهي متن تهذيب الشيخ الطوسي.

٢ ـ كتاب الأركان في دعائم الدين.

٣ ـ كتاب الإيضاح في الإمامة.

٤ ـ الإفصاح في الإمامة.

٥ ـ الإرشاد.

٦ ـ العيوب والمحاسن.

٧ ـ الرد على الجاحظ والعثمانية.

٨ ـ كتاب نقض المردانية.

٩ ـ كتاب نقض فضيلة المعتزلة.

١٠ ـ كتاب المسائل الصاغانية.

١١ ـ كتاب مسائل النظم.

١٢ ـ كتاب المسألة الكافية في إبطال توبة الخاطئة.

١٣ ـ كتاب النقض على ابن عباد في الإمامة.

١٤ ـ كتاب النقض على علي بن عيسى الرماني.

١٥ ـ كتاب النقض على أبي عبد اللّه البصري.

١٦ ـ كتاب في المتعة.

١٧ ـ كتاب في الموجز فيها.

١٨ ـ كتاب مختصر المتعة.

١٩ ـ كتاب مناسك الحج.

٢٠ ـ كتاب مناسك الحج مختصر.

٢١ ـ كتاب المسائل العشرة في الغيبة.

٢٢ ـ كتاب مختصر في الغيبة.

٢٣ ـ كتاب مسألة في الغسل على الرجلين.

٢٤ ـ كتاب مسألة في نكاح الكتابيات.

٢٥ ـ كتاب جمل الفرائض.

٢٦ ـ كتاب كشف الالتباس.

٢٧ ـ كتاب مسألة في الإرادة.

٢٨ ـ مسألة في الأصلح.

٢٩ ـ كتاب أُصول الفقه.

٣٠ ـ كتاب الموضح في الوعيد.

٣١ ـ كتاب كشف السرائر.

٣٢ ـ كتاب الجمل.

٣٣ ـ كتاب لمح البرهان.

٣٤ ـ كتاب مصابيح النور.

٣٥ ـ كتاب الإشراق.

٣٦ ـ كتاب الفرائض الشرعية.

٣٧ ـ كتاب النكت في مقدمات الأُصول.

٣٨ ـ كتاب إيمان أبي طالب.

٣٩ ـ كتاب مسائل أهل الخلاف.

٤٠ ـ كتاب أحكام النساء.

٤١ ـ كتاب عدد الصوم والصلاة.

٤٢ ـ كتاب الرسالة إلى أهل التقليد.

٤٣ ـ كتاب التمهيد.

٤٤ ـ كتاب الانتصار.

٤٥ ـ كتاب الكلام في الإنسان.

٤٦ ـ كتاب الكلام في وجوه إعجاز القرآن.

٤٧ ـ كتاب الكلام في المقوم.

٤٨ ـ كتاب الرسالة العلوية.

٤٩ ـ كتاب أوائل المقالات.

٥٠ ـ بيان وجوه الأحكام.

٥١ ـ كتاب المزار الصغير.

٥٢ ـ كتاب الأعلام.

٥٣ ـ كتاب جواب المسائل في اختلاف الأخبار.

٥٤ ـ كتاب العريض في الكلام.

٥٥ ـ رسالة الجنيدي إلى أهل المصر.

٥٦ ـ كتاب النصرة في فضل القرآن.

٥٧ ـ كتاب جوابات أهل الدنيور.

٥٨ ـ كتاب جوابات أبي جعفر القمي.

٥٩ ـ كتاب جوابات علي بن نصر العندجاني.

٦٠ ـ كتاب جوابات الأمير أبي عبدالله.

٦١ ـ كتاب جوابات الفارقين في الغيبة.

٦٢ ـ كتاب نقض خمس عشرة مسألة على البلخي.

٦٣ ـ كتاب نقض الإمامة على جعفر بن حرب.

٦٤ ـ كتاب جوابات النضر بن بشير في الصيام.

٦٥ ـ كتاب جوابات الفيلسوف في الاتحاد.

٦٦ ـ كتاب جوابات أبي الحسن مسبط المعافا بن زكريا في إعجاز القرآن.

٦٧ ـ جوابات أبي الليث الأواني في الكلام على الجبائي في المعدوم.

٦٨ ـ كتاب جوابات النضر بن بشير في الصيام.

٦٩ ـ كتاب النقض على الواسطي.

٧٠ ـ كتاب الإقناع في وجوب الدعوة.

٧١ ـ كتاب المزورين في معاني الأخبار.

٧٢ ـ كتاب جوابات أبي الحسن النيشابوري.

٧٣ ـ كتاب البيان في تأليف القرآن.

٧٤ـكتاب جوابات البرقعي في فروع الفقه.

٧٥ـكتاب الرد على ابن كلاب في الصفات.

٧٦ـكتاب النقض على الطلحي في الغيبة.

٧٧ـكتاب في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن.

٧٨ـكتاب في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهلَ الذِّكْرِ﴾[1].

٧٩ـكتاب المسألة الموضحة عن أسباب نكاح أمير المؤمنين عليه السلام.

٨٠ـكتاب الرسالة المقنعة في وفاق البغداديين من المعتزلة لما روي من الأئمة عليهم السلام.

٨١ـكتاب جوابات مقاتل بن عبد الرحمن مما استخرجه من كتاب الجاحظ.

٨٢ـكتاب جوابات بني عرقل.

٨٣ـالمسألة على الزيدية.

٨٤ـالمجالس المحفوظة في فنون الكلام.

٨٥ـالأمالي المتفرقات.

٨٦ـكتاب نقض الأصم في الإمامة.

٨٧ـكتاب جوابات مسائل اللطيف من الكلام.

٨٨ـكتاب الرد على الخالدي في الإمامة.

٨٩ـكتاب الاستبصار فيما جمعه الشافعي.

٩٠ـكتاب الكلام في الخبر المختلق بغير أثر.

---

(١) النحل ١٦ / ٤٣.

٩١ ـ كتاب الرد على النفي في الشورى.

٩٢ ـ كتاب أقسام المولى في اللسان.

٩٣ ـ كتاب جوابات أبي الحسن الحصيني.

٩٤ ـ كتاب مسائل الزيدية.

٩٥ ـ كتاب المسائل في أقضى الصحابة.

٩٦ ـ كتاب مسألة في تحريم ذبائح أهل الكتاب.

٩٧ ـ كتاب مسألة في البلوغ.

٩٨ ـ كتاب مسألة في العين.

٩٩ ـ كتاب الزاهرات في المعجزات.

١٠٠ ـ كتاب جوابات أبي جعفر محمّد بن الحسن الليثي.

١٠١ ـ كتاب النقض على علام البحراني في الإمامة.

١٠٢ ـ كتاب النقض على النصيبي في الإمامة.

١٠٣ ـ كتاب مسألة في النص الجلي.

١٠٤ ـ كتاب الكلام في حدوث القرآن.

١٠٥ ـ كتاب جوابات الشرقيين في فروع الدين.

١٠٦ ـ كتاب مقابيس الأنوار في الرد على أهل الأخبار.

١٠٧ ـ كتاب الرد على الكرابيسي في الإمامة.

١٠٨ ـ كتاب الكامل في الدين.

١٠٩ ـ كتاب الافتخار في الرد على العتبي في الحكاية والمحكي.

١١٠ ـ كتاب الرد على الجبائي في التفسير.

١١١ ـ كتاب الجوابات في خروج المهدي ﷺ.

١١٢ ـ كتاب الرد على أصحاب الحلاج.

١١٣ ـ كتاب التواريخ الشرعية.

١١٤ ـ كتاب تفضيل الأئمة على الملائكة.

١١٥ ـ كتاب مسألة الجنية.

١١٦ ـ كتاب فيضة العقل على الأفعال.

١١٧ ـ مسألة محمّد بن خضر الفارسي.

١١٨ ـ كتاب جوابات أهل طبرستان.

١١٩ ـ كتاب الرد على الشعبي.

١٢٠ ـ كتاب جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية.

١٢١ ـ كتاب مسألة في تخصيص الأيام.

١٢٢ ـ كتاب مسألة في قول النبي «أصحابي كالنجوم...».

١٢٣ ـ كتاب مسألة فيما روته العامة.

١٢٤ ـ كتاب مسألة في القياس مختصر.

١٢٥ ـ كتاب المسألة الموضحة في تزويج عثمان.

١٢٦ ـ كتاب الرد على ابن عون في المخلوق.

١٢٧ ـ كتاب مسألة في معنى قولهﷺ: «إني مخلف فيكم الثقلين».

١٢٨ ـ كتاب مسألة في خبر مارية.

١٢٩ ـ كتاب في قولهﷺ: «أنت بمنزلة هارون من موسى».

١٣٠ ـ كتاب جوابات ابن الحمامي في الغيبة.

١٣١ ـ كتاب في تفضيل أمير المؤمنينﷺ على سائر الصحابة.

١٣٢ ـ كتاب في الغيبة.

١٣٣ ـ كتاب مسألة في قوله: المطلقات.

١٣٤ ـ كتاب جوابات المافروخي.

١٣٥ ـ كتاب جوابات ابن واقد السني.

١٣٦ ـ كتاب الرد على ابن الرشيد في الإمامة.

١٣٧ ـ كتاب الرد على ابن الأخشيد في الإمامة.

١٣٨ ـ كتاب مسألة في الإجماع.

١٣٩ ـ كتاب مسألة في ميراث النبيﷺ.

١٤٠ ـ كتاب الأجوبة عن المسائل الخوارزمية.

١٤١ ـ كتاب الرسالة إلى الأمير أبي عبد اللّه وأبي طاهر بن ناصر الدولة في مجلس جرى في الإمامة.

١٤٢ ـ كتاب مسألة في معرفة النبيﷺ بالكتابة.

١٤٣ ـ كتاب في وجوب الجنّة لمن انتسب إلى النبيﷺ بالولادة.

١٤٤ ـ كتاب الكلام في دلائل القرآن.

١٤٥ ـ كتاب جواب الكرماني في فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء.

١٤٦ ـ كتاب العهد في الإمامة.

١٤٧ ـ مسألة في انشقاق القمر وتكلم الذراع.

١٤٨ ـ كتاب مسألة في المعراج.

١٤٩ ـ كتاب مسألة في رجوع الشمس.

١٥٠ ـ المسألة المقنعة في إمامة أمير المؤمنين ﷺ.

١٥١ ـ كتاب الرسالة الكافية في الفقه.

١٥٢ ـ المسائل الجرجانية.

١٥٣ ـ المسائل الغريبة.

١٥٤ ـ كتاب النصرة لسيّد والعترة.

١٥٥ ـ مسألة في المواريث.

١٥٦ ـ كتاب البيان عن غلط قطرب في القرآن.

١٥٧ ـ مسألة في الوكالة.

١٥٨ ـ كتاب في القياس.

١٥٩ ـ شرح كتاب الأعلام.

١٦٠ ـ كتاب النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي.

١٦١ ـ كتاب جواب أبي الفرج ابن إسحاق لما يفسد الصلاة.

١٦٢ ـ نهج البيان عن سبيل الإيمان.

١٦٣ ـ كتاب المسائل الواردة على أبي عبدالله محمّد بن عبد الرحمن الفارسي المقيم بالمشهد بالنوبندجان.

١٦٤ ـ كتاب مناسك الحج.

١٦٥ ـ عمدة مختصرة على المعتزلة في الوعيد.

١٦٦ ـ كتاب جواب أهل جرجان في تحريم الفقاع.

١٦٧ ـ كتاب الرد على أبي عبد اللّه البصري في تفضيل الملائكة.

١٦٨ ـ كتاب الكلام في أن المكان لا يخلو من متمكن.

١٦٩ ـ كتاب أهل الرقة في الأهلة والعدد.

١٧٠ ـ كتاب جواب أبي محمّد الحسن بن الحسين النوبندجاني المقيم بمشهد عثمان.

١٧١ ـ كتاب جواب أبي الفتح محمّد بن علي بن عثمان.

١٧٢ ـ كتاب النقض على الجاحظ في قضية المعتزلة.

(٩٩)
علي بن الحسين
السيّد المرتضى علم الهدى

علي بن الحسين بن موسى بن ابراهيم[١] بن موسى الكاظم كنيته أبوالقاسم، ولقبه المرتضى وعلم الهدى وذو المجدين وأبو الثمانين، ووالدته فاطمة بنت حسين بن أحمد بن حسن بن ناصر الأصم وهو أبو محمّد حسن بن علي بن عمر أشرف بن علي بن الحسين بن زين العابدين.

وذكر في بعض الكتب المعتبرة ما سمعته مشافهة من أُستاذي أن العامة في عهد السيّد المرتضى أجمعوا على المذاهب الأربعة، وبيان ذلك: أن الاجتهاد بين العامة قد شاع وكانوا يعملون بالرأي والاستحسان حتى ظهرت الآراء المختلفة والأهواء المتفاوتة بينهم وكاد أن ينقرض مذهبهم، فأرادوا الاتفاق على المذاهب الأربعة فطلب السيّد المرتضى الاتفاق على خمسة مذاهب: الجعفري والشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي؛ لأنه إذا تم ذلك فلن يبتلى الشيعة بالتقية، فطلب سلطان ذلك العصر ما قيمته مئتا ألف تومان مقابل ذلك فدفع السيّد المرتضى من ماله مئة ألف تومان فلم يقبلوا، ولم يدفع الشيعة الآخرون المئة الأُخرى إمّا لقلّتهم أو لقلّة

(١) الظاهر وجود سهو بل هو علي بن الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر...

ثم إننا نرى صاحب الكتاب يعبر عن العملات بالتوامين وهي عملة إيرانية في حين أنّ العملة التي نص عليها المترجمون لأحوال السيّد المرتضى هي الدنانير. (المترجم).

أموالهم أو لأنّهم لم يريدوا دفع ذلك؛ ولهذا اتّفقوا على المذاهب الأربعة.

وكرامات السيّد المرتضى كثير.

الكرامة الأُولى: ما تقدم في ترجمة الشيخ المفيد من رؤياه لفاطمة الزهراء عليها السلام وبيدها الحسنان وكانا طفلين فقالت للشيخ: أيها الشيخ علمهما الفقه. وفي اليوم التالي جاءته أم السيّد المرتضى والرضي وقد أخذتهما بيدها وقالت له: أيها الشيخ علمهما الفقه. وعندما رأى الشيخ والدة السيّد المرتضى قام معظماً لها وألقى عليها السلام.

الكرامة الثانية: ما تقدم من الخلاف بين الشيخ المفيد والسيّد المرتضى حتى رضيا بكتابة ورقة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ووضعاها على الصندوق فكتب الجواب بخط أخضر: أنت شيخي ومعتمدي والحق مع ولدي علم الهدى. وقال السيّد شفيع البروجردي في الروضة البهية: سمعت هذه الحكاية من بعض علمائنا ومشايخنا العظام، فتصدق السيّد المرتضى ذلك اليوم بمئة ألف تومان شكراً على هذه النعمة إذ جاء الجواب بهذه العبارة، وهذه الحكاية مشهورة تماماً في ألسنة العلماء.

وذكر حكاية منام الشيخ المفيد جمع من العلماء في كتبهم منهم: الميرزا القمي في أواخر المجلد الأول من القوانين، بل الذي أذكره أنني رأيت ذكر هذا المنام في أكثر من عشرة كتب لمشاهير علماء المسلمين، فلو لم يكن تواتر فلا أقل أنّه تظافر وتسامع. كما أن حكاية خروج الجواب بخط الأمير عليه السلام مشهورة أيضاً ذكرها السيّد شفيع البروجردي في كتاب الروضة البهية، وقال الشيخ أسد اللّه الكاظمي في المقابيس: إما إنّه خرج توقيع بالسر أو سمعا الجواب مشافهة أو إنّ الشيخ رأى أمير المؤمنين عليه السلام في المنام. فذكرها مردداً بين الثلاث وأيّ منها كان واقعاً لكان كرامة تامة.

الكرامة الثالثة: أنّه كان السيّد المرتضى في بعض الأوقات في النجف فجاء درويش مدّاح متوجهاً نحو صحن أمير المؤمنين‌ﷺ وعندما وصل إلى باب الرواق قال: يا أمير المؤمنين قد علقوا هذه القناديل من ذهب وفضة عندك وأنت غير محتاج إليها فاعطني واحداً منها حتى أُمضي حياتي برفاهية من عطيتك العظيمة. فسقط قنديل من هذه القناديل على الأرض فأراد الدرويش أن يأخذه فمنعه الخدّام وأخذوا القنديل وأعادوه إلى مكانه وهكذا في اليوم الثاني والثالث، وفي المرة الأخيرة ذكر الخدّام المسألة للسيّد المرتضى وسألوه: هل نعطيه القنديل أم لا؟ فقال لهم: لا تعطوا القنديل للدرويش بل علّقوه في مكانه. وحُرم الدرويش منه، وفي الليل رأى السيّد المرتضى في منامه الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء‌ﷺ وقالت: لكل فرقة مجنون وهذا الدرويش مجنون آل محمّد فاعطه القنديل الذي وهبه إياه أمير المؤمنين‌ﷺ واسترضه حتى نرضى عليك. كما أن فاطمة‌ﷺ جاءت الدرويش في منامه وقالت له: سيأتي إليك السيّد المرتضى وسيعطيك القنديل واطلب منه ما تريد ثم ارض عنه. وفي اليوم التالي جاء السيّد المرتضى إلى الدرويش وأعطاه القنديل واسترضاه فقال له الدرويش: إن الذي جاءك في المنام جاءني وإن لم تعطني المبلغ الفلاني فلن أرضى عنك. فأخذ مقداراً من المال ورضي عنه. وهذه الحكاية مشهورة على الألسنة وقد سمعتها من بعض العلماء الذين أثق بهم.

الكرامة الرابعة: ماذكره السيّد شفيع البروجردي في كتاب الروضة البهية قال: سمعت من بعض من أثق به أن السيّد كان عنده منزل في بغداد القديمة وكان أحد تلامذته في بغداد الجديدة، ولم يكن ذلك التلميذ يدرك درس السيّد في الوقت المطلوب؛ لأنه إلى أن يفتح الجسر يكون درس السيّد قد انتهى أو انقضى بعض منه، فذكر التلميذ للسيّد الأمر وطلب منه تأخير الدرس، فكتب السيّد المرتضى

دعاء وقال له: خذ هذا الدعاء واحتفظ به وكلما لم يفتحوا الجسر امشِ على الماء فلن تغرق لكن لا تفتح هذا الدعاء ولا تنظر إليه. فصار ذلك التلميذ يمشي على الماء ولا يغرق ولا يتبلل حذاؤه ولا قدمه، وبقي هكذا عدّة أيام إلى أن قرّر أن يفتح الدعاء ليرى ما فيه فنظر وإذ به مكتوب «بسم اللّه الرحمن الرحيم» ثم أعاد الورقة إلى حالتها واحتفظ بها، وفي اليوم التالي أراد أن يمر على الماء بالنحو السابق فما أن وضع قدمه على الماء حتى غطست فيه فتراجع ورأى أنّه لن يستطيع العبور.

الكرامة الخامسة: تلقيبه بعلم الهدى وسببه على ما يحكيه جمع كثير من أعيان العلماء مثل الشهيد الأول في كتاب الأربعين أنّه مرض الوزير أبو سعيد محمّد بن الحسين ـ وزير القادر العباسي ـ في سنة ٤٢٠ وطال مرضه حتى رأى في المنام أمير المؤمنين ﷺ يقول له: قل لعلم الهدى يقرأ عليك حتى تبرأ. فقال الوزير: يا أمير المؤمنين ﷺ ومن علم الهدى؟ قال ﷺ: علي بن الحسين الموسوي. واستيقظ الوزير من منامه فكتب رقعة إلى السيّد المرتضى يلتمس منه ذلك ولقّبه بالذي عرفه المنام، وعندما اطلع على ذلك رأى أن ذلك اللقب لا يليق به ـ هضماً لنفسه ـ وكتب إلى الوزير: اللّه اللّه في أميري فإن قبولي لهذا اللقب شناعة علي. فقال له الوزير: ما كتبت إليك إلا بما لقّبك به جدّك أمير المؤمنين ﷺ. وبعد أن عوفي الوزير بدعاء السيّد أطلع القادر العباسي على ذلك وأعلمه باللقب فكتب إلى المرتضى: تقبل يا علي بن الحسين ما لقّبك به جدّك.

وأما وجه تسميته بأبي الثمانين فلما ذكره جمع من العلماء أنّه ترك بعد وفاته ثمانين ألف مجلّد من المقروءات والمصنّفات والمحفوظات، وصنّف كتاباً سمّاه الثمانون، وترك من كلّ شيء ثمانين مخلفاً وعمّر ٨١ سنة ولذلك كنّي بأبي الثمانين. وقيّموا كتبه فبلغت قيمتها ثلاثين ألف تومان عدا الكثير من النفائس التي أرسلت إلى الأمراء والوزراء.

وكانت ولادته سنة ٣٥٥ وتوفي في ٥ محرم سنة ٤٣٦ أو ٢٥ ربيع الأول أو ٢٢ ربيع الأول.

وكانت ثروته لا تحصى، وفي سفر له مع أخيه أعطيا شخصاً تسعة آلاف تومان، ويقال: إنّه كان للسيّد أملاك من بغداد إلى مكة.

وصلّي عليه بعد وفاته ولده ودفن في بيته، بعد ذلك نقل إلى مشهد جده الإمام موسى الكاظم عليه السلام في بيته المعروف أو نقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام. وقد أوقف قرية على ورق الفقهاء. وقال الشيخ النجاشي في كتابه توليت أنا وأبو يعلى محمّد بن حسن الجعفري وسلار بن عبد العزيز غسله. وذكره العامة كلهم في كتبهم وذكروا فضله واعتبروه مجدداً لمذهب الشيعة على رأس المئة الرابعة.

وله إجازة من الشيخ المفيد كما له إجازة من أخي الصدوق حسين بن علي بن بابويه الذي ولد بدعاء القائم عليه السلام، وللشيخ الطوسي وابن البراج إجازة منه؛ ودرسا عنده وجعل السيّد المرتضى للشيخ الطوسي أيام الدرس اثني عشر توماناً ولابن البرّاج ثمانية توامين في كلّ شهر.

وله ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت. وفي يوم دخل الشيخ المفيد درس السيّد المرتضى فقطع السيّد الدرس وقام من محله وأجلس الشيخ مكانه وجلس أمام الشيخ فكلّفه الشيخ بحكم وجوب التدريس لأنه يأنس كثيراً من حديث السيّد المرتضى. وكان جنابه يدرّس في كثير من العلوم.

وأصاب الناس في بعض السنين قحط شديد فاحتال رجل يهودي في تحصيل قوت يحفظ به نفسه فحضر يوماً مجلس المرتضى واستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم وأذن له وأمر له بجائزة تجرى عليه كلّ يوم، فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يده.

وكان السيّد نحيف الجسم ضعيف البدن. وله قصائد كثيرة في مصيبة سيّد الشهداء‌ منها هذه الأبيات:

لهم جسوم على الرمضاء مهملة وأنفس في جوار اللّه يقريها

قد كان قاصدها بالضر نافعها وكان قاتلها بالسيف محييها

وحضر يوماً أبو العلاء المعري أحمد بن سليمان وهو من مشاهير الشعراء إلى مجلس السيّد، فدار الحديث عن أشعار أبي الطيب المتنبي فأعاب السيّد أشعاره وذمها فقال أبو العلاء: يكفي من شعر المتنبي هذا الشعر:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرتِ انتِ وهنّ منك أو أهلُ

عندما سمع السيّد هذا الشعر غضب غضباً شديداً وأمر بإخراج المعري، فتعجّب الحضور وسألوا السيّد عن سبب ذلك فقال: غضبت لأنّ الأعمى أراد من هذه القصيدة هذا البيت:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وللسيّد المرتضى فتاوى غريبة من قبيل: أنّه لم ير وجوب الجهر على الرجال في القراءة في الركعة الأُولى من صلاة المغرب والعشاء والصبح، وذهب إلى وجوب رفع اليد أثناء التكبير، كما ذهب إلى استحباب غسل مس الميت، وحرّم العمل بأخبار الآحاد وادعى الإجماع عليه، وقد بيّنا ضعف هذا القول بشكل تام في منظومة الأُصول وشرحها وفي التعليقة على القوانين، كما ذهب إلى جواز الابتداء بغسل اليد في الوضوء من رؤوس الأصابع والانتهاء بالمرفق.

وذكر العلامة في كتاب الخلاصة: أن للسيّد مصنفات كثيرة ذكرناها في كتابنا الكبير، وقد استفادعلماء الإمامية من كتبه من زمانه حتى زماننا وهو سنة ٦٩٣

هجري، وهو ركنهم ومعلمهم. انتهى كلام العلامة.

وفي الحقيقة انّ العلماء من ذلك الزمان حتى زمـاننا اعـتبر واكـلامه فـروعاً وأُصولاً عملاً واعتقاداً مثل القرآن ـ بلا تشبيه ـ وكانوا يذكرون كلامه بعد ذكـر الآيات.

ومن تأليفات السيّد: كتاب تفسير سورة الحمد وبعض سورة البقرة وتفسير آية ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾[1]، ورسالة في تحقيق معاني ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[2] الآية، وتفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾[3]، وكتاب الموضح عـن جـهة إعـجاز القـرآن وهـو الكـتاب المـعروف بالصرفة، وكتاب الملخص في أُصول الدين، وكتاب الذخيرة، وكتاب جمل العـلم والعمل، وكتاب تقريب الأُصول في الرد على يحيى بن عدي، وكتاب الرد على يحيى أيضاً في اعتراضه على دليل الموحدين في حدوث الأجسام والرد عليه في مسألة سمّـاها طبيعة المسلمين، ومسألة في كونه تعالى عالماً، ومسألة في الإرادة، ومسألة أُخرى في الإرادة، وكتاب تنزيه الأنبياء والأئمة، ومسألة في التوبة، وكتاب الشـافي في الامامة، وكتاب المقنع في الغيبة، وكتاب الخلاف في أُصـول الفـقه، ومسألة في التأكيد، ومسألة في دليل الخطاب، والمصباح في الفقه، وشرح مسـائل الخـلاف، ومسألة في المتعة، وكتاب مسائل انفرادات الإمامية، وكتاب المختصر في الأُصول، وكتاب الغرر والدرر، وغير ذلك من الكتب والرسائل والمختصرات والمـطوّلات وأجوبة المسائل رحمة اللّه عليه وحشره مع أجداده الطاهرين وأسكنه في غـرف الجنان وتغمّده في بحار الغفران بمحمد وآله.

---

(١) الأنعام ٦ / ١٥١.

(٢) الإسراء ١٧ / ٧٠.

(٣) المائدة ٥ / ٩٣.

(١٠٠)

محمّد بن الحسين السيّد الرضي

محمّد بن الحسين بن موسى بن محمّد أخو السيّد المرتضى المتقدم ذكره، كنيته أبو الحسن ولقبه الرضي، ولد سنة ٣٥٩، وكان ماهراً في فنون العلوم، سخياً جواداً شاعراً، وكان يقول الشعر الجيد وهو ابن عشر سنين، وقال بعض العلماء: إنّه أشعر الطالبيين بل أشعر قريش. واللائق أن يكون أشعر قبيلته وأولهم، الحارث بن هشام وهبيرة بن أبي وهب وعمرو بن أبي ربيعة وأبو ذهيل وآخرهم محمّد بن صالح الحسيني وعلي بن محمّد الجماني وابن طباطبائي الإصفهاني. وسبب كونه أشعر قريش أن الذين أحسنوا الشعر من قريش لم يكثروا منه، والذين أكثروا الشعر لم يحسنوه، وهو جمع بين كثرة الشعر وجودته.

وحفظ القرآن وهو كبير.

ولم يكن يقبل من أحد هدية حتى إنّه لم يكن يقبل هدايا أبيه. وحكى أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئي الكاتب: كنت جالساً يوماً عند الوزير أبي محمّد المهدي فجاء الحاجب وقال: إن السيّد المرتضى على الباب يطلب الإذن بالدخول. فأذن الوزير وتواضع للسيّد المرتضى وأجلسه إلى جنابه، وتكالما حتى فرغا فقام السيّد المرتضى وودع الوزير وقام الوزير له، وبعد خروج السيّد جلس الوزير وبدأ يكتب رقعة ثم جاء الحاجب وقال: السيّد الرضي يطلب الإذن بالدخول. فرمى الوزير الورقة من يده واضطرب وقام من مكانه واستقبل السيّد الرضي من باب

البيت، وأخذ بيده وأجلسه مكانه وجلس هو بين يديه في خضوع تام وخشوع وانكسار، وعندما أراد السيّد الرضي الخروج مشى معه الوزير حتى الباب وعاد، فقلت للوزير: عندي سؤال لو تأذن. فقال الوزير: كأن سؤالك عن سبب زيادة إكرامي للسيّد الرضي مع أن السيّد المرتضى أكبر وأعلم؟ قلت: نعم. قال: قد شاهدت من السيّد الرضي ما أوجب وثوقي، فإننا عندما أردنا أن نشق النهر الفلاني كانت هناك قرية للسيّد المرتضى محاذية للنهر بلغت حصتها ١٦ درهماً فأكثر السيّد المرتضى من الكتابة لي أن أتجاوز عن حصته أو أُخفف، هذا ما رأيناه من السيّد المرتضى، والذي رأيناه من السيّد الرضي أن اللّه أكرم السيّد الرضي بولد فوضعت ألف دينار في طبق لأرسلها هدية وتبريكاً له فرد ذلك المال وقال: ليعلم الوزير أنني لا أقبل شيئاً من أحد. فعدت وأرسلت الطبق مرة أُخرى وقلت: إن هذا للمولود ولا دخل لك به، فعاد وأرسلها قائلاً: وأولادنا لا يقبلون شيئاً من أحد. فأرسلته مرة أُخرى وقلت: إن هذا المال للمرأة القابلة فرأيت السيّد يعيد الطبق ويقول: ليعلمَ الوزير أن نساءنا لا تولدهم الأجنبيات بل قابلة نسائنا من نسائنا ونساؤنا لا يقبلن شيئاً من أحد. فعدت وأرسلت المال وقلت: هذا المال للطلاب الذين يدرسون عندك. فوضع السيّد الرضي المال بين الطلاب وقال: ليأخذ كلّ واحد ما يريد. فقام أحد الطلاب وأخذ ديناراً واحداً وشقه وأخذ شقاً وأعاد الشق الآخر إلى الطبق، فسأله السيّد الرضي: لماذا فعلت ذلك؟ فقال: احتجت أمس إلى زيت للمصباح ولم يكن مفتاح خزانتك الموقوفة على الطلاب فاقترضت من البقال الفلاني زيتاً للإضاءة فأخذت الآن هذا المقدار من الدينار لأقضي ديني. ثم رد الطبق بما فيه من الدنانير وهذا أوجب وثوقي به.

وبنى السيّد عدّة بيوت لطلاب العلم سمّاها بدار العلم وهيّأ للطلاب جميع ما يحتاجون إليه، وبعد ما جرى مع الوزير جعل السيّد الرضي مفتاحاً لكل طالب

علم يكون معه.

وكانت وفاته في٦ محرم الحرام سنة ٤٦٦ هجري وحضر جنازته وزير السلطان بهاءالدولة فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة وصلّوا عليه، ودفن لدى باب بيته في مسجد الأخباريين بالكرخ، ولم يتمكّن أخوه السيّد المرتضى من الصلاة عليه ورؤية جثمانه من شدة الجزع، فذهب إلى مشهد الإمام موسى الكاظم‌ﷺ وصلّى عليه فخر الملك أبو غالب، ثم ذهب فخر الملك في آخر اليوم إلى مشهد الإمام الكاظم‌ﷺ وألزم السيّد المرتضى بالرجوع إلى بيته. ونقلوا السيّد الرضي بعد ذلك إلى مشهد الإمام الحسين‌ﷺ ودفن عند أبيه. ورثاه السيّد المرتضى وأبو العلاء المعري ومردويه الكاتب تلميذ السيّد الرضي. وهو أول طالبي لبس السواد.

وذكر أبو الفتح ابن جني: أُخذ السيّد الرضي إلى ابن السيرافي النحوي وهو لم يتجاوز العشرة من عمره فعلّمه النحو، وفي يوم سأل السيرافي السيّد الرضي على عادته في تمرين الأطفال: ما هي علامة نصب عمر؟ فقال السيّد: علامة نصب عمر بغض علي. فتعجّب السيرافي والحاضرون من حدة نظره. وذكرا في تذكرة ابن العراق أنّه عندما سمع والد السيّد هذا الجواب فرح وقال: أنت ابني حقاً.

ومثل هذه الحكاية حصلت مع المأمون الخائن بالنسبة إلى هارون حيث كان المأمون وهو صبي يشتغل بالنحو فسأل هارون على سبيل التمرين ذلك الخائن ما هو جمع مسواك؟ فقال عن شيطنة: ضد محاسنك. مراده أن مسواك جمعها مساويك ولأن المساوي بمعنى السيئات أيضاً فإذا قال ذلك لبدا الأمر كخطاب لوالده هارون وفيها نسبة السيئات إليه ولم يكن هذا مستحسناً فقال له ضد محاسنك فافهم.

ومن أشعار السيّد الرضي:

عـتبت عـلى الدنـيا وقـلت إلى مـتى أكـــابد همّاً يـــومه ليس يـنجلي
أكـل شريـف مـن عـلى بخـارة حـرام عـليه العـيش غـير محـلل
فقالت بـلى يـا بـن الحسـين رمـيتكم بـسهمي عـناداً مـنذ طـلّقني عـلي

ونسبت بعض هذه الأشعار إلى الإمام زين العابدين عليه السلام والبعض نسبها إلى السيّد المرتضى.

وكان أبوه تولى نقابة الطالبيين والحج بـالناس وأمـثال ذلك مـن المـناصب العالية، وانتقلت إليه هذه الأعمال وأبـوه حـي، وانـتقلت بـعد وفـاته إلى السـيّد المرتضى، وبعد وفاة السيّد المرتضى انتقلت إلى ابن السيّد الرضي، وهو أبو أحمد عدنان ابن السيّد الرضي وكان مكرماً محترماً عند سلاطين آل بويه.

وللسيّد الرضي قصيدة كتبها للقادر العباسي:

عـطفاً أمـير المـؤمنين فـإننا في دوحـة العـلياء لا نـتفرّق
مـا بـيننا يـوم الفـخار تـفاوت أبـداً كـلانا في المـعالي مـعرق
إلا الخـلافة مـيّزتك فـإنني أنـا عـاطل مـنها وأنت مـطوّق

ويقال: إنّ السيّد الرضي كان جالساً يوماً في مجلس الخليفة العـباسي وكـان السيّد يداعب لحيته بيده ويضع لحيته فوق أنفه، ولم يكن هناك سابقة بـينه وبـين الخليفة؛ ولأن الخليفة كان يعتقد أن السيّد طالب للخلافة قال له: كأنّك تشمّ مـن لحيتك رائحة الخلافة؟! فقال السيّد بداهة: أنا لا أشم رائـحة الخـلافة وإنمـا أشم رائحة النبوّة؛ لأنني من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن كرامات السيّد الرضي: أنّه كان يصلي يوماً جماعة خلف أخـيه السـيّد المرتضى وعند الركوع انفرد السيّد الرضي فسئل عن ذلك فقال: عندما وصلت إلى

الركوع وجدت أخي السيّد المرتضى يفكر في مسألة من الحيض وقد ذهب فكره إليها وغاص في بحر من الدم فانفردت في صلاتي.

كرامة أُخرى هي: رؤيا الشيخ المفيد بالنسبة للسيّد الرضي والمرتضى ومجيء فاطمة عليها السلام كما تقدم ذكره.

وله تأليفات كثيرة: منها كتاب المتشابه في القرآن، وكتاب حقائق التنزيل. وقال اليافعي: أنّه كتاب لا نظير له يدل على سعة إحاطته في علم النحو واللغة وغيرهما؛ وكتاب تفسير القرآن وهو حسن جداً وأكبر من تفسير الشيخ الطوسي؛ وكتاب مجازات الآثار النبوية، وكتاب تعليق خلافة الفقهاء، وكتاب تعليق الإيضاح وهو حاشية على إيضاح أبي علي الفارسي، وكتاب خصائص الأئمة، وكتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه خطب ورسائل وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وكتبوا له شروحاً مثل ابن ميثم الذي كتب له شرحين: صغيراً وكبيراً، وملا فتح اللّه الكاشي الذي كتب شرحاً فارسياً، والقطب الراوندي، وابن أبي الحديد، ولنا على شرح ابن أبي الحديد حواشٍ كثيرة لو جمعت لكانت مجلّداً؛ وكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن، وكتاب الزيادات في شعر أبي تمام، وكتاب سيرة والده الطاهر، وكتاب انتخاب شعر ابن الحجاج، وكتاب مختار شعر أبي إسحاق الصابئ، وكتاب ما دار بينه وبين أبي إسحاق من رسائل وهو ثلاث مجلّدات، وكتاب ديوان شعره وهو أربع مجلّدات. رحمه اللّه تعالى

(١٠١)

محمّد بن الحسن بن علي بن الطوسي ﷺ

محمّد بن علي بن الطوسي المكنى بأبي جعفر وشيخ الطائفة، وحيثما يـذكر في الفقه «الشيخ» من دون تقييد فالمقصود الشيخ الطـوسي، وهـو ثـالث المحـمدين الثلاثة الأوائل وكتاباه الاستبصار والتهذيب من الكتب الأربعة، انتهت إليه رئاسة المذهب، وكان يجتمع في درسه ثلاثمئة مجتهد من الشيعة وأذعن الموافق والمخـالف لفضله، وصنّف في كلّ فن من فنون الإسلام.

درس عند الشيخ المفيد ثم بعد وفـاته درس لدى السـيّد المـرتضى وسـائر العلماء.

ولد في شهر رمضان المبارك سنة ٣٨٥، وجاء إلى العراق سنة ٤٠٨، وتـوفي ليلة الاثنين ٢٢ محرم سنة ٤١٦، ودفن في بيته في النجف الأشرف، وتولى غسله في تلك الليلة حسن بن مهدي السيقلي والشيخ أبو الحسن محمّد بـن عـبد الواحـد الدارابي والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي.

وكان في البداية يقول بالوعيد ثم تراجع عنه.

وكان سبب ذهابه إلى النجف الخوف من الفتن التي كانت تتجدد في بغداد، وقد احترقت مكتبته وكرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس وبيته، وكتب جـمع أن الواشين والمخالفين أرسلوا إلى الخليفة العباسي: أن الشيخ لعن الصحابة في كـتاب المصابيح فأحضر الشيخ وسأله عن حكاية اللـعن فأنكـر الشـيخ ذلك، فـطلبوا

الكتاب وأشاروا إلى موضع اللعن وهو «اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني...» فقال الشيخ على البداهة: يا أمير المؤمنين ليس المراد ما ذكره المعاندون بل المراد بأول ظالم قابيل الذي قتل هابيل وهو الذي ابتدأ بالقتل في بني آدم، والمراد من الثاني عاقر ناقة صالح واسمه قيدار بن سالف، والثالث قاتل يحيى بن زكريا، والرابع عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام. وعندما سمع الخليفة هذا الجواب أكرمه غاية الإكرام وانتقم ممن نسبوا إليه ذلك.

وكان عمره المبارك ٧٥ سنة، وعندما جاء الشيخ إلى العراق كان عمره ٢٣ سنة وعمر السيّد المرتضى ٥٣ سنة فبقي مدّة ٢٨ سنة معاصراً للسيّد.

كما تلمذ الشيخ عند ابن الغضائري صاحب كتاب الرجال.

وأما نسبة السهو إلى الشيخ في الاسناد والأخبار في التهذيب على ما ذكره بعض الأخباريين فغلط، وإذا كان هناك سهو فهو نادر ولا يضرّ مع أن الأخباري يرى الأخبار قطعية ويعمل بأخبار تهذيب الشيخ أيضاً، فلو كان هناك اختلاف فكيف يعمل الأخباري به ويحصل له القطع؟

وتأليفات الشيخ هي:

١ ـ كتاب تهذيب الأحكام اشتمل على الكتب الفقهية من الطهارة حتى الديات وهو شرح لمقنعة الشيخ المفيد.

٢ ـ كتاب الاستبصار، وهذان الكتابان من الكتب الأربعة، والاستبصار ثلاثة مجلّدات: الأول والثاني في العبادات والثالث في المعاملات وغيرها، والمجلد الأول اشتمل على ٣٠٠ باب تضمنت ١٨٩٩ حديثاً، والمجلد الثاني اشتمل على ٢١٧ باباً تضمنت ١١٧٧ حديثاً، واشتمل المجلد الثالث على ٣٩٨ باباً وعدد أحاديثه ٢٤٥٥ حديثاً، فمجموع أبواب كتاب الاستبصار ٢٩٥ باباً، وعدد

أحاديثه ٥٥١١ حديثاً حسب ما أحصاه الشيخ بنفسه. والاستبصار وضع في الأصل من أجل الأخبار المختلفة.

٣ـكتاب النهاية. قال الآغا باقر البهبهاني في حاشية المدارك: إن باقي تصانيف الشيخ متأخرة عن كتاب النهاية والاستبصار. والذي أراه أن النهاية هو آخر ما صنّفه ولكن قال الشيخ البهائي في الحاشية الاثني عشرية: إنّ تأليف النهاية كان قبل المبسوط. وفائدة العلم بهذا الأمر عدّة أُمور:

الأوّل: أنّ الفتوى التي تذكر في آخر الكتب تكون رجوعاً عن الفتاوى السابقة.

الثانية: أنّه إن ادعى الإجماع في الكتب السابقة وأفتى في الكتاب الأخير بخلاف الإجماع فهذا يقدح في الإجماع ويهد أساسه؛ لأنّه هو بنفسه يكون قد نقض الإجماع خصوصاً أنّ البناء على حجية الإجماع المنقول من جهة إفادته الظن كما هو الأقوى.

وليعلم أن بعض الأخباريين والعياذ بالله طعنوا على الشيخ بأنه في كتبه كان مجتهداً صرفاً لكنه في كتاب النهاية كان أخبارياً صرفاً، وهذا الكلام غلط؛ لأنّ الشيخ كتب سائر كتبه بنحو الاجتهاد، وكتب النهاية فتواه بعبارات الروايات ولم يتعرض للمسائل التي لم ترد فيها أخبار، وهذا لا دخل له بالأخبارية بل الغرض من ذلك الكتاب ذكر المسائل المنصوصة وعدم ذكر الفروع غير المنصوصة؛ ولهذا فإن فتوى النهاية عند تعارض الأقوال وتعارض الأخبار من المرجحات؛ لأنّها تكشف عن وجود رواية على طبقها وقد اطلع الشيخ عليها، فقد قال في أول النهاية: إن فتاوى هذا الكتاب على طبق الروايات.

ونظير هذا المطلب ماذكره الشهيد الأول في آخر اللمعة من أن فتاوى هذا

الكتاب (اللمعة) من الفتاوى المشهورة بين الأصحاب، ولذا إذا تعارضت الأخبار فإن ما يوافق فتوى اللمعة يرجح على خلافه؛ لأن فتوى اللمعة موافقة للمشهور، فإن الشهرة مرجحة عندي.

فإن قلت: وجدنا في اللمعة فتاوى على خلاف المشهور.

نقول في الجواب: أولاً: لعله في زمان الشهيد كانت الشهرة على طبقه ثم اشتهر خلافها عند المتأخرين، والشهرة المتقدمة متقدمة على قول.

ثانياً: لو فرضنا أن هذا صحيح فليكن هذا من باب «خرج ما خرج وبقي الباقي».

٤ـ كتاب المفصح في الإمامة.

٥ـ كتاب ما لا يسع المكلف الإخلال به.

٦ـ كتاب العدة في علم الأُصول.

٧ـ كتاب الرجال الذين رووا عن الرسول ﷺ ولهم روايات عن الأئمة ﷺ.

٨ـ كتاب فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين منهم.

٩ـ كتاب المبسوط في علم الفقه.

١٠ـ مقدمة في المدخل إلى علم الكلام.

١١ـ كتاب الإيجاز في الفرائض.

١٢ـ مسألة في العمل بخبر الواحد.

١٣ـ كتاب ما يعلل وما لا يعلل.

١٤ـ كتاب شرح المقدمة وهو رياض العقول.

١٥ ـ كتاب تمهيد الأُصول وهو شرح جمل العلم والعمل.

١٦ ـ كتاب الجمل والعقود.

١٧ ـ كتاب تلخيص الشافي في الإمامة.

١٨ ـ مسألة في أحواله.

١٩ ـ كتاب التبيان في تفسير القرآن وهو عشرون مجلّداً.

٢٠ ـ رسالة في تحريم الفقاع.

٢١ ـ المسائل الدمشقية وهي ١٢ مسألة.

٢٢ ـ المسائل الحلبية.

٢٣ ـ المسائل الحائرية.

٢٤ ـ المسائل الإلياسية وهي مئة مسألة في الفنون المختلفة.

٢٥ ـ المسائل الجيلانية ٢٤ مسألة.

٢٦ ـ مسائل الفرق بين النبي والإمام.

٢٧ ـ النقض على ابن شاذان في مسألة الغار.

٢٨ ـ ومختصر في عمل اليوم والليلة.

٢٩ ـ مناسك الحج في العمل بالادعية.

٣٠ ـ مسائل ابن البراج.

٣١ ـ كتاب مصباح المتهجد في أعمال السنة.

٣٢ ـ كتاب أُنس التوحيد.

٣٣ـكتاب الاقتصاد فيما يجب على العباد.

٣٤ـكتاب مختصر المصباح في عمل السنة.

٣٥ـكتاب الغيبة.

٣٦ـكتاب أخبار المختار بن أبي عبيدة.

٣٧ـكتاب مقتل الحسين عليه السلام.

٣٨ـكتاب اختيار الرجال.

٣٩ـكتاب المجالس في الأخبار.

٤٠ـكتاب هداية المسترشد وبصيرة المتعبد.

٤١ـكتاب في أُصول العقائد وهو كتاب كبير خرج منه كلام في التوحيد.

٤٢ـ بعض المسائل الرازية في الوعيد.

٤٣ـالمسائل الفارسية في آيات القرآن. رحمة اللّه تعالى عليه.

(١٠٢)

السيّد مرتضى الداعي الرازي الحسيني

السيّد مرتضى ابن الداعي الرازي الحسيني الملقب بأبي تراب أخو السيّد مجتبى ابن الداعي، وهو وأخوه وأبوه من مشاهير فقهاء تلك الأعصار، وهو مصنّف كتاب تبصرة العوام وهو فارسي وكتاب الفصول التامة في هداية العامة وهو عربي.

وولد الغزالي أبو محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي سنة ٤٥٠ في طوس، وغزالة بتشديد الزاي من نواحي خراسان. وكان الغزالي يدرّس مدّة في بغداد ويحضر مجلس درسه ٣٠٠ شخص من العلماء ١٠٠ منهم من الأُمراء وأبناء الأمراء. ألّف كتاب إحياء العلوم وكتب فيه: إنّ اللعن على قتلة الإمام الحسين لا يجوز فلعلهم تابوا مثل وحشي قاتل حمزة والله يقبل التوبة ورحيم.

وكتب ابن خلكان في تاريخه: أنّه سئل عن اللعن على يزيد فأجاب: أنّه لا يجوز بل يمكن عده في القنوت من الأربعين مؤمناً ويدعى له بالمغفرة. ولي رسالة في هذه المسألة وأبطلت كلماته كرماد اشتدت به الريح.

ويقال: إن صاحب الكشاف عندما كتب الكشاف أراد أن يعرضه على الغزالي، فذهب إليه فرآه قد لبس جزمة ويريد الذهاب إلى مكة فقال لصاحب الكشاف: ما هذا الذي بيدك؟ قال: كتاب في التفسير واسمه الكشاف أردت أن أعرضه عليك لتراه. فقال الغزال: الآن أنا ذاهب لكن قل لي بماذا فسرت ﴿اللّهُ نُورُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]؟ فقال الزمخشري: أخذت النـور بمعنى المنوّر. فقال له الغزالي: قشر قشر. أي إن تفسيرك قشر لا لبّ له.

وقال السيّد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: نقل الثقات أنـه عـندما كتب محمود بن عمر الخوارزمي تفسير الكشاف أخذه إلى الغزالي حـتى يـعامله بألطافه وإنصافه، عندما جلس سأله الغزالي عن سبب مجيئه فذكر له محمود الأمر، فقال له الغزالي: بماذا فسرت ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2] قال في الجواب: بأن تقديم المفعول يفيد الحصر. فقال له الغزالي: أنت من العلماء القشريين. فـندم محـمود وعـاد إلى خوارزم.

يقول المؤلف في الجمع بين هاتين الحكايتين: إنّه من المحتمل أن تكونا حدثتا في مجلس واحد.

والغزالي معروف عند العامة بحجة الإسلام وله باع طويل في الجدل، فـاتّفق أن كان مع السيّد مرتضى الرازي في سفر إلى مكة فطلب من السـيّد المـناقشة في مسألة الإمامة فقال السيد: لا ضرر في ذلك ولكن بشرط واحد هو أنني ما دمتُ مشغولاً بالاستدلال فلا تتكلّم أثناء حديثي. فقبل الغزالي وعندما نزلا في مـنزل أرسل الغزالي من يدعو السيّد إلى منزله فذهب السيد وتناظرا في مسألة الإمامة، فبدأ السيّد بإقامة البراهين وحاول الغزالي عدّة مـرّات أن يـتكلم أثـناء حـديث السيّد والسيّد لا يسمح له ويقول: هذا خلاف الشرط. فيسكت الغزالي، وعـندما انتهى السيّد من براهينه قال الغزالي: أما الجـواب... لكـن السـيّد قـام وذهب ولم يجلس ليسمع الجواب وبعد ذهابه تشيّع الغزالي فقال تلامذته: إنه لم تكـن عـنده

(١) النور ٢٤ / ٣٥.
(٢) الفاتحة ١ / ٥.

قدرة على مقاومتك ولم يجلس حتى يسمع الجواب. فقال الغزالي: ما يريد أن يقوله السيّد قاله ونحن ليس عندنا حديث إلا المغالطة والمكابرة، والمرحلة التي بلغها كانت واضحة ولذا قام وذهب. ثم أنشد الغزالي هذا الشعر:

عرض علينا الشيخ الإيمان وذهب
جعل الحجر القديم مسلماً وذهب

وذكر محمّد بن أبي القاسم الطوسي وهو من تلامذة الغزالي في رسالة المحكمات: أن الغزالي كان في طريق الحج مع السيّد الشريف مرتضى ودخل في مناقشة مع المير في بعض مشاكل المذهب من أجل تحقيق الحق وقد أتم المير أُصول العقائد الإمامية بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة وأقام الحجة عليه، فتراجع الغزالي عن مذهب أهل السنة إلى مذهب الإمامية الحق.

وكان للغزالي أخ اسمه أحمد وكان ناصبياً متعصباً ومن المتصوفة، وبعد رجوع الغزالي من مكة اعترض عليه أحمد وجرت بين الأخوين مباحثات امتدت إلى يومين، وفي اليوم الثالث مات أحمد بموت الفجأة وحشر مع أئمته.

وحكم الشهيد الأول بكذب ملاقاة الغزالي مع السيّد المرتضى علم الهدى؛ لأن السيّد المرتضى كان في سنة ٤٣٠ وولد الغزالي سنة ٤٥٠، والظاهر أنّ الشهيد وقع في الخبط؛ لأن المقصود من السيّد المرتضى هو الرازي لا علم الهدى.

واحتمل صاحب مجالس المؤمنين القاضي نور اللّه أن الغزالي التقى السيّد المرتضى ابن السيّد الرضي وابن أخ علم الهدى وعلى يده تشيّع؛ لأنّ طبقتهما متوافقة، لكنه احتمال ضعيف جداً واللّه العالم بحقائق الأُمور. رحمة اللّه تعالى على علمائنا الماضين.

(١٠٣)
أحمد بن طاووس الحسيني

أحمد بن موسى بن جعفر بن محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن طاووس بن إسحاق بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب.

أعلم أنّ هناك عدّة أشخاص من أولاد طاووس هم من مشاهير العلماء.

أحدهم: أحمد الملقب بجمال الدين وقد درس عنده الشيخ حسن بن داود وتوفي سنة ٦٧٣، ومن تأليفاته: كتاب الملاذ والبشرى، وبلغت تأليفاته ٨٢ تأليفاً وكان شاعراً أيضاً.

ثانيهم: أخوه علي بن موسى بن طاووس الملقّب برضي الدين والمكنى بأبي القاسم، وهو من مشايخ إجازة العلامة، وتأليفاته أيضاً كثيرة مثل: كتاب الإقبال، وكتاب اللهوف على أهل الطفوف في مقتل الحسين، وكتاب الطرائف الذي عناوينه «ومن طريف ذلك» وهو في الرد على العامة في الإمامة كتبه باسم عبد المحمود، وقال العلامة الحلي في إجازة بني زهرة: إنّ له ـ أي علي بن طاووس ـ كرامات نقل لي بعضها وسمعت بعضها الآخر من والدي وقد كان لشدة احتياطه يكتبها.

وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في كتاب زهر الربيع: قال السيّد رضي الدين علي بن طاووس: أراد الخليفة أن أكون قاضياً فقلت له: وقع نزاع بين عقلي وهواي وطلبا مني المحاكمة وعندما حضرا عندي قال عقلي: أُريد أن آخذك إلى طريق

الجنة ونعيمها. وقال هواي: الآخرة نسيئة فأُريد أن أُذيقك اللذات الحاضرة. وطلبا مني أنّ أحكم بالعدل. فرة حكمت لعقلي ومرة حكمت لهواي، فبقيا في نزاع واستمر خمسين سنة ولم ينته، وشخص لم يستطع أن ينهي قضية واحدة كيف يستطيع ذلك في وقائع مختلفة؟ فاختر شخصاً للقضاء يتّفق عقله مع هواه وقد فرغ من حاجاته. إلى هنا كلام زهر الربيع.

وقال الشيخ أحمد الأحسائي في شرح الزيارة الجامعة وهو ما كتبه الآخرون أيضاً: إنّ السيّد رضي الدين علي بن طاووس سمع في سامراء في السرداب المبارك لصاحب الأمر ـ عجل اللّه فرجه ـ صوت الإمام ﷺ ولم ير شخصه وسمع الإمام ﷺ يقرأ في القنوت هذا الدعاء: «اللهم إن شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا...» إلى أن يقول ما مضمونه: «فاغفر لهم لأجلنا».

ووالدة السيّد الرضي ووالدة أخيه أحمد ابنتا ورام بن أبي فراس وجدتهما ابنة الشيخ الطوسي، وقد أجاز الشيخ ورام بن أبي فراس هاتين الابنتين وإحداهما والدة ابن إدريس والأُخرى والدة السيّد الرضي؛ ولهذا يعبّر في بعض المواضع عن الشيخ الطوسي بجدي. ولابن إدريس إجازة من ابن الشيخ الطوسي حسن بن محمّد بن حسن الأراسي ولعلّها إجازة حال الطفولة.

وكانت وفاة هذا العظيم السيّد رضي الدين يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤، وولد يوم الخميس في النصف من شهر محرم الحرام من سنة ٥٨٩.

ومن جملة كراماته: حكاية إسماعيل بن حسن الهرقلي أنّه رأى صاحب الأمر ﷺ وقال له: لا تقبل أي شيء من الخليفة العباسي، وقل لولدي السيّد رضي الدين أن يكتب إلى علي بن عوض فقد أوكلنا إليه توصية بك أن تأخذ ما تريد. وذكر هذه الحكاية المقدس الأردبيلي في حديقة الشيعة وعلي بن عيسى الأردبلي

في كشف الغمة والعلامة المجلسي في كتاب البحار.

وذكر السيّد نعمة اللّه الجزائري في كتاب زهر الربيع: أن السيّد الأجـل ابـن طاووس كتب في كتاب فلاح السائل: كان جدي ورام بن أبي فراس ممن يـقتدى بفعله فأوصى بأن يضعوا في فمه بعد وفاته فصّ عقيق نـقشت عـليه أسماء الأئمـة صلوات اللّه عليهم أجمعين، وأنا أيضاً نقشت على فص عقيق: اللّه ربي ومحمّد نبيي وعلي إمامي وسمّيت الأئمة عليهم السلام إلى آخرهم أئمتي ووسيلتي وأوصيت أن يوضع في فمي عند موتي حتى يكون الجواب عن سؤال الملكين في القبر إن شاء اللّـه تـعالى. ولعل ورام بن أبي فراس عثر في هذا الباب على حديث بخصوصه، والظـاهر أنّـه إشارة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: يا علي تختم بالعقيق فإنه أول جبل أقر للّـه بالربوبية ولي بالنبوة ولك بالوصية ولولدك بالإمامة. انتهى كلام زهر الربيع.

وثالثهم: عبد الكريم بن أحمد بن طاووس المتقدم، وله من عمه السيّد الرضي إجازة، وكان ماهراً في الفقه والنسب والعروض، وكنيته أبو المظفر ولد في الحائر في شهر شعبان سنة ٦٤٨ ونشأ في بلدة الحلّة ودرس في بغداد وتوفي في الكاظمية سنة ٦٩٣ وكان عمره ٤٥ سنة وشهرين.

وقال في كتابه الرجال إنّه لم يكن يحفظ شيئاً إلا ويبق، لا ينساه وحفظ القرآن في زمان قليل وبدأ بالكتابة وهو في الحادية عشرة من عمره ولم يدرس أكثر من أربعين يوماً واستغنى بعدها عن المعلم وهذا كان في عمر الأربع سنين.

ولهذا المعظم إجازة أيضاً من الخواجة نصيرالدين الطوسي والشيخ جليل بن البحراني. وله تأليفات منها: شرح ديباجة رسالة النظير للشيخ أبي علي بن سينا.

واربعهم: علي بن عبدالكريم الملقب بـالسيّد رضي الديـن، وله إجـازة مـن الخواجة نصير الدين رحمة اللّه عليه وعليهم وعلى عـلماء الإمـامية بمـحمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١٠٤)

ابن ميثم البحراني

الشيخ مفيد الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، له باع طويل في العلوم العقلية والنقلية وله ثلاثة شروح على نهج البلاغة: صغير ومتوسط وكبير.

وقال الشيخ البهائي في المجلد الثالث من الكشكول: توفي هذا العظيم سنة ٦٧٩. وكتب شرحاً على المئة كلمة، ومن تأليفاته: كتاب النجاة في القيامة وهو كتاب في تحقيق أمر الإمامة، كتب فيه أن أهل اللغة لا يستعملون كلمة مولى إلا في المالك لتدبير الأمر.

وهو من مشايخ إجازة العلامة الحلي، وقد شهد له الخواجة نصير الدين بتبحّره في علم الكلام والحكمة، ونقل عنه السيّد الشريف الجرجاني في علم البيان من شرح المفاتيح تحقيقاً له واعتبره من «بعض مشايخنا». وقد أكثر المير صدرا الشيرازي في حاشية شرح التجريد وخصوصاً في الجواهر والأعراض من النقل عنه.

ومن حكاياته العذبة التي صدرت منه أنّه في أوائل الحال كان معتكفاً في الخفاء خامل الذكر فكتب إليه فضلاء العراق: أن العجب في أنك ماهر في فنون العلم ومع ذلك لا اعتبار لك بين العلماء فأجابهم بهذه الأشعار:

طلبت فنون العلم أبغي بها العلى ... فقصّر عما سموت به العقل

تبين لي أن المحاسن كلها فروع ... وأن المال فيها هو الأصل

فكتب إليه حينئذٍ أهل العراق: إنّك جعلت وضعت نفسك في معرض الخطأ بهذه الأشعار وعكست القضية إذ حكمت بأصالة المال. فأرسل إليهم ابن ميثم مؤكداً حكمه هذه الأشعار لشاعر قديم:

قدقال قوم بغير فهم	ما المرء إلا بأصغريه
فقلت قول أمر حكيم	ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه	لم يلتفت عرسه إليه

وحيث التفت أن شبهتهم لا ترتفع بهذه الأشعار توجه إلى العراق ولبس لباساً قديماً وجاء إلى بعض مدارس العراق المشحونة بالعلماء وألقى السلام وجلس إلى جانب الأحذية، فأجاب ذلك الجمع على سلامه بتكلف ولم يلتفتوا إلى إكرامه والسؤال عن أحواله، وعند النقاش في مسألة دقيقة عجز الجميع فيها أجاب ابن ميثم عن ذلك الإشكال على البداهة تسعة أجوبة، فاستهزأ بعض الحضور وقالوا له: وأنت طالب علم أيضاً؟ ثم أحضروا الطعام ولم يشركوه في سفرتهم بل وضعوا له صحناً في مكان منفصل عنهم، وعندما انتهى المجلس خرج من المدرسة وجاء في اليوم التالي بألبسة نفيسة بأكمام وسيعة وعمامة كبيرة، وعندما رأوه من بعيد قاموا تعظيماً له وأجلسوه في صدر المجلس، وعندما بدؤوا بالمذاكرة سألوه عن مسألة وأجاب بكلام عليل لا يصح لا في الشرع ولا عند العقل فقبلوا كلامه وحسّنوه، وعندما أحضروا الطعام قدّموه على أنفسهم في أدب تام فوضع ابن ميثم كمّه في الطعام وقال: كلْ ياكمّي. فتعجب منه الجماعة وقالوا له: إن كمّك لا يأكل! فقال لهم ابن ميثم: أنتم أتيتم بهذا الطعام لكمي الواسع لا لأن نفسي قدسية لامعة، وإلا فإنني أتيتكم بالأمس على هيئة الفقراء وتكلّمت بكلام حق فلم تعتنوا واستهزأتم بي، والآن أتيتكم بهيئة المتكبّرين والأغنياء وتكلمت بكلام الجاهلين واحترمتموني،

فرجّحتم الجهل على العلم والغنى على الفقر، وأنا صاحب الأشعار التي كتبتها إليكم في أصالة المال والغنى وخطأتموني. فأقروا بخطئهم واعتذروا منه.

وقال بعض العلماء في حواشٍ على خلاصة العلامة: حيثما يوجد «ميثم» فهو بكسر الميم إلا ميثم البحراني فهو بفتح الميم.

(١٠٥)
يحيى بن أحمد

يحيى بن أحمد بن يحيى بن حسن بن سعيد الملقب بنجيب الدين، وفي الكتب ينسب إلى جدّه وهو عالم زاهد ورع جامع وابن عم المحقق.

ومن تأليفاته: كتاب جامع الشرائع، وكتاب المدخول في أُصول الفقه وغير ذلك.

توفي ليلة عرفة في الثلث الأول من الليل في شهر ذي الحجة سنة ٦٨٩. وقال الملّا محمّد تقي المجلسي في إجازة الملّا محمّد باقر المجلسي: عمّر يحيى بن سعيد عمراً طويلاً، وأبوه أيضاً من فقهاء الإجازة ومشايخ ذلك العصر، وابنه محمّد أيضاً من مشايخ الإجازة وأعاظم الفقهاء. رحمهم اللّه تعالى وأسكنهم اللّه في الجنة مع أوليائهم الأبرار.

(١٠٦)
المقداد بن عبيدالله

مقداد بن عبيد اللّه بن محمّد بن حسين بن محمّد السيوري الحلي الأسدي، عالم فاضل فقيه متكلم، من كتبه فضل القواعد في شرح كتاب قواعد الشهيد الأول، وكتاب شرح نهج المسترشدين في أُصول الدين، وكنز العرفان في تفسير آيات الأحكام، والتنقيح الرائع في شرح المختصر النافع، وشرح الباب الحادي عشر، وشرح مهارات الأُصول وغير ذلك. فرغ من شرح نهج المسترشدين سنة ٧٩٢. وله شرح لألفية الشهيد الأول. وهو من تلامذة الشهيد الأول وله إجازة منه.

(١٠٧)
أحمد بن عبد اللّه بن محمّد

أحمد بن عبداللّه بن محمّد بن علي بن حسن المتوج البحراني، وهو مشهور في كتب العلماء بالفضل والتقوى والعلم، وملقّب بجمال الدين، وأحياناً يقال له: فخر الدين، وأحياناً أُخرى: شهاب جمال الدين، ومعروف بابن المتوج، وهو من تلامذة فخر المحققين ابن العلامة، ولأحمد بن فهد إدريس المقرئ الأحسائي إجازة منه.

ألّف كتاباً في تفسير القرآن، ورسالة في الآيات الناسخة والمنسوخة، وكتاب منهج الهداية في شرح كتاب الأحكام.

وابنه ناصر بن أحمد من الفقهاء، كما أن أباه عبد اللّه أيضاً من الفقهاء، وكان ناصر بن أحمد فقيهاً محقّقاً حافظاً ونقل أنّه لم يكن ينسى ما يسمعه.

ولابن المتوج مراثٍ كثيرة في الإمام الحسن والإمام الحسين.

كان معاصراً للشيخ المقداد، وقبره معروف في جزيرة أُكُل ـ بضم الكاف بعد همزة مضمومة ـ وهي جزيرة صالح النبي ومن بلاد البحرين. رحمة اللّه عـليه وعلى علمائنا الماضين بمحمد وآله الطاهرين.

(١٠٨)
السيّد تاج الدين أبو عبد الله

السيّد تاج الدين أبو عبداللّه محمّد بن القاسم بن معيّة ـ بضم الميم وفتح العين وتشديد الياء وهاء في الآخر ـ هو سيّد حسيني ديباجي ونسابة فاضل عظيم الشأن، وللشيخ الشهيد الأول إجازة منه لنفسه ولولديه محمّد وعلي، وابنتيه فاطمة وست المشايخ، ولكل المسلمين ممن أدركوا مقداراً من حياة تاج الدين. وقال الشهيد الثاني: وجدت بخط السيّد المذكور أنّه كتب للشهيد الأول إجازة مفصلة.

وللسيّد إجازة من العلامة الحلي، والسيّد مجد الدين أبي الفوارس محمّد بن علي بن محمّد الأعرج، ومن ولديه السيّد عميد الدين والسيّد ضياء الدين، ومن السيّد الجليل النسابة علم الدين علي بن مرتضى السيّد جمال الدين عبد الحميد ابن السيّد النسابة الطاهر الأوحد فخار بن معد الموسوي والسيّد رضي الدين عبدالكريم بن طاووس رحمة اللّه عليهم وعلى علمائنا الماضين بمحمد وآله الطاهرين.

(١٠٩)

علي بن ابراهيم بن محمّد بن حسين

علي بن ابراهيم بن محمّد بن حسين بن زهرة الحلبي الحسيني، سيّد فقيه فاضل، ملقّب بعلامة الملة والحق والدين. قال العلامة في إجازته: أمر في هذه الأعصار مولاي الكريم والسيّد الجليل، حسيب ونسيب نسل العترة الطاهرة وسلالة الأنجم الزاهرة، المخصوص بالنفس القدسية والرياسة الإنسية الجامع بين مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، أفضل أهل العصر على الإطلاق، علامة الملة والحق والدين أبو الحسن علي بن ابراهيم بن محمّد بن أبي الحسن بن أبي المحاسن زهرة بن أبي المواهب علي بن أبي سالم محمّد بن أبي ابراهيم محمّد النقيب بن أبي علي أحمد بن أبي جعفر محمّد بن أبي عبدالله الحسين بن أبي إبراهيم إسحاق المؤتمن بن أبي عبدالله جعفر الصادق بن أبي جعفر محمّد الباقر بن أبي الحسن علي زين العابدين بن أبي عبدالله الحسين السبط الشهيد ابن علي بن أبي طالب، وطلب إجازة من هذا العبد له ولأقاربه من السادات الأماجد المؤيدين من عند الله، وطلب أجوبة على المسائل الدقيقة اللطيفة والمباحث العميقة الشريفة، فامتثلت أمره وبادرت نحو طاعته وإن كنت ارتكبت سوء الأدب وهو مغتفر في جنب الاحتراز عن مخالفته، وإلا فهو معدن الفضل والتحصيل وهذا الكلام عن حجة ودليل، وأجزته أدام الله عمره، وأجزت ابنه المكرم المعظم شرف الملة والدين أبا عبدالله الحسين، وأخاه الكبير الأمجد والسيّد المعظم الممجد بدر الدين أبا عبدالله محمّد، وابنيه الكبيرين المعظمين وهما أبو طالب أحمد شهاب الدين وأبو

محمّد عز الدين حسن وهبها اللّه القوة بدوام مولانا، وأجزته وإياهم أن يرووا عني كل ما صنّفته في العلوم العقلية والنقلية أو أنشأته وافتيت به أو ما أجزت أن أرويه أو سمعته في كتب أصحابنا السابقين، وكلّ ما أجازني إياه المشايخ الذين عاصرتهم واستفدت من أنفاسهم... حتى آخر الاجازة. رحمة اللّه عليهم وعلى علمائنا الماضين بمحمد وآله الطاهرين.

(١١٠)

الفضل بن حسن بن فضل الطبرسي

الفضل بن حسن بن فضل الطبرسي أبو علي الملقب بلقب الأمين، عالم وفاضل ثقة جليل القدر.

وله تأليفات عدّة أشهرها: كتاب تفسير القرآن المسمّى بمجمع البيان في عشرة مجلّدات، وهو تفسير حسن ومجمع جميع الفنون من النحو واللغة والصرف والمعاني والنزول إلا أنّه أكثر من النقل عن مفسري العامة ولم ينقل من تفسير الخاصة وأهل البيت إلا القليل من تفسير العياشي وعلي بن ابراهيم القمي؛ وله كتاب تفسير وسط هو جامع الجوامع في أربعة مجلّدات، وعندما شرع في تفسير الأول كان قد تجاوز الستين، وحينما شرع في جامع الجوامع كان قد تجاوز عمره السبعين؛ وله تفسير وجيز في مجلّد واحد، وكتاب إعلام الورى، ومن مروياته كتاب صحيفة الرضا.

انتقل من المشهد الرضوي إلى سبزوار في سنة ٥٢٣ وتوفي سنة ٥٤٨ ونُقل إلى المشهد الرضوي ودفن هناك.

ولبرهان الدين محمّد بن محمّد بن علي الهمداني القزويني نزيل الري رواية عنه، وكذا ابن شهراشوب الذي ذكره في معالم المعالم بلفظ شيخي.

وقبره المطهر في «قدمكاه» (محل قدم) الإمام الرضا رحمه اللّه تعالى وأسكنه الجنان.

(١١١)
محمود بن علي بن الحسين الرازي

محمود بن علي بن الحسين الحمصي الرازي علامة الزمان ووحيد ذلك الأوان.

تأليفاته كثيرة مثل: التعليق الكبير. وللشهيد الأول إجازة منه بواسطة تلامذته.

وقال الشيخ نجيب الدين: إنّه درس عنده عدّة سنين.

ومن أشعاره التي وجدت بخط الشهيد الأول:

قد كنت أبكي ودادي منك دانية فحق ذلك إذ شطت بك الدار
أبكي لذكرك سرّاً ثم أُعلنه فلي بكاء ان إعلان وإسرار

(١١٢)
ورام بن أبي فراس

الأمير الزاهد ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري من أولاد مالك بن الحارث الأشتر النخعي من أصحاب أمير المؤمنين، وهو جد السيّد رضي الدين بن طاووس وابن إدريس لأُمهما.

درس عند الشيخ محمود الحمصي، ودرس عنده الشيخ منتجب الدين المتقدّم ذكره، كما درس عنده من السنة الإمام الفخر الرازي كما يظهر من القاموس.

وروى الشهيد الأول عن محمّد بن جعفر المشهدي عنه، وهو صاحب كتاب المجموعة، وكتاب تنبيه الخواطر ونزهة النواظر إلا أنّه حوى الغث والسمين.

وقال السيّد ابن طاووس في كتاب فلاح السائل: وجدي ورام بن أبي فراس ممن يقتدى بفعله... إلى آخر ما تقدم ذكره في ترجمة ابن طاووس. ولعلّ التخصيص بالعقيق للرواية عن رسول اللّه بقوله: يا علي تختم بالعقيق... وقد تقدم ذكر الرواية هناك أيضاً. والسلام.

(١١٣)
السيّد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي

السيّد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، فاضل جامع.

وللشيخ شاذان بن جبرئيل القمي إجازة منه، وكذا ابن أخيه السيّد محيي الدين أبي حامد محمّد ابن الفقيه المتكلم المحقق المدقق أبي القاسم عبدالله بن علي بن زهرة الحسيني، ولمحمد هذا إجازة من أبيه أيضاً. وللمحقق إجازة من السيّد محمّد المذكور.

وللسيّد حمزة تأليفات كثيرة مثل: كتاب غنية النزوع في علم الأُصول والفروع، وقد ذكر فيه الأحكام في كلّ صفحة وورقة ثم يقول: للإجماع. فمن كثرة دعواه الإجماع فإن إجماع ابن زهرة موهون إذا عارضه إجماع محكي عن الآخرين ويقدم ما عارضه، وسبب وهنه أنّه ادعى الإجماع، في أغلب المسائل الخلافية وهذا يوجب ضعفه وعدم حصول الظن به.

وقال البعض: إن السيّد ابن زهرة لاقى صاحب الأمر وسمع منه الأحكام لكنه لم يكن يستطيع أن ينسبها إلى الإمام؛ ولهذا كان يذكر الأحكام ويدّعي عليها الإجماع حتى تقبل منه. لكن لا يخفى أن هذا لا يخلو من تدليس والله العالم.

وله تأليفات أُخرى مثل: كتاب قبس الأنوار في نصرة العترة الأخيار، ومسألة في الرد على المنجمين، وكتاب النكت في علم النحو، وغير ذلك. رحمة الله تعالى عليه.

(١١٤)

الشيخ أبو منصور أحمد بن علي

الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، وهو المقصود إذا قيل الطبرسي على نحو الإطلاق، وأما صاحب تفسير المجمع فيعبر عنه بأبي علي الطبرسي، وهو عالم فاضل ثقة له إجازة من السيّد العالم العابد أبي جعفر مهدي بن حرب الحسيني المرعشي، عن الشيخ الصدوق أبي عبداللّه جعفر بن محمّد بن أحمد الدوربستي، عن أبيه الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه القمي والشيخ زين الدين محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي والشيخ الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج.

وقد نسبه جمع من المتأخرين للشيخ أبي علي الطبرسي صاحب التفسير، مثل: الملّا محمّد أمين المحدث الاسترآبادي وصاحب رسالة مشايخ الشيعة ومحمّد بن أبي جمهور الأحسائي في كتاب غوالي اللآلي. وغلط هذه النسبة أوضح من الشمس وأبين من الأمس. رحم اللّه علماءنا الماضين وأطال اللّه أعمار الباقين.

(١١٥)
علي بن عبيد الله بن حسن

علي بن عبيد الله بن حسن بن حسين بن حسن بن علي بن حسين بن بابويه القمي الملقب بمنتجب الدين. والبعض ذكر عبد الله بدل عبيد الله وهذا خطأ، والبعض لم يكرر حسن بن حسين وهذا أيضاً سهو، وهو من مشاهير العلماء المعروفين.

ولمحمد بن محمّد بن علي الهمداني القزويني إجازة منه.

ومن تأليفاته: كتاب الفهرست ذكر فيه أحوال المعاصرين للشيخ الطوسي وباقي العلماء حتى زمانه، وكتاب الأربعين عن الأربعين في مناقب أمير المؤمنين.

كنيته أبو الحسن، وله إجازة من أبيه عبيد الله عن أبيه حسن المدعو بحسيكان عن أبيه حسن عن أبيه حسين أخ الشيخ الصدوق عن أبيه علي بن بابويه، وله أيضاً إجازة من بابويه بن سعد وهو من بني أعمامه البعيدين. وبابويه هذا هو ابن سعد بن محمّد بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن بابويه القمي. وقال الشهيد الثاني في شرح بداية الدراية: إن رواية الأبناء عن الآباء موجودة في بابويه إلى أعقاب خمسة كلّ له إجازة من أبيه، فبابويه له إجازة من أبيه سعد الذي له إجازة من أبيه محمّد عن أبيه حسن عن أبيه حسين أخ الصدوق عن أبيه علي.

ومن تأليفات بابويه: كتاب في الأُصول والفروع مسمّى بالصراط المستقيم.

ولمنتجب منتخب الدين إجازة عن ستة آباء، وأيضاً عن أربعة آباء محمّد بن

محمّد بن زيد الداعي كلّ له إجازة من أبيه، وأيضاً إجازة لأربعة أعقاب في ظهير الدين محمّد الذي له إجازة من أبيه فخر المحققين محمّد عن أبيه حسن العلامة الحلي عن أبيه يوسف بن المطهر، وأيضاً لجلال الدين حسن إجازة عن أبيه نجيب الدين محمّد وهو أُستاذ المحقق عن أبيه جعفر عن أبيه محمّد عن أبيه أبي البقاء هبة الله بن نما، وهذه الإجازة هي عن خمسة آباء.

والإجازة عن ثلاثة آباء كثيرة فالسيّد علي له إجازة من أبيه السيّد عبد الحميد عن أبيه السيّد فخار بن معد الموسوي، وإجازة جعفر عن أبيه محمّد بن الحسين معه، وإجازة الشيخ إبراهيم عن أبيه عبد العالي الكركي المحقق الثاني.

وإجازة الابن من الأب لا تحصى مثل إجازة الشيخ أبي علي حسن عن أبيه الشيخ الطوسي، وحسن بن فضل عن أبيه الشيخ الطبرسي صاحب مجمع البيان، والسيّد يحيى الدين عن أبيه زهرة، والسيّد عميد الدين عن أبيه، والسيّد ضياء الدين عن أبيه، والسيّد علي خان الششتري صاحب شرح الصمدية في شرح الصحيفة له إجازة من أبيه حتى أربعة أعقاب، وأهل علم الدراية ذكروا في الكتب المطولة رواية الأبناء عن الآباء وذكروا إجازات الآباء عن الأبناء من العامة والخاصة، وذكر الشهيد الثاني في شرح بداية الدراية قسماً من هذا الكلام فليراجع من يريد. رحمة الله تعالى عليهم أجمعين وأسكنهم الله في أعلى عليين بمحمد وآله الطاهرين.

(١١٦)

محمّد بن إدريس

محمّد بن إدريس أو ابن أبي أحمد إدريس العجلي الربعي الحلي، شيخ فاضل كامل مدقق عين الأعيان نادرة الزمان، فخرالدين أبو عبداللّه وهو ابن بنت الشيخ ورام بن أبي فراس كما ذكر البعض، وجدته لأُمه ابنة الشيخ الطوسي، أو إنـه ابـن بنت الشيخ الطوسي كما ذكر بعض آخر، وذكر الشيخ أسد اللّه الكـاظمي الأمـر الأول وقال: وهذا غريب. والذي أراه أن الأمر الثاني هو الغريب؛ لأنـه مسـتبعد بحسب الطبقة أن يكون ابن إدريس ابن بنت الشيخ الطوسي.

وهو الذي فتح باب الطعن على الشيخ؛ ولذا طعن وشـنّع المحـقق والعـلامة والشيخ محمود الحمصي علي ابن ادريس ولم يعتنوا به، وعدّه ابن داود في رجاله في قسم الضعفاء، فقد جعل كتابه على قسمين: قسم في المدوحين وآخر في الضعفاء. وقال ابن داود: إنّه كان شيخ فقهاء الحلّة وكان متقناً للعلوم لكنه أعرض عن أخبار أهل البيت بالكلية. إلا أنّ الشيخ منتجب الدين وآخرين مدحوه.

واشتهر عند الفقهاء بلقب فحل العلماء واعتمد عليه المتأخّرون، وعدم عمله بأخبار الآحاد لا يوجب القدح فيه فالسيّد المرتضى أيـضاً وآخـرون لم يـعملوا بأخبار الآحاد.

وأما الطعن على الشيخ فليست أول قارورة كسرت في الإسـلام، فـالشيخ المفيد أكثر من الطعن على أُستاذه الصدوق بحيث إنّه يقول: وغلط شيخنا أبوجعفر،

في باب القضاء. وأورد الصدوق حديثاً وذكر معناه فقال الشيخ المفيد: ليته ذكر الحديث ولم يذكر المعنى.

وذكر الشهيد الأول في إجازته عن ابن نما والسيّد فخار بواسطة من يروي عنهم ومصنفات الإمام العلامة شيخ العلماء ورئيس المذاهب المحقق فخر الدين أبو عبدالله ابن إدريس العجلي بأنّ مرويات الشيخ العلامة المحقق فخر الدين أبو عبدالله محمّد بن إدريس العجلي، مع قول ابن داود: «وهو شيخ فقهاء الحلة»، ينافي تضعيفه إياه فيما بعد.

ويروي ابن إدريس عن خاله حسن بن الشيخ الطوسي بواسطة الشيخ عربي بن مسافر عن الشيخ الياس بن هشام الحائري عن خاله حسن بن الشيخ، كما أن له إجازة أيضاً بلا واسطة في الصحيفة الكاملة. والظاهر أن إجازة ابن الشيخ له كانت أيام طفولة ابن إدريس.

ومن تأليفاته: كتاب السرائر وغيره.

ويعبّر عنه بألسنة الفقهاء بالحلي والعجلي والمتأخر والفاضل، وإن كان الغالب أن يراد العلامة إذا أطلق لفظ الفاضل ويراد بالفاضلين العلامة والمحقق.

أدرك ابن إدريس الاجتهاد وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهذا كثير الوقوع، وقد اشتغلت باستخراج المسائل في عمر الثالثة والعشرين.

(١١٧)

حسن بن علي بن داود ﷺ

حسن بن علي بن داود صاحب كتاب الرجال، وقد اختار فيه مسلكاً عجيباً لم يتبعه أحد قبله، ألا أنّ في هذا الكتاب أغلاطاً كثيرة كما اعترف بذلك علماء الرجال، ولي على كتاب الرجال المذكور حواشٍ غير مدونة.

وهو من تلامذة المحقق. وقال الشهيد الثاني في الإجازة الكبيرة: تقي الدين حسن بن علي بن داود الحلي صاحب التصانيف الكثيرة والتحقيقات العديدة منها: كتاب الرجال، وله تصانيف في الفقه نظماً ونثراً مطولاً ومختصراً، وله في المنطق والعربية وعلم العروض وأُصول الفقه ثلاثون كتاباً كلها في غاية الجودة.

وقد وصفه الشهيد الأول بقوله: سلطان الأُدباء وملك النظم والنثر والمبرز في النحو والعروض تقي الدين أبو محمّد حسن بن داود.

وقال هو نفسه في رجاله: ولدت في الخامس من شهر جمادى الثانية سنة ٦٤٧. رحمة اللّه تعالى عليه وعلى علمائنا الماضين.

(١١٨)

محمّد بن جعفر بن أبي البقاء ﷺ

نجيب الدين ابراهيم محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة اللّه بن نما، قدوة المذهب وعلامة ذلك الزمان حسب تعبير الشهيد الأول والشهيد الثاني.

وللمحقق صاحب الشرائع إجازة من هذا الجليل.

توفي بعد رجوعه من زيارة الغدير في ذي الحجة سنة ٦٤٥. وله ولد فاضل اسمه الشيخ جعفر. ومن تأليفاته كتاب مقتل الحسين ﷺ المسمّى بمثير الأحزان.

وللشيخ جعفر ولد فاضل اسمه أحمد له إجازة من أبيه وجده، ولأحمد أيضاً ولد فاضل هو جلال الدين أبو محمّد حسن بن نظام الدين أحمد، وإجازة الشهيد الأول عنه عن يحيى بن سعيد. رحمة اللّه عليهم.

(١١٩)
السيّد فخار بن معد بن فخار الموسوي

السيّد شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري، عـالم فـاضل أديب محدث.

وللمحقق إجازة منه.

ومن تأليفاته: كتاب الرد على المذاهب في تكفير أبي طالب وهو حسن.

يروي عن ابن إدريس وله منه إجازة كما أن له إجازة من شاذان بن جبرئيل القمي.

وقد توقف ابن أبي الحديد العنيد في إسلام أبي طالب وقال: أرسل لي السيّد فخار بن معد كتاباً اختار فيه إسلام أبي طالب. فكتب ابن أبي الحديد على ظـهر ذلك الكتاب أشعاراً في مدح أبي طالب بدون أن يختار إسلامه.

ولمحمد بن صالح الدوريستي إجازة منه. رحمه اللّه تعالى وسلام اللّه على أبي طالب.

(١٢٠)

عربي بن مسافر العبادي

عربي بن مسافر العبادي، له إجازة من أُستاذه الياس بن هاشم الحائري ومن ابن الشيخ الطوسي. وكان الشيخ الياس فاضلاً محدثاً رحمة الله تعالى عليه.

(١٢١)

أبي علي حسن بن محمّد الطوسي

أبو علي حسن بن محمّد الطوسي ابن شيخ الطائفة، كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً، إليه تنتهي أكثر الإجازات وعنده تدرس كتب أبيه، وله إجازة منه.

ومن تأليفاته: كتاب الأمالي، وشرح النهاية وغير ذلك. رحمة الله تعالى عليه.

(١٢٢)

محمّد بن علي بن شهر آشوب ﷺ

محمّد بن علي شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندراني السروي، له ألقاب متعدّدة مثل زين الدين، ورشيد الدين، وكنيته أبو جعفر، وهو متحدّث متكلم فقيه أديب شاعر جامع للمحاسن.

وله تأليفات مثل: مناقب العلماء في أحوال العلماء، والهادي والمنهاج، ومثالب النواصب، والمخزون المكنون في عيون الفنون، وأعلام الطريق في الحدود، وكتاب الأسباب والنزول على مذهب الرسولﷺ، وكتاب الأوصاف، وكتاب متشابه القرآن.

روى عن الشيخ الطوسي بواسطتين وعن جده شهرآشوب بواسطة واحدة كما روى عن غيرهما، وله إجازة أيضاً من كثير من المخالفين مثل محمود بن عمر الزمخشري صاحب الكشاف وأحمد الغزالي وأخيه محمّد الغزالي صاحب كتاب الأحياء، وله إجازة من الخطيب الخوارزمي موفق بن أحمد المكي صاحب الأربعين والقاضي أبي السعادات صاحب الفضائل وغيرهم.

وللسيّد أبي حامد بن زهرة إجازة من هذا المعظم، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

(١٢٣)
الشيخ أبو عبدالله جعفر بن محمّد

الشيخ أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد بن عباس الدوريستي، ثقة وعين، عظيم الشأن معاصر للشيخ الطوسي، درس عند الشيخ المفيد والسيّد المرتضى.

وتأليفاته هي: كتاب الكفاية في العبادات، وكتاب يوم وليلة، وكتاب الاعتقادات، وكتاب الرد على الزيدية وغير ذلك.

وهو منسوب إلى بلدة يقال لها دريس، وفي بعض النسخ بل الأكثر دوريست.

وأولاده وأولاد أولاده كلهم فضلاء:

منهم: نجم الدين عبد اللّه بن جعفر بن محمّد الدوريستي، وكان عالماً فاضلاً جليل القدر يروي عن جده أبي جعفر محمّد بن موسى بن جعفر عن جده أبي عبداللّه جعفر بن محمّد عن المفيد.

ومنهم: حسن بن جعفر الدوريستي، وهو فاضل جليل حسبما ذكر القاضي نور اللّه في كتاب مجالس المؤمنين، وكان عالماً شاعراً ومن أشعاره:

كتبت على جبهات أولاد الزنا   بغض الوصي علامة معروفة

سيان عند اللّه صلّى أم زنى   من لم يوال من الأنام وليه

ومنهم: أبو جعفر محمّد بن موسى بن جعفر بن محمّد الدوريستي، وهو فاضل جليل يروي عن جده أبي عبداللّه جعفر بن محمّد المتقدم عن الشيخ المفيد. رحمة اللّه تعالى عليه.

(١٢٤)

جعفر بن محمّد بن موسى بن قولويه ﵀

جعفر بن محمّد بن موسى بن قولويه، كنيته أبو القاسم، وأبوه أبو مسلمة من خيار أصحاب سعد.

وأبوالقاسم من ثقات الأصحاب وأجلائهم يروي عن أبيه وأخيه عن سعد، وكان يقول: لم أسمع من سعد إلا أربعة أحاديث. وكان أستاذ الشيخ المفيد. توفي سنة ٣٦٩.

وله كتب مثل: كتاب مداواة الجسد، وكتاب الصلاة، وكتاب الجمعة وغيرها، وله مراسلة مع صاحب الزمان صلوات اللّه وسلامه عليه سأله عن مدّة عمره عندما كانوا يضعون الحجر الأسود في مكانه فسلّم القاصد الورقة إلى الإمام﵇ فلم يقرأها وعيّن المدة. وذكر ذلك المجلسي عليه الرحمة في البحار بالتفصيل في مجلّد غيبة الإمام﵇ والسلام.

(١٢٥)

الحسن بن أبي عقيل أبي علي

الحسن بن أبي عقيل، كنيته أبو محمّد أو أبو علي والثاني أشهر، معروف بالعماني، كان معاصراً للكليني، أجاز جعفر بن قولويه بالمكاتبة، وقد أثنى عليه الشيخ المفيد كثيراً.

والعماني بضم العين وتخفيف الميم منسوب إلى عمان بلدة على ساحل الخليج الفارسي وبين البلد وبحره مسير شهر، والمشهور عن المشائخ أنها بضم العين وتشديد الميم، والذي أراه أن تشديد الميم غلط.

وذكر الشيخ الطوسي أنّ اسم أبيه عيسى وهو من جملة المتكلمين وأعاظم الفقهاء المتقدمين.

من تأليفاته: كتاب التمسك بحبل آل الرسول وهو كتاب حسن مشهور، وهو في الفقه على ما ذكر ابن شهرآشوب، وله في ذلك الكتاب أيضاً كلام في غير الفقه على ماذكر الشيخ الطوسي وقال البعض: إنّ الحجاج لم يكونوا يأتون إلى خراسان إلا لشراء نسخة منه.

ويعبّر عنه في الكتب الفقهية بأبي علي وابن أبي عقيل والعماني.

وله بعض الفتاوى الغريبة، وهو أول مجتهد من مجتهدي الإمامية وافق مالك في أن الماء القليل لا ينجس بملاقاة النجاسة، ولم يختر هذا القول أحد غيره إلّا السيّد الأجل الحسيب الفاضل النقيب الأمير معز الدين محمّد صدر الإصفهاني الذي

كتب رسالة في هذه المسألة ورد إيرادات العلامة في المختلف على ابن أبي عقيل.

وفتواه الأُخرى هي أنّ الأذان والإقامة لصلاة الصبح والمغرب واجبين، ووافقه على ذلك السيّد المرتضى بل زاد ابن أبي عقيل أنّه إن لم يؤذن ويقم لصلاة الصبح والمغرب فإن صلاته باطلة. رحمة اللّه عليه وعلى علمائنا الماضين بمحمد وآله أجمعين.

(١٢٦)

محمّد بن أحمد بن الجنيد﵀

محمّد بن أحمد الجنيد أبو علي الكاتب الإسكافي من مشائخ الشيخ المفيد، كان معاصراً للعماني متأخراً عنه في الجملة، وكان في زمان الأمير معز الدولة ابن بويه.

وله كتاب في أجوبة مسائل معز الدولة، وكتب كتباً كثيرة حسنة ولكن تركت لتجويزه العمل بالقياس. وقال الملّا عبد اللّه التوني في وافية الأُصول: إنّ ابن الجنيد تراجع عن القول بالقياس.

توفي سنة ٣٨٧ هجري.

وقال الشيخ النجاشي: سمعت بعض مشايخي يقول: وكان عنده مال من صاحب الأمر﵇ وسيف أيضاً أوصى به إلى جاريته ثم ضاع المال والسيف.

وقال البعض: إنّ ابن الجنيد ادعى النيابة الخاصة. وهذا الكلام محض كذب وافتراء، بل قال البعض: إنّ بعض العامة نسبوا إلى ابن الجنيد أنّه ادعى ذلك. والعياذ باللّه.

ومن كتبه: كتاب تهذيب الشيعة، وهو عشرون مجلّداً في عشرين جزءاً اشتمل على كتب الفقه، واختصره وسمّى المختصر بالأحمدي في الفقه المحمدي. ومدح العلامة ذلك الكتاب وقال: وجدت بخط السيّد السعيد صفي الدين أبي جعفر محمّد بن معد الموسوي الذي يروي عن الهمداني القزويني برهان الدين عن الشيخ منتجب الدين والعلامة يروي عن أبيه عن السيّد صفي الدين، وهذا السيّد صفي

الدين كتب بخط يده أنّه اطلع على معظم مجلد النكاح من التهذيب، فكان حسـن العبارة جيد المضمون وفي غاية البلاغة وجامعاً للفروع والأُصـول والاسـتدلال والأقوال. رحمة اللّه تعالى عليه.

(١٢٧)

سلار بن عبد العزيز

سلار بن عبد العزيز متكلم فقيه من تلامذة الشيخ المفيد، مكنّى بأبي عـلي، درس أيضاً عند السيّد المرتضى وكثيراً ما ناب منابه في التدريس كما ذكر الشيخ أسد اللّه الكاظمي في كتاب المقابيس، وقال بعض: إنّه كان يدرّس نيابة عن الشيخ المفيد عندما لا يتمكن من التدريس لعذر من الأعذار، على ما ذكره الشيخ فـخر الدين الطريحي في كتاب مجمع البحرين في مادة سلر.

وقال أبو الفتح بن جني: أدركته ودرست عنده وقد بلغ في آخر عمره الضعف والكبر بحيث لم يكن قادراً على الإكثار من الكلام، فكان يكتب درسه على لوح ويقرأه على تلامذته.

وكان من أهل ديلمان جـيلان عـلى مـا يـشهد له التـعبير عـنه بـالديلمي، وكان من أهل طبرستان على ما ذكره الشيخ أسد اللّـه الكـاظمي مـن أنّـه مـن علماء حلب.

ومن جملة كتب السيّد المـرتضى المسـائل السـلارية التي كـتبها في جـواب مسائله. وهو من مشايخ ابن الشيخ الطوسي والحلبي والشيخ حسكا جد منتجب الدين والشيخ عبد الجبار الرازي وغيرهم.

وله تأليفات مثل: كتاب الأبواب والفـصول في الفـقه، والمـقنع في المـذهب، والتعريب في أُصول الفقه، ورد على أبي الحسـن البـصري في رده عـلى الشـافي،

والتذكرة في حقيقة الجوهر.

ويظهر من بعض الكتب أن للشيخ الطوسي إجازة منه.

ومن جملة تأليفاته: كتاب المراسم في الفقه رحمة اللّٰه تعالى عليه.

(١٢٨)

عبد العزيز القاضي ابن نحرير بن عبد العزيز رحمه الله

القاضي ابن البراج واسمه عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج الطرابلسي الشامي نوّر اللّه مرقده السامي، وهو من تلامذة السيّد المرتضى، كان قاضياً في طرابلس من قبله، وهو ملقب بعز المؤمنين وسعد الدين، وكنيته أبوالقاسم ومعروف بالقاضي.

درس أيضاً عند الشيخ الطوسي. وله مصنّفات مثل: المذهب، والمعتمد، والروضة، والمعترب، وعماد المحتاج في مناسك الحاج، والجواهر، والمعالم، والكامل، وشرح جمل العلم والعمل للسيّد المرتضى.

وكان خليفة الشيخ في البلاد الشامية وله من الشيخ إجازة، كما أن له إجازة من الحلبي، والظاهر أن له إجازة من الكراجكي، وقد تلمذ عنده وبعد أسئلته من الشيخ كتب الشيخ عدّة كتب في جواب تلك الأسئلة. وفي بداياتها كان يعبر عن القاضي بالشيخ الفاضل وصرح الراوندي أن المراد الشيخ القاضي في الجمل والعقود.

والقاضي من مشايخ عبد العزيز بن أبي كامل ومن مشايخ الحسكا ومن مشايخ الشيخ عبد الجبار والشيخ محمّد بن علي بن محسن الحلبي. رحمه اللّه.

(١٢٩)

تقي بن نجم أبو الصلاح الحلبي

أبو الصلاح الحلبي تقي بن نجم الحلبي أو تقي الدين بن نجم أو نجم الدين، وهو من الفقهاء والمتكلمين ومن تلامذة السيّد المرتضى والشيخ.

وقال الشيخ في كتاب الرجال في باب من لم يرووا عن الأئمة عليهم السلام: تقي بن نجم الدين الحلبي، ثقة له كتب، درس عندي وعند السيّد المرتضى انتهى.

كما درس عند سلار، وكان خليفة السيّد المرتضى في الديار الحلبية، وكانوا إذا أرسلوا استفتاء إلى سلار يرسل إليهم: أن تقي عندكم. وهو من مشايخ القاضي وعبد الرازي والشيخ الفقيه الصالح ثابت بن أحمد بن عبد الوهاب الحلبي وغيرهم.

وذكر كتبه شيخه شيخ الطائفة في كتاب الرجال منها: كتاب الكافي في أُصول الدين وفروع الدين، والبداية في الفقه، وشرح ذخيرة السيّد المرتضى، وتقريب المعارف، والعمدة الشافية والكافية.

وأحياناً يذكره الفقهاء باسمه وأحياناً أُخرى بكنيته وثالثة بلفظ الحلبي.

(١٣٠)
عبد العزيز بن أبي كامل

عبد العزيز بن أبي كامل الطرابلسي كان قاضياً بعد القاضي ابن البراج، وكان فاضلاً محققاً فقيهاً عابداً.

من تأليفاته: كتاب المهذب، والإشراق، والكامل، والجواهر، والموجز.

وله إجازة من القاضي ابن البراج والكراجكي والحلبي، وقال البعض: إنّ له إجازة من الشيخ أيضاً. والظاهر أنّه كلام غير صحيح.

(١٣١)
محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي

محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي، وهو القاضي أبو الفتح أو أبو القاسم نزيل الرملة، محدّث فقيه متكلم، صاحب كنز الفوائد، وهو من أعاظم تلامذة السيّد المرتضى والشيخ والديلمي والواسطي. له من الشيخ المفيد إجازة أيضاً.

ومن كتب المفيد: كتاب جواب أبي الفتح محمّد بن علي بن عثمان.

وقال البعض: إنّه كان من مصر.

ومن تأليفاته: النوادر، ومعونة الفارض في استخراج سهام الفرائض، وشرح جمل المرتضى، والمنهاج في مناسك الحاج.

(١٣٢)

محمّد بن عمر بن عبد العزيز ﷺ

محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، وكش ـ بفتح الكاف وتشديد الشين ـ وهي بلد معروف من بلاد ما وراء النهر وبلد كبير ثلاثة فراسخ في ثلاثة فراسخ. كنيته أبو عمرو، وهو بصير بالأخبار والرجال لكنّه روى عن الضعفاء وصاحب العياشي وأخذ منه.

وفي كتابه أغلاط كثيرة على ما ذكره العلامة في الخلاصة، وكذا ذكر النجاشي إلى أن قال: له كتاب في الرجال أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى عن محمّد بن عمر بن عبد العزيز أبي عمرو الكشي.

وقال في اللؤلؤة: وكتاب الكشي المذكور لم يصل إلينا وإنما الموجود المتداول كتاب اختيار الكشي للشيخ أبي جعفر الطوسي ﷺ، وقد رتّبه على حروف المعجم الشيخ داود بن الحسن الجزيري البحراني.

وقال الشيخ عبداللّه بن صالح البحراني بأنّ الشيخ داود المذكور أديب صحيح الاعتقاد صالح مخلص في محبة أهل البيت ﷺ وقد رتب كتاب اختيار الكشي وكتاب النجاشي على حروف المعجم، إلا أنّه ليس له قوة الاستدلال والتصرف في ترجيح الأقوال، وقد أوقف كتباً كثيرة بخطه وخط غيره تقرب من أربعمئة كتاب على المدرسة التي بناها بالجزيرة، وله ثلاثة أولاد كلهم فضلاء: الشيخ علي وهو أكبرهم والشيخ حسن والشيخ صالح، وللشيخ علي ولد أفضل من أبيه وعمّيه

خصوصاً في العربية وهو الشيخ داود المعاصر للشيخ عبداللّه والمسمّى باسم جدّه، وقبر الشيخ داود جدّه في مدرسة الجزيرة في الحجرة الشمالية مع قبر ابـنه الشـيخ علي رحمهما اللّه رحم اللّه علماءنا الماضين وأطال أعمار الباقين بمحمد وأهل بـيته الطيبين.

(١٣٣)
أحمد بن علي بن أحمد‏

أحمد بن علي بن أحمد بن أبي العباس النجاشي، كان معاصراً للشيخ الطوسي والسيّد المرتضى ومن تلامذة الشيخ المفيد، ويصل نسبه إلى النجاشي الأهـوازي صاحب الرسالة من الإمام الصادق‏.

وقال العلامة في الخلاصة: أحمد بن عباس بن محمّد بن عبدالله بن ابراهيم بن محمّد بن عبد بن النجاشي والي الأهواز كتب كتاباً إلى الإمام الصـادق‏ يسأله فكتب الإمام رسالة وبعثها إليه وتلك الرسالة معروفة كنية أحمد أبو العباس ثـقة معتمد عليه، وقد نقلنا كثيراً عن كتابه الرجال في هذا الكتاب، توفي سنة ٤٥٥ في شهر جمادى الأولى‏.

(١٣٤)
الشيخ أبي عبدالله

الشيخ أبو عبدالله حسين بن عبيدالله أو عبدالله بن إبراهيم الغضائري على اختلاف النسخ، وهذا الجليل من مشايخ الشيخ الطوسي، وللشيخ إجازة منه. توفي سنة ٤١١ في منتصف شهر صفر، وقد سمع منه النجاشي أيضاً وله إجازة منه، وابن قولويه من مشايخه في الإجازة.

ومن شدة ورعه ضعّف الكثير من الرواة، وإذا تعارض تضعيفه مع تعديل الآخرين فتضعيفه موهون، وأما وثاقته فهو في أعلى درجة الوثاقة كما ذكرنا في منظومة الدراية وغيرها رحمة الله تعالى عليه.

(١٣٥)
محمّد بن أحمد بن سليم

محمّد بن أحمد بن سليم أو ابن سليمان الجعفي ثم المصري، وهو صاحب كتاب الفاخر، أدرك الغيبة الصغرى والكبرى، ويروي عنه الشيخ النجاشي بواسطتين، ويروي عنه ابن قولويه بلا واسطة.

(١٣٦)
أبو عبد اللّه

حسين بن عبيداللّه علي الواسطي، وهو من مشايخ الكراجكي ومن معاصري الشيخ المفيد، رحمة اللّه تعالى عليه وعلى علمائنا الماضين بالنبي وآله الطاهرين.

(١٣٧)
محمّد بن محمّد البصري

محمّد بن محمّد البصري المكنى بأبي الحسن، له إجازة من السيّد المرتضى، وللشيخ أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي إجازة من أبيه جبرئيل بن اسماعيل عن البصري.

(١٣٨)

محمّد بن حسين

محمّد بن حسين صاحب شرح نهج البلاغة المنسوب إلى الكندري، والملقب بقطب الدين، وهو من العلماء المتقدمين، وهو غير الراوندي، رحمة اللّٰه عليه وعلى علمائنا الماضين وأطال أعمار الباقين.

(١٣٩)

حسين بن علي بن محمّد

حسين بن علي بن محمّد بن أحمد بن حسين بن أحمد، والخزاعي النيشابوري الرازي، شيخ ابن شهرآشوب وشيخ منتجب الدين وصاحب تأليفات مثل: تفسير روض الجنان في عشرين مجلّداً باللغة الفارسية، وهو فاضل نحرير معترف له، وقد سرق فخر الدين الرازي النيشابوري من مطالبه وكتبها في تفسيره، وكان معاصراً لصاحب الكشاف.

(١٤٠)

سعيد بن هبة اللّه ﷺ

سعيد بن هبة اللّه بن حسن المكنى بأبي الحسين أو أبي الحسن والملقب بقطب الدين، أُستاذ محمّد بن علي بن شهرآشوب المعبر عنه بالبصروي.

ولمنتجب الدين والسيّد رضي الدين إجازة منه. وله من الشيخ ذوالفقار والشيخ محمّد والشيخ علي ابني علي بن عبد الصمد النيشابوري إجازة، كما له إجازة من والد محمّد وعلي وهو علي بن عبد الصمد.

ومن تأليفاته: خلاصة التفاسير عشرة مجلّدات، والمغنى في شرح نهاية الشيخ عشرة مجلّدات، والمستقصى في شرح الذريعة للسيّد المرتضى في ثلاثة مجلّدات، وشرح نهج البلاغة مجلّدان.

دفن في مقبرة قم الكبيرة وكتب اسمه على حجر وضع على قبره، وقد كنت أزوره كلّ يوم عندما كنت في قم.

وله ثلاثة أولاد فضلاء: الشيخ نصير الدين أبو عبد اللّه الحسين وهو عالم صالح، والشيخ ظهير الدين أبو الفضل محمّد وكان فقيهاً ثقة عدلاً عيناً، والشيخ محمّد أبو الفضائل وكان فاضلاً عالماً. رحمة اللّه عليهم وعلى علمائنا الماضين بمحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

(١٤١)

محمّد بن علي بن حمزة

محمّد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي معروف بالطوسي ومشهور بابن حمزة وملقب بعماد الدين، مكنى بأبي جعفر.

ومن تأليفاته: كتاب الوسيلة والواسطة، والشرائع والمسائل في الفقه، والكتاب الأول مشهور.

ويندر أن يعبر عنه بالعماد الطوسي رحمة اللّه تعالى عليه وأسكنه الجنة.

(١٤٢)

محمّد بن الجهم الأسدي

محمّد بن جهم أو جهيم الأسدي الحلي الربعي وقد يعبّر عنه بابن علي بن الجهم وابن علي بن محمّد بن الجهم، ولقّب بمفيد الدين.

وكفى في وصفه أن المحقق قال في جواب الخواجة نصير الدين الطوسي: الأعلم بالأُصولين ابن جهم ويوسف ابن المطهر.

وابن جهم من مشايخ إجازة العلامة، وللسيّد عبد الكريم بن طاووس إجازة منه.

(١٤٣)
ابن أبي المجد ﷺ

ابن أبي المجد ﷺ صاحب كتاب الإشارة في معرفة الحق في أُصول الدين وفروعه حتى الأمر بالمعروف. وصاحب كشف اللثام عندما ينقل قولاً عن الإشارة فالمراد منه هذا الكتاب، وتاريخ نسخته التي هي عند صاحب المقابيس سنة ٧٠٨.

(١٤٤)
حسن بن أبي طالب اليوسفي ﷺ

حسن بن أبي طالب اليوسفي عزالدين فاضل كامل وتلميذ المحقق.

كتب شرحاً متوسطاً حسناً على المختصر النافع اسمه كشف الرموز. وأكثر في كشف اللثام من النقل عنه. رحمة الله عليه.

(١٤٥)

محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني ﷺ

محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني ركن الدين عالم فاضل معاصر للعلامة الحلي أعلى اللّه مقامه.

من تأليفاته: الشرح النافع وشرح المبادي وغيرهما. رحمة اللّه عليه وعلى علمائنا الماضين.

(١٤٦)

علي بن محمّد القاشي ﷺ

علي بن محمّد بن علي القاضي نصيرالدين، حكيم فاضل معاصر للعلامة الحلي والشهيد ـ أعلى اللّه مقامهما ـ الذي أثنى عليه ونقل عنه بعض المطالب، ولابن المعيه إجازة منه وبالغ في مدحه.

وله حاشية على شرح التجريد للإصفهاني، وحاشية على شرح الشمسية للرازي، وحاشية على شرح الطوالع للبيضاوي، ورسالة لطيفة تضمّنت عشرين إيراداً على تعريف الأمارة في قواعد العلامة الحلي أعلى اللّه مقامه وأرفع درجته بمحمد وأهل بيته الأطهار.

(١٤٧)

محمّد بن شجاع القطان ﷫

محمّد بن شجاع القطان شمس الدين الأنصاري الحلي صاحب كتاب معالم الدين في آل ياسين.

له إجازة من الشيخ المقداد والشهيد الأول أعلى اللّه مقامهما.

(١٤٨)

أحمد بن محمّد بن فهد ﷫

أحمد بن محمّد بن فهد جمال الدين صاحب المهذب وعدّة الداعي، كنيته أبوالعباس، وله كتاب الموجز والمقتصر.

وله إجازة من الشيخ المقداد والشيخ علي بن هلال الجزائري والشيخ زين الدين علي بن محمّد الطائي. رحمة اللّه عليهم أجمعين وأسكنهم في أعلى مقامه.

(١٤٩)

مفلح بن حسين الصيمري ﷺ

مفلح بن حسين الصيمري له إجازة من ابن فهد، وشرح موجزه وسمّاه كشف الالتباس، وشرح الشرائع وسمّاه غاية المرام.

وابنه الشيخ حسين بن مفلح فاضل عالم عابد وكان صاحب تأليفات.

(١٥٠)

جواد بن سعد بن جواد ﷺ

جواد بن سعد بن جواد المعروف بالكاظمي وهو من أعاظم تلامذة الشيخ البهائي.

ومن تأليفاته: شرح زبدة الأُصول للشيخ البهائي، وشرح خلاصة الحساب، ومسالك الأفهام إلى آيات الأحكام، والفوائد العلية في شرح الجعفرية، وغيرها.

(١٥١)
المير فيض اللّه ﷺ

المير فيض اللّه بن عبد القاهر بن أبي المعالم الحسني التفريشي الغروي ومعروف بالتفريشي.

من تأليفاته: الأنوار القمرية في شرح الاثني عشرية، والتعليق على المختلف.

عاصر صاحب المعالم، وله إجازة من الشيخ محمّد ابن صاحب المعالم وقد روى صاحب الوسائل عن خال أبيه الشيخ علي بن المير فيض اللّه. رحمة اللّه عليه وعلى علمائنا الماضين بمحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

(١٥٢)
رفيع الدين محمّد الحسيني ﷺ

رفيع الدين محمّد الحسيني النائيني فقيه حكيم متكلم، صاحب تعليق الكافي وتعليق المختلف وغيرهما.

ولصاحب الوسائل إجازة منه بواسطة الملّا محمّد باقر المجلسي صاحب البحار أعلى اللّه مقامه.

(١٥٣)
السيّد عماد الدين

السيد عماد الدين أبو الصمصام ذوالفقار بن سعيد بن حسين المروزي، له إجازة من السيّد المرتضى والشيخ الطوسي، وللسيّد فضل اللّه علي الراوندي إجازة منه.

وقد عمّر هذا المعظم أكثر من مئة وخمس عشرة سنة رحمة اللّه عليه.

(١٥٤)
السيّد نعمة اللّه الجزائري

السيّد نعمة اللّه ابن السيّد عبداللّه الجزائري فاضل عالم أديب أريب لبيب حسيب نسيب مع حدة إدراك، وولده السيّد ولي اللّه من أفاضل العلماء، وحفيده السيّد عبداللّه من كمّل الفضلاء، والذرية الشريفة لهذا العالم العليم من أهل الكمال ولهم الجلالة الآن من ذلك الزمان حتى هذا الزمان في لرستان.

وجنابه صاحب عربية ولغة وذو علم في الحديث وكان أخباري المسلك.

تلمذ لعدّة علماء مثل: الآغا جمال الخوانساري، والملّا محسن الفيض، والشيخ

علي ابن الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الذي كـتب جدّه تعليقة على شرح اللمعة، والملّا محمّد باقر المجلسي وقد درس عنده أكثر من غيره ذكر المؤلف نفسه في الأنوار النعمانية: مع أن المجلسي كان عنده أكثر من ألف تلميذ فقد كان أكثر أُلفة بي ومحبة واستيناساً من الآخرين بحيث كـان غـالباً مـا يبقيني الليالي معه في مكتبته من أجل تصنيف البحار، وكان كثير المزاح ومع أنّه في غاية الشوق ولطف المسلك فقد كانت له هيبة بحيث كلما أردت أن أدخـل عـليه يضطرب فؤادي من هيبته وأتوقف مدّة عند الباب حتى أهدأ ثم أدخل بعد ذلك.

كما تلمذ السيّد المذكور للميرزا ابراهيم ابن المـلّا صـدرا. وذكـر في الأنـوار النعمانية: توجهت إلى اللّه في ليلة عيد شهر رمضان المبارك ـ والظاهر أنها كـانت ليلة جمعة ـ بخضوع وخشوع وتضرّع وانكسار فرأيت في المـنام أنـني واقـف في صحراء واسعة وفيها بيت والناس تذهب إليه من كلّ صوب، فقصدت ذلك البيت فرأيت فيه رجلاً جالساً يعلم الناس المسائل، فسألت: من هـذا الرجـل؟ فـقالوا: الرسولﷺ. فشققت الصفوف وذهبت إليهﷺ وقلت له: يا جدي العظيم وصـل إلينا دعاء أمرتم بأن ندعوا به في أول الصلاة: إني اقدم إليك محمّداً بين يدي حاجتي وأتوجه به إليك... ـ إلى آخر الدعـاء ـ ولم يـذكر مـع اسمكـم اسم عـلي بـن أبي طالب؈ وأنا أقرن اسمه مع اسمكم وأخاف أن تكون بدعة إذ لم ينقل الدعـاء إلا بالنحو الذي ذكرته. فقرن الرسولﷺ إصبعيه المباركين وألصقهما ببعضهما وقـال ذكر اسم علي؈ مع اسمي ليس بدعة. وعندما استيقظت رأيت في بعض الكـتب هذا الدعاء وقد ذكر فيه اسم علي؈ أيضاً.

وكتب السيّد المذكور رسالة في أحواله لا تخلو مـن الطـرائـف والظـرائـف، فالسيّد كان كثير المزاح مثل الشيخ البهائي والمجلسي رحمة اللّه عليهم، وكتب كتاباً في المزاح، كما كتب تعليقة على شرح الجـامي في غـاية الحسـن وتـرغبها طـبائع

الطلاب، وكتب كتاباً اسمه مسكن الشجون في الفرار من الوباء والطاعون؛ وحيث إنّ أحواله لا تخلو من نصح وتذكير وحث للطلاب فمن المناسب ذكرها؛ وحيث إنّ هذا الكتاب تصدّر باسم السيّد الأُستاذ السيّد ابراهيم اختمه باسم هذا السيّد العظيم السيد نعمة الله.

قال جنابه: ولدت سنة ١٠٥٠ وقد مضى من عمري إلى الآن ٣٩ سنة، وفي هذا العمر القليل رأيت مصائب كثيرة، فعندما بلغت الخمس سنين وكنت ألعب وألهو مع الأطفال وفي يوم كنت مع رفيقي نلعب جاء أبي وقال: تعال معي يا بني لنذهب إلى المعلم لتتعلم الكتابة حتى تنال مرتبة عليا. فبكيت ولم أقبل فلم ينفع ذلك وذهبنا إلى المعلم وبدأنا بتعلّم حروف الهجاء، وفي اليوم التالي ذهبت إلى أُمي وقلت لها: لا أُريد الذهاب إلى المكتب بل أريد أن ألعب مع الأطفال. فأخبرت والدتي والدي بذلك فلم يقبل فكنت أن أسعى أن أنهي بسرعة عمل المكتب حتى ألهو مع الأولاد.

ولم يمر زمان طويل حتى ختمت القرآن وقرأت الكثير من القصائد والأشعار ولم يكن قد تجاوز عمري الخمس سنين وستة أشهر، وعندما ختمت القرآن قلت لوالدتي من جديد: اتركوني ألعب مع الأولاد. فقال لي والدي: احمل يا ولدي كتاب الأمثلة حتى نذهب إلى رجل يدرسك الأمثلة. فبكيت فأراد والدي أن يعينني فأخذني إلى رجل أعمى يعرف الأمثلة والبصروية وتصريف الزنجاني جيداً، فدرّسني ذلك الرجل وكنت أسحب له العصا وأخدمه وبالغت في خدمته من أجل التدريس.

عندما انتهيت من الأمثلة والبصروية وأردت الشروع بالتصريف ذهبنا إلى سيّد من أُقاربنا يعرف جيداً تصريف الزنجاني والكافية فدرست عنده التصريف،

وكان يأخذني معه أيام الدرس يومياً إلى بستان ويقول لي: إجمع العلف لتأكلها البهائم. فأجمع العلف وهو جالس يقرأ لي صيغ الصرف والإعلال والإدغام، ثم كنت أربط حزمة علف كبيرة وأضعها على رأسي وآخذها إلى بيته وكان يقول لي: لا تذكر هذا إلى أهلك. وعندما انتهى زمان العلف ودخلنا زمان دودة القز كنت أحمل له وأضع أوراق التوت على رأسي حتى صار رأسي أقرع فسألني والدي: لماذا صار رأسك أقرع؟ قلت: لا أعلم. فداواني حتى عاد شعري إلى حالته الأُولى.

وعندما انتهيت من تصريف الزنجاني وأردت درس الكافية ذهبت إلى قرية أُخرى ودرست الكافية عند رجل فاضل، وفي يوم كنت في المسجد فجاء رجل يرتدي لباساً أبيض وعمامة كبيرة كأنها قبة صغيرة والناس تقول: رجل عالم. فذهبت إليه وسألته عن كبيرة صيغة من صيغ الصرف فلم يجب واضطرب فقلت له: إذا لم تكن تعرف هذه الصيغة فلماذا تضع هذا الحمل الثقيل على رأسك؟ فضحك الحضور وقام الرجل من ساعته وذهب. وكان هذا العمل مني باعثاً على أن اجتهد في صيغ الصرف، وما زلت إلى الآن أستغفر اللّه لسؤالي ذلك الرجل المؤمن، لكن أحمد اللّه أن هذا الأمر وقع قبل البلوغ والتكليف.

وبقيت هناك مدّة وبعدها ذهبت إلى نهر العشار إذ سمعت أن هناك رجلاً عالماً وكان يدرس عنده أخي المرحوم المغفور له الفاضل الصالح الورع السيّد نجم الدين، وعندما وصلت إليه رأيت أخي يعود فعدت معه إلى قريتنا.

ومن هناك ذهبنا إلى شط بني أسد ودرسنا عند رجل عالم كان هناك وبقينا مدّة مديدة ثم عدنا إلى قريتنا، ثم ذهب أخي وكان أكبر مني إلى الحويزة وقلت لوالدي: أُريد السفر إلى الحويزة عند أخي لطلب العلم فأخذني أبي إلى شط السحاب وجلسنا في زورق وعبرنا ممراً ضيقاً والقصب من الجهتين ولم يكن

الطريق يسع إلا مقدار مرور الزورق، وكان الجو في ذلك اليوم حاراً جداً والبعوض كثيراً كلّ واحدة منها كالزنبور أي مكان لسعته البعوضة يتورم، وكان في الطريق جماعة من أصحاب الجواميس عندهم هناك منزل فقصدناهم، وكنا جائعين، فدخلنا عليهم عصراً ففرش لنا صاحب البيت وعند المغرب صلينا وجلسنا ننتظر العشاء حتى حلّ وقت النوم ولم يأتِ الغذاء وقد زاد جوعنا وغلبني النوم، وبعد أن مضى مقدار من الليل جاء صاحب البيت إلينا ونادى جواميسه كلاً باسمه فجاءت تلك الحيوانات من خلال القصب إليه فسألت شخصاً: ما الأمر؟ ماذا يريد هذا الرجل من الجواميس؟ فقال: يريد أن يحلبها حتى يصنع لكم طعاماً مع الأرز. فقلت: إنا للّه وإنا إليه راجعون. ونمت وقريب الصبح أتوا بوعاء كبير وأيقظونا فلم أر شيئاً من الأرز على الوعاء فمددنا أيدينا حتى المرفق في وسط الوعاء وشربنا الحليب وهذا زاد جوعنا، نعم كان في قعر الوعاء عدّة حبات من الأرز، وعندما طلعت الشمس ركبنا وذهبنا إلى الحويزة.

وكان أخي ضيفاً في منزل أحد أكابر الحويزة ويدرس شرح الجامي عند شخص من الفضلاء فشاركته في الدرس وبقينا ودرسنا شرح الجاربردي مع الشافية، وكان هذا الأُستاذ يأخذ منا خدمة كثيرة، واسمه الشيخ حسن، وأمر كلّ تلميذ إذا ذهبنا نحو الشط لقضاء الحاجة أن نأتي بحجرين من قرب قلعة الترك، فقد نذهب في اليوم عدّة مرات ونأتي بالأحجار، وكانت هذه حالتنا حتى اجتمع عنده حجر كثير، فأراد بناء البيت فأتى ببناء وكنا نحن العمال وبنينا له بيته، وكلما أردنا الذهاب إلى الحويزة العتيقة وأردنا الرجوع يقول لنا الأُستاذ: يا أولاد تريدون الرجوع من دون أن تحملوا شيئاً؟ فكان يشتري السمك العتيق وأشياء أُخرى ويقول لنا: احملوها. فنحملها وكان يقطر ماؤها على وجوهنا، وإذا أردنا أن ننقل حاشية من كتابه لم يكن يأذن لنا لكن قد نسرقه وننسخ الحواشي. وكانت هذه

أحوالنا وكنا راضين غاية الرضا بأن نخدمه حتى نستفيد من بركات أنفاسه الشريفة، وكان كثير الحرص على الكتب، وانتقلت كتبه بعد موته إلى أزواج بناته الذين لم يكن لهم أيّة قربى لديه يكن عندهم أي قرب.

وعلى كلّ حال فهذه حالنا في الدرس أما الأكل فقد كنا في بيت أحد الأكابر، وكنا في غالب الأوقات نبق في المدرسة حتى الظهر للمباحثة، وعندما نأتي إلى منزل ذلك الرجل نرى أنهم انتهوا من تناول الغذاء فنبق حتى الليل بلا طعام، وكان رفيق يقنع بقشور البطيخ المرمية على الأرض والملوثة بالتراب ويخفي ذلك عليّ حياء وخجلاً، وكنت أفعل مثله أيضاً، وجئت مرة أطلبه فرأيته قد جمع القشور وجلس عند الباب يأكلها على ما فيها من تراب وعندما رأيته فضحكت فقال لي: لماذا ضحكت؟ فقلت له: أنا أيضاً أفعل ذلك ونخفي الأمر عن بعضنا! فقال: من الآن ـ مادام الأمر كذلك ـ نجمع القشور سوياً ونغسلها ونأكلها. وبقينا مدّة على هذه الحال.

وكنا نطالع على ضوء القمر، وفي الليالي التي يغيب فيها كنت أقرأ ما حفظته مثل ألفية ابن مالك والكافية ونحوهما، فحيث هناك نور قمر نطالع وحيث يغيب أكرر المحفوظات حتى لا أنساها. وكنت أجلس مع الجالسين في المجلس وأُظهر وكأنّ في رأسي صداع فأضعه بين ركبتي وأقرأ المتون، وهكذا كان حالي.

وبقيت على هذه الحال مدّة فجاء والدي من الجزائر وقال: إن والدتكما تريد رؤيتكما. فذهبنا معه إلى الجزائر وبقينا فيها مدّة قليلة، ثم عدنا إلى الحويزة فرأينا رجلاً من أهل الجزائر يريد الذهاب إلى شيراز فحمل أخي وسائله وذهب إلى البصرة وذهبت أنا مع ذلك الرجل إلى الجزائر، وكان شهر رمضان المبارك وبقيت عند أهلي أربعة أيام ثم ركبنا مع ذلك الرجل نقصد البصرة بدون أن يطلع أهلي

على ذلك؛ لأنني كنت أظن أن والدي يطلبني فقلت لأهل السفينة: ألبس أنا ملابسي وأنزل في الماء وأحفظ الركاب حتى تذهب السفينة وأكون في الماء لكيلا يراني أحد. وهكذا فعلت حتى جاء وقت الذهاب وعلمت أنّه لا يطلبني أحد فركبت السفينة، وفي الطريق شاهدنا جماعة على ساحل النهر وكنّا نحن في وسطه فنادانا شيخ: أنتم من أهل السنة أم من أهل الشيعة؟ فقالوا: نحن من أهل السنة. فقال ذلك الشيخ لعن اللّه فلاناً وفلاناً وفلاناً ألا تعلمون أن فلاناً كان مخنّثاً؟! وشتمه فصرخ عليه أهل السفينة وهي تسير وتلك الجماعة تسير إلى جهة الساحل ويضربوننا بالحجارة، وانقضى نصف نهار ونحن على هذه الحال.

ثم وصلنا إلى البصرة، وكان واليها في ذلك الوقت حسين باشا، فبقينا هناك ودرسنا عند رجل من أجلاء السادات، ثم بعد مدّة قليلة جاء والدي ليعيدنا إلى الجزائر فأظهرنا الرغبة في ذلك، ثم واستأجرنا مركباً بدون اطلاع الوالد وركبنا متوجّهين نحو شيراز ودفعنا أنا وأخي الأُجرة. وكان في الطريق جبال فقطعناه بأقدام حافية وكان عمري إحدى عشرة سنة، ووصلنا إلى شيراز عند صلاة الصبح وذهبنا مع الشيخ الذي كان برفقتنا إلى منزله وهو بعيد عن المدرسة المنصورية التي كنّا نريد أن ننزل فيها لأنّ بعض أقاربنا هناك، فقال لنا الشيخ: امشوا في هذا الطريق وقولوا: نريد المدرسة المنصورية. ولم نكن نعرف اللغة الفارسية فذهبنا وقطّعنا الكلام فحفظت أنا كلمة والأُخرى حفظها الآخر، وكلّما رأينا أحداً يقول واحد منا: نريد، والآخر يقول: المدرسة المنصورية. حتى وصلناها فجلست عند الباب ودخل أخي إلى المدرسة، وكل طالب يخرج ويراني ويرى آثار التعب عليّ كان يرق لحالي، ثم عثرنا على صديق فجلسنا في حجرته.

وفي اليوم التالي ذهبنا لزيارة رجل فاضل بحراني يدرّس الألفية فسلّمنا عليه وطلب منا الجلوس، وبعد الانتهاء من الدرس استفسر عن أحوالنا فأجبناه ثم قام

وأخذني إلى خلف عمود المسجد وشدّ بقوّة أذني وقال لي: أيها الولد إياك أن تسعى كي تصير شيخ العرب وأن تحب الرئاسة فلا تضيّع وقتك، فإذا فعلت ذلك تصير رجلاً فاضلاً. فحفظت كلامه واعتزلت عن الأصدقاء أيام القراءة، وجاء معنا إلى متولي المدرسة فعيّن لنا مقداراً قليلاً لا يكفينا أبداً، ودرسنا عند ذلك الشيخ كما درسنا عنده غيره.

وبعد مضي مدّة قليلة قال لي صديقي وأخي: من المناسب أن نعود إلى الجزائر لأن المعاش ضيق علينا. فقلت: أنا أشتغل بالكتابة بأجرة لنفسي ولأوراقي وجميع ما أحتاجه. وعلى هذه الحال درست أربعة دروس وأُحشيها وأُصححها، وكانت طريقتي في الصيف والحر أن أبقى في غرفتي فالطلاب يصعدون إلى سطح المدرسة للجلوس والنوم وأشتغل بالمطالعة والتحشية وتصحيح الدرس حتى يبدأ المؤذن بالمناجاة عند اقتراب الصبح، فأضع الكتاب على وجهي وأنام قليلاً وعند طلوع الصبح أبدأ بالتدريس، فإذا أذّن للظهر أذهب إلى الدرس، وقد أشتري في طريقي قطعة خبز من الخبّاز وآكلها في الطريق، وفي أغلب الأوقات لا أجد خبزاً حتى يدخل الليل، وفي أكثر الأوقات أشك عند دخول الليل: هل أكلت خبزاً أم لا؟ فإذا فكّرت في الأمر جيداً أدرك أنني لم آكل شيئاً. وغالباً مالا يكون عندي سراج للقراءة فاتّخذت غرفة عالية لها أبواب متعدّدة فإذا كان هناك ضوء قمر أفتح الكتاب وأُطالع وعندما يبتعد ضوء القمر ويغير مكانه أفتح الباب الآخر، وبقيت على هذه الحال مدّة سنتين فضعفت عيني وما زالت على ضعفها حتى هذا الزمان. وكان عندي درس أكتب حواشيه بعد صلاة الصبح، وكان يجري الدم من يدي من شدّة البرد ولا أشعر بذلك، وبقيت هكذا سنتين أو ثلاثاً.

ثم بدأت بتأليف كتاب مفتاح اللبيب وشرح التهذيب في علم النحو ومتنه من تصنيفات الشيخ بهاء الدين محمّد تغمده الله برحمته، وكتبت في ذلك الوقت

شرحاً للكافية.

وكنت أدرس علوم العربية عند رجل فاضل من أهل بغداد، والأُصول عند رجل محقق من أهل الأحساء، والمنطق والحكمة عند المحققين المدققين الشاه أبي الولي والميرزا ابراهيم، وعلم القراءة عند رجل فاضل من أهل البحرين. وكنا جماعة ندرس عند الشيخ الجليل الشيخ جعفر البحراني ويقرأ الدرس الباقون وأنا أستمع، وعندما أذهب إلى الشيخ كان يطلب القراءة من كلّ من يجلس في الأمام حتى يجلس عند القارئ ويشجّعنا على الدرس وفهم المعنى من مطالعة التلميذ.

واتفق في يوم أن جاءني خبر موت جماعة من أعمامي وأقاربي فلم أذهب ذلك اليوم إلى الدرس عزاء لهم، فسأل الأُستاذ عني فقيل له الأمر، وفي اليوم التالي ذهبت إلى الدرس فلم يرضَ أن يدرّس وقال: لعن اللّه تعالى والدي ووالدتي إذا درستكم اليوم فلماذا لم تأت أمس؟ فقلت له ما الأمر فقال لي: كان المناسب أن تحضر الدرس وبعد ذلك تذهب وتجلس للعزاء وسيأتي أيضاً فيما بعد خبر موت أبيك إذن ستترك الدرس أيضاً؟ فأقسمت له أنني لن أقطع الدرس في أي يوم أبداً مهما اشتدت المصيبة فرضي أنّ يعطي الدرس كما أنّه لم يرضَ بسرعة.

وحدث أننا كنا ندرس عنده شرح العميدي في أُصول الفقه فوردت مسألة لم تخل من إشكال وكنا مجموعة فقال لنا: طالعوا هذا المطلب الليلة ومن يأتي غداً وقد حلّه فيسركب على ظهور الآخرين ويسيرون به من هذا المكان إلى ذلك المكان. وفي صباح اليوم التالي ذهبنا إليه وقرّر كلّ واحد من الأصحاب المسألة ثم قال لي: قل ما عندك. فذكرت المسألة كما فهمتها فقال: هذا هو الصواب وما قاله الآخرون غلط. ثم قال لي: قل ما ذكرت حتى أكتبه على حاشية الكتاب. فكنت أُملي عليه وهو يكتب وعند الانتهاء من الكتابة قال لي: اركب على ظهر كلّ واحد حتى ذلك

المكان. فحملوني واحداً واحداً حتى ذلك المكان. وهذه هي كانت حالة الأُستاذ. وفي ذلك اليوم أخذني معه إلى بيته وقال لي: هذه ابنتي وأُريد أن أُزوجك إيـاها. فقلت له: إن شاء اللّه سأتزوج بعد أن أصير عالماً وأنتهي من الدرس.

واتفق أن الأُستاذ سافر إلى الهند وصار مرجعاً في حيدرآباد.

وسألته يوماً عن التفسير الذي ألّفه الشيخ عبد العلي الحويزي من الأخـبار فقال لي: مادام الشيخ عبد العلي حياً فإن تفسيره لا يساوي قرشاً وإذا مات فإنني أول من سيكتبه بماء الذهب. ثم قال هذا الرباعي:

إن الفتى ينكر فضل الفتى	لوماً وبخلاً فإذا مـا ذهب
لج به الحرص عـلى نكـتة	يكتبها عـنه بمـاء الذهب

ونظير هذا الكلام أن رجلاً من فضلاء إصفهان كتب كـتاباً فـلم يشـتهر ولم ينسخه أحد فقال له أحد العلماء: لماذا لم يشتهر كتابك؟ فقال: لأن لي عـدواً فـإذا مات فسيشتهر الكتاب. فقال له: ومن هو هذا العدو؟ قال: نـفسي. وقـد صـدق مؤلف الكتاب.

وبقيت في شيراز ما يقرب من تسع سنين وقد عانيت فيها من الجوع والمشقة بنحو لا يعرفه إلا اللّه، وأذكر أنني قضيت يومي الأربعاء والخميس وليس عندي إلا الماء، وفي ليلة الجمعة رأيت الدنيا تدور بي وقد أظلمّت في عيني فذهبت إلى قبة السيّد أحمد ابن الإمام موسى الكاظم‌ﷺ واحتضنت القبر وقلت له: إنني ضيفك. وبينما كنت واقفاً إذ جاء سيّد وأعطاني طعام تلك الليلة فحمدت اللّه وشكرته.

ومع هذا التعب والمشقة فقد كنت أذهب إلى البساتين مع الأصحاب والعلماء وأبقى أُسبوعاً أو أقل أو أكثر لكنني لم أكن أترك الاشتغال بالعلم، وقد مـنّ اللّـه تعالى عليّ في شيراز بأصحاب صلحاء كانوا يوافقوني في الدرس.

ومن جملة رياضاتي من أجل الدرس أنّه كان عندي صاحب منزله في اطراف شيراز فأنام عنده حتى أستفيد من ضوء السراج للمطالعة، وكان عندي درس في آخر الليل في المسجد الجامع وذلك في الطرف الآخر من البلد فأقوم وقد بقي من الليل وقت كثير وآخذ عصاً، وكان بين منزلي وذلك المسجد سوق كبير ولم يكن هناك ضوء في آخر الليل بل كان السوق كله مظلماً، وكلّ دكان يحرسه كلب بحجم العجل، فأسلك الطريق وحيداً فإذا ما اقتربت من السوق أضع يدي على الحائط حتى أهتدي الطريق، فإذا وصلت إلى دكان البقال أبدأ بقراءة الأشعار بصوت عالٍ حتى لا يتوهّم الكلب أنني سارق وليراني عابراً من العابرين، فكنت أحتال عند كلّ دكان على الكلب بحيلة ما حتى أتخلّص منه. وانقضى زمان على هذا المنوال.

وكنت في مدرسة المنصورية وحجرتي في الطبقة العليا، ولم أكن أرغب أن يأتي أحد إليّ أو أن يمر قرب حجرتي، وكنت أحب الوحدة دائماً وبقيت على هذا الحال حتى كتب لي والدي ووالدتي: أن تعال إلى الجزائر، فذهبت مع أخي وسرّ الأهل بقدومنا وبأننا ليس مثل كلّ من ذهب من البلاد عاد بلا علم، ثم قالت والدتي: عليك أن تتزوج حتى أُسعد بك. فقلت لها: بقي علم الحديث والفقه. فقالت والدتي: لا بد أن تتزوج. وكان الباعث على ذلك أننا إذا تزوجنا فسنسكن في الجزائر، ثم قبلت بكلام والدتي وبقيت عشرين عاماً هناك بعد الزواج.

ثم ذهبت يوماً لزيارة رجل فاضل في قرية يقال لها قرية نهر صالح، وعندما اجتمعنا وتحدثنا في العلوم العقلية قال ذلك الرجل: واأسفاً عليك إذ فاتك علم الحديث! قلت: وكيف فاتني؟ قال: لقولهم ذبح العلم في فروج النساء. فأثار هذا الكلام غيرتي وقلت له: أيها الشيخ أُقسم باللّه أنني لن أرجع إلى أهلي وسأقوم من هذا المجلس وأذهب إلى شيراز. فاستبعد مني هذا الكلام ثم قمت وركبت سفينة ووصلنا إلى مكان كان والي البصرة موجوداً فيه فأخذنا معه إلى الصحراء للتنزّه

وعندما عندنا إلى البصرة وجدت أنّ أبي سيأتي خلفي فتوجّهت إلى شيراز وذهبت إلى تلك المدرسة، ثم جاء أخي خلفي وأقمنا هناك حتى جاء خبر وفاة الوالد تغمّده الله برحمته.

ثم بقينا شهراً أو أقل فاحترقت مدرسة المنصورية واحترق أحد الطلاب كما احترقت بعض الكتب، فكان هذا مقدمة للسفر إلى إصفهان وكنا جماعة كثيرة، وفي الطريق اشتد رأسنا حتى كدنا نهلك فمنّ الله تعالى علينا بأن وصلنا إلى إصـفهان، وذهبنا إلى مدرسة لم يكن فيها أكثر من ١٤ حجرة ونزلنا في إحداها وعند النوم إذا أراد أحدٌ أن يذهب إلى قضاء حاجته كان يوقظ الجميع، ثم ضاقت عـلينا أُمـور المعاش فبعنا ما كان عندنا من ألبسة وغيرها، وكنا عن عمد نتناول الطعام المـالح حتى نكثر من شرب الماء ونأكل الأشياء الثقيلة، وبعد ذلك منّ الله علينا بمعرفة أُستاذنا الملاّ محمّد باقر المجلسي ـ أدام الله أيام سلامته ـ فأخذنا إلى منزله وبقيت فيه أربع سنين، وعرّفته على أصحابي فهيأ لنا أسباب المعاش، ودرست عنده علم الحديث.

ثم بنى الميرزا التقي مدرسة وجعلني مدرّس تلك المدرسة وكانت قرب حمام الشيخ البهائي، فأقمت في إصفهان ودرّست هناك مدّة ثماني سنين، وظهر ضعف في عيني بسبب كثرة المطالعة، وكان في إصفهان جماعة مهما داووني كنت أزداد ألماً من أدويتهم ثم قلت لنفسي: أنا أعرف منهم بالدواء. فقلت لأخي: سأسافر إلى العتبات المقدّسة فقال لي أخي: أذهب معك.

فذهبنا من طريق إصفهان ووصلنا إلى بلدة كرمانشاه وهـارونية التي بـناها هارون الرشيد، ثم صعدنا أعلى الجبل وهـناك سـقط المـطر وكـان الهـواء بـارداً وتتزحلق منه الأقدام من على الصخور ولم يكن أحـد يسـتطيع الجـلوس عـلى

الدواب من شدة البرد والمطر، فبدأت بقراءة آية الكرسي ولم يبق أحد من أهل القافلة إلا وسقط عن دابته وقد وصلت بحمد اللّه تعالى إلى المنزل بسلامة، وكان ذلك المنزل محطة صغيرة لنزول القوافل تتكون من بيوت للدواب فوضعت المتاع والكتب في الاصطبل ثم اشعلوا ناراً ورموا بعذرة الدواب فيها وامتلأ الاصطبل بالدخان فوقفنا متحيرين بين المطر والدخان فذهبنا خوف المطر إلى داخل الاصطبل وسددنا أنوفنا فإذا ضاق النفس خرجنا وبقينا مدّة قليلة تحت المطر ثم نعود، وهكذا كان عملنا في تلك الليلة، وكم كانت يا أخي تلك الليلة طويلة، وعندما طلعت الشمس جاء أهل القرية القريبة من ذلك المنزل ليبيعونا الخبز، فجاءت امرأة ذات لحية نصفها أسود ونصفها أبيض فتعجبنا من ذلك.

ثم وصلنا إلى قرية ووضعنا فيها كتبنا ومتاعنا وذهبنا إلى سامراء مع جماعة قليلة وعندما طوينا فرسخاً رأينا رجلاً يقول لنا: أنتم ذاهبون واللصوص أمامكم في نهر الباشا. فترددنا في الرجوع أو الإكمال وعزمنا على إكمال الطريق، وعندما وصلنا إلى نهر الباشا جاء اللصوص يريدون الإغارة فبدأت بقراءة آية الكرسي وعندما اقتربوا منا وقفوا وفكروا ثم جاؤوا إلينا وقالوا: إنكم ضيّعتم الطريق. وهذا ما كان فقد ضيّعنا الطريق، فأرسلوا معنا شخصاً ودليلاً أوصلنا إلى بلدة قازانية، فرأينا سادات سامراء يستقبلوننا ليأخذوا من أموالنا. فقالوا لنا: اتركوا أموالكم واركبوا على أموالنا فركبنا على دوابهم ودخلنا المشهد المبارك ليلاً، ثم نزلنا في بيت سيّد وجاءت امرأة بمقدار من الحطب قيمته أقل من فلس، وعندما صلينا صلاة الصبح أردنا الذهاب للزيارة فقال السيّد صاحب البيت: لن تذهبوا حتى تأكلوا ما نضيّفكم به: فقلنا له: معنا لحم وخبز. فقال السيّد: هذا لا يكون. وبعد ساعة أتى بكاسة خشبية كبيرة وفيها ماء لونه أسود لم ندر ما يوجد في داخله وفيها عدّة ملاعق فقال: مدّوا أيديكم. وكان الماء حارّاً فمددنا الملاعق فلم تصل الملعقة إلى

قعر ذلك الوعاء فأدخلنا أيدينا مع الملاعق ووجدنا حبات أرز مع الماء المغلي، فأكل كلّ واحد منا ملعقة وخرجنا للزيارة، فقال لنا السيّد: اعلموا يا ضيوفي أنّ سادات سامراء ليس عندهم خوف من الله فعندما تصلون إلى القبة سيأخذون ألبستكم، وأنتم قد أكلتم من ملحنا فأنصحكم بأن تضعوا ألبستكم الجديدة في منزلي وتذهبوا بلباس قديم إلى أن ترجعوا. فقبل أصحابي ووضعوا ألبستهم الجديدة عنده ولبسوا القديم أما أنا فقلت: إن البرد أثّر فيّ الليلة فسألبس القديم فوق الجديد.

وذهبنا للزيارة فلاقونا على الباب الأول فأخذوا منا أربع محمّديات، وعندما وصلنا إلى الباب الثاني أخذوا منا أيضاً، فزرنا مولانا ونزلنا السرداب المبارك وهناك أحاطوا بنا وأخذوا كلّ ما أرادوا، وكأنني رأيت أحد طرفي مئزر في يد صاحبه والطرف الآخر بيد أحد السادة وصاحب المئزر حاسر الرأس، ثم عدنا إلى المنزل وطلبنا الألبسة من صاحب البيت فقال: أولاً يجب أن تحسبوا حقوقي وتعطوني إياها. قلنا: حسناً احسب الحقوق. فقال: أولاً حق الاستقبال. قلنا: هذا واضح. فقال: ليعطيني كلّ واحد منكم محمّديين. فأعطيناه ثم قال: الحق الآخر حق النزول في المنزل ليلة أمس. فأخذ عوضه منا ثم قال: حق المنزل اليوم. فأخذه ثم قال: حق الحطب من كلّ واحد نصف محمّدي. فأخذه ثم قال: حق المرأة التي أتت بالحطب. فصار يحسب كلّ ما يريد ويأخذ ثم قال بعد ذلك: الحق الأعظم هو الضيافة. فأخذ من كلّ واحد محمّدياً. ثم قال: حق الحماية عندما كنتم في بيتي وإلا فإن السادات كانوا سيأخذون منكم كلّ شيء. فأخذ هذا الحق ثم قال: حق المشايعة. فأخذه وبعد أن أخذ كلّ هذه الحقوق قلنا له: فأعطنا الألبسة الآن. قال: فكروا في أنفسكم لو أنكم ذهبتم إلى الحرم بهذه الألبسة ألم يكن السادات يأخذونها؟! أولست أنا من السادات؟ فإذن أخذتها منكم دون أن أوجه إليكم أية

إهانة. فقلنا له: جزاك اللّه خير الجزاء.

فرجعنا إلى بغداد منها إلى الكاظمي ومنها إلى زيارة سيّد الشهداء، وأخذت تربة من عند رأس كلّ إمام ومن عند أقدام الإمام الحسين وخلطتها مع بعضها ومسحتها على عيني فقويت عيني ذلك اليوم وصرت أقوى على المطالعة بل صارت أقوى من الأول، وكنت قد بدأت بكتابة شرح على الصحيفة فبدأت منذ ذلك اليوم بإتمامه وإلى الآن كلما عرض لي رمد وغيره اكتحل بشيء منه وهذا هو دوائي.

وعندما ذهبت إلى مشهد أمير المؤمنين زرته ومددت يدي تحت الفراش عند رأسه المبارك حتى آخذ شيئاً من التراب فوقعت يدي على درة بيضاء من درر النجف فأخذتها، وعندما خرجت حدّثت إخواني بذلك فتعجبوا وقالوا: لم نسمع أبداً أن أحداً عثر على درة، وبالتأكيد هناك ملك أتى بها ووضعها في ذلك المكان لأنه منذ زمن وقبل سنين كثيرة عثر أحد الخدام على درة في الصحن المبارك لحرم الإمام فأخذها المتولي من الخادم وأرسلها إلى الملك باعتبار أنّها وجدت في ذلك المكان.

وعلى أي حال فقد صنعنا من الدرّة فص خاتم وهي الآن عندي نتبرك بها وقد رأينا أُموراً عجيبة من تلك الدرة. وفي مرّة كنت قد وضعت الخاتم بإصبعي وذهبت إلى المسجد الجامع في ششتر، وبعد صلاة المغرب والعشاء عدت إلى منزلي وعندما جلست تحت الضوء عرفت أن فص الخاتم قد سقط وعلمت أنّه سقط في تلك الليلة، فحزنت حزناً شديداً فقال لي بعض تلامذتي: آخذ سراجاً وأذهب للتفتيش عنها. فقلت له: لعله وقع في النهار وقد ذهبت إلى أماكن متعددة. ثم قلت: توكل على اللّه وفتش عنه. فأخذ السراج وذهب، وفي المرة الأُولى التي وضع فيها

السراج على الأرض عثر عليه وكان بمقدار حبّة حمص فتعجب الناس من ذلك، وعندما أعطوني إياه كان حالي كمن أُعطي أموال الدنيا والحمد اللّه إنه إلى الآن موجود معي.

وعندما انتهيت من الزيارة بدأت بزيارة الأفاضل والمجتهدين ومحادثتهم ومباحثتهم، فذهبت إلى الرماحية وكنت ضيفاً عند أحد المجتهدين وبقيت هناك أياماً قليلة، ثم استأجرت مركباً وقصدت الجزائر وعندما طوى المركب فرسخين من الطريق علق بالطين فبقينا يوماً وليلة، ثم سار المركب فرسخاً وعاد للتوقف مثل الأول فتعجب أهل المركب إذ لم يتّفق أن حدث مثل هذا الشيء للسفينة أبداً، فحدثت نفسي وقلت: إننا في شهر جمادى ورجب قريب وقد قرب وقت زيارة رجب وأنا أتركها وأذهب إلى الجزائر! فهذا هو سبب هذه البلية. قلت لصاحب المركب: إذا أردت أن يمشي مركبك فأخرجني منه. وقلت له ما الأمر فتعجب ثم قلت له: هنا قرية فيها أحد إخواني فأنا أذهب إلى منزله حتى يمشي المركب إلى مقابل منزله. فأرسل معي شخصاً يدلّني على الطريق، وعندما خرجت من المركب سار ووصلنا إلى منزل ذلك الرجل الذي كان من إخواني وأصدقائي، فأرسل غلامه ليأتي بأغراضي وبقيت عند ذلك المؤمن عدّة أيام ثم توجهنا سوياً إلى زيارة أمير المؤمنين ﷺ في رجب.

وعند الانتهاء من الزيارة عدنا إلى منزل ذلك المؤمن وكانت قريته على شاطئ الفرات، وكانت هناك شجرة قوية وسط الماء وله منزل ومجلس عليها ويمر المركب من تحته ولم نر مكاناً أفضل منه، وكان يصطاد في النهار الحجل والدراج وفي الليل نأكله، وكان ماء الفرات في غاية العذوبة واللطافة، وقد ورد في حديث أنّه يهرق في ماء الفرات كلّ يوم ميزاب من ماء الجنة، وفي حديث أنّ ماء الفرات يشفى به الأكمه والأبرص وصاحب العاهة والآفة لكن باشرته نجاسة أبدان

المخالفين فزالت بركته وبقي من تلك البركة واحدة. وكان سيّدنا الإمام الصادق ﷺ يأتي من المدينة يقصد ماء الفرات حتى يشرب منه ويغتسل ثم يعود، وفي يوم جاء ﷺ إلى ماء الفرات فرأى رجلاً عليه فقال له: أعطني ماء بهذا القدح. فأعطاه ثم طلب مرة أُخرى فأعطاه فشرب ﷺ حتى جرى الماء على لحيته المباركة ثم قال: الحمدلله رب العالمين ما أعظم بركة هذا الماء.

وعلى كلّ حال ركبت مركباً وتوجّهت إلى الجزائر ثم التقيت جماعة كانوا في السفينة الأُولى وقالوا: إنك منذ تركت المركب لم يقف في أي مكان حتى وصلنا إلى المنزل. وعندما وصلت إلى الجزائر فرح أهلي إذ إنّ أخي كان قد سبقني فلما رأته والدتي ولم أكن معه تشوش بالها وشكّت في أنّ حادثة أصابتني، ثم بقيت ثلاثة أشهر هناك وبدأت بشرح التهذيب، ثم توجهت من هناك إلى قرية نهر صالح فرأيت أهلها عقلاء صلحاء وعلماءهم من أهل الإيمان ليس فيهم نفاق ولا حسد، فأحسنوا إلي إحساناً كاملاً وبقيت عندهم ستة أشهر وبنوا لي مسجداً جامعاً كان يصلي فيه في البداية الشيخ الأجل خاتمة المجتهدين الشيخ عبد النبي الجزائري وكنت أُصلي فيه صلاة الجماعة لا الجمعة.

بعد ذلك أرسل السلطان محمّد العساكر لمحاربة والي البصرة واحتلالها مع الجزائر فرأى والي البصرة أن يخرّبها وينقل أهلها إلى سحاب وهي قريبة من الحويزة، فذهبنا جميعنا إلى هناك ووضع جيشه في قلعة القرنة وجلس هو مع أهل الجزائر في سحاب وجاء إلينا ففرشوا له عباءة في الصحراء، وعندما ذهبنا إليه قام وأجلسنا على تلك العباءة وكان يظهر لي وداً، وعندما اقتربت عساكر السلطان محمّد حاصروا القلعة وأخذوا يرمونها ألف قذيفة يومياً حتى كانت الأرض تتزلزل، وكنت مشغولاً بتأليف شرح التهذيب فأرسلت الكتب والعيال مع أخي إلى الحويزة وبقيت مع كتب التأليف ثم استأذنت الوالي بالذهاب إلى الحويزة فلم

يأذن وقال: إذا ذهبت أنت لن يبقى أحد معنا. فبقينا في الحصار مدّة أربعة أشهر حتى جاء شهر رمضان المبارك، فسافرت إلى الحويزة وكنت أنتظر الأخبار وفي الليلة الحادية عشر وكانت ليلة جمعة جاء خبر أن السلطان خاف من خيانة الجيش وهرب نحو ذورق، وعندما وصل الخبر إلى الجزائر فرّ الرجال والنساء والأطفال نحو الحويزة وطريقهم إليها مسافة ثلاثة أيام وبينهما صحراء لا ماء فيها ولا كلأ فمات الكثير من أهل الجزائر بسبب الخوف والجوع والعطش وكان العدد كبيراً لا يعلمه إلا اللّه، وقتل منذلك العسكر الذي كان في القرية خلق عظيم، والحاصل أنّ كلّ من كان يشاهد ما يجري يخبر عن يوم كيوم القيامة.

وأما سلطان الحويزة ـ قدس اللّه روحه ـ وهو السيّد علي خان فقد أرسل العساكر لتستقبل أهل الجزائر وأرسل إليهم الماء والطعام جزاه اللّه خير الجزاء، وأقمنا عنده في الحويزة وبقينا مدّة شهرين وسافرنا إلى إصفهان لكن من طريق ششتر، وعندما وصلنا إلى ششتر رأينا أهلها من أهل الصلاح والفقر ويحبّون العلماء، وكان فيها رجل من كبار السادات اسمه الميرزا عبداللّه فذهبنا إلى منزله وهيّأ لنا كلّ ما نحتاجه وهو الآن في ظل رحمة اللّه، وخلّف ولدين أحدهما السيّد شاه مير والآخر السيّد محمّد مؤمن وكلاهما على صفات من الكمال لا تحصى مع صغر سنّهما ولا يوجد في العرب والعجم أكرم منهما، وأرسل والدهما إلى الحويزة وأتى بأهلنا وعيالنا وجعل لهم منزلاً وهيّأ لهم جميع ما يحتاجونه، فأقمنا في ششتر مدّة ثلاثة أشهر تقريباً.

وسافرنا إلى إصفهان من طريق دهدشت وتركنا الأهل في ششتر، وعندما وصلنا إلى دهدشت أخذنا غرفة في المحطة وجلسنا فيها وبعد ساعة قلت لأحد الأصحاب: اذهب وانظر هل ترى أحداً من أصدقائنا ليهيئ لنا منزلاً؟ فذهب وأتى بسيّد كان يدرس عندي في إصفهان وعندما رآني فرح فرحاً شديداً وقال: إن

جمعاً من تلامذتكم هم من سكان هذا البلد، فأخبرهم وكانوا من سادات دهدشت وأخذوا لنا منزلاً وكان حاكم تلك البلاد محمّد زمان خان عالماً كريماً سخياً لا نظير له في السخاء وعندما اطلع على قدومي أرسل وزيره إلينا وعين لنا ما نحتاجه وطلبنا في آخر اليوم، وعندما ذهبنا إليه قال: سمعت أنك تكتب شرحاً على الصحيفة؟ فقلت: نعم. فقال: في دعاء عرفة فقرة كيف تشرحها؟ قلت: أي فقرة؟ فقال: قوله ﷺ تغمدني فيما اطلعت عليه مني بما يتغمد به القادر على البطش لولا حمله. فذكرت له ثلاثة وجوه فقال: هذا الوجه خطر على بالي والباقي خطر على بال السيّد حسين الخوانساري. وحسّن تلك الوجوه وبدأنا بالمباحثة وكنت أحترمه في الكلام، ثم جلس على ركبتيه ولبس حلته وقال: تكلم كما تتكلم في المدرسة مع طلاب العلم ولا تحترمني. فتباحثنا وكنت أنقله من علم إلى علم وكان يسبقني في الكلام في ذلك العلم إلى أن جاء وقت الظهر فقطعنا كلامنا، وفي اليوم التالي تباحثنا وبقينا في بلده ثلاثة أشهر تقريباً على هذه الحال فلم أر شخصاً أكثر منه فهماً وأشد منه ذكاءً وأفصح منه لساناً، وأما كرمه وإعانته العلماء والفقراء فحاله في ذلك مشهور، وعندما قصدت السفر إلى إصفهان أحسن إلي تماماً.

وانظر ماذا جرى علينا عندما سافرت إلى إصفهان؟! فقد وصلنا إلى محطة كانت مناسبة تماماً للنزهة لما فيها من أنهار وأشجار فانشرحت نفوسنا ومر في خاطري فقلت: أعوذ باللّه من فرح اليوم؛ لأنني عوّدت روحي على أنني إذا فرحت يوماً يتعقّبه حزن طويل، وعندما ركبنا كان معي رفيق قد سار قبلنا وجلس في الطريق تحت صخرة، فركبت أنا وأخي وعندما وصلت إليه الدواب قام من محله فنفرت الدواب ورمتني على صخرة كبيرة فغبت عن الوعي، وعندما استعدت وعيي رأيت يدي اليسرى تؤلمني كثيراً فربط أصحابي يدي وبقيت حتى وصلت إلى إصفهان وجلست في مدرسة الميرزا تقي دولت آبادي وعالجت يدي،

وبقيت هناك خمسة أشهر ولما شفيت يدي ظهر ألم في جسمي بحيث يخدر شيء فيه وشاهدت الموت ولذلك سررت بتوفيقات الله، وبقيت على هذه الحال مدّة حتى شفاني الله.

ثمّ وأصابت أخي حمّى حتى أصابه إسهال وانتقل إلى رحمة الله في ليلة الجمعة أوّل شهر شعبان فبقي ألم المصاب في قلبي حتى اليوم ولن أجد سلوى عنه حتى أموت وأدفن تحت التراب، وكانت وفاته سنة ١٠٧٩ ونحن الآن في سنة ١٠٨٩ ولا تمضي ليلة إلا وأراه في المنام في أحسن هيئة، وأما في النهار فإن كتبه أمامي أطالعها وكلما أرى كتابه تتجدد مصائبي فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبقيت بعد ذلك في إصفهان حيراناً غائصاً في بحر من الهم والغم وقلت: لا دواء لهذه المصيبة إلا بزيارة علي بن موسى الرضا؈. فسافرت وكان الليل أثناء المسير حالكاً فضعنا، وفي النهار ابتلينا بأرض رملية وغطسنا في الرمل حتى البطن وكادت الدواب تغرق وكدنا نهلك، ثم منّ الله علينا بأن اهتدينا الطريق ووصلنا إلى مشهد، وأقمنا في تلك الأرض المقدسة عدّة أيام ورجعنا من طريق اسفراين ووصلنا في ذلك الطريق إلى محطات عجيبة وأحوال غريبة، وعندما دخلنا إلى سبزوار عرض لي ألم فوضع لي محمل على ظهر الجمل.

وبعد الرجوع إلى إصفهان بقيت مدّة قليلة ثم عزمت على السفر إلى ششتر وأن أتخذها موطناً لي، فبنيت هناك مسكناً وكانت بيني وبين سلطان الحويزة مودة ومحبة فكان يرسل لي كلّ سنة عدّة رسائل يطلب مني أن أذهب إليه وعندما أذهب يكثر من إحسانه إليّ بحيث لم أكن أقدر على شكره.

ونحن الآن في ششتر ورأيت في هذا العمر القليل مصائب كثيرة لا طاقة لي على بيانها والذي هوّن عليّ المصائب ما ورد في الأخبار في ابتلاء المؤمن من أنّه لو

غرق المؤمن في البحر ثم جلس على لوح فإن اللّه تبارك وتعالى سيسلط عليه من يؤذيه حتى يزداد ثوابه. وأُستاذنا الملّا محمّد باقر المجلسي أدام اللّه أيام عزه والذي لا نظير له في العلم والعمل كان هدفاً لسهام المصائب.

وأصعب الأحزان التي مرت علينا عدّة أُمور:

١ ـ مفارقة الأحباب والأصحاب.

٢ ـ فراق أخي وموته التي ترك في القلب جرحاً لن يندمل حتى الموت.

٣ ـ موت الأولاد، وأصعب هذه الأمور أوسطها.

٤ ـ حسد العلماء والأقران الذين حسدوني حيثما ذهبت حتى وصل الحال بهم في شيراز أن سرقوا الكتب الجميلة التي كتبتها بخطي ودرستها والحواشي التي كتبتها ورموها في البئر حتى تتلف، وقد عثر على ذلك الشخص الذي سرقها ولم أقل له شيئاً حتى أكرمني اللّه العالم بمكانها وعوّضني بكتب أُخرى، وغدا ذلك الشخص غير مالك لورقة واحدة ومحتاجاً بنحو أنه استجدى الكفّار. وكنت محسوداً دائماً ولم أحسد أحداً ولم يحوجني اللّه إلى الإقران، وهذا من فريد فضله وإلا فإن هذا العبد المذنب الجاني ليست له تلك المرتبة والدرجة.

٥ ـ عشرة الناس والعيش معهم، فإن طبائع الناس مختلفة تماماً وكل شخص يأمل ما يوافق طبيعته، والعمل حسب مزاج وطبيعة كلّ شخص في غاية الصعوبة، وقد يؤدي الأمر إلى المهادنة والسكوت على المنكر وهما حرام بالأجماع، وهذا غير ميسرّ لأحد كما ورد في رواية أن موسى‏ طلب من اللّه أن يرضى عنه بنو إسرائيل حتى لا يهتكوا حرمته ولا يغتابونه، فقال له الحق سبحانه وتعالى: يا موسى هذه خصلة لم أجعلها لنفسي فكيف ستكون لك؟ وهذا واضح فإن كلّ من يتأمل ويراجع ويتصفّح في أحوال الناس يرى أنهم يشتكون من اللّه قبل أن

الخاتمة

يقول مؤلف الكتاب: اعلم أنّ الأسماء الكريمة للأصحاب والعلماء الأطـياب وأحوالهم ومولدهم ووفاتهم وتأليفاتهم صـارت ممـحية مـنسية في أذهـان أولي الألباب على مر الدهور، فسعيت خـلال خمسـين عـاماً في إحـيائها بـعد التـتبع والتفحص والاستماع من أفواه الأكارم والأعاظم وزبر أهل المفاخر حسب القدرة الممكنة، وذكرت مطالب علمية كثيرة ونصائح عديدة وحكايات مبهجة غريبة، وفي الحقيقة فإنه لم يصنف مثل هذا الكتاب حتى الآن، وهذا شجر له عدّة ثمار وبحر له عدّة أنهار:

١ ـ إن سلسلة الإسناد تعلم من خلاله.

٢ ـ يفهم ويعرف منه تأليفات المؤلفين.

٣ ـ أنّه يعين الطلاب في الدراسة ويهديهم ويدلهم في طلب العلم.

٤ ـ إن بيان زهد وورع العلماء الأعلام يرغب الخواص والعـوام في العـبادة والزهد والتقى والنقاء.

٥ ـ إنه يعظ الناس وينصحهم للتخلّي عن قيود محبة الدنيا الدنية الغدّارة المتزلزلة.

٦ ـ إظهار الإفاضات والنعم الإلهية الكثيرة بالنسبة إلى المواد القابلة، وإظهار كمال قدرته إذ جعل حفنة من التراب أهلاً لهذه الكمالات، ولا بخل في المبدأ الفياض.

٧ ـ إنّ هذا الكتاب الشريف كافٍ وافٍ شافٍ في باب التأليف والتصنيف والتدريس والتفهيم والتعليم وتعلم المعلم.

٨ ـ إذا حصلت المعرفة بالأسماء الكريمة للأفاضل الكمل الأعاظم تحفظ أسماؤهم وتذكر في صلاة الوتر وأوقات السحر ويستغفر لهم، وقد ذكر نحو مئتي اسم أو أكثر أو أقل، فيطلب المغفرة لهم وارتفاع مقامهم حتى تفيض على الداعي الأرواح العالية من الترقيات الظاهرة والباطنة.

٩ ـ يعرف من هذا الكتاب طريق تحصيل العلم.

١٠ ـ قد يمل طالب العلم من كثرة المطالعة والتفكير فيكون هذا الكتاب وسيلة ترفيه مجدّدة للنشاط والاجتهاد والشوق نحو الدراسة.

١١ ـ قد فيه حققت الكثير من المسائل الصعبة والمسائل الخلافية أُصولاً وفروعاً فتحصل به المعرفة التامة للشخص.

١٢ ـ إنّ هذا الكتاب يرشد الطلاب نحو تخليص النيات من الرياء وطلب الدنيا.

١٣ ـ إن حكايات هذا الكتاب تزيّن مجالس ومحافل الأعاظم والعلماء والآخرين.

١٤ ـ يستحكم بهذا الكتاب الإيمان بحقانية دين النبي وحقانية آله الأطهار أكثر من ذي قبل من خلال ما ذكر فيه ممّا حصل للعلماء من كرامات وآيات واضحة الدلالة؛ إذ بعد أن يعلم أن علماء أهل البيت ﷺ وهم خدامهم ونوابهم لهم هذه الكرامات العجيبة والغريبة فمخدوموهم ومواليهم وأئمتهم هم بالتأكيد أصحاب كرامات، وذكر كرامات العلماء وضبطها وسماعها وإسماعها أنفع وأفيد بالنسبة إلى كرامات الأئمة ومعجزات الأنبياء، وهذه جميعها أدلّة على حقانية رسالة الرسول ﷺ وحجية دين سيّد الشريعة.

وكنت قد كتبت في سابق الأيام كتاب تذكرة العلماء وهو في غاية الاختصار، ومع هذا فبين هذا الكتاب وذلك الكتاب عموم من وجه، فقد يذكر هناك بعض العلماء وحكايات غير مذكورة في هذا الكتاب، والكثير من العلماء والقصص مذكور في هذا الكتاب غير مذكور في تذكرة العلماء، وهناك ما هو مشترك بينهما، وقد يظن أن عدد العلماء المذكورين في هذا الكتاب يقرب من مئة وخمسين لأننا عنونّا ١٥٥ اسماً، لكننا في أكثر المقامات ذكرنا في كلّ عنوان عشرين شخصاً أو ثلاثين أو أكثر أو أقل من العلماء وخصوصاً في الإجازات المفصّلة، فلا تغفل واجهد في مطالعته فقد تحملت الكثير في تأليفه.

وأعلم أنّه مذكور في علم الدراية أن الصحيح إجازة الرواية للصبي غير المميز للتوسعة في طريق بقاء الإسناد الذي اختصت به هذه الأمّة وللقرب من رسول اللّه ﷺ بعلو الإسناد. وقال الشهيد الثاني في شرح الدراية: وقد رأيت خطوط جماعة من فضلائنا بالإجازة لأبنائهم عند ولادتهم مع تاريخ ولادتهم منهم: السيّد جمال الدين بن طاووس لولده غياث الدين، وشيخنا الشهيد استجاز من أكثر مشايخه بالعراق لأولاده الذين ولدوا بالشام قريباً من ولادتهم، وعندي الآن خطوطهم لهم بالإجازة، وذكر الشيخ جمال الدين أحمد بن صالح السبيتي أن السيّد

فخار بن معه الموسوي قصد الذهاب للحج فنزل في بيتنا وجعلني أبي في خدمته وكان لي سبعة أعوام أو قريب منها، وعندما ركب للسفر أوقفني أبي أمامه وقال: امنح هذا الطفل إجازة. فأجازني وقال: أجزت لك ما يجوز لي روايته، وستعلم فيما بعد حلاوة ما خصّصتك به وهو الرواية.

يقول مؤلف الكتاب: وقد أجزت ولدي موسى الملقب بنصير الدين والمكنى بأبي محمّد وولدي الآخر محمّد الملقب بالتقي والمكنى بأبي سليمان وولدي الثالث علي الملقب بالنقي وولدي الرابع محمّد الملقب بباقر سلمهم اللّه ووفقهم، كما أجزت بناتي في رواية الأخبار التي تجوز لي روايتها من تأليفاتي وتأليفات الثقات من الأصحاب ومشايخنا خلفاً عن سلف ويعرف طريقي من هذا الكتاب، وذكرت في كتاب تذكرة العلماء المشايخ حتى المحمدين الثلاثة.

وكان تأليف هذا الكتاب خلال ثلاثة أشهر وخمسة أو ستة أيام، وهذا قليل الحصول وهو من كرامات أرواح العلماء، وحيث إن يوم الأربعاء هو يوم سعد للمؤمنين ونحس للكافرين ـ حسبما جاء في بعض الأخبار ـ فقد شرعت في أكثر التأليفات يوم الأربعاء، كما شرعت في هذا الكتاب المستطاب يوم الأربعاء وكان ختامه يوم الأربعاء عند الضحى في ١٧ شهر رجب سنة ١٢٩٠ من الهجرة النبوية.

رسالة سبيل النجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا إلى الشرع الأقوام والنبي المكرم فخر ولد آدم وعـليه أصلي وأسلّم وعلى آله موالي العالم وسادات الأمم.

وبعد... فيقول هذا المبتلى بالهوى النفساني والتائه في غمرة الجهل محمّد بـن العالم العيلم الرباني الميرزا سليمان الحكيم التنكابني: إنّه حيث كان لجماعة الإفـرنج منذ عدّة سنين ذهاب وإياب في ولاية تنكابن وأقاموا فيها أيام الشتاء والربيع من أجل شراء خشب الصفصاف حتى السنة الماضية ـ وهـي سـنة ١٢٩٥ هـ ـ فـإن الناس السفلة عاشرت الإفرنج ولم تحترز عنهم، بل بعضهم كان يشرب المسكر كما لو يشرب الماء، والإفرنج يكثرون الطعن على أهل الإسلام، وعندما رأيت الحـال تحدثت مع والي البلد وقلت له: إن المسلمين يعاشرون الإفرنج ويصاحبونهم بسبب فقر وفاقة أهل البلد وطمعهم، والمودة مع الكافرين حرام بنص القرآن، إضافة إلى أنهم لا يحترزون عن النجاسات ويشتغلون معهم بشرب المسكر، إضـافة إلى أن عشرة العوام معهم تجعل عظمة الإسلام في أنظار أبناء العصر هيّنة ذليلة، عـلاوة

على أن العوام تلقوا حقيقة الإسلام عن آبائهم وأجدادهم ولا برهان عندهم. ثم قد يزول منهم بأدنى تشكيك، فأمر بأن يجتمع معي وحدي الإفرنج لمدّة ثلاثة أيام كلّ يوم ثلاثة ساعات للمحاجة حتى أوضّح حقيقة الإسلام وهذا إذا تصرّفوا بإنصاف، وبمدد وإفاضة صاحب الزمان عليه السلام سأتغلب عليهم كما قال اللّه تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[1] أي في الحجة كما ورد في تفسير الآية، وإذا لم يكونوا منصفين وعاندوا فإني أُباهلهم كما ورد عن الإمام عليه السلام في الأخبار المذكورة في أُصول الكافي ويدعو كلّ منّا على الآخر بأن يهلك المبطل منّا فوراً وستظهر حينئذٍ أحقية الإسلام لكل أحد وترى بعين اليقين.

ولكن الوالي عندما سمع ذلك أبى وامتنع، ثم ذهب الإفرنج وعادوا في هذه السنة وهي سنة ١٢٩٦، واتفق أن كان معهم شخص من علمائهم وجاء إليّ لعمل مرتبط بتجارتهم وأظهر أنّه من علمائهم وقد تعلم وهو يعرف اللغة الفارسية، فكنت معه حسن السلوك حتى قلت له في آخر الأمر: إن لم يكن عندك مانع فلنتحدث سوياً ولنتناقش على أساس الإنصاف، فكلانا من عباد اللّه، فلماذا نختلف في النبي؟ فلنتباحث ونجعل العقل حاكماً فإن كان دينكم على حق ولم أستطع إبطاله فأدخل في دينكم، وإن كان كلامي محقاً وقبلتموه عن إنصاف فستقرون بنبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، فلماذا يبقى العاقل على الضلالة مع هذا العمر القصير والدنيا الغادرة ويختار لنفسه العذاب الأُخروي؟

فقال لي: هذا هو ما أطلبه. وقد أسعدني هذا الكلام واتفقنا على أن نجتمع مرة أُخرى للمناظرة، وكنت قد كتبت في النبوة في مواضع من تأليفاتي منها: في منظومة أُصول الدين، الثاني: في شرحها المسمّى بنجاح الاعتقاد، الثالث: في مقدمة الرسالة

---

(١) النساء ٤ / ١٤١.

المحمدية، الرابع: في كتاب مواعظ المتقين، الخامس: في منظومة الألفية المسمّاة بالفرائد في النبوة، السادس: في تعليقة على هذه المنظومة، السابع: في كتاب قصص العلماء في ترجمة المؤلف، الثامن: في كتاب الصراط المستقيم في أُصول الدين.

وفي كلّ كتاب من هذه الكتب أثبت النبوة وأردت في هذه الرسالة المسماة بسبيل النجاة أن أذكر المناظرة كما وقعت بيني وبين ذلك الإفرنجي؛ لأنّها كانت في غاية السهولة ووضوح التقرير، كتبتها حتى ينتفع بها العوام والخواص وتتحقق لهم القدرة على محاجة الأديان الباطلة. وذكرت البراهين بنحو مريح وبيان يطمئن له القلب بحيث يدرك هذه المطالب كلّ فرد من العوام، وقد ذكرت لأكثر المطالب أمثلة حتى ترتكز في الأذهان بشكل أفضل كما قال تعالى: ﴿وتِلكَ الأمثَالُ نَضرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلّا العَالِمُونَ﴾[1]؛ ولذا ضرب اللّه مثلاً بالعنكبوت والبعوضة والذباب والمشكاة ونحو ذلك في القرآن المجيد.

وعلى كلّ حال فقد جاء ذلك الإفرنجي للقائي مرة أُخرى فأدخلته إلى مكتبتي وكنت معه لطيفاً، ليكون ذلك موجباً للألفة بحيث يكون كثير الامتنان إذا انتهينا ويبين ذلك للناس، وقلت له: هل تريد المناقشة في الدين وهذا ما يسعدني؟ فقال: قد جئت لهذا الغرض. قلت: إن تحقيق هذا المطلب يحتاج إلى تمهيد عدّة مقدمات؛ لأنّك إذا أردت أن تبني حائط بيت لا بد من رصف الآجر من الأسفل ومادام أسفل الحائط غير مرصوف بالآجر فلا يمكن رصف ما فوقه. فأيّد الإفرنجي ذلك، فقلت:

المقدمة الأولى: أنّه أولاً يجب أن نعرف اللّه؛ لأنّ الرسول هو الذي يأتي برسالة من قبل المرسِل، فلا بد أن نعرف المرسِل من هو حتى نعرف فيما بعد من هو المرسَل

(١) العنكبوت ٢٩ / ٤٣.

وما هي الرسالة؛ إذ لعل صفات المرسَل تختلف بالنسبة إلى المرسِل؛ إذ لا بد أن يكون هناك وجه شبه ما بين المرسِل والمرسَل، وحيث إنّنا جميعاً عباد إله واحد بل كلنا نقول: إنّ لدينا إلهاً، لكننا نختلف في تشخيصه فالبعض يعتقد أنّه واجب الوجود والبعض يعتقد أنّه كوكب وبعض يعتقد أنّه الصنم وفرقة تعتقد أنّه عيسى، وبالجملة المصداق هو محل خلاف فهم متفقون في مفهوم الإله، مثل: أنني أعلم اليوم أنّه قد دخل شيء ما إلى هذا البلد فيقول البعض: إنّه فرس، وبعض آخر: إنّه جمل، وفرقة تقول: إنّه بقرة، فمن اللازم أن شيئاً في المدينة أمر متيقن.

والآن نقول: هنا وجود وماهية، والوجود بمعنى الكون، والماهية بمعنى شيء كما لو يقال: أي شيء هذا الإناء؟ أي ماهيته ما هي؟ وبعبارة أُخرى: أي جنس هذا؟ فتقول في الجواب: نحاس، ولكن عندما يقال: هذا الإناء له وجود أم لا؟ وفي الجواب تقول: له وجود. فيقال للكون وجود، ولعدمه: العدم.

وكل كمال متصور فهو وجود لا عدم، لأن العدم لا شيء فليس كمالاً، وكل كمال هو من الوجود مثل: القدرة بمعنى قوة الوجود، والعلم من قوة الوجود؛ لأن العدم عدم القدرة وهو ليس كمالاً، وعدم العلم وليس كمالاً. فالكمال وجود القدرة ووجود العلم، وهذا الكمال له شدة وضعف؛ لأن الطفل الرضيع قدرته ضعيفة والشاب قدرته شديدة وكذلك العلم، والهنا يجب أن يكون الأكمل في جميع الكمالات من جميع العالم وإلا فهو ليس إلهاً، ويجب أن تكون جميع الكمالات موجودة عنده بالفعل لأنّه حقيقة الوجود، ولو كان كماله أكمل لكنه ليس بالفعل لكان وجوده ناقصاً والحال أن الهنا منزه عن أي نقص، إذن يجب أن يكون الإله غير محتاج إلى أي شيء إذ لو كان محتاجاً فلن يكون وجوده أكمل من الجميع، فيجب أن لا يكون جسماً حتى لا يكون بحاجة إلى المكان، ويجب أن لا يكون مركباً حتى لا يحتاج إلى الأجزاء، ويجب أن لا يكون له شريك؛ لأن الوجود

الأكمل من الجميع هو وجود واحد فإذاكانا اثنين يجب أن يكون أحدهما أكمل من الآخر، والآخر ليس إلهاً بل الإله هو الأكمل، والأكمل لا يتّحد مع الناقص، واتحاد الكامل مع الناقص غير معقول، والوجود الكامل لا يحل في شيء لأن حلول الكامل في الناقص لغو، إضافة إلى أن الاتحاد والحلول إن كان كمالاً وجب أن يكون ناقصاً قبل الاتحاد والحلول وهذا خلاف الفرض، وإن كان نقصاً فالله يجب أن يكون أكمل من الجميع.

وبالجملة فالإله ليس ماهية يعرض عليها الوجود بل وجوده عين الماهية وإلا لزم التركيب، ومن هنا تتضح جميع مطالب التوحيد على وجه أكمل. وهذه هي مقدمة معرفة اللّه ذكرناها حتى نعرف أولاً المرسل وإلا فلن نعرف المرسَل.

ووافق الإفرنجي على ما ذكر في هذه المقدمة، وبهذه المقدمة أبطلنا مذهب النصارى من حيث لم يشعر الإفرنجي؛ لأنّ النصارى يقول بعضهم بأن الإله هو عيسى، وبعضهم قال: إنّه ابن اللّه، ومعظمهم قال بالأقانيم الثلاثة، والبعض يعتقد أن اللّه هو عيسى وأُمه واللّه، بمعنى أن اللّه ذات والأُم والولد صفات اتحدت.

ومن هذه المقدمة يعلم إن اللّه تعالى إله ليس له ولد ولا يتحد مع أي شيء ولا يحل في أي شيء، ومذهب فرق النصارى يبتنى على الحلول والاتحاد وكذلك اعتقاد كثير من الصوفية، فواحدة من فوائد هذه المقدمة بطلان مذهب الصوفية في ابتداء الأمر، وجعل هذا القسم من المقدمة في كمال المهارة.

وليعلم أنّه من هذه المقدمة لم تحصل حقيقة المعرفة باللّه بل حصلت بوجه من الوجوه، ومعرفة اللّه حقيقة لا تعني معرفة كنهه؛ لأن اللّه محيط بجميع الأشياء والمحيط يعلم بالمحاط أما المحاط فلا يعلم بالمحيط، إذ كيف يتمكن المحاط من معرفة المحيط ومثّلنا للإفرنجي في هذا الباب بمثال وافق عليه فقلت: نحن جالسون في هذا

البيت مثلاً فهذا البيت محيط ونحن محاطون، فلن نعرف ماذا يوجد على سطح المنزل، ولو كان هذا البيت مدركاً لعرفنا وعرف ما فوقنا وما أمامنا، وهذا شيء يحكم العقل به عن بداهة.

المقدمة الثانية: أنّه من اللازم على اللّٰه تعالى أن ينصب رسولاً لعباده، وبيان ذلك أنّه تقدم في المقدمة السابقة أن اللّٰه تعالى أكمل الموجودات ومثل هذا الإله لا يلغو ولا يقوم بعمل عن جهل، فلا بد إذن أن يكون قد خلق الخلق لفائدة، وهذه الفائدة إن كانت تعود للّٰه يلزم أن يكون اللّٰه بدون هذه الفائدة ناقصاً، والحال أننا ذكرنا أن الهنا يجب أن يكون أكمل الموجودات، فيجب أن تعود الفائدة على الخلق وهي ترقيهم ليقربهم إليه حتى يصلوا إلى الكمال، وجميع الكمالات منه، فالقرب منه أقصى الغايات وأكمل الكمالات وهذا يحصل بالتكليف، كما أن غرضه بقاء الخالق، ومن المعلوم أن جميع الخلق لا يستطيعون أخذ التكاليف من اللّٰه بلا واسطة بل إن الناس معادن من ذهب وفضة وبينهم فرق كبير، فالبعض على درجة عالية من الكمال والتقبّل والبعض ليس كذلك، ونذكر مثالاً في هذا المجال فنقول: هل يتمكن جميع الرعايا من أن يأخذوا المطلب من السلطان؟ من البديهي أنّه غير ممكن إذ البعض قابل لأن يخاطبه السلطان والبعض غير قابل بل يفهمون المطلب من الوزير، والبعض بواسطة حاكم البلد وهكذا، فاللازم إذن أن يجعل اللّٰه رسولاً يقول ما يريده للرسول وهو يبلغ للناس.

ولو لم يكن هناك تكليف من قبل اللّٰه يلزم السفه، مثلما يشتري سيّد عدّة عبيد وينفق عليهم ويكسيهم ويعطيهم ما يحتاجون إليه ولا يطلب منهم شيئاً ولا يعرفونه ويفسدون، فإن العقلاء يحكمون بسفه هذا السيّد، واللّٰه تعالى حكيم منزه عن السفه، فيجب أن تكون معرفته منه وأن يرفع الفساد والجور من بينهم فيجب أن يرسل رسولاً.

كما أنّه عندما خلق الإنسان للمرة الأُولى فمن الطبيعي أنّه يحتاج إلى غذاء حتى لا يموت من الجوع، والفرض أنّه خلقه حديثاً والأطعمة مختلفة فالبعض يرشّ السم عليها فيموت الإنسان إذا ما أكلها، وبعضها إذا أكلها الإنسان يمرض، فيجب أن يرسل رسولاً ليفهمهم أي طعام مهلك وأي طعام مضر حتى لا يأكلوا المضرّ. كما أنّهم يظلمون بعضهم البعض في الأموال والأعراض والنفوس فيجب أن ينصب رسولاً يترأسهم ويسير فيهم بالعدل كي لا يظلموا بعضهم البعض. ثم إن كان هذا الرسول وحيداً فهو رسول لنفسه وإن كان هناك غيره يكون رسولاً له أيضاً. ومن هذه المقدمة يعلم أن اللازم أن يعين اللّه رسولاً.

المقدمة الثالثة: إن الأحكام التي يأتي بها الرسل عن اللّه لها جهتان، جهة مثل أحكام وأوامر المولى للعبد؛ لأنّ الأحكام والأوامر الإلهية يعود نفعها إلى العباد لا إلى اللّه، مثل أوامر الطبيب للمريض حيث ترجع منفعة الدواء إلى المريض لا إلى الطبيب، فإذا لم يتناول المريض الدواء فهذا بضرره لا بضرر الطبيب، كما أنّه إذا لم يتناول المريض الدواء فإن الطبيب لا يعاقبه، لكن العبد إذا لم يأت بأحكام اللّه فإن اللّه يعاقبه؛ ولذا كانت مثل أوامر المولى إلى العبد إذ المولى يعاقب العبد إذا لم يأت بما يأمره به مع فارق أن أحكام المولى يعود نفعها إلى المولى.

وأيضاً يجب أن يعلم أنّ الأحكام التي يأتي بها النبي تابعة للمصالح والمفاسد نفس الأمرية، فقد تقتضي المصلحة أن يكون الحكم الفلاني في الزمان الفلاني ذا مفسدة لا مصلحة، مثل الجمع بين الأُختين في النكاح الذي كان موجوداً في الشريعة السابقة وقد زالت مصلحة الجمع في زمان نبينا ﷺ وأصبح الجمع في هذا الزمان ذا مفسدة تماماً مثل حكم الطبيب أنّه إذا أعطى المريض المسهّل كلّ يوم فإن أحشاءه وأمعاءه تتفتت، فمرة يعطيه المسهّل ومرّة يعطيه المنضج. لكن هناك بعض الأحكام ثابتة في جميع الأديان لا تقبل التغيير والتبديل والنسخ، مثل حفظ النفس

الواجب في كلّ دين؛ لأنه إن جاز قتل النفس يلزم منه عدم بقاء نظام العالم وقطع نسل بني آدم فكل نبي أتى بهذا الحكم؛ ومثل حفظ الأموال فلو كان مال كلّ شخص حلالاً لكل شخص يلزم الهرج والمرج ويضطرب النظم، ومثل حفظ العرض فلو كانت كلّ امرأة مباحة لكل شخص يضيع النسب ولا يعلم من هو والد هذا الولد ويضيع عمل الميراث، ومثل حفظ الدين إذ لو لم يحافظ على الدين فإنّه ينتهي وتضيع بذلك فائدة البعثة، ومثل حفظ العقل إذ لو كان ما يوجب فقدان العقل مباحاً حلالاً تزول معرفة اللّه التي هي الغرض من بعثة الأنبياء ويظلم كلّ شخص الآخر، ومن هنا يعتبر المسكر أم الخبائث لأن جميع المعاصي تنشأ منه؛ ولذا كان المسكر حراماً في كلّ الأديان والعقل يستقل بحرمته. وهذه الأمور الخمسة يصطلح عليها بالمقاصد الخمسة. فاتضح أن الخمر ليس حلالاً في أي دين حتى حتى دين اليهود والنصارى.

المقدمة الرابعة: بعد أن أرسل اللّه رسولاً لا بد من علامة من قبل اللّه تدل على صدقه، وإلّا لأتانا في كلّ لحظة شخص يدعي النبوة ولن يمتاز الصادق من الكاذب، وهذا يوجب ضلالة الناس والحال أن قصد اللّه تعالى هداية الخلق، مثلما إذا أرسل سلطان حاكماً إلى بلد فعليه أن يعطيه علامة تدل على صدقه مثل الخلعة والقانون.

وإذا عرفت هذا فيجب أن تعلم أن صدق النبي يثبت بعدة أُمور:

١ ـ أن يصرّح نبي آمنّا بنبوته بأن فلاناً ذا العلامة الفلانية سيأتي ويدعي النبوة وهو صادق.

٢ ـ أن يثبت ذلك في كتاب النبي السابق وكان كتابه حقاً فيذكر ذلك النبي باسمه وصفته، مثل ما هو مذكور في الإنجيل من أن ابن «أمنيس» سيأتي بالنبوة

و«أمنيس» هي آمنة أم نبينا ﷺ لأن الهاء تتبدل في لغتهم إلى سين كما يظهر ذلك من التتبع بكتب لغتهم.

٣ ـ أن تكون أحكام مدعي النبوة كلها على طبق العقل وكل حكم يأتي بـه يدرك العقل حسنه.

٤ ـ أن يأتي بمعجزة، أي يأتي بعمل يعجز عنه بحسب العادة أبناء البشر، مثل أن يقع حجر بوزن مثقالين فيقول النبي: أنا أرفع هذا الحجر عن الأرض. وغـيره لا يستطيع ذلك مع أن العادة تقضي أن يرفعه كلّ شخص، فيعلم أنّه مرسل من قبل اللّه؛ لأن هذا الشيء الخارق للعادة قد أتى به، وإذا لم يكن مرسلاً بل كان ساحراً أو مشعوذاً لوجب على اللّه أن يمنع تحقق ذلك، فإذا أظهر مدعي النبوة المعجزة فـإنا نحمله على الصدق فظهر الفرق بين النبي وغير النبي.

ووافق الإفرنجي على ذلك وقال: إن العقل يحكم بذلك بداهة وليس هذا محل إنكار. قلت: حيث إن اللّه رؤوف بالعباد رحيم فبمقتضى اللطف تكـون مـعجزة النبي من الأمر الشائع بين الناس، فيأتي به بنحو أكمل وبنحو يعجز عن الإتـيان بمثله الماهرون في ذلك الأمر وهذا أدل على صدق النبي، ففي زمان كليم اللّه موسى بن عمران كان المشتهر بين أهل مصر هو السحر فأعطاه اللّه معجزة تشبهه، فكانوا يجوّفون العصي ويملأونها بالزئبق فإذا أصابته الشمس تحرك ومشى، وموسى على نبينا وآله وعليه السلام ألقى بالعصا وصارت حية وأكلت سحرهم وعجزوا عن الإتيان بمثله، فعلم الناس حتى السحرة أن هذا ليس سحراً بل معجزة.

وفي زمان داود ﷺ كان المشتهر التغني والألحان اللطيفة فأعطاه اللّه لحناً بلغ لطفه أنّه عندما لحّنه في مجمع بني إسرائيل أُغمي على أربعة آلاف بنت بكر.

وكان في زمان النبي عيسى على نبينا وآله وعليه السلام الأطباء اليـونانيون

وغيرهم ويعالجون علاجات غريبة فأعطاه اللّٰه معجزة من هذا القبيل فصار يشفي الأعمى والأبرص والمشلول، فقال الأطباء: نحن أيضاً نستطيع أن نعالج من هذه الأمراض فقال لهم: إنني أستطيع أن أشفي حديثي الولادة من هذه الأمراض. فعجزوا عن ذلك ثم قال لهم: إني أحيي الميت. فاعترف الأطباء بعجزهم فأتوا بسام بن نوح الذي كان مضى على وفاته أربعة آلاف سنة وأحياه.

والمعروف أن أفلاطون قال له: الآن ثبت أنك رسول إلى العوام لا إليّ لأنني لست محتاجاً إلى الرسول وعقلي يكفي. فلم يؤمن، كذلك أستاذه أرسطو طاليس كان يحب ولداً أمرد ولذا سمّموه وقتلوه، وجالينوس الذي كان مبتلياً بداء الابنة، وقال أرسطو: رأي عيسى أن الخلقة من الخالق ورأيي أنها من الطبيعة. فنسب قول عيسى عليه السلام إلى رأيه ـ والعياذ باللّٰه ـ فيعلم منه أنّه لم يؤمن بنبوته.

ولما كانت في عهد خاتم الأنبياء الفصاحة والبلاغة في أشعار العرب وخطبهم هي المعروفة بينهم والمشتهرة عندهم بحيث كانوا يكتبون كلامهم الفصيح والبليغ على لوحات ويعلقونها على الكعبة، أنزل اللّٰه تعالى كلاماً على نبيه كانت فصاحته وبلاغته وسلاسته وجزالته فوق طاقة البشر، وكان هذا الإعجاز أقرب إلى قبول أهل ذلك الزمان.

المقدمة الخامسة: إن الذين كانوا في عصر النبي وشاهدوا المعجزة بأعينهم عليهم أن يذعنوا له ويصدقوا به، والذين لم يكونوا في ذلك الزمان بل كانوا في زمن متأخر عن زمان النبوة وإظهار المعجزة لا بد أن يجعل لهم معيار حتى يعلموا أن هذا الشخص جاء وادعى النبوة وأتى بمعجزة مع أنّ أحداً لم يره.. مثلاً في هذا الزمان وهو سنة ١٢٩٦ للهجرة و١٧٠٩ من بعثة عيسى عليه السلام فكيف آمن النصارى أن النبي كان على حق وأتى بمعجزة؟ لا بد أن هنا معياراً ما. فنقول:

يحصل اليقين للشخص بأُمور لم يرها بعدة أُمور:

١ ـ الخبر الواحد المحفوف بالقرائن القطعية.

٢ ـ التواتر اللفظي بمعنى أن يخبر بهذا الخبر جمع كثير بحيث يحصل اليقين بأنهم لم يجتمعوا على الكذب، وهؤلاء أيضاً نقلوا الخبر عن جماعة كثيرة بالنحو السابق، وهكذا حتى نصل إلى المبدأ فيحصل اليقين بصحة الخبر.

٣ ـ التواتر المعنوي بأن يخبر عدّة مخبرين عن مسألة وهم مختلفون في اللفظ لكن جميع الأخبار تشترك في إثبات أمر واحد بحيث يحصل القطع بذلك القدر المشترك، مثل أن يصل خبر بأنه إذا كان قدم الطير نجساً ووُضع في وعاء ماء يجب أن يهرق ذلك الماء، ويأتي خبر آخر أنّه إذا سقطت قطرة دم في قدح ماء يهرق الماء ولا يتوضأ منه ويجب التيمم، وهكذا يأتي كلّ خبر في مورد خاص غير مورد الخبر الآخر لكن الجميع يشترك بأن الماء القليل يتنجس.

٤ ـ التواتر المعنوي بحيث أن الكل يخبرون عن أمر واحد ومضمون واحد فيحصل القطع بأن أحد هذه الأخبار صادرة عن المعصوم.

٥ ـ التظافر والتسامع أي يكون عدد المخبرين جماعة يحصل بهم اليقين بصدق الخبر، والفرق بينه وبين التواتر أنّه في التواتر إذا تعددت الوسائط والطبقات يجب أن يكون في كلّ طبقة عدد يفيد القطع، لكن في التظافر والتسامع لا وسائط ولا طبقات، كما أنّه في التواتر إذا فرض عدم الوسائط وكانت هناك طبقة واحدة فإن العلم بالأشخاص وأعيان الناقلين شرط في التواتر، بخلاف التظافر والتسامع فشجاعة رستم تعلم بالتظافر والتسامع من حيث إننا سمعنا الكثير عن شجاعة رستم فيحصل لنا اليقين بذلك ويصير من القسم الثاني من قسمي التواتر المعنوي، مثل ما إذا حكى واحد غلبة رستم على أكوان ديو، ونقل آخر غلبته على سهراب،

وثالث نقل غلبته على أشكبوس، وهكذا بحيث نـقطع بأن رسـتم رجـل شـجاع وجميع هذه الأخبار تدل على شجاعته.

والمثال الخاص بالتسامع والتظافر مثل الأخبار عن وجود كربلاء أو مكة أو كلكتا في الهند فإننا نتيقن بوجودها، وحصول اليقين من التظافر والتسامع لا ريب فيه، وسألت الإفرنجي: هل ذهبت إلى كربلاء؟ قال: لا. قـلت: هـل تـعلم بأنهـا موجودة؟ قال: نعم. قلت: من أين علمت بأن كربلاء مدينة موجودة فعلاً؟ قال: سمعت. قلت: هل حصل لك اليقين من السماع؟ قال: نعم. قلت: والذين لم يكونوا في زمان الرسول وأتوا بعد سنين طويلة قد حصل لهم اليقين بأن فلاناً نبي من التظافر والتسامع وأنه أتى بالمعجزة الفلانية.

ومن هذه المقدمة يعلم أنّ الذين لم يكونوا في زمان النـبي أو كـانوا ولكـن لم يشاهدوه علموا بأن شخصاً أتى وادعى النبوة وأتى بمعجزة على طبق مدعاه مـن خلال التظافر والتسامع.

وعندما وصل الكلام إلى هذه النقطة شعرت بالتعب؛ إذ كنا قد تحدّثنا سوياً مدّة ثلاث ساعات وكان الوقت ضـيقاً، إضـافة إلى أن الكـلام والمسألة طـويلة فذكرها في مجلسين أو ثلاثة أفضل في رسوخها في القلب من أي تذكر في مجـلس واحد، فقلت له: نتحدث في الباقي في مجلس آخر وإن كان ما يجب أن يقال قد قيل وثبتت نبوة نبينا؛ لأنه إذا رتّبت المقدمات وسلمنا بها فالنتيجة قهرية، والإفرنجي وافق على المقدمات فاللازم أن يكون قد صدق بـنبوة خـاتم الأنـبياء وإلا فـلن يستطيع أن يثبت نبوة عيسى عليه السلام.

وقد وعدني الإفرنجي أن يأتي في يوم آخر وفي نظري بل في نـظر مـن كـان حاضراً في المجـلس أيضاً أنّه اختار الإسلام لكن لم يصرّح بذلك تـقية وقـال: في

الحقيقة قد استفدت كثيراً اليوم وهذا الكلام نادر ولم أسمعه في مكان آخر، وهذا مثل أن يصنع شخص سلّماً وتكون صناعته مشكلة لكن بعد صناعته يسهل الصعود على السطح. قلت: نعم الأمر كذلك، وأنا بهذه المقدمات أثبت نبوة النبي عيسى ﷺ بحيث لا يستطيع جميع الرهبان أن يثبتوا نبوته في زمانه بهذا الوضوح والبداهة.

وعلى كلّ حال فالمجلس الآخر لم ينعقد وما هو ضروري لإثبات أحقية الإسلام يظهر من هذه المقدمات ومع ذلك نقول زيادة في التوضيح بعون اللّه وحسن توفيقه: إنّ محمّد بن عبداللّه بن عبد المطلب قد ادعى النبوة في مكة المشرفة وهذا ثبت بالتظافر والتسامع والخصم لا ينكر هذا الأمر، وأما إتيانه بالمعجزة فقد ثبت أيضاً بالتظافر والتسامع أنّه شق القمر، وقد تقدم في المقدمات السابقة أن التظافر والتسامع يفيد العلم فيجب أن تكون نبوته حقة، مثلما ثبت بهذا النحو إحياء عيسى للأموات.

إن قلت: إن كان كذلك لأقر الإفرنج بالدين ولأصبح معلوماً لهم ولذكروه في تواريخهم وصحفهم مع أنهم لم يفعلوا ذلك ولم يقروا به.

نقول في الجواب: إن حصول العلم من التظافر والتسامع والتواتر منوط بأن لا يكون ذهن السامع مسبوقاً بشبهة كما ذكرنا في الكتب الأُصولية، إضافة إلى أن الأرض كروية وشق القمر حدث في نصف الليل في مكة، فكان يمكن بسبب كروية الأرض أن يكون زمان شق القمر عند الإفرنج ظهراً أو عصراً فلا يتمكنون من رؤيته، ولو سلمنا فإن أغلب بلادهم ضبابية، كما أن الصحف لم تكن متداولة في تلك الأيام.

وأيضاً لدينا أدلّة على نبوة نبينا من عدّة وجوه:

١ ـ إن أحكامه كلها على طبق العقل وليس فيها هوى نفس، وإثبات هذا الأمر يحتاج إلى تفصيل واسع لا يتحمّله هذا المختصر.

٢ ـ إنّه قد صُرّح بنبوته ﷺ في كتب الأنبياء السلف مثل التوراة والإنجيل وكتاب شعيا وكتاب أرميا ووحي الطفل الذي يسمّونه بنبوة هيلر، على مابيناه في ألفية النبوة وشرحها.

٣ ـ إنهم نقلوا عنه ﷺ معجزات كثيرة، مثل أنّه كانت تظلّه دائماً غيمة، وأنه يسبح الحصى بيده، وقال بعض الأفاضل: إنّه لا عجب في تسبيح الحصى نظراً إلى ﴿وإنْ مِن شَيءٍ إلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] وخارق العادة هو إسماع الحصى لأهل المجلس، وأنه إذا سلك طريقاً كان يرى ما خلفه كما يرى ما أمامه، وإذا عبر من زقاق كانت تبقى رائحة عطرة مدّة يومين بحيث كان يعلم الناس أن رسول اللّه مر من هنا، ولم يكن الذباب والبعوض يأتي على بدنه ﷺ، ولم يكن يطير الطير فوق رأسه، وتحدث معه الذراع المشوي بأنّهم وضعوا السمّ فيه، وإذا مشى على صخرة صلبة ظهر أثر قدميه عليها، وكان يخبر بالغيب، وإذا بصق على بئر جاف امتلأ البئر، وكان يشفي الأعمى، وتنزل إليه موائد الجنة، وليس له ظل تحت الشمس وكذلك كان لباسه، وأمثالها التي أحصاها البعض إلى ألف معجزة وأعتقد أنها تفوق الحصر؛ لأن ما ذكروه هو تعداد الأنواع وإلا فإنه في كلّ مرة تظلّه الغيمة فهي معجزة فكان عدد ما أظلته الغيوم هو عدد معجزات أيضاً.

وعلى كلّ حال فلو سلمنا أن كلّ معجزة من هذه المعجزات وصلت بأخبار آحاد إلا أن القسم الثاني من التواتر المعنوي حاصل فيحصل لنا اليقين بوقوع بعض هذه المعجزات، فنعلم بذلك المعجزة.

---

(١) الاسراء ١٧ / ٤٤.

٤ ـ إن معجزاتهﷺ كانت تظهر يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة، كما أن معجزات أولاده المعصومين الأئمة الأطهار والمعجزات التي كانت تظهر من مراقدهم ومشاهدهم الشريفة كثيرة، وكما ظهرت الكرامات الكثيرة من مرقد فاطمة بنت السبع سنوات ابنة الإمام موسى الكاظمؑ وقد رأيت بنفسي بعضها، ففي كلّ سنة يضاء مرقدها في موسم حصاد الشعير كما ظهرت دائماً الكرامات من مرقد العباس بن عليؑ، فلو لم يكن دين الإسلام حقاً لم تكن لتظهر هذه الكرامات، فهي شعبة من شعب معجزات الرسولﷺ، ومثل جريان الدم من شجرة قرب ابن الإمام في زرآباد، وثبوت هذه الكرامات بعضها بالمشاهدة وبعضها بالتواتر المعنوي بالنحو الثاني.

٥ ـ المعجزة التي وجدت في زمان الرسولﷺ والمستمرة حتى يوم القيامة وهي القرآن وهو في أيدينا، وإعجازه من عدّة وجوه، وهي مختلفة بحسب الأشخاص إلى حد لا نهاية له، وما هو بحسب الصفة:

الأوّل: إنّه في غاية البلاغة والجزالة والملاحة والسلاسة بحيث إنّ الإتيان بمثله فوق طاقة البشر، ولو استطاع البشر أن يأتوا بمثله لم يكن ليقول لهم: ائتوا بمثله إن استطعتم، وكرر ذلك في عدّة سور، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكن ليدعيه عاقل لأنه ينافي غرضه.

الثاني: إنّ له أُسلوباً غريباً.

الثالث: إنّه شفاء من كلّ داء سواء كان داء ظاهرياً أم باطنياً.

الرابع: إنّه اشتمل على أخبار بالغيب مثل غلبة الروم ونحوه وقد طابقت الواقع.

الخامس: إنّه في كلّ آية علوم وأحكام كثيرة لا يتمكن إلا اللّه أن يأتي بها في

كلام موجز، ويدرج فيها مثل هذا العلم وقد كتب هذا الفقير تفسير التوشيح من أجل هذا الأمر، واستخرجت من كل آية علوماً وأحكاماً كثيرة وبيّنتها حتى يعلم الناس أن هذا المقدار من العلم موجود في القرآن، بل في كلّ آية لا يقدر على درج هذا المقدار من العلوم في هذا المقدار من الكلام إلا اللّه.

السادس: إن الاستخارات المجربة بالقرآن تظهر لنا أنّه خارق للعادة.

السابع: إنّ التفؤلات العديدة التي حصلت بالقرآن معنا كانت كـلها مـطابقة للواقع.

الثامن: من الأدلّة أنّ الرسول ﷺ كان أُمـياً لم يـذهب إلى مـعلم ولم يـتعلم الكتابة، وقد صرّح بذلك اللّه في القرآن، فإن كان كذباً لكذّبه النـاس ولقـالوا: إنّ النبي كان يكتب ويقرأ الكتب، مع أنّه لم يخدش أحد ذلك، ومع هـذه الأُمـية يأتي فجأة بعلوم الأولين والآخرين ويكمّل الناس بالعلم والعمل بحيث يظهر في أُمته علماء لا عدد لهم ولا يوجد مثلهم في أي دين آخر، وكثير من الأصحاب والتابعين أصبحوا من ذوي المكاشفات وشهود الكرامات، وهذا يدل على أنّه ليس شيوعاً إلّا أن يكون من أن شيوع التأييدات الربانية والتوفيقات السبحانية والتسديدات الصمدانية.

وبالجملة فإن نبوة خاتم الأنبياء هي في حد من الظهور لا تقبل التوضيح أو إثباتها بالبرهان، بل إن إقامة البرهان على حجية القرآن ونبوة رسول آخر الزمان مثل من بيده شمعة في النهار يبحث عن ضوء الشمس.

قد تمت الرسالة الشريفة

فهرس الفبائي للمحتويات

آغا السيّد أسد اللّه ٢١٥
آغا السيّد صادق ٢١٤
آغا محمّد علي المازندراني ٢٣٥
السيّد ابراهيم ابن السيّد محمّد باقر الموسوي ٩
الشيخ إبراهيم بن سليمان ٥٩٩
ابن أبي الجد ٧٧٦
ابن ميثم البحراني ٧٣٤
الآغا حسين بن محمّد الخوانساري ٤٤٤
الآغا محمّد ابن الآغا حسين الخوانساري ٤٤٥
الآغا محمّد باقر البهبهاني ٣٣٧
أبو عبد اللّه ٧٧٢
الشيخ أبو عبداللّه جعفر بن محمّد ٧٥٧
الشيخ أبو منصور أحمد بن علي ٧٤٧
الشيخ أبي عبداللّه ٧٧١

أبي علي حسن بن محمّد الطوسي ٧٥٥
الشيخ أحمد بن إبراهيم ٥٢٨
الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد بن يوسف الحظي ٤٧١
الشيخ أحمد بن صالح البحراني ٤٩١
أحمد بن طاووس الحسيني ٧٣١
أحمد بن عبد الله بن محمّد ٧٣٩
أحمد بن علي بن أحمد ٧٧٠
أحمد بن محمّد بن فهد ٧٧٨
أحمد بن محمّد المقدّس الأردبيلي ٥٨٨
الملّا أحمد النراقي ٢٢٧
الشيخ البهائي ٣٩٤
السيّد تاج الدين أبو عبد الله ٧٤٠
تقي بن نجم أبو الصلاح الحلبي ٧٦٦
الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني ٤٩١
جعفر بن محمّد بن موسى بن قولويه ٧٥٨
الشيخ جعفر النجفي ٣١٤
جعفر بن يحيى بن حسن المحقق الأول ٦٢٧
جواد بن سعد بن جواد ٧٧٩
حسن بن أبي طالب اليوسفي ٧٧٦
الحسن بن أبي عقيل أبي علي ٧٥٩
الشيخ حسن صاحب المعالم ٤٧٨
حسن بن علي بن داود ٧٥٢

الملّا حسن اليزدي ١٧٦
الحسن بن يوسف بن علي العلامة الحلي ٦١١
الشيخ حسين ابن الشيخ محمّد البحراني ٤٦٣
السيّد حسين الترك ٢١٨
الشيخ حسين بن عبد الصمد بن محمّد ٤١٦
حسين بن علي بن محمّد ٧٧٣
الملّا خليل القزويني ٤٤١
الملّا السيّد الدربندي ١٨٧
رفيع الدين محمّد الحسيني ٧٨٠
الشيخ زين الدين حفيد الشهيد الثاني ٥٠١
الشيخ زين الدين الشهيد الثاني ٤١٩
الشيخ زين العابدين ٢١٨
سعيد بن هبة اللّه ٧٧٤
سلار بن عبد العزيز ٧٦٣
الشيخ سليمان ٥٢٦
الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد اللّه ٤٦٤
الشيخ سليمان بن علي ٤٦٨
شريف العلماء ١٩٧
شمس الدين محمّد الشهيد الأول ٥٨٠
الشيخ صالح بن عبد الكريم ٤٩٠
الشيخ الصدوق ٦٦٧
الآخوند الملّا صفر علي اللاهيجاني ١٦٢

الشيخ عبد العالي ابن المحقق الثاني ٥٧٥
عبد العزيز بن أبي كامل ٧٦٧
عبد العزيز القاضي ابن نحرير بن عبد العزيز ٧٦٥
الآخوند الملّا عبد الكريم ١٦٤
الشيخ عبدالله ابن الحاج صالح جمعة ٥٣٢
الملّا عبد الله التوني ٤٥٢
الملّا عبدالله بن حسين الشوشتري ٥٧٨
عربي بن مسافر العبادي ٧٥٥
السيّد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي ٧٤٦
علي بن ابراهيم بن محمّد بن حسين ٧٤١
الشيخ علي ابن الشيخ محمّد ٥١٣
علي بن حسن بن يوسف ٤٩٣
علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ٦٦٥
الشيخ علي بن سليمان ٤٦٩
السيّد علي صاحب الشرح الكبير والصغير ٣٠٠
الشيخ علي بن عبد العالي المحقق الثاني ٥٩٤
علي بن عبدالله البحراني ٤٩٢
علي بن عبيد الله بن حسن ٧٤٨
الملّا علي الكني ٢١٣
علي بن محمّد القاشي ٧٧٧
السيّد علي الملقّب بالسيّد نور الدين ٤٧٣
السيّد عماد الدين ٧٨١

السيّد فخار بن معد بن فخار الموسوي ٧٥٤
الشيخ فخر الدين بن طريح النجفي ٤٨٩
الفضل بن حسن بن فضل الطبرسي ٧٤٣
المير فيض الله ٧٨٠
السيّد ماجد بن هاشم بن علي ٥٧٦
السيّد محسن الكاظمي ٣٣٦
الحاج الملّا محمّد أشرفي ٢١٦
الملّا محمّد إبراهيم الكلباسي ٢٠٥
الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ٥٠٨
السيّد محمّد ابن السيّد علي ٢٢١
محمّد بن إدريس ٧٥٠
محمّد بن أحمد بن الجنيد ٧٦١
محمّد بن أحمد بن سليم ٧٧١
الملّا محمّد أمين ٥٥٠
حجة الإسلام السيّد محمّد باقر ٢٣٨
السيّد محمّد باقر ابن السيّد علي الحسيني القزويني ١١٠
المير محمّد باقر الداماد ٥٧١
الملّا محمّد باقر المجلسي ٣٤٧
محمّد باقر المحقق السبزواري ٦٦٣
الشيخ محمّد تقي الإصفهاني ٢٠٤
الحاج الملّا محمّد تقي بن محمد البرغاني القزويني ٣٣
الملّا محمّد تقي المجلسي ٣٩٠

الملا محمّد جعفر الاسترآبادي ١٧٣
محمّد بن جعفر بن أبي البقاء ٧٥٣
محمّد بن الجهم الأسدي ٧٧٥
الميرزا محمّد بن حسن الشيرواني ٤٤٧
محمّد بن الحسن بن علي بن الطوسي ٧٢٢
محمّد بن الحسن بن علي العاملي ٤٩٤
محمّد بن حسن الفاضل الهندي ٥٣٥
محمّد بن حسن فخر المحققين ٦٠٥
الشيخ محمّد حسن النجفي ١٨٠
محمّد بن حسين ٧٧٣
محمّد بن الحسين السيّد الرضي ٧١٧
محمّد بن سليمان التنكابني (مؤلف الكتاب) ١١٨
محمّد بن شجاع القطان ٧٧٨
السيّد محمّد صاحب المدارك ٤٧٦
محمّد صادق بن محمّد التنكابني ٦٦٥
الحاج الملا محمّد صالح ١٥٨
الملا محمّد صالح ٣٨٥
محمّد صالح بن عبد الواسع الحسيني ٥٣٤
محمّد بن عبد الفتاح التنكابني ٦٦٤
الميرزا محمّد علي ٥٥١
محمّد بن علي بن حمزة ٧٧٥
محمّد بن علي بن شهر آشوب ٧٥٦

محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي ٧٦٧
محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني ٧٧٧
محمّد بن عمر بن عبد العزيز ٧٦٨
محمّد قاسم ٥٣٤
الشيخ محمّد بن ماجد بن مسعود البحراني ٤٨٥
محمّد بن محمّد البصري ٧٧٢
محمّد بن محمّد الخواجة نصير الدين الطوسي ٦٣٢
محمّد بن محمّد الرازي ٦٠٨
محمّد بن محمّد بن النعمان ٦٩٠
محمّد بن مرتضى الملقب بالفيض ٥٥٢
السيّد محمّد مهدي ٢١٩
السيّد محمّد مهدي بحر العلوم ٢٩٠
الملاّ محمّد مهدي النراقي ٢٣٢
المير محمّد مؤمن ٥٣٤
الملاّ محمّد هادي ٣٨٨
محمّد بن يعقوب الكليني ٦٨٨
الشيخ محمود بن عبدالسلام ٤٩٣
محمود بن علي بن الحسين الرازي ٧٤٤
السيّد مرتضى الداعي الرازي الحسيني ٧٢٨
الشيخ مرتضى الشوشتري الأنصاري ١٨٦
السيّد المرتضى علم الهدى ٧١٠
مفلح بن حسين الصيمري ٧٧٩

المقداد بن عبدالله ٧٣٨
الميرزا القمّي ٣٠٨
الشيخ نعمة الله بن أحمد بن محمّد ٥٧٩
السيّد نعمة الله الجزائري ٧٨١
السيّد هاشم ابن السيّد سليمان ٤٨٧
ورام بن أبي فراس ٧٤٥
يحيى بن أحمد ٧٣٧
الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني ٤٥٥

فهرس المحتويات

١ ـ السيّد ابراهيم ابن السيّد محمّد باقر الموسوي ٩
٢ ـ الحاج الملّا محمّد تقي بن محمد البرغاني القزويني ٣٣
٣ ـ السيّد محمّد باقر ابن السيّد علي الحسيني القزويني ١١٠
٤ ـ في أحوال كثير الافضال مؤلف الكتاب ١١٨
٥ ـ الحاج الملّا محمّد صالح ١٥٨
٦ ـ الآخوند الملّا صفر علي اللاهيجاني ١٦٢
٧ ـ الآخوند الملّا عبد الكريم ١٦٤
٨ ـ الملّا محمّد جعفر الأسترآبادي ١٧٣
٩ ـ الملّا حسن اليزدي ١٧٦
١٠ ـ الشيخ محمّد حسن النجفي ١٨٠
١١ ـ أعلم العلماء الشيخ مرتضى الشوشتري الأنصاري ١٨٦
١٢ ـ الملّا السيّد الدربندي ١٨٧
١٣ ـ قدوة الفقهاء شريف العلماء ١٩٧
١٤ ـ الشيخ محمّد تقي الإصفهاني ٢٠٤

١٥ ـ الملّا محمّد إبراهيم الكلباسي ٢٠٥
١٦ ـ الملّا علي الكني ويُذكر مفصلاً في خاتمة الكتاب ٢١٣
١٧ ـ آغا السيّد صادق ٢١٤
١٨ ـ آغا السيّد أسد الله ٢١٥
١٩ ـ الحاج الملّا محمّد أشرفي ٢١٦
٢٠ ـ الشيخ زين العابدين ٢١٨
٢١ ـ السيّد حسين الترك ٢١٨
٢٢ ـ السيّد محمّد مهدي ٢١٩
٢٣ ـ السيّد محمّد ابن السيّد علي ٢٢١
٢٤ ـ الملّا أحمد النراقي ٢٢٧
٢٥ ـ الملّا محمّد مهدي النراقي ٢٣٢
٢٦ ـ آغا محمّد علي المازندراني ٢٣٥
٢٧ ـ حجة الإسلام السيّد محمّد باقر ٢٣٨
٢٨ ـ السيّد محمّد مهدي بحر العلوم ٢٩٠
٢٩ ـ السيّد علي صاحب الشرح الكبير والصغير ٣٠٠
٣٠ ـ الميرزا القمّي ٣٠٨
٣١ ـ الشيخ جعفر النجفي ٣١٤
٣٢ ـ السيّد محسن الكاظمي ٣٣٦
٣٣ ـ الآغا محمّد باقر البهبهاني ٣٣٧
٣٤ ـ الملّا محمّد باقر المجلسي ٣٤٧
٣٥ ـ الملّا محمّد صالح ٣٨٥
٣٦ ـ الملّا محمّد هادي ٣٨٨

٣٧ـالملّا محمّد تقي المجلسي ٣٩٠
٣٨ـالشيخ البهائي ٣٩٤
٣٩ـالشيخ حسين بن عبد الصمد بن محمّد ٤١٦
٤٠ـالشيخ زين الدين الشهيد الثاني ٤١٩
٤١ـالملّا خليل القزويني ٤٤١
٤٢ـالآغا حسين بن محمّد الخوانساري ٤٤٤
٤٣ـالآغا محمّد ابن الآغا حسين الخوانساري ٤٤٥
٤٤ـالميرزا محمّد بن حسن الشيرواني ٤٤٧
٤٥ـالملّا عبد الله التوني ٤٥٢
٤٦ـالشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني ٤٥٥
٤٧ـالشيخ حسين ابن الشيخ محمّد البحراني ٤٦٣
٤٨ـالشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله ٤٦٤
٤٩ـالشيخ سليمان بن علي ٤٦٨
٥٠ـالشيخ علي بن سليمان ٤٦٩
٥١ـالشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد بن يوسف الخطي ٤٧١
٥٢ـالسيّد علي الملقّب بالسيّد نور الدين ٤٧٣
٥٣ـالسيّد محمّد صاحب المدارك ٤٧٦
٥٤ـالشيخ حسن صاحب المعالم ٤٧٨
٥٥ـالشيخ محمّد بن ماجد بن مسعود البحراني ٤٨٥
٥٦ـالسيّد هاشم ابن السيّد سليمان ٤٨٧
٥٧ـالشيخ فخر الدين بن طريح النجفي ٤٨٩
٥٨ـالشيخ صالح بن عبد الكريم ٤٩٠

٥٩ ـ الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني ٤٩١
٦٠ ـ الشيخ أحمد بن صالح البحراني ٤٩١
٦١ ـ علي بن عبدالله البحراني ٤٩٢
٦٢ ـ علي بن حسن بن يوسف ٤٩٣
٦٣ ـ الشيخ محمود بن عبدالسلام ٤٩٣
٦٤ ـ محمّد بن الحسن بن علي العاملي ٤٩٤
٦٥ ـ الشيخ زين الدين حفيد الشهيد الثاني ٥٠١
٦٦ ـ الشيخ محمّد ابن الشيخ حسن ٥٠٨
٦٧ ـ الشيخ علي ابن الشيخ محمّد ٥١٣
٦٨ ـ الشيخ سليمان ٥٢٦
٦٩ ـ الشيخ أحمد بن إبراهيم ٥٢٨
٧٠ ـ الشيخ عبدالله ابن الحاج صالح جمعة ٥٣٢
٧١ ـ المير محمّد مؤمن ٥٣٤
٧٢ ـ محمّد صالح بن عبد الواسع الحسيني ٥٣٤
٧٣ ـ محمّد قاسم ٥٣٤
٧٤ ـ محمّد بن حسن المشهور بالفاضل الهندي ٥٣٥
٧٥ ـ الملا محمّد أمين ٥٥٠
٧٦ ـ الميرزا محمّد علي ٥٥١
٧٧ ـ محمّد بن مرتضى الملقب بالفيض ٥٥٢
٧٨ ـ المير محمّد باقر الداماد ٥٧١
٧٩ ـ الشيخ عبد العالي ابن المحقق الثاني ٥٧٥
٨٠ ـ السيّد ماجد بن هاشم بن علي ٥٧٦

٨١ـالملّا عبدالله بن حسين الشوشتري ٥٧٨
٨٢ـالشيخ نعمة الله بن أحمد بن محمّد ٥٧٩
٨٣ـشمس الدين محمّد الشهيد الأول ٥٨٠
٨٤ـأحمد بن محمّد المقدّس الأردبيلي ٥٨٨
٨٥ـالشيخ علي بن عبد العالي المحقق الثاني ٥٩٤
٨٦ـالشيخ إبراهيم بن سليمان ٥٩٩
٨٧ـمحمّد بن حسن فخر المحققين ٦٠٥
٨٨ـمحمّد بن محمّد الرازي ٦٠٨
٨٩ـالحسن بن يوسف بن علي العلامة الحلي ٦١١
٩٠ـجعفر بن يحيى بن حسن المحقق الأول ٦٢٧
٩١ـمحمّد بن محمّد الخواجة نصير الدين الطوسي ٦٣٢
٩٢ـمحمّد باقر المحقق السبزواري ٦٦٣
٩٣ـمحمّد بن عبد الفتاح التنكابني ٦٦٤
٩٤ـمحمّد صادق بن محمّد التنكابني ٦٦٥
٩٥ـعلي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ٦٦٥
٩٦ـالشيخ الصدوق ٦٦٧
٩٧ـمحمّد بن يعقوب الكليني ٦٨٨
٩٨ـمحمّد بن محمّد بن النعمان ٦٩٠
٩٩ـالسيّد المرتضى علم الهدى ٧١٠
١٠٠ـمحمّد بن الحسين السيّد الرضي ٧١٧
١٠١ـمحمّد بن الحسن بن علي بن الطوسي ٧٢٢
١٠٢ـالسيّد مرتضى الداعي الرازي الحسيني ٧٢٨

١٠٣ ـ أحمد بن طاووس الحسيني ٧٣١
١٠٤ ـ ابن ميثم البحراني ٧٣٤
١٠٥ ـ يحيى بن أحمد ٧٣٧
١٠٦ ـ المقداد بن عبيدالله ٧٣٨
١٠٧ ـ أحمد بن عبد الله بن محمّد ٧٣٩
١٠٨ ـ السيّد تاج الدين أبو عبد الله ٧٤٠
١٠٩ ـ علي بن ابراهيم بن محمّد بن حسين ٧٤١
١١٠ ـ الفضل بن حسن بن فضل الطبرسي ٧٤٣
١١١ ـ محمود بن علي بن الحسين الرازي ٧٤٤
١١٢ ـ ورام بن أبي فراس ٧٤٥
١١٣ ـ السيّد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي ٧٤٦
١١٤ ـ الشيخ أبو منصور أحمد بن علي ٧٤٧
١١٥ ـ علي بن عبيد الله بن حسن ٧٤٨
١١٦ ـ محمّد بن إدريس ٧٥٠
١١٧ ـ حسن بن علي بن داود ٧٥٢
١١٨ ـ محمّد بن جعفر بن أبي البقاء ٧٥٣
١١٩ ـ السيّد فخار بن معد بن فخار الموسوي ٧٥٤
١٢٠ ـ عربي بن مسافر العبادي ٧٥٥
١٢١ ـ أبي علي حسن بن محمّد الطوسي ٧٥٥
١٢٢ ـ محمّد بن علي بن شهر آشوب ٧٥٦
١٢٣ ـ الشيخ أبو عبدالله جعفر بن محمّد ٧٥٧
١٢٤ ـ جعفر بن محمّد بن موسى بن قولويه ٧٥٨

١٢٥ ـ الحسن بن أبي عقيل أبي علي ٧٥٩
١٢٦ ـ محمّد بن أحمد بن الجنيد ٧٦١
١٢٧ ـ سلار بن عبد العزيز ٧٦٣
١٢٨ ـ عبد العزيز القاضي ابن نحرير بن عبد العزيز ٧٦٥
١٢٩ ـ تقي بن نجم أبو الصلاح الحلبي ٧٦٦
١٣٠ ـ عبد العزيز بن أبي كامل ٧٦٧
١٣١ ـ محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي ٧٦٧
١٣٢ ـ محمّد بن عمر بن عبد العزيز ٧٦٨
١٣٣ ـ أحمد بن علي بن أحمد ٧٧٠
١٣٤ ـ الشيخ أبي عبدالله ٧٧١
١٣٥ ـ محمّد بن أحمد بن سليم ٧٧١
١٣٦ ـ أبو عبد الله ٧٧٢
١٣٧ ـ محمّد بن محمّد البصري ٧٧٢
١٣٨ ـ محمّد بن حسين ٧٧٣
١٣٩ ـ حسين بن علي بن محمّد ٧٧٣
١٤٠ ـ سعيد بن هبة الله ٧٧٤
١٤١ ـ محمّد بن علي بن حمزة ٧٧٥
١٤٢ ـ محمّد بن الجهم الأسدي ٧٧٥
١٤٣ ـ ابن أبي الجد ٧٧٦
١٤٤ ـ حسن بن أبي طالب اليوسفي ٧٧٦
١٤٥ ـ محمّد بن علي بن محمّد الجرجاني ٧٧٧
١٤٦ ـ علي بن محمّد القاشي ٧٧٧

١٤٧ ـ محمّد بن شجاع القطان ٧٧٨
١٤٨ ـ أحمد بن محمّد بن فهد ٧٧٨
١٤٩ ـ مفلح بن حسين الصيمري ٧٧٩
١٥٠ ـ جواد بن سعد بن جواد ٧٧٩
١٥١ ـ الميرِ فيض اللّه ٧٨٠
١٥٢ ـ رفيع الدين محمّد الحسيني ٧٨٠
١٥٣ ـ السيّد عماد الدين ٧٨١
١٥٤ ـ السيّد نعمة اللّه الجزائري ٧٨١
رسالة سبيل النجاة ٨٠٩
فهرس القبائل للمحتويات ٨٢٥
فهرس المحتويات ٨٣٣